

إحياء علوم الدين

للإمام الفسزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الفزالي
وفلسفته في الإحياء

بمقدّم

الدكتور زيدوني طباطبة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

فيها كتب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل حمز بن القدرسي

From the Library of
Muhammad T. Hosien

المحرر الثاني

مكتبة وطبعة "كرياطة فوترا" سماراغ

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ »

(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب آداب الأكل)

(وهو الأول من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين)

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات ، غلق الأرض والسموات ، وأزل الماء القرات من للصرات ، فأخرج به الحب والنبات ، وقدر الأرزاق والأقوات ، وحفظ بالمأكولات قوى الحيوانات ، وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات بمكمل الطيبات ، والصلاة على محمد بنى المعجزات الباهرات ، وطى آله وأصحابه صلاة تتوالى على عمر الأوقات ، وتتضاعف بتعاقب الساعات ، وسلم تسلياً كثيراً .

أما بعد : فان مقصد ذوى الألباب لقاء الله تعالى في دار الثواب ، ولا طريق إلى الوصول لقاء الله إلا بالعمل ، ولا تمكّن للواظبة عليهما إلا بإسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات ، والتناول منها بقدر الحاجة على تكرّر الأوقات ، فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين إن الأكل من الدين ، وعليه يهرب العالمين ، بقوله وهو أصدق القائلين - كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً - فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى ، فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملًا سدى ، يسترسل في الأكل استرسال البهائم في الرعى ، فان ما هو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه ، ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه وإنما أنوار الدين آدابه وسننه التي يزم العبد بزمها ، ويلجم التقى بإجماعها ، حتى يترنّ بميزان الشرع شهوة الطعام في إقدامها وإحجامها ، فيصير بسببها مدفة للوزر ، ومجلبة للأجر ، وإن كان فيها أوفى حظ للنفس . قال صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليؤجر حتى في اللقمة يرفها إلى فيه وإلى في امرأته» (١) «وإنما ذلك إذا رضى بالدين ولدين مراعى فيه آدابه ووظائفه ، وهان عن ترشد إلى وظائف الدين في الأكل فراقضها وسنتها وآدابها ومروايتها وهيئاتها في أربعة أبواب . وفصل في آخرها . الباب الأول : فيما لا بد للأكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل . الباب الثاني : فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل . الباب الثالث : فيما يخص تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين . الباب الرابع : فيما يخص الدعوة والضيافة وأشباهاها .

(كتاب آداب الأكل)

(١) حديث إن الرجل ليؤجر في اللقمة يرفها إلى فيه وإلى في امرأته من حديث سعد بن أبي وقاص وإنك مهما أفقت من ثقة فاتها صدقة حتى اللقمة ترفها إلى في امرأتك .

بقيّة

عوارف المعارف

للسهروردي

[الباب التاسع في ذكر من اتقى إلى الصوفية وليس منهم]
فمن أولئك قوم يسبون نفوسهم قلندرية تارة وملازمة أخرى وقد ذكرنا حال الملاقي وأنه حال شريف ومقام عزيز وتمسك بالسنن والآثار وتحقق بالإخلاص والصدق وليس مما يزعم للفتنون بشيء فأما قلندرية فهو إشارة إلى أقوام ملكهم سكر طيبة قلوبهم حتى خربوا السادات وطرحوا التقيد بالمعاليات والمخالطات وصاحوا في ميادين طيبة قلوبهم هزلت أعمالهم من الصوم والصلاة إلا الفرائض

الباب الأول : فيما لا بد للمنفرد منه وهو ثلاثة أقسام قسم قبل الأكل وقسم مع الأكل وقسم بعد الفراغ منه (القسم الأول في الآداب التي تقدم على الأكل وهي سبعة)

الأول : أن يكون الطعام بعدكونه حالاً في نفسه طيباً في جهة مكسبه موافقاً للسنة والورع لم يكتب بسبب مذكورة في الشرع ولا يحكم هوى ومداهنة في دين على ما يأتي في معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النبي عن الأكل على بالباطل القتل تخفياً لأمر الحرام وتعظيماً لبركة الحلال فقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - إلى قوله - ولا تقتلوا أنفسكم - الآية فالأصل في الطعام كونه طيباً وهو من الفرائض وأصول الدين الثاني : غسل اليد ، قال صلى الله عليه وسلم « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ويبدد بني السم »^(١) وفي رواية « ينفي الفقر قبل الطعام ويبدد » ولأن اليد لا تغلوعن لوث في تعاطي الأعمال فصلها أقرب إلى النظافة والزمانة ولأن الأكل قصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجري منه مجرى الظاهرة من الصلاة . الثالث : أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض فهو أقرب إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى بطعام وضعه على الأرض^(٢) فهذا أقرب إلى التواضع فإن لم يكن فعل السفرة فانها تذكر السفر وتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى وقال أنس بن مالك رحمه الله « ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة »^(٣) . قيل فعلى ماذا كنتم تأكلون قال على السفرة وقيل أربع أدهمت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواتي والناخل والأشنان والشبع . واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى فلنا قول الأكل على المائدة منهي عنه نهى كراهة أو تحريم إذ لم يثبت فيه نهى وما يقال إنه أبعد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما أبعد منها بل النهي بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمراً من الشرع مع بقاء علته بل الإبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب وليس في المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه والأربع التي جمعت في أنها مبدعة ليست متساوية بل الأشنان حسن لما فيه من النظافة فإن الفضل مستحب للنظافة والأشنان أتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لأنهم كانوا لا يعتاد عندهم أولاً لتيسر أكلهم مشغولين بأمور أهم من الباطنة في النظافة فقد كانوا لا يغسلون اليد أيضاً وكانت مناديلهم أخص أقدامهم وذلك لا يمنع كون الفضل مستحباً وأما النخل فالتقصود منه تطيب الطعام وذلك مباح ما لم ينته إلى التمتع بالفرط وأما المائدة فتيسر للأكل وهو أيضاً مباح ما لم ينته إلى التكبر والتعظيم وأما الشبع فهو أشد هذه الأربعة فإنه يدعو إلى تهيج الشهوات وتخريبك الأدوية في البدن فتدرك التفرقة بين هذه البيدعات . الرابع : أن يحسن الجلسة على السفرة في أول جلوسه ويستديمها كذلك

(الباب الأول)

(١) حديث الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ويبدد بني السم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام ويبدد القضاء في مسند الشهاب من رواية موسى الرضا عن أبيه متصلاً باللفظ الأول وللطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس الوضوء قبل الطعام ويبدد بني الفقر ولأبي داود وت من حديث سلمان بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده وكلها ضعيفة (٢) حديث كان إذا أتى بطعام وضعه على الأرض أحمد في كتاب الزهد من رواية الحسن مرسلًا ورواه البزار من حديث أبي هريرة نحوه وفيه مجاهد وثقه أحمد وضعه الدارقطني (٣) حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة الحديث رواه ع .

ولم يالوا بشاؤ شيء
من قادات الدنيا من
كل ما كان مساحاً
برخصة الشرع وربما
اقتصروا على رماية
الرخصة ولم يطلبوا
حقائق العزعة ومع
ذلك هم متمسكون
بترك الادخار وترك
الجمع والاستكثار ولا
يستمعون بمراسم
التقنين والتزهدين
والتصديق وقصوا
بطية قلوبهم مع الله
تعالى واقتصروا على
ذلك وليس عندهم
تطلع إلى طلب مزيد
سوى ما هم عليه من
طية القلوب والفرق
بين اللامق والقنندري
أن اللامق يعمل
في كتم العبادات
والقنندري يعمل
في تحريم العادات
واللامق يمسك بكل
أبواب البر والخير
ويرى الفضل فيه

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى ^(١) » وكان يقول « لا تأكل متكئا ^(٢) » إنما أنا عبد آكل كأي كمل العبد وأجلس كما يجلس العبد ^(٣) » والشرب متكئا مكروه للحمدة أيضا ويكرهه الأكل نائما ومتكئا إلا ما ينتقل به من الحبوب وروى عن علي كرم الله وجهه أنه أكل كصا على نرس وهو مضطجع ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفضله . الخامس : أن ينوي بأكله أن يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعا بالأكل ولا يقصد التلذذ والتنعم بالأكل قال إبراهيم بن خديان منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئا لشهوني وعزم مع ذلك على تقليل الأكل فإنه إذا أكل لأجل قوة العبادة لم تصدق نيته إلا بأكل ما دون الشبع فإن الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وإثارة القناعة على الاتساع قال رسول الله ﷺ « ماملأ آدمى وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه فإن لم يفعل ثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفس ^(٤) » ومن ضرورة هذه النية أن لا يمد اليد إلى الطعام إلا وهو جائع فيكون الجوع أحدا لا بد من تقديمه على الأكل ثم ينبغي أن يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وصيان فائدة قوة الأكل وكيفية التدرج في التقليل منه في كتاب كسر شهوة الطعام من ربيع اللسكات . السادس : أن يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التمتع وطلب الزيادة وانتظار الأدم بل من كرامة الحيز أن لا ينتظر به الأدم وقد ورد الأمر بإكرام الحيز ^(٥) فكل ما يدهم الرمي ويقوى على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي أن يستحقر بل لا ينتظر بالحيز الصلاة إن حضر وقتها إذا كان في الوقت متسع قال رسول الله ﷺ « إذا حضر العشاء والعشاء فادعوا بالعشاء ^(٦) » وكان ابن عمر رضي الله عنهما ربما جمع قراءة الإمام ولا يقوم من عشاءه ومهما كانت النفس لا تنوq إلى الطعام ولم يكن في تأخير الطعام ضرر فالأولى تقديم الصلاة فأما إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان في التأخير ما يرد الطعام أو يشوش أمره فتقدمه أحب عند اتساع الوقت تأتت النفس أولم تنق لصوم الحيز ولأن القلب لا يغلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع وإن لم يكن الجوع غالبا . السابع : أن يجتهد في تشكير الأيدي على الطعام ولو من أهله وولده قال صلى الله عليه وسلم « اجتمعا على طعامكم يبارك لكم فيه ^(٧) » وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولكن يغني الأعمال والأحوال ويوقف نفسه موقف العوام في هيئته وملبوسه وحركاته وأمره مسترا لئلا يغلظ له وهو مع ذلك متطلع إلى طلب المزيد بذل مجهوده في كل ما يتقرب به إليه والقلندري لا يتقيد بهيمة ولا ينال بها يعرف من حاله وما لا يعرف ولا ينطق إلا على طية القلوب وهو رأس ماله والصوفي يضع الأشياء مواضعها ويدير الأوقات والأحوال كلها بالعلم قيم الخلق مقامه وقيم أمر الحق مقامهم ويستمر ما ينبغي أن يستمر ويظهر ما ينبغي أن يظهر ويأني بالأمور في موضعها بحسور عقل وصحة توحيد وكال معرفة ورعاية صدق وإخلاص تقوم من للفنونين مواءمتهم ملائمة وليسوا لبسة الصوفية لينسبوا بها إلى الصوفية وما هم من

(١) حديث ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى د من حديث عبد الله بن بشر في أثناء حديث أنوا تلك القصص فالتقوا عليها فكثروا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وله و ن من حديث أنس رأيته يأكل وهو مقع من الجوع وروى أبو الحسن بن المقرئ في الثمائل من حديثه كان إذا قصد على الطعام استوفى على ركبتيه اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كأي كمل العبد وأفضل كما يفضل العبد وإسناده ضعيف (٢) حديث كان يقول لا آكل متكئا من حديث أبي جحيفة (٣) حديث إنما أنا عبد آكل كأي كمل العبد وأجلس كما يجلس العبد تقدم قلبه من حديث أنس بلفظ وأفضل بدل وأجلس رواه البزار من حديث ابن عمر دون قوله وأجلس (٤) حديث ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث ت وقال حسن ن . من حديث المقداد بن معديكرب (٥) حديث أكرموا الحيز البزار والطبراني وابن قانع من حديث عبد الله بن أم حرام بإسناد ضعيف جدا وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٦) حديث إذا حضر العشاء والعشاء فادعوا بالعشاء تقدم في الصلاة والعرف وأقيمت الصلاة (٧) حديث اجتمعا على طعامكم يبارك لكم فيه د . من حديث وحشي بن حرب بإسناد حسن .

لأياكل وحده^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي » [١].

(القسم الثاني في آداب حالة الأكل)

وهو أن يبدأ بيسم الله في أوله وبالحدقة في آخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو حسن حتى لا يقبله الشتره عن ذكر الله تعالى ويقول مع اللقمة الأولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهز به ليذكر غيره ويأكل باليمين ويبدأ بالملح ويغتم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يتصلها لمعد اليد إلى الأخرى فإن ذلك هبة في الأكل وأن لا ينضم ما كولا ، كان صلى الله عليه وسلم لا ييبس ما كولا كان إذا أجهبه أكله وإلا تركه^(٢) وأن يأكل مما يليه إلا الفاكهة فإن له أن يحيل يده فيها قال صلى الله عليه وسلم « كل مما يليك^(٣) » ثم كان صلى الله عليه وسلم يدور على الفاكهة قبيل له في ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا^(٤) وأن لا يأكل من دورة القصعة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف إلا إذا قل الحبز فبكر الحبز ولا يقطع بالسكين^(٥) ولا يقطع اللحم أيضا فقد نهى عنه وقال انهشوه نهشا^(٦) ولا يوضع على الحبز قصعة ولا غيرها إلا ما يؤكل به قال عليه السلام « أكرموا الحزبان الله تعالى أنزلهم من ركات السماء » [٢] ولا يمسح يده بالحزب وقال صلى الله عليه وسلم « إذا وقت لقمة أحدكم فليأخذها وليخط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالتدليل حتى يلقق أصابعه فانه لا يدري في أي طعامه البركة^(٧) » ولا ينفخ في الطعام الحار^(٨) فهو منى عنه بل يصبر إلى أن يسهل أكله ويأكل من القرو ترا سبعا أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين أو ما اتفق ولا يجمع بين القرو والتوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع التواقم فيه على ظهر كفه ثم يلقها وكذا كل ما له هم وتحمل وأن لا يتركها استرذله من الطعام ويطر حه في القصعة بل يتركه

(١) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده رواه الحراقطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف (٢) حديث أنس كان لا ييبس ما كولا إن أجهبه أكله وإلا تركه متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث كل مما يليك متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة (٤) حديث كان يدور على الفاكهة وقال ليس هو نوعا واحدا . من حديث عكراش بن ذؤيب وفيه وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق فقال يا عكراش كد من حيث شئت فانه غير لون واحد قال ت غريب ورواه حب في الضعفاء (٥) حديث النهى عن قطع الحبز بالسكين رواه حب في الضعفاء من حديث أبي هريرة وفيه نوح بن أبي مريم وهو كذاب ورواه البيهقي في الشعب من حديث أم سلمة بسند ضعيف (٦) حديث النهى عن قطع اللحم بالسكين د من حديث عائشة وقال انهشوه نهشا قال ن منكر و ت . من حديث صفوان بن أمية وانهشوا اللحم نهشا وسنده ضعيف (٧) حديث إذا وقت لقمة أحدكم فليأخذها فليخط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالتدليل حتى يلقق أصابعه فانه لا يدري في أي طعامه البركة م من حديث أنس وجابر (٨) حديث النهى عن النفخ في الطعام والشراب أحمد في مسنده من حديث ابن عباس وهو عند أبي داود وت وجهه ابن ماجه إلا أنهم قالوا في الإباء وت وجهه من حديث أبي سعيد نهى عن النفخ في الشراب .

[١] (قوله وقال صلى الله عليه وسلم خير الطعام الخ) لم يشكك عليه العراقي لسقوطه من نسخته كما لم يذكره الشارح فلي تأمل .

[٢] (قوله أكرموا الحزبان الخ) لم يخرج العراقي وقد أخرجه الشارح عن الحكم الترمذي وغيره فانظره .

الصوفية حتى يلم في غرور وغلط يقترون بلبسة الصوفية نوقنا تارة ودعوى أخرى ويتجهون مناهج أهل الإباحة وزعمون أن ضارهم خلصت إلى الله تعالى ويقولون هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بممراسم الشريعة رتبة العوام والقاصرين الأنهام للشصير في مضيق الاقتداء تقليدا وهنا هو عين الإلحاد والزندقة والابساد فكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة وجمل هؤلاء للغرورون أن الشريعة حتى البوذية والحقيقة هي حقيقة البوذية ومن صار من أهل الحقيقة قيد بجهنم البوذية وجاه مطالبها بأسور وزادات لا يطلب بها من لم يصل إلى ذلك لأنه مخلص من عقه ربة التكليف وغامر بطنه التريغ

مع العمل حتى لا يتبس على غيره فيأكله وأن لا يكثر الشرب في أثناء الطعام إلا إذا غص بلقمة أو صدق عطشه فقد قيل إن ذلك مستحب في الطب وأنه دباغ المعدة . وأما الشرب : فآذنه أن يأخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصاً لا عباً قال صلى الله عليه وسلم « مصوا الماء ولا تمويه عبا فإن السكاب من العب » (١) ولا يشرب قائماً ولا مضطجماً فإنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائماً (٢) وروى أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً (٣) ولعله كان لعذر ، وبإحدى أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز بل ينحيه عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب « الحمد لله الذي جعله غذاءً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا » (٤) والكوز وكل ما يدار على القوم يدار بيمينه « وقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا وأبو بكر رضي الله عنه عن شمالة وأعرابي عن يمينه وعمر ناحيته قال عمر رضي الله عنه أعط أبوبكر فناول الأعرابي وقال الأيمن فالأيمن » ويشرب في ثلاثة أنفاس بحمد الله في أواخرها ويسمى الله في أوائلها ويقول في آخر النفس الأول الحمد وفي الثاني يزيد رب العالمين وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين أدباً في حالة الأكل والشرب دلت عليها الأخبار والآثار .

(القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام)

وهو أن يمسك قبل الشبع ويلقم أصابعه ثم يمسح باليد ثم يسلمها ويلتقط ثبات الطعام قال صلى الله عليه وسلم « من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوف في ولده » (٥) ويتخلل ولا يتلعل كل ما يخرج من بين أسنانه بالخلال إلا ما يجمع من أصول أسنانه بلسانه أما المخرج بالخلال فيرميه وليتضمن بعد الخلال فيه أثر عن أهل البيت عليهم السلام وأن يلحق القصعة ويشرب ماءها ويقال من لعل القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة وأن التقاط الفتات مهوور الحور العين وأن يشكر الله تعالى قبله على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى - كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله - ومهما أكل خللاً قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم أطمعنا طيباً واستعملنا صالحاً وإن أكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على مصيبتك وقرأ بعد الطعام - قل هو الله أحد - و - لا يلاف قريش - ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولاً فإن أكل طعام التيس فليدعه له وليقل اللهم أكثر خيره وبارك له فيما رزقته ويسر له أن يفعل فيه خيراً وقمعه بما أعطيته واجعلنا وإياه من الشاكرين وإن أظطر عند قوم فليقل أظطر عندكم الصائئون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ليطفي بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها لقوله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مصوا الماء ولا تمويه عبا أبو منصور الديلمي في مسند الفردس من حديث أنس بالشرط الأول ولأبي داود في الراسيل من رواية عطاء بن أبي رباح إذا شربتم فاشربوا مصاً (٢) حديث الترمذي عن الشرب قائماً من حديث أنس وأبي سعيد وأبي هريرة (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً متفق عليه من حديث ابن عباس وذلك من زمزم (٤) حديث كان يقول بعد الشرب الحمد لله الذي جعل الماء غذاءً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا الطبراني في الدعاء مرسل من رواية أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (٥) حديث من أكل ما سقط من المائدة عاش في سعة وعوف في ولده أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ آمن من الفقر والبخل والجدام صرف عن ولده الحق وله من حديث الحاج بن علاط أعطى سعة من الرزق ووفى في ولده وكلامه منكر جداً .

والتحريف . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ القدسي قال أنا أبو محمد الخطيب ثنا أبو بكر بن محمد بن عمر قال ثنا أبو بكر بن أبي داود قال ثنا أحمد ابن صالح قال ثنا عيسى قال ثنا يونس بن يزيد قال قال محمد يعني الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن عبداً ابن عتبة بن مسعود حدثه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرة شيء ، الله تعالى مجاب في سريرته ومن أظهر لنا سوى ذلك لم نأمنه وإن قال سريرتي حسنة وعنه أيضاً رضي الله

« كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » (١) « وليس من يأكل ويصلي كمن يأكل ويلهو ويلق إذا أكل لنا اللهم بارك لنا فيما رزقنا وزدنا منه » (٢) فإن أكل غيره قال اللهم بارك لنا فيما رزقنا وبارزنا خيرا منه فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللين لمعوم نعمه ويستحب عقيب الطعام أن يقول الحمد لله الذي أطعنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شيء ولا يكتفى منه شيء. أطعنا من جوع وآمنت من خوف فك الحمد آتيت من يتم وهديت من ضلالة وأغثت من عيلة فك الحمد جدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما أنت أهله ومستحقه اللهم أطعنا طيبا فاستمعنا صالحا واجهنا عونا لنا على طاعتك ونمؤذك أن نستعين به على معصيتك وأما غسل اليدين بالأشنان فكيفيته أن يمسح بالأشنان في كفه اليسرى ويغسل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولا ويضرب أصابعه على الأشنان اليايس فيمسح به شفته ثم ينم غسل القم بأصبعه وبذلك ظاهر أسنانه وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل أصابعه من ذلك بإمائه ثم بذلك بقية الأشنان اليايس أصابعه ظهرا وبطنا ويستغنى بذلك عن إعادة الأشنان إلى القم وإعادة غسله .

(الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والشاركة في الأكل وهي سبعة)

الأول : أن لا يتدنى بالطعام ومعه من يستحق التقديم بغيره من أوزيادة فضل إلا أن يكون هو المتبوع والقدي به فيصنفه ينبغي أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اشربوا للأكل واجتمعوا له . الثاني : أن لا يسكنوا على الطعام فإن ذلك من سيرة العجم ولكن يشكمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها . الثالث : أن يرفق برقيقه في القصة فلا يقصد أن يأكل كزيادة على ما يأكله فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقا لرضا رقيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي أن يقصد الإيثار ولا يأكل تمرتين في دفعة إلا إذا فعلوا ذلك أو استأذنهم فإن قلل رقيقه نشطه ورغبه في الأكل وقاله كل ولا يزيد في قوله كل على ثلاث مرات فإن ذلك إلهاج وإفراط . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب في شيء ثلاثا لم يرجع بعد ثلاث (٣) وكان ﷺ يكرر الكلام ثلاثا (٤) فليس من الأدب الزيادة عليه فأما الحلف عليه بالأكل فمنع قال الحسن بن علي رضي الله عنهما الطعام أهون من أن يخلف عليه . الرابع : أن لا يحجج رقيقه إلى أن يقول له كل قال بعض الأدباء أحسن الأكلين أكل من لا يحجج صاحبه إلى أن يتفقه في الأكل وحمل عن أخيه مؤنة القول ولا ينبغي أن يدع شيئا مما يشبهه لأجل نظر الغير إليه فإن ذلك تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته شيئا في الوحدة ولكن يعود نفسه حسن الأدب في الوحدة حتى لا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع نعم لوقل من أكله إشارا لإخوانه ونظرا لهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن وإن زاد في الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الأكل فلا بأس به بل هو حسن وكان ابن المبارك يقدم

(١) حديث كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به هو في شعب الإيمان من حديث كعب بن عجرة بلفظ سحت وهو عندت وحسنه بلفظ لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به (٢) حديث القول عند أكل اللين اللهم بارك لنا فيما رزقنا وزدنا منه وحسنه . من حديث ابن عباس إذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ومن ساء الله لنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه .

(الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والشاركة في الأكل)

(٣) حديث كان إذا خطب في شيء ثلاثا لم يرجع بعد ثلاث أحمد من حديث جابر في حديث طويل ومن حديث أبي حنيفة أيضا وإسنادهما حسن (٤) حديث كان يكرر الكلمة ثلاثا من حديث انس كان يبيد الكلمة ثلاثا .

عنه قال من عرض نفسه لقم فلا يلومن من أساء به الظن فإذا رأيتهم أو أمانا محدود الشرع مهملا للصوات للفروضات لا يمتد بحلاوة التلاوة والصوم والصلاة ويدخل في المداخل للكروحة الحمراء نرده ولا يقبل دعواه أن له سريرة صالحة . أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي بإجازة عن عمر بن أحمد عن ابن خلف عن السلي قال سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا محمد الجبري يقول سمعت الجنيد يقول للرجل ذكر للمرفة فقال الرجل أهل للمرفة بالله يصلون إلى عرفك الحركات من باب البر والتقوى إلى الله تعالى فقال الجنيد إن جعلنا قول قوم تسلكوا بسقاط الأعمال وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويترى أحسن

فاخرا الربط إلى إخوانه ويقول من أكل أكثر أعطته بكل نواة درهما وكان يعد النوى ويطهى كل من له فضل نوى بعده دراهم وذلك لدفع الحياء وزيادة النشاط في الانسباط . وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما أحب إخواني إلى أكثرهم أكلًا وأعظمهم لقمة وأتلمهم على من يحوجني إلى تمهده في الأكل وكل هذا إشارة إلى الجري على التصاد وترك التصنع وقال جعفر رحمه الله أضافتين جودة عمة الرجل لأخيه بمقدرة كله في منزله . الخامس : أن غسل اليد في الطست لأبأس به وله أن يتنخم فيه إن أكل وحده وإن أكل مع غيره فلا يفيض أن جعل ذلك فإذا قدم الطست إليه غيره إكرامه فليقبله . اجتمع أنس بن مالك وثابت البناني رضي الله عنهما على طعام قدم أنس الطست إليه فامتنع ثابت فقال أنس إذا أكرمك أخوك فأقبل كرامته ولا تردّها فأما بكرم اقدمه وجل وروى أن هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرب فصب الرشيد على يده في الطست ففارغ قال يا أبا معاوية تدرى من صب على يدك فقال لا قال صبه أمير المؤمنين فقال يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجلته فأجلك الله وأكرمك كما أجلت العلم وأهله . ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو أقرب إلى التواضع وأبعد عن طول الانتظار فإن لمفعولاه فلا يفيض أن يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست قال صلى الله عليه وسلم « اجتمعوا وضوءكم جمع أفشلكم » (١) قيل إن المراد به هذا . وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى الأمصار لا يرفع الطست من بين يدي قوم إلا لمعولة ولا تشبهوا بالجمع وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستقوا بسنة الأعاجم والخادم الذي يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائما وأحب أن يكون جالسا لأنه أقرب إلى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروى أنه صب الماء على يده واحد خادما جالسا قام الصوب عليه فقيل له لمقت فقال أحدا لا بد وأن يكون قائما وهذا أولى لأنه أيسر للصب والصل وأقرب إلى تواضع الذي يصب وإذا كان له نية في تمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فإن العادة جارية بذلك في الطست إذن سعة آداب أن لا يزيق فيه وأن يقدمه التبرع وأن يقبل الإكرام بالتقديم وأن يدار عنة وأن يجتمع فيه جماعة وأن يجمع الماء فيه وأن يكون الخادم قائما وأن يعج الماء من فيه ويرسله من يده برق حتى لا يرش على الفراش وعلى أصحابه وليصب صاحب التزل بنفسه الماء على يده ضيفه هكذا فعل مالك بالشامي رضي الله عنهما في أول نزوله عليه وقال لا يروءك ما رأيت من خدمة الضيف فرض . السادس : أن لا ينظر إلى أصحابه ولا يراقب أكلهم فيستحيون بل يفيض بصره عنهم ويشغل نفسه ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا يجتمعون الأكل بعده بل يعد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا إلى أن يستوفوا فإن كان قليل الأكل توقف في الابتداء وقل الأكل حتى إذا توسعوا في الطعام أكل معهم أخيرا قد فعل ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنه فإن امتنع لسبب فليعتذر إليهم دفعا للخلعة عنهم . السابع : أن لا يفعل ما يستفدونه غيره فلا يفيض يده في القصة ولا يقدم إليهم رأسه عند وضع القصة فيه وإذا أخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام وأخذ يمساره ولا يمس القصة الدسة في الخل ولا الحل في الدسومة قد يكرهه غيره والقصة التي قطعها بسنة لا يمس يديها في الرقة والخل ولا يتكلم بما يذكر المستفدات .

(الباب الثالث في آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين)

تقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كثير . قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما إذا قدمت مع الإخوان على المائدة فأقبلوا الجلوس فاتها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم . وقال الحسن رحمه الله كل نقعة

(١) حديث اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم رواه القضاة في مسند الشباب من حديث أبي هريرة باسناد لا بأس به وجل ابن طاهر مكان أبي هريرة إبراهيم وقال إنه متصل وفيه نظر .

(الباب الثالث في تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين)

حالا من الذي يقول هذا وإن المارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه برعون فيها ولو جيت ألف عام لم تنقص من أعمال البر فذة إلا أن يحال يدونها وإنها لا كد في مسرفه وأقوى لحالي ومن جلة أولئك قوم يقولون بالحلول ويزعمون أن الله تعالى يحل فيهم ويحل في أجسام يصطفيها ويسبق لأفهامهم معنى من قول الصاري في اللاهوت والناسوت . ومنهم من يبتغي النظر إلى المستحبات إشارة إلى هذا التوم ويتخيل له أن من قال كلمات في بعض غلباته كان مضرا لشيء مما زعموه مثل قول الحلاج أنا الحق وما يحكى عن أبي زيد من قوله سبحان لحقا أن نعتد في أبي زيد أنه يقول ذلك لإطع معنى الحكاية عن الله تعالى

ينفخها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم بحاسب عليها ألبتة لا تنفخ الرجل على إخوانه في الطعام فإن الله يستحي أن يسأله عن ذلك هذا مع ما ورد من الأخبار في الطعام قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال للانسكة تصل على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع »^(١) وروى عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على أكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك »^(٢) فأنا أحب أن أمتكر عما قدمه إليكم لنا كل فضل ذلك وفي الخبر « لا يحاسب العبد على ما يأكل مع إخوانه »^(٣) وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك ويقل إذا أكل وحده وفي الخبر « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان »^(٤) وقال على رضي الله عنه : « لأن أجمع إخواني على صام من طعام أحب إلي من أن أعقر رقية وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول من كرم للره طيب زاده في سفره وبذله لأصحابه وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون الاجتماع على الطعام من يكرم الأخلاق وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يفرقون إلا عن ذواق وقيل اجتماع الإخوان على الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا وفي الخبر « يقول الله تعالى للعيدوم القيامة يا ابن آدم جئت فلم تطعمني فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول جاع أخوك للسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمني »^(٥) وقال عليه السلام « إذا جاءكم الزائر فأكرموه »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصل بالليل والناس نيام »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من أطعم الطعام »^(٨) وقال عليه السلام « من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام »^(٩) وأما آدابه : فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام . أما الدخول فليس من السنة أن يقصد قوما مترصا لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة وقد نهى عنه قال الله تعالى - لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه - يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر

(١) حديث لا تزال اللانسكة تصل على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع ، الطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف (٢) حديث إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لا يحاسب من أكل من فضل ذلك الطعام ، لم أقف له على أصل (٣) حديث لا يحاسب العبد عما يأكله مع إخوانه هو في الحديث الذي بعده بمعناه (٤) حديث ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان ، الأزدي في الضعفاء من حديث جابر ثلاثة لا يستأثرون عن النعم : الصائم والمتسحر والرجل يأكل مع ضيفه أورده في ترجمة سليمان بن داود الجزري وقال فيه منكر الحديث ولأن منصور الديلمي في مسند الفردوس نحوه من حديث أبي هريرة (٥) حديث يقول الله للعيد يوم القيامة يا ابن آدم جئت فلم تطعمني الحديث م من حديث أبي هريرة باللفظ استطعمتك فلم تطعمني (٦) حديث إذا جاءكم الزائر فأكرموه ، الحرايطي في مكالم الأخلاق من حديث أنس وهو حديث منكر قاله ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه (٧) حديث إن في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها ، هي من ألان الكلام وأطعم الطعام وصل بالليل والناس نيام ت من حديث علي وقال غريب لا تعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقد تسلم فيه من قبل حفظه (٨) حديث خيركم من أطعم الطعام أحمد والحاكم من حديث صهيب وقال صحيح الاسناد (٩) حديث من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام الطبراني من حديث عبد الله بن عمر وقال ابن حبان ليس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الذهبي غريب منكر .

وهكذا ينبغي أن يشتد في قول الحلاج ذلك ولو علمنا أنه ذكر ذلك القول مضمرا لشيء من الحلول ردناه كما نردم وقد أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريعة يضاء به يستقيم بها كل معوج وقد دلنا عقولنا على ما يجوز وصف الله تعالى به وما لا يجوز والله تعالى منزله أن يحل به شيء أو يحل شيء حق لعل بعض الفتونين يكون عنده ذكاء وفطنة غريبة ويكون قد مع كلمات تفلقت ياطنه فيتألف له في فكره كلمات ينسبها إلى الله تعالى وأنها مكالة الله تعالى إياه مثل أن يقول قال لي وقلت له وهذا رجل إما جاهل بنفسه وحديثا جاهل بربه وبكيفية للكلمة والمادة ، وإما عالم بطلان ما يقول ، بعمله

«من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما» (١) ولكن حق الداخل إذا لم يترس وانفق أن صادفهم على طعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له فإذا قيل له كل فظن بأن علم أنهم يقولونه على حجة لمساعدته فليساعد وإن كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغي أن يأكل بل ينبغي أن يتكلم أما إذا كان جائعا قصد بعض إخوانه لطعمه ولم يترس به وقت أكله فلا بأس به . قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا (٢) والدخول على مثل هذه الحالة إعانة لتلك السلم على حيازة ثواب الإطعام وهي عادة السلف وكان عون بن عبد الله السعدي له ثلاثمائة وستون صدقا يدور عليهم في السنة وآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر والآخر خمسة يدور عليهم في الجمعة فكان إخوانهم معلومهم بدلائل كسبهم وكان قيام ذلك بهم على قصد التبرك بعبادة لهم فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واقفا بصدقاته عالما بفرجه إذا أكل من طعامه قل أنه يأكل بغير إذنه إذ المراد من الإذن الرضا لاسيما في الأطعمة وأمرها على السنة فرب رجل يصريح بالإذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب وقد قال تعالى - أو صدقكم - ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلفت الصدقة عليها (٣) وذلك لعله يسرورها بذلك لذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان أكفاه بلمه بالإذن فإن لم يعلم فلا بد من الاستئذان أولا ثم الدخول وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسره ويقول هكذا كنا وروى عن الحسن رضي الله عنه أنه كان قائما يأكل من متاع يقال في السوق يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه قسبة فقال له هشام ما بذلك يا أباسيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه فقال بالكعب انك على آية الأكل فلا إلى قوله تعالى - أو صدقكم - فقال فن الصدق يا أباسيد قال من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب ومشى قوم إلى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأزولوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري وجعل يقول ذكر عمر بن الخطاب السلف هكذا كانوا ، وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادقه في المنزل فدخل فظفر إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد خبز وغسب ذلك غدله كله فقدمه إلى أصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير شيئا فقل له قد أخذته فلان فقال قد أحسن فلما لقيه قال يا أخى إن عادوا قد فهمه آداب الدخول . وأما آداب التقديم : فترك التكلف أولا وتقديم ماحضر فإن لم يحضر شيء ولم

هواه على الدعوى بذلك اليوم أنه ظفر بشيء وكل هذا ضلال ويكون سبب تجرته على هذا ماصع من كلام بعض المحققين مخاطبات وردت عليهم بعد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة وتكسبهم بأصول القوم من صدق التقوى وكال الإهد في الدنيا فلا صفت أسرارهم تشككت في سرارهم مخاطبات مواقفه للكتاب والسنة فزلت بهم تلك المخاطبات عند استغراق السرار ولا يكون ذلك كلاما يسمعون به كحديث في النفس يجدونه برؤية موافقا للكتاب والسنة مفهوما عند أهل موافقا لعلم ويكون ذلك مناجاة لسرارهم ومناجاة سرارهم بإمام فيثبتون لنفوسهم مقام البوذية ولولا المايوسية

(١) حديث من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما حق من حديث عائشة نحوه وضعه ولأبي داود من حديث ابن عمر من دخل على غيرة دخل سارقا وخرج مغتريا لمسانده ضعيف (٢) حديث قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه ، أما قصة أبي الهيثم فرواها ت من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح والقصة عندهم لكن ليس فيها ذكر لأبي الهيثم وإنما قال رجل من الأنصار ، وأما حديث قصد منزل أبي أيوب فرواها الطبراني في المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان من الصدقة فقال بلفت الصدقة مكانها متفق عليه من حديث عائشة أهدى لبريرة لم قال النبي صلى الله عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية ، وأما قوله بلفت عليها فقال في الشاة التي أعطيتها نسيمة من الصدقة وهو متفق عليه أيضا من حديث أم عطية .

بذلك ولا يستقرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمع نفسه بالتقديم فلا ينبغي أن يقدم . دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال لولا أني أخذته بدين لأطعمتك منه ، وقال بعض السلف في تفسير التكلف أن تطعم أخاك ما لانا كله أنت بل تصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه وقال بعضهم ما ألى من إخواني فاني لا أتكلف له إنما أقرب ما عندي ولو تكلفت له فكرهت عيته وملته وقال بعضهم كنت أدخل على أخ لي فيتكلف لي فقلت له إنك لانا كل وحدك هذا ولانا لما بالنا إذا اجتمعنا أكلناه فلما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع الجهد قطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بيماله وتؤذي قلوبهم . وروى أن رجلا دعا عليا رضي الله عنه فقال علي أجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بيمالك وكان بعضهم يقدم من كل ما في البيت فلا يترك نوعا إلا ويحضر شيئا منه وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله قدم إلينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم ^(١) وقال بعضهم إذا قصدت للزيارة قدم ما حضر وإن استزرت فلاتق ولانذر وقال سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا ^(٢) وفي حديث بونس النبي صلى الله عليه وسلم أنه زاره إخوانه قدم إليهم كسرا وجزلهم فبلا كان يزرعه ثم قال لهم كلوا لولأن الله لمن الله للتكلفين لتكلفت لكم وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره من الصحابة أنهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لاندري أيهما أعظم وزرا الذي يحقر ما يقدم إليه أو الذي يحقر ما عنده أن يقدمه . الأدب الثاني : وهو للزائر أن لا يقترح ولا يتحكم بشيء بعينه فربما يشق على الزور إحضاره فان خيره أخوه بين طعامين فليختبر أيسرهما عليه كذلك السنة في الخبر أنه ما خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا اختار أيسرهما ^(٣) وروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملحاً جريشا فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سقر كان أليب فخرج سلمان فزعه مطهرته وأخذ سقرا فلما أكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قمنا بما رزقنا فقال سلمان لو قمنا بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه أو كراهته له فان علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له اقتراحه فصل الشافعي رضي الله عنه ذلك مع الزعفراني إذا كان نازلا عنده ينفد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلها إلى الجارية فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألحق بها لونا آخر بخطه ، فلما رأى الزعفراني ذلك اللون

(١) حديث دخلنا على جابر بن عبد الله قدم إلينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم رواه أحمد دون قوله لولا أنا نهينا وهي من حديث سلمان الفارسي وسيأتي بعده وكلاهما ضعيف وللخاري عن عمر بن الخطاب نهينا عن التكلف حديث (٢) حديث سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا الخرائطي في مكارم الأخلاق ، ولأحمد لولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أو لولا أنا نهينا أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك ، وللطبراني نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلف للضيف ما ليس عندنا (٣) حديث ما خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا اختار أيسرهما متفق عليه من حديث عائشة وزاد ما لم يكن إنما لم يذكرها م في بعض طرقه .

فيضيفون ما يجدونه
لدى قوسهم وإلى
مولاهم وهم مع ذلك
عالون بأن ذلك ليس
كلام الله وإنما هو
علم حادث أحدثه الله
في بواطنهم فطريق
الأصحاء في ذلك القرار
إلى الله تعالى من كل
ما أحدث قوسهم به
حتى إذا برئت ساحتهم
من الهوى ألهموا
في بواطنهم شيئا
ينسونه إلى الله تعالى
نسبة الحادث إلى
المحدث لانسبة الكلام
إلى التكلم لينصنا
عن الزيف والتعريف
ومن أولئك قوم
يزعمون أنهم يفرقون
في بحر التوحيد ولا
يشنون ويسقطون
لنفسهم حركة وفعلا
يزعمون أنهم مجبورون
على الأشياء وأن لافعل
لهم مع فصل الله
ويسترسون في المعاصي
وكل ما تدعو النفس
إليه ويركضون إلى
البطالة ودوام الغفلة

أنكر وقال ما أمرت بهذا فرضت عليه الرقة ملحقاً بها خط الشافعي فلما وقعت بينه على خطه فرح بذلك وأعتق الجارية سروراً باقتراح الشافعي عليه . وقال أبو بكر السكاني دخلت في السرى فجاءت بنت وأخذ يحمل نصفه في القدر فقلت له أي شيء تعمل وأنا أشربه كله في مرة واحدة فضحك وقال هذا أفضل لك من حبة ، وقال بعضهم الأكل على ثلاثة أنواع مع القراء بالإشارة ومع الإخوان بالانبطاح ومع أبناء الدنيا بالأدب . الأدب الثالث : أن يشتبه للزور أخاه الزائر وليتسنى منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة فعمل ما يقترح فذلك حسن وفيه أجر وفضل جليل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن قد سر الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر « من لاذ أخاه بما يشتبه كتب الله له ألف حسنة وهي عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة وأطعمه أقمن ثلاث جنات الجنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد (٢) » . الأدب الرابع : أن لا يقول له هل أقدم لك طعاماً بل يبنى أن يقدم إن كان قاله الثوري إذا زارك أخوك فلا تقل له أنا كل أو أقدم إليك ولكن قدم فان أكل وإلا فارفع وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاماً فلا يبنى أن يظهرهم عليه أو يصفه لهم قال الثوري إذا أردت أن لا تطعم عيالاً مما تأكل كله فلا تعدنهم به ولا يرونه معك وقال بعض الصوفية إذا دخل عليكم القراء قدموا إليهم طعاماً وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسألة فإذا دخل القراء فدلوهم على المهراب .

(الباب الرابع في آداب الضيافة)

ومطابق الآداب فهاسته الدعوة أولاً ثم الإجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الأكل ثم الانصراف ولتقدم على شرحها إن شاء الله تعالى . فضيلة الضيافة : قال صلى الله عليه وسلم « لا تسكنوا للضيف فتبضوه فانه من أبض الضيف قد أبض الله ومن أبض الله أبضه الله (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا خير فيمن لا يضيف (٤) » ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومرباة لها شويحات فذبحته فقال صلى الله عليه وسلم : انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق يداها فمن شاء أن ينجمه خلقاً حسناً فاعمل (٥) » . وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال : قل للفلان اليهودي نزلني ضيف فأسلمني شيئاً من الدقيق إلى رجب قال اليهودي والله ما أكلته إلا برهن فأخبرته قال والله إنني لأمين في السماء أمين في الأرض

(١) حديث من صادف من أخيه شهوة غفر الله له ومن سر أخاه المؤمن قد سر الله عز وجل البرار وللطبراني من حديث أبي الدرداء من وافق من أخيه شهوة غفر له قال ابن الجوزي حديث موضوع وروى ابن جبان والمقبلي في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق من سر مؤمناً فأتى الله الحديث قال المقبلي باطل لأصله (٢) حديث جابر من لاذ أخاه بما يشتبه كتب الله له ألف حسنة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من رواية محمد بن نعيم عن ابن الزبير عن جابر وقال أحمد ابن حنبل هذا باطل كذب .

(الباب الرابع في آداب الضيافة)

(٣) حديث لا تسكنوا للضيف فتبضوه فانه من أبض الضيف قد أبض الله ومن أبض الله أبضه الله ، أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث سلمان لا تسكنن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه وفيه محمد بن الفرج الأزرق شكك فيه (٤) حديث لا خير فيمن لا يضيف أحد من حديث عتبة بن عامر وفيه ابن لهيعة (٥) حديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومرباة لها شويحات فذبحته قال الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق من رواية أبي الهيثم مرسلاً

والاغترار بالله والخروج من السنة وترك الحسود والأحكام والحلال والحرام . وقد سئل سهل عن رجل يقول أنا كالباب لا أحرك إلا إذا حركت قال هذا لا يقوله إلا حدر جليل إما صديق أو زنديق لأن الصديق يقول هذا القول إشارة إلى أن قوام الأشياء بأقبح إحكام الأصول ورعاية حدود البوذية والزندق يقول ذلك إحالة للأشياء على الله وإسقاطاً للأمة عن نفسه وانحلاصاً عن الدين ورسمه فأما من كان معتقداً للحلال والحرام والحدود والأحكام معتقداً بالمعية إذا صدرت منه معتقداً وجوب التوبة منها فهو سليم صحيح وإن كان تحت القصور بما يركن إليه من البطالة ويتروح بهوى النفس إلى

ولو أُلْسِنِي لِأَدْبَتِهِ فَادْهَبْ بِدِرْعِي وَارْهَنْهُ عِنْدَهُ^(١) » وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميالين يلتصق من يتعدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا فلا تنقص ليلة إلا وبأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة وقال قوام الوضع إنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف » ومثل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الإيمان ؟ قال إطعام الطعام وبذل السلام^(٢) » وقال **عليه السلام** : « في الكفارات والبرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام^(٣) » ومثل عن الحبيب البرور فقال « إطعام الطعام وطيب الكلام^(٤) » وقال أنس رضي الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله لللائكة والأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لا تحصى فلنذكر آدابها . أما الدعوة : فينبغي للداعي أن يبعد بدعوته الأتقياء دون القساق قال صلى الله عليه وسلم « أكل طعامك الأبرار^(٥) » وفي دعائه لبعض من دعاه وقال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعامي ولا يأكل طعامك إلا نقي^(٦) » ويقصد الفقهاء دون الأغنياء على الخصوص . قال صلى الله عليه وسلم « شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء^(٧) » وينبغي أن لا يهمل آثاره في ضيافته فإن إهمالهم وإعماش قطع رحم وكذلك يراعى الترتيب في أسدقائه ومعارفه فإن في تخصيص البعض إجماعاً لقلوب الباقيين ، وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استئالة قلوب الإخوان والتسكين بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين ، وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشقى عليه الإجابة وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب ، وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته قال سفيان من دعا أحداً إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطيئة فإن أجاب الدعوة فعليه خطيئتان لأنه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان يأكله وإطعام النقي إعانة على الطاعة وإطعام القاسق تقوية على الفسق . قال رجل خياط لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة ؟ قال لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الحيط والاراة أما أنت فمن الظلمة نفسها . وأما الإجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجودها في بعض اللواضع قال صلى الله عليه وسلم « لودعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع قبلت^(٨) » وللإجابة خمسة آداب : الأول أن لا يميز النقي بالإجابة عن الفقير فذلك هو التكبر للمنى عنه . ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الإجابة وقال : انتظار المروة ذل ، وقال آخر إذا وضعت يدي في قصعة غیری فقد ذلت له رقبتي ومن

(١) حديث أبي رافع أنه نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لقنان اليهودي نزلني ضيف فأملسني شيئاً من الدقيق إلى رجب الحديث رواه اسحاق بن راهويه في مسنده والخراطي في مكارم الاخلاق وابن مردويه في التفسير باسناد ضعيف (٢) حديث مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإيمان قال إطعام الطعام وبذل السلام متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ أي الاسلام خير ؟ قال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرف ومن لم تعرف (٣) حديث قال صلى الله عليه وسلم في الكفارات والبرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ت وصححه واك من حديث معاذ وقد تقدم بضمه في الباب الرابع من الأذكار وهو حديث اللهم إني أسألك فعل الخيرات (٤) حديث مثل عن الحبيب البرور فقال إطعام الطعام وطيب الكلام تقدم في المجلع (٥) حديث أكل طعامكم الأبرار د من حديث أنس باسناد صحيح (٦) حديث لا تأكل إلا طعامي ولا يأكل طعامك إلا نقي تقدم في الزكاة (٧) حديث شر الطعام طعام الوليمة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة . (٨) حديث لودعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع قبلت ع من حديث أبي هريرة .

الأسفار والترحال في البلاد متوسلاً إلى تناول اللذائذ والشهوات غير متمسك بشيخ يؤدبه ويهذبه ويصهره ويبس ما هو فيه والله الرقيق .

[الباب العاشر في شرح رتبة للشيخة] وردني الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده أن شتم لا قسمن لكم إن أحب عباده تعالى إلى الله الذين يحبون الله إلى عباده ويحبون عباد الله إلى الله ويحشون على الأرض بالصيحة وهذا الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رتبة للشيخة والدعوة إلى الله تعالى لأن الشيخ يحب الله إلى عباده حقيقة ويجب عباد الله إلى الله ، ورتبة للشيخة من أهل الرب في طريق الصوفية وناية النبوة في الدعاء إلى الله فأما وجه كون

للتكبرين ممن يجيب الأغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنة كان صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ^(١) ومن الحسن بن علي رضي الله عنهما يقوم من الساكنين الذين يسألون الناس على قارة الطريق وقد نشروا كسرا على الأرض في الرمل وهم يأكلون وهو على بقلته فسلم عليهم فقالوا له هلم إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله ﷺ فقال نعم إن الله لا يحب المتكبرين فزول وقعد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب وقال قد أجبتكم فأجيئوني قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم إليهم فأخبر الطعام وجلس يأكل معهم ، وأما قول القائل إن من وضعت يدي في قصته فقد ذلت له رقبتي ، فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فإنه ذل إذا كان الداعي لا يفرح بالإجابة ولا يتقبل بهامة وكان يرى ذلك يدا له على الدعوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعله أن الداعي له يتقبل منه ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة فهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به أنه يستقبل الطعام وإنما يفعل ذلك مباهة أو تكلفا فليس من السنة إجابته ^(٢) بل الأولى التلذذ ، ولذلك قال بعض الصوفية لا تجيب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك وأنه سلم إليك ودية كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه وقال سري السقطي رحمه الله آه على لقمة ليس على الله فيها تيمة والخلق فيها منه فإذا علم للدعواته لائمة في ذلك فلا ينبغي أن يرد وقال أبو تراب النخشي رحمه الله عليه عرض على طعام فامتنعت فابتليت بالجوع أربعة عشر يوما فقلت أنه عقوبته وقيل لمعروف الكرخي رضي الله عنه كل من دعاك تمر إليه فقال أنا ضيف أزل حيث أزلوني ، الثاني : أنه لا ينبغي أن يمتنع عن الإجابة بعد المسافة كما لا يمتنع لغير الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتياها في العادة لا ينبغي أن يمتنع لأجل ذلك يقال في التوراة أوبعض الكتب سرميلاعد مريضا سرميلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زراخا في الله وإنما قدم إجابة الدعوة والزبارة لأن فيه قضاء حق الحى فهو أولى من البت وقال صلى الله عليه وسلم « لودعيت إلى كراع بالغميم لأجبت ^(٣) » وهو موضع على أميال من المدينة أفطرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ^(٤) لما بلغه وقصر عنده في سفره ^(٥) . الثالث : أن لا يمتنع لكونه سائما بل يحضر فإن كان يسر أخاه إفطاره فليطفر وليحتب في إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ما يحتب في الصوم وأفضل وذلك في صوم التطوع وإن لم يتحقق سرور

(١) حديث كان يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ت . من حديث أنس دون ذكر المسكين وضعت ت وصححه ك (٢) حديث ليس من السنة إجابة من يطعم مباهة أو تكلفا من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام التبارين قال من رواه عن جرير لم يذكر فيه ابن عباس وللقيلي في الضعفاء نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طعام التباهيين والتبارين التمارضان فليعلم حال المباهة والرياء قاله أبو موسى الدينى (٣) حديث لودعيت إلى كراع بالغميم لأجبت ذكر الغميم فيه ليعرف والمعروف لودعيت إلى كراع كما تقدم قبله بثلاثة أحاديث وورد هذه الزيادة مارواه ت من حديث أنس لوأهدى إلى كراع قبلت (٤) حديث إفطاره صلى الله عليه وسلم في رمضان لما بلغ كراع الغميم رواه من حديث جابر في عام الفتح (٥) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في سفره عند كراع الغميم لم أنفله على أصل وللطبراني في الصغير من حديث ابن عمر كان يقصر الصلاة بالحق يريد إذا بلغه وهذا رد الأول لأن بين العقيق وبين المدينة ثلاثة أميال أو أكثر وكراع الغميم بين مكة وعسفان والله أعلم .

الشيخ يجيب الله إلى عباده فلائن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صح اقتداؤه واتباعه أحبه الله تعالى قال الله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبك الله - ووجه صكونه يجيب عباد الله تعالى إليه أنه يسلك بالمريد طريق التزكية وإذا تزكت النفس انحلت مرآة القلب وانعكست فيه أنوار العظمة الإلهية ولاح في جمال التوحيد وانجذبت أحداق البصرة إلى مطالعة أنوار جلال القدم ورؤية السكال الأزل فأحب العبد بربه لعمالة وذلك ميراث التزكية قال الله تعالى - قد أنلح من زكاها - وفلاحها بالظفر بمعرفة الله تعالى وأيضا مرآة القلب إذا انحلت لاحت فيها الدنيا قبجها وحقيقتها

قلبه فليصدق الظاهر وليفطر وإن تحقق أنه متكلف فليتملل وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم «تكلف لك أخوك» وتقول إني صائم^(١) » وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالإفطار فالإفطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فتوابه فوق ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجدة والحديث الطيب وقد قل السكحل والدهن أحد القراءين. الرابع أن يتمتع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبهة أو الموضع أو البساط للفروش من غير حلال أو كان يقام في الموضع منكر من فرش دياج أو إنا، فضة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط أو مباح شيء من الزايم وللله أو التشاغل بنوع من اللهو والعرف والهزل واللعب واستماع النسيبة والنيمة والزور والبهتان والكذب وشبه ذلك فكل ذلك مما يمنع الإجابة واستجابها ويوجب تحريمها أو كراهيتها وكذلك إذا كان الداعي ظالماً أو مبتدعاً أو فاسقاً أو شراً أو متكلفاً طلباً للباهة والفخر. الخامس أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملاً في أبواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالإجابة عاملاً للأخرة وذلك بأن تكون نيته الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ في قوله «لودعيت إلى كراع لأجبت» وينوي الحذر من مصيبة الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم «من لم يحب الداعي قد عصى الله ورسوله^(٢)» وينوي إكرام أخيه المؤمن اتباعاً لقوله صلى الله عليه وسلم «من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله^(٣)» وينوي إدخال السرور على قلبه امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم «من سرته مؤمناً فقد سر الله^(٤)» وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين في الله إذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه الزاور والتبادل^(٥) وقد حصل البذل من أحد الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه أيضاً وينوي صيانة نفسه عن أن يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بأن يعمل على تكبر أو سوء خلق أو استحقار أخ مسلم أو ما يجري مجراه فهذه ست نيات تلحق إجابته بالقربات أحدها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول أنا أحب أن يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه^(٦)» والنية إنما تؤثر في الباحات والطاعات أما التهايات فلا فاته لونه أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر أو حرام آخر لم تنفع النية ولم يحز أن يقال الأعمال بالنيات بل لو قصد بالزور الذي هو طاعة البهارة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذلك الباس للرد بين وجوه الخبرات وغيرها يلتحق بوجوه الخبرات بالنية فتؤثر النية في هذين القسمين لافي القسم الثالث. وأما الحضور فأدبه أن يدخل الدار ولا تصدر فيأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع

(١) حديث وقال لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك أخوك وتقول إني صائم هـ من حديث أبي سعيد الخدري صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً وأتاني هو وأصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم إني صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاكم أخوكم وتكلف لكم الحديث ولقد راقتني نحوه من حديث جابر (٢) حديث من لم يحب الداعي قد عصى الله ورسوله متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث من أكرم أخاه للمؤمن فأما يكرم الله تعالى الأصفياء في التزغيب والترهيب من حديث جابر والقبلي في الضماف من حديث أبي بكر وإسناده ضيف (٤) حديث من سر مؤمناً قد سر الله نعم في الباب قبله (٥) حديث وجبت هجتي للمزاورين في والتبادلين في م من حديث أبي هريرة ولم يذكر للصف هذا الحديث وإنما أعاد إليه (٦) حديث الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث محمد بن الخطاب.

وماهيتها ولاحت
الأخرة ونفاسها
بكنها وغايتها
فتكشف للبصيرة
حقيقة الدارين
وحاصل التزليل فيجب
العبد الباقي ويذهب في
القاني فتظهر فائدة
التركية وجدوى
للشيخة والتربية
فالشيوخ من جنود الله
تعالى يرشد به الزريدين
ويهدى به الطالبين .
أخبرنا أبو زرعة عن
أبيه الحافظ المقدسي
قال أنا أبو الفضل
عبد الواحد بن علي
بهمنان قال أنا أبو بكر
محمد بن علي بن أحمد
الطوسي قال ثنا
أبو العباس محمد بن
يعقوب قال ثنا أبو عتبة
قال ثنا بقية قال ثنا
صفوان بن عمرو قال
حدثني الأزهر بن
عبد الله قال قد سمعت
عبد الله بن جبر صاحب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كان
يغال إذا اجتمع

ولا يطول الانتظار عليهم ولا يجعل بحيث يفاخشم قبل تمام الاستعداد ولا يضيق السكان على الحاضرين بالترحمة بل إن أشار إليه صاحب السكان بموضع لا يخافه ألبته فانه قد يكون رتب في نفسه موضع كل واحد لمخالفته تشوش عليه وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع إكراما فليتواضع قال صلى الله عليه وسلم « إن من التواضع قه الرضا بالدون من المجلس (١) » ولا ينبغي أن يجلس في مقابلة باب الحجرة الذي للنساء ومترهم ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل على الشبهة وبخص بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس وإذا دخل ضيف للمبيت فليدفعه صاحب المنزل عند الدخول القبلة وبیت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي رضى الله عنهما وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال النسلي قبل الطعام لرب البيت أولى لأنه يدعو الناس إلى كرمه وحكمه أن يتقدم بالفصل وفي آخر الطعام يتأخر بالفصل لينظر أن يدخل من يأكل فيأكل كل يمينه وإذا دخل فرأى منكرا غيره إن قدر وإلا أنكر بلسانه وانصرف ، والنكر فرش الديباج واستعمال أواني القضة والذهب والتصوير على الحيطان ومماح للالهى وللزاهر وحضور النسوة التكتشفات الوجوه وغير ذلك من المهرمات حتى قال أحمد رحمه الله إذا رأى مكعبة رأسها مفضض ينبغي أن يخرج ولم يأذن في الجلوس إلا في ضبة وقال إذا رأى كفة فينبغي أن يخرج فان ذلك تكلف لا فائدة فيه ولا تدفع حرا ولا بردا ولا تستر شيئا وكذلك قال يخرج إذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كأنسر السكبة وقال إذا كثرت بيتا فيه صورة أو دخل الحمام ورأى صورة فينبغي أن يحكمها فان لم يقدر خرج وكل ما ذكره صحيح وإنما النظر في السكبة وتزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينبغي إلى التحريم إذ الحرير يحرم على الرجال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثها (٢) » وما على الحائض ليس منسوب إلى الذكور ولو حرم هذا لحرم تزيين السكبة بل الأولى بإباحته لموجب قوله تعالى - قل من حرم زينة الله - لاسيا في وقت الزينة إذا لم يتخذ عادة لتفاخر وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج مهما لبسه الجوارى والنساء والحيطان في معنى النساء إذلسن موصوفات بالذكورة. وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة : الأول تمجيل الطعام فذلك من إكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (٣) » ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت للموعود فحق الحاضرين في التمجيل أولى من حق أولئك في التأخير إلا أن يكون المتأخر فقيرا أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس في التأخير وأحد العنين في قوله تعالى - هل أتاك حديث ضيف إبراهيم للكريمين - إنهم أكرموا بتمجيل الطعام إليهم دل عليه قوله تعالى - فإلبث أن جاء بعجل حنيد - وقوله - فراغ إلى أهله فجاء بعجل ممين - والروغان الذهب بسرعة وقيل في خفية وقبل جاء بعجل من لحم وإمامي عجلا لأنه عجله ولم يلبث قاله حاتم الأصم العجلة من الشيطان إلا في خمسة فانه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الضيف وتجهيز المبيت

(١) حديث إن من التواضع قه الرضا بالدون من المجلس الخرائطي في مكارم الأخلاق وأبو نعيم في رياضة التملين من حديث طلحة بن عبيد بسند جيد (٢) حديث هذان حرامان على ذكور أمتي دن . من حديث علي وفيه أبو أفضع الحمداني جهله ابن القطان ون ت وصححه من حديث أبي موسى بنحوه . قلت الظاهر انقطاعه بين سعيد بن أبي هند وأبي موسى فأدخل أحمد بينهما رجلا لم يسم (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي سريح .

عشرون رجلا وأو أكثر فان لم يكن فيهم من يهاب الله عز وجل فقد خطر الأمر فعلى المشايخ وقار الله بهم وتأدب الريدون ظاهرا وباطنا قال الله تعالى - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده - فالشايخ لما اعتدوا أهلوا الاقتداء بهم وجعلوا أئمة التقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه : إذا كان الغالب على عبدى الاشتغال في جعلت همته ولذته في ذكرى فإذا جعلت همته ولذته في ذكرى عشقني وعشقتني ورفضت الحجاب فبايى بينه ولايسمو إذا ساسا الناس أولئك كلامهم كلام الأنبياء أولئك الأبطال حقا أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فيها خضرته بهم عنهم والسرفى وصول المالك إلى رتبة الشيخة أن السالك

وتزويج البكر وقضاء الدين والتوب من الذنب^(١) ويستحب التحجيل في الوليمة ، قيل الوليمة في أول يوم سنة وفي الثاني معروف في الثالث رياء . الثاني : ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكه أولاً وإن كانت فذلك أوفق في الطبقاتها أمرع استحالة فينبى أن تقع في أسفل اللمة وفي القرآن تبييه على تقديم الفاكه في قوله تعالى - وفاكهة مما يتخيرون - ثم قال - ولحم طير مما يشتهون - ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكه اللحم والبريد قد قال عليه السلام - فضل عائشة على النساء كفضل التريد على سائر الطعام [١] فان جمع إليه خلوة بعده فقد جمع الطيبات ودل على حصول الإكرام باللحم قوله تعالى : في ضيف إبراهيم إذ أحضر العجل الحنيد أى الحنود وهو الذى أجيد نضجه وهو أحد معنى الإكرام أعنى تقديم اللحم وقال تعالى في وصف الطيبات - وأنزلنا عليكم اللب والسوى - اللب العسل والسوى اللحم مى سوى لأنه يتسلى به عن جميع الآدم ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال عليه السلام « سيد الآدم اللحم » ثم قال بعد ذكر اللب والسوى - كلوا من طيبات ما رزقناكم - فاللحم والخلوة من الطيبات قال أبو سليمان الداراني رضى الله عنه أكل الطيبات يورث الرضا عن الله وتم هذه الطيبات بحرب اللب البارد وصب اللب القار على اليد عند الضل قال للأموون شرب اللب يبلع غلى الشكر وقال بعض الأدباء إذا دعوت إخوانك فاطعمتهم حصرية وبورانية وسقيتهم ماء بارداً قد أكلت الضيافة وأتقى بعضهم دراهم في ضيافته قال بعض الحكماء لمن تكن محتاج إلى هذا إذا كان خبزك جيداً وماؤك بارداً وخلتك حامضاً فهو كناية وقال بعضهم الخلوة بعد الطعام خير من كثرة الأوزان والتمسك على للسانه خير من زيادة لوتين ويقال إن اللسانك تحضر لثانته إذا كان عليها بقل فذلك أيضاً مستحب ولما فيه من الزين بالحفرة وفي الخبر إن اللسانة التي أنزلت على بنى إسرائيل كان عليها من كل البقول إلا السكرات وكان عليها ليمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل رغيف زيتون ونحب رمان فهذا إذا اجتمع حسن المواقفة . الثالث : أن يقدم من الألوان ألطفا حتى يستوفى منها من يريد ولا يكثر الأكل بعده وعادة للترتين تقديم التليظ لستانف حركة الشهوة بمصادقة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الأكل وكان من سنة المتقدمين أن يقدموا جملة الألوان دفعة واحدة وصفغون التصاع من الطعام على اللسانة لئلا كل كل واحد مما يشهى وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا أطيب منه . وبحسبى عن بعض أصحاب الروايات أنه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الألوان ويرضى على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم إلى بعض السامج لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق إنما يقدم هذا آخرأ فقال وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فخلجت منه وقال آخر كنا جماعة في ضيافة قدم إلينا ألوان من الرموس للشوية طيبها وقديداً فكانا لا نأكل كل نتظر بعدها لونا أو حملاً فجاءنا بالطلست ولم يقدم غيرها

(١) حديث حاتم الأصم النجدة من الشيطان إلا في خمسة فأنها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الطعام ونهيز البيت وزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب ت من حديث سهل بن سعد الأمانة من الله والمجلة من الشيطان وسنده ضعيف وأما الاستثناء فروى د من حديث سعد بن أبى وقاص الثقة في كل شئ إلا في عمل الآخرة قال الأعمش لأعلم إلا أنه رفضه وروى الزنى في التهذيب في ترجمة محمد بن موسى بن نبيع عن مشيخة من قومه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الأمانة في كل شئ إلا في ثلاث إذا صيبح في خيل الله وإذا نودى بالصلاة وإذا كانت الجنائزة... الحديث وهذا مرسل وت من حديث على ثلاثة لا تؤخرها الصلاة إذا أنت والجنائزة إذا حضرت والأمم إذا وجدت كفواً وسنده حسن.

[١] حديث فضل عائشة لم يخرجها المرائى وخبره الشارح عن الترمذى في الشمائل وغيره .

مأمور بسياسة النفس مبتلى بصفاتها لا يزال يسلك بصدق العامة حتى تطمئن نفسه وبطمانيتها ينزع عنها البرودة واليبوسة التي استصحبها من أصل خلقها وبها تستصحب على الطاعة والالتقاء للعبودية فأذا زالت اليبوسة عنها ولانت بحمارة الروح الواصلة إليها وهذا اللين هو الذى ذكره الله تعالى في قوله - ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - تعالى تجيب إلى العادة وتلين قلوبهم إلى الروح بسلامة القلب البعد متوسط بين الروح والنفس ذو وجهين أحدهما وجه إلى النفس والوجه الآخر إلى الروح يستمد من الروح بوجهه الذى يليه وبعد النفس بوجهه الذى يليها حتى تطمئن النفس فأذا اطمأنت نفس السالك وفرغ من سياستها

فظهر بعضنا إلى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا إن الله تعالى يقدر أن يخلق رءوسا بلا أبدان قال وبشأن تلك الليلة جياعا نطلب ثقتنا إلى المحور فلماذا يستحب أن يقدم الجميع أو يخبر بما عنده . الرابع : أن لا يبادر إلى رفع الألوان قبل تمسكهم من الاستيفاء حتى يرفوا الأيدي عنها فقل منهم من يكون بقية ذلك اللون أنشئ عنده بما استحضروه أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل فيتنصص عليه بالمبادرة وهي من التحكك على المائدة التي يقال إنها خير من لونين فيحتمل أن يكون المراد به قطع الاستعجال ويحتمل أن يكون أراد به سعة المكان . حكى عن السورى وكان سوفا مزاحا غضر عند واحد من أبناء الدنيا على مائدة قدم إليهم حمل وكان في صاحب المائدة نخل فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل حمق ضاق صدره وقال يا غلام ارفع إلى الصبيان نرفع الحمل إلى داخل الدار قام السورى يمدو خلف الحمل فيقل له إلى أين فقال آكل مع الصبيان فاستجيا الرجل وأمر برد الحمل ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم فانهم يستحيون بل يبني أن يكون آخرهم أكلًا كان بعض السكرام يغير القوم بجميع الألوان ويتركهم يستوفون فإذا قاربوا الفراغ جئنا على ركبته ومد يده إلى الطعام وأكل وقال بسم الله ساعدوني بارك الله فيكم وعليكم وكان السلف يستحبون ذلك منه . الخامس : أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فان التخليل عن الكفاية قص في الرودة والزيادة عليه تصنع ومراة لاسيا إذا كانت نفسه لاتسمح بأن يأكلوا الكل إلا أن يقدم الكثير وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع ونوى أن يترك فضلة طعامهم إذ في الحديث لا يحاسب عليه . أحضر إبراهيم بن أدهم رحمه الله طعاما كثيرا على مائدته فقال سفيان بأنا اسحاق أما تخاف أن يكون هذا سرفا قال إبراهيم ليس في الطعام سرف فان لم تكن هذه التبة فالتكثير تكلف قال ابن مسعود رضى الله عنه نهينا أن نجيب دعوة من يياهى بطعامه وكره جماعة من الصحابة أكل طعام البهاة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع ويبني أن يزل أولا نصيب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طامعة إلى رجوع شيء منه فلهذا لا يرجع قضيق صدورهم وتطلق في الضيفان ألسنتهم ويكون قد أطمع الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم وما يق من الأطعمة فليس للضيفان أخذه وهو الذى تسميه الصوفية الزلة إلا إذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض أو علم ذلك بقرينة حاله وأنه يفرح به فان كان يظن كراهيته فلا ينبغي أن يؤخذ وإذا علم رضاه فينبى مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغي أن يأخذ الواحد إلا ما يخصه أو ما يرضى به رفيقه عن طوع لاعتن جاء . فاما الانصراف : فله ثلاثة آداب . الأول : أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار وهو سنة وذلك من إكرام الضيف وقد أمر باكرامه قال عليه الصلاة والسلام «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» وقال عليه السلام «إن من سنة الضيف أن يشيع إلى باب الدار» [١] قال أبو قتادة قدم وفد النجاشي عن رسول الله ﷺ قيام بخدومهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال كلا إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وأنا أحب أن أكرمهم [٢] لو غام الاكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة قبل للأوزاعي رضى الله عنه ماكرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال يزيد بن أبي زيادة ما دخلت على عبد الرحمن ابن أبي ليلى إلا حدثنا حديثا حسنا وأطعنا طعاما حسنا الثانى أن ينصرف الضيف طيب النفس وإن جرى في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال الله عليه وسلم «إن الرجل ليدرك بحسن [١]

انتهى سلوكه وتمكن من سياسة النفس واشادت نفسه وفادت إلى أمر الله ثم القلب يضرب إلى السياسة لما فيه من التوجه إلى النفس فتقوم نفوس للريدين والطالبين والصادقين عنده مقام نفسه لوجود الجنسية في عين النفسية من وجه ولوجود التألف بين الشيخ والريد من وجه التألف الإلهى قال الله تعالى «لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - فيسوس قوس الريدن كما كان يسوس نفسه من قبل ويكون فى الشيخ حينئذ معنى التخلق بأخلاق الله تعالى من معنى قول الله تعالى : أظلال شوق الأبرار إلى لقائى وإنى إلى لقائهم لأشد شوقا وبما هيا الله تعالى من حسن التأليف بين

[١] حديث إن من سنة وكذا حديث إكرام وفد النجاشي وحديث إن الرجل ليدرككم ما يخرجهم العراقى .

خلفه درجة الصائم القائم » ودعى بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرجوا فخرج إليه صاحب المنزل . وقال قد خرج القوم فقال هل بقي بقية قال لا قال فكسرة إن بقيت قال لم تبق قال فالتقدر أمسحها قال قد غسلتها فلانصرف بحمد الله تعالى فقيل له في ذلك فقال قد أحسن الرجل دعانا بقية وودنا بقية فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق . وحكى أن أستاذ أبي القاسم الجندي دعاه صبي إلى دعوة أبيه أربع مرات فرداه الأب في المرات الأربع وهو يرجع في كل مرة تطيباً لقلب الصبي بالحضور وقلب الأب بالانصراف فهذه نقوس قد ذلت بالتواضع لله تعالى واطمأنت بالتوحيد وصارت تشاهد في كل رد وقبول عبدة فيما بينها وبين ربها فلا تنكسر بما يجري من العباد من الإذلال كما لا تستبشر بما يجري منهم من الإكرام بل يرون السكل من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم أنا لا أجيب الدعوة إلا لأنني أتذكر بها طعام الجنة أي هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه . الثالث : أن لا يخرج الإبرضا صاحب المنزل وإذنه ويراعى قلبه في قدر الإقامة وإذ انزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة أيام فرجما يتريم به ويحتاج إلى إخراجهم قال صلى الله عليه وسلم « الضيافة ثلاثة أيام فما زاد صدقة ^(١) » نعم لو ألح رب البيت عليه عن خلوص قلبه لله القيام إذ ذاك ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف النازل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان ^(٢) » .

(فصل يجمع آداباً ومناهى طيبة وشرعية متفرقة)

الأول : حكى عن إبراهيم النخعي أنه قال الأكل في السوق دناءة ^(٣) وأسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناده قريب وقد نقل ضده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعتى ونشرب ونحن قيام ^(٤) . وروى بعض الشايخ من التصوفة المعروفين يأكل في السوق فقيل له في ذلك فقال ويحك أوجوع في السوق وآكل في البيت فقيل تدخل المسجد قال أستحي أن أدخل بيته للأكل فيه ووجه الجمع أن الأكل في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه وهو مختلف بمادات البلاد وأحوال الأشخاص فمن لا يلبق ذلك بسائر أعماله حمل ذلك على قلة الروءة وفرط الثروة ويقدم ذلك في الشهادة وموت يلبق ذلك بجميع أحواله وأعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا . الثاني : قال على رضي الله عنه من ابتدأ غفاه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من البلاء ومن أكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زينة حمره لم ير في جسده شيئا يسكره واللحم يثبت اللحم والثريد طعام العرب والبسقارجات تعظم البطن وترخي الأليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء ومنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفى النساء شيء أفضل من الرطب ، والسمنك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم ومن أراد البقاء ولا بقاء فليأكل بالعداء ^(١) حديث الضيافة ثلاثة أيام فما زاده دقة متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي ^(٢) حديث فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان م من حديث جابر ^(٣) حديث الأكل في السوق دناءة الطبراني من حديث أبي أمامة وهو ضيف ورواه ابن عدي . كابد من حديثه وحديث أبي هريرة ^(٤) حديث ابن عمر كنا نأكل كل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعتى ونشرب ونحن قيام وصحة . هـ حب

الصاحب والصاحب
يصير الرشد جزء
الشيخ كما أن الولد
جزء الوالد في الولادة
الطبيعية وتصير هذه
الولادة آتفا ولادة
معنوية كما ورد عن
عيسى صلوات الله عليه
لن يبلغ ملكوت
المجا من لم يولد مرتين
فبالولادة الأولى يصير له
ارتباط بعالم الملك وهذه
الولادة يصير له ارتباط
بالملكوت قال الله
تعالى - وكذلك نرى
إبراهيم ملكوت
السماوات والأرض
وليكون من المؤمنين -
وصرف اليقين على
الكامل يحصل في هذه
الولادة وهذه الولادة
يستحق ميراث الأنبياء
ومن لم يصله ميراث
الأنبياء ما ولد وإن
كان على كمال من
الفطنة والذكاء لأن
الفطنة والذكاء نتيجة
العقل والعقل إذا كان
يابسا من نور الشرع
لا يدخل للملكوت

وليكرر المشاء ولبس الحذاء ولن يتداوى الناس بشيء مثل السم [١]. وليقل غشيان النساء وليخف الرداء وهو الدين . الثالث : قلل الحجاج لبعض الأطباء ضفة لى صفة أخذ بها ولا أعدوها قال لا تنكح من النساء إلا ثثة ولا تأكل من اللحم إلا ثيًا ولا تأكل الطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشرب دواء إلا من علة ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها ولا تأكل طعاماً إلا أجبت مضغه وكل ما أحببت من الطعام ولا تشرب عليه فإذا شربت فلا تأكل عليه شيئاً ولا تحبس الفائط والبول وإذا أكلت بالبار فم وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة وفي معناه قول العرب قد تعدتمش تمش يعني تعدد كما قال الله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتطلى - أى يتعطى ويقال إن حبس البول يفسد الجسد كما يفسد اللحم إذا سجد به . الرابع : فى الحبر « قطع العروق مسقمة وترك المشاء مهمة (١) » والعرب يقول ترك الضاء يذهب بشحم الكفاة يعنى الآلية وقال بعض الحكماء لانه يابى لأخرج من منزلك حتى تأخذ حلك أى تنهى إذ به يبق الحلم ويحول الطيش وهو أيضاً أقل لشهوته لما يرى فى السوق وقال حكيم لسمين أرى عليك قطيعة من نسج أضراسك فهمى قال من أكل لباى البروصاف المز وأدهن بحام بنفسج وألبس الكتان . الخامس : الحية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمرضى هكذا قيل وقال بعضهم من احتسب فهو على يقين من الكبر . وعلى شك من العواق وهذا حسن فى حال الصحة « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبياً يأكل تمرًا وإحدى عينيه رمداء فقال أنا كل التمر وأنت رمد فقال يا رسول الله إنما آكل بالثقى الآخر (٢) » يعنى جانب السليمة فضحك رسول الله ﷺ . السادس : أنه يستحب أن يحمل طعام إلى أهل البيت ، ولما جاء نبي جعفر بن أبي طالب قال عليه السلام « إن آل جعفر شغلوا ببيتهم عن صنع طعامهم فأحلوا إليهم ما يؤكلون (٣) » فذلك سنة وإذا قدم ذلك إلى الجمع حل الأكل منه إلا ما بهى للنوايح والعيثات عليه بالكاء والجزع فلا ينبغي أن يؤكل معهم . السابع : لا ينبغي أن يحضر طعام ظلماناً كره فليقل الأكل ولا يقصد الطعام الأطيب . رد بعض الزكئين شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رأيتك تقصد الأطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه وأجبر السلطان هذا الزكى على الأكل فقال إما أن آكل وأخلى الزكية أو أركى ولا آكل فلم يجدوا بدا من تركته فتركوه . وحكى أن ذا النون المصرى حبس ولم يأكل أياماً فى السجن فكانت له أخت فى الله فبعثت إليه طعاماً من مغرلسا على يد السجان فامتنع فلم يأكل فاعتبه المرأة بعد ذلك فقال كان حلالاً ولكن جادى على طبق ظام وأشار به إلى يد السجان وهذا غاية الورع . الثامن : حكى عن قبح الوصل رحمه الله أنه دخل على بشر الخافى زائراً فأخرج بشر درهما فدفعه لأحمد الجلاء خادمه وقال اشتر به طعاماً جيداً وأما طيباً ، قال فاشترت خبزاً نظيفاً وقلت : لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم شيء

(١) حديث قطع العروق مسقمة وترك المشاء مهمة ابن عدى فى السكامل من حديث عبد الله بن جراد بالشرط الأول وت من حديث أنس بالشرط الثانى وكلاهما ضعيف وروى ابن ماجه بالشرط الثانى من حديث جابر (٢) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبياً يأكل تمرًا وإحدى عينيه رمداء فقال له أنا كل التمر وأنت رمد فقال إنما أمضغ بالثقى الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث صهيب بإسناد جيد (٣) حديث لما جاء نبي جعفر بن أبي طالب قال صلى الله عليه وسلم إن آل جعفر شغلوا ببيتهم عن طعامهم فأحلوا إليهم ما يؤكلون د ت ه من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن ولا بن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عيسى .

ولا يزال متردداً فى اللثك ولهذا وقف على برهان من المعلوم الرياضية لأنه تصرف فى الملك ولم يرتق إلى الملكوت والملك ظاهر الكون والملكوت باطن الكون والعقل لسان الروح والبصيرة التى منها تنبث أشعة الهداية قلب الروح واللسان ترجمان القلب وكل ما ينطق به الترجمان معلوم عند من يترجم عنه وليس كذلك ما عند من يترجم عنه يبرز إلى الترجمان فلهذا المعنى حرم الواقفون مع مجرد العقول العربية عن نور الهداية الذى هو موهبة الله تعالى وعند الأنبياء وأتباعهم الصواب وأقبل دونهم الحجاب لو توفهم مع الترجمان وحرمانهم غاية الثيان وكما أن فى الولادة الطبيعية ذرات الأولاد فى صلب الأب مودعة تنقل إلى أصلاب الأولاد

[١] قوله وليكرر المشاء إلى قوله السم ليس موجوداً بنسخة الشارح ولعلها الأظهر فلي تأمل هـ .

اللهم برك لنا فيه وزدنا منه (١) سوى اللبن فاشترت اللبن واشترت تمرا جيبا قدمت إليه فأكل وأخذ الباقي فقال بشر أندرون لم قلت لعتر طلعنا طينا لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر أندرون لم يقل لي كل لأنه ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كل أندرون لم حمل ما بقي لأنه إذا أصبح التوكل لم يضر الحمل . وحكى أبو علي الروذباري رحمه الله عز وجل أنه اتخذ ضيافة فأوقد فيها ألف سراج فقال لمرجل قد أسرفت فقال له ادخل فكل ما أوقدته لعير الله فأطفئه فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فاقطع . واشترى أبو علي الروذباري أحملا من السكر وأمر الخلاويين حتى يوافوا جدارا من السكر عليه شرف ومحارب على أحمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها . التاسع قال الشافعي رضي الله عنه : الأكل على أربعة أعشاء الأكل باصبع من التمت وباصبعين من السكر وثلاث أصابع من السنة (٢) . وأربع وحسن من الشره . وأربعة أشياء تقوى البدن أكل اللحم وشم الطيب وكثرة القسل من غير جماع ولبس الكتان ، وأربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهمة وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الخوخة ، وأربعة تقوى البصر الجلوس تجاه القبلة والسكر عند النوم والنظر إلى الحضرة وتنظيف الثلبس وأربعة توهن البصر النظر إلى القدر والنظر إلى الصلوب والنظر إلى فرج المرأة والتعود في استدبار القبلة ، وأربعة تزيد في الجماع أكل الصاغير وأكل الأظرفيل الأكبر وأكل القسقي وأكل الجرجير . والنوم على أربعة أعشاء فنوم على القفا وهونوم الأنبياء عليهم السلام يتفكرون في خلق السموات والأرض والنوم على اليمن وهو نوم العلماء والعباد ونوم على الشمال وهو نوم اللوك لبهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين ، وأربعة تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والدواك . ومجالسة الصالحين والعلماء ، وأربعة هن من العبادة لا يخطو خطوة إلا على وضوء . وكثرة السجود وزوم المساجد وكثرة قراءة القرآن . وقال أيضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الأكل كيف لا يموت وقال لم أر شيئا أنفع في الوفاء من البنسج يدهن به ويشرب والله أعلم بالصواب .

(كتاب آداب الشكاح)

(وهو الكتاب الثاني من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الأوهام في عجائب صنعه مجرى ولا ترجع العقول عن أوائل بدائعها إلا والهة حيرى ولا تزال لطائف نعمه على العالين ترى فهي تتوالى عليهم اختاروا وقهرا ومن بدائع أن طافه أن خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطهرهم بها إلى الخرافة جبرا واستبقى بها تسليهم إقهارا وقسرا ثم عظم أمر الأسباب وجعل لها قدرا ظم حرم بسببها السفاح والتلف في تضييعه ردعا وزجرا وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وأمر إمرأته إلى الشكاح وحث عليه استجابا وأمر أفساحان من كتب اللوت على عباده فأظلم به هدماء وكسرا ثم بث بذور النطف في أراضى الأرحام وأنشأ منها خلقا وجعله لكسر اللوت جبرا تنبها على أن يحار المقادير فياضة على العالين تقعا

(١) حديث اللهم برك لنا فيه وزدنا منه قاله عند شرب اللبن تقدم في آخر الباب الأول من آداب الأكل (٢) حديث الأكل ثلاث أصابع من السنة مسلم من حديث كعب بن مالك كان النبي ﷺ يأكل ثلاث أصابع . وروى ابن الجوزي في العلل من حديث ابن عباس موقوفا كل ثلاث أصابع فانه من السنة .

(كتاب آداب الشكاح)

بمد كل ولدزة وهي الترات التي خاطبها الله تعالى يوم النشاق بألت ربكم قالوا بلى حيث مسح ظهر آدم وهو ملقى بيطن لعنان بين مكة والطائف فسالت القدرات من مسام جسده كاي سبل العرق بمد كل ولد من ولد آدم ذرة ثم لما خوطبت وأجأت ردت إلى ظهر آدم فمن الآباء من تنفذ القدرات في صلبه ومنهم من لم يودع في صلبه شيء فينقطع نسله وهكذا النشاخ فمنهم من تكثر أولاده وبأخذون منه العلوم والأحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت إليهم من النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الصحبة ومنهم من نقل أولاده ومنهم من ينقطع نسله وهذا النسل هو الذي رد الله على الكفار حيث قالوا محمد أتر لانس له قال الله تعالى - إن

وضرا وخيرا وشر او عسرا ويسرا وطيا وشررا والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالإنذار والبشرى وعلى آله وأصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا ولا حصرا وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فان النكاح معين على الدين ومهيئ للشاطين وحسن دون عدوانه حسين وسبب للتكثير الذى به مباتها سيد المرسلين لسائر النبيين لما أحرأه بأن تحرر أسبابه وتحفظ سننه وآدابه وتشرح مقاصد موآرأه وتفصل ضلوه وأبوابه والقدر اللهم من أحكامه ينكشف فى ثلاثة أبواب . الباب الأول : فى الترغيب فيه وعنه . الباب الثانى . فى الآداب الزرية فى المقد والمآقين . الباب الثالث : فى آداب العشرة بمصدق إلى الفراق (الباب الأول فى الترغيب فى النكاح والترغيب عنه)

اعلم أن العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلي لعبادة الله واعترف آخرون بغضله ولكن قموا عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تنق النفس إلى النكاح نوقانا يشوش الحال ويدعو إلى الوقاع وقال آخرون الأفضل تركه في زمانها هذا وقد كان له فضيلة من قبل إذ لم تكن الأكساب محظورة وأخلاق النساء منمومة ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن يهدم أولا ماورد من الأخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب عنه ثم نعرض فوائده النكاح وغوايته حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق كل من سلم من غوايته أو لم يسلم منها .

(الترغيب في النكاح)

أما من الآيات، فقد قال الله تعالى - وأنكحوا الأبائى منكم - وهذا أمر وقال تعالى - فلا تنكحوا
 أن ينكحن أزواجهن - وهذا منع من النكاح ونهى عنه وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم - وقد
 أرسلنا رسلا من قبلك وجعلناهم أزواجا وذرية - فذكر ذلك في معرض الامتنان وإظهار الفضل
 ومنح أولياءه. بسؤال ذلك في السماء فقال - والذين يقولون ربنا هبنا من أزواجنا وذرياتنا قرة
 أعين - الآية ويقال إن الله تعالى لم يذكر في كتابه من الأنبياء إلا للتأهلين فقالوا إن يعي صلى الله
 عليه وسلم قد تزوج ولم يجمع قيل إنما فعل ذلك لنيل الفضل وإقامة السنة وقيل لنقض البصر وأما عيسى
 عليه السلام فإنه سينكح إذا نزل الأرض ويولد له . وأما الأخبار فقوله **يُنكح** « النكاح سنق فمن
 رغب عن سنق فقد رغب عني » وقال صلى الله عليه وسلم « النكاح سنق فمن أحب فطرق فليسنق
 بسنق ^(١) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « تناكحوا تكتروا فاني أباهي بكم الأم يوم القيامة حتى
 بالسنق ^(٢) » وقال أيضا عليه السلام « من رغب عن سنق فليس مني وإن من سنق النكاح فمن
 أحبني فليسنق بسنق ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا ^(٤) »

(الباب الأول في الترغيب في النكاح)

(١) حديث النكاح سنن ابن أبي فطر بن قيس بن بشار بن الوليد عن أبيه عن جده عن علي بن فضال عن حماد بن عمار عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «النكاح منكم وأنا خير منكم».

(٢) حديث ابن عباس بسند حسن (٣) حديث تناكحوا تسكتروا قال أبو أيوب بكرم الأم يوم القيامة حق بالسقط أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر دون قوله حتى بالسقط وإسناده ضعيف وذكره هذه الزيادة البيهقي في المعرفة عن الشافعي أنه بلغه (٤) حديث من رغب عن سنن فليس متى وإن من سنن النكاح لمن أحبني فليسنن بسنن متفق على أوله من حديث أنس من رغب عن سنن فليس متى وباقه تقدم قبله بحديث (٥) حديث من ترك التزويج خوف البيلة فليس منا رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف ولقد ارجى في مسنده والبقوى في معجمه وأبي داود في المراسيل من حديث أبي نجيع من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا وأبو نجيع اختلف في صحته

شأنك هو الأثر -
والافضل رسول الله
صلى الله عليه وسلم باق
إلى أن تقوم الساعة
وبالنسبة القضية يصل
ميراث العلم إلى أهل
العلم . أخبرنا شيخنا
ضياء الدين أبو الجيب
السروردي بإسناد قال
أنا أبو عبد الرحمن
للمالبي قال أنا أبو
الحسن الداودي قال
أنا أبو محمد الحموي
قال أنا أبو عمران
السرقتدي قال أنا
أبو محمد الدارمي قال أنا
نضر بن علي قال حدثنا
عبد الله بن داود عن
عاصم عن رضاء بن
حيوة عن داود بن
جميل عن كثير بن
قيس قال كنت جالسا
مع أبي السرداء في
مسجد دمشق فأتاه
رجل فقال يا أبا السرداء
إني أتيتك من لاسنة
مدينة الرسول صلى
الله عليه وسلم لحديث
يلخني عنك أنك تحدثه
عن رسول الله صلى الله

وهذا من الامتناع للأصل الترك وقال صلى الله عليه وسلم « من كان ذا طول فليتزوج ^(١) » وقال « من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء ^(٢) » وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج والوجاء هو عبارة عن رض الحسنيين للفعل حتى تزول فعولته فهو مستعار للضمف عن الوقاع في الصوم وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض فساد كبير ^(٣) » وهذا أيضا تلميل الترغيب لحوف الفساد . وقال ^(٤) « من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتزوج في الشطر الثاني ^(٦) » وهذا أيضا إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد فكان للفساد لدين الرء في الأغلب فرجه وبطنه وقد كفي بالزواج أحدهما ، وقال صلى الله عليه وسلم « كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاث ولد صالح يدعو له ^(٧) » الحديث ولا يوصل إلى هذا إلا بالنكاح . وأما الآثار فقال عمر رضي الله عنه : لا يتع من النكاح إلا عجز أو فجور ، فين أن الدين غير مانع منه وحصر للمانع في أمرين مذمومين . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يمت نك الناسك حتى يتزوج يحتمل أنه جعله من النكاح وسعة له ، ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لا يسلم قلبه لقلبة الشهوة إلا بالتزويج ولا يمت النفسك إلا بفرغ القلب وذلك كان يجمع غلظانه لما أدر كوا عكرمة وكريا وغيرها ويقول إن أردتم النكاح أنسحكم فإن العبد إذا زنى نزع الإيمان من قلبه ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول لو لم يبق من عمرى إلا عشرة أيام لأجبت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزبا ومات امرأتان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في الطاعون وكان هو أيضا مطعونا فقال زوجوني فاني أكره أن ألقى الله عزبا وهذا منها يدل على أنهم رأوا في النكاح فضلا لمن حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان عمر رضي الله عنه يكثر النكاح ويقول ما أتزوج إلا لأجل الولد « وكان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله ^(ﷺ) يخدمه ويبعد عنه حاجة إن طرقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تتزوج ؟ فقال يا رسول الله إني فقير لاشيء لي وأقطع عن خدمتك فكنت ثم عاد ثانيا فأعاد الجواب ثم تفكر الصحابي وقال والله رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقربني إلى الله مني ولئن قال لي الثالثة لأصلي قال له الثالثة ألا تتزوج قال قلت يا رسول الله زوجني قال اذهب إلى بني فلان قتل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تزوجوني فأنسحكم قال قلت يا رسول الله لاشيء لي فقال لأسعابه اجمعوا

(١) حديث من كان ذا طول فليتزوج . من حديث عائشة بسند ضعيف (٢) حديث من استطاع منكم الباءة فليتزوج الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٣) حديث إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ت من حديث أبي هريرة وتقل عن خ أنه لم يعمده محفوظا وقال د إنه خطأ ورواه ت أيضا من حديث أبي حاتم الزنى وحسنه ورواه د في الراسيل وأعله ابن القطان بإرساله وضمف رواه (٤) حديث من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله عز وجل أحمد بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس من أعطى لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل إيمانه (٥) حديث من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتزوج في الشطر الآخر ، ابن الجوزي في اللال من حديث أنس بسند ضعيف وهو عند الطبراني في الأوسط بلفظ قد استكمل نصف الإيمان وفي السندرك وصحح إسناده بلفظ من رزقه الله امرأة سالحة فقد أعانه على شطر دينه الحديث (٦) حديث كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاثة فذكر فيه وولد صالح يدعو له م من حديث أبي هريرة بنحوه .

عليه وسلم قال فما جاء بك نجارة قال لا قال ولا جاء بك غيره قال لا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من سلك طريقا يلتمس به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر التجوم وإن العلماء هم ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينار ولا درهما إنما أورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظه أو بحظ وافره فأول ما أودعت الحكمة والعلم عند آدم أبي البشر عليه السلام ثم انتقل منه كما انتقل منه النسيان والعصيان وماتدعو إليه النفس والشيطان كأورد إن الله تعالى أمر جبرائيل

لأخيك وزن نواقص من ذهب فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه فقال له أولم يجمعوا له من الأصحاب شاة لولية (١) » وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح وحكى أن بعض الساد في الأم السالفة قال أهل زمانه في العبادة فذكر لبي زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا أنه تارك لشيء من السنة فاقم العابد لما سمع ذلك فسأل النبي عن ذلك فقال أنت تارك للتزويج فقال ليست أحرمه ولكني فقير وأنا عيال على الناس قال أنا أزورك ابني فزوجه النبي عليه السلام ابنته ، وقال جر بن الحرث : فضل على أحمد بن حنبل ثلاث يطلب الحلال لنفسه ولنبيه وأنا أطيله لنفسي فقط ولا تساعه في النكاح وضيق عنه ولأنه نصب إماما للعامة ، ويقال إن أحمد رحمه الله تزوج في اليوم الثاني لوفاته أم ولده عبدالله وقالوا كره أن أبيت عزبا ، وأما بشر فإنه لما قيل له إن الناس يتكلمون فيك لتترك النكاح ويقولون هو تارك للسنة قال قولوا لهم هو مشغول بالفرض عن السنة وعونب مرة أخرى فقال ما يمنعني من التزويج إلا قوله تعالى - ولهن مثل الذي عليهن - بالمعروف - فذكر ذلك لأحمد فقال وأين مثل بشر إنه قد على مثل حد السنان ومع ذلك قد روى أنه رأى في المنام قبيل له ما فعل الله بك قال رفعت منازلتي في الجنة وأثرف بي على مقامات الأنبياء ولم أبلغ منازل للتأهلين وفي رواية قال لي ما كنت أحب أن تلقاني عزبا قال قلنا له ما فعل أبو نصر البار قال رفع فوقي سبعين درجة قلنا بماذا فقد كنا نراك فوقه قال يصبره على بيئاته والعيال ، وقال سفيان بن عيينة : كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية فالتكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء ، وقال رجل لإبراهيم بن آدم رحمه الله بطوبى لك فقد ضرعت للعبادة بالمرزوقه فقال لروعة منك بسبب العيال أفضل من جميع ما أنا فيه قال فما الذي يمنعك من النكاح فقال مالي حاجة في امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسى ، وقد قيل فضل التأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب . وأما ما جاء في الترهيب عن النكاح : فقد قال **عليه السلام** « خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لأهل له ولا ولد (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعبرونه بالفقر ويكفونه ما لا يطيق ، فيدخل الداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك (٣) » وفي الخبر « قلة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقيرين (٤) » وسئل أبو سليمان الداراني عن النكاح فقال الصبر عن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار ، وقال أيضا الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد التأهل ، وقال مرة ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج ثبت على مرتبته الأولى .

(١) حديث كان بعض الصحابة قد انتطح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيت عنده حاجة إن طرقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تزوج الحديث أحمد من حديث ربيعة الأسلمي في حديث طويل وهو صاحب القصة بأسناد حسن (٢) حديث خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لأهل له ولا ولد أبو يعلى من حديث حذيفة ورواه الخطابي في العزلة من حديثه وحديث أبي أمامة وكلاهما ضعيف (٣) حديث يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعبرونه بالفقر ويكفونه ما لا يطيق فيدخل الداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك الخطابي في العزلة من حديث ابن مسعود نحوه والبيهقي في الزهد نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف (٤) حديث قلة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقيرين القضاعي في مسند الشهاب من حديث علي وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عبدالله بن عمر وابن هلال المزني كلاهما بالشر الأول بسندين ضعيفين .

حق أخذ قبضة من أجزاء الأرض والله تعالى نظر إلى الأجزاء الأرضية التي كونها من الجوهر التي خلقها أولا فصار من مواقع نظرها إليها خاصية السماع من الله تعالى والجواب حيث خاطب السموات والأرضين بقوله - انقيطوعا أو كرها قلنا أئينا لما نعين - فحملت أجزاء الأرض بهذا الخطاب خاصة ثم انتزعت هذه الخاصية منها بأخذ أجزاءها لتتركيب صورة آدم فركب جسد آدم من أجزاء أرضية محتوية على هذه الخاصية فمن حيث نسبة أجزاء الأرض تركب فيه الهوى حتى مد يده إلى شجرة الفناء وهي شجرة الخسفة في أكثر الأقاويل فتطرق لقلبه الفناء ولا كرام الله إياه بتفخ الروح الذي أخبر عنه بقوله - فإذا سويته وتفتت

وقال أيضا : ثلاثين طلبين فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث . وقال الحسن رحمه الله إذا أراد الله بعبده خيرا لم يشغله بأهل ولا مال . وقال ابن أبي الجوارى تناظر جماعة في هذا الحديث فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لا يكون له بل أن يكون له ولا يشغلانه وهو إشارة إلى قول أبي سليمان الجدارى ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغوم ، وبالجملة لم يقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقا إلا مقرونا بشرط . وأما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بمصر آفات النكاح وفوائده .

آفات النكاح وفوائده : وفيه فوائد خمسة الولد وكثر الشهوة وتدير للزلل وكثرة العشرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن . الفائدة الأولى . الولد : وهو الأصل وله وضع النكاح والمقصود إبقاء النسل وأن لا يغلب العالم عن جنس الأنس وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في إخراج البذر وبالأشئ في التمكن من الحرث تلطف بهما في السبابة إلى اقتناص الولد بسبب الوقاع كالتلطف بالطير في بث الحب الذى يشتهى ليساق إلى الشبكة وكانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حرائة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب السببات على الأسباب مع الاستغناء عنها إظهارا للقدرة وإتماما لمعانيب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به الشبهة وحققت به الكلمة وجرى به القلم وفى التوصل إلى الولد قرية من أربعة أوجه هى الأصل في الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزيا . الأول موازنة محبة الله بالسعى في تحصيل الولد لبقاء جنس الإنسان والثانى طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من بمباهاته . والثالث طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده . والرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله . أما الوجه الأول فهو أدق الوجوه وأبعدها عن أنفهام الجاهيل وهو أحقها وأقواها عند ذوى البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى وبحارى حكمه ، ويانه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث وهما له أرضا مهياة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكله من يتقاضاه عليها فإن تكامل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضامنا حتى قسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للمقت والغتاب من سيده والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والأنثيين وخلق النطفة في الفقار وهما لمأوى الأنثيين عروقا وبحارى وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثى فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادى أرباب الأبواب بتعريف ما أعدت له ، هذا إن لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال « تناكحوا تناسلوا » فكيف وقد صرح بالأمر وباح بالسركل مجتمع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر معطل لما خلق الله من الآلات للعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة القهومة من شواهد الحافظة المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهى ليس برقم حروف وأصوات بقرؤ كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزلية ولذلك عظم الفرج الأمر في القتل للأولاد وفى الوأد لأنه منع لتتمام الوجود وإليه أشار من قال الزلل أحد الوادين فالناكح ساع في إتمام ما أحب الله تعالى تمامه والمرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولأجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس أمر بالا طعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض فقال - من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا - فان قلت : قولك إن بقاء النسل والنفس محبوب يوهم أن فناءها مكروه عند الله وهو فرق بين الموت والحياة بالإضافة إلى إرادة الله تعالى ومعلوم أن الكل بمشيئة الله وأن الله غنى عن العالمين فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم أو بقاؤهم عن فناءهم . فاعلم أن هذه الكلمة حق

فيه من روحى - قال العلم والحكمة بالقنوية صار ذا نفس منقوسة وبشفع الروح صار ذا روح روحانى وشرح هذا يطول فصار قلبه معدن الحكمة وقلبه معدن الهوى فانتقل منه العلم والهوى وصار ميراثه فى ولده فصار من طريق الولادة أبا بواسطة الطبايع التى هى بحسد الهوى ومن طريق الولادة المعنوية أبا بواسطة العلم فالولادة الظاهرة تطرق إليها الفناء والولادة المعنوية محبة من الفناء لأنها وجدت من شجرة الخلد وهى شجرة العلم لا لشجرة الخنطة التى سماها إبليس شجرة الخلد فالإبليس يرى الشئ بضد فبين أن الشيخ هو الأب معنى وكثيرا كان شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردى رحمه الله يقول ولدى من سلك طريقى واهتدى بهدى فالشيخ

أريد بها بطلان ما ذكرناه لا ينافي إضافة الكائنات كلها إلى إرادة الله خيرها وشرها ونفعها وضرها
 والسكن المحبة والكرهية بضادان وكلها لا يضادان الإرادة فرب مراد مكرهه ورب مراد محبوب فالعاصي
 مكروهه وهي مع الكراهة مرادة والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية أما السكر
 والشر فلا يقول إنه مرضي ومحبوب بل هو مراد وقد قال الله تعالى - ولا يرضى لعباده السكر - فكيف
 يكون الفناء بالاضافة إلى محبة الله وكرهاته كالبقاء فانه تعالى يقول « ما ترددت في شيء كترددى في
 قبض روح عبدى السلم هو يكره الموت وأنا أكره مسأته ولا بدله من الموت (١) » قوله لا بدله
 من الموت إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير المذكور في قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم الموت - وفي
 قوله تعالى - الذى خلق الموت والحياة - ولا مناقضة بين قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم الموت -
 وبين قوله « وأنا أكره مسأته » ولكن لإيضاح الحق في هذا يستدعى تحقيق معنى الإرادة والمحبة
 والكرهية وبيان حقائقها فان السابق إلى الأفهام منها أمور تناسب إرادة الخلق وعيبتهم وكرهاتهم
 وهيات فين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته العزيز وذاته وكما أن ذوات الخلق
 جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والمرض فكذا
 صفاته لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقائق داخلة في علم المكشوفة ووراء سر القدر الذى منع
 من إنشائه فلنقتصر عن ذكره ولنقتصر على ما بينها عليه من الفرق بين الإقدام على النكاح
 والإحجام عنه فان أحدهما مضيع لسلامة أدام الله وجوده من آدم عليه السلام عقباً بعد عقب إلى أن انتهى
 إليه فالمستع عن النكاح قد حسم الوجود للستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه
 فبات أثير لأعقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطائون
 زوجونى لألقى الله عزباً . فان قلت لما كان معاذ يتوقع ولداً في ذلك الوقت فتواجه رغبته فيه .
 فأقول الولد يحصل بالواقع وبمحصل الواقع يعاثر الشهوة وذلك أمر لا يدخل في الاختيار إنما العلق
 باختيار البعد إحضار الحركة للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن عقد فقد أدى ما عليه وفعل ما إليه
 والباقي خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين أيضاً فان نهضت الشهوة خفية لا يطلع
 عليها حتى إن المسموح الذى لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب أيضاً في حقه على الوجه الذى يستحب
 للأصلح إمرار الوسى على رأسه اقتداء بغيره وتشيها بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والانضباط
 في الحج الآن وقد كان المراد منه أولاً إظهار الجلد للسكران فصار الاقتداء والتشبه بالذين أظهروا الجلد
 سنة في حق من بعدهم ويضعف هذا الاستحباب بالاضافة إلى الاستحباب في حق القادر على الحرث
 وربما يزداد ضعفاً بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع إلى قضاء الوطر فان ذلك
 لا يخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذى ينبى على شدة إنكارهم لترك النكاح مع فتور
 الشهوة . الوجه الثانى السعى في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه بتشكيك ما به مباهاته إذ
 قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وبدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ما روى
 عن عمر رضى الله عنه أنه كان ينكح كثيراً ويقول إنما أنكح للولد وما روى من الأخبار في
 مذمة المرأة العقيم إذ قال عليه السلام « لحصر في ناحية البيت خير من امرأة لئلا (٢) »

(١) حديث أنه تعالى يقول ما ترددت في شيء كترددى في قبض روح عبدى السلم يكره الموت
 وأنا أكره مسأته ولا بدله منه مخ من حديث أبى هريرة انقرد به خالد بن عجل الطوائى وهو
 منكم فيه (٢) حديث لحصر في ناحية البيت خير من امرأة لئلا أبو عمر التوقانى في كتاب معاشرته
 الأملين موقفاً على عمر بن الخطاب ولم أجده مرفوعاً .

الذى يكنسب بطريقة
 لأحوال قد يكون
 مأخوذاً في ابتدائه في
 طريق المحبين وقد
 يكون مأخوذاً في طريق
 المحبوبين وذلك أن أمر
 الصالحين والسالكين
 ينقسم أربعة أقسام
 سالك مجرد ومجنوب
 مجرد وسالك متدارك
 بالجذبة ومجنوب
 متدارك بالسلك
 فالسالك المجرد لا يؤهل
 للشيخوخة ولا يملكها البقاء
 صفات نفسه عليه
 فيقف عند حظه من
 رحمة الله تعالى في مقام
 للعامة والرياسة ولا
 يرتقى إلى حال روح بها
 عن وهج المكابدة
 والمجنوب المجرد من
 غير سلوك بيادته الحق
 بآيات اليقين ويرفع
 عن قلبه شيئاً من
 الحجاب ولا يؤخذ في
 طريق العامة والعامة
 أمر تام سوف تفرحه
 في موضعه إن شاء الله
 تعالى وهذا أيضاً
 لا يؤهل للشيخوخة ويوقف

وقال « خير نساءكم الولود الودود ^(١) » وقال « سوداء ولود خير من حساء لاتلد ^(٢) » وهذا يدل على أن طيب الولد أدخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة لأن الحساء أصلح للتحصين وغنى البصر وقطع الشهوة . الوجه الثالث أن يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له كما ورد في الخبر أن جميع عمل ابن آدم مقطوع إلا ثلاثا فذكر الولد الصالح وفي الخبر « إن الأذية تعرض على اللوى على أطباق من نور ^(٣) » وقول القائل إن الولد ربما لم يكن صالحا لا يؤثر فيه فانه مؤمن والصالح هو الغالب على أولاد ذوى الدين لاسيا إذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد برا كان أو فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه من كبه وغير مؤاخذ بسيئاته فانه لا تزر وازرة وزر أخرى ولذلك قال تعالى - ألحقنا بهم ذرياتهم وما لنتأهم من عملهم من شيء - أى ما نقتنصهم من أعمالهم وجعلنا أولادهم مزيدا في إحسانهم . الوجه الرابع أن يموت الولد قبله فيكون له شيئا فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الطفل يمر بأبويه إلى الجنة ^(٤) » وفي بعض الأخبار « يأخذ بثوبه كما أنا الآن أخذ بثوبك ^(٥) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « إن للولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محببنا أى ممثلا غيظا وغضباً » ويقول لأدخل الجنة إلا وأبواى معى فيقال أدخلوا أبويه معه الجنة ^(٦) » وفي خبر آخر « إن الأطفال يحتمون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا هؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بداري المسلمين ادخلوا لاحساب عليكم فيقولون فأين آباؤنا وأمهاتنا فيقول الحزنة إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم محاسبون عليها ويطالبون قال فينضاغون ويضجون على أبواب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو أعلم بهم ماهذه الضجة فيقولون ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آباؤنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذلوا

(١) حديث خير نساءكم الولود الودود البيهقي من حديث ابن أبي أذية الصدي قال البيهقي وروى بإسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسل (٢) حديث سوداء ولود خير من حساء لاتلد ابن حبان في الضعفاء من رواية هزبن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح [١] (٣) حديث إن الأذية تعرض على اللوى على أطباق من نور رويناه في الأربعين للشهورة من رواية أبي هذبة عن أنس في الصدقة عن الليث وأبو هذبة كذاب (٤) حديث إن الطفل يمر بأبويه إلى الجنة . من حديث على وقال السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ إن الطفل ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا هي احتسبته وكلاهما ضعيف (٥) حديث إنه يأخذ بثوبه كما أنا الآن أخذ بثوبك م من حديث أبي هريرة (٦) حديث إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محببنا أى ممثلا غيظا وغضباً ويقول لأدخل إلا وأبواى معى الحديث حب في الضعفاء من رواية هزبن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح ون من حديث أبي هريرة يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤنا فيقال ادخلوا الجنة أتم وأبأؤكم وإسناده جيد .

[١] وجد بهامش العراق بأحد النسخ العول عليها مانسه قلت : ولأن يعلى بسند ضعيف ذروا الحسناء القيم وعليكم بالسوداء الولود فإنى مكاتر بكم الأمم رواه عبدالله وله من حديث أبي موسى إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن امرأة قد أعجبتنى لا تلد أفأنزوجه ؟ قال لا فأعرض عنها ثم تتبعها نفسه فقال يا رسول الله قد أعجبتنى هذه المرأة ونحرها أعجبتنى دلها وعمرها أفأنزوجه ؟ قال لا امرأة سوداء ولود أحب إلى منها أما شمرت أى مكاترت بكم الأمم سنهه ضعيف .

عند حظه من الله مروا بحاله غير مأخوذ في طريق أعماله ما عدا الفريضة والسالك الذى تدورك بالجذبة هو الذى كانت بدايته بالجاهدة والمكابد والمعاملة بالإخلاص والوفاء بالشروط ثم أخرج من وهج المكابد إلى روح الحال فوجد العسل بعد الطعم وتروى بنجات الفضل وبرز من مضيق المكابد إلى متسع المساهلة وأونس بنجات القرب وقبح له باب من للشاهدة فوجد دواءه وقاض وعاؤه وصدرت منه كلمات الحكمة ومالت إليه القلوب وتوالى عليه فتوح القلوب وصار ظاهره مسددا وباطنه مشاهدا وصلح للجلوة وصار له فى جلوته خلوة فيقلب ولا يلبس ويفترس ولا يفترس يؤهل مثل هذا الشيخة لأنه أخذ في طريق

بأيدي آبائهم فأدخلوهم الجنة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من مات له إثنان من الولد فقد احتضر يحظر من النار (٢) » وقال ﷺ من مات له ثلاثة لم يلقوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يارسول الله وإثنان قال وإثنان (٣) . وحكى أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأتي برهة من دهره قال فاتبعه من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه فقتل عن ذلك فقال لعل الله يرزقني ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأني في جملة الخلائق في الوقف وبني من العطش ما كاد أن يقطع عني وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب فحنن كذلك إذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس لمددت يدي إلى أحدهم وقتلت أسنني قد أجهدتني العطش فقال ليس لك فينا ولد إنما نسق آباءنا وقتلت ومن أتم فقالوا نحن من مات من أطفال المسلمين وأحد للماني المذكورة في قوله تعالى - فأتواحرثكم أني شتم وقدموا لأشكم - تقديم الأطفال إلى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الأربعة أن أكثر فضل النكاح لأجل كونه سببا لولده . الفائدة الثانية : التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « من نسك قد حصن نصف دينه فليثق الله في الشطر الآخر » وإليه الإشارة بقوله « عليكم بالباة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء » وأكثر ما قلناه من الآثار والأخبار إشارة إلى هذا المعنى وهذا المعنى دون الأول لأن الشهوة موكلة بتقاضى تحصيل الولد فالنكاح كاف لشغله دافع لجلسه وصارف لشر سطوته وليس من يجب مولاه رغبة في تحصيل رضاه كمن يجب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز أن يقال للتصود اللذة والولد لازم منها كإلزام مثلا قضاء الحاجة من الأكل وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود بالطعنة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري في الشهوة حكمة أخرى سوى الإرهاق إلى الإيلاء وهو ما في قضائها من اللذة التي لاتوازيها لذة لودامت فهي منهية على اللذات الموعودة في الجنان إذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذوقا لا ينفع فهو رغب العنين في لذة الجماع أو الصبي في لذة الملك والسلطنة لا ينفع الترغيب وإحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثة على عبادة الله فانظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة ثم إلى التعمية الإلهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة بالحياة الظاهرة حياة المرء يقاء نسله فانه نوع من دوام الوجود والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية فإن هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فيستحث على العبادة

(١) حديث إن الأطفال مجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لأحساب عليكم فيقولون أين آباؤنا وأمهااتنا الحديث بطوله لم أجده أصلا يعتمد عليه (٢) حديث من مات له إثنان من الولد احتضر يحظر من نار البزار والطبراني من حديث زهير بن أبي علقمة جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله إنه مات لي إبنان سوى هذا فقال لقد احتضرت من دون النار يحظر شديد وسلم من حديث أبي هريرة في المرأة التي قالت دفنت ثلاثة لقد احتضرت يحظر شديد من النار (٣) حديث من مات له ثلاثة لم يلقوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يارسول الله وإثنان قال وإثنان خ من حديث أنس دون ذكر الاثنين وهو عند أحمد بهذه الزيادة من حديث معاذ وهو متفق عليه من حديث أبي سعيد بلفظ أيما امرأة بنحو منه .

المحبين ومنع حالا من أحوال القربين بعد مدخل من طريق أعمال الأبرار الصالحين ويكون له أتباع ينتقل منه إليهم علوم ويظهر بطريقه بركة ولكن قديكون محبوسا في حاله محكما حاله فيه لا يطلق من وثاق الحال ولا يبلغ كال النوال يقف عند حظه وهو حظ وافرسي والذين أوتوا العلم درجات ولكن المقام الأكل في للشبيخة القسم الرابع وهو المذهب للندارك بالسلوك يادته الحق بالكشف وأنوار اليقين ويرفع عن قلبه الحجب ويستتبر بأنوار للشاهدة وينشرح وينفخ قلبه ويتجافى عن دار النور وينيب إلى دار الخلود ويرتوي من بحر الحال ويتخلص من الأغلال والأغلال ويقول معلنا لا أعبد ربا لم أره ثم

الواصلة إليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر الواظبة على ما يوصله إلى نعيم الجنان ومامن ذرة من ذرات بدن الانسان باطنا وظاهرا ذرات بل ملكوت السموات والأرض إلا وتحتها من لطائف الحكمة ومحاسنها ما تحار العقول فيها ولكن إنما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها فالتكاح بسبب دفع طائلة الشهوة مهم في الدين لسلك من لا يؤتى عن عجز وعنة وهم غالب الخلق فان الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت إلى اقتحام الفواحش وإليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى - إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير - وإن كان ملجما بلجام التقوى فتأبته أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ التزج فأما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لأزال النفس تجاذبه وتحديثه بأمور الواقع ولا يفتر عنه الشيطان للوسوس إليه في أكثر الأوقات وقد يمرض له ذلك في أثناء الصلاة حتى يجري على خاطره من أمور الواقع ما لو صرح به بين يدي أحسن الخلق لاستحيا منه والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق ورأس الأمور للرديد في سلوك طريق الآخرة قلبه والواظبة على الصوم لا تقطع مادة الوسوسة في حق أكثر الخلق إلا أن يضاف إليه ضعف في البدن وفساد في الزاج ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما لا يمت نسك النكاح إلا بالنكاح وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها قال فتادة في معنى قوله تعالى - ولا تعلمنا مالا طاعة لابه - هو التلعة - وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالا في معنى قوله تعالى - وخلق الانسان ضعيفا - إنه لا يصبر عن النساء وقال فياض بن نجيع إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما - ومن شرفا سقى إذا وقب - قال قيام الذكر وهذه بلية غالبية إذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين وهي مع أنها صالحة لأن تكون باعثة على الحيائين كما سبق فهي أقوى آفة الشيطان على بني آدم وإليه أشار عليه السلام بقوله «مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى الأبواب منكُن» (١) وإنما ذلك لهيجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه «اللهم إني أعوذ بك من شر معي وبصري وقلبي وشر مني» (٢) وقاله «أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي» (٣) فباستعانة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يكاد يغلو من التفتين وثلاث فأكثر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف بين يديه موقفًا في معاملة غفرت له قلبه خاطر شهوة فقالوا يسينامن ذلك كثير فقال لورضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلي عن حالي إلا نفذته فأستريح وأرجع إلى شغلي ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبي معصية وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوي الدين ما الذي تسكر منهم قال يأكلون كثيرا قال وأنت أيضا قال وأنت أيضا لو جعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون قال ينكحون كثيرا قال وأنت أيضا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون . وكان الجنب يقول احتاج إلى الجماع كما احتاج إلى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك أمر رسول الله

(١) حديث مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى الأبواب منكُن م من حديث ابن عمر واتفقا عليه من حديث أبي سعيد ولم يسق م لفظه (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر معي وبصري وشر مني تقدم في الدعوات (٣) حديث أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي هي في الدعوات من حديث أم سلمة بإسناد فيه لين .

بعض من باطنه على ظاهره وتجري عليه صورة المجاهدة والعمالة من غير مكابدة وعناء بل بلادة وهناء وصبر قاله بصفة قلبه لا مثله قلبه يحب ربه ويلين جلده كما لان قلبه وعلامة لين جلده إجابة قلبه للعمل كاجابة قلبه فيزيده الله تعالى إرادة خاصة ويرزقه محبة خاصة من محبة المحبوبين المرادين بتقطع فيواصل ويمرض عنه فيواصل يذهب عنه جمود النفس ووصل الروح بحرارة الروح وتنكشف عن قلبه عروق النفس قال الله تعالى - الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - أخبر أن الجلود تلين كما أن القلوب تلين ولا يكون هذا إلا

صلى الله عليه وسلم كل من وقع نظره على امرأة فتأقت إليها نفسه أن يجماع أهله^(١)، لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال صلى الله عليه وسلم: إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها^(٢) وقال عليه السلام «لا تدخلوا على النفيات وهي التي غاب زوجها فان الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومنى ولكن الله أعانني عليه فأسلم^(٣)» قال سفيان بن عيينة فأسلم معناه فأسلم أنا منه هذا معناه فان الشيطان لا يسلم وكذلك يحكى عن ابن عمر رضى الله عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلماءهم أنه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل وربما جامع قبل أن يصلى المغرب ثم يقتسل ويصلى وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله وإخراج غدة الشيطان منه وروى أنه جامع ثلاثاً من جواربه في شهر رمضان قبل العشاء الأخيرة وقال ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء^(٤) ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد ولأجل فراغ القلب أيسح نكاح الأمة عند خوف العت مع أن فيه إرفاق الولد وهو نوع إهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن إرفاق الولد أهون من إهلاك الدين وليس فيه إلا تنقيص الحياة على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الأخروية التي تستحق الأعمار الطويلة بالإضافة إلى يوم من أيامها وروى أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يرح قال له ابن عباس هل لك من حاجة قال نعم أردت أن أسأل مسألة فاستحييت من الناس وأنا الآن أهالك وأهلك قال ابن عباس إن العالم غزلة الولد لما كنت أضفيت به إلى أيك فأفرض إلى به فقال إني شاب لازوجة قلى وربما خشيت العنت على نفسي فربما استمنيت يدي فهل في ذلك معصية فأعرض عنه ابن عباس ثم قال أف أف نكاح الأمة خير منه وهو خير من الرنا فهذا تنبيه على أن العرب القلم مردد بين ثلاثة شرور أدناها نكاح الأمة وفيه إرفاق الولد وأشد منه الاستمناء باليد وأغشاه الزنا ولم يطق ابن عباس الإباحة في شيء منه لأنهما محذوران فيزج إليهما حذراً من الوقوع في محذور أشد منه كما يفرج إلى تناول البتة حذراً من هلاك النفس فليس ترجيح أهون الشرين في معنى الإباحة للطائفة ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد للتأكل من الحشرات وإن كان يؤذن فيه عند إشراف النفس على الهلاك فاذن في النكاح فضل من هذا الوجه ولكن هذا لا يعم الكل بل الأكثر قرب شخص فترت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيره فينعدم هذا الباعث في حقه ويبقى ماسبق من أمر الولد فان ذلك عام إلا للمسحوق وهو نادر ومن الطباع ما تنقلب عليها الشهوة بحيث لا تحسن المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع فان بسر الله مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن وإلا فيستحب له الاستبدال فقد نكح على رضى الله عنه بسد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال ويقال

(١) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة تأقت نفسه إليها أن يجماع أهله أحمد من حديث أبي كبشة الأنماري حين مررت به امرأة فوقع في قلبه شهوة النساء فدخل فأتى بعض أزواجه وقال فكذلك فاضلوا فانه من أمثال أفعالكم إتيان الحلال وإسناده جيد (٢) حديث جابر رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته الحديث مسلم والترمذي واللفظ له وقال حسن صحيح (٣) حديث لا تدخلوا على النفيات فان الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم الحديث ث من حديث جابر وقال غريب ومسلم من حديث عبد الله بن عمر ولا يدخل بعد يومى هذا على نفية إلا ومعمر رجل أو ثمان (٤) حديث ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء يعنى النبي صلى الله عليه وسلم رواه خ .

حال المصوب المراد وقد ورد في الخبر أن إبليس سأل السليل إلى القلب قيل له يحرم عليك ولكن السليل لك في مجارى المروق للشبهة بالنفس إلى حد القلب فاذا دخلت العروق عرفت فيها من سبق مجارها وامتزج عرقك بماء الرحمة للترشح من جانب القلب في مجرى واحد ويصل بذلك سلطانك إلى القلب ومن جعلته نيباً أو ولياً قلت تلك العروق من باطن قلبه فيصير القلب سليماً فاذا دخلت العروق لم تصل إلى المشتبكة بالقلب فلا يصل إلى القلب سلطانك فالمصوب المراد الذي أهل للشبهة سلم قلبه وما اشرح صدره ولأن جلده يضار قلبه بطبع الروح ونفسه بطبع القلب ولأن النفس بعد أن كانت أماراً بالسوء مستحبة

إن الحسن بن علي كان منككاً حتى نكح زيادة عن مائتي امرأة وكان ربما عقد على أربع في وقت واحد وربما طلق أربعاً في وقت واحد واستبدل بهنّ وقد قال عليه الصلاة والسلام « للحسن أشبه خلقي وخلقى ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « حسن مني وحسين مني ^(٢) » قيل إن كثرة نكاحه أحد ما أشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج الثيرة بن شعبة بثمانين امرأة وكان في الصحابة من له الثلاث والأربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوماً فينبغي أن يكون العلاج بقدر الملة فالمراد تسكين النفس فليتنظر إليه في الكثرة والقلة . الفائدة الثالثة : ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر واللإعة إراحة القلب وتقوية له على العبادة فإن النفس ملول وهى عن الحق تمور لأنه على خلاف طبيعتها فلو كلفت الدائمة بالإكراه على مخالفتها جمحت وثابت وإذا رويحت بالذات في بعض الأوقات قويت ونشطت وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيد الكرب ويروح القلب وينبغي أن يكون لنفس التفتين استراحات بالمباحات ولذلك قال الله تعالى - ليسكن إليها - وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب ساعة فأنها إذا كرهت عمت وفي الخبر « على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه ساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يغلو فيها بمطعمه ومشربه فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات ^(٣) » ومثله بلفظ آخر ولا يكون العاقل ظاناً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم ^(٤) » وقال عليه الصلاة والسلام « لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سقى فقد اهتدى ^(٥) » والشرّة الجدول المكيدة بجملة وقوة وذلك في ابتداء الإرادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان أبو الدرداء يقول « إنى لأستجم نفسي بشئ من اللهو لأتقوى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال « شكوت إلى جبريل عليه السلام ضغني عن الوقوع فدلني على الهربة ^(٦) » وهذا إن صح لا يحمل له إلا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تحليه بدفع الشهوة فإنه استئثاره للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الأكل فمن هذا الأُنس وقال عليه الصلاة والسلام « حب إلى من دنياكم ثلاث الطبيب والنساء وقرة عيني في الصلاة ^(٧) » فهذه أيضاً فائدة لا ينكرها من جرب إقبال نفسه في الأفكار والأدكار وصنف الأعمال

(١) حديث أنه قال للحسن بن علي أشبه خلقي وخلقى قلت المعروف أنه قال هذا اللفظ لجعفر بن أبي طالب كما هو متفق عليه من حديث البراء ولكن الحسن أيضاً كان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم كما هو متفق عليه من حديث أبي جحيفة وللترمذي وصححه وابن حبان من حديث أنس لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن (٢) حديث حسن مني وحسين من علي أحمد من حديث التعداد بن معديكرب بسند جيد (٣) حديث على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة فيها يناجي ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يغلو فيها بمطعمه ومشربه حب من حديث أبي ذر في حديث طويل أن ذلك في صحف إبراهيم (٤) حديث لا يكون العاقل ظاناً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم حب من حديث أبي ذر الطويل أن ذلك في صحف إبراهيم (٥) حديث لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سقى فقد اهتدى أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو ولا ترمذي نحو من هذا من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٦) حديث شكوت إلى جبريل ضغني عن الوقوع فدلني على الهربة حديث حسن صحيح (٧) حديث والعقل من حديث معاذ وجابر بن مرة وابن حبان في الضعفاء من حديث حذيفة الأزدي في الضعفاء من حديث أبي هريرة بطريق كلها ضيفة قال ابن عدى موضوع وقال العقيلي باطل (٧) حديث حب إلى من دنياكم الطبيب والنساء وقرة عيني في الصلاة لمن حديث أنس بإسناد جيد وضعفه العقيلي .

ولأن الجدل بين النفس ورد إلى صورة الأعمال بعد وجدان الحال ولا يزال روجه يجذب إلى الحضرة الإلهية فيستبجع الروح القلب وتستبجع القلب النفس ويستبجع النفس القالب فامتزجت الأعمال القلبية والقالية وانخرق الظاهر إلى الباطن والباطن إلى الظاهر والقدرة إلى الحكمة والحكمة إلى القدرة والدنيا إلى الآخرة والآخرة إلى الدنيا ويصح له أن يقول لو كشف النطاء ما زددت يقيناً فنفد ذلك يطلق من وثاق الحال ويكون مسيطراً على الحال لا الحسالة مسيطراً عليه ويصير حراً من كل وجه والشيخ الأول الذي أخذ في طريق المحبين حر من رقة النفس ولكن ربما كان باقياً في رقة القلب وهذا

وهي خارجة عن الفائدتين السابقتين حتى إنها تطرد في حق المسحور ومن لا شهوة له إلا أن هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالإضافة إلى هذه النية وقل من يقصد بالنكاح ذلك ، ولما قصد الوطء وقصد دفع الشهوة وأمثالها فهو مما يكثر ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى اللاه الجارى والحضرة وأمثالها ولا يحتاج إلى ترويع النفس بمحادثة النساء ولا يعين فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص فليتب له . الفائدة الرابعة : تفرغ القلب عن تذكير المنزل والتكفل بشغل الطبع والكسب والقرش وتنظيف الأواني وتهية أسباب المعيشة فإن الإنسان لو لم يكن له هموم الوطء لتعذر عليه العيش في منزله وحده إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل لصاع كثر أوقاته ولم يفرغ لعملم والعمل فالمرأة الصالحة الصالحة للزول عون على الدين بهذه الطريق واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنقصات للعيش ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فاتها تفرغ لك الآخرة وإنما تفرغها بتدبير المنزل وبفضاء الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى - ربنا آتانا في الدنيا حسنة - قال الرأفة الصالحة وقال عليه الصلاة والسلام « ليتخذ أحدكم قلبا شا كرا ولسانا ذا كرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته ^(١) » فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر وفي بعض التفاسير في قوله تعالى - فلنحيينه حياة طيبة - قال الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما أعطى العبد بعد الإيمان بالله خيرا من امرأة صالحة وإن من غنا لا يهذى منه ومن غنا لا يهدى منه وقوله لا يهدى أى لا يتأخر عنه بعبادته وقال عليه الصلاة والسلام « فضلت على آدم مخلصتين كانت زوجته عونا له على العصية وأزواجى أعوان لى على الطاعة وكان شيطانه كافرا و شيطاني مسلم لا يأمر إلا بخير ^(٢) » فدمعاوتها على الطاعة فضيلة فهذه أيضا من الفوائد التي تصدها الصالحون إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا تدعو إلى امرأتين بل أجمع ربما ينقص المعيشة ويضطرب به أمور المنزل ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بشريتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل العاشق فإن ذلك مما يحتاج إليه في دفع الشر وروطلب السلامة ولذلك قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه لعبادة فإن ذلك مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل . الفائدة الخامسة : مجاهدة النفس ورعايتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهم واحتمال الأذى منهم والسعي في إصلاحهم وإرشادهم إلى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهم والقيام بتربيته لأولاده فكل هذه أعمال عظيمة الفضل فاتها رعاية وولاية والأهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وإنما يعجز عنها من يعتز خيفة من القصور عن القيام بحقوقها والاهد قال عليه الصلاة والسلام « يوم من والعدا أفضل من عبادة سبعين سنة ثم قلل ألكم راع وكلكم مستول عن رعيته ^(٣) » وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل

الشيخ في طريق
المحبوبين حر من رق
القلب كاهو حر من رق
النفس وذلك أن النفس
حجاب ظلمات أرضى
أعق منه الأول
والقلب حجاب نوراني
صاوى أعق منه
الآخر صار له لقلبه
ولموت لا لوقت فبهد
الله حقوا من به صدقا
وبسجد لله سواده
وخيله يؤمن بفوائده
ويفر به لسانه كما قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض
سجوده ولا يتخلف
عن العبودية منه شعرة
وتصير عبادته مشاكلة
 لعبادة الملائكة - وفيه
يسجد من في السموات
والأرض طوعا وكرها
وظلالهم بالتدو
والأصا لفقوا بالله

(١) حديث ليتخذ أحدكم قلبا شا كرا ولسانا ذا كرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته ت وحسنه وه واللفظ له من حديث وفيه انقطاع (٢) حديث فضلت على آدم صلى الله عليه وسلم مخلصتين كانت زوجته عونا له على العصية وأزواجى أعوان لى على الطاعة وكان شيطانه كافرا و شيطاني مسلم لا يأمر إلا بخير رواه الخطيب في التاريخ من حديث ابن عمر وفيه محمد بن وليد بن أبان بن القناسي قال ابن عدى كان يضع الحديث ولمسلم من حديث ابن مسعود ما منكم من أحد إلا وقد وكل بعقرته من الجن قالوا وإياك يا رسول الله قل وأنا إلا أن الله أعاني عليه فأسلم ولا يأمرنى إلا بخير (٣) حديث يوم من والعدا أفضل من عبادة سبعين سنة ثم قل ألكم راع وكلكم مستول عن رعيته طب وهق من حديث ابن عباس وقد تقدم بلفظ ستين سنة دون ما بعده فإنه متفق عليه من حديث ابن عمر .

بإصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الأذى كمن رفه نفسه وأراحها فمقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ولذلك قال بشر بن فضال علي أحمد بن حنبل ثلاث إحداها أنه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال عليه الصلاة والسلام «ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في القنعة يرفعها إلى امرأته» (١) وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل أعطاني الله نصيباً حتى ذكر الحج والجمعة وغيرهما فقال له أين أنت من عمل الأبدال قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه في الغزو تملكون عملاً أفضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال أنا أعلم قالوا فهو قال رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياماً متكسفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله أفضل مما نحن فيه وقال صلى الله عليه وسلم «من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتلب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين» (٢) وفي حديث آخر «إن الله يحب الفقير المتعفف أباً العيال» (٣) وفي الحديث «إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها عنه» (٤) وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا التمسك بالعيال وفيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا التمسك بطلب العيشة» (٥) وقال عليه السلام «من كان له ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يرضين الله عنه أوجب الله له الجنة ألبتة ألبتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر له» (٦) كان ابن عباس إذا حدث بهذا قال والله هو من غرائب الحديث وغرره وروى أن بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة أروح قلبي وأجمع لحمي ثم قال رأيت في المنام بعد جمعة من وفاتها كأن أبواب السماء فتحت وكأن رجالاً ينزلون ويسرون في الهواء يتبع بعضهم بعضاً فكما نزل واحد نظر إلى وقال لمن وراءه هذا هو للشوم فيقول الآخر نعم ويقول الثالث كذلك ويقول الرابع نعم ففتحت أن أسألهم هبة من ذلك إلى أن مرني آخرهم وكان غلاماً قلت له يا هذا من هذا الشوم الذي تؤمنون إليه فقال أنت قلت ولم ذاك قال كنت أرفع عملي في أعمال المجاهدين في سبيل الله فنذجته أماً ثم نأنا نضع عملي مع الخالفين فما ندرى ما أحدثت فقال لإخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن تفارقه زوجتان أو ثلاث وفي أخبار الأنبياء عليهم السلام أن فوما دخلوا على يونس النبي عليه السلام فأضافهم فساكن يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيهم امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فتمعجبون من ذلك قال لا تعجبوا فإن سأت الله تعالى وقلت ما أنت متعجب لي به في الآخرة فصجله لي في الدنيا قال إن عقوبتك بفت فلان تزوج بها

(١) حديث ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في دفع القنعة إلى امرأته ثم من حديث ابن مسعود إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة ولها من حديث سعد ابن أبي وقاص ومهما أنفقت فهو لك صدقة حتى لا تقم ترفعها إلى امرأتك (٢) حديث من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتلب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين أبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بسند ضعيف (٣) حديث إن الله يحب الفقير المتعفف أباً العيال من حديث عمران بن حصين بسند ضعيف (٤) حديث إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها أحمد من حديث عائشة إلا أنه قال بالحزن وفيه ليد بن أبي سليم مختلف فيه (٥) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا التمسك بطلب العيشة الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والحطيب في التلخيص المتشابه من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف (٦) حديث من كان له ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يرضين الله عنه أوجب الله له الجنة ألبتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر له الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن عباس بسند ضعيف وهو عنده بلفظ آخر ولا في داود واللفظ له والترمذي من حديث أبي سعيد من قال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة ورجاله ثقات وفي سنده اختلاف .

لطيف العبد وكشفه وليس هذا من أخذ في طريق المحبين لأنه يستتبع صور الأعمال ويمتلي بما أنيل من وجدان الحال وذلك تصور في العلم وقلة في الحظ ولو كثر العلم رأى ارتباط الأعمال بالأحسوال كارتباط الروح بالجسد رأى أن لا غنى عن الأعمال كما لا غنى في عالم الشهادة عن القوالب فإذا امتلأ القوالب بآثارها فالدنوى صفاء هو الشيخ الطلق والعارف الحق المحبوب المتقي نظره دواء وكلامه شفاء بالله ينطق وبالله يسكت كما ورد ولا يزال العبد يتقرب إلى بالذوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً وبدا ومؤيداً في ينطق وبني يصير الحديث فالشيخ يعطى بالله ويعتق بالله فلا رغبة له في عطاء ومنع لعينه بل

فزوجت بها وأنا صابر على ما ترون منها وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وتخمين الخلق فان للمفرد بنفسه أو الشارك لمن حسن خلقه لا ترشح منه خبايا النفس الباطنة ولا تكتشف بواطن عيوبه فعلى سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه للتعرض لأمثال هذه المحركات واعتياد الصبر عليها لتتبدل أخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات القبيحة باطنه والصبر على العيال مع أنه رياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها فهذه أيضا من الفوائد ولكنها لا ينفع بها إلا أحد رجلين إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يمدان يرى هذا طريقا في المجاهدة وترتاض به نفسه وإما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب وإنما عمله عمل الجوارح بصلاة أو حج أو غيره ففعله لأهله وأولاده بكسب الحلال لهم والقيام بترتيبهم أفضل له من العبادات اللازمة ليدنه التي لا يتبدى خيرها إلى غيره فأما الرجل المهذب الأخلاق إما يكفاه في أصل الحلقة أو بمجاهدة سابقة إذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم والكشفات فلا ينبغي أن يتزوج لهذا القرض فان الرياضة هو مكفي فيها وأما العبادة في العمل بالكسب لهم فالعمل أفضل من ذلك لأنه أيضا عمل وفائدته أكثر من ذلك وأعم وأشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوائد النكاح في الدين التي بها يحكم له بالفضيلة . أما آفات النكاح ثلاث . الأولى : وهي أقواها البعز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر لكل أحد لاسيما في هذه الأوقات مع اضطراب العايش فيكون النكاح سببا في التوسع للطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاك وهلاك أهله والتعزب في أمن من ذلك وأما التزوج ففي الأكثر بدخل في مداخل سوء فيتبع هوى زوجته ويبيع آخرته بديناره وفي الخبر « إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عائلته والقيام بهم وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق حتى يستغرق تلك المطالبات كل أعماله فلا يتبقى له حسنة فتنادي للامتنع هذا الذي أكل عياله حسنته في الدنيا وارتهن اليوم بأعماله وقال إن أول ما يتعلق بالرجل في القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربنا خلنا عقمنا فنامعنا فنامعنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لانفهم فيقتس لهم منه (١) » وقال بعض السلف إذا أراد الله بعبده شرا سلط عليه في الدنيا أيابا تنهشه بني العيال . وقال عليه الصلاة والسلام « لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله (٢) » فهذه آفة عامة قل من يتخاص منها إلا من له مال موروث أو مكتسب من حلال ينفق به وبأهله وكان له من القناعة ما ينعنه من الزيادة فان ذاك يتخلص من هذه الآفة أو من هو عفيف ومقتدر على كسب حلال من اللباحات باحتطاب أو اصبطاد أو كان في صناعة لا تتعلق بالسلطين ويقدر على أن يمايل به أهل الخبر ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم رحمه الله وقد سئل عن التزويج قال هو أفضل في زماننا هذا لمن أدركه شقي غالب مثل الحمار يرى الأمان فلا ينتهي عنها بالضرب ولا يملك نفسه فان ملك نفسه فتركه أولى . الآفة الثانية : القصور عن القيام بمهمتي والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن وهذه دون الأولى في العموم فان القدرة على هذا أسير من القدرة على الأولى وتخمين الخلق منع النساء والقيام بحفظهن أهون من طلب الحلال وفي هذا أيضا خطر لأنه راع ومسئول عن رعيته وقال عليه الصلاة والسلام « كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول (٣) »

(١) حديث « إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال ويسأل عن رعاية عياله والقيام بهن الحديث لم أقف له على أصل (٢) حديث لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله ذكره صاحب القردوس من حديث أبي سعيد ولم يحده ولده أبو منصور في مسنده (٣) حديث كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول دن يلفظ من يقول وهو عند م بلفظ آخر .

هو مع مراد الحق والحق يعرفه مراده فيكون في الأشياء مجرد الله تعالى لا مجرد نفسه فان علم أن الله تعالى يريد منه الدخول في صورة محمودة دخل فيها لمراد الله تعالى لكون الصورة محمودة بخلاف الحادام القائم بواجب خدمة عباد الله تعالى .

[الباب الحادي عشر في شرح حال الحادام ومن يشبه به]

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام وقال يا داود إذا رأيت إلى طالبًا فكن له خادما الخادم بدخل في الخدمة راغبًا في الثواب وفيما أعد الله تعالى لعباده ويتسدى لإيصال الراحة ويخرج خاطر للقليل على الله تعالى عن مهام معاشهم ويغفل ما يغفل الله تعالى بنية صالحة قال الشيخ واقف مع مراد الله تعالى والحادام واقف

وروي أن الحارب من عياله بمنزلة العبد الحارب الآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم ومن يقصر عن القيام بحقوقهم وإن كان حاضرا فهو بمنزلة حارب فقد قال تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - أمرنا أن نقيم النار كما نقي أنفسنا والإنسان قد يعجز عن القيام بحقوق نفسه وإذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف إلى نفسه نفس أخرى والنفس أمارة بالسوء إن كثرت كثرت الأثر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم من التزوج وقال أنا مبتلى بنفسى وكيف أضيف إليها نفسا أخرى كما قيل .
لن يسع الفأرة جحرها علفت المكس في دبرها

وكذلك اعتذر إبراهيم بن آدم رحمه الله وقال لأغر امرأة بنفسى ولا حاجة لي فيها أى من القيام بحقوقهم وتخصيصهم وإمتاعهم وأنا عاجز عنه وكذلك اعتذر بشر وقال بمعنى من النكاح قوله تعالى - ولهن مثل الذى عليهن - وكان يقول لو كنت أعول دجاجة لحفت أن أصير جلادا على الجسر وروى سفيان بن عيينة رحمه الله على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفت فقال وهل رأيت ذاعيل أفلح وكان سفيان يقول :

يا حيدا العزبة والفتاح ومسكن تحرقه الرياح لا صعب فيه ولا صياح

فهذه آفة عامة أيضا وإن كانت دون عموم الأولى لا يسلم منها إلا حكيم عاقل حسن الأخلاق بصير بمادات النساء صبور على لسانهن وقاف عن اتباع شهواتهن حريص على الوفاء بحقوقهن يتفادى عن زللهن ويدارى بقله أخلاقهن والأغلب على الناس السفه والفظاظة والجدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة أسلم له . الآفة الثالثة : وهي دون الأولى والثانية أن يكون الأهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا له إلى طلب الدنيا وحسن تديب العيشة للأولاد بكثرة جمع المال وإدخالهم وطلب التفاخر والتكاثربهم وكل ما يشغل عن الله من أهل ومال وولد فهو مشغول على صاحبه ولست أعنى بهذا أن يدعو إلى محظور فإن ذلك مما اندرج تحت الآفة الأولى والثانية بل أن يدعو إلى التمتع لمباح بل إلى الإغراق في ملاعبة النساء ومؤانستهن والامعان في التمتع بهن ويشور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب فينفضى الليل والنهار ولا يفرغ المرء فيها للتفكير في الآخرة والاستعداد لها ولذلك قال إبراهيم بن آدم رحمه الله من تعود أغراض النساء لم يحم منه شيء وقال أبو سليمان رحمه الله من تزوج قد ركن إلى الدنيا أى يدعو ذلك إلى الركون إلى الدنيا فهذه مجامع الآفات والقوائد فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقا قصور عن الاحتاط بمجامع هذه الأمور بل تتخذ هذه القوائد والآفات معتبرا وحكما ويعرض المرء عليه نفسه فان انتفت في حقه الآفات واجتمعت القوائد بأن كان له مال حلال وخلق حسن وجد في الدين تام لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد محتاج إلى تديب للزلل والتحصن بالعشرة فلا يبارى في أن النكاح أفضل له مع ما فيه من السعى في تحصيل الولد فإن انتفت القوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة أفضل له وإن تقابل الأمران وهو الغالب فينبغى أن يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة في الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات في نقصان منه فإذا غلب على الظن رجحان أحدهما حكم به وأظهر القوائد الولد وتسكين الشهوة وأظهر الآفات الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فلنفرض تقابل هذه الأمور فنقول من لم يكن في أذية من الشهوة وكانت فائدة نكاحه في السعى لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فالعزوبة له أولى فلا خير فيها يشغل عن الله ولا خير في كسب الحرام ولا ينفي بنقصان هذين الأمرين

مع نيته الخادم ينصل
الشيء الله تعالى والشيخ
يفعل الشيء الله تعالى والشيخ
في مقام القرين والخادم
في مقام الأبرار فيختار
الخادم البذل والإيثار
والإتفاق من الأعيار
للأغيار ووظيفة وقته
تصديه لخدمة عباد الله
وقبه يعرف الفضل
ورجحه على نوافله
وأعماله وقد يقيم من
لا يعرف الخادم من
الشيخ الخادم مقام
الشيخ وربما جهل
الخادم أيضا حال نفسه
فيحسب نفسه شيخة لقلة
العلم واندراست علوم
القوم في هذا الزمان
وقناعة كثير من
الفقراء من الشايخ
باللصقة دون العلم والحال
فكل من كان أكثر
إطعاما هو عندهم أحق
بالشيخة ولا يعلمون
أنه خادم وليس بشيخ
والخادم في مقام حسن
وحظ صالح من الله
تعالى . وقد ورد ما يدل
على فضل الخادم فيها

أمر الولد فإن النكاح لاولد سمي في طلب حياة للولد موهومة وهذا قصصان في الدين ناجز لحفظه
 لحياة نفسه وموطنها عن الهلاك أهم من السعي في الولد وذلك ربح والدين رأس مال وفي نساد الدين
 بطلان الحياة الأخروية وذهاب رأس المال ولا تقاوم هذه الفائدة إحدى هاتين الآتين وأما إذا
 انضاف إلى أمر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس إلى النكاح نظر فإن لم يقو لجسم التقوى
 رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له أولى لأنه متردد بين أن يقتحم الزنا أو يأكل الحرام والكسب
 الحرام أهون الشرين وإن كان يبقى بنفسه أنه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر
 عن الحرام فترك النكاح أولى لأن النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام والكسب يقع دائما
 وفيه عصيان وعصيان أهله والنظر يقع أحيانا وهو يخصه وينصرم على قرب والنظر زنا العين ولكن
 إذا لم يصدق الفرج فهو إلى الضو أقرب من أكل الحرام إلا أن يخاف إضناء النظر إلى مصبة الفرج
 فيرجع ذلك إلى خوف الفتنة وإذا ثبت هذا للحالة الثالثة وهو أن يقوى على غض البصر ولكن
 لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب أولى بترك النكاح لأن عمل القلب إلى الضو أقرب وإعما
 يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله وإطعامه فهكذا ينبغي أن توزن
 هذه الآفات بالفوائد ويحكم بحسبها ومن أحاط بهذا لم يشك عليه شيء مما قلنا عن السلف من
 ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه أخرى إذ ذلك بحسب الأحوال صحيح . فان قلت فمن أمن
 الآفات فما الأفضل له التخلي لعبادة الله أو النكاح ؟ فأقول يجمع بينهما لأن النكاح ليس مانعا من
 التخلي لعبادة الله من حيث إنه عقد ولكن من حيث الحاجة إلى الكسب فان قدر على الكسب
 الحلال فالنكاح أيضا أفضل لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلي فيه لعبادة الواظبة على
 العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرقا للأوقات بالكسب حتى لا يبق له وقت
 سوى أوقات السكينة والنوم والأكل وقضاء الحاجة فان كان الرجل يمن لا يملك سبيل الآخرة
 إلا بالصلاة النافلة أو الحج وما يجري مجراه من الأعمال البدنية فالنكاح له أفضل لأن في كسب الحلال
 والقيام بالأهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على أخلاق النساء أنواعا من العبادات لا يقصر فضلها
 عن نوافل العبادات وإن كان عبادته بالمع والفقير وسير الباطن والكسب يشترط عليه ذلك فترك
 النكاح أفضل . فان قلت فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وإن كان الأفضل التخلي
 لعبادة الله فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم من الأزواج . فأقول أن الأفضل الجمع بينهما في حق
 من قدر ومن قويت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ورسولنا عليه السلام أخذ بالقوة
 وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان مع تسع من النسوة ^(١) متخليا لعبادة الله وكان قضاء
 الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم
 عن التدبير حتى يشتغلوا في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مشغوفة بهمهمهم غير غافلة عن مهماتهم
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لملاؤ درجته لامتعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى
 فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته ^(٢) ومتى سلم مثل هذا النصب لغيره فلا يمد أن
 يغير السواقي مالا يغير البحر الحضم فلا ينبغي أن يقاس عليه غيره . وأما عيسى صلى الله عليه وسلم
 فانه أخذ بالحرم لانا القوة واحتاط لنفسه ولعل حاله كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل أو يتعذر

أنخيرنا الشيخ أبو زرعة
 ابن الحافظ أبي الفضل
 محمد بن طاهر للقدس
 عن أبيه قال أنا
 أبو الفضل محمد بن
 عبد الله القزويني قال
 حدثنا أبو الحسن محمد
 ابن الحسين بن داود
 العلوي قال حدثنا
 أبو حامد الحافظ قال
 حدثنا عباس بن محمد
 الدوري وأبو الأزهر
 قال حدثنا أبو داود قال
 ثنا سفيان عن
 الأوزاعي عن يحيى بن
 أبي كثير عن أبي سلمة
 عن أبي هريرة أن النبي
 صلى الله عليه وسلم أتى
 بطعام وهو بمكة
 الظهران فقال لأبي بكر
 وعمر كلا فقالا إنا
 صائمان فقال ارحلا
 لصاحبيكما اعملا
 لصاحبيكما ادنوا فكلوا
 يعني أنكما ضعفتما
 بالصوم عن الخدمة
 فاحتجنا إلى من
 يخدمكما فكلوا واخدما
 أنفسكما فالخادم يحرص
 على حيازة الفضل

(١) حديث جمعه صلى الله عليه وسلم بين تسع نسوة خ من حديث أنس وله من حديثه أيضا
 وهن إحدى عشرة (٢) حديث كان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته خ من حديث أنس
 بأم سلمة لا تؤدبني في عائشة فانه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة متكنن غيرها .

مما طلب الحلال أولاً يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة فأثر التخلي للعبادة وهم أعلم بأسرار أحوالهم وأحكام أعصارهم في طيب للكسب وأخلاق النساء وما على النكاح من غوائل النكاح وماله فيه ، ومهما كانت الأحوال متباعدة حتى يكون النكاح في بعضها أفضل وتركه في بعضها أفضل فحقناً أن نزل أفعال الأنبياء على الأفضل في كل حال والله أعلم .

(الباب الثاني فيما يرامى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد)

أما العقد فأركاناه وشروطه لينتقد ويفيد الحل أربعة : الأول إذن الولي فإن لم يكن فالسلطان . الثاني رضا المرأة إن كانت نيباً بالغا أو كانت بكراً بالغا ولكن زوجها غير الأب والجدة . الثالث حضور شاهدين ظاهري العدالة فإن كانا مستورين حكمنا بالانقضاء للحاجة . الرابع إيجاب وقبول متصل به بلفظ الإنكاح أو التزويج أو معناها الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج أو الولي أو وكيلهما . وأما آدابه فتقديم الخطبة مع الولي لا في حال عدم المرأة بل بعد انقضائها إن كانت معتدة ولا في حال سبق غيره بالخطبة إذ نهى عن الخطبة على الخطبة (١) ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالإيجاب والقبول فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة ويقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكرر الصداق معلوماً خفيفاً والتحميد قبل الخطبة أيضاً مستحب . ومن آدابه : أن يلقى أمر الزوج إلى سمع الزوجة وإن كانت بكراً فذلك أخرى وأولى بالألفة ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح فإنه أخرى أن يؤتم بينهما . ومن الآداب إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ، ومنها أن ينوي بالنكاح إقامة السنة وغض البصر وطاب الولد وسائر الموائد التي ذكرناها ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من أعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات قرب حتى يوافق الهوى قال عمر بن العزيز رحمه الله إذا وافق الحق الهوى فهو الزهد بالزنيان ولا يستحيل أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعاً مما ويستحب أن يعقد في المسجد وفي شهر شوال قالت عائشة رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبني في شوال (٢) . وأما النكوة فيعتبر فيها نوعان : أحدهما للحلل . والثاني لطيب العيشة وحصول المقاصد . النوع الأول ما يترقبه للحلل : وهو أن تكون خلية عن موانع النكاح والوانع تسعة عشر : الأول أن تكون منكوبة للغير . الثاني أن تكون معتدة للغير سواء كانت عدة وفاة أو طلاق أو وطء . شبهة أو كانت في استبراء وطء . عن ملك عين . الثالث أن تكون مرتدة عن الدين لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر . الرابع أن تكون مجوسية . الخامس أن تكون وثنية أو زنديقة لا تنسب إلى نبي وكتاب ومنهن المعتقدات لمذهب الإباضية فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقة مذهباً فاسداً يحكم بكفر معتقده . السادس أن تكون كاذبة قد دانت بدينهم بعد التبديل أو بعد مبث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بني إسرائيل فإذا عدت كلتا الحالتين لم يحل نكاحها وإن عدت النسب فقط ففيه خلاف . السابع أن تكون رقيقة والنكاح حراً قادراً على طول الحرية أو غير خائف من الموت . الثامن أن تكون كلها أو بعضها مملوكاً للنكاح ملك عين . التاسع أن تكون قريبة للزوج

(الباب الثاني فيما يرامى حالة العقد)

(١) حديث النبي عن الخطبة على الخطبة متفق عليه من حديث ابن عمر ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يترك الحاطب قبله وأبأن له (٢) حديث عائشة تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبني في شوال م .

فيقوصل بالكسب تارة وبالاسترقاق والدروزة تارة أخرى وباستجلاب الوقف إلى نفسه تارة لعله أنه قيم بذلك صالح لإيصاله إلى الوقوف عليهم ولا يبالى أن يدخل في كل مدخل لا يذمه الشرع لحيازة الفضل بالحكمة ورى الشيخ نفوذ البصرة وقوة العلم أن الاتفاق يحتاج إلى علم تام ومعاناة تخلص النية عن شوائب النفس والشهوة الخفية ولو خلصت تنته ما رغبت في ذلك لوجود مراده فيه وحاله ترك المراد وإقامة مراد الحق . أخبرنا أبو زرعة بإجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف بإجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن الحسين بن الحشاش يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجليلي يقول سمعت

بأن تكون من أصوله أو أصوله أو أصول أول أصوله أو من أول فصل من كل أصل بعده أصل وأبني لأصول الأمهات والجندات وبفصوله الأولاد والأحفاد وبفصول أول أصوله الإخوة وأولادهم وبأول فصل من كل أصل بعده أصل العمات والحالات دون أولادهن . العاشر : أن تكون محرمة بالرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الأصول والفصول كإسباق ولكن المحرم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم . الحادى عشر : المحرم بالمصاهرة وهو أن يكون النكاح قد نكح ابنتها أو جدتها أو ملك بعقد أو شبهة عقد [١] من قبل أو وطئن بالشبهة في عقد أو وطئ أمها أو إحدى جداتها بعقد أو شبهة عقد فجرد العقد على المرأة يحرم أمهاتها ولا يحرم فروعها إلا بالوطء أو يكون قد نكحها أبوه أو ابنه قبل . الثانى عشر : أن تكون النكوة خامسة أى يكون تحت النكاح أربع سواها إما فى نفس النكاح أو فى عدة الرجعة فإن كانت فى عدة يمتنع الخامسة . الثالث عشر : أن يكون تحت النكاح أختها أو عماتها أو خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى لم يحز بينهما النكاح فلا يجوز أن يجمع بينهما . الرابع عشر : أن يكون هذا النكاح قد طلقها ثلاثا فهي لا تحل له مالم يبطأها زوج غيره فى نكاح صحيح . الخامس عشر : أن يكون النكاح قد لاعنها فاتها تحرم عليه أبدا بعد الطلاق . السادس عشر : أن تكون محرمة بهج أو عمره أو كان الزوج كذلك فلا ينفق النكاح إلا بعد تمام التحلل . السابع عشر : أن تكون نثيا صغيرة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ . الثامن عشر : أن تكون بتيعة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ : التاسع عشر : أن تكون من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن توفى عنها أو دخل بها فأتى أمهات المؤمنين وذلك لا يوجد فى زماننا فهذه هى لأوانع المحرمة . أما الحصول اللطيفة للعيش التى لابد من مراعاتها فى المرأة ليعوم العقد وتوفر مقاصد ثمانية : الدين والحلق والحسن وخفة الهر والولادة والبركة والنسب وأن لا تكون قرابة قريبة . الأولى أن تكون صالحة ذات دين فهذا هو الأصل وبه ينبغي أن يقع الاعتناء فاتها إن كانت ضعيفة الدين فى صيانة نفسها وفوجها أرزت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالفجرة قلبه وتنقص بذلك عيشه فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل فى بلاء ومحنة وإن سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا إلى قلة الحمية والأئفة وإذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها أشد إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالذى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله إن لى امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها فقال إني أحبها قال أمسكها (١) وإنا أمره بامساكها خوفا عليه بأنه إذا طاقها أتبعها نفسه وفسده هو أيضا معها فرأى ما فى دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله أو بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فإن سكنت ولم ينكره كان شريكا فى المصيبة مخالفا لقوله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - وإن أنكره وخاصم تنقص العمر ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التحريض على ذات الدين فقال « تنكح المرأة لما لها وجمالها وحسبها

(١) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لى امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها الحديث د ن من حديث ابن عباس قال ن ليس ثابت والرسول أولى بالصواب وقال أحمد حديث منكرو وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

[١] قوله أو ملك بعقد أو شبهة عقد ليس بنسخة الشارح وهو الصواب لأن للملك ليس من المحرمات اه .

السرى يقول أعرف طريقا مختصرا قصدا إلى الجنة فقلت له ماهو قال لاتسأل من أحد شيئا ولا تأخذ من أحد شيئا ولا يكن معك شيء تعطى منه أحدا شيئا والحادى برى أن من طريق الجنة الخدمة والبذل والإيثار فيقدم الخدمة على التواضع ويرى فضلها وللخدمة فضل على النافلة التى يأتى بها العبد طالبها التواب غير النافلة التى يتوخى بها صحة حاله مع الله تعالى لوجود تعد قبل وعد . وهما يدل على فضل الخدمة على النافلة ما أخبرنا أبو زرعة قال أخبرني والذى الحافظ القدسي قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد السمسار بأصفهان قال أنا إبراهيم بن عبد الله ابن خريشيد قال حدثنا الحسين بن إسماعيل الماهلى قال

ودينها ففليك بذات الدين تربت يداك^(١)» وفي حديث آخر «من نسكح المرأة لمالها وجمالها حرم جمالها ومالها ومن نسكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يردنها ولا لمالها فلعل مالها يبطئها وانكح المرأة لدينها^(٣)» وإعنا بالغ في الحث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عوناً على الدين فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له. الثانية حسن الخلق وذلك أصل مهم في طلب القرابة والاستعانة على الدين فانها إذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة لنعم كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يتحتم به الأولياء قال بعض العرب : لا تنكحوا من النساء مثلاً لأننا نؤلف لمانته ولا نخافه ولا تنكحوا أحداً قهراً ولا رقة ولا شدة. أما الأمانة فهي التي تكثر الأئین والتشكي وتصب رأسها كل ساعة فكساح للمرأة أو نكاح للمرأة لا خير فيه ، وللمانة التي تمنى على زوجها تقول لفلانك كذا وكذا ، والحنانة التي تمنى على زوجها آخر أو ولدها من زوجها آخر وهذا أيضاً مما يجب اجتنابه ، والحدافة التي ترمى إلى كل شيء بحقدتها تقتضيه وتكلف الزوج شراره ؛ والبراقة تحمل معنيين أحدهما أن تكون طول النهار تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق يحصل بالصنع والثاني أن تنصب على الطعام فلا تأكل إلا لوحدها وتستقل نصيبها من كل شيء وهذه لفة عناية يقولون برقت للمرأة وبرق الصبي الطعام إذا غضب عنده ، والشداقة للتشدة الكثرة الكلام ومنه قوله عليه السلام « إن الله تعالى يفيض الثرائين للتشدين^(٤) » وحكى أن السامع الأزدى لقي إلياس عليه السلام في سياحته فأمره بالزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح أرباً المختلة والمبارية والعاهرة والناسخ ، فأما المختلة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب ، والمبارية للباهية بغيرها للفاخرة بأسباب الدنيا ، والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخذلن وهي التي قاله تعالى - ولا تتخذوا خدان - والناسخ التي تملو على زوجها بالفعال واللفظ والنشر العالي من الأرض ، وكان على رضى الله عنه يقول : شر خصال الرجال خبر خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم كل أحد بكلام لين مرعب وإذا كانت جبانة فرتت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها فهذه الحكايات ترشد إلى مجامع الأخلاق المطلوبة في النكاح . الثالثة حسن الوجه فذلك أيضاً مطلوب إذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفى بالدمية غالباً كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يفتقران وما قلناه من الحث على الدين وأن المرأة لا تنكح لجمالها ليس زاجراً عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الأمر يرغب في النكاح ويهون أمر الدين ويدل على الالتفات إلى

(١) حديث تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها ففليك بذات الدين مشق عليه من حديث أنى هريرة (٢) حديث من نسكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس من تزوج امرأة لم يزده الله إلا ذلاً ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يردنها إلا أن يفض بصره ويحسن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه ورواه حب في الضعفاء (٣) حديث لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يردنها . من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٤) حديث إن الله يفيض الثرائين للتشدين وحسنه من حديث جابر وإن أفضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرائون وللتشديقون ، ولأبي داود والترمذى وحسنه من حديث عبد الله بن عمرو إن الله يفيض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقية بلسانها .

ثنا أبو السائب قال
ثنا أبو معاوية قال
ثنا غاصم عن موريق
عن أنس قال كنا مع
رسول الله صلى الله
عليه وسلم لنا الصائم
ومنا للقطر فزنا منزلاً
في يوم حار شديد
الحر لنا من يتقى
الشمس يده
وأكثرنا ظلاً صاحب
السكاء يستظل به
فنام الصائمون وقام
المفطرون ففرضوا
الأبنية وسقوا الركاب
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «ذهب
للفطرون اليوم بالأجر»
وهذا حديث يدل على
فضل الخدمة على النافعة
والخادم له مقام عزيز
يرغب فيه فأما من
لم يعرف تخليص النية
من شوائب النفس
ويتشبه بالخادم
ويتصدى لخدمة
الفقراء ويدخل في
مداخل الخدام بحسن
الارادة يطلب الناسى
بالخدام فتصكون

معنى الجمال أن الأنف والمودة تحصل به غالباً وقد نذب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر قال « إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما ^(١) » أي يؤلف بينهما من وقوع الألفة على الألفة وهي الجملة الباطنة والبشرة الجملة الظاهرة وإنما ذكر ذلك للبالغة في الائتلاف وقال عليه الصلاة والسلام « إن في أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن ^(٢) » قبل كان في أعينهن عصى وقيل صفر وكان بعض الورعين لا يتكلمون كراهم إلا بعد النظر احترازاً من الغرور وقال الأعمش كل تزوج يقع على غير نظر فأخبره ثم وغم ومعلوم أن النظر لا يعرف الحلق والدين والمال وإنما يعرف الجمال من القبح وروى أن رجلاً تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فحصل خضابه فاستمدى عليه أهل المرأة إلى عمر وقالوا حسبنا شاباً فأوجه عمر ضرباً وقال غررت القوم وروى أن بلالاً وصهيباً أتيا أهل بيت من العرب غطبا إليهم فقبل لهما من أتما قال بلال أنا بلال وهذا أخى صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا غلو كين فأعفانا الله وكنا غائلين فأغفانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وإن تردونا فسيحان الله قالوا بل تزوجا والحمد لله قال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسواجتنا مع رسول الله ﷺ قال اسكت قد صدقت فأحكك الصدق ، والورور يقع في الجمال والحلق فيما يستحب إزالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الحلق بالوصف والاستيفاء فيبني أن يقدم ذلك على النكاح ولا يوصف في أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يعلل إليها فيفرض في التواء ولا يحسدها فيفسر فالطباع مائلة في مبادئ النكاح ووصف النكوحات إلى الإفراط والتفريط وقل من يصدق فيه يقتصد بل الحداد والغراء أغلب والاحتياط فيه مهم لمن يغشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته . فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة أو الولد أو تدبير المنزل فهو رغب عن الجمال فيؤلى الزهد أقرب لأنه على الجملة باب من الدنيا وإن كان قديمين على الدين في حق بعض الأشخاص قال أبو سليمان الداراني الزهد في كل شيء حتى في المرأة يتزوج الرجل العجوز إثارة للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول يترك أحدكم أن يتزوج بتيمة فيؤجر فيها إن أطعمها وكساهما تكون خفيفة المونة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني أبناء الدنيا فتشبه على الشهوات وتقول كسى كذا وكذا واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها وكانت أختها جميلة فسأل من أعقلها فقيل العوراء فقال زوجوني بإياها فهذا دأب من لم يقصد التمتع ، فأما من لا يأمن على دينه مالم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حصن للدين . وقد قيل إذا كانت المرأة حسنة خيرة الأخلاق سوداء الحدة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون عجة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فإن الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة في قوله - خيرات حسان - أراد بالخيرات حسنات الأخلاق وفي قوله - قاصرات الطرف - وفي قوله - عرباً آراباً - العروب هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقوع وبه تم اللذة والحور البياض والحوراء شديدة البياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر والعين الواسعة العين . وقال عليه الصلاة والسلام « خير نساءكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب

خدمته مشوبة منها ما يصيب فيها لموضع إيمانه وحسن إرادته في خدمة القوم ومنها ما لا يصيب فيها لما فيه من مزج الهوى فيضع الشيء في غير موضعه وقد يخنم بهواه في بعض تصاريفه ويغتم من لا يستحق الخدمة في بعض أوقاته ويجب الخدمة والتناء من الحلق مع ما يجب من التوابورضاً الله تعالى وربما خدم للتناء وربما امتنع من الخدمة لوجود هوى يخامرهم في حق من يلقاه بكمروه ولا يراعى واجب الخدمة في طرق الرضا والتضبط لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى والخادم لا يتبع الهوى في الخدمة في الرضا والتضبط ولا يأخذ في الله لومة لائم ويضع الشيء موضعه فإذا الشخص الذي وصفناه آتفا متخادماً وليس بخادماً ولا يميز بين

(١) حديث إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما ابن ماجه بسند ضعيف من حديث أحمد بن مسleme دون قوله فإنه أحرى ولا يرمذى وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبه أنه خطب امرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما (٢) حديث إن في أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن مسلم من حديث أبي هريرة نحوه .

عنها حفظته في نفسها وماله^(١) » وإنما يسر بالنظر إليها إذا كانت محبة للزوج . الرابعة أن تكون خفيفة الظهر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا^(٢) » وقد نهى عن الغلالة في المهر^(٣) تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحي يد وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف^(٤) ، وأولم على بعض نسائه بدين من شعير^(٥) وعلى أخرى بدين من تمر ومدين من سويق^(٦) ، وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن الغلالة في الصداق ويقول ماتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربع مائة درهم^(٧) ولو كانت الغلالة بمهور النساء مكربة لسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تزوج بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم^(٨) وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبي هريرة رضى الله عنه على درهمين ثم حملها هو إليه ليلا فأدخلها هومن الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة أيام فلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج عن خلاف العلماء فلا بأس به وفي الخبر « من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رجوعها » أي الولادة ويسر مهرها^(٩) وقال أيضا « أبركهن أقلهن مهرا^(١٠) » وكانت كرم الغلالة في المهر من جهة المرأة

(١) حديث خير نسائك التي إذا نظر إليها زوجها سرته وإن أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله النسائي من حديث أبي هريرة نحوه بسند صحيح وقال ولا تخافه في نفسها ولا مالها وعند أحمد في نفسها وماله ولأبي داود نحوه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٢) حديث خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا ابن حبان من حديث ابن عباس خيرهن أيسرهن صداقا وله من حديث عائشة من بين المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقتها وروى أبو عمر التوفاني في كتاب معاشرته الأهليين إن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن مهرا وصححه (٣) حديث النبي عن الغلالة في المهر أصحاب السنن الأربعة موقوفا على عمر وصححه الترمذي (٤) حديث تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحي يد وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف أبو داود الطيالسي والبخاري من حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم قال البخاري ورأيت في موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورعى قيمته أربعون درهما ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد وكلاهما ضعيف ولأحمد من حديث علي لما تزوجه فاطمة بنت معن بمخيلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحين وسقاء وجرتين ورواه الحاكم وصححه إسناده وابن حبان مختصرا (٥) حديث أولم على بعض نسائه بدين من شعير البخاري من حديث عائشة (٦) حديث وأولم على أخرى بدين تمر ومدى سويق الأربعة من حديث أنس أولم على صفية بسويق وتمر وسلم فجعل الرجل يجيء بفضل التمر وفضل السويق وفي الصحيحين التمر والأفط والسمن وليس في شيء من الأصول تفيد التمر والسويق بدين (٧) حديث كان عمر ينهى عن الغلالة ويقول ماتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربع مائة درهم الأربعة من حديث عمر قال الترمذي حسن صحيح (٨) حديث تزوج بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم متفق عليه . من حديث أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على ذلك وتقويعها بخمسة دراهم رواه البيهقي (٩) حديث من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رجوعها أي الولادة وتيسر مهرها أحمد والبيهقي من حديث عائشة من بين المرأة أن تيسر خطبتها وأن تيسر صداقتها وأن تيسر رجوعها قال عروة يعني الولادة وإسناده جيد (١٠) حديث أبركهن أقلهن مهرا أبو عمر التوفاني في معاشرته الأهليين من حديث عائشة إن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن مهرا وقد تقدم ولأحمد والبيهقي أن أعظم النساء بركة أيسرهن

الحامد والمتخادم إلا من له علم بصحة الثبات وتخليصها من شوائب الهوى والتخادم النجيب يبلغ ثواب الحامد في كثير من تصاريفه ولا يبلغ رتبته لتخلفه عن حاله بوجود مزج هواه وأما من أقيم لخدمة الفقراء بتسليم وقف إليه أو توفير رفق عليه وهو يخدم لمنال يصيه أو حظ عاجل يدركه فهو في الخدمة لنفسه لانه يرد فلا يقطع رفته ما خدم وربما استخدم من يخدم فهو مع حظ نفسه يخدم من يخدمه ويحتاج إليه في المحافل يشكره ويقم به جاء نفسه بكرة الأتباع والأشباع فهو خادم هواه وطالب دنياه يحرص نهاره وليله في تحصيل ما يقم به جاهه وبرضى نفسه وأهله وولده فيتسع في الدنيا ويتزنا بغير زى الخدام والفقراء وتنتشر نفسه

فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل ولا ينبغي أن ينكح طمعا في المال قال الثوري إذا تزوج وقال أى شيء للمرأة فأعلم أنه لئس وإذا أهدى إليهم فلا ينبغي أن يهدى ليضطرم إلى القابلة أكثر منه وكذلك إذا أهدوا إليه فنية طلب الزيادة نية فاسدة فأما التهادي فمستحب وهو سبب للمودة قال عليه السلام «تهادوا تعابوا» (١) «وأما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى - ولا تحنن تستكثر - أى تعطى لتطلب أكثر وتحت قوله تعالى - وما آتيتن من رب ليربو في أموال الناس - فإن الربا هو الزيادة وهذا طلب زيادة على الجملة وإن لم يكن في الأموال الربوية فكل ذلك مكروه. وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح. الخامسة أن تكون المرأة ولودا فإن عرفت بالعقر فليحتج عن تزوجها قال عليه السلام «عليكم بالولود والودود» (٢) «فإن لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فبرأى عنها وشبابها فانها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين. السادسة أن تكون بكرًا قال عليه السلام لجابر «وقد نكح ثيبا» هلا بكراتلاعها وتلاعبك» (٣) «وفي البكارة ثلاث فوائد إحداها أن تحب الزوج وتأنفه فيؤثر في معنى الولد وقد قال عليه السلام «عليكم بالودود» والطباع مجبولة على الأس بأول ما لوف. وأما التي اختبرت الرجال ومارست الأحوال فربما لاترضى بعض الأوصاف التي تخالف ما ألفتته فتقتل الزوج. الثانية أن ذلك أكل في مودته لها فإن الطبع ينفر عن القيسر غير الزوج فقرة ما وذلك يشغل على الطبع مهمات ذكر وبعض الطباع في هذا أشد تقورا. الثالثة أنها لاتحن إلى الزوج الأول وأكدا الحلب ما يقع مع الحبيب الأول غالبا: السابعة أن تكون نسيبة أعنى أن تكون من أهل بيت الدين والصالح فاتهاستري بناتها وبنيها فإذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية ولذلك قال عليه السلام «ياكم وخضراء الدمن قليل ما خضراء الدمن قال المرأة الحسنة في اللبث السوء» (٤) «وقال عليه السلام» تخيروا لطفكم فإن العرق نزاع» (٥) «. الثامنة أن لاتكون من القرابة القريبة فإن ذلك يقلل الشهوة قال صلى الله عليه وسلم «لاتنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يحاق مناويا» (٦) «أى نحيفا وذلك لتأثيره في تضعيف الشهوة فإن الشهوة إنما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس وإنما يقوى الاحساس بالأمر الغريب الجديد فأما المهور الذي دام النظر إليه مدة فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه وتأثيره به ولا تنبعث به الشهوة فهذه هي الحاصل المرغوبة في النساء ويجب على الولي أيضا أن يراعى خصال الزوج ولينظر لكرهيته فلا يزوجه ممن ساء خلقه أو خلقه أضعف دينه أو قصر عن القيام بحقوقها أو كان لا يكتفيها

صدقا وإسناده جيد (١) حديث تهادوا تعابوا البخاري في كتاب الأدب المفرد والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند جيد (٢) حديث عليكم بالودود والودود أبو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار تزوجوا الودود والودود وإسناده صحيح (٣) حديث قال جابر «وقد نكح ثيبا هلا بكراتلاعها وتلاعبك متفق عليه من حديث جابر (٤) حديث ياكم وخضراء الدمن قليل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسنة في اللبث السوء الدارقطني في الأفراد والرامهرمزي في الأمثال من حديث أبي سعيد الخدري قال الدارقطني تفرد به الواقدي وهو ضعيف (٥) حديث تخيروا لطفكم فإن العرق دحاس ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا دون قوله فإن العرق وروى أبو بصير الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دحاس وروى أبو موسى الندي في كتاب تضييع العمروالأيام من حديث ابن عمر وانظر في أى صواب تضع ولدك فإن العرق دحاس وكلاهما ضعيف. (٦) حديث لاتنكحوا القرابة فإن الولد يحاق مناويا قال ابن الصلاح لم أجده أصلا معتمدا. قلت إنما يعرف من قول عمر إنه قال لآل السائب قد أنصونيتم فالتكحوا في النوابيع رواه إبراهيم الحاربي في غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الغرائب قال ويقال اغربوا ولا تنصوا.

بطلب المحظوظ ويستولى عليه حب الرئاسة وكلما كثرت ماله كثرت مواد هواه واستطال على الفقراء ويحوج الفقراء إلى التعلق بالفرط له تطلبا لرضاء وتوقيا لضيمه وميله عليهم بقطع ما يوجبهم من الوقف فهذا أحسن حاله أن يسمى مستخدما فليس بخادم ولا متخادما ومع ذلك كله ربما نال برحمتهم باختياره خدمتهم على خدمة غيرهم وبإتائه إليهم وقد أوردنا الخبر السند الذي في سياقه هم القوم الذي لا يشقى بهم جليهم» والله الموفق والمعين.

[الباب الثاني عشر في شرح خرقه الشايخ الصوفية]

ليس الخرقه ارتباط بين الشيخ وبين المريد ونعكس من المريد للشيخ في نفسه والتحكيم سائق في الشرع لصالح دنيوية

في نسبها قال عليه السلام « النكاح رقي فليظن أحدكم أين يضع كريمة ^(١) » والاحتياط في حقها أم لأنها رقيقة بالنكاح لا يخلص لها الزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته ظالما أو فاسقا أو مبتدعا أو شاربا خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها ؟ قال بمن يتقى الله فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها وقال عليه السلام « من زوج كريمة من فاسق فقد قطع رحمها ^(٢) » .

الباب الثالث : في آداب العائشة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيها على الزوجة .

أما : الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والأدب في اثني عشر أمرا في الوليمة والعائشة والدعابة والسباسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتأديب في الشوز والوقاع والولادة والمفارقة بالطلاق . الأدب الأول الوليمة وهي مستحبة قال أنس رضي الله عنه « رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أثر صفرة فقال ماهذا فقال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أو لم ولوبشاة ^(٣) » وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بتمر وسويق ^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث معمة ومن مع مع الله به ^(٥) » ولم يفهمه إلا زياد ابن عبد الله وهو غريب وتستحب تهنئته فيقول من دخل على الزوج : بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير ^(٦) وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام أمر بذلك ويستحب إظهار النكاح قال عليه السلام « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت ^(٧) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف ^(٨) » وعن الربيع بنت معوذ قالت « جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة بني في جلس على فراشي وجواري لنا يضربن بدفهن ويندن من قتل من آبائي إلى أن قالت إحداهن * فينا نبى يعلم ما في غد * فقال لها اسكتي عن هذه وقولي الذي كنت تقولين قبلها ^(٩) » . الأدب الثاني : حسن الخلق معهن

(١) حديث النكاح رقي فليظن أحدكم أين يضع كريمة رواه أبو عمر التوفاني في معايشة الأهليين موقوفا على عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر . قال البيهقي . وروى ذلك مرفوعا والموقوف أصح (٢) حديث من زوج كريمة من فاسق فقد قطع رحمها ابن جبان في الضعفاء من حديث أنس ورواه في الثقات من قول الشعبي باسناد صحيح .

(الباب الثالث في آداب للعائشة)

(٣) حديث أنس رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف أثر الصفرة فقال ماهذا قال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أو لم ولو بشاة متفق عليه (٤) حديث أولم على صفية بسويق وتمر الأربعة من حديث أنس والمسلم نحوه وقد تقدم (٥) حديث طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث معمة ومن مع مع الله به قال المصنف لم يفهمه إلا زياد بن عبد الله قلت هكذا قال الترمذي بعد أن أخرجه من حديث ابن مسعود وضعفه (٦) حديث أبي هريرة في تهنئة الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وتقدم في الدعوات (٧) حديث فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب (٨) حديث أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف الترمذي من حديث عائشة وحسنه وضعفه البيهقي (٩) حديث الربيع بنت معوذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على غداة بني في جلس على فراشي وجواري لنا يضربن بدفوهن الحديث رواه البخاري وقال يوم بدر وقع في بعض نسخ الإحياء يوم يمات وهو وهم .

فإذا ينكر النكر
لللبس الحرقة على طالب
صادق في طلبه يتقصد
شيئا بحسن ظن
وعقيد يحكمه في نفسه
لصالح دينه يرشده
ويهديه ويرفه طريق
الواجب ويصره
بآفات النفوس وفساد
الأعمال ومداخل
الصدو فيسلم نفسه
إليه ويستسلم رأيه
واستصوابه في جميع
تصرفه فيلبسه الحرقة
إظهارا للتصرف فيه
فيكون لبس الحرقة
علامة التفويض
والتسليم ودخوله في
حكم الشيخ دخوله
في حكم الله وحكم رسوله
وإحياء سنة المأبئة
مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم . أخبرنا
أبو زرعة قال أخبرني
والذي الحافظ المقدسي
قال أنا أبو الحسين
أحمد بن محمد البزار
قال أنا أحمد بن محمد
أخي ميمى قال ثنا يحيى
ابن محمد بن صاعد

واحتال الأذى منهن ترهما عليهن لقصور عقلمن قال الله تعالى - وعاشروهن بالمعروف - وقال في تعظيم حقهن - وأخذن منكم ميثاقا غليظا - وقال - والصاحب بالجنب - قيل هي المرأة «وآخر ما وصي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول: الصلاة الصلاة وماملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان في أيديكم يعني أسراهن أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ^(١)» وقال عليه السلام «من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون ^(٢)» . واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كلف الأذى عنها بل احتال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل ^(٣) وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال أراجيني بالكساء قالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك ^(٤) فقال عمر خابت حفصة وخسرت إن راجعته ثم قال لحفصة لا تقري بأبنة ابن أبي قحافة فاتها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وروى أنه دفعت إحداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال عليه السلام دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك ^(٥) وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلها بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين أو أتكلم فقالت بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا فطمعها أبو بكر حتى دى فوها وقال بإعديتها نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم تدعك لهذا ولا أردنا منك هذا ^(٦) وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي زعم أنك نبي الله فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حذرا وكrema ^(٧)

(١) حديث آخر ما وصي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة والصلاة وماملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان عندكم الحديث النساء في الكبرى وابن ماجه من حديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو في اللوت جعل يقول الصلاة وماملكت أيمانكم فما زال يقولها وما يقبض بها لسانه وأما الوصية بالنساء فالمعروف أن ذلك كان في حجة الوداع رواء مسلم من حديث جابر الطويل وفيه فالتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله الحديث (٢) حديث من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث كان أزواجه صلى الله عليه وسلم يراجعنه الحديث وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل متفق عليه من حديث عمر في الكلام فقال أراجيني بالكساء قالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك الحديث هو الحديث الذي قبله وليس فيه قوله بالكساء ولا قولها هو خير منك (٤) حديث دفعت إحداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال صلى الله عليه وسلم دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك لم أقف له على أصل (٥) حديث جرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخل بينهما أبا بكر حكما الحديث الطبراني في الأوسط والخطيب في التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف (٦) حديث قالت له عائشة مرة غضبت عنده وأنت الذي زعم أنك نبي فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى في مسنده وأبو الشيخ في كتاب الأمثال من حديث عائشة وفيه ابن إسحاق وقد عنعنه .

قال ثنا عمرو بن علي ابن حفظة قال سمعت عبد الوهاب الثقفى يقول سمعت يحيى ابن سعيد يقول حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال أخبرني أبي عن أبيه قال «يا بنارسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في السر واليسر والنشط والكسر وأن لا تنازع الأمر أهله وأن تقول بالحق حيث كنا ولا نخاف في الله لومة لائم» ففي الحرقة معنى البايعة والحرقة عتبة الدخول في الصلابة والقصود الكلى هو الصلابة وبالصلابة يرجى للبريد كل خير . وروى عن أبي يزيد أنه قال من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان . وحكى الأستاذ أبو القاسم القشيري عن شيخه أبي علي الدقاق أنه قال الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس

وكان يقول لها إني لأعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه؟ قال إذا رضيت قلت لا وإله محمد وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم قالت صدقت إنما أهدر اسمك (١) ويقال إن أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها (٢) وكان يقول لها كنت لك كأي زرع لأم زرع غير أني لأطلقك (٣) وكان يقول لنسائه «لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها» (٤) وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان (٥). الثالث أن يزيد على احتمال الأذى بالمداغة والمزج والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله ﷺ يمزج معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوما وسبقته في بعض الأيام فقال عليه السلام هذه بتلك (٦) وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع نسائه (٧) وقالت عائشة رضي الله عنها «سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله ﷺ أعجبين أن ترى لعبهم؟ قالت قلت نعم فأرسل إليهم فجاهوا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومديده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حيك وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا ثم قل يا عائشة حيك فقلت نعم فأشار إليهم فانصرفوا (٨) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكل المؤمن إيماناً أحسنهم خلقاً وأطعمهم بأهله» (٩) وقال عليه السلام «خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي» (١٠)

(١) حديث كان يقول لعائشة إني لأعرف غضبك من رضاك الحديث متفق عليه في حديثها .
(٢) حديث أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم عائشة الشبان من حديث عمرو بن العاص أنه قال أني الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة الحديث وأما كونه أول فرواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أنس ولعله أراد بالمدينة كما في الحديث الآخر أن ابن الزبير أول مولود ولد في الإسلام يريد بالمدينة وإلا فجة التي صلى الله عليه وسلم لخديجة أمر معروف يشهد له الأحاديث الصحيحة (٣) حديث كان يقول لعائشة كنت لك كأي زرع لأم زرع غير أني لأطلقك متفق عليه من حديث عائشة دون الاستثناء ورواه بهذه الزيادة الزبير بن بكار والحطيب (٤) حديث لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها البخاري من حديث عائشة (٥) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان منسلف بلفظ ما رأيت أحدا كان أرحم بالعباد من رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد على ابن عبد العزيز والبغوي والصبيان (٦) حديث مسابقة صلى الله عليه وسلم لعائشة فسبقته ثم سبقها وقال هذه تلك أبوداود والنسائي من الكبرى وابن ماجه في حديث عائشة بسند صحيح (٧) حديث كان من أفكه الناس مع نسائه الحسن بن سفيان في مسنده من حديث أنس دون قوله مع نسائه ورواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط فقالا مع من وفي إسناده ابن أبي عمير (٨) حديث عائشة سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجبين أن ترى لعبهم الحديث متفق عليه مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء وإنما قال يوم عيد ودون قولها أبكت وفي رواية للنسائي في الكبرى . قلت لا تمجل مرتين وفيه فقال بإحرامه وسنده صحيح (٩) حديث أكل المؤمن إيماناً أحسنهم خلقاً وأطعمهم بأهله الترمذي والنسائي واللفظ له والحاكم وقال رواه ثقات على شرط الشيخين (١٠) حديث خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا خيركم لنسائي وله من حديث عائشة وصححه خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم.

فانها تودق ولا تشر وهو كما قال ويجوز أنها تشر كالأشجار التي في الأودية والجبال ولكن لا يكون لها كهنتها طعم فاكهة البساتين والقرس إذا نقل من موضع إلى موضع آخر يكون أحسن حالا وأكثر ثمرة لدخول التصرف فيه وقد اعتبر الشرع وجود التلميع في الكلب المعلم وأحل ما يقتله بخلاف غير المعلم . وضعت كثيرا من الشايخ يقولون من لم يرفلح لا يفلح ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا الله عليه وسلم تلقوا العلوم والآداب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى عن بعض الصحابة «علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء» حتى الخرافة «فالريد الصادق إذا دخل تحت

وقال عمر رضي الله عنه مع خشوته ينفى للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ماعنده وجد رجلا . وقال لقمان رحمه الله ينفى للعافل أن يكون في أهله كالصبي وإذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر المروي « إن الله يفض الجعظري الجواظ ^(١) » قيل هو الشديد على أهله للتكبر في نفسه وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى عتلى قيل العتلى هو الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله . وقال عليه السلام لجابر « هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك ^(٢) » ووصفت أعرابية زوجها وقدمات فقالت والله لقد كان ضحوكا إذا ولح سكينتا إذا خرج آكلا ما وجد غير مسائل عما فقد . الرابع : أن لا يتيسر في الدعابة وحسن الخلق والواقعة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيئته عندها بل يراعى الاعتدال فيه فلا يدع الهية والانتباه من رآى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على النكرات أثبتة بل مهما رأى ما يخالف الشرع والروءة تتمر وامتنع قال الحسن وأق الله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيأتموى إلا بكه الله في النار . وقال عمر رضي الله عنه خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة وتقبل شاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه السلام « نفس عبد الزوجة ^(٣) » وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها في هواها فهو عبيدها وقد نفس فإن الله ملكه المرأة فملكها نفسه فمدعكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال - ولأمرنهم فليغيرن خلق الله - إذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعها وقد ممي الله الرجال قوامين على النساء ومضى الزوج سيدا فقال تعالى - وألقيا سيدها لدى الباب - فإذا اقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس المرأة على مثال نفسك إن أرسلت غنائها قليلا جمحت بك طويلا وإن أرخت عذارها قرأ جذبتك ذراعاً وإن كبتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها . قال الشافعي رضي الله عنه : ثلاثة إن أكرمهم أهانوك وإن أهنتهم أكرموك المرأة والخادم والنبطي أراد به إن محضت الإكرام ولم تخرج غلظك بليتك وفظاظتك برفقك وكانت نساء العرب يعلن بناتهن اختيار الأزواج وكانت المرأة تقول لا بقتها اختبري زوجك قبل الإقدام والجراءة عليه انزعى زوج رحمه فان سكت قطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسرى العظام بسننه فان سكت فاجعلى الا كاف على ظهره وامطيئه فانما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والأرض فكل ما جاوز حده انعكس على ضده فينبى أن تسلك سبيل الاعتصام في المخالفة والواقعة وتنبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن فان كدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن إلا بنوع لطف بمزوج بسياسة . وقال عليه السلام « مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل العراب الأعصم بين مائة غراب ^(٤) » والأعصم يعنى الأبيض البطن وفي وصية لقمان لابنه يابى اتقى المرأة السوء فانها تشبيك

(١) حديث إن الله يفض الجعظري الجواظ أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو في الصحيحين من حديث جارية بن وهب الخزاعي بلفظ ألا أخزكم بأهل النار كل عتلى جواظ مستكبر ولأبي داود لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري (٢) حديث قال لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك متفق عليه من حديثه وقد تقدم (٣) حديث نفس عبد الزوجة لم أقفله على أصل والمعروف نفس عبد الدينار وعبد الدرهم الحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة (٤) حديث مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل العراب الأعصم من مائة غراب الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف ولأحمد من حديث عمرو بن العاص كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بم الظهران فإذا بفرمان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار فقال لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هاء الغراب وإنسانه صحيح وهو في السنن الكبرى للنسائي .

حكم الشيخ وصحه وتأديب بأدابه بسرى من باطن الشيخ حال إلى باطن المرید كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح باطن المرید ويكون مقال الشيخ مستودع نفائس الحال وينقل الحال من الشيخ إلى المرید بواسطة الصحة وصحاح المقال ولا يكون هذا إلا لمرید حضر نفسه مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه وفي في الشيخ بترك اختيار نفسه قبل تألف الإلهي بصير بين صاحب والصاحب استزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة القلبية ثم لا يزال المرید مع الشيخ كذلك متأديبا بترك الاختيار حتى يرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ

قبل الشيب وأنق شرار النساء فانهن لا يدعون إلى خير ولكن من خيارهن على حذر . وقال عليه السلام «استعينوا من القوار الثلاث^(١)» وعده منهن المرأة سوء فانها الشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر «إن دخلت عليها سنك وإن غبت عنها خاتك» وقد قال عليه السلام في خيرات النساء «انكن صواحبات يوسف^(٢)» يعني أن صرفكن أبا بكر عن التقدم في الصلاة ميل متكن عن الحق إلى الهوى وقال الله تعالى حين أنشئ سر رسول الله صلى الله عليه وسلم إن توبا إلى الله فقد صفت قلوبكما أي مالت وقال ذلك في خير أزواجه^(٣) وقال عليه السلام «لا يفلح قوم تملكنهم امرأة^(٤)» وقد زبر عمر رضي الله عنه امرأته لما راجته وقال ما أنت إلا لعبة في جانب البيت إن كانت لنا إليك حاجة وإلا جلست كما أنت فاذن فبين شر وفيه نصف فالسياسة والحشونة علاج الشر وللطامة والرحمة علاج الضعف والطبيب الحاذق هو الذي يقدّر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل أولا إلى أخلاقها بالتجربة ثم يعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها . الخامس : الاعتدال في البيرة وهو أن لا يتغافل عن مبادئ الأمور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في إساءة الظن والتعنّت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء^(٥) وفي لفظ آخر أن تبغ النساء ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا النساء ليلا تخالفه رجلان فسبقا فرأى كل واحد في منزله ما يكره^(٦) وفي الخبر للشهور «المرأة كالضلع إن قومتها كسرتة فدعه تستمتع به على عوج^(٧)» وهذا في تهذيب أخلاقها وقال عليه السلام «إن من البيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية^(٨)» لأن ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فان بغض الظن إثم وقال على رضي الله عنه لا تكثر البيرة على أهلك فترى بالسوء من أجلك وأما البيرة في محلها فلا بد منها وهي محمودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يبار للؤمن يبار وغيره الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن من محرم عليه^(٩)» وقال عليه السلام «أتعجبون من غيرة سعد أنا والله أغبر منه والله أغبر مني^(١٠)»

(١) حديث استعينوا من القوار الثلاث وعدمهن المرأة سوء فانها الشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر ان دخلت عليها سنك وإن غبت عنها خاتك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف واللفظ الآخر رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد ثلاث من القوار وذكر منها وامرأة إن حضرت أدتكم وإن غبت عنها خاتك وسنده حسن (٢) حديث إنكن صواحبات يوسف متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث نزول قوله تعالى إن توبا إلى الله فقد صفت قلوبكما في خير أزواجه متفق عليه من حديث عمر والمرأتان عائشة وحفصة (٤) حديث لا يفلح قوم تملكنهم امرأة البخاري من حديث أبي بكر نحوه (٥) حديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء الطبراني في الأوسط من حديث جابر نهى أن تطلب عورات النساء والحديث عند مسلم بلفظ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلا يخونهم أو يطلب عوراتهم واقتصار البخاري منه على ذكر النهي عن الطروق ليلا (٦) حديث أنه قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا أهلكم ليلا تخالفه رجلان فسميا إلى منازلهما فرأى كل واحد في بيته ما يكره أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد (٧) حديث المرأة كالضلع إن أردت تقبحه كسرتة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر ابن عتيك (٩) حديث الله يبار للؤمن يبار وغيره الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن من محرم الله عليه متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري والؤمن يبار (١٠) حديث أتعجبون من غيرة سعد والله أنا أغبر منه والله أغبر مني الحديث متفق عليه من حديث البيرة بن شعبة .

هذا الخبر كله الصحة
واللازمة للشيخ
والحرقة مقدمة ذلك
ووجه لبس الحرقة من
السنة ما أخبرنا الشيخ
أبو زرعة عن أبيه
الحافظ أبي الفضل
للقدس قال أنا أبو بكر
أحمد بن علي بن خلف
الأديب النيسابوري
قال أنا الحاكم أبو
عبد الله محمد بن
عبد الله الحافظ قال
أنا محمد بن إسحاق قال
أنا أبو مسلم إبراهيم بن
عبد الله المصري قال
نا أبو الوليد قال نا
إسحاق بن سعيد قال
نا أبي قال حدثني
أم خالد بنت خالد قالت
«أبى النبي عليه السلام
بشباب فيها خيصة
سوداء صغيرة فقال
من زونا كسوهذه؟
فكنت القوم فقال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتوني بأمر
خاله قالت فأتى في
فألبسها يده فقال
أبى وأخلقني يهودها

ولأجل غيرة الله تعالى حرم القواحي مظهر وما بطن ولا أحد أسب إليه العذر من الله ولذلك بحث للتدبرين وللشورين ولا أحد أحب إليه الدخ من الله ولأجل ذلك وعد الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وفناءه جارية قتلت لمن هذا القصر فقيل لعمر فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال أعليك أغار يا رسول الله (١) » وكان الحسن يقول أتدعون نساءكم ليذا نحن العلو في الأسواق قبح الله من لا يبار ، وقال عليه الصلاة والسلام « إن من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يفضه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يفضه الله فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الرية والغيرة التي يفضها الله فالغيرة في غيرة والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدمة والاختيال الذي يفضه الله الاختيال في الباطن (٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « إني لأغيور وما من امرئ إلا يغار إلا منكوس القلب (٣) » والطريق القبيح عن الغيرة أن لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج إلى الأسواق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة عليها السلام « أي شيء خير للمرأة ؟ قالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضعها إليه وقال ذرية بعضها من بعض (٤) » فاستحسن قولها وكان أصحاب رسول الله ﷺ يدنون السكوى والتقب في الحيطان لثلاث تطلع النسوان إلى الرجال ورأى معاذ امرأة تطلع في السكوة فضرها ورأى امرأة قد دفت إلى غلامه فتاحه قد أكلت منها فضرها وقال عمر رضي الله عنه أعروا النساء يلزمن الحجال وإنما قال ذلك لأنهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الزنة وقال عودوا نساءكم لو كان قد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في حضور السعد (٥) والصواب الآن للنسوة إلا العجائز استصوب ذلك في زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها : لو علم النبي ﷺ ما أحدثت النساء بعده لمتنهن من الخروج (٦) . ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولد له بلى والله لمتنهن فضره وغضب عليه وقال تسعني أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فقول بلى (٧) » وإنما استجرا على المخالفة لمعلم بتغير الزمان وإنما غضب عليه

(١) حديث رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وفناءه جارية قتلت لمن هذا القصر فقيل لعمر الحديث متفق عليه من حديث جابر دون ذكر ليلة أسرى بي ولم يذكر الحارية وذكر الحارية في حديث آخر متفق عليه من حديث أبي هريرة بينا أنا نائم رأيتني في الجنة الحديث (٢) حديث إن من الغيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يفضه الله تعالى الحديث أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر بن عتيك وهو الذي تقدم قبله بأربعة أحاديث (٣) حديث إني لأغيور وما من امرئ إلا يغار إلا منكوس القلب تقدم أوله وأما آخره فرواه أبو عمر التوفاني في كتاب معايشة الأهلين من رواية عبد الله بن محمد مرسل والظاهر أنه عبد الله بن الحنفية (٤) حديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة أي شيء خير للمرأة فقالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل الحديث (٥) حديث من حديث علي بسند ضعيف (٦) حديث قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمتنهن من الخروج متفق عليه قال البخاري لمتنهن من المساجد (٧) حديث ابن عمر لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولد له بلى والله الحديث متفق عليه .

[١] بهامش النسخة الصحيحة : قلت وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما خير للنساء فلم ندر ما تقول فصار علي إلى فاطمة فأخبرها بذلك فقالت فما لقلت له خير لم أن لا يرى الرجال ولا يراها رجل فخرج فأخبره بذلك فقال له من علمك هذا قال فاطمة قال إنها بضعة مني .

مرتين وجعل ينظر إلى علم في الخيمة أصفر وأحمر ويقول بألم خاله هذا سناء . والسناء هو الحسن بلسان الحبشة ولا خفاء أن لبس الحرقلة على الهيئة التي تشبهها الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ وأصله من الحديث ما رويناه والشاهد لذلك أيضا التحكيم الذي ذكرناه وأما اقتداء رسول الله صلى الله عليه وسلم أمه وآله من الاقتداء به في دعاء الخلق إلى الحق وقد ذكر الله تعالى في كلامه القديم تحكيم الأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحكيم للمريد شيخه إحياء سنة ذلك التحكيم قال الله تعالى - فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

لإطلائه اللفظ بالخالفة ظاهراً من غير إظهار العذرو كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن
لهن في الأعياد خاصة أن يخرجن (١) ولكن لا يخرجن إلا برضا أزواجهن والخروج الآن مباح للمرأة
العفيفة برضا زوجها ولكن التعمد أسلم وينبغي أن لا يخرج إلا بالهم فإن الخروج لتظارات والأمور
التي ليست مهمة تخرج في الرودة وربما نفى إلى القصاد فإذا خرجت فبني أن تفض بصرها عن
الرجال ، ولنا قول إن وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حق بل هو كوجه الصبي الأمر
في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة بقط فإن لم تكن فتنة فلا إثم زل الرجال على عمر الزمان
مكشوف في الوجوه والنساء يخرجن منتقيات ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لأمروا بالتقف
أومنعن من الخروج إلا للضرورة . السادس : الاعتدال في النفقة فلا ينبغي أن يقتصر عليهن في الإئثار
ولا ينبغي أن يسرف بل يقصد قال تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - وقال تعالى - ولا تجعل يدك
مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وقد قال رسول الله ﷺ « خيركم خيركم لأهله » وقال
صلى الله عليه وسلم « دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في ربة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار
أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك » وقيل كان لعل رضى الله عنه أربع نسوة
فكان يشتري لكل واحدة في كل أربعة أيام لحماً بدرهم ، وقال الحسن رضى الله عنه كانوا في الرجال
مخاسب وفي الأناث والثياب محاديب وقال ابن سيرين يستحب للرجل أن يعمل لأهله في كل جمعة فالوذية
وكان الخلاوة وإن لم تكن من اللهجات ولكن تركها بالكلية تغتفر في العادة وينبغي أن يأمرها بالتصدق
بقايا الطعام وما يفسد لتركها فهذا أقل درجات الخير وللمرأة أن تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح
إذن من الزوج ولا ينبغي أن يتأثر عن أهله بما أكل وطيب فلا يطعمهم منه فإن ذلك مما يوغر الصدور
ويبعد عن العاشرة بالمعروف فإن كان مزماً على ذلك فلأكله خفية بحيث لا يعرف أهله ولا ينبغي أن
يصف عنهم طعاماً ليس يرد طعامهم إياه وإذا أكل فبعد الصيال كلهم على مائدته فقد قال سفيان
رضي الله عنه بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة وأهم ما يجب عليه مراعاته
في الإئثار أن يطعمهم من الحلال ولا يدخل مداخل سوء لأجلها فإن ذلك جناية عليها لامرأته لها
وقد أوردنا الأخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح . السابع : أن يعلم الزوج من علم الحيف
وأحكامها يحترز به الاحتراز الواجب ويملز زوجته أحكام الصلاة وما يقضى منها في الحيف وما لا يقضى فانه
أمر بأن يقبها النار بقوله تعالى - فوا أنفسكم وأهليكم نارا - فليعلم أن يلقنها اعتقاد أهل السنة ويزيل
عن قلبها كل بدعة إن استعنت إليها ويخوفها في الله إن تساهت في أمر الدين ويسلمها من أحكام الحيف
والاستحاجة ما يحتاج إليه وعلم الاستحاجة بطول فأما الذي لا بد من إرشاد النساء إليه في أمر الحيف
بيان الصلوات التي تقضيها فإنها مهما انقطع معها قبيل القرب بقدر ركة فليها قضاء الظهر والعصر وإذا
انقطع قبل الصبح بقدر ركة فليها قضاء القرب والعشاء وهذا أقل ما يراعى النساء فإن كان الرجل
قائماً بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وإن قصر علم الرجل ولكن تاب عنها في السؤال فأخبرها
بجواب التي فليس لها الخروج فإن لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصى الرجل
بتمتها ومهما تملت ما هو من الفرائض عاياً فليس لها أن تخرج إلى مجلس ذكر ولا إلى تمام فضل إلا برضا

(١) حديث الإذن لمن في الخروج في الأعياد متفق عليه من حديث أم عطية (٢) حديث خيركم خيركم
لأهله الترمذي من حديث عائشة وصححه وقد تقدم (٣) حديث دينار أنفقته في سبيل الله ودينار
أنفقته في ربة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الدينار الذي أنفقته
على أهلك مسلم من حديث أبي هريرة .

فيا شجر بينهم ثم
لا يجحدوا في أنفسهم
حرجاً مما قضيت
ويسلموا تسليماً وسبب
نزول هذه الآية « أن
الزبير بن العوام رضى
الله عنه اختصم هو
وآخر إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في
شراج من الحسرة
والشراج مسيل الماء
كانا يسقيان به النخل
فقال النبي عليه الصلاة
والسلام للزبير : اسق
يا زبير ثم أرسل الماء إلى
جارك ، فغضب الرجل
وقال قضى رسول الله
لأبي عتبة » فأنزل الله
تعالى هذه الآية يسلم فيها
الأدب مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وشرط عليهم في الآية
التسليم وهو الانقياد
ظاهراً ونافياً للحرج وهو
الانقياد باطناً وهذا
شرط للرديع الشيخ
بعد التحكيم فليس
الحرقه يزيل اتهام
الشيخ عن باطنه في
جميع تصاريفه ويحذر

ومهما أهملت المرأة حكماً من أحكام الحيض والاستحاضة ولم يسلمها الرجل خرج الرجل معها وشاركها في الآثم . الثامن : إذا كان له نساء فينبغي أن يعدل بينهما ولا يميل إلى بعضهن فإن خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة أفرع بينهما (١) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن ظلم امرأة بلبثها قفى لها فإن القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج إلى معرفة أحكام القسم وذلك بطول ذكره . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له امرأتان فإلى إحداهما دون الأخرى وفي لفظ ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحسنته مائل (٢) » وإنما عليه العدل في العطاء والبيت وأما في الحب والواقع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى - « ولئن تستطيخوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصن - أى لا تعدلوا في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الواقع » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهما في العطاء والبيت وفي البالي ويقول : اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاعة لي فيما تملك ولا أملك (٣) » يعني الحب وقد كانت عائشة رضى الله عنها أحب نساءه إليه (٤) وسائر نساءه يعرفن ذلك « وكان يظاف به محولاً في مرضه في كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة منهن ويقول ابن أناعدا فظننت لذلك امرأة منهن فقالت إنما يسأل عن يوم عائشة فهنا يا رسول الله قد أذن لك أن تكون في بيت عائشة فإنه يشق عليك أن تحمل في كل ليلة فقال وقدرتني بذلك فتلقى نعم قال فحولوني إلى بيت عائشة (٥) » ومهما وهبت واحدة لبيتها لصاحبها ورضى الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نساءه فقص أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت لبيتها لعائشة وسأته أن يقرها على الزوجية حتى تحضر في زمرة نساءه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليتين وسائر أزواجه ليلة ليلة (٦) ولكنه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان إذا تناقست نفسه إلى واحدة من النساء في غير نوبتها فجاءها طاف في يومه أو ليلته على سائر نساءه فمن ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نساءه في ليلة واحدة (٧) وعن أنس أنه عليه السلام (١) حديث الفرعة بين أزواجه إذا أراد سراً مدق عليه من حديث عائشة (٢) حديث من كان له امرأتان قال إلى إحداهما دون الأخرى وفي لفظ آخر لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحسنته مائل أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبي هريرة قال أبو داود وابن حبان قال مع إحداهما وقال الترمذي فلم يعدل بينهما (٣) حديث كان يعدل بينهما ويقول اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاعة لي فيما تملك ولا أملك أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة نحوه (٤) حديث كانت عائشة أحب نساءه إليه متفق عليه من حديث عمر بن العاص أنه قال أرى الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة وقد تقدم (٥) حديث كان يظاف به محولاً في مرضه في كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول ابن أناعدا الحديث ابن سعد في الطبقات من رواية محمد بن علي بن الحسين أن النبي ﷺ كان يجعل في ثوب يظاف به على نساءه وهو مريض يقسم بينهما وفي مرسل آخر له لما نقل قال ابن أناعدا قالوا عند فلانة قال فأين أنا بعد غد قالوا عند فلانة ففر أزواجه أنه يريد عائشة الحديث وللبخاري من حديث عائشة كان يسأل في مرضه الذي مات فيه ابن أناعدا ابن أناعدا يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء وفي الصحيحين لما نقل استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له (٦) حديث كان يقسم بين نساءه فقص أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت لبيتها لعائشة الحديث أبو داود من حديث عائشة قالت سودة حين أسئت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله يومى لعائشة الحديث وللطبراني فأراد أن يفارقها وهو عند البخاري بلطف لما كبرت سودة وهبت يومها لعائشة وكان يقسم لها يوم سودة وللبيهقي مرسلًا طلق سودة فقالت أريد أن أحضر في أزواجك الحديث (٧) حديث عائشة طاف على نساءه في ليلة واحدة متفق عليه بلطف كنت أظن رسول الله

الاعتراض على الشيوخ
فانه السام القاتل للرديد
وقل أن يكون للرديد
يعرض على الشيخ بباطنه
فيطلع وبذكر الرديد
في كل ما أشكل عليه
من تصارييف الشيخ
قصة موسى مع الخضر
عليه السلام كيف كان
يصدر من الخضر
تصارييف ينكرها
موسى ثم لما كشف
له عن معناها بان
لموسى وجه الصواب
فذلك فهكذا ينبغي
لمريد أن يعلم أن كل
تصرف أشكل عليه
صحته من الشيخ
عند الشيخ فيه بيان
وبرهان للصحة ويد
الشيخ في لبس الخرقه
تتوب عن يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وتسليم الرديد تسليم
الله ورسوله قال الله
تعالى - إن الذين
يأبونك إنما يابون
الله يد الله فوق أيديهم
فمن نكث إنما ينكث
على نفسه - وبأخذ

طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار^(١)، التاسع: في الشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلبثتم أمرهما فان كان من جانبها جميعا أو من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على إصلاحها فلا بد من فككمن أحدهما من أهله والآخر من أهلها لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما - إن يريد إصلاحا يوفق الله بينهما - وقد ثبت عمر رضي الله عنه حكما إلى زوجين فساد ولم يصلح أمرهما فعلاه بالمرة وقال إن الله تعالى يقول - إن يريد إصلاحا يوفق الله بينهما - فساد الرجل وأحسن النية وتلطف بهما فأصلح بينهما وأما إذا كان الشوز من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء - فله أن يؤديها ويعملها على الطاعة قهرا وكذا إذا كانت تاركة للصلاة فله حملها على الصلاة قهرا ولكن ينبغي أن يتدرج في تأديبها وهو أن يقدم أولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينفع ولاها ظهره في الضجع أو انفرغ عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت معها من ليلة إلى ثلاث ليال فان لم ينفع ذلك فيها ضربا غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمي لها جسا ولا يضرب وجهها فذلك منهي عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «ما حق المرأة على الرجل؟» قال يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يبيع الوجه ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا في الليث^(٢)» وله أن يضرب عليها ويهجرها في أمر من أمور الدين إلى عشر وإلى عشرين وإلى شهر فكل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أرسل إلى زينب بهدية فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد أفأنتك إذ ردت عليك هديتك^(٣) أي أذلتك واستغفرتك قال صلى الله عليه وسلم: «أنين أهون على أفأنتك تعمتني ثم غضب عليهن كلهن شهرا إلى أن عاد إليهن - المأثر: في آداب الجماع ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله أحد أولا ويكبر ويهلل ويقول بسم الله العلي العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدرت أن تخرج ذلك من سلبى وقال عليه السلام «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا» فان كان بينهما ولم يضره الشيطان^(٤)» وإذا قربت من الازال قل في نفسك ولا تحرك شفتيك - الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا - الآية وكان بعض أصحاب الحديث بكبر حتى يسمع أهل الدار صوته ثم ينصرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالوقاع إكراما للقبلة وليعط نفسه وأهله ثوب «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة: عليك بالسكنة^(٥)» وفي الخبر «إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العيرين^(٦)» أي الحمارين وليقدم التلطف بالكلام والتفصيل صلى الله عليه وسلم فيطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضح طيبا (١) حديث أنس أنه طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار ابن عدى في الكامل والبخارى كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة (٢) حديث قيل له ما حق المرأة على الرجل فقال يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يبيع الوجه ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا في الليث والنسائي في الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقال ولا يضرب الوجه ولا يبيع وفي رواية لأبي داود ولا يبيع الوجه ولا تضرب (٣) حديث هجره صلى الله عليه وسلم نساء شهرا لما أرسل بهدية إلى زينب فردتها فقالت له التي في بيتها لقد أفأنتك الحديث ذكره ابن الجوزي في الوفاء بغير إسناد وفي الصحيحين من حديث عمر كان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن وفي رواية من حديث جابر ثم اعتزلهن شهرا (٤) حديث لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبنا الشيطان الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٥) حديث كان يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة عليك بالمسكية الخطيب من حديث أم سلمة بسند ضعيف (٦) حديث إذا جامع أحدكم امرأته فلا يتجردان تجرد العيرين ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف .

الشيخ على المرید
عهد الوفاء بشرائط
الحرقة ويعرفه حقوق
الحرقة فالشيخ المرید
صورة يستشف للمرید
من وراء هذه الصورة
الطالبات الإلیة
والراضی النبویة
ويعتقد المرید أن
الشيخ باب فتحة الله
تعالى إلى جناب كرمه
منه يدخل وإليه يرجع
وينزل بالشيخ سوانحه
ومهامه الدينية
والدنيوية ويعتقد أن
الشيخ ينزل بالله
الكریم ما ينزل
للمرید به ويرجع في
ذلك إلى الله المرید كما
يرجع المرید إليه
والشيخ باب مفتوح
من المكاملة والمحادثة
في النوم واليقظة فلا
يتصرف الشيخ في
المرید بهو أم فهو أمانة
الله عنده ويستفيث
إلى الله بمخايج المرید
كما يستفيث بمخايج
نفسه ومهام دينه ودنياه
قال الله تعالى - وما كان

قال صلى الله عليه وسلم «لا يقمن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قبل وما الرسول
 يا رسول الله قال القبله والكلام^(١)» وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث من العجز في الرجل أن يلقى من يحب
 معرفته فيفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه والثاني أن يكرمه أحد ففرد عليه كرامته والثالث أن يقارب
 الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحذنها ويؤانسها ويضاجعها فيقضى حاجته منها قبل أن
 تقضى حاجتها منه^(٢)» ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر الأول والآخر والنصف يقال إن الشيطان
 يحضر الجماع في هذه الليالي ويقال إن الشياطين يجامعون فيها وروى كراهة ذلك عن علي ومعاوية وأبي
 هريرة رضي الله عنهم ومن العلماء من استحج الجماع يوم الجمعة وليكنه تحقيقاً لأحد التأويلين من قوله
 صلى الله عليه وسلم «رحم الله من غسل واغتسل^(٣)» الحديث ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى
 تقضى هي أيضاً نهتها فإن إزالتها ربما يتأخر فبهيج شهوتها ثم العود عنها إيذاء لها والاختلاف في
 طبع الأزجال يوجب التناظر مهما كان الزوج سابقاً إلى الإزال والتوافق في وقت الإزال الله عندها
 ليشغل الرجل بنفسه عنها فانهار بما تستحي ويبنى أن يأتيها في كل أربع ليال مرة فهو أعدل إذ عدد
 النساء أربعة فجاز التأخير إلى هذا الحد - ثم ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين فإن
 تحصيلها واجب عليه وإن كان لا يثبت الطالبة بالوطء فذلك لفسر الطالبة والوفاء بها ولا يأتيها في
 الحيض ولا بعد انقضائه وقبل النسل فهو محرم بنس الكتاب وقيل إن ذلك يورث الجذام في الولد
 وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير اللآني إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى
 والأذى في غير اللآني دائم فهو أعد تحريمه إتيان الحائض وقوله تعالى - فأتوا حرثكم أني شتمتم -
 أي أي وقت شتمتم وله أن يستحي يديها وأن يستمتع بما تحت الأزار بما يشتهي سوى الوقاع ويبنى
 أن تنظر المرأة بأزار من حقوها إلى فوق الركبة في حال الحيض فهذا من الأدب وله أن يؤاكل الحائض
 ويحاطبها في الضاجة وغيرها وليس عليه اجتنبها وإن أراد أن يجامع ثانياً بعد أخرى فليفسل فرجه
 أولاً وإن احتلم فلا يجامع حتى يفسل فرجه أو يبول ويكره الجماع في أول الليل حتى لا ينام على غير طهارة
 فإن أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولاً وضوء الصلاة فذلك سنة قال ابن عمر «قلت للنبي صلى الله عليه
 وسلم : أيام أحدنا هو جنب قال نعم إذا توضأ^(٤)» ولكن قد وردت فيه رخصة قالت عائشة رضي الله
 عنها «كان النبي ﷺ ينام جنباً لم يمسه ماء^(٥)» ومهما عاد إلى فراشه فليمسح وجهه فراشه أو لينفضه
 فانه لا يدري ما حدث عليه بعده ولا ينبغي أن يحلق أو يلقم أو يستجد أو يخرج الدم أو يبين من نفسه
 جزءاً وهو جنب إذ ترد إليه سائر أجزائه في الآخرة فيعود جنباً ويقال إن كل شجرة تطالبه بمخايتها ومن
 الآداب أن لا يعزل بل لا يسرح إلا إلى محل الحرث وهو الرحم فمن نسمة قدر الله كونها إلا وهي كاتبة^(٦)
 هكذا قال رسول الله ﷺ فان عزل فقد اختلف العلماء في إباحته وكراهته على أربع مذاهب فمن ميسح

لبشر أن يكاهه الله إلا
 وحياً أو من وراء حجاب
 أو يرسل رسولا -
 فإرسال الرسول يختص
 بالأنبياء والوحي كذلك
 والكلام من وراء
 حجاب بالإلهام والمواهب
 ولتنام وغير ذلك
 للشيخ والراغبين
 في العلم . واعلم أن
 للرديين مع الشيخ
 أو أن ارتضاع وأوان
 فظام وقد سبق شرح
 الولادة العنوية فأوان
 الارتضاع أو أن لزوم
 الصحة والشيخ يعلم
 وقت ذلك فلا ينبغي
 للردي أن يفارق
 الشيخ إلا بإذنه قال
 الله تعالى تأدياً للامة
 إنما المؤمنون الذين
 آمنوا بالله ورسوله وإذا
 حكوا امعه على أمر
 جامع لم يذهبوا حتى
 يستأذنوه إن الذين
 يستأذنونك أولئك
 الذين يؤمنون بالله
 ورسوله فإذا استأذنوك
 لبعض شأنهم فأذن
 لمن شئت منهم - وأى

(١) حديث لا يقمن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس
 من حديث أنس وهو منكر (٢) حديث ثلاث من العجز في الرجل أن يلقى من يحب معرفته
 فيفارقه قبل أن يعرف اسمه الحديث أبو منصور الديلمي من حديث أخضر منه وهو بعض الحديث
 الذي قبله (٤) حديث رحم الله من غسل واغتسل تقدم في الباب الخامس من الصلاة (٤) حديث
 ابن عمر قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أيام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ متفق عليه من حديث
 أن عمر سأل لأن عبد الله هو السائل (٥) حديث عائشة كان ينام جنباً لم يمسه ماء أبو داود والترمذي
 وابن ماجه وقال يزيد بن هارون إنه وهم وهمل البيهقي عن الحفاظ الطعن فيه قال وهو صحيح من جهة
 الرواية (٦) حديث مامن نسمة قدر الله كونها إلا وهي كاتبة متفق عليه من حديث أبي سعيد .

مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قاتل بجل برضاها ولا بجل دون رضاها وكان هذا القاتل محرم الإيذاء دون العزل ومن قاتل يباح في الملوكة دون الحرية والصحيح عندنا أن ذلك مباح وأما الكراهية فإنها تطلق لشيء التحريم ونهى التنزيه وتركه الفضيلة فهو مكروه بالشيء الثالث أى فيه ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد في السجدة أن يقعد فارغا لا يشغل بذكر أو صلاة ويكره للحاضر في مكة مقايها أن لا يجمع كل سنة والراد هذه الكراهية ترك الأولى والفضيلة تقطع وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة في الولد ولما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليجمع أهله فيكتب له بمجماعه أجر ولد ذكرا قاتل في سبيل الله قتل ^(١) » وإنما قال ذلك لأنه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له أجر التسبب إليه مع أن الله تعالى خالفه وعييه ومقويه على الجهاد والذى إليه من التسبب فقد فعله وهو الواقع وذلك عند الإيماء في الرحم وإنما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه لأن إيجاب الشيء إنما يمكن بنس أو قياس على منصوص ولا نص ولا أصل يقاس عليه بل ههنا أصل يقاس عليه وهو ترك النكاح أصلا أو ترك الجماع بعد النكاح أو ترك الإنزال بعد الإيلاج فكل ذلك ترك للأفضل وليس بارتكاب نهى ولا فرق إذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ولها أربعة أسباب النكاح ثم الواقع ثم الصبر إلى الإنزال بعد الجماع ثم الوقوف لينصب المني في الرحم وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث وكذا الثالث كالثاني والثاني كالأول وليس هذا كالإجهاض والوأد لأن ذلك جناية على موجود حاصل وله أيضا مراتب وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعمل لقبول الحياة وإفساد ذلك جناية فإن صارت مضفة وعلقه كانت الجناية أمحش وإن سقط فيه الروح واستوت الحاقلة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حيا وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المني في الرحم لأن من حيث الخروج من الإحليل لأن الولد لا يخلق من منى الرجل وحده بل من الزوجين جميعا إمامنا مائه ومائها أو من مائه ودم الحيض قال بعض أهل التشرع إن للضفة خلق بتقدير الله من دم الحيض وإن الدم منها كاللبن من الرائب وإن النطفة من الرجل شرط في خور دم الحيض وانفصاده كالنطفة اللبن إذ بها ينقع الرائب وكيفما كان فاء المرأة ركن في الانقضاء فيجبرى لما الآن يجري الإيجاب والقبول في الوجود الحسكى في العتود فمن أوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جاني على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الإيجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا وكما أن النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الإحليل ما لم يخرج بماء المرأة أو دمها فهذا هو القياس الجلي . فإن قلت فإن لم يكن العزل مكروها من حيث إنه دفع لوجود الولد فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباعثة عليه إذ لا يبعث عليه إلا نية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفى . فأقول النبات الباعثة عن العزل خمس : الأولى في السرارى وهو حفظ للملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الإعتاق ودفع أسبابه ليس بمنهى عنه . الثانية استبقاء جمال المرأة ومنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا أيضا ليس بمنهى عنه . الثالثة الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء . وهذا أيضا غير منهى عنه . فإن قلت الحرج معين على الدين . نعم السكال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله حيث قال - ومامن دابة في الأرض إلا على الله رزقها - ولا جرم في سقوطه عن ذروة السكال وترك الأفضل ولكن النظر إلى العواقب وحفظ المال وإدخاره مع كونه منافضا للتوكل لا لقول إيمنى عنه . الرابعة الخوف من الأولاد الاناث لما يمتد في تزويجهن من المرة كما كانت من عادة

(١) حديث إن الرجل ليجمع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكرا قاتل في سبيل الله لم أجده أصلا .

أمر جامع أعظم من أمر الدين فلا يأذن الشيخ للمريد في المفارقة إلا بعد علمه بأن آن له أو أن القطام وأنه يقدر أن يستقل بنفسه واستقلاله بنفسه أن يفتح لباب الفهم من الله تعالى فإذا بلغ الرتبة إنزال الحوائج والمهام بالله والفهم من الله تعالى بتعريفاته وتنبهاته سبحانه وتعالى لبده السائل المحتاج فقد بلغ أو أن قطامه وفق فارق قبل أو أن القطام يناله من الإعلال في الطريق بالرجوع إلى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال المقطوم لغير أو أنه في الولادة الطبيعية وهذا التزام بصحبة الشايع للمريد الحقيقي والمريد الحقيقي يلبس خرقة الإرادة . واعلم أن الخرقة خرقتان خرقة الإرادة وخرقة التبرك والأصل الذى قصده الشايع للمريد خرقه

العرب في قتلهم الإناث فهذه نية فاسدة لترك سببها أصل السكاح أو أصل الواقع أهمها لا يترك السكاح والوطء فكذا في العزل والفساد في اعتقاد اللعنة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد وينزل منزلة امرأة تركت السكاح استنكافاً من أن يملوها رجل فكانت تشبه بالرجال ولا ترجع الكراهة إلى عين ترك السكاح . الخامسة أن تمتع المرأة زها وميا لغيرها في النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الحوارج لمباكتنهن في استعمال المياه حتى كن يقضين سلوات أيام الحيض ولا يدخلن الحلاء إلا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون القصد هو القاسد دون منع الولادة . فان قلت قد قال النبي ﷺ « من ترك السكاح عفاة العيال فليس منا ثلاثاً (١) » . قلت فالعزل كترك السكاح وقوله ليس منا أي ليس موافقاً لنا في سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الأفضل . فان قلت قد قال صلى الله عليه وسلم في العزل « ذاك الوأد الحفي وقرأ وإذا المودة سئل (٢) » وهذا في الصحيح قلنا وفي الصحيح أيضاً أخبار صحيحة (٣) في الإباحة وقوله الوأد الحفي كقوله الشرك الحفي وذلك يوجب كراهة لا خيراً . فان قلت قد قال ابن عباس العزل هو الوأد الأصفر فان المنوع وجوده هو للوودة الصغرى . قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف ولذلك أنكره عليه صلى الله عليه وسلم لئلا يمتنع من فعله ولا تكون مودة إلا بعد سبع أي بعد الأخرى سبعة أطوار وتلا الآية الواردة في أطوار الخلقة وهي قوله تعالى - ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين - إلى قوله - ثم أنشأناه خلقاً آخر - أي فخلقنا فيه الروح ، ثم تلا قوله تعالى في الآية - وإذا للوودة سئل وإذا انظرت إلى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي الله عنهما في القوم على العاني ودرك العلوم كيف وفي التنقيح عليه في الصحيحين عن جابر أنه قال « كنا نزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل » وفي لفظ آخر « كنا نزل فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا (٤) » وفيه أيضاً عن جابر أنه قال « إن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال عليه الصلاة والسلام اعزل عنها إن شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فليشتر الرجل ما شاء الله ثم أتاه فقال إن الجارية قد حملت فقال قد قلت سيأتيها ما قدر لها (٥) » كل ذلك في الصحيحين . الحادي عشر : في آداب الولادة وهي خمسة : الأول أن لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى فانه لا يدرى الحيرة له في أيهما فكم من صاحب ابن يمتنى أن لا يكون له أو يمتنى أن يكون بنتاً بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل

الإرادة وخرقة التبرك تشبه بخرقة الإزادة للمريد بخرقة الإزادة للمريد الحقيقي وخرقة التبرك للمتشبه ومن تشبه يقوم فهو منهم وسر الخرقه أن الطالب الصادق إذا دخل في صفة الشيخ وسلم نفسه وصار كالوله الضعيف مع والدريه الشيخ بسله المستند من الله تعالى بصدق الاقتدار وحسن الاستقامة ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته الإشراف على البواطن قد يكون للريد ليس الحشن كساب للشفيع للترهدين وله في تلك الهيئة من اللبوس هو كامن في نفسه ليري بعين الزهادة فأشد ما عليه لبس التام وللنفس هو واختيار في هيئة مخصوصة من اللبوس في قصر السك والدليل وطوله وخشوته ونومته على

(١) حديث من ترك السكاح عفاة العيال فليس منا تقدم في أوائل السكاح (٢) حديث قال صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الوأد الحفي مسلم من حديث جذاعة بنت وهب (٣) حديث أحاديث بإباحة العزل مسلم من حديث أبي سعيد أنهم سألوه عن العزل فقال لا عليكم أن لا تفعلوه ورواه النسائي من حديث أبي صرمة وللشيخين من حديث جابر كنا نزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد مسلم فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا وللنسائي من حديث أبي هريرة سئل عن العزل قيل اليهود تزعم أنها المودة الصغرى فقال كذبت يهود . قال البيهقي رواية الإباحة أكثر وأحفظ (٤) حديث جابر التقي عليه في الصحيحين كنا نزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا هو كما ذكر متفق عليه إلا أن قوله فلم ينهنا انفرد بها مسلم (٥) حديث جابر أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها إن شئت الحديث ذكر للصنف أنه في الصحيحين وليس كذلك وإنما انفرد به مسلم .

قال صلى الله عليه وسلم «من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاها وأسبغ عليها من
النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة» (١) وقال ابن عباس رضي الله عنهما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما يحبهما إلا أدخلته الجنة» (٢)
وقال أنس قال رسول الله ﷺ «من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما يحبهما كنت أنا وهو
في الجنة كهاتين» (٣) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من خرج إلى سوق من أسواق
المسلمين فاشتري شيئا فحمله إلى بيته غصص به الاناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه
لم يعذبه» (٤) وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حمل طرفة من السوق إلى عياله
فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يرضعها فيهم وليدًا بالاناث قبل الذكور فانه من فرح أنى فكأنما بكى
من خشية الله ومن بكى من خشية حرم الله بدنه على النار» (٥) وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم
«من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصر على لأوائهن وضرائهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن
قال رجل وثنتان يا رسول الله؟ قال وثنتان قال رجل أو واحدة؟ فقال وواحدة» (٦) . الأدب الثاني :
أن يؤذن في أذن الولد روى رافع عن أبيه قال «رأيت النبي ﷺ قد أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة
رضي الله عنها» (٧) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من ولده مولود فاذن في أذنه اليمنى
وأقام في أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان» (٨) ويستحب أن يلقوه أول انطلاق لسانه لإلا الله
ليكون ذلك أول حديثه والختان في اليوم السابع ورد به الخبر (٩) . الأدب الثالث : أن تسميه إساحنا
فذلك من حق الولد وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سميت فبداوا» (١٠) وقال عليه الصلاة والسلام

(١) حديث من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وغذاها فأحسن غذاها الحديث الطبراني في
الكبير والحرثاني في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث ابن عباس
ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما يحبهما إلا أدخلته الجنة ابن ماجه والحاكم وقال صحيح
الإسناد (٣) حديث أنس من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما يحبهما كنت أنا وهو
في الجنة كهاتين الحرثاني في مكارم الأخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذي بلفظ من عال جاريتين
وقال حسن غريب (٤) حديث أنس من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشتري شيئا
فحمله إلى بيته غصص به الاناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه الحرثاني
بسند ضعيف (٥) حديث أنس من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة
الحرثاني بسند ضعيف جدا وابن عدي في الكامل وقال ابن الجوزي حديث موضوع (٦) حديث
أبي هريرة من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصر على لأوائهن الحديث الحرثاني واللفظه والحاكم
ولم يقل أو أخوات وقال صحيح الإسناد (٧) حديث أبي رافع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
أذن في أذن الحسين حين ولدته فاطمة أحمد واللفظه وأبو داود والترمذي وصححه إلا أنها قال
الحسن مكبرا وضعه ابن القطان (٨) حديث من ولده مولود واذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى
رفعت عنه أم الصبيان أبو يعلى الوصلى وابن السني في اليوم واليلة والبيهقي في شعب الإيمان من
حديث الحسين بن علي بسند ضعيف (٩) حديث الختان في اليوم السابع الطبراني في الصغير من
حديث جابر بسند ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عتق عن الحسن والحسين وختنهما
لسبعة أيام وإسناده ضعيف واختلف في إسناده فقبل عبد الملك بن إبراهيم بن زهير عن أبيه عن
جده (١٠) حديث إذا سميت فبداوا الطبراني من حديث عبد الملك بن أبي زهير عن أبيه معاذ
وصحح إسناده والبيهقي من حديث عائشة .

قدر حسابها وهواها
فلبس الشيخ مثل
هذا الراكن تلك
الهيئة ثوبا يكسر
بذلك على نفسه هواها
وغرضها وقد يكون
على الريد ملبوس ناعم
أو هيئة في اللبوس
تترتب النفس إلى تلك
الهيئة بالعادة فليلبس
الشيخ ما يخرج النفس
من عاداتها وهواها
فصرف الشيخ في
الملبوس كصرفه في
الطعوم وكصرفه في
صوم الريد وإفطاره
وكصرفه في أمر دينه
إلى ما يرى له من الصلحة
من دوام الذكر ودوام
التفكير في الصلاة ودوام
التلاوة ودوام الخدمة
وكصرفه فيه بوجه
إلى الكسب أو الفتح
أو غير ذلك فليشيخ
إشراف على البواطن
وتنوع الاستعدادات
فأمر كل مرء من أمر
معاشه ومعاده بما
يصلح له وتتنوع
الاستعدادات تنوعت

« أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن »^(١) وقال « سموا بأسمى ولا تكونوا بكنيتي »^(٢) قال العلماء كان ذلك في عصره صلى الله عليه وسلم إذ كان ينادي بأبنا القاسم والآن فلا بأس نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي »^(٣) وقيل إن هذا أيضا كان في حياته وتسمى رجل أباعيسى فقال عليه السلام « إن عيسى لأب له »^(٤) فيكره ذلك والسقط ينبغي أن يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بلغني أن السقط يصرخ يوم القيامة وراه أيه فيقول أنت ضيعتي وتركنتي لاسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يدري أنه غلام وأجارية فقال عبد الرحمن من الأسماء ما يجمعها كحكمة وعمرارة وطلحة وعتبة وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم »^(٥) ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله بأبدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص ببدا الله^(٦) وكان اسم زينب برة فقال عليه السلام : تركي نفسها فهاها زينب^(٧) وكذلك ورد التهي في تسمية أفلق وبسار ونافع وبركة^(٨) لأنه يقال أئمة بركة فيقال : لا ، الرابع الحقيقة عن الذكر بشاتين وعن الأنثى بشاة ولا بأس بالشاة ذكرًا كان أو أنثى ورويت عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر في الغلام أن يعق بشاتين مكافتين وفي الجارية بشاة »^(٩) وروى « أن علق عن الحسن بشاة »^(١٠) وهذا رخصة في الاتصاف على واحدة وقال صلى الله عليه وسلم « مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دماء وأمطبوا عنه الأذى »^(١١) ومن السنة أن يتصدق بوزن شعره فها أو فضة تقدر في خبر « أنه عليه السلام أمر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة »^(١٢)

(١) حديث أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن مسلم من حديث ابن عمر (٢) حديث سموا بأسمى ولا تكونوا بكنيتي متفق عليه من حديث جابر وفي لفظ تساموا (٣) حديث لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة ولأبي داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث جابر من سمى بأسمى فلا يتكنى بكنيتي ومن تكنى بكنيتي فلا يتسمى بأسمى .

(٤) حديث إن عيسى لأب له أبو عمر التوفائي في كتاب معاشرة الأهلين من حديث ابن عمر بسند ضعيف ولأبي داود أن عمر ضرب ابنا له تكنى أباعيسى وأنكر على القيرة بن شبة تكتنيه بأبي عيسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانى وإسناده صحيح (٥) حديث إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم أبو داود من حديث أبي الدرداء قال النووي بإسناد جيد وقال البيهقي إنه مرسل (٦) حديث بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص ببدا الله رواه البيهقي من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء الزيدى بسند صحيح (٧) حديث قال صلى الله عليه وسلم زينب وكان اسمها برة تركي نفسها فهاها زينب متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث التهي في تسمية أفلق وبسار ونافع وبركة مسلم من حديث سمرة بن جندب إلا أنه جعل مكان بركة رباعا وله من حديث جابر أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينهى أن يسمى يعلى وبركة الحديث (٩) حديث عائشة أمر في الغلام بشاتين مكافتين وفي الجارية بشاة الترمذي وصححه (١٠) حديث علق عن الحسن بشاة الترمذي من حديث علي وقال ليس إسناده متصل ووصله الحاكم إلا أنه قال حسين ورواه أبو داود من حديث ابن عباس إلا أنه قال كبشا (١١) حديث مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دماء وأمطبوا عنه الأذى البخاري من حديث سلمان ابن عمار الضبي (١٢) حديث أمر فاطمة يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة الحاكم وصححه من حديث علي وهو عند الترمذي منقطع بلفظ حسن وقال ليس إسناده متصل ورواه أحمد من حديث أبي رافع .

مراتب الدعوة قال الله تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - فالحكمة رتبة في الدعوة والموعظة كذلك فمن يدعى بالحكمة لا يدعى بالموعظة ومن يدعى بالموعظة لا تصلح دعوته بالحكمة فكذا الشيخ يعلم من هو على وضع الأبرار ومن هو على وضع القريين ومن يصلح لدوام الذكر ومن يصلح لدوام الصلاة ومن له هوى في التخنن أو في التتم فيخلع للرديمن عادة ويخرجه من مضيق هوى نفسه ويطمعه باختياره ويلبسه باختياره ثوبا يصلح له وهبة تصلح له ويدأوى بالخرقة المخصوصة والمهبة المخصوصة داه هواء ويتوخى بذلك تفريه

قالت عائشة رضي الله عنها لا يكسر للمقعة عظم . الخامس أن يحنكه بتمر أو حلوة وروى عن أمهات بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت « ولدت عبد الله بن الزبير بقاء ثم أنبت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت في حجره ثم دها بتمر ففضها ثم نفل في فيه ^(١) » فكان أول شيء دخل جوفه طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمر ثم دها له وبرك عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام فقروا به فرحاً شديداً لأنهم قيل لهم إن اليهود قد سدسكم فلا يولد لكم . الثاني عشر : في الطلاق ويلمع أنه مباح ولكنه أبغض للباحث إلى الله تعالى وإنما يكون مباحاً إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل ومهما طلقها فقد آذاها ولا يباح إيذاء الغير إلا بحماية من جانبها أو بضرورة من جانبها قال الله تعالى - فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً - أي لا تطلبوا أحبة للفرق وإن كرهها أبوه فليطلقها قال ابن عمر رضي الله عنهما « كان نكح امرأة أحبها وكان أبي يكرهها ويأمرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امرأتك ^(٢) » فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم ولكن والديكرهها لا يفرض فاسد مثل عمر ومهما آذت زوجها وبذت على أهله فهي جانية وكذلك مهما كانت سيئة الخلق أو فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى - ولا يخرجن إلا بأئين فباحشة معينة - مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا أن يذنب في العدة ولكنه تنبيه على المقصود وإن كان الأذى من الزوج فلها أن تعتدي ببذل مال ويكره للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى فإن ذلك إحجاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال تعالى - فلا جناح عليهما فيما اتدت به - فرد ما أخذته فما دونه لائق بالعداء فإن سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آتمة قال صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة ^(٣) » وفي لفظ آخر فالجنة عليها حرام وفي لفظ آخر أنه عليه السلام قال « المختلمات هن النافقات ^(٤) » ثم لبراع الزوج في الطلاق أربعة أمور . الأول أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فإن الطلاق في الحيض أو الطهر الذي جامع فيه بدعي حرام وإن كان واقعاً لما فيه من تطويل المدة عليها فإن فعل ذلك فليراجعها « طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال صلى الله عليه وسلم لمرء : مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها فذلك المدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء ^(٥) » وإنما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين لتلايكون مقصود الرجعة الطلاق قط . الثاني : أن يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لأن الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد القصد ويستفيد بها الرجعة إن ندم في العدة وتجديد النكاح إن أراد بعد العدة وإذا طلق ثلاثاً ربما ندم فيحتاج إلى أن يتزوجها محلل وإلى الصبر مدة وعقد المحلل منه عنه ويكون هو السامع فيه ثم يكون قلبه معلقاً بزوجة الغير وتطلبه أعنى زوجة المحلل بعد أن زوجته منه ثم يورث ذلك تنفيراً من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور ولست

(١) حديث أمهات . ولدت عبد الله بن الزبير بقاء ثم آتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دها بتمر ففضها ثم نفل في فيه الحديث متفق عليه (٢) حديث ابن عمر كانت نكح امرأة أحبها وكان أبي يكرهها فأمرني بطلاقها الحديث أصحاب السنن قال ت حسن صحيح (٣) حديث أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ فالجنة عليها حرام أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان (٤) حديث المختلمات هن النافقات النسائي من حديث أبي هريرة وقال لم يسمع الحسن من أبي هريرة قال ومع هذا لم أسمعه إلا من حديث أبي هريرة قلت رواه الطبراني من حديث عتبة بن عامر بسند ضعيف (٥) حديث طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمرء مره فليراجعها الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر .

إلى رضامولاه فالمرء
الصادق اللئيم باطنه
نار الإراقة بدم أمره
وحدة إرادته كالملوع
الحريص على من يرقه
ويداويه فإذا صادف
شيخاً نبت من باطن
الشيخ صدق العناية
به لاطلاع عليه
وينبت من باطن
المرء صدق المحبة
بتألف القلوب وتسام
الأرواح وظهور سر
السابقة فيهما باجتماعهما
فه وفي الله وبالله
فيكون القميص الذي
يلبس للمرء خرقة
تبشر للمرء بحسن
عناية الشيخ به فعمل
عند المرء عمل قميص
يوسف عند يعقوب
عليهما السلام . وقد
قل أن إبراهيم
الخليل عليه السلام
حين أتى في النار جرد
من ثيابه وقذف في
النار عرياناً فأنا جبريل
عليه السلام بقميص
من حرر الجنة
وأيسه إياه وكان ذلك

أقول الجلع حرام لكنه مكروه هذه المعاني وأغنى بالكراهة تركه النظر لنفسه . الثالث أن يتأنف في التلأل بتلحقها من غير تعنيف واستخفاف وتطليب قلبها بهدية على حيل الإمتاع والجبر لما فجها به من أذى الفراق قال تعالى - ومتعوهن - وذلك واجب مهما لم يمس لها مهر في أصل النكاح . كان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلقا ومنكاحا ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم فعمل فلما رجع إليه قال ماذا فعلتا قال أما إحداها فنكست رأسها وتكست وأما الأخرى فبكت واتجبت وصحتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امرأة بعد مفارقتها لراجعتها . ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت لكل عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم أسر مسيري ذلك لكان أحب إلي من أن يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فدخل عليه الحسن في بيته فظلمه عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه وقال ألا أرسلت إلي فكننت أجيتك فقال الحاجة لنا قال وما هي قال جئتك خاطبا ابتك فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال والله ما لي وجه الأرض أحد يعني عليها أعر على منك ولكنك تعلم أن ابنتي بضعة مني يسوؤني ما يسوؤها ويسرني ما يسرها وأنت مطلق فأخاف أن تطلقها وإن ضلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك وأكره أن يتغير قلبي عليك فأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت أن لا تطلقها زوجتك فكنت الحسن وقام وخرج وقال بعض أهل بيته سمعته وهو عشي ويقول : ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقا في عنقي . وكان على رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه فكان يبتدر منه على السر ويقول في خطبته : إن حسنا مطلقا فلا تستكوه حتى قام رجل من ممدان فقال والله يأمر المؤمنين لنكحنه ماشاء فان أحب أمسك وإن شاء ترك فسر ذلك عليا وقال :

لو كنت بوابا على باب الجنة قلت لعمدان ادخل بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن في حبيبه من أهل وولد بنوع حياء فلا ينبغي أن يوافق عليه فهذه الموافقة فيجدة بل الأدب المخافة ما أمكن فان ذلك أسر قلبه وأوفق لباطن دأته والتصد من هذا بيان أن الطلاق مباح وقد وعد الله النفي في الفراق والنكاح جميعا قال - وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله - وقال سبحانه وتعالى - وإن يفرقا يضن الله كلا من سعته - . الرابع : أن لا يفتي سرها لافي الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد في إفشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم ^(١) . وروى عن بعض الصالحين أنه أراد إطلاق امرأة فقيل له ما الذي يريك فيها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته فلا تطلقها قيل له لم تطلقها قال مالي ولا امرأة غيري فهذا بيان ما على الزوج .

(القسم الثاني من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها)

والقول الشافي فيه أن النكاح نوع رق فهي رقيقة له فليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما يطلب منها في نفسها مالا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم « يا أيها المرأة ماتت وزوجها عنها راض دخل الجنة ^(٢) » وكان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل

(١) حديث الوعيد في إفشاء سر للمرأة مسلم من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته ونفسي إليه ثم يفضي سرها (٢) حديث أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة الترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم سلمة .

عند إبراهيم عليه السلام فلما مات ورثته اسحق فلما مات ورثته يعقوب فجعل يعقوب عليه السلام ذلك القميص في تعويد وجهه لا يعقرب يوسف فكان لا يفارقه لما أتى في البئر عريانا جاءه جبريل وكان عليه التعويد فأخرج القميص منه وألبسه إليه . أخبرنا الشيخ العالم رضي الله عن أحمد ابن إسماعيل القزويني إجازة قال أنا أبو سعيد محمد بن أبي العباس قال أنا القاضي محمد بن سعيد قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال أخبرني ابن فنجويه الحسين بن محمد قال ثنا مخلد بن جعفر قال ثنا الحسن بن علي بن عيسى ثنا إسماعيل بن عيسى قال ثنا إسحق بن بشر عن ابن السدي عن أبيه عن مجاهد قال كان يوسف عليه السلام أعلم بالله تعالى

من العلو إلى السفلى وكان أبوها في الأسفل ففرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول إلى أبيها فقال **عليه السلام** : أطعني زوجك ففأتها فاستأمرتته فقال أطعني زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها فبهرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها ^(١) . وقال صلى الله عليه وسلم «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها» ^(٢) . وأضاف طاعة الزوج إلى مباني الإسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال «حاملات والداك مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين أزواجهن دخلن مصلياتهن الجنة» ^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم «اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء ، قلن لم يارسول الله ؟ قال يكثرن أقمن ويكثرون المشير» ^(٤) . يعني الزوج للعائش وفي خبر آخر «اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء قتلن أين النساء قال شغلن الأحرار الذهب والزعفران» ^(٥) . يعني الحلى ومصنجات الثياب . وقالت عائشة رضي الله عنها «أنت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إني فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال : لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره قالت أفلا أتزوج قال بل تزوجي فإنه خير» ^(٦) قال ابن عباس «أنت امرأة من ختم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج ؟ قال : إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعر لاتمنعه ومن حقه أن لاتعطى شيئا من بيته إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لاتصوم تطوعا إلا بإذنه فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنت الملائكة حتى ترجع إلى بيته أوتوب» ^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم «لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها» ^(٨) .

(١) حديث كان رجل خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لاتنزل من العلو إلى السفلى وكان أبوها في السفلى ففرض الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف إلا أنه قال غفر لأبيها (٢) حديث إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها الحديث ابن حبان من حديث أبي هريرة (٣) حديث ذكر النساء فقال حاملات والداك مرضعات الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي أمامة دون قوله مرضعات وهي عند الطبراني في الصغير (٤) حديث اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٥) حديث اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء قتلن أين النساء قال شغلن الأحرار الذهب والزعفران أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف وقال الحرير بدل الزعفران ولمسلم من حديث عزة الأشجعية وبه للنساء من الأحرار بن الذهب والزعفران وسنده ضعيف (٦) حديث عائشة أنت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ياني الله إني فتاة أخطب وإن أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة الحديث الحاكم وصححه بإسناده من حديث أبي هريرة دون قوله بل تزوجي فإنه خير ولم أره من حديث عائشة (٧) حديث ابن عباس أنت امرأة من ختم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج الحديث البيهقي مقتصر على شطر الحديث ورواه بتمامه من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٨) حديث لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والولد لأبيه من عظم حقهما عليهما الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة دون قوله والولد لأبيه فلم أرها وكذلك رواه أبو داود من حديث قيس بن سعد وابن ماجه من حديث عائشة وابن حبان من حديث ابن أبي أوفى .

من أن لا يعلم أن قصه لا يرد على مقبوض بصره ولكن ذلك كان قيس إبراهيم وذكر ما ذكرناه قال فأمره جبرائيل أن أرسل بقميص فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى أو ستير إلا مسح وعوفي فتكون الحرقه عند المريد الصادق متحمة إليه عرف الجنة لما عنده من الاعتداد بالصحة لله وري لبس الحرقه من عناية الله به وفضل من الله فأما حرقه التبرك فيطلبها من مقطوعة التبرك بزي القوم ومثل هذا لا يطلب بشرائط الصحة بل يوصى بلزوم حدود الشرع وغالطة هذه الطائفة لتعود عليه بركتهم ويتأدب بأدابهم فسوف يرقه ذلك إلى الأهلية لحرقه الإرادة فعل هذا حرقه التبرك مبذولة لكل طالب

وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب ما تكون المرأة من زوجها إذا كانت في قصر بيتها وإن صلاتها في محض دارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في محض دارها وصلاتها في غديها أفضل من صلاتها في بيتها ^(١) » والمخنع بيت في بيت وذلك لحسنه ولذلك قال عليه السلام « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان ^(٢) » وقال أيضا « للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات ^(٣) » لحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك اللطالة مما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل إذا خرج من منزله يقول له امرأته وأبنته إياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار . وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفتة كالأول وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الأكال ويبقى الرزاق . وخطبت رابعة بنت اسماعيل أحمد بن أبي الحواري فذكره ذلك لما كان فيه من العباداة وقال لها والله مالي همه في النساء لشغلي بحالي فقالت إني لأشغل بحالي منك ومالي شهوة ولكن ورثت من أجدادي من زوجي فأردت أن تنفقه على إخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا إلى الله عز وجل فقال حتى أستاذن أستاذي فرجع إلى أبي سليمان الداراني قال وكان ينهي عن التزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجها فكان في منزلنا كمن من جس قفني من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الأكل فضلا عن غسل بالأسنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك إلى أزواجك وكانت رابعة هذه تشبه في أهل الشام رابعة العدوية بالبصرة . ومن الواجبات عليها أن لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الذي يخاف فسادَه فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر ^(٤) » ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن العاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روى أن أسماء

وخزعة الإبرادة ممنوعة
إلا من الصادق الرابع
وليس الأزرق من
استحسان الشيوخ
في الحرقة فإن رأى
شيخ أن يلبس مريدا
غير الأزرق فليس
لأحد أن يعترض
عليه لأن الشايخ
أرازم فيا يفعلون
بحكم الوقت وكان
شيخنا يقول كان
القفير يلبس قصير
الأكام ليكون أعون
على الخدمة ويجوز
للشيخ أن يلبس المريد
خرقا في دفات على
قدر ما يتلح من
الصلحة للمريد في ذلك
على ما أسلفناه من
تداوى هواء في
اللبوس واللون
فيختار الأزرق لأنه
أرفق للقفير لكونه
يحمل الوسخ ولا
يجوز إلى زيادة
الفصل لهذا المعنى
بحسب وما عدا هذا
من الوجوه التي
يذكرها بعض

(١) حديث أقرب ما تكون المرأة من زوجها إذا كانت في قصر بيتها فان صلاتها في محض دارها أفضل من صلاتها في المسجد الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره وآخره رواه أبو داود مختصرا من حديثه دون ذكر محض الدار ورواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ ولأن تصلي في الدار خير لها من أن تصلي في المسجد وإسناده حسن ولابن حبان من حديث أم حميد نحوه (٢) حديث المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان الترمذي وقال حسن صحيح وابن حبان من حديث ابن مسعود (٣) حديث للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة الحديث الحافظ أبو بكر محمد بن عمر الجعابي في تاريخ الطالبين من حديث علي بن سعيد ضعيف وللطبراني في الصغير من حديث ابن عباس للمرأة ستران قيل وماهما قال الزوج والقفير (٤) حديث لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الحديث أبو داود الطيالسي والبيهقي من حديث ابن عمر في حديث فيه ولا تطعم من بيته شيئا إلا بإذنه فان فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر ولأبي داود من حديث سعد قالت امرأة يارسول الله إنا كل على آباءنا وأبنائنا وأزواجنا فما يحل لنا من أموالهم قال الرطب تأكله وتهديته وقد صحح الدارقطني في العلل أن سعدا هذا رجل من الأنصار ليس ابن أبي وقاص واختاره ابن القطان ولمسلم من حديث عائشة إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب .

بنت خاتمة الفزارى قالت لابنتها عند الزواج : إنك خرجت من العش الذى فيه درجت نصرت إلى فراش
 بآخيه وقرين لم تألفيه فكونى له أرضا يكن لك سما وكونى له مهادا يكن لك عمادا وكونى له أمة يكن
 لك عبدا لا تلحق به فيقلاك ولا تباعدى عنه فينساك إن دنا منك فأقرى منه وإن نأى فابعدى عنه واحفظى
 أنفسه وصمه وعينه فلا يضمن منك إلا طيبا ولا يسمع إلا حسنا ولا ينظر إلا جميلا . وقال رجل لزوجته :

خذى الغو منى تستدعى مودى ولا تنطقى فى سورى حين أغضب
 ولا تنقري قرك الدق مرة فانك لا تدرين كيف القيب
 ولا تنكثى الشكوى تذهب بالهوى وبأباك قلبى والقلوب تغلب
 فاني رأيت الحب فى القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فالقول الجامع فى آداب المرأة من غير تطويل أن تكون قاعدة فى قصر بيتها لازمة لمزنها لا يكثر
 صمودها وإطلاعها قليلة الكلام لجبراتها لا تدخل عليهم إلا فى حال يوجب المخول تحفظ بعلمها فى
 غيبته وتطلب مسرته فى جميع أمورها ولا تخونه فى نفسها وماله ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فان
 خرجت باذنه فمختفية فى هيئة رثة تطلب الواضع الحالية دون الشوارع والأسواق محترمة من أن
 يسمع غريب صوتها أو يبرفها بشخصها لا تعرف إلى صديق بعلمها فى حاجاتها بل تتشكر على من تظن
 أنه يبرفها أو تعرفه مهما صلاح شأنها وتدير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها وإذا استأذن صديق
 لبعلمها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهم ولم تعاوده فى الكلام غيرة على نفسها وجلها وتكون
 قائمة من زوجها بما رزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها منتظفة فى نفسها مستعدة
 فى الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء مشفقة على أولادها حافظة للسر عليهم قصيرة اللسان عن سب
 الأولاد ومراجعة الزوج وقد قال صلى الله عليه وسلم « أنا وامرأة سفعاء الحدين كهاتين فى الجنة »
 امرأة آمنت من زوجها وحبت نفسها على بناتها حق تابوا أو ماتوا (١) . وقال صلى الله عليه وسلم
 « حرم الله على كل آدمى الجنة يدخلها قبل غير آنى أنظر عن يميني فإذا امرأة تبادرنى إلى باب الجنة
 فأقول ما هذا تبادرنى فيقال لى أحمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها ضربت
 عليهن حتى بلغ أمرهن الذى بلغ فشكر الله لما ذلك (٢) . ومن آدابها أن لا تتفاخر على الزوج
 بجمالها ولا تزدري زوجها لقبه فقد روى أن الأصمعى قال دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن
 الناس وجهها تحت رجل من أقبح الناس وجهها فقلت لها يا هذه أرضين لنفسك أن تكونى تحت
 مثله فقالت يا هذا اسكت فقد أسأت فى قولك لله أحسن فيما بينه وبين خالقه فبصلنى ثوابه أو لملى
 أسأت فيما بينى وبين خالتي فجعله عقوبى أفلا أرضى بما رضى الله لى فأسكتنى . وقال الأصمعى رأيت
 فى البادية امرأة عليها قميص أحمر وهى مخضبة ويدها سبعة فقلت ما أبعد هذا من هذا فقالت :

وقه منى جانب لا أضيعة وللهو منى والبطالة جانب

فعلت أنها امرأة صالحة لها زوج تزين له . ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والالتباس فى غيبة
 زوجها والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللذة فى حضور زوجها ولا يبنى أن تؤذى زوجها
 بحال روى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا
 قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه فأنك الله فانما هو عندك دخيل يوشك أن يشاركك إلينا (٣) »

(١) حديث أنا وامرأة سفعاء الحدين كهاتين الحديث أبو داود من حديث أنى مالك الأشجى بسند
 ضيف (٢) حديث حرم الله على كل آدمى الجنة أن يدخل قبل غير آنى أنظر عن يميني فإذا امرأة
 تبادرنى إلى باب الجنة الحرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٣) حديث معاذ

التصوفة فى ذلك كلام
 إقناعى من كلام
 التصنيين ليس من
 الدين والحقيقة بشيء
 سمعت الشيخ سديد
 الدين أبى الفجر الحمدانى
 رحمه الله قال : كنت
 ينفذاد عند أبى بكر
 الشروطى فخرج إلينا
 فقير من زاويته عليه
 ثوب وبسخ فقال له بعض
 الفقراء لم لا تقسل
 ثوبك فقال يا أخى
 ما أفترغ فقال الشيخ
 أبو الفخر لا أزال أتذكر
 حلاوة قول الصفيير
 ما أفترغ لأنه كان
 صادقا فى ذلك فأجده
 ثمة فله وبركة
 بشكركارى ذلك
 فاختاروا اللون لهذا
 للحنى لأنهم من رعاية
 وقهم فى شغل شاغل
 والا فأى ثوب ألبس
 الشيخ الريد من
 أبيض وغير ذلك
 فلشيخ ولاية ذلك
 بحسن مقصده ووفور
 علمه وقد رأينا من
 المشايخ من لا يلبس

وما يجب عليها من حقوق النكاح إدامات عنها زوجها أن لأعد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشرا
وتجنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت أبي سلمة دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فعدت بطيب فيه مفرقة خلو أو غيره فدهنت به جارية
ثم مست بعارضها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يجل لامرأة
تؤمن بالله واليوم الآخر أن تعد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا (١) »
ويلزمها لزوم مسكن النكاح إلى آخر العدة وليس لها الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا للضرورة .
ومن آدابها أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها قدروى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله
عنها أنها قالت تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنيت أعلف
فرسه وأكفيتها مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن وكنت
أقل النوى على رأسى من ثلثي فرسخ حتى أرسل إلى أبي بكر بخارية فكفتني سياسة لفرس فكأنما عتقتي (٢)
ولقيت رسول الله ﷺ يوما ومعه أصحابه والنوى على رأسى فقال صلى الله عليه وسلم أخ أخ لينخ ناقته
ويعملني خلقه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان غير الناس يفرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم أني قد استحييت فبحث الزبير فبعثت له ما جرى فقال والله لملك النوى على رأسك
أشد على من ركوبك معه . ثم كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(كتاب آداب الكسب والمعاش)

وهو الكتاب الثالث من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمد الله حمدوا حد انحق في توحيد ماسوى الواحد الحق وتلاشى . ونمجده تمجيد من يصرح بأن
كل شيء ماسوى الله باطل ولا يتعاشى . وأن كل من في السموات والأرض لن يخلقوا ذابا ولو اجتمعوا
له ولا فراشا . ونشكره إذ رفع السماء له باده سقفا مبينا ومهد الأرض بساطهم وفراشا . وكور الليل
على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النار معاشا . لينتثروا في ابتغاء فضله ويتعشوا به عن ضراعة
الحاجات اعتاشا . ونصلى على رسوله الذى يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشا .
وعلى آله وأصحابه الذين لهدعوا في نصرة دينه تشمرا وانكاشا . وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن رب الأرباب ومسبب الأسباب . جعل الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار
التجمل والاضطراب . والتشمر والاكتساب . وليس التشمر في الدنيا مقصورا على المباد دون المعاش
بل المعاش ذريعة إلى المعاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها . والناس ثلاثة رجل
شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والأقرب
إلى الاعتدال هو الثالث الذى شغله معاشه لمعاده فهو من المتقدين . ولن ينال رتبة الاقتصاد
من لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد ولن يتنقى من طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة وذريعة مالم

لا تؤدى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه الحديث الترمذى وقاله حسن
غريب وابن ماجه (١) حديث أم حبيبة لا يجل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تعد على ميت
أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا متفق عليه (٢) حديث أسماء تزوجني الزبير وماله
في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرس وناضح فكنيت أعلف فرسه الحديث متفق عليه .

(كتاب آداب الكسب)

الحرقه ويسلك بأقوام
من غير ليس الحرقه
ويؤخذ منه العلوم
والآداب وقد كان
طبقة من السلف
الصالحين لا يعرفون
الحرقه ولا يلبسونها
للردين فمن يلبسها
فله مقصد صحيح وأصل
من السنة وشاهد من
الصرع ومن لا يلبسها
فله رايه وله في ذلك
مقصد صحيح وكل
تصريف للشايع بخولة
على السداد والصواب
ولا تخلو عن نية صالحة
فيه والله تعالى ينفعهم
وبآثارهم إن شاء الله
تعالى .

[الباب الثالث عشر
في فضيلة سكان الرطاب]
قال الله تعالى في بيوت
أذن الله أن ترفع
ويذكر فيها اسمه يسبح
له فيها بالندو والآصال
رجال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله
 وإقام الصلاة وإيتاء
 الزكاة يخافون يوما
تقلب فيه القلوب

يتأدب في طلبها بأداب الثمينة . وهانحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسنبا ونشرحها في خمسة أبواب . الباب الأول : في فضل الكسب والحلث عليه . الباب الثاني : في علم صحيح البيع والشراء والمعاملات . الباب الثالث : في بيان العدل في المعاملة . الباب الرابع : في بيان الإحسان فيها . الباب الخامس : في شفقة التاجر على نفسه ودينه .

(الباب الأول في فضل الكسب والحلث عليه)

أما من الكتاب قوله تعالى - وجعلنا النهار معاشا - فذكره في معرض الامتنان ، وقال تعالى - وجعلنا لكم فيها معاشا قليلا ما تشكرون - فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى - ليس عليكم جناح أن تنفقوا فضلا من ربكم - وقال تعالى - وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله - وقال تعالى - فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله - وأما الأخبار : فقد قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهمة في طلب العيشة ^(١) » وقال عليه الصلاة والسلام « التاجر الصدوق يمشي يوم القيامة مع الصديقين والشهداء ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر ^(٣) » وكان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسمى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفهم فهو في سبيل الله وإن كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحب العبد للهنة يتخذ اللهنة يستغنى بها عن الناس ويغنى العبد يعلم العلم يتخذه مهنة ^(٥) » وفي الخبر « إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور ^(٧) » وفي خبر آخر

(الباب الأول في فضل الكسب والحلث عليه)

(١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهمة في طلب العيشة تقدم في السكاح (٢) حديث التاجر الصدوق يمشي يوم القيامة مع الصديقين والشهداء الترمذي والحاكم من حديث أبي سعيد قال الترمذي حسن وقال الحاكم إنه من مراسيل الحسن وابن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر (٣) حديث من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسئلة وسعيا على عياله الحديث أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسمى فقالوا ويح هذا لو كان جلده في سبيل الله الحديث الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة بسند ضعيف (٥) حديث إن الله يحب العبد يتخذ للهنة يستغنى بها عن الناس الحديث لم أجده هكذا ، وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام في طلب الحلال وفيه محمد بن سهل العطار قال الدارقطني يضع الحديث (٦) حديث إن الله يحب المؤمن المحترف الطبراني وابن عدى وضعفه من حديث ابن عمر (٧) حديث أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور أحمد بن حنبل من حديث رافع بن خديج قيل يارسول الله أي الكسب أطيب قال عمل الرجل يده وكل عمل مبرور ورواه البزار والحاكم من رواية سعيد بن عمير عن عمه قال الحاكم صحيح الاسناد قال وذكر يحيى بن معين أن عم سعيد البراء بن عازب ورواه البيهقي من رواية سعيد بن عمير مرسلا وقال هذا هو المفوظ وخطأ قول من قال عن عمه وحكاه عن البخاري ورواه أحمد والحاكم من رواية

والأبصار - قيل إن هذه البيوت هي الساجد وقيل بيوت المدينة وقيل بيوت النبي عليه السلام والسلام : وقيل لما نزلت هذه الآية قام أبو بكر رضى الله عنه وقال يارسول الله هنم البيوت منها بيت على وفاطمة قال نعم أفضلها . وقال الحسن : بقاع الأرض كلها . جعلت مسجدا لرسول الله عليه الصلاة والسلام فعلى هذا الاعتبار بالرجال الذاكرين لا بصور البقاع وأى بقعة حوت رجالا بهذا الوصف هي البيوت التي أذن الله أن ترفع : روى أنس ابن مالك رضى الله عنه أنه قال « ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادى بعضها بعضا هل مر بك اليوم أحد صلى عليك أو ذكر الله عليك فمن قائلته نعم ومن قائلته لا فاذا قالت نعم علمت أن لها عليها بذلك فضلا وما

« أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح ^(١) » وقال عليه السلام « عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق ^(٢) » وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال ما تصنع ؟ قال أتعبد قال من يعبوك ؟ قال أخى قال أخوك أعبدتك وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « إني لأعلم شيئاً يقرّ بكم من الجنة ويعمّدكم من النار إلا أمرتكم به وإني لأعلم شيئاً يعمّدكم من الجنة ويقرّ بكم من النار إلا نهيتكم عنه وإنّ الروح الأمين نفث في روعي إن نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » أمر بالإجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في آخره « ولا يحسنكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه بمحبة الله تعالى فإن الله لا ينال ما عنده بمحبته ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها ^(٤) » وقال عليه السلام « لأن يأخذ أحدكم حبله فيخطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه ^(٥) » وقال « من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر ^(٦) » . وأما الآثار : فقد قال لقمان الحكيم لابنه : يا بني استغن بالکسب الحلال عن الفقر فإنه ما أفقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به . وقال عمر رضي الله عنه : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمت أن السماء لا تمطر ذهباً ولافضة وكان زيد بن مسعدة يفرس في أرضه فقال له عمر رضي الله عنه أصبت استغن عن الناس يكن أمون لدينك وأكرم لك عليهم كآفاح صاحبكم أحيحة : فلي أزال على الزوراء أغمرها إن الكرم على الإخوان ذو المال

وقال ابن مسعود رضي الله عنه إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في أمر دينه ولا في أمر آخرته . وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب إليك أم للتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق أحب إليّ لأنه في جهاد بآية الشيطان من طريق السكّال واليزان ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر رضي الله عنه : ما من موضع يأتي اللوت فيه أحب إليّ من موطن أتسوق فيه لأهل أبيع وأشتري وقال الهيثم ربما يلغى عن الرجل يقع في فأذكر استغناى عنه فيكون ذلك على وقال أيوب كسب فيه شيء أحب إليّ من سؤال الناس وجاءت ريع

جميع بن عمير عن خاله أبي بردة وجميع ضعيف والله أعلم ^(١) حديث أحل ما أكل العبد كسب الصانع إذا نصح أحمد من حديث أبي هريرة خير الكسب كسب العامل إذا نصح وإسناده حسن ^(٢) حديث عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق إبراهيم الحربي في غريب الحديث من حديث نعم بن عبد الرحمن تسعة أعشار الرزق في التجارة ورجاله ثقات ونعم هذا قال فيه ابن منده ذكر في الصحابة ولا يصح وقال أبو حاتم الرازي وابن حبان إنه تابعي فالحديث مرسل ^(٣) حديث إني لأعلم شيئاً يمدكم من الجنة ويقرّ بكم من النار إلا نهيتكم عنه فإن الروح الأمين نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود وذكره شاهداً لحديث أبي حنيفة وجابر ومحمداً على شرط الشيخين وهما مختصران ورواه البيهقي في شعب الإيمان وقال إنه منقطع ^(٤) حديث الأسواق موائد الله فمن أتاها أصاب منها رويها في الطيوريات من قول الحسن البصري ولم أجده مرفوعاً ^(٥) حديث لأن يأخذ أحدكم حبله فيخطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ^(٦) حديث من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري ولا فتح عبد باب مسئلة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلة نحوها وقال حسن صحيح .

من عبد ذكر الله تعالى على بقعة من الأرض أو صلى لله عليها إلا شهدت له بذلك عند ربه وبكت عليه يوم يموت . ، وقيل في قوله تعالى - فما بكت عليهم السماء والأرض - تنبيه على فضيلة أهل الله تعالى من أهل طاعته لأن الأرض تبكي عليهم ولا تبكي على من ركن إلى الدنيا واتبع الهوى فسكان الرباط هم الرجال لأنهم ربطوا نفوسهم على طاعة الله تعالى وانقطعوا إلى الله فأقام الله لهم الدنيا بخدمة . وروى عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من انقطع إلى الله كفاه الله مئوته ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا فكاه الله إلهها وأصل الرباط ما يربط فيه الجيول ثم قيل لكل ثمر يدفع أهله عن

عاصفة في البحر فقال أهل السفينة لإبراهيم بن آدم رحمه الله وكان معهم فيها أما ترى هذه الشدة فقال ماهذه الشدة إنما الشدة الحاجة إلى الناس . وقال أيوب قال لي أبو قلابة أزم السوق فان الغنى من العافية بمعنى الغنى عن الناس . وقيل لأحمد ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتي رزقي فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي ^(١) » وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال « تندو سخاما وتروح بطانا ^(٢) » فذكر أنها تندو في طلب الرزق ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في تخيلهم والتدويعهم وقال أبو قلابة لرجل لأن أراك تطلب معاشك أحب إلى من أن أراك في زاوية المسجد . وروى أن الأوزاعي لقي إبراهيم بن آدم رحمه الله وطلى عنقه حزمة حطب فقال له يا أبا اسحق إلى متى هذا إخوانك يكتفونك فقال دعني عن هذا يا أبا عمرو فإنه بلغني أن ثمن وقصموقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وقال أبو سليمان الداراني ليس العبادة عندنا أن تصف قديمك وعيرك بقوتك ولكن أبدأ برغيفك فأحرزها ثم تعبد . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ينادى مناد يوم القيامة أين بضاء الله في أرضه فيقوم سؤال المساجد فهذه مذمة الشرع لسؤال والانسكال على كفاية الأغنياء ومن ليس له مال موروث فلا ينجي من ذلك إلا الكسب والتجارة . فان قلت قد قال صلى الله عليه وسلم « ما أوحى إلى أن أجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلى أن يسبح محمد ربك وكن من الساجدين واعد ربك حتى يأتيك اليقين ^(٣) » وقيل لسلمان الفارسي أوصنا فقل من استطاع منكم أن يموت حاجا أو غاريا أو عامرا مسجدا به فليفعل ولا يموت تاجرا ولا خائنا . فالجواب أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال فنقول لسنا نقول التجارة أفضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية أو الثروة أو الزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخله إلى الخيرات والصدقات فهي مذمومة لأنه إقبال على الدنيا التي فيها رأس كل خطيئة فان كان مع ذلك ظمالا خائنا فهو ظلم وفسق وهذا ما أراد سلمان بقوله لا تمت تاجرا ولا خائنا وأراد بالتاجر طالب الزيادة فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده وكان يقدر على كفايتهم السؤال فالتجارة تعففا عن السؤال أفضل وإن كان لا يحتاج إلى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب أفضل لأنه إنما يعطى لأنه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بفقره فالتعفف والتسرة أولى من البطالة بل من الاعتقال بالعبادات البدنية وترك الكسب أفضل لأربعة عابدا بالعبادات البدنية أو رجل له ميراث باطن وعمل بالقلب في علوم الأحوال والكشافات أو عالم مشغل بتربية علم الظاهر مما ينفع الناس في دينهم كالمفسر والمحدث وأمثالهم أو رجل مشغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمرهم كالسلطان والقاضي والشاهد فهو لا إذا كانوا يكتفون من الأموال للصدقة للمصالح والأوقاف السبل على الفقراء والعلماء فإنهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب ولهذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبح محمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح إليه أن كن من التاجرين لأنه كان جامعا لهذه الماعى الأربعة إلى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضى الله عنهم بترك التجارة كمالوا إلى الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن الصالح وكان يأخذ كفايته من مال الصالح ورأى ذلك أولى

(١) حديث إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي أحمد من حديث ابن عمر جعل رزقي تحت ظل رمحي وإسناده صحيح (٢) حديث ذكر الطير فقال تندو سخاما وتروح بطانا الترمذى وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذى حسن صحيح (٣) حديث ما أوحى إلى أن أجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلى أن يسبح محمد ربك وكن من الساجدين ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين.

وراءه رباط فالجهاد للرباط يدفع عن وراءه والتمس في الرباط على طاعة الله يدفع به وبدعائه البلاء عن العباد والبلاء . أخبرنا الشيخ العالم رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزويني بإجازة قال أنا أبو سعيد محمد ابن أبي العباس الحلبي قال أخبرنا القاضي محمد ابن سعيد القرخزاذي قال أنا أبو اسحق أحمد ابن محمد قال أنا الحسين ابن محمد قال أنا أبو بكر ابن خزيمة قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبو حميد الحمصي قال حدثنا يحيى بن سعيد القطار ^[١] قال حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن قوله بالهشام ^[١] القطار هكذا بنسخة وفي أخرى القطار وله القطان بالتشون وليحرر .

ثم لما توفى أوصى برده إلى بيت المال ولكنه رآه في الابتداء أولى ، ولهو لأربعة حالاتان أخريان أحدهما أن تكون كفائتهم عند ترك الكسب من أيدي الناس وما يصدق بهم عليهم من زكاة أو صدقة من غير حاجة إلى سؤال فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه أولى إذ فيه إغاثة الناس على الحيرات وقبول منهم ما هو بحق عليهم وأفضل لهم . الحالة الثانية الحاجة إلى السؤال وهذا في محل النظر والتشديدات التي رويها في السؤال وذمة تدل ظاهرا على أن التعفف عن السؤال أولى وأطلاق القول فيه من غير ملاحظة الأحوال والأشخاص عسير بل هو موكول إلى اجتهد العبد ونظره لنفسه بأن يقابل ما يأتي في السؤال من المذلة وهتك الرودة والحاجة إلى التثقل والإحراج بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره فرب شخص تتكرر فائدة الحق فوائده في اشتغاله بالعلم أو العمل ويهون عليه بأذن تعرض في السؤال لتحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يقابل المطلوب والمحدور فينبغي أن يستفيق المرید فيه قلبه وإن أفتاه المفتون فإن الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الأحوال ولقد كان في السلف من له ثلثائة وستون صديقا يترى كل على واحد منهم ليلة ومنهم من له ثلاثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لهم بأن التكاثر بهم يتقلدون منه من قبولهم لمبراتهم فكان قبولهم لمبراتهم خيرا مضافا لهم إلى عباداتهم فينبغي أن يندقق النظر في هذه الأمور فإن أجر الآخذ كأجر اللطى مهما كان الآخذ يستعين به على الدين واللمطى يعطيه عن طيب قلب ومن اطاع على هذه المعاني أسكنه أن يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الأفضل له بالإضافة إلى حاله ووقته فهذه فضيلة الكسب وليكن العقد الذي به الاكتساب جامعا لأربعة أمور الصحة والعدل والإحسان والشفقة على الدين ونحن نقصد في كل واحد بابا ونبتدئ بذكر أسباب الصحة في الباب الثاني .

(الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والإجارة والقراض والشركة)

وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار للكسب في الشرع)

اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكنته لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم وإنما هو طلب العلم المحتاج إليه والمكتسب يحتاج إلى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيا وما شذ عنه من القروع المشككة فيقع على سبب إشكالها فيتوقف فيها إلى أن يسأل فانه إذا لم يعلم أسباب الفساد يعلم جملي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا أقسم العلم ولكن أصبر إلى أن تقع لي الواقعة فمنبذها أتلم وأستفيق فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جملي مفسدات العقود فانه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليميزه للباح عن المخطور وموضع الإشكال عن موضع الوضوح ولذلك روى عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا إلا بمن يفقه وإلا أكل الربا شاء أم أبى ، وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تفك الكسب عنها وهي البيع والربا والسلم والإجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها .

(العقد الأول البيع)

وقد أحله الله تعالى وله ثلاثة أركان العاقد والمقود عليه واللفظ . الركن الأول : العاقد ينبغي للتاجر أن لا يعامل بالبيع أربعة الصي والمجنون والعبد والأعمى لأن الصي غير مكلف وكذا المجنون ويعهما باطل فلا يصح بيع الصي وإن أذن له فيه الولي عند الشافعي وما أخذ منهما مضمون عليه لهما وما سلمه في المعاملة إليهما فضع في أيديهما فهو الضعيف له . وأما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه إلا بإذن سيده

(الباب الثاني في علم الكسب)

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته ومن جيرانه البلاد . » وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لولا عباد الله وكم وصية رضع وبها تم رتج لصب على المذاب صبا ثم يرض زضا » وروى جابر بن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى ليصلح صلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دورته ودوراته حوله ولا يزالون في حفظ الله مادام فيهم » وروى داود بن صالح قال قال لي أبو سلمة ابن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية - اسبروا وصابروا ورباطوا - قلت لا قال يا ابن أخي لم يكن في

فلى البقال والخباز والقصاب وغيرهم أن لا يبيعوا ما أخذوا من السادة في معاملتهم وذلك بأن يسمعه صريحا أو ينتشر في البلد أنه مأذون له في الترام لسيده وفي البيع له في قوله على الاستفاضة أو على قول عدل غيره بذلك فإن عامله بغير إذن السيد فقد هبط وأخطأ وما أخذه منه مضمون عليه لسيده وماتسله إن ضاع في يد العبد لا يتماق برقبته ولا يضمنه سيده بل ليس له إلا للطلابة إذا عتق . وأما الأعمى فإنه يبيع ويشترى ما لا يرى فلا يصح ذلك فليأمره بأن يوكل ويكلا بصيرا ليشتري له أو يبيع فيصح توكيله وصرح يبيع ويكله فإن عامله التاجر بنفسه فالماملة فاسدة وما أخذه منه مضمون عليه بقيمته وما سله إليه أيضا مضمون له بقيمته . وأما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يبيع منه الصحف ولا العبد المسلم ولا يبيع منه السلاح إن كان من أهل الحرب فإن فعل قبيح معاملات مردودة وهو عاص بها ربه . وأما الجندي من الأتراك والتركية والعرب والأكراد والسرقات والخنوة وأكلة الربا والظلمة وكل من أكرمه الله حرام فلا ينبغي أن يملك مما في أيديهم شيئا لأجل أنها حرام إلا إذا عرف شيئا بينه أنه حلال وسيأتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام . الركن الثاني في العقود عليه : وهو المال المقصود ثله من أحد العاقدين إلى الآخر ثلثا كان أو ثلثين فيعتبر في ستة شروط . الأول أن لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع كلب وخنزير ولا بيع زبل وعذرة ولا بيع العاج والأواني التي تخذ من العظم منه فإن العظم نجس بالموت ولا يظهر القيل بالذبح ولا يظهر عظمه بالتذكية ولا يجوز بيع الحجر ولا بيع الدوك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا تأكل وإن يصلح للاستصباح أو طلاء السفن ولا بأس ببيع الدهن الطاهر في عينه الذي نجس بوقوع نجاسة أو موت ذرة فيه فإنه يجوز الانتفاع به في غير الأكل وهو في عينه ليس بنجس وكذلك لا يرى بأسا ببيع زرق الزفانة أصل حيوان ينتفع به وتقبه بالبيض وهو أصل حيوان أولى من تشبهه بالروث ويجوز بيع فأرة السك ويقضى بطهارتها إذا انفصلت من الطبيعة في حالة الحياة . الثاني أن يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات ولا الفأرة ولا الحية ولا الثفات إلى انتفاع الشبذ بالحية وكذا لا الثفات إلى انتفاع أصحاب الحق باخراجها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الحرّة والنحل وبيع القهد والأسد وما يصلح لصيد أو ينتفع بجلده ويجوز بيع الفيل لأجل الحمل ويجوز بيع الطوطى وهي البياض والطاوس والطيور الملجمة الصور وإن كانت لا تأكل فإن التفرج بأصواتها والنظر إليها غرض مقصود مباح وإنما الكلب هو الذي لا يجوز أن يقتل إعجابا بصورته انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ^(١) ولا يجوز بيع العود والصنج والزماير وللأحمق فإنه لا منفعة لها شرعا وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحيوانات التي تباع في الأعياد للعب الصبيان فإن كسرها واجب شرعا وصور الأشجار متسامح بها وأما الثياب والأطباق وعليها صور الحيوانات فيصح بيعها وكذا الستور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها « أخذني منها ثماري » ولا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة وإذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه . الثالث أن يكون التصرف فيه مملوكا للعائد أو مأذونا من جهة المالك ولا يجوز أن يشتري من غير المالك انتظارا للذن من المالك بل لو رضى بعد ذلك وجب استئناف العقد ولا ينبغي أن يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوجة ولا من الوالد مال الولد ولا من الولد مال الوالد اعتقادا على أنه لو عرف لرضى به فإنه إذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع وأمثال ذلك مما يجري في الأسواق فواجب على العبد اللذين أن يحترز منه . الرابع أن يكون للعقد عليه مقدور على تسليمه

(١) حديث النبي عن اقتناء الكلب متفق عليه من حديث ابن عمر من اقتنى كلبا إلا كلب ماشية أو ضاريا قص من عمله كل يوم قيراطان (٢) حديث أخذني منها ثماري بقوله لعائشة متفق عليه من حديثها .

من رسول الله صلى الله عليه وسلم غرور يربط فيه ما حيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط للجهاد النفس والقيم في الرباط مزايا مجاهد نفسه قال الله تعالى سواجدهوا في الله حق جهاده - قال عبد الله ابن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الأصغر على ما روي في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رجع من بعض غزواته « رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » . وقيل : إن بعض الصالحين كتب إلى أخ له يستدعيه إلى التزو فكتب إليه يأخى كل النور مجتمعة لي في بيت واحد والباب على مردود فكتب إليه أخوه لو كان الناس كلهم أئمة ما قرنته اختلت أمور

شرطاً وحسباً فلا لا يقدر على تسليمه حساً لا يصح بيعه كالأبنى والسلك في الماء والجبن في البطن وعصب الفجل وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان والبن في الصرع لا يجوز فانه يعذر تسليمه لاختلاط غير البيع بالبيع والمعجوز عن تسليمه شرعاً كالمرهون والوقوف والستولة فلا يصح بيعها أيضاً وكذا بيع الأم دون الولد إذا كان الولد صغيراً وكذا بيع الولد دون الأم لأن تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع . الخامس : أن يكون للبيع معلوم العين والقدرة والوصف أما العلم بالعين فإن يشير إليه بعينه فلو قال بتك شاة من هذا القطيع أى شاة أردت أو ثوبا من هذه الثياب التى بين يديك أو زراعاً من هذا الكرباس وخذه من أى جانب شئت أو عشرة أذرع من هذه الأرض وخذه من أى طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين إلا أن يبيع شيئاً مثل أن يبيع نصف الشيء أو عشرة فإن ذلك جائز . وأما العلم بالقدرة فاعلم يحصل بالكيل أو الوزن أو النظر كالألف في معرفة القدر ، وأما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية في الأعيان و لا يصح بيع الغائب إلا إذا سبقت رؤيته منذ مدة لا يظلب التغيير فيها والوصف لا يقوم مقام العين هذا أحد الذهبين ولا يجوز بيع الثوب في المنسج اعتماداً على الرقوم ولا يصح الخطة في سئلبها ويجوز بيع الأرض في قشرته التى يدخر فيها وكذا بيع الجوز والاوز في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرتين ويجوز بيع البانلاء الرطب في قشرته للحاجة ويتسامح ببيع الققع لجريان عادة الأولين به ولكن نجعله إباحة بعوض فإن اشتراه لبيعه فالقياس بطلانه لأنه ليس مستتراً خلقه ولا يبعد أن يتسامح به إذ فى إخراجهم إفساده كالمرام وما يستر خلقه معه . السادس : أن يكون البيع مقبوضاً إن كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع مالم يقبض (١) ويستوى فيه العقار والمقول فكل ما اشتراه أو باعه قبل القبض فيعه باطل وقبض المقول بالقل وقبض العقار بالتخلية وقبض ما يتباعه بشرط الكيل لا يتم إلا بأن يتكأله . وأما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصل فيه بمعاوضة فهو جائز قبل القبض . الركن الثالث : لفظ العقد فلا بد من جريان إيجاب وقبول متصل به بافظ دال على المقصود مفهم إما صريح أو كناية فلو قال أعطيتك هذا بذلك بدل قوله بتك فقال قبلته جاز مهما قصد به البيع لأنه قد يعمد الإعارة إذا كان في توبين أو دابتين والنية تدفع الاحتمال والصريح أقطع للخصومة ولكن الكناية تنفذ الملك والحل أيضاً فيها يختاره ولا يبنى أن يقرن بالبيع شرطاً على خلاف مقتضى العقد فلو شرط أن يزيد شيئاً آخر أو أن يحمل المبيع إلى داره أو اشترى الخطب بشرط النقل إلى داره كل ذلك فاسد إلا إذا أفرد استجاره على النقل بأجرة معلومة منفردة عن الشراء للمقول ومهما لم يجز بينهما إلا الماطاة بالقل دون التلفظ باللسان لم يتعد البيع عند الشافعى أصلاً وانقعد عند أى حنيفة إن كان في المحقرات ثم ضبط المحقرات عسر فإن رد الأمر إلى العادات قد تجاوز الناس المحقرات في الماطاة إذ تقدم الدال إلى البراز يأخذ منه ثوباً دياجا قيمته عشرة دنائير مثلاً ويحمله إلى المشتري ويعود إليه بأنه ارتضاء فيقول له خذ عشرة فيأخذ من صاحبه عشرة ويحمله ويسلمها إلى البراز فيأخذها ويتصرف فيها ومشتري الثوب يقطعه ولم يجز بينهما إيجاب وقبول أصلاً وكذلك يجتمع المهززون على حانوت

(١) حديث النهى عن بيع مالم يقبض متفق عليه من حديث ابن عباس .

للمسلمين وغلب الكفار فلا بد من الفزو والجهاد فكسب إليه يأخى لو نزم الناس ما أنا عليه وقالوا في زواياهم على سجداتهم الله أكبر انهدم سور قسطنطينية . وقال بعض الحكماء ارتفاع الأصوات في بيوت العبادات بحسن الثياب وصفاء الطويات محل ما عقده الأئمة لك الدائرات في اجتماع أهل الرباط صبح على الوجه للوضوح له الربط وتحقق أهل الربط بحسن المعاملة ورعاية الأوقات وتوفى ما يفسد الأعمال واعتاد ما يصحح الأحوال عادت البركة على البلاد والمباد . وقال سري السقطى في قوله تعالى - اصبروا وصابروا ورابطوا - اصبروا وعن الدنيا رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا أهواء النفس

البيع فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فيمن يزيد يقول أحدهم هذا على بتسعين ويقول الآخر هذا على بتسعة وتسعين ويقول الآخر هذا بعمالة فيقال له زن فزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير إيجاب وقبول وقد استمرت به العادات وهذه من الضلالت التي ليست تقبل العلاج إذ الاحتمالات ثلاثة . إما تنص باب المعاوضة مطلقا في الحقيق والتفويض وهو محال إذ فيه نقل للملك من غير لفظ دال عليه وقد أحل الله البيع والبيع اسم للإيجاب والقبول ولم يجر ولم ينطلق اسم البيع على مجرد فعل تسليم وتسليم وتسليم فإذا يحكم باتفاق الملك من الجانبين لاسيا في الجوارى والعبيد والقارات والدواب النفسية وما يكثر التنازع فيه إذ فالمسلم أن يرجع ويقول قد ندمت وما بهته إذ لم يصدر مني إلا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع . الاحتمال الثاني أن نسد الباب بالكلية كما قال الشافعي رحمه الله من بطلان العقد وفيه إشكال من وجهين أحدهما أنه يشبه أن يكون ذلك في المحقرات متاعا في زمن الصحابة ولو كانوا يشكفون الإيجاب والقبول مع البقال والحجاز والقصاب لثقل عليهم فله وللفل ذلك فقلامتشترا ولكن يشتهر وقت الإعراض بالكلية عن تلك العادة فإن الأعصار في مثل هذا تفاوت . والثاني أن الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري الإنسان شيئا من الأطعمة وغيرها إلا يعلم أن البائع قد ملكه بالمعاوضة فأى فائدة في تلفظه بالعقد إذا كان الأمر كذلك . الاحتمال الثالث أن يفصل بين المحقرات وغيرها كما قال أبو حنيفة رحمه الله وعند ذلك يتعسر الضبط في المحقرات ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن سريج على تخريج قول للشافعي رحمه الله على وقته وهو أقرب الاحتمالات إلى الاعتدال فلا بأس لومنا إليه لميسر الحاجب ولعموم ذلك بين الحلق ولما يظلب على الظن بأن ذلك كان متاعا في الأعصار الأول . فأما الجواب عن الإشكالين فهو أن نقول أما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير فإن ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحا إذ لا يخفى أن شراء البقل وقليل من الفواكه والجوز واللحم من العدود من المحقرات التي لا يعتاد فيها إلا المعاوضة وطالب الإيجاب والقبول فيه بعد مستقصيا ويسترد تكليفه لذلك ويستقل وينسب إلى أنه يقيم الوزن لأمر حقير ولا وجه له فهذا طرف الحفارة والطرف الثاني الدواب والعبيد والقارات والحيات النفسية فذلك مما لا يستبعد تكلف الإيجاب والقبول فيها وبينهما أوساط متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة فعق ذى الدين أن يعيد فيها إلى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فبا يعلم بالعادة كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة وأوساط مشكلة وأما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك فهو أن يجعل الفعل باليد أخذنا وتسليما سببا إذ اللفظ لم يكن سببا لعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم إليه ميسر الحاجة وعادة الأولين واطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب وقبول مع التصرف فيها ، وأى فرق بين أن يكون فيه عوض أولا يكون إذ الملك لا بد من نقله في الهبة أيضا إلا أن العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقيق والتفويض بل كان طلب الإيجاب والقبول يستفح فيه كيف كان وفي البيع لم يستفح في غير المحقرات هذا ما تراه أعدل الاحتمالات وحق الورع المتدين أن لا يذيع الإيجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف فلا ينبغي أن يمنع من ذلك لأجل أن البائع قد تملكه بغير إيجاب وقبول فإن ذلك لا يعرف تحقيقا فرما اشتراه بقبول وإيجاب فإن كان حاضرا عند شرائه أو أقر البائع به فليحتج منه وليشتر منه غيره فإن كان الشيء محقرا وهو إليه محتاج فليحتفظ بالإيجاب والقبول فإنه يستفد به قطع الخصومة في المستقبل معه إذا الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ومن الفعل ممكن . فإن قلت فإن أمكن هذا فما يشتريه فكيف فعل إذا حضر في ضيافة أو على مائدة وهو يعلم أن أصحابا يكتفون بالمعاوضة في البيع والشراء

العوامة واتقوا ما يغيب
لكم الندامة فلعلكم
تفلحون غدا على بساط
السكرامة وقيل اصبروا
على بلائى وصابروا
على نعمائى وربطوا بى
دار أعدائى واتقوا
عجة من سوائى لعلكم
تفلحون غدا بلفظى .
وهذه شرائط ساكن
الرباط قطع الماملة مع
الحلق وفتح الماملة مع
الحق وترك الاكتساب
اكتفاء بكفالة مسبب
الأسباب وحسب
النفس عن المخالطات
واجتناب التبعات
وطائق ليله ونهاره
العبادة متعوضا بها
عن كل عادة يشغله
حفظ الأوقات وملازمة
الأوراد وانتظار
الصلوات واجتناب
الفحشاء ليكون بذلك
مرابطا مجاهدا . حدثنا
شيخنا أبو النجيب
السهروردى قال أنا ابن
نهران محمد الكاتب
قال أنا الحسن بن
شاذان قال أنا دعلج

أوسع منهم ذلك أوزاره أوجب عليه الامتناع من الأكل . فأقول : يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا قليلا ولم يكن من المحقرات . وأما الأكل فلا يجب الامتناع منه فإني أقول إن ترددنا في جعل الفعل دالة على ثقل الملك فلا ينبغي أن لانجمعه دالة على الإباحة فإن أمر الإباحة أوسع وأمر ثقل الملك أضيق فشكل معطوم جرى فيه بيع معاطاة فتقلمم البائع إذن في الأكل يعلم ذلك بقرينة الحال كإذن الحامى في دخول الحمام والإذن في الإطعام لمن يريده للشترى فينزل منزلة ما لو قال أبحث لك أن تأكل هذا الطعام أو تطعم من أردت فانه يحل له ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم أغرم لي عوضه لحل الأكل ويلزمه الضمان بعدا لكل هذا قياس القعة عندي ولكنه بعد المعاطاة أكل ملكه ومتلف له فضله الضمان وذلك في ذمته والثمن الذي سلمه إن كان مثل قيمته فقد ظفر للتحقق . بمثل جفه فله أن يتسلط بهما عجز عن مطالبة من عليه وإن كان قادرا على مطالبة فانه لا يملك ما ظفر به من ملكه لأنه ربما لا يرضى بتلك العين أن يصرها إلى دينه فضله للرجاء وأما هنا فقد عرف رضا بقرينة الحال عند التسليم فلا يعد أن يجعل الفعل دالة على الرضا بأن يستوفى دينه لما يسلم إليه فيأخذ به بجمته لكن على كل الأحوال جانب البائع أغضف لأن ما أخذه قدر يرد بالمالك ليتصرف فيه ولا يمكنه التملك إلا إذا أنلف عين طعامه في يد الشترى ثم ربما يفتقر إلى استئناف قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استغاده من الفعل دون القول . وأما جانب الشترى للطعام وهو لا يريد إلا الأكل فحين فإن ذلك يباح بالإباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مشاورته أن الضيف يضمن ما أنلفه ولما يسقط الضمان عنه إذا تملك البائع ما أخذه من للشترى فيسقط فيكون كالقاضي دينه والتحمل عنه فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على غرضها والعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها ولا يمكن بناء الفتوى إلا على هذه الظنون ، وأما الورع فانه ينبغي أن يستفتى قلبه ويتقن مواضع الشبه .

(العقد الثاني عقد الربا)

وقد حرم الله تعالى وشدد الأمر فيه ويجب الاحتراز منه على الصياغة للتعاملين على التقدين وعلى التعاملين على الأطعمة إذ لا ربا إلا في نقد أو في طعام وعلى الصيرفي أن يحترز من النسيئة والفضل . أما النسيئة فأن لا يبيع شيئا من جواهر التقدين بشيء من جواهر التقدين إلا بداء يد وهو أن يجري التقايض في المجلس وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصياغة الذهب إلى دار الضرب وشراء الدنانير الضرورية حرام من حيث النساء ومن حيث إن الغالب أن يجري فيه تعاضل إذ لا يرد المضروب بمثل وزنه . وأما الفضل فيحترز منه في ثلاثة أمور في بيع السكر بالصحيح فلا يجوز العاملة فيها إلا مع المائلة وفي بيع الجيد بالردى فلا ينبغي أن يشتري ردبا بعيد دونه في الوزن أو يبيع ردبا بعيد فوقة في الوزن أعني إذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فإن اختلف الجنسان فلا حرج في الفضل والثالث في المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة إن كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح العاملة عليها أصلا إلا إذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فأنارتخص في العاملة عليه إذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم العشوشة بالنحاس إن لم تكن رائجة في البلد لم تصح للعاملة عليها لأن القصد منها النقرة وهي مجهولة وإن كان نقدا رائجا في البلد رخصنا في العاملة لأجل الحاجة وحرج النقرة عن أن يقصد استخراجها ولكن لا يقابل بالنقرة أصلا وكذلك كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي أن يشتري بتناج آخر إن كان قدر الذهب منه معلوما إلا إذا كان موهبا بالذهب أو موهبا لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بمثلها

قال أنا البغوي عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال حدثنا صفوان عن الحرث عن سعيد ابن السيب عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إسباغ الوضوء في المكارم وإعمال الأقدام إلى الساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يفسد الخطايا غسلا » . وفي رواية « ألا أخبركم بما يحو حاشا به الخطايا وترفع به الدرجات ذلوا على يا رسول الله قال إسباغ الوضوء في المكارم وكثرة الخطا إلى الساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط » [الباب الرابع عشر في مشابة أهل الرباط بأهل الصفة] قال الله تعالى - مسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون

من النقرة بما أريد من غير النقرة وكذلك لا يجوز للصير في أن يشتري قلاة فيها خرز وذهب بذهب ولأن بيعة بل بالفضة يدايد إن لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها . وأما للتعاقد على الأظمة فلهي القابض في المجلس اختلف جنس الطعام المبيع والشترى أولم يختلف فإن أئحد الجنس فلهي القابض ومراعاة العائلة والمتاد في هذا معاملة القصاب بأن يسل إلى المقنم ويشتري بها اللحم نقدا أو نسيئة فهو حرام ومعاملة الحجاز بأن يسل إلى الحنطة ويشتري بها الحبز نسيئة أو نقدا فهو حرام ومعاملة المصار بأن يسل إلى البرز والسمسم والزيتون ليأخذ منه الأدهان فهو حرام وكذا اللبان يعطى اللبان ليأخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر أجزاء اللبن فهو أيضا حرام ولا يباع الطعام بغير جنسه من الطعام إلا نقدا وبجنسه إلا نقدا ومتائلا وكل ما يتخذ من الشيء المعلوم فلا يجوز أن يباع به متائلا ولا متفاضلا فلا يباع بالحنطة دقيق وخبر وسويق ولا بالنخب والتمر دبس وخل وعصير ولا باللبن من وزيد وبخيس ومصل وجبن والمائلة لا تضيد إذا لم يكن الطعام في حال كمال الادخار فلا يباع الرطب بالرطب والعنب بالعنب متفاضلا ومتائلا فهذه جل مقننة في تعريف البيع والتبني على ما يشعر التاجر بمثارات الفساد حتى يستغنى فيها إذا تشكك والتبس عليه شيء منها وإذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واقتحم الربا والحرام وهو لا يدري .

(العقد الثالث السلم)

وليراع التاجر فيه عشرة شروط . الأول : أن يكون رأس المال معلوما على مثله حتى لو تمخر تسليم السلم فيه أمكن الرجوع إلى قيمة رأس المال فان أسلم كفا من الدراهم جزافا في كره حنطة لم يصح في أحد القولين . الثاني : أن يسل رأس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم . الثالث : أن يكون السلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والإبريسم والألبان واللحوم ومتاع الطائرين وأشباهاها ولا يجوز في المعونات والمركبات وما يختلف أجزاؤه كالقسي المصنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة أجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الحبز وما يتطرق إليه من اختلاف قدر الملح والماء بكمرة الطبخ وقلته يعني عنه ويتسامح فيه . الرابع : أن يستقصى وصف هذه الأمور القابلة للوصف حتى لا يبق وصف متفاوت به القيمة تفاوتا لا يتغابن بمثله الناس إلا ذكره فان ذلك الوصف هو القائم مقام الرؤية في البيع . الخامس : أن يجعل الأجل معلوما إن كان مؤجلا فلا يؤجل إلى الحصاد ولا إلى إدراك الثمار بل إلى الأشهر والأيام فان الإدراك قد يتقدم وقد يتأخر . السادس : أن يكون السلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت الحبل ويؤمن فيه وجوده غالبا فلا يبنى أن يسل في العنب إلى أجل لا يدرك فيه وكذا سائر القواكه فان كان الثالب وجوده وجاء الحبل وعجز عن التسليم بسبب آفة فله أن يمهله إن شاء أو يفسخ ويرجع في رأس المال إن شاء . السابع : أن يذكر مكان التسليم فيها يختلف القرض به كي لا يثير ذلك نزاعا . الثامن : أن لا يعلقه بمعين فيقول من حنطة هذا الزرع أو ثمرة هذا البستان فان ذلك يطل كونه ديناً نعم لو أضاف إلى ثمرة بلد أو قرية كبيرة لم يضر ذلك التاسع : أن لا يسل في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة بعز وجود مثلها أو جارية حسنة معها ولها أو غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا . العاشر : أن لا يسل في طعام مهما كان رأس المال طعاما سواء كان من جنسه أو لم يكن ولا يسل في شيء إذا كان رأس المال نقدا وقد ذكرنا هذا في الربا .

أن يتطهروا والله يحب
الطاهرين - وهذا وصف
أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قيل لهم ماذا كنتم
تصنعون حتى أتى الله
عليكم بهذا الشتاء قالوا
كنا نتبع الماء الحجير
وهذا أشباه هذا من
الآداب وظيفه صوفية
الربط يلازمونه
ويتعاهدونه والرباط
بينهم ومضربهم ولكل
قوم دار والرباط دارهم
وقد شابهوا أهل الصفة
في ذلك على ما أخبرنا
أبو زرعة عن أبيه
الحافظ القدسي قال
أنا أحمد بن محمد
البرزائي قال أنا عيسى
ابن علي الوزير قال
حدثنا عبد الله بن عوي
قال حدثنا وهبان بن
بقية قال حدثنا خاله
ابن عبد الله عن داود
ابن أبي هند عن أبي
الحريث حرب بن أبي
الأسود عن طلحة
رضي الله عنه قال
كان الرجل إذا قدم

(العقد الرابع الإجارة)

وله ركنان الأجرة والمنفعة فأما الماتدو اللفظ فيختبر فيه ما ذكرناه في البيع والأجرة كالنخل فينبغي أن يكون معلوماً وموصوفاً بكل ما شرطناه في البيع إن كان ميتاً فإن كان ديناً فينبغي أن يكون معلوم المنفعة والقدر ويحتقر فيه عن أمور جرت العادة بها وذلك مثل كراء الدار بمارتها فذلك باطل إذا قدر العارة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على المكتري أن يصرفها إلى العارة لم يجز لأن عمله في الصرف إلى العارة مجهول . ومنها استئجار النخل على أن يأخذ الجلد بعد السلق واستئجار حمال الجيف بجدة الجيفة واستئجار الطحان بالنخالة أو ببعض الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الأجير فلا يجوز أن يجعل أجرة . ومنها أن يقدر في إجارة النور والخوانيت مبلغ الأجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر أشهر الإجارة كانت اللدة مجهولة ولم تنفذ الإجارة . الركن الثاني : للنفعة المقصودة بالإجارة وهي العمل وحده إن كان عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستئجار عليه وحيلة فروع الباب تدرج تحت هذه الرابطة ولكننا لا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها في الفقرات وإنما نشير إلى ما تم به البلوى فليعلم في العمل للمستأجر عليه خمسة أمور : الأول أن يكون متقوماً بأن يكون فيه كلفة وتعب فلو استأجر طعاماً ليزين به الدكان أو أشجاراً ليخفف عليها الثياب أو دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فإن هذه النافع تجري مجرى حبة مسمومة وجبة بر من الأنيان وذلك لا يجوز يمه وهي كالنظر في مرآة القبر والشرب من بئر والاستغلال بجداره والانتباس من ناره ولهذا لو استأجر ياباعاً على أن يسكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز وما يأخذه البياعون عوضاً عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام إذ ليس يصدر منهم إلا كلمة لا تصب فيها ولا قيمة لها وإنما يحل لهم ذلك إذا تبوا بكثرة التردد أو بكثرة الكلام في تأليف أسر للعامة ثم لا يستحقون إلا أجرة الثلث فأما ما توافقاً عليه الباعة فهو ظلم وليس مأخوذاً بالحق . الثاني : أن لا تضمن الإجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز إجارة السكرم لارتفاقه ولا إجارة للواتي لثلبها ولا إجارة البساتين ثمارها ويجوز استئجار للرضعة ويكون اللبن تابياً لأن إفراده غير ممكن وكذا يتسامح بجبر الوراق وخطيط الحياطين لثلبها لا يقصدان على حيالهما . الثالث : أن يكون العمل مقدوراً على تسليمه حساساً وشرعاً فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استئجار الأخرس على التعليم ونحوه وما يحرم عمله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستئجار على قلع سنّ سليمة أو قطع عضو لا يخص الشرع في قطعه أو استئجار الخائض على كنس المسجد أو العلم على تعليم السحر أو الفحش أو استئجار زوجة الغير على الإرضاع دون إذن زوجها أو استئجار المصور على تصوير الحيوانات أو استئجار الصائغ على صبغة الأذن من الذهب والفضة فكل ذلك باطل . الرابع : أن لا يكون العمل واجباً على الأجير أو لا يكون بحيث لا تجرى النيابة فيه عن المستأجر فلا يجوز أخذ الأجرة على الجهاد والعلى سائر البادات التي لا نيابة فيها إذ لا يقع ذلك عن المستأجر ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموت وحمل الجنازة وفي أخذ الأجرة على إمامة صلاة التراويح وعلى الأذان وعلى التصدي للتدريس وإقراء القرآن خلاف أما الاستئجار على تعليم مسألة بعينها أو تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح . الخامس : أن يكون العمل والمنفعة معلوماً فالخياط يصرف عمله بالثوب والمعلم يصرف عمله بتعليم السورة ومقدارها وحمل الثوب يعرف بمقدار المعمول . وبقدار المسافة وكل ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز إجماله وتفصيل ذلك يطول وإنما ذكرنا هذا القدر ليعرف به حليات الأحكام ويتفطن به لمواضع الأشكال فيسأل فإن الاستقصاء شأن الملقى لا شأن العوام .

للدنية، وكان له بها عريف ينزل على عريفه فإن لم يكن له بها عريف نزل الصفة وكانت فيمن نزل الصفة فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة ووضع الربط لهذا المعنى أن يكون سكانها بوصف ما قال الله تعالى - وزرعنا في صدورهم من غلّ إخوانا على سرر متقابلين - وللقابلية باستواء السر والعلانية ومن أضمر لأخيه غلاً فليس بمقابل له وإن كان وجهه إليه فأهل الصفة هكذا كانوا لأن مشار القل والحقد وجود الدنيا وحسب الدنيا رأس كل خطيئة فأهل الصفة رفضوا الدنيا وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع فزالت الأحماد والقل عن مواطنهم وهكذا أهل الربط متقابلون

(العقد الخامس القراض)

وليراع فيه ثلاثة أركان . الركن الأول : رأس المال وشرطه أن يكون قد اُمدد معلوما مسلما إلى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض فإن التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صرة من الدراهم لأن قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط مالك اليد لنفسه لم يجز لأن فيه تضيق طريق التجارة : الركن الثاني : الربح ولكن معلوما بالجزئية بأن شرط له الثلث أو النصف أو ما شاء فلوقال على أن لك من الربح مائة والباقي لي لم يجز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع . الثالث : العمل الذي على العامل . وشرطه أن يكون تجارة غير مضيق عليه بتعيين وتأنيث فلو شرط أن يشتري بالمال ماشية ليطالب نسلها فيقتاضا من النسل أو حنطة فيخبرها ويتقاضا من الربح لم يصح لأن القراض مأذون فيه في التجارة وهو البيع والشراء وما يقع من ضرورتهما فقط وهذه حرف أعنى الحيز ورعاية اللواشي ولوضيق عليه وشرط أن لا يشتري إلا من فلان أولا يتجر إلا في الحيز الأحمر أو شرط ما يضييق باب التجارة فقد العقد ثم معها العقد فالعامل وكيل فيتصرف بالنسبة تصرف الوكلاء ومهما أراد المالك التصحح فله ذلك فإذا فسخ في حالة والمال كله فيها فقد لم يخف وجه القسمة وإن كان عروضا ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تسكينة أن يرده إلى العقد لأن العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا وإن قال العامل أيمه وأبي للمالك فالتبوع رأى المالك إلا إذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على رأس المال ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار رأس المال بجنس رأس المال لا بقدر آخر حتى يتميز الفاضل ربعا فيشتركان فيه وليس عليهم بيع الفاضل على رأس المال ومهما كان رأس السنة فله عليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة فإذا كان قد ظهر من الربح شيء فالأفليس أن زكاة نصيب العامل على العامل وأنه يملك الربح بالظهور وليس للعامل أن يسافر بحال القراض دون إذن المالك فإن فعل صحت تصرفاته ولكنه إذا فعل ضمن الأعيان والأثمان جميعا لأن عدوانه بالقل يتعدى إلى ثمن النقول وإن سافر بالإذن جاز ونفقة الثقل وحفظ المال على مال القراض كما أن نفقة الوزن والكيل والحل الذي لا يعتاد التاجر مثله على رأس المال فأما نشر الثوب وطيه والعمل السير المعتاد فليس له أن يبدل عليه أجره وعلى العامل نفقته وسكنانه في البلد وأيس عليه أجره الحانوت ومهما تجرد في السفر مال القراض فنفقته في السفر على مال القراض فأدارجع عليه أن يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرها .

(العقد السادس الشركة)

وهي أربعة أنواع : ثلاثة منها باطلة . الأول : شركة الفاوضة وهو أن يقولوا نقاضونا لنشترك في كل مالنا وعلينا يوما مالا مما تراز فهي باطلة . الثاني : شركة الأبدان وهو أن يتشارطا الاشتراك في أجره العمل فهي باطلة . الثالث : شركة الوجوه وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيل ومن جهة غيره العمل فهذا أيضا باطل ، وإنما الصحيح العقد الرابع المسمى شركة العنان . وهو أن يختلط مالا ما بحيث يتميز التميز بينهما إلا بقسمة وأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز أن يغير ذلك بالشرط ثم بالعدل يتمتع بالتصرف عن العزول وبالقسمة ينفصل المالك عن الملك والصحيح أنه يجوز عقد الشركة العروض المشتراة ولا يشترط العقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب وإلا اتهم الحرام من حيث لا يدري . وأما معاملة القصاب والحجاز والبقال فلا يستغنى عنها المكتسب وغير المكتسب والحلل فيها من ثلاثة وجوه من إهمال شروط البيع وإهمال

بظواهرهم وبواطنهم
يجتمعون على الألفة
والمودة يجتمعون
للحلم ويجتمعون
للطعام ويتعرفون بركة
الاجتماع . روى وحشي
ابن حرب عن أبيه عن
جده أنهم قالوا يا رسول
الله إنا نأكل ولا نشبع
قال لتلكم تفترون
على طعامكم اجتمعوا
واذكروا الله تعالى
يبارك لكم فيه .
وروى أنس بن مالك
رضي الله عنه قال
« ما أكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في
سكرة ولا خبز له
مرقق قليل فطلى أعمى
شيء كانوا يأكلون
قال على السفر » فالعباد
والزهاد يطلبوا الأفراد
لدخول الآفات عليهم
بالاجتماع وكون
نفوسهم تتفلق للأهوية
والخوض فيها لا يخفى
فراوا السلامة في
الوحدة والصوفية لقوة
عملهم وصحة حالهم
نزع عنهم ذلك

شروط السلم أو الانتصار على المظاظة إذا العادات جارية بكتبه الخطوط على هؤلاء عجاجات كل يوم ثم الحاسبة في كل مدة ثم التوزيع بحسب ما يقع عليه التراضي وذلك بمنزلة القضاء بإباحته للحاجة ويحمل تسليمهم على إباحة تناول مع انتظار العوض فيحل آكله ولكن يجب الضمان بأكله وتلزم قيمته يوم الإنفاق فتجتمع في الذمة تلك القيم فإذا وقع التراضي على مقدار ما ينبغي أن يلتزم منهم الإبراء المطلق حتى لا يتقرب عليه عهدة إن تطرق إليه تفاوت في التوزيع فهذا ما يجب التسامح به فإن تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج في كل يوم وكل ساعة تكليف شطط وكذا تكليف الإيجاب والقبول وتقدير ثمن كل قدر يسير منه فيه عشر وإذا كثر كل نوع سهل تقديره والله اللوفيق .

(الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في العامة)

اعلم أن العامة قد تجري على وجه حكم الفتي بصحتها وانقيادها ولكنها تشتعل على ظلم يتعرض به العامل لسخط الله تعالى إذ ليس كل شيء يقتضي فساد العقد وهذا الظلم يمتنع به ما استغنى به الغير وهو منقسم إلى ما يميم ضرره وإلى ما يميم العامل .

(القسم الأول فيما يميم ضرره . وهو أنواع)

النوع الأول : الاحتكار فيائع الطعام بدخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره »^(١) وروى ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من احتكر الطعام أربعين يوماً قد برى من الله وبرى الله »^(٢) وقول فكأنما قتل الناس جميعاً . وعن علي رضي الله عنه من احتكر الطعام أربعين يوماً فساقبه وعنه أيضاً أنه أحرق طعام محتكره بالنار وروى في فضل ترك الاحتكار عنه عليه السلام « من جلب طعاماً بفاعه يسير يومه فكأنما تصدق به وفي لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة »^(٣) وقيل في قوله تعالى « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذره من عذاب أليم » إن الاحتكار من الظلم ودخل تحت في الوعيد وعن بعض السلف أنه كان بواسط فجهز سفينة حنطة إلى البصرة وكتب إلى وكيله ببيع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره إلى غدا فوافق سعة في السر فقالبه التجار لو أخرته جمعة رحمت فيه أضعافه فأخره جمعة فربح فيه أمثاله وكتب إلى صاحبه بذلك فكتب إليه صاحب الطعام يا هذا إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وإنك قد خالفت وما نحب أن نربح أضعافه بنهب شيء من الدين فقد جنب علينا جناية فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال كله تصدق به على فقراء البصرة وليتأخر من أتم الاحتكار كفافاً لعل ولاي . واعلم أن التهم مطلق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس أما الجنس فيطرأ التهم في أجناس الأقوات أما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالأدوية والمقاقير

(الباب الثالث في بيان العدل)

(١) حديث من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي والحطيب في التاريخ من حديث أنس بسندين ضعيفين (٢) حديث ابن عمر من احتكر الطعام أربعين يوماً قد برى من الله وبرى الله منه أحمد والحاكم بسند جيد وقال ابن عدي ليس بحفوظ من حديث ابن عمر (٣) حديث من جلب طعاماً بفاعه يسير يومه فكأنما تصدق به وفي لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ما من جالب يجلب طعاماً إلى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بيسير يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد وللحاكم من حديث البيهقي إن الجالب إلى سوقنا كالجهاد في سبيل الله وهو مرسل

هم أو الاجتماع في بيوت الجماعة على السجادة فسجادة كل واحد زاوية يوم كل واحد مهمه ولعل الواحد منهم لا يتخطى همه سجدته ولهم في اتخاذ السجادة وجه من السنة . وروى أبو سلمة ابن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت « كنت أجيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيراً من الليف يصلى عليه من الليل » وروى يميونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسط له الحجرة في السجدة حتى يصلى عليها » والرباط يحتوي على شبان وشيوخ وأصحاب خدمة وأرباب خلوة فالمساجير بالزوايا ألقى نظراً إلى ما تدعو إليه النفس من النوم والراحة والاستبداد بالحركات والسكنات فللنفس

شوق إلى الضرر والاسترسال في وجوه الفرق والشاب يضيق عليه مجال النفس بالعود في بيت الجماعة والانكشاف لنظر الأغيار لشكر السيون عليه فيبتدئ ويتأب ولا يكون هذا إلا إذا كان جمع الرابطة في بيت الجماعة مهتمين بحفظ الأوقات ومنبسط الأفاس وحراسة الحواس كما كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم - لكل امرئ منهم يومئذ شأن فيه كان - عند من هم الآخرة ما يشغلهم عن اشتغال البعض البعض وهكذا ينشئ لأهل الصدق والصوفية أن يكون اجتماعهم غير مضر بوقتهم فإذا تخلص أوقات الشبان اللغو واللفظ فالأولى أن يلزم الشاب الطالب الوحدة والعزلة ويؤثر الشيخ الشاب بزواجته وموضع خلوته ليحبس

والزعران وأمثاله فلا يتمدى التهي إليه وإن كان مطعوما وأما ما يمين على القوت كاللحم والقواكه وما يمدد سدا يفتى عن القوت في بعض الأحوال وإن كان لا يمكن للدائمة عليه فهذا في عمل النظر لمن العلماء من طرد التحريم في السمن والصل والشيرج والخبز وما يجري مجراه وأما الوقت فيحتمل أيضا طرد التهي في جميع الأوقات وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سعة في السر ويحتمل أن يخص بوقت قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون في تأخير يعم ضررها فأما إذا اتسعت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قطعا فليس في هذا إضرار وإذا كان الزمان زمان قطع كان في ادخار الصل والسمن والشيرج وأمثاله إضرار فينبغي أن يقضى بتحريره ويعول في نفي التحريم وإثباته على الضرر فانه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام وإذا لم يكن ضررا فلا يخلو احتكار الأقوات عن كراهية فانه ينتظر مبادئ الضرر وهو ارتفاع الأسعار وانتظار مبادئ الضرر عند زوركا انتظار عين الضرر ولكنه دونه وانتظار عين الضرر أيضا ودون الإضرار فيقدر درجات الأضرار متفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الأقوات مما لا يستحب لأنه طلب ربح والأقوات أصول خاقت قواما والربح من الزايا فينبغي أن يطلب الربح فيما خلق من جملة الزايا التي لا ضرورة للخلق إليها ولذلك أوصى بعض التابعين رجلا وقال لاتسلم ولديك في بيعتين ولا في صنتين يبيع الطعام ويبيع الأكفان فإنه يتخى الغلاء وموت الناس والصنعتان أن يكون جزارا فانه صنعة تقى القلب أو صواغا فانه يزخر في الدنيا بالذهب والفضة . النوع الثاني ترويج الزيف من الدرهم في أثناء النقد فهو ظلم إذ يستغربه المعامل إن لم يعرف وإن عرف فسير وجهه على غيره فكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الأيدي ويم الضرر ويتسع الفساد ويكون زور السك وبالله راجعا إليه فانه هو الذي فتح هذا الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سن سنة سيئة فعلم بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئا» (١) وقال بعضهم إنفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم لأن السرقة مصيبة واحدة وقد تمت واقطعت وإنفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة أو مائتي سنة إلى أن يفتى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد من أموال الناس بسنته وطوبى لمن إذا مات مات معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة أو أكثر يعذب بها في قبره ويسئل عنها إلى آخر اقراءها قال تعالى - ونكتب ما قدموا وآثارهم - أي نكتب أيضا ما أخرجه من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدموه وفي مثله قوله تعالى - بنى الإنسان يومئذ بما قدم وأخر - وإنما أخر آثار أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره . ولعلم أن في الزيف خمسة أمور : الأول أنه إذا رد عليه شيء منه فينبغي أن يطرحه في بر بحيث لا يعتد إليه اليد وإياه أن يروجه في بيع آخر وإن أقدمه بحيث لا يمكن التعامل به جاز . الثاني أنه يجب على التاجر تعلم النقد لا يستغنى لنفسه ولكن لئلا يسلم إلى مسلم زيفا وهو لا يدري فيكون آثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم فاسلك عمل علم به يتم نصع المسلمين فيجب تحصيله ولعل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد انظروا لدينهم لالديناهم . الثالث أنه إن سلم وعرف المعامل أنه زيف لم يخرج عن الإثم لأنه ليس بأخذ إلا بوجه على غيره ولا يخبره ولولم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في أخذه أصلا فأعسا يتخلص من إثم الضرر الذي يخص معاملته

(١) حديث من سن سنة سيئة فعلم بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء مسلم من حديث جرير بن عبد الله .

قط . الرابع : أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء »^(١) فهو داخل في بركة هذا الدماء إن عزم على طرحه في بئر وإن كان عازماً على أن يروجه في معاملة فهذا شرّ روجه الشيطان عليه في معرض الحبر فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء . الخامس أن الزيف نفي به مالا نفرة فيه أصلاً بل هو بموه أو مالا ذهب فيه أعمى في الدنانير أما ما فيه نفرة فإن كان محلولاً بالتحاس وهو قد البلد قد اختلف العلماء في المعاملة عليه وجل رأينا الرخصة فيه إذا كان ذلك قد البلد سواء علم مقدار النفرة أو لم يعلم وإن لم يكن هو قد البلد لم يجز إلا إذا علم قدر النفرة فإن كان في ماله قطعة نفرتها ناقصة عن قد البلد فعليه أن يخبر به معاملة وأن لا يعامل به إلا من لا يستحل الترويج في جملة التقيد بطريق التلبس فأما من يستحل ذلك فتسليمه إليه تسليط له على الفساد فهو كبيع الضب بمن يعلم أنه يتخذه خيراً وذلك محظور وإعانة على الشر ومشاركة فيه وسوء طريق الحق بمثل هذا في التجارة أشد من اللواطبة على نوافل العبادات والتخلي لها ولذلك قال بعضهم التاجر الصدوق أفضل عند الله من التبيد وقد كان السلف يحاطون في مثل ذلك حتى روي عن بعض القزاة في سبيل الله أنه قال حملت على فرسي لأقتل علياً قصير فرسي فرجعت ثم دنا مني العليج فحملت ثانياً قصير فرسي فرجعت ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لأعتاد ذلك منه فرجعت حزناً وجلست منكس الرأس منكسر القلب لما فاني من العليج وما ظهر لي من خلق الفرس فوضعت رأسي على عمود القسطاط وفرسي قائم فرأيت في النوم كأن الفرس يخاطبني ويقول لي بالله عليك أردت أن تأخذ على العليج ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لي علفاً ودنصت في عنقه درهما زائفاً لا يكون هذا أبداً قال فانتهت فزعا فذهبت إلى العلاف وأبدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يعم ضرره وليقس عليه أمثاله .

(القسم الثاني ما يعم ضرره العامل)

فكل ما يستضره العامل فهو ظلم وإلحاق العدل أن لا يضر بأخيه المسلم والضابط السكوى فيه أن لا يجب لأخيه إلا ما يجب لنفسه فكل ما لو عمل به شق عليه وقتل على قلبه فينبغي أن لا يعامل غيره به بل ينفى أن يستوى عنده درهمه ودرهم غيره قال بعضهم : من باع أخاه شيئاً بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه إلا بخمسة دنانير فإنه قد ترك النصح للمأمور به في المعاملة ولم يجب لأخيه ما يجب لنفسه هذه جملة ما فاما تفصيله ففي أربعة أمور أن لا يثني على السلعة بما ليس فيها وأن لا يكتن من عيوبها وخفايا صفاتها شيئاً أصلاً وأن لا يكتن في وزنها ومقدارها شيئاً وأن لا يكتن من سرها ما لو عرفه العامل لا تمتنع عنه : أما الأول فهو ترك الانتباه وصفه للسلعة إن كان بما ليس فيها فهو كذوب فإن قبل المشتري ذلك فهو تلبس وظلم مع كونه كذا وإن لم يقبل فهو كذوب وإسقاط مرموقة إذ الكذب الذي يروج قد لا يندفع في ظاهر المروءة وإن أثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يمينه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه أنه لم تكلم بها قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - إلا أن يثنى على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشتري ما لم يذكره كما يصفه من خلق أخلاق العبيد والجواري والدواب فلا بأس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة وإطباب وليكن قصده منه أن يعرفه أخوه المسلم فيرغب فيه ويتقضى بسببه حاجته ولا ينفى أن يحلف عليه ألبنة فإنه إن كان كاذباً فقد جاء باليمين النعموس وهي من الكبار التي تذر الديار بلاق وإن كان صادقاً فقد جعل الله تعالى عرصة لأيمانه وقداًساً فيه إذ الدنيا أخس من أن يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة ،

(١) حديث رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء البخاري من حديث جابر .

القلب نفسه عن
دواعي الهوى والحوض
فيها لا يمين ويكون
الشيخ في بيت الجماعة
لقوة حاله وسيره على
معاودة الناس وتخلصه
من تبعات المحاطة
وحضور وقاره بين الجمع
فينضبط به القبر ولا
يتكبر هو وأما الخدمة
فشان من دخل الرباط
مبتدئاً ولم يذق طعم
العلم ولم يتبته لنفاس
الأحوال أن يؤمر
بالخدمة لتكون عبادته
خدمة ويحبب بحسن
الخدمة قلوب أهل الله
إليه فتسجله بركة ذلك
وصين الإخوان
المشتغلين بالعبادة . قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « المؤمنون
إحوة يطلب بعضهم إلى
بعض الحوائج فيقضى
بعضهم إلى بعض
الحوائج قضى الله لهم
حاجاتهم يوم القيامة »
فيتحفظ بالخدمة
عن البطالة التي تمت
القلب والخدمة عند

وفي الخبر « ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبغد »^(١) وفي الخبر « الجين الكاذبة متفقة للسلعة محقة للبركة »^(٢) وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عتل مستكبر ومنان بطيته ومنفق سلته يمينه »^(٣) فإذا كان التناء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث إنه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التخليط في أمر الجين وقد روى عن يونس بن عبيد وكان خزازا أنه طلب منه خرلشراء فأخرج غلامه سقط الخبز ونثره ونظر إليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده إلى موضعه ولم يمه وخاف أن يكون ذلك تمريضا بالتناء على السلعة فقتل هؤلاء هم الذين اتجروا في الدنيا ولم يضعوا دينهم في تجارتهم بل علوا أن ربح الآخرة أولى بالطلب من ربح الدنيا . الثاني : أن يظهر جميع عيوب البيع حبيبا وجليها ولا يكتم منها شيئا فذلك واجب فإن أخفاء كان ظالما غاشا والفش حرام وكان تاركا للنصح في العاملة والصح واجب ومهما أظهر أحسن وجهي الثوب وأخفى الثاني كان غاشا وكذلك إذا عرض الثياب في المواضع المظلمة وكذلك إذا عرض أحسن فردى الخلف أو التعل وأمثاله وبدل على تحريم الفش ما روى « أنه مر عليه الصلاة والسلام برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فيه فرأى بلا فقال ما هذا قال أسابته السماء قال فعلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس حتى غشنا فليس منا »^(٤) ويدل على وجوب النصح بإظهار العيوب ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الإسلام ذهب لينصرف فجدب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم^(٥) فكان جرير إذا قام إلى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال إن شئت فخذ وإن شئت فترك فقبل له إنك إذا فعلت مثل هذا لم تنفذ لك بيع قال إنا أيضا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم وكان وثالث بن الأسقع واقفا فباع رجل ناقه له بثلاثمائة درهم ففشل وثالثه وقد ذهب الرجل بالناقه فسمى وراءه وجعل يصيح به با هذا اشتريتها للحوم وللظهر فقال بل للظهر فقال إن مخفيها نقبا قدرأيته وإني ألتابع السير فما قدرها فقصفها بالبع مائة درهم وقال وثالثه رحل الله أفسدت على يبي فقال إنا باعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يجل لأحد يبيع بما إلا بين آتته ولا يجل لمن يجل ذلك إلا تبينه »^(٦) فقد فهموا من النصح أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرضاه لنفسه ولم يستعدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة القامات بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام الداخلة تحت بيعتهم وهذا أمر يثيق على أكثر الحلق فلذلك يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن الناس لأن القيام بحقوق الله مع المخالطة للعاملة مجاهدة لا يقوم بها إلا الصديقون ولن يتيسر ذلك على العبد إلا بأن يعتقد أمرين . أحدهما أن تلبسه العيوب وترويعه

(١) حديث ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبغد لم أقفله على أصله وذكر صاحب مسند الفروس من حديث أنس بغير إسناد نحوه (٢) حديث الجين الكاذبة متفقة للسلعة محقة للبركة متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ الحلف وهو عند البيهقي بلفظ النصف (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عاتل مستكبر ومنان بطيته ومنفق سلته يمينه مسلم من حديثه إلا أنه لم يذكر فيها إلا عاتل مستكبر ولهما ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم رجل حلف على سلعة فقد أعطى فيها أكثر مما أعطى وهو كاذب ولمسلم من حديث أبي ذر النان والسيل إزاره والنفق سلته بالخلف الكاذب (٤) حديث مر رجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فرأى بلا فقال ما هذا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث جرير بن عبد الله باعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم متفق عليه (٦) حديث وثالثه لا يجل لأحد يبيع بما إلا بين ما فيه ولا يجل لمن يعلم ذلك إلا تبينه الحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي .

القوم من جملة العمل الصالح وهو طريق من طرق المواعيد تكسبهم الأوصاف الجيلة والأحوال الحسنة ولا يرون استخدام من ليس من جنسهم ولا متطلعا إلى الاعتناء بهم . أخبرنا الشيخ الفقه أبو الفتح قال أنا أبو الفضل حميد ابن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال ثنا سليمان ابن أحمد قال ثنا علي ابن عبد العزيز قال ثنا أبو عبيد قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شريك عن أبي هلال الطائي عن وثيق بن الرومي قال كنت بمولكا لمعربن الخطاب رضى الله عنه فكان يقول لي أسلم فانك إن أسلمت استفتت بك على أمانة للمسلمين فانه لا ينفى أن أسعيتن على أماناتهم بمن ليس منهم قلل فأبيت فقال عمر لا إكراه في الدين سخطا

السلع لا يزيد في رزقه بل يحقه ويذهب يركته وما جمعه من مركات التلبسات يهلكه الله دفعة واحدة .
 قد حكى أن واحدا كان له بقرة يخلط بلبها ويخلط بلبها الماء ويبيعه فجاء سيل فغرق البقرة فقال بعض
 أولاده إن تلك للياه المنفرقة التي صيبتها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة كيف وقد
 قال صلى الله عليه وسلم « اليمان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما وإذا كتما وكذبا نزلت بركة
 بيعهما (١) » وفي الحديث « يئد الله على الشريكين مالم يتخاونا فإذا تخاونا رفع يده عنهما (٢) » فإذا لا يزيد
 مال من خيانة كالا ينقص من صدقة ومن لا يفس الزيادة والنقصان إلا بالزمان لم يصدق بهذا الحديث
 ومن عرف أن الدرهم الواحد قديرك فيه حتى يكون سببا لسعادة الإنسان في الدنيا والدين والآلاف
 المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتخى الإفلاس منها ويراه أصلح
 له في بعض أحواله فيعرف معنى قولنا إن الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه وانتهى الثاني الذي
 لا بد من اعتقاده لئتم له النصح ويتيسر عليه أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا وأن فوائد
 أموال الدنيا تقتضى بانقضاء العمر وتبقى مظالمها وأوزارها فكيف يستجيز العاقل أن يستبدل الذي هو
 أدنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة الدين قال رسول الله ﷺ « لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق
 سخط الله مالم يؤثروا صفقة دينهم على آخرتهم (٣) » وفي لفظ آخر « مالم يبالوا ما نقص من دينهم بسلامة
 دينهم فإذا فاضلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين » وفي حديث آخر « من
 قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصه قال أن يحجزه عما حرم الله (٤) » وقال أيضا ما آمن
 بالقرآن من استحل محارمه ومن علم أن هذه الأمور قادمة في إيمانه وأن إيمانه رأس ماله في
 تجارته في الآخرة لم يضيع رأس ماله المد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينتفع به أياما معدودة . وعن
 بعض التابعين أنه قال لو دخلت الجامع وهو غاص بأهله وقبلى من خير هؤلاء قللت من أنصحبهم
 لهم فإذا قالوا هذا قلت هو خيرهم ولو قيل لي من شرهم قللت من أغشهم لهم فإذا قيل هذا قلت هو
 شرهم والفش حرام في البيوع والصنائع جميعا ولا ينبغي أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لوعامله به
 غيره لما ارتضاء لنفسه بل ينبغي أن يحسب الصنعة وحكمها ثم يبين عيبها إن كان فيها عيب
 فبذلك يتخلص . وسأل رجل حذاء بن سالم فقال كيف لي أن أسام في بيع النعال فقال اجعل الوجهين
 سواء ولا تفضل الجني على الأخرى وجود الحشو وليكن شيئا واحدا تماما وقارب بين الحرز ولا تطبق
 إحدى التعلين على الأخرى ومن هذا الفن ما سئل عنه أحمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث
 لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيعه أن يخفيه وإنما يحل للرفا إذا علم أنه بظلمه أو أنه لا يريد له البيع . فان قلت
 فلا تلم للعامة مهما وجب على الإنسان أن يذكر عيوب البيع . فأقول ليس كذلك إذ شرط التاجر أن
 لا يشتري للبيع إلا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو أمسكه ثم يفتح في يده بربح يسير فيبارك الله له فيه ولا

(١) حديث البيهقي إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما الحديث متفق عليه من حديث حكيم
 ابن حزام (٢) حديث يد الله على الشريكين مالم يتخاونا فإذا تخاونا رفع يده عنهما أبو داود والحاكم
 من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد (٣) حديث لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق
 سخط الله مالم يؤثروا صفقة دينهم على آخرتهم الحديث أبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس
 بسند ضعيف وفي رواية للترمذي الحكيم في النوادر حتى إذا نزلوا بالمرل الذي لا يلبون ما نقص
 من دينهم إذا سلمت لهم دينهم الحديث للطبراني في الأوسط نحوه من حديث عائشة وهو ضعيف
 أيضا (٤) حديث من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصه قال يحجزه عما حرم الله الطبراني
 من حديث زبد بن أرقم في معجمه الكبير والأوسط بإسناد حسن .

حضرته الوفاة اعتقى
 فقال اذهب حيث شئت
 فالقوم يكرهون
 خدمة الأغيار وأبون
 مخالطتهم أيضا فان
 من لا يحب طريقهم
 ربما استضر بالنظر
 إليهم أكثر مما ينتفع
 فاتهم بشر وتبؤ منهم
 أمور بمقتضى طبع
 البشر وينكرها الغير
 قلقة علمه بتقصدهم
 فيكون إياهم لموضع
 الشفقة على الخلق
 لامن طريق التعزز
 والترفع على أحد
 من المسلمين والشباب
 الطالب إذا خدم أهل
 الله الشغولين بطاعته
 يشاركون في الثواب
 وحيث لم يؤهل
 لأحوالهم السنية يخدم
 من أهل لها فخدمته
 لأهل القرب علامة
 حب الله تعالى . أخبرنا
 الثقة أبو الفتح محمد
 ابن سلمان قال أنا
 أبو الفضل حميد بن
 أحمد قال أنا الحافظ
 أبو نعيم قال ثنا

يحتاج إلى تلبس وإنما تعذر هذا لأنهم لا يفتنون بالريح اليسير وليس يسلم الكثير إلا بتلبس فمن
تعذر هذا لم يشتر الصليب فإن وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليتقن بيمينه باع ابن سيرين ثلثة فقال
للمشتري أربأ إليك من عيب فيها إنما ثقل العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري إنها
تنحمت مرة عندنا دما فهكذا كانت سيرة أهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك العاملة أو ليوطن
نفسه على عذاب الآخرة . الثالث أن لا يكتفى في القدر شيئا وذلك بتعديل الميزان والأختياط فيه وفي
الكيل فينبغي أن يكيل كما يكتال قال الله تعالى - ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس
يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون - ولا يخلص من هذا إلا بأن يرجع إذا أعطى ويتقص إذا
أخذ إذ العدل الحقيقي قلما يتصور فليستظهر . بظهر الزيادة والنقصان فإن من استقصى حقه بكعاله
يوشك أن يتعداه وكان بعضهم يقول : لا اشتري الويل من الله بحجة فكان إذا أخذ نقص نصف حجة
وإذا أعطى زاد حجة وكان يقول : ويل لمن باع بحجة حنة عرضها السموات والأرض وما أخسر من
باع طوى بويل وإنما بالنوا في الاحتراز من هذا وشبهه لأنها مظالم لا يمكن التوبة منها إذ لا يعرف
أصحاب الحجاب حتى يجتنبهم ويؤدى حقوقهم . ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
قال للوزان لما كان وزن منته « وزن وأرجح »^(١) ونظر فضيل إلى ابنه وهو يسئل دينارا يريد أن يصرفه
ويزيل تكليفه وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب ذلك قال يابى فملك هذا أفضل من حجتين وعشرين
عمرة وقال بعض السلف محبت للتاجر والبائع كيف ينجو وزن ويحلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمان
عليه السلام لابنه : يابى كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين التائبين . وصلى بعض
الصالحين على منحن قيل له إنه كان فاسقا فكنت فأعبد عليه فقال كأنك قلت لى كان صاحب ميزانين
يعطى بأحدهما وبأخذ بالآخر أشار به إلى أن فسقه مظنة بينه وبين الله تعالى وهذا من مظالم العباد
والمساحة والصفوف به أبعد والتشديد في أمر الميزان عظيم والخلاص منه يحصل بحجة ونصف حجة وفي قراءة
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - لا تطفوا في الميزان وأنجموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان - أى لسان
الميزان فإن نقصان والرجحان يظهر بعينه وبالجلة كل من ينتصف لنفسه من غيره ولو في كلمة ولا ينتصف
بمثل ما ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى - ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون - الآيات
فإن تحريم ذلك في الكيل ليس لكونه مكابلا لكونه أمرا مقصود أترك العدل والصفة فيه فهو جار
في جميع الأعمال فصاحب الميزان في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين في أفعاله وأقواله وخطراته
فالويل له إن عدل عن العدل ومال عن الاستقامة ولو لا تضر هذا واستحالة لما ورد قوله تعالى - وإن متكم
إلا واردها كان على ربك حكامه قضيا - فلا يترك عبد ليس مصوما عن الدين عن الاستقامة إلا أن درجات
الجل تتفاوت تفاوتات عظيمة فذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار إلى أوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم
إلا بقدر نخلة القسم ويبقى بعضهم ألفا وألف سنين فنسأل الله تعالى أن يقرنا من الاستقامة والعدل
فإن الاشتداد على متين الصراط المستقيم من غير ميل عنه غير مطموع فيه فإنه أدق من الشعرة وأحد من
السيف ولولا له لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط المدود على متين النار الذي من صفته
أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف وبقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم يغف الصديق يوم القيامة على
الصراط وكل من خلط بالطعام رأيا أو غيره ثم كاله فهو من المطففين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم
عظما ثم تجر المادة بمثله فهو من المطففين في الوزن وقس على هذا سائر التقديرات حتى في الدرع الذي يعطاه البراز

(١) حديث قال للوزان وزن وأرجح أصحاب السنن والحاكم من حديث سويد بن قيس قال
الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم .

أبو بكر بن خلاد قال
ثنا الحرث بن أبي
أسامة قال ثنا معاوية
ابن عمرو قال ثنا
أبو اسحاق عن حميد
عن أنس بن مالك
رضي الله عنه قال
لما انصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم من
تيوك قال حسين دنا
من المدينة إن
بالمدينة أقواما
ماسرتم من مسير ولا
قطعتم واديا إلا كانوا
معكم قالوا هم في المدينة
قال « نعم حبسهم المذرة »
فالتقام بخنمة القوم
توق عن بلوغ درجاتهم
بمذرة القصور وعدم
الأهلية فقام حول
الحى بأذلا مجهوده في
الخدمة يتطل بالأثر
حيث منع النظر فجراه
الله على ذلك أحسن
الجزاء وأثاله من
جزيل العطاء وهكذا
سكان أهل الصفة
يتعاونون على البر
والتقوى ويجتمعون
على الصالح الدينية

فانه إذا اشترى أرسل الثوب في وقت الذرع ولم يعمد مدا وإذا باع عمده في الذرع ليظهر غناؤا في القدر فكل ذلك من التطفيف للعرض صاحبه لقول . الرابع أن يصدق في سعر الوقت ولا يخفى منه شيئا فقد نهى رسول الله ﷺ عن تلقى الركبان ^(١) ونهى عن التجش ^(٢) أما تلقى الركبان فهو أن يستقبل الرقعة ويتلقى التاع ويكذب في سعر البلد فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تتلقوا الركبان » ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق وهذا الثراء منقذ ولكنه إن ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار وإن كان صادقا ففي الخيار خلاف لعارض عموم المبرمع زوال التلبس ونهى أيضا أن يبيع حاضر لباد ^(٣) وهو أن يقدم البدوى البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع إلى يمه فيقول له الحضري أركه عندي حتى أغالى في ثمنه وأتظفر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي سائر السلع خلاف والأظهر تحريمه لمعوم النهي ولأنه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة الفضولى الضيق ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التجش وهو أن يتقدم إلى البائع بين يدي الراغب المشتري ويطلب السلامة بزيادة وهو لا يريد بها وإنما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا إن لم تجر مواطأة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منقذ وإن جرى مواطأة في أتبوت الخيار خلاف والأولى إثبات الخيار لأنه تقرير بفعل يضاهي التزوير في الصرارة وتلقى الركبان فهذه التماهي تدل على أنه لا يجوز أن يلبس على البائع والمشتري في سعر الوقت ويحكم منه أمرا لوعله لما أقسم على القدر ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب . قد حكى عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس مجهز إليه السكر فكتب إليه غلامه إن قصب السكر قد أصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى سكرا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفا فاضرف إلى منزله فأفكر ليلته وقال ربحت ثلاثين ألفا وخسرت نصح رجل من السديين فلما أصبح غدا إلى بائع السكر فدفن إليه ثلاثين ألفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن أين صارت لي فقال إني كنتك حقيقة الحال وكان السكر قد غشلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله قد أعلمتني الآن وقد طيبت لك قال فرجع بها إلى منزله وتفكر وبات ساهرا وقال ما نصحته فطعمه استعيا من تركها لي ففكر إليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك إليك فهو أطيب لقلبي فأخذ منه ثلاثين ألفا فهذه الأخبار في التماهي والمحاسبات تدل على أنه ليس له أن يشتتم فرصة ويتهن غفلة صاحب التاع ويخفى من البائع غلاء السعر أو من المشتري تراجع الأسعار فان فعل ذلك كان ظالما تاركا للعدل والنصح للسدين ومهما باع مراعاة بأن يقول بت بما قام على أو بما اشترته فعليه أن يصدق ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان ولو اشترى إلى أجل وجب ذكره ولو اشترى مساعمة من صديقه أو ولده يجب ذكره لأن المعامل يعول على عادته في الاستقصاء أنه لا يترك النظر لنفسه فإذا تركه بسبب من الأسباب فيجب إخباره إذ الاعتدال فيه على أماته .

(الباب الرابع في الإحسان في المعاملة)

وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة يجري رأس المال والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة يجري الربح ولا يعد من الفضلاء من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله فكذا في معاملات الآخرة فلا ينبغي للمتدين أن يقتصر على العدل ^(١) حديث النهي عن تلقى الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة ^(٢) حديث النهي عن التجش متفق عليه من حديث ابن عمر وأبي هريرة ^(٣) حديث النهي عن بيع الحاضر للبادي متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة وأنس .

(الباب الرابع في الإحسان في المعاملة)

ومواساة الاخوان
بالمال والبدن .

[الباب الخامس عشر
في خصائص أهل
الربط والصوفية
فيها يتماهدونه
ويغشون به]

أعلم أن تأسيس هذه
الربط من زينة هذه
لله المأدية الهدية
ولسكان الربط أحوال
تميزوا بها عن غيرهم
من الطوائف فمهم على
هدى من ربه قال
الله تعالى - أولئك
الذين هدى الله فبهم
اقتد - وما يرى من
التقصير في حق البعض
من أهل زماننا
والتخلف عن طريق
سلفهم لا يندح في أصل
أمرهم ومحة طريقهم
وهذا القدر الباقي من
الأنز واجتماع التصوفة
في الربط وماهيا الله
تعالى لهم من الرفق
بركة جمية بواطن
للشايح المصنف وأثر
من آثار منع الحق في
حتمهم وصورة الاجتماع

واجتناب الظلم ويدع أبواب الإحسان وقد قال الله - وأحسن كما أحسن الله إليك - وقال عز وجل - إن الله يأمر بالعدل والإحسان - وقال سبحانه - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ونفى بالإحسان قتل ما يستفح به العامل وهو غير واجب عليه ولكنه فضل منه فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتنازل رتبة الإحسان بواحد من ستة أمور : الأول في العانة فينبغي أن لا يبيع صاحبه بما لا يتناهبه في العادة فأما أصل العانة فلأذون فيه لأن البيع للرجع ولا يمكن ذلك إلا بيمين ما ولكن راعى فيه التقريب فإن بذل المشتري زيادة على الرجع المتنازل إما لشدة رغبته أو لشدة حاجته في الحال إليه فينبغي أن يتمتع من قبوله فذلك من الإحسان ومهما لم يكن تلبس لم يكن أخذ الزيادة ظلمًا وقد ذهب بعض العلماء إلى أن التبع بما يزيد على الثلث يوجب الحيار ولنا نرى ذلك ولكن من الإحسان أن يحيط ذلك التبع . يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأيمان ضرب قيمة كل حلة منها أربع مائة وضرب كل حلة قيمتها مائتان فر إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان فجاء أعرابي وطلب حلة بأربع مائة ففرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها ففرض بها وهي على يديه فاستقبله يونس فصرف حلتها فقال للأعرابي بك اشتريت فقال بأربع مائة فقال لا تساوى أكثر من مائتين فأرجع حتى تردها فقال هذه تساوى في بلدنا خمسمائة وأنا أرضيها فقال له يونس انصرف فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخامس ابن أخيه في ذلك وقاله وقال أما استحيت أما انتيت الله ترع مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما أخذها إلا وهو راض بها قال فهلا رضىت لها بما ترضا لنفسك وهذا إن كان فيه إخفاء سعر وتلبس فهو من باب الظلم وقديس في الحديث « غبن السرمسل حرام »^(١) وكان الزبير بن عدي يقول أدركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم أحد يحسن بشيء لما بدرهم فبين مثل هؤلاء السرمسلين ظلم إن كان من غير تلبس فهو من ترك الإحسان وقلمًا يتم هذا إلا بوع تلبس وإخفاء سعر الوقت وإنما الإحسان المحض ما قل عن السرى السقطي أنه اشترى كروزي بستين دينارًا وكتب في روزه ناعجه ثلاثمائة دينار ربحه وكأنه رأى أن يربح على العشرة نصف دينار فصار اللوز بستين فأتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذ قال بك فقال ثلاثة وستين فقال الدلال وكان من الصالحين فقدمار اللوز بستين فقال السرى قد عقدت عقدًا لأحله لست أبيع إلا بثلاثة وستين فقال الدلال وأنا عقدت بيني وبين الله أن لا أغش مسلمًا لست آخذ منك إلا بستين قال فلا الدلال اشترى منه ولا السرى باعه فهذا محض الإحسان من الجانبين فإنه مع العلم بحقيقة الحال . وروى عن محمد بن النكدر أنه كان له شق بضعها بخمسة وبضعها بعشرة فباع في غيبته غلامه شقة من الخمسينات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابي للأشترى طول النهار حتى وجده فقال له إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت فقال وإن رضيت فانا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا فاختر إحدى ثلاث خصال إما أن تأخذ شقة من الشريات بدارهمك وإما أن نرد عليك خمسة وإما أن ترد شقتنا وتأخذ درهمك فقال أعطني خمسة فرد عليه خمسة وانصرف الأعرابي يسأل ويقول من هذا الشيخ قبيل له هذا محمد بن النكدر فقال لاله إلا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي إذا قطعنا فهذا إحسان في أن لا يربح على العشرة إلا نصفًا أو واحدًا على ما جرت به العادة في مثل ذلك الشارع في ذلك السكان ومن قبح يربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها رجحًا كثيرًا وبه تظهر البركة . كان على رضى الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشرة التجار

(١) حديث غبن السرمسل حرام الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف والبيهقي من حديث جابر بسند جيد وقال ربا بدل حرام .

خذوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره قيل لبيد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما سبب يسارك قال ثلاث ماردت رجحا قط ولا طلب من حيوان فأخرت يمه ولا بت بنسفة ويقال إن باع ألف ناقة فأربح في الإغصا باع كل عقال بدرهم فربح فيها ألفا وربع من فقته عليها ليومه ألفا . الثاني : في احتمال التبن والشترى إن اشترى طعاما من ضعيف أو شيئا من فقير فلا بأس أن يحتمل العين ويتساهل ويكون معسنا وداخلا في قوله عليه السلام « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء » فأما إذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال العين منه ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير أجر ولا أحد قد ورد في حديث من طريق أهل البيت « للعين في الشراء لا محمود ولا مأجور » (١) وكان إياس بن معاوية بن قرة قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول لست بحب والحب لا يغني ولا يغني ابن سيرين ولكن بين الحسن وبين أبي بني معاوية بن قرة والكمال في أن لا يغني ولا يغني كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال كان أكرم من أن يندفع وأقل من أن يندفع وكان الحسن والحسين وغيرهما من خيار السلف يستصون في الشراء فهم يهون مع ذلك الجزيل من المال قليل بعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم هم السالكين ولا يتأبى قال إن الواهب يسطى فضله وإن اللعين يمين عقله وقال بعضهم إنما أغني عقلي وبصري فلا أسكن الغائب منه وإذا وهبت أعطى الله ولا أمتكر منه شيئا . الثالث : في استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان في عمرة بالمساحة وحط البعض ومرة بالإمهال والتأخير ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب إليه ومحث عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء » (٢) فليتمتع دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم « اسمع يسمع لك » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من أنظر مصرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا » وفي لفظ آخر « أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » (٤) وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقبله هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أني كنت رجلا أدين الناس فأقول لفتيانى ساعوا للوسر وأنظروا العسر » (٥) وفي لفظ آخر « وتجاوزوا عن العسر فقال الله تعالى نحن أحق بذلك منك فتجاوزا عنه وغفر له » وقال صلى الله عليه وسلم « من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة » (٦) وقد كان من السلف من لا يحب أن يقضى غريمه الدين لأجل هذا الخبر حتى يكون كالتصدق بجميعه في كل يوم وقال صلى الله عليه وسلم « رأيت على باب

اجتمعوا ويرابطة
التأليف الإلهي اتفقوا
وعشاهدة القلوب
نواطثوا ولتهذيب
النفوس وتصفية القلوب
في الرابطة رابطوا
فلا بد لهم من التألف
والتودد والتصح .
روى أبو هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « للؤمن
يا ألف يؤلف ولا خير
فيمن لا يألف ولا
يؤلف » . وأخبرنا
أبو زرعة طاهر بن
الحافظ أبي الفضل
للقدس عن أبيه قال
ثنا أبو القاسم الفضل
ابن أبي حرب قال أنا
أحمد بن الحسين
أخبرني قال أنا أبو سهل
ابن زياد القطان قال
ثنا الحسين بن مكرم
قال ثنا يزيد بن هرون
الواسطي قال ثنا محمد
ابن عمرو عن أبي سلمة
عن أبي هريرة قال :
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « الأرواح
جنود مجندة فما تعارف

(١) حديث من طريق أهل البيت للعين لا محمود ولا مأجور الترمذي الحكيم في التواتر من رواية عبيد الله بن الحسن عن أبيه عن جده ورواه أبو يعلى من حديث الحسين بن علي رضي الله عنه قال الذهبي هو منكر (٢) حديث رحم الله سهل البيع سهل الشراء تقدم في الباب قبله (٣) حديث اسمع يسمع لك الطبراني من حديث ابن عباس ورجاله ثقات (٤) حديث من أنظر مصرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ آخر أظله الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله مسلم باللفظ الثاني من حديث أبي اليسر كعب بن عمرو (٥) حديث ذكر رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقبله هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أني كنت رجلا أدين الناس فأقول لفتيانى ساعوا للوسر الحديث مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة (٦) حديث من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة ابن ماجه من حديث بريدة من أنظر مصرا كان له مثله كل يوم صدقة ومن أنظره بعد أجله كان له مثله في كل يوم صدقة وسنده ضعيف ورواه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

الجنة مكتوباً الصدقة بغير أمثالها والقرض بثان عشرة ^(١) قيل في معناه إن الصدقة تنفع في بد
 المحتاج وغير المحتاج ولا يمتثل ذلك الاستقراض بالإحتياج ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل يلازم
 رجلاً يدين فأومأ إلى صاحب الدين بيده أن يضع الشطر ففعل فقال للدينون قم فأعطه ^(٢) وكل من باع
 شيئاً وترك عنه في الحال ولم يرهق إلى طلبه فهو في معنى المقرض . وروى أن الحسن البصري باع بغلة له
 بأربعين درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اصبح يا أباسعيد قال قد أسقطت عنك مائة قال له
 فأحسن يا أباسعيد فقال قد وهبت لك مائة أخرى قبض من حق مائة درهم فقيل له يا أباسعيد هذا
 نصف الثمن فقال هكذا يكون الإحسان والإفلا وفي الخبر « خذ حقه في كفاف وعفاف واف أو غير
 واف يحاسبك الله حساباً يسيراً ^(٣) . الرابع : في توفية الدين ومن الإحسان فيه حسن القضاء وذلك
 بأن يمتنى إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمتنى إليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم « خيركم أحسنكم
 قضاء ^(٤) » ومهما قدر على قضاء الدين فليأدر إليه ولو قبل وقته وليسلم أجود مما شرط عليه وأحسن
 وإن عجز فليؤن قضاءه مهما قدر قال صلى الله عليه وسلم « من أدان ديناً وهو ينوي قضاءه وكل الله
 به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه ^(٥) » وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير
 حاجة لهذا الخبر ومهما كلف صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف اقتداء برسول الله
 صلى الله عليه وسلم « إذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاءه فجعل الرجل
 يشدد الكلام على رسول الله ﷺ فهم به أصحابه فقال : دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً ^(٦) » ومهما
 دار الكلام بين المستقرض والمقرض بالإحسان أن يكون الليل الأكثر للتوسط بين إلى من عليه الدين فإن
 المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذلك ينبغي أن تكون الإعانة للمشتري
 أكثر فإن البائع راغب عن السلطة يعني ترويحها والمشتري محتاج إليها هذا هو الأحسن الآن يتعدى
 من عليه الدين حده فبعد ذلك نصرته في منعه عن تعديه وإعانة صاحبه إذ قال ﷺ « انصر أخاك
 ظالمًا أو مظلوماً قيل كيف نصره ظالمًا فقال منكم إياه من الظلم نصره ^(٧) . الخامس : أن يقبل من
 يستقبله فإنه لا يستقبل إلا متمسكاً مستتر بالبيع ولا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار
 أخيه قال صلى الله عليه وسلم « من قال نادماً صفقته أقاله الله عثرته يوم القيامة ^(٨) » أو كما قال . السادس :
 أن يقصد في معاملته جماعاً ممن الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على أن لا يطلبهم إن لم تظهر لهم
 ميسرة فقد كان في صالحى السلف من له دقران للحساب أحدهما ترجمته بجهولة فيه أسماء من لا يعرفه

(١) حديث رأيت على باب الجنة مكتوباً الصدقة بغير أمثالها والقرض بثان عشرة ابن ماجه من
 حديث أنس بإسناد ضعيف (٢) حديث أومأ إلى صاحب الدين بيده ضع الشطر الحديث متفق عليه من
 حديث كعب بن مالك (٣) حديث خذ حقه في عفاف الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة
 بإسناد حسن دون قوله يحاسبك الله حساباً يسيراً وله ولا بن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث
 ابن عمر وعائشة (٤) حديث خيركم أحسنكم قضاء متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث من
 أدان ديناً وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه أحمد من حديث
 عائشة ما من عبد كانت له نية في أداء دينه إلا كان معه من الله عون وحافظ وفي رواية لم يزل معه
 من الله حارس وفي رواية للطبراني في الأوسط إلا كان معه عون من الله عليه حتى يقضيه عنه
 (٦) حديث دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث انصر
 أخاك ظالمًا أو مظلوماً الحديث متفق عليه من حديث أنس (٨) حديث من أقال نادماً صفقته
 أقال الله عثرته يوم القيامة أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم

منها اتلف وماتناكر
 منها اختلف فهم
 باجتماعهم تجتمع
 بواطنهم وتقيد
 قلوبهم لأن بعضهم
 عين على البعض على
 ماورد « المؤمن مرآة
 المؤمن » فأى وقت
 ظهر من أحدهم أثر
 التفرقة نأفروه لأن
 التفرقة تظهر بظهور
 النفس وظهور النفس
 من تضييع حق الوقت
 فأى وقت ظهرت
 نفس الفقير علوا منه
 خروجه عن دائرة
 الجمعية وحكموا عليه
 بتضييع حكم الوقت
 وإهمال السياسة وحسن
 الرعاية فيقاد بالنافرة
 إلى دائرة الجمعية .
 أخبرنا شيخنا ضياء
 الدين أبو النجيب
 عبد القاهر السهروردي
 إجازة قال أنا الشيخ
 العالم عصام الدين أبو
 حفص عمر بن أحمد
 ابن منصور الصفاق
 أنا أبو بكر أحمد بن
 خلف الشيرازي قال أنا

من الضمء والفقراء وذلك أن الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة فيشتهيه فيقول أحتاج إلى خمسة أرطال مثلاً من هذا وليس معي ثمنه فكان يقول خذني وأقض ثمنه عند الميرة ولم يكن يعد هذا من الخيار بل عد من الخيار من لم يكن ثبت اسمه في دفتر أصلاً ولا يحمله ديناً لكن يقول خذ ما تريد فإن يسرك فأقض وإلا فأنت في حل منه وسعة فهدى طرق تجارات السلف وقد اندرست والقائم به معي لهذه السنة وبالجملة التجارة حكم الرجال وبها ينتخرون دين الرجل وورعه ولذلك قيل : لا يفرنك من الرء قيس رقصه أو إزار فوق كعب الساق منه رقصه أو جبين لاح فيه أثر قد قلصه ولدى الدرهم فانظر غيه أو ورعه ولذلك قيل إذا أتني على الرجل جيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد عند عمر رضي الله عنه شاهد فقال اتقني بمن يرفق فأنا رجل فأتني عليه خيراً فقال له عمر أنت جاره الأدنى يعرف مدخله وعزجه قال لا قتال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق فقال لا قال فاعلمته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل قال لا قال أظنك رأيته قائماً في المسجد يجمعهم بالقرآن يخفض رأسه طوراً ويرفعه أخرى قال نعم فقال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فأتني بمن يعرفك .

(الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه وبم آخرته)

ولا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعاً وصفته خاسرة وما يؤمن الربح في الآخرة لا يني به ما ينال في الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة بل العاقل ينبغي أن يشفق على نفسه وشفقته على نفسه يحفظ رأس ماله ورأس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف أولى الأشياء بالعاقل أحوجه إليه في العاجل وأحوج شيء إليه في العاجل أحده عاقبة في الأجل وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه في وصيته إنه لا بد للمؤمن نصيبك في الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فابداً بنصيبك من الآخرة نخذه فانك ستمر على نصيبك من الدنيا فتظنمه قال الله تعالى - ولاتنس نصيبك من الدنيا - لاتنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة فانها مزرعة الآخرة وفيها تكتسب الحسنات وإنما تم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة أمور . الأول : حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فليتو بها الاستغفار عن السؤال وكف الطمع عن الناس استثناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقياماً بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به وليتو النصح للسلمين وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه وليتو اتباع طريق العدل والإحسان في معاملته كما ذكرناه وليتو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما رآه في السوق فإذا أضمر هذه العقائد والنيات كان عاملاً في طريق الآخرة فإن استغاد مالا فهو مزيد وإن خسر في الدنيا ربح في الآخرة . الثاني : أن يقصد القيام في صنته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات فإن الصناعات والتجارات لو تركت بطلت للمعيشة وهلك أكثر الخلق فانتظام أمر الكل يتعاون الكل وتكمل كل فريق بعمله ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله عليه السلام « اختلاف أمقي رحمة » (١) أي اختلاف همهم في الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها إلى طلب الثم والزين في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافياً عن السلمين مهما في الدين وليجنب صناعة القش والصياغة وتشديد البنان والجص وجميع ما زخر به الدنيا فكل ذلك كرهه

(الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه)

(١) حديث اختلاف أمقي رحمة تقدم في العلم .

الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي قال سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت رومياً يقول لا يزال الصوفية غير ماتوا فإذا اصطالحوا هلكوا وهذه إشارة من روم إلى حسن تفقد بعضهم أحوال بعض إشتافاً من ظهور النفوس يقول إذا اصطالحوا أو رضوا للنافرة من بينهم يخاف أن تخامر البواطن للساهة والراءاة ومساعدة البعض البعض في إهمال دقيق آدابهم وبذلك تظهر النفوس وتستولي وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : رحم الله امرأاً أهدي إلى عيوبه . وأخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ القدسي قال أنا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الهروي قال أنا عبد الرحمن بن أبي شريح قال أنا أبو القاسم البنوي قال

ذو الدين فأما حمل للامه والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الحياط القباء من الإبريسم للرجال وصياغة الصانع مراكب الذهب أو خواتم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصي والأجرة للأخوة عليه حرام ولذلك أوجبت الزكاة فيها وإن كنا لا نوجب الزكاة في الحل لأنها إذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مبهمة للنساء لا يلحقها بالحل الباطح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد وقد ذكرنا أن بيع الطعام وبيع الأكلان مكروه لأنه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بفناء السر ويكره أن يكون جزاء لما فيه من قساوة القلب وأن يكون حجاباً أو كناساً لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن ميرين الدلالة وكره قتادة أجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استثناء الدلال عن الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها ولأن العمل فيه لا يتقدر فقد يغل ويقدح ولا ينظر في مقدار الأجرة إلى عمله بل إلى قدر قيمة الثوب هذا هو الصادة وهو ظلم بل ينبغي أن ينظر إلى قدر الثوب وكرهوا شراء الحيوان للتجارة لأن المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الولت الذي يصدده لمعالجة وحلوله وقيل ببيع الحيوان واشترى اللواتن وكرهوا الصرف لأن الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير ولأنه طلب لم دقائق الصفات فيما لا يقصد أعيانها وإنما يقصد رواجها وقفاً للصير في ربح إلا اعتماد جهالة معامله بدقائق النقد قطعاً بسل الصيرفي وإن احتاط ويكره للصيرفي وغيره كسر الصحيح والدنانير لإعند الشك في جودته أو عند ضرورة قال أحمد بن حنبل رحمه الله ورد نهى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) وعن أصحابه في الصياغة من الصحاح وأنا أكره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري بالدرهم ذهباً ويصوغه واستجوبوا بخجارة البرز قال سعيد بن المسيب مامن تجارة أحب إلى من البرز ما لم يكن فيها أيمان وقد روى «خير تجارتكم البرز وخير صناعتكم الحرز» ^(٢) وفي حديث آخر «لو أنجر أهل الجنة لأنجروا في البرز ولو أنجر أهل النار لأنجروا في الصرف» ^(٣) وقد كان غالب أعمال الأنصار من السلف عشر صنائع الحرز والتجارة والحلل والخياطة والحلو والقصرة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة قال عبد الوهاب الوراق قال لي أحمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب ولو كنت صانماً يمدى لصنت صنتك ثم قال لي لا تكتب إلا بواسطة واستبق الحوائش وظهور الأجزاء وأربعة من الصانع موسمون عند الناس بضعف الرأي الحاكمة والقطانون وللمالزيون والمملون ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضفء المقول تضعف العقل كما أن مخالطة العقلاء تزيد في العقل وعن مجاهد أن مريم عليها السلام مرت في طلبها ليعسى عليه السلام بحاكم فطلبت الطريق فأرشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم فقراء وخقرهم في أعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف أخذ الأجرة على كل ما هو من قبيل المبادات وفروض الكفايات كفسل اللوني ودقهم وكذا الأذان وصلاة التراويح وإن حكم

(١) حديث النهي عن كسر الدينار والدرهم أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة ابن عبد الله عن أبيه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من يأمر زاد الحاكم أن يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل ذهباً وضغفه ابن حبان (٢) حديث خير تجارتكم البرز وخير صناعتكم الحرز لم أقف له على إسناده وكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب (٣) حديث لو أنجر أهل الجنة لأنجروا في البرز ولو أنجر أهل النار لأنجروا في الصرف أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف . وروى أبو يعلى والعقيلي في الضعفاء الشطر الأول من حديث أبي بكر الصديق .

حدثنا مصعب بن عبد الله الزيري قال حدثني إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب أن محمد بن نعمان أخبر بأن عمر قال في مجلس فيه المهاجرون والأنصار أرايتم لو ترخصت في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين قال فسكتنا قال قال ذلك مرتين أو ثلاثاً أرايتم لو ترخصت في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين قال بشر بن سعد لو فلتت ذلك قومناك تقوم القدس فقال عمر أتم إذن أتم وإذا ظهرت نفس الصوفي بضرب وخسومة مع بعض الإخوان شرط أخيه أن يقابل نفسه بالقلب فان النفس إذا قولت بالقلب انحسبت مادة الشر وإذا قولت النفس بالنفس ثارت الفتنة وذهبت العصمة قال الله تعالى - ادفع بالتي هي أحسن فإذا

بصحة الاستبحار عليه وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فإن هذه أعمال حقها أن يتجر فيها للأخرة وأخذ الأجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة ولا يستحب ذلك . الثالث أن لا يعمسوق الدنيا عن سوق الآخرة وأسواق الآخرة الساجد قال الله تعالى - رجال لا تلتئمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - وقال الله تعالى - في يوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه - فينبغي أن يجعل أول النهار إلى وقت دخول السوق لآخرته فيلازم السجود ويباطل على الأوراد كان عمر رضى الله عنه يقول للتجار اجعلوا أول نهاركم لآخرتكم وما بعدة الدنيا كم كان صالحوا السلف يحصلون أول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة ولم يكن يبيع الحريرة والردوس بكرة إلا الصبيان وأهل الذمة لأنهم كانوا في الساجد بعدد في الخبر « إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفيها في أول النهار وفي آخره ذكراته وخير كثر الله عنه ما بينهما من سيء الأعمال (١) » وفي الخبر « تلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله تعالى وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول الله سبحانه وتعالى أشهدكم أني قد غفرت لهم (٢) » ثم هما مع الأذان في وسط النهار للأولى والعصر فينبغي أن لا يخرج على شغل وينزع عن مكانه وبدع كل ما كان فيه لما يفوته من فضيلة التكبيرة الأولى مع الإمام في أول الوقت لا توازيها الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصي عند بعض العلماء وقد كان السلف يبتدون عند الأذان ويخلون الأسواق للصبيان وأهل الذمة وكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوائث في أوقات الصلوات وكان ذلك معيشة لهم وقد جاء في تفسير قوله تعالى - لا تلتئمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - إنهم كانوا حدادين وخرازين فكان أخذهم إذا رفع الطرقة أو غرز الإشي فسمع الأذان لم يخرج الإشي من الغرز ولم يوقع الطرقة ورمى بها وقام إلى الصلاة . الرابعة أن لا يقتصر على هذا بل يلزم ذكر الله سبحانه في السوق ويشغل بالتبليل والتسبيح فذكر الله في السوق بين الغافلين أفضل قال صلى الله عليه وسلم « ذكر الله في الغافلين كالقاتل خلف الفارين وكالمسلم بين الأموات » وفي لفظ آخر « كالشجرة الخضراء بين المهشم » وقال صلى الله عليه وسلم « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة (٣) » وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن ذاكر الله في السوق يحيى يوم القيامة له ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعدد أهلها وكان عمر رضى الله عنه إذا دخل السوق قال اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما أحاطت به السوق اللهم إني أعوذ بك من عين فاجرة وصفقة خاسرة وقال أبو جعفر الفرغانى كنا يوما عند الجنيد فجهرى ذكر ناس يجلسون في الساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويسبون من يدخل السوق فقال الجنيد كم بمن هو في السوق حكمه أن يدخل المسجد ويأخذ باذن بعض من فيه

(١) حديث إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد في أول النهار وآخره ذكر وخير كثر الله ما بينهما من سيء الأعمال أبو يعلى من حديث أنس بن مالك ضعيف بمعناه (٢) حديث تلتقي ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله وهو أعلم كيف تركتم عبادي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة يتأقون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفداة وصلاة العصر الحديث (٣) حديث من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده شريك له الحديث تقدم في الأذكار .

الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا - ثم الشيخ أو الخادم إذا شك إليه فقير من أخيه فله أن ياتى بها ماشاء فيقول للمتمدى لم تعدت وللمتمدى عليه ما الذى أذنبت حتى تصدى عليك وسلط عليك وهلا بقلب نفسه بالقلب رقبا بأخيك وإعطاء للفتوة والصحة حقها فكل منهما جان وخارج عن دائرة الجمعية فيرد إلى الدائرة بالتقار فيعود إلى الاستغفار ولا يسلك طريق الأصرار روت عائشة رضى الله عنها قالت « كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استشروا وإذا أساءوا استغفروا » فيكون الاستغفار ظاهرا مع الإخوان وباطنا مع الله تعالى وبرون الله في

فيخرجه ويجلس مكانه وإن لأعرف رجلا يدخل السوق ورده كل يوم ثلثانة ركة وثلاثون ألف نسيجة قال فسبق إلى وهمي أنه يعني نفسه فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية للالتعم في الدنيا فإن من يطلب الدنيا للاستعانة بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة والسوق والمسجد والبيت له حكم واحد وإنما التجارة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم « اتق الله حيثما كنت (١) » فوظيفة التقوى لا تنقطع عن للتجدين للدين كيفما تلبت بهم الأحوال وبه تكون حياتهم وعيشهم إذ فيه يرون تجارتهم وربهم وقد قيل من أحب الآخرة عاش ومن أحب الدنيا طاش والأحق يفدو وروح في لاش والمائل عن عيوب نفسه قاش . الخامس : أن لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج وبأن يركب البحر في التجارة فهما مكروهان يقال إن من ركب البحر فقد استمضى في طلب الرزق وفي الخبر « لا يركب البحر إلا ليج أو عمرة أو غزو (٢) » وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول لا تكن أول داخل في السوق ولا آخر خارج منها فإن بها باض الشيطان وفرغ روى عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر أن ابليس يقول لولبه زليورس بكتايك فأت أصحاب الأسواق زين لهم الكذب والحلف والحديعة والسكر والحياة وكن مع أول داخل وآخر خارج منها وفي الخبر « شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا (٣) » وتعام هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته فإذا حصل كفاية وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كانوا صالحو السلف لقد كان منهم من إذا ربح دأقا انصرف قناعة به وكان حسان بن سلة يبيع الخبز في سبط بين يديه فكان إذا ربح حبتين رفع سبطه وانصرف وقال إبراهيم بن بشار قلت لإبراهيم بن أدهم رحمه الله أمر اليوم أعمل في الطين فقال يا ابن بشار إنك طالب ومطلوب يطلبك من لانفوته وتطلب ما قد كفت أما رأيت حرصا محروما وضعيفا مرزوقا قلت إن لي دأقا عند البقال فقال عز على بك تملك دأقا وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الأسبوع إلا يوما أو يومين وكانوا يكتفون به . السادس : أن لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتق مواضع الشبهات ومظان الرب ولا ينظر إلى الفتاوى بل يستفق قلبه فإذا وجد فيه حرازة اجنبه وإذا حمل إليه سامة رابها سأل عنها حتى يعرف وإلا أكل الشبهة « وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن فقال من أين لكم هذا ؟ فقالوا من الشاة فقال ومن أين لكم هذه الشاة ؟ قيل من موضع كذا فصر بمنه ثم قال : إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا (٤) » وقال « إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال - يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم - (٥) » فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أصل الشيء وأصل أصله ولم يرد أن ما وراء ذلك يتعدر ومنهين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال فإنه كان عليه السلام لا يسأل

(١) حديث اتق الله حيثما كنت حديث أبي ذر وصححه (٢) حديث لا يركب البحر إلا لحبة أو عمرة أو غزو أبو داود من حديث عبد الله بن عمر وقيل إنه منقطع (٣) حديث شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا تقدم صدر الحديث في الباب السادس من العلم وروى أبو نعيم في كتاب حزمة للساجد من حديث ابن عباس أبغض البقاع إلى الله الأسواق وأبغض أهلها إلى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجا (٤) حديث سؤاله عن اللبن والشاة وقوله إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا الطبراني من حديث أم عبد الله أخت شداد بن أوس بسند ضيف (٥) حديث إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

استغفارهم فلهذا المني يقفون في صف النعال على أقدامهم تواضعا وانكسارا وجمعت شيخنا يقول للفقير إذا جرى بينه وبين بعض إخوانه وحشة قم واستغفر فيقول للفقير ما أرى باطنيا صافيا ولا أوزر للقيام للاستغفار ظاهرا من غير صفاء الباطن فيقول أنت قم فبركة سعيك وقيامك تزرق الصفاء فكان يجد ذلك ويرى أثره عند التقير وترق القلوب وترفع الوحشة وهذا من خاصية هذه الطاقة لا يبتسون والبواطن منطوية على وحشة ولا يجتمعون للطعام والبواطن تضرر وحشة ولا يرون الاجتماع ظاهرا في شيء من أمورهم إلا بعد الاجتماع بالبواطن وذهاب التفرقة والشح فاذا قام الفقير للاستغفار لا يجوز رد استغفاره بحال . روى عبد الله

عن كل ما جعل إليه (١) وإنما الواجب أن ينظر التاجر إلى من يامله فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يامله وكذا الأجناد والظلة لا ياملهم البتة ولا يامل أصحابهم وأعوامهم لأنه معين بذلك على الظلم . ووجي عن رجل أنه تولى عمارة سور لغير من الثور . قال فوقع في نفس من ذلك شيء وإن كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الاسلام ولكن كان الأمير الذي تولى في محلته من الظلة قال فسألت سفيان رضي الله عنه فقال لا تكن عوناً لهم على قليل ولا كثير فقلت هذا سور في سبيل الله للسليين قال نعم ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوفرك أجرك فتكون قد أجبت بقاء من يمسى الله وقد جاء في الخبر « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يمسى الله في أرضه » (٢) وفي الحديث « إن الله لا ينضب إذا مدح الفاسق » (٣) وفي حديث آخر « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام » (٤) ودخل سفيان على للهدى ويده درج أبيض فقال يا سفيان أعطني الفواة حتى أكتب فقال أخبرني أي شيء تكتب فإن كان حقاً أعطيتك وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوبين عنده أن يناوله طيناً ليكتب به الكتاب فقال ناولني الكتاب أولاً حتى أنظر مائه فكفنا كانوا يعتززون عن معاونة الظلة ومعاملتهم أشد أنواع الاعانة فينبغي أن يجتنبها ذوو الدين ما وجدوا إليه سبيلاً وبالجملة فينبغي أن يتقصد الناس عنه إلى من يامل ومن لا يامل وليكن من يامله أقل ممن لا يامله في هذا الزمان قال بعضهم أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من تزولني أن أعامل من الناس فيقال له عامل من شئت ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت إلا فلانا وفلانا ثم أتى زمان آخر فكان يقال لا تعامل أحداً إلا فلانا وفلانا وأخى أن يأتي زمان يذهب هذا أيضاً وكأنه قد كان الذي كان عذر أن يكون إنما الله وإنما إليه راجعون . السابغ : ينبغي أن يراقب جميع مجارى معاملته مع واحد من معاملته فانه يراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فلة وقوله إنه لم أقدم عليها ولأجل ماذا فانه يقال إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئاً وقفة ومحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله قال بعضهم رأيت بعض التجار في اليوم فقلت ماذا فعل الله بك فقال نشر على خمسين ألف صحيفة فقلت هذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس بعدد كل انسان عاملته في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من أول معاملته إلى آخرها فهذا ما على المكتسب في عمله من العدل والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين

(١) حديث كان لا يسأل عن كل ما جعل إليه أحمد من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاة الحديث فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمعة فلم يستطع أن يسفها فقال هذه شاة ذبحت بغير إذن أهلها الحديث وله من حديث أبي هريرة كان إذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه الحديث وإسنادهما جيد وفي هذا أنه كان لا يسأل عما أتى به من عند أهله والله أعلم (٢) حديث من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يمسى الله في أرضه لم أجده مرفوعاً وإنما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من قول الحسن وقد ذكره المصنف هكذا على الصواب في آفات اللسان (٣) حديث إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق ابن أبي الدنيا في الصمت وابن عدى في الكامل وأبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام غريب بهذا اللفظ والمعروف من قر صاحب بدعة الحديث رواه ابن عدى من حديث عائشة والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن بسر بأسانيد ضعيفة قال ابن الجوزي كلها موضوعة

ابن عمر رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « وارحوا
ترحموا واغفروا يغفر
لكم » . والوصفية في
تقيل يد الشيخ بعد
الاستغفار أصل من
السنة . روى عبد الله
ابن عمر قال « كنت في
سرية من سرابار رسول
الله صلى الله عليه وسلم
خاص الناس حجة
فكنت فيمن حاص
قلنا كيف نصنع وقد
فررنا من الرخصيوننا
بالغضب ثم قلنا لودخلنا
للدنية قتبنا فيها ثم قلنا
لو عرضنا أنفسنا على
رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان لنا توبة
وإلا ذهبنا فأتيناه
قبل صلاة الغداة فخرج
فقال من التوم قلنا نحن
الفرارون قال لا بل
أنتم المكارون أنا فتسكم
أنا ففة السليين » يقال
عكر الرجل إذا تولى ثم
كر راجعاً والكرار
العطاف والرجاع قال
فأتيناه حتى قبلنا يده »

وإن أضاف إليه الإحسان كان من اللقرين وإن راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكر في الباب الخامس كان من الصديقين والله أعلم بالصواب تم كتاب آداب السكس وللعيشة بمحمد الله ومنه .

(كتاب الحلال والحرام)

وهو الكتاب الرابع من ربح العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين لازب وصلصال ، ثم ركب صورته في أحسن تقويم وأتم اعتدال ، ثم غذاه في أول نشوءه بلبن استصفا من بين فرت ودم سائما كالماء الزلال ، ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعي الضعف والآنحلال ، ثم قيد شهوته بالمعادية له عن السطوة والصيل ، وقهرها بما اقترضه عليهم من طلب القوت الحلال ، وهزم بكسرها جند الشيطان للتشرب للأنحلال ، ولقد كان يجرى من ابن آدم مجرى الدم السيل ، ضيق عليه عزة الحلال المجرى والجبال ، إذا كان لا يذوقه إلى أعماق العروق إلا الشهوة للأنحلال إلى القلبة والاسترسال ، فيق للمازمت بزم الحلال خائبا خاسرا ماله من ناصر ولا وال . والصلاة على محمد الهادي من الضلال وعلى آله خير آل وسلم تسليما كثيرا . أما بعد . فقد قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » (١) رواه ابن مسعود رضي الله عنه وهذه الفريضة من بين سائر القرائض أعصاها على العقول فهما وأتملها على الجوارح فلا ولقد اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله إذ ظن الجهال أن الحلال مفعود وأن السيل دون الوصول إليه مسدود وأنه لم يبق من الطيبات إلا اللاء القرات والحشيش التابت في الموات وماعده قد أخبثته الأيدي العادية وأفسدته العائلات الفاسدة وإذا تمذرت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في الحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين أصلا ولم يدركوا بين الأموال فرقا وفضلا وهيئات هيئات فالحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن فسادها بالإرشاد إلى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان ولا يخرجها التضييق عن حيز الإمكان . ونحن نوضح ذلك في سبعة أبواب . الباب الأول : في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام . الباب الثاني : في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام . الباب الثالث : في البحث والسؤال والمجوم والاحمال ومطانتها في الحلال والحرام . الباب الرابع : في كيفية خروج التائب عن النظام للسالية . الباب الخامس : في إدرات السلطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم . الباب السادس : في الدخول على السلطين ومخالطهم . الباب السابع : في مسائل متفرقة .

(الباب الأول في فضيلة الحلال ومذمة الحرام ، وبيان أصناف الحلال

ودرجاته وأصناف الحرام ودرجاته الورع فيه)

(فضيلة الحلال ومذمة الحرام)

(كتاب الحلال والحرام)

(الباب الأول في فضيلة طلب الحلال)

(١) حديث ابن مسعود طلب الحلال فريضة على كل مسلم تقدم في الزكاة دون قوله على كل مسلم وللطبراني في الأوسط من حديث أنس واجب على كل مسلم وإسناده ضعيف .

وروى أن أبا عبيدة ابن الجراح قبل يدعمر عند قدومه وروى عن أبي مرثد النخعي أنه قال « آتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزلت إليه وقبلت يده » فهذا رخصة في جواز بتقيل اليد ولكن أدب الصوفي أنه متى رأى نفسه تتعزز بذلك أو تظهر بوصفها أن يتمتع من ذلك فإن سلم من ذلك فلا بأس بتقيل اليد ومما همهم للاخوان غيب الاستغفار لرجوعهم إلى الألفة بعد الوحشة وقدمهم من سفر الهجرة بالفرقة إلى أوطان الجمجمة فيظهور النفس تغربوا وبمدوا وبغية النفس والاستغفار قدموا ورجعوا ومن استغفر إلى أخيه ولم يقبله فقد أخطأ فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وعيد روى عنه عليه

قال الله تعالى - كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - أمر بالأكل من الطيبات قبل العمل وقيل إن للرباد به الحلال وقال تعالى - ولا تأكلوا أموالكم يفسدكم بالباطل - وقال تعالى - إن الدين يأكلون أموال اليتامى ظلما - الآية . وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بينكم من الربا إن كنتم مؤمنين - ثم قال - فإن لم تعملوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله - ثم قال - وإن تبتم فلكم ردوس أموالكم - ثم قال - ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - جعل أكل الربا أول الأمر مؤذنا بحاربة الله وفي آخره متعرضا لنار والآيات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » ولما قال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم ^(١) » قال بعض العلماء أراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل للرباد بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة الشهداء ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ^(٣) » وفي رواية « زهد الله في الدنيا » وروى « أن سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله تعالى أن يجعله حجاب الدعوة فقال له أطب طعمتك تستجب دعوتك ^(٤) » ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الحرص على الدنيا قال « رب أشعث أغبر مشرد في الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام يرفع يديه فيقول يارب يارب فأتى يستجاب لذلك ^(٥) » وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا على بيت للقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل ^(٦) » فقيل الصرف النافقة والعسل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم « من اشترى ثوبا بشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته خادما عليه منه شيء ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم تقدم في العلم (٢) حديث من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا في عفاف كان في درجة الشهداء الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة من سعى على عياله في سبيل الله ولأبي منصور في مسند القردوس من طلب مكسبة من باب حلال يكف بها وجهه عن مسئلة الناس وولده وعياله جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين وإسنادها ضعيف (٣) حديث من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أيوب من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ولأبي عدى نحوه من حديث أبي موسى . وقال حديث منكر (٤) حديث أن سعدا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله أن يجعله حجاب الدعوة فقال له أطب طعمتك تستجب دعوتك الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لا تعرفه (٥) حديث رب أشعث أغبر مشرد في الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام الحديث مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر الحديث (٦) حديث ابن عباس إن لله ملكا على بيت للقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل لم أنف له على أصل ولأبي منصور الديلمي في مسند القردوس من حديث ابن مسعود من أكل لقمة من حرام لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة الحديث وهو منكر (٧) حديث من اشترى ثوبا بشرة دراهم في ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته وعليه منه شيء أحمد من حديث ابن عمر بسند ضعيف . (٨) حديث كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به الترمذي من حديث كعب بن عجرة وحسنه وقد تقدم

فصلته والسلام أنه قال « من اعتذر إليه أخوه معذرة فلم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب الكوس » وروى جابر أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تصل إليه فلم يقبل لم يرد الخوض » ومن السنة أن يقدم للأخوان شيئا بعد الاستنظار روى أن كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن من توبى أن آخض من مالي كله وأهجر دار قومي للتي فيها أتيت الذنب . فقال له النبي عليه الصلاة والسلام « يحزبك من ذلك الثالث » فصارت سنة الصوفية للطالبة بالترامة بعد الاستنظار وللناقرة وكل قدم رعاية التألف حتى تكون بواطنهم على الاجتماع كأن ظواهرهم على الاجتماع وهذا أمر يخردها به من بين طوائف الإسلام . ثم

« من لا يال من أين اكتسب المال لم يال الله من أين أدخله النار »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « البادة عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال »^(٢) روى هذا مرفوعاً وموقوفاً على بعض الصحابة أيضاً وقال صلى الله عليه وسلم « من أسمى وأنايا من طلب الحلال بات مغفورا له وأصبح والله غنمراض »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أنفق في سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قذفه في النار »^(٤) وقال عليه السلام « خير دينكم الورع »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من لقي الله ورعاً أعطاه الله ثواب الاسلام كله »^(٦) ويروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه وأما الوريعون فأنا أستحي أن أحاسبهم وقال صلى الله عليه وسلم « درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زنية في الاسلام »^(٧) وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه « العدة حوض البدن والعروق إليها واردة فإذا صحت العدة صدرت العروق بالصحة وإذا سقمت صدرت بالسقم »^(٨) ومثل الطعنة من الدين مثل الأساس من البنيان فإذا ثبت الأساس وقوى استقام البنيان وارتفع وإذا ضنف الأساس واعوجج انهار البنيان ووقع . وقال الله عز وجل - أفئن أسس بنيانه على تقوى من الله - الآية وفي الحديث « من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار »^(٩) وقد ذكرنا جملة من الأخبار في كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة الكسب الحلال . وأما الآثار : فقد ورد أن الصديق رضى الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل أصابعه في فيه وجعل يقي* حتى ظننت أن نفسه ستخرج ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء »^(١٠) وفي بعض الأخبار أنه

(١) حديث من لم يال من أين اكتسب المال لم يال الله عز وجل من أين أدخله النار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر قال ابن العربي في عارضة الأخوذي شرح الترمذي إنه باطل لم يصح ولا يصح (٢) حديث البادة عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال أبو منصور الديلمي من حديث أنس إلا أنه قال تسعة في الصحة والمأثرة كسب اليد من الحلال وهو منكر (٣) حديث من أسمى وأنايا من طلب الحلال بات مغفورا له وأصبح والله عنه راض الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس من أسمى كالا من عمل يديه أسمى مغفورا له وفيه منفع (٤) حديث من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أنفق في سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قذفه في النار أبو داود في الراسيل من رواية القاسم بن عيمرة مرسلاً (٥) حديث خير دينكم الورع تقدم في العلم (٦) حديث من لقي الله ورعاً أعطاه ثواب الاسلام كله لم أنف له على أصل (٧) حديث درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زنية في الاسلام أحمد والدارقطني من حديث عبد الله بن حنظلة وقال ستة وثلاثين ورجاله ثقات وقيل عن حنظلة الزاهد عن كسب مرفوعاً للطبراني في الصغير من حديث ابن عباس ثلاثة وثلاثين وسنده ضعيف (٨) حديث أبي هريرة العدة حوض البدن والعروق إليها واردة الحديث الطبراني في الأوسط والقبلي في الضعفاء وقال باطل لأصل له (٩) حديث من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار أحمد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ولابن حبان من حديث أبي هريرة من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه (١٠) حديث إن أباً بكر شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل فقال تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل أصبعه في فيه وجعل يقي* وفي بعض الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبر بذلك قال أوما علمت أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيبا البخاري من حديث عائشة كان لأبي بكر غلام يخرج له الحراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر .

شرط الفقير الصادق
إذا سكن الرباط وأراد
أن يأكل من كل من وقع وأوما
يطلب لكانه بالدروزة
أن يكون عنده من
الشغل بالله مالا يسه
الكسب وإلا إذا
كان للبطالة والحوض
فيا لا يني عنده مجال
ولا يقوم بشروط أهل
الارادة من الجسد
والاجتهاد فلا يني له
أن يأكل من مال
الرباط بل يكتسب
ويأكل من كسبه
لأن طعام الرباط لأقوام
كحل شغلهم بالله
نغفتمهم الدنيا لشغلهم
بخدمة مولاهم إلا أن
يكون تحت سياسة
شيخ عالم بالطريق
ينفع بصحته ويهتدى
بهديه فيرى الشيخ أن
يطعمه من مال الرباط
فلا يكون تصرف
الشيخ إلا بصحة
بصيرة ومن جملة
ما يكون للشيخ أن
ذلك من النية أن
يشغله بخدمة الفقراء

صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك قال أوما علم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيباً وكذلك شرب
 عمر رضى الله عنه من لبن إبل الصدقة غلظاً فادخل أصبعه وتباً وقالت عائشة رضى الله عنها إنكم
 لتخفون عن أفضل العبادة هو الورع وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما صلتم حتى تكونوا كالحنابا
 وصتم حتى تكونوا كالأوتار لم يقبل ذلك منكم إلا بوزع حاجز وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله
 ما أدرك من أدرك إلا من كان يبتلى ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتب الله
 صدقاً فانظر عند من تخطى يمسكبن وقيل لإبراهيم بن آدم رحمه الله لا تشرب من ماء زمزم فقال
 لو كان لى ولو شربت منه وقال سفيان الثوري رضى الله عنه من أتقى من الحرام فى طاعة الله كان
 كمن طهر الثوب النجس بالبول والثوب النجس لا يطهره إلا الماء والذهب لا يكفره إلا الحلال وقال
 يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله إلا أن مفتاحها الدعاء وأسانته لقم الحلال وقال ابن
 عباس رضى الله عنهما لا يقبل الله صلاة امرئ فى جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ الصديق حقيقة
 الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال : أداء الفرائض بالنسبة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي من
 الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الموت وقال من أحب أن يكشف بآيات الصديقين فليأكل كل إلا
 حلالاً ولا يعمل إلا فى سنة أو ضرورة ويقال من أكل الشبهة أربعين يوماً أظلم قلبه وهو تأويل قوله
 تعالى - كلا بل يدان على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وقال ابن المبارك ردّ درهم من شبهة أحب إلى
 من أن تصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ألف ومائة ألف حتى بلغ إلى ستائة ألف وقال بعض السلف
 إن الهيد يأكل أكلة فيقلب قلبه فينقل كما ينقل الأديم ولا يعود إلى حاله أبداً وقال سهل رضى الله
 عنه من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى علم أولم يعلم ومن كانت طعمته حلالاً أطاعته جوارحه
 ووقفت للخيرات وقال بعض السلف إن أول لقمة يأكلها العبد من حلال يضر له ماسلف من ذنوبه
 ومن أقام نفسه مقام ذلقى طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كسقاط ورق الشجر . وروى فى آثار
 السلف أن الواعظ كان إذا جلس للناس قال الصفاء تفقدوا منه ثلاثاً فإن كان معتقداً لبدعة فلا
 تجالسوه فإنه عن لسان الشيطان ينطق وإن كان سعى الطعمة فمن الهوى ينطق فإن لم يكن مكيّن
 العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفى الأخبار المشهورة عن على عليه السلام وغيره
 إن الدنيا حللها حساب وحرامها عذاب وزاد آخرون وشبهتها عتاب . وروى أن بعض الصالحين دفع
 طعاماً إلى بعض الأبدال فلم يأكل فسأله عن ذلك فقال نحن لأننا كل الإحلالاً فذلك تستقيم قلوبنا
 ويدوم حالنا ونكشف لللكوت ونشاهد الآخرة ولو أكلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجسنا إلى شئ
 من علم اليقين ولذهب الخوف والشهادة من قلوبنا فقال له الرجل فأنى أصوم الدهر وأختم القرآن فى
 كل شهر ثلاثين مرة فقال له البدال هذه الشربة التى رأيتنى شربتها من الليل أحب إلى من ثلاثين
 ختمة فى ثلاثين ركة من أعمالك وكانت شربته من لبن طيبة وحشية وقد كان بين أحمد بن حنبل
 ويحيى بن معين محبة طويلة فجهزه أحمد إذ سمعه يقول إني لأسأل أهدأ شيئاً ولو أعطاني الشيطان
 شيئاً لأكلته حتى اعتذر يحيى وقال كنت أمزح فقال مزح بالدين أما علمت أن الأكل من الدين
 قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال - كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً - وفى الخبر أنه مكتوب فى التوراة
 « من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أى أبواب النيران أدخله » وعن على رضى الله عنه
 أنه لم يأكل بدتلق عثمان ونهب الدار طعاماً إلا مختوماً حذراً من الشبهة واجتمع الفضيل بن عياض
 وقال له الغلام أتدرى ما هذا فقال وما هو قال كنت تسكنت لانساً فى الجاهلية فذكره دون
 الرفوع منه فلم أجده .

فيكون ما يأكله فى
 مقابلة خدمته . روى
 عن أبى عمرو الأجاجى
 قال ألت عند الجند
 معه لما رأى قط إلا
 وأنا مشغل بنوع من
 العبادة لما كفى حتى
 كان يوم من الأيام
 خلا للوضع من الجماعة
 قمت وزعت ثيابى
 وكسنت للوضع
 ونظفته ورشنته
 وضلت موضع الطهارة
 فرجع الشيخ ورأى
 على أثر الثياب فدعألى
 ورحب بى وقال أحسن
 عليك بها ثلاث مرات
 ولا يزال مشايخ الصوفية
 يندبون الشباب إلى
 الخدمة حفظاً لهم عن
 البطالة وكل واحد
 يكون له حظ من
 للعامة وحظ من
 الخدمة . روى أبو
 محسنة قال : جعل
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لنا الأذان
 والسقاية لبى هاشم
 والحجاجة لبى عبد الدار
 وهذا يقتدى مشايخ

وإن عينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من أحب الطعام إلى إلا أني لا آكله لاختلاط رطب مكة بيساتين زيدة وغيرها فقال له ابن المبارك إن نظرت في مثل هذا ضاق عليك الحزب قال إن أصول الضياع قد اختلطت بالصواب في نفسي على وهيب فقال سفيان قتلت الرجل فقال ابن المبارك ما أردت إلا أن أهون عليه فلما أفاق قال لله على أن لا آكل خبزاً أبداً حتى ألقاه قال فكان يجرّب اللبن فآثته أمه بلبن فسلمها فقالت هو من شاة بني فلان فسأل عن ثمنها وأنه من أين كان لهم فذكرت فلما أدناه من فيه قال بقي أنها من أين كانت ترى فسكت فلم يجرّب لأنها كانت ترى من موضع فيه حق للمسلمين فقالت أمه اشرب فإن الله ينفرك فقال ما أحب أن يضرني وقد شربته فأنا لمغفرته بمصعبته وكان جرّ الحاقى رحمه الله من الورد عين قليله من أين تأكل ؟ قال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يكتفى كمن يأكل وهو يضحك وقال يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وهكذا كانوا يعجزون من الشبهات .

(أصناف الحلال ومداخله)

اعلم أن تفصيل الحلال إنما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغنى الريد عن تطويله بأن يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى . حلماً لا يأكل من غيرها فأما من يتوسع في الأكل من وجوه متفرقة فيفتقر إلى علم الحلال والحرام كله كما صنفه في كتب الفقه ونحن الآن نشير إلى إجماعه في سياق تقسيم وهو أن المال إنما يحرم إسلامي في عينه أو لحلل في جهة الكتابه .

(القسم الأول)

الحرام لصفة في عينه كالخمر والحزير وغيرها وتفصيله أن الأغنياء المأكولة على وجه الأرض لا تمدو ثلاثة أقسام فانها إما أن تكون من المعادن كالملح والطين وغيرها أو من النبات أو من الحيوانات . أما المعادن فهي أجزاء الأرض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم أكله إلا من حيث إنه يضر بالآكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم والحزير لو كان مضرًا لحرم أكله والطين القى يستاد أكله لا يحرم إلا من حيث الضرر وفائدة قولنا إنه لا يحرم مع أنه لا يؤكل أنه لو وقع شيء منها في مرقعة أو طعام مانع لم يضر به حرماً . وأما النبات فلا يحرم منه إلا ما يزيل العقل أو يزيل الحياة أو الصحة فزيل العقل البسج والحزير وسائر السكرات ومزيل الحياة السموم ومزيل الصحة الأدوية في غير وقتها وكان مجموع هذا يرجع إلى الضرر إلا الحجر والسكرات فإن الذي لا يسكر منها أيضاً حرام مع قتله لعينه ولصفته وهي الشدة المطربة وأما السم فاذا خرج عن كونه مضرًا لقلته أو لمعجنه بغيره فلا يحرم وأما الحيوانات فتقسم إلى ما يؤكل وإلى ما لا يؤكل وتفصيله في كتاب الأطعمة والنظر يطول في تفصيله لأسباب في الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر وما يحل أكله منها فاعلم محل إذا ذبح ذبحاً شرعياً رومياً فيه شروط الذابح والآلة والذبح وذلك مذكور في كتاب الصيد والذابح وما لم يذبح ذبحاً شرعياً أو مات فهو حرام ولا يحل إلا الميتان السمك والجراد وفي معانها ما يستحيل من الأطعمة كدود التفاح والحل والجبن فإن الاحتراز بينهما غير ممكن فأما إذا أفردت وأكلت فتحكمها حكم الذباب والحفشاء والغرب وكل ما ليس له نفس سائلة لأسباب في تحريمها إلا الاستعداد ولو لم يكن لكان لا يكره فإن وجد شخص لا يستقدره لم يلفت إلى خصوص طبعه فانه التحق بالحيات لمعم الاستعداد فيكره أكله كالوجع الحائط وشربه كره ذلك وأبست السكره نجاستها فإن الصحيح أنهم لا تنجس بالموت إذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يعقل الذباب في الطعام إذا وقع فيه ^(١) وربما يكون حاراً ويكون ذلك سبب موته

(١) حديث الأثر بأن يعقل الذباب في الطعام إذا وقع فيه البخاري من حديث أنس هريرة .

الصوفية في تفريق الحشم على الفقراء ولا يعضد في ترك نوع من الخدمة إلا كامل الشغل بوقته ولا ينعى بكامل الشغل شغل الجوارح ولكن يعنى به دوام الرعاية والحامية والشغل بالقلب والقالب وقتاً وبالقلب دون القالب وقتاً وتقدير الزيادة من نقصان فان قيام الفقير بحقوق الوقت شغل تام وبذلك يؤدي شكر نعمة الفراغ ونعمة الكفاية وفي البطالة كفران نعمة الفراغ والسكافية أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر إجازة قال أنا عمر بن أحمد بن منصور قال أنا أحمد بن خلف قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن محمد ابن الحسين قال سمعت أبا الفضل بن حمدون يقول سمعت علي بن عبد الحميد القضايري يقول سمعت السري

ولو تهرت نعمة أو ذبابة في قدر لم يجب إراقها إذ المستقدر هو جرمة إدا بقى له جرم ولم ينحس حتى يحرم
 بالنجاسة وهذا يدل على أن تحريره للاستقذار ولذلك نقول لو وقع جزء من آدمى ميت في قدر ولو وزن
 دائق حرم الكل للنجاسة فان الصحيح أن الآدمي لا ينحس بالموت ولكن لأن أكله محرم اعتقاما
 لاستقذارا وأما الحيوانات لما كولة إذا ذبحت بشرط الشرع فلا تلحق جميع أجزائها بل يحرم منها اللحم
 والفرث وكل ما يقضى بنجاسته منها بل تناول النجاسة مطلقا محرم ولكن ليس في الأعيان شيء
 محرم نجس إلا من الحيوانات وأما من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج فان
 نجاسة السكر تغليظ للزجر عنه لكونه في مظنة التشوف ومهما وقعت قطرة من النجاسة أو جزء
 من نجاسة جامدة في مرقعة أو طعام أو دهن حرم أكل جميعه ولا يحرم الانتفاع به لغير الأكل فيجوز
 الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجامع ما يحرم لصفة في ذاته .
 (القسم الثاني ما يحرم لحلل في جهة إثبات اليد عليه)

وفيه يتسع النظر فقولنا أخذ المال إما أن يكون باختيار المالك أو بغير اختياره فالذي يكون بغير اختياره
 كالإرث والذي يكون باختياره إما أن لا يكون من مالك كنبيل المادن أو يكون من مالك والذي أخذ من
 مالك فاما أن يؤخذ قهرا أو يؤخذ تراضيا والمأخوذ قهرا إما أن يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم
 أو لاستحقاق الأخذ كزكاة الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والمأخوذ تراضيا إما أن يؤخذ بعوض
 كالبيع والصداق والأجرة وإما أن يؤخذ بغير عوض كالهبه والوصية فيحصل من هذا السياق ستة
 أقسام . الأول : ما يؤخذ من غير مالك كنبيل المادن وإحياء اللوات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء
 من الأنهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط أن لا يكون للمأخوذ محتصا بندي حرمة من الآدميين فاذا
 انكس من الاختصاصات ملكها أخذها وتفصيل ذلك في كتاب إحياء اللوات . الثاني : للمأخوذ قهرا
 بمن لا حرمة له وهو النية والفتنة وسائر أموال الكفار والمخاريق وذلك حلال للمسلمين إذا أخرجوا
 منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان وعهد وتفصيل هذه
 الشروط في كتاب السير من كتاب النية والفتنة وكتاب الجزية . الثالث : ما يؤخذ قهرا باستحقاق
 عند امتناع من وجب عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال إذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق
 الذي به استحقاقه واقتصر على التقدر للمستحق واستوفاه ممن يملك الاستيفاء من قاض أو سلطان
 أو مستحق وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات إذ فيها النظر في
 صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فاذا استوفيت شرائطها كان للمأخوذ
 حلالا . الرابع : ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال إذا روعي شرط العوضين وشرط المعاقدين
 وشرط اللفظين أعني الإيجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط الفاسدة وبيان
 ذلك في كتاب البيع والسلم والإجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والساقاة والشفعة والصلح
 والحلع والكتابة والصدقات وسائر المعاريض . الخامس : ما يؤخذ عن رضا من غير عوض وهو
 حلال إذا روعي فيه شرط المعهود عليه وشرط المعاقدين وشرط العقد ولم يؤد إلى ضرر بوارث
 أو غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات . السادس : ما يحصل بغير اختيار
 كالإرث وهو حلال إذا كان الورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال
 ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة وإخراج الزكاة والجلبج
 والسكفارة إن كان واجبا وذلك مذكور في كتاب الوصايا والقرائن فهذه مجامع مداخل الحلال
 والحرام أو مانا إلى جعلتها يعلم المريد أنه إن كانت طمعه متفرقة لأمس جهة معينة فلا يستغنى عن

يقول من لا يعرف
 قدر التمسك بها من
 حيث لا يعلم . وقد
 يندر الشيخ العاجز
 عن السكب في تناول
 طعام الرباط ولا يندر
 الشاب هذا في شرط
 طريق القوم على
 الإطلاق فأما من حيث
 خوى الشرع فان
 كان شرط الوقف على
 التصوفة وعلى من نزيا
 بزي للتصوفة وليس
 خرجهم فيجوز أكل
 ذلك لهم على الإطلاق
 خوى وفي ذلك
 القناعة بالرخصة دون
 العزعة التي هي شغل
 أهل الإرادة وإن
 كان شرط الوقف على
 من يسلك طريق
 الصوفية عملا وحالا
 فلا يجوز أكل لأهل
 البطالات والراكتين
 إلى تنصيع الأوقات
 وطرق أهل الإرادة
 عند مشايخ الصوفية
 مشهورة . أخبرنا
 الشيخ الثقة أبو الفتح
 قال أنا أبو الفضل

علم هذه الأمور فكل ما يأكله من جهة من هذه الجهات ينبغي أن يستحق فيه أهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فإنه كما يقال للعالم لم خالفت علمك يقال للجاهل لم لازمت جهلك ولم تعلم بعد أن قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم .

(درجات الحلال والحرام)

اعلم أن الحرام كله خبيث لكن بهمه أخبث من بعض الحلال كله طيب ولكن بعضه أطيب من بعض وأصفي من بعض وكما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الأولى كالسكر وبعضها حار في الثانية كالفايز وبعضها حار في الثالثة كالديس وبعضها حار في الرابعة كالسمل كذلك الحرام بهمه خبيث في الدرجة الأولى وبعضه في الثانية أو الثالثة أو الرابعة وكذا الحلال تفاوت درجات صفاته وطيبه فليقتد بأهل الطب في الاصطلاح على أربع درجات تقريبا وإن كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر إذ يتطرق إلى كل درجة من الدرجات أيضا تفاوت لا ينحصر فإن من السكر ما هو أشد حرارة من سكر آخر وكذا غيره فذلك قول الورع عن الحرام على أربع درجات : ورع المدول وهو الذي يجب الفسق باتحامه وتسقط العدالة به ويثبت اسم الصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما تحرمه تناوى الفقهاء . الثانية : ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم ولكن للمنفق رخص في تناول بناء على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجملة فلنسمي التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية . الثالثة : ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه أداؤه إلى محرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس وهذا ورع التقين قال صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ العبد درجة التقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس »^(١) الرابعة : ما لا بأس به أصلا ولا يخاف منه أن يؤدي إلى ما به بأس ولكنه يتناول لغير الله وعلى غير نية التقوى به على عبادة الله أو تتطرق إلى أسبابه للسبلة له كراهية أو معصية والامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال جملة إلى أن تفصلها بالأمثلة والشواهد . وأما الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الأولى وهو الذي يشترط التنوع عنه في العدالة والطراح ممة الفسق فهو أيضا على درجات في الحبث فالأخوذ بمقد فاسد كالمطاعة مثلا فبالأخوذ فيه المطاعة حرام ولكن ليس في درجة النصوص على سبيل القهر بل النصوص أغلظ إذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب والإيذاء النسيب وليس في المطاعة إيذاء وإنما فيه ترك طريق التجدد فقط ثم ترك طريق التجدد بالمطاعة أهون من تركه بالربا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتأكيده في بعض للنهي على ما سيأتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الكبيرة والصغيرة بل للأخوذ ظلما من قبيح أو صالح أو من يتم أخبث وأعظم من للأخوذ من قوي أو غي أو فاسق لأن درجات الإيذاء تختلف باختلاف درجات المؤذي فهذه دقائق في تفاصيل الحبث لا ينبغي أن يذهل عنها فلو لا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت دركات النار وإذا عرفت مشاركات الغليظ فلا حاجة إلى حصره في ثلاث درجات أو أربعة فإن ذلك جار مجرى التحكم والتشهي وهو طلب حصره في لاحصره ويدل على اختلاف درجات الحرام في الحبث ما سيأتي في تعارض المذورات وترجيح بعضها على بعض حتى إذا اضطر إلى أكل ميتة أو أكل طام الغير أو أكل صيد الحرم فانا قد قدم بعض هذا على بعض .

(١) حديث لا يبلغ العبد درجة التقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس ابن ماجه وقد تقدم .

حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف قال حدثنا جعفر الثرياني قال حدثنا محمد بن الحسين البخاري بسرقد قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثنا سعيد بن أبي أيوب الخزازي قال حدثنا عبد الله بن الوليد عن أبي سليمان الليثي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل المؤمن كمثل القرس في أخيه يحول ويرجع إلى أخيه وإن المؤمن يسوء ثم يرجع إليه الإيمان فأطمعوا طعماكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين » . [الباب السادس عشر في ذكر اختلاف أحوال مشايخهم في السفر والقام] اختلف أحوال مشايخ الصوفية فمنهم من سافر في

(أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدا)

أما الدرجه الأولى : وهى ورع المدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريره عما يدخل في الداخل الستة
التي ذكرناها من مداخل الحرام فقد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذى ينسب مقتضاه
إلى الفسق والعصية وهو الذى يزيد به الحرام المطلق ولا يحتاج إلى أمثلة وشواهد . وأما الدرجة
الثانية : فأمثلتها كل شبهة لا نوجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتى في باب الشبهات إذ من
الشبهات ما يجب اجتنابها فخلحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها فالورع عنها ورع الوسوسين كمن يمتنع من
الاصطياد خوفا من أن يكون الصيد قد أفلت من إنسان أخذه وملكه وهذا وسواس ومنها
ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذى ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « دعه ما يريك إلى ما
لا يريك » (١) ونعمه على نهى التنزيه وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « كل ما أصميت ودع
ما أتميت » (٢) والإبقاء أن يجرى الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا إذ يعمل أنه مات بسقطة
أو بسبب آخر والذى تختاره كما سيأتى أن هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله
دع ما يريك أمر تنزيه إذ ورد في بعض الروايات كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثرا غير
سهمك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في الكلب للعلم : « وإن أكل فلا تأكل فاني
أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه على سبيل التنزيه لأجل الخوف إذ قال لأبي ثعلبة الخشني
« كل منه فقال وإن أكل منه فقال وإن أكل » (٣) وذلك لأن حالة أبي ثعلبة وهو فقير فكتب
لا تحتمل هذا الورع وحال عدي كان يحتمله . يحكى عن ابن سيرين أنه ترك لشريك له أربعة
آلاف درهم لأنه حاك في قلبه شيء مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به فأمثله هذه الدرجة نذكرها في
التعرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة لا يجب اجتنابها فهو مثال هذه الدرجة . أما الدرجة الثالثة :
وهى ورع التيقن فيشهد لها قوله ﷺ « لا يبلغ البعد درجة التيقن حتى يدع مالا بأس به مخافة ما به
بأس » وقال عمر رضى الله عنه كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن تقع في الحرام وقيل إن هذا
عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال أبو الدرداء إن من تمام التقوى أن يتقى البعد في متقال ذرة حتى
يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما حتى يكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان
لبعضهم مائة درهم على إنسان لحملها إليه فأخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء السكك خيفة الزيادة
وكان بعضهم يتحرز فكل ما يستوفيه بأخذه بنقصان حبة وما يعطيه يوفيه بزيادة حبة ليسكون ذلك
حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الأحرار عما يتسامح به الناس فإن ذلك حلال في الفتوى ولكن
يخاف من فتح بابه أن ينجر إلى غيره وتأنف النفس الاسترسال وترك الورع فمن ذلك ما روى عن
علي بن مبيد أنه قال كنت ساكنا في بيت بكراء فكنت كتابا وأردت أن آخذ من تراب الحائط
لأتر به وأخفقه ثم قلت الحائط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حائط فأخذت من التراب حاجتي فلما
نمت فاذا أنا بشخص واقف يقول يا علي بن مبيد سيلم غدا الذى يقول وما قدر تراب من حائط ولم معنى
ذلك أنه يرى كيف يحطم منزله فان للتقوى درجة تفوت بفوات ورع التيقن وليس المراد به أن يستحق
(١) حديث دع ما يريك إلى ما لا يريك السنائي والترمذي والحاكم ومجاهد من حديث الحسن
ابن علي (٢) حديث كل ما أصميت ودع ما أتميت الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس
والبيهقي موقوفا عليه وقال إن الرفوع ضعيف (٣) حديث قال لأبي ثعلبة كل منه فقال وإن أكل
قال وإن أكل أبوداود من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ومن حديث أبي ثعلبة أيضا
مختصرا وإسنادهما جيد والبيهقي موقوفا عليه وقال إن الرفوع ضعيف

بدايته وأقام في نهايته
ومنهم من أقام في بدايته
وسافر في نهايته ومنهم
من أقام ولم يسافر ومنهم
من استدام السفر ولم
يؤثر الإقامة ونشرح
حال كل واحد منهم
ومقصده فيما رام فأما
الذى سافر في بدايته
وأقام في نهايته قصده
بالسفر لمعان منها تعلم
شيء من العلم قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « اطلبوا العلم ولو
بالصين » وقال بعضهم
لوسافر رجل من الشام
إلى أقصى الصين في كفة
تدل على هدى ما كان
سفره ضالها . ونقل أن
جابر بن عبد الله رحل
من المدينة إلى مصر
في شهر لحدوث بلفه أن
أنسا يحدث به عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد قال عليه
السلام « من خرج من
بيته في طلب العلم فهو
في سبيل الله حتى يرجع »
وقيل في تفسير قوله
تعالى - السائحون -

عقوبة على فعله ، ومن ذلك ما روى أن عمر رضي الله عنه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين قالت امرأته عائكة أنا أجيد الوزن فسكت عنها ثم أعاد القول فأعادت الجواب فقال لأحببت أن تضيق بكفة ثم تقولين فيها أثر النبار فتسحين بها عنقك فأصيب بذلك فضلا على المسلمين . وكان يوزن بين يدي عمر بن عبدالعزيز مسك للمسلمين فأخذ بأثفه حتى لاتصيه الرائحة وقال وهل ينتفع منه إلا برائحته لما استبعد ذلك منه « وأخذ الحسن رضي الله عنه ثمرة من تمر الصدقة وكان صغيرا فقال صلى الله عليه وسلم كعب (١) » أي ألقها ، ومن ذلك ما روى بعضهم أنه كان عند محتضر فأت ليلا فقال أطفئوا السراج فقد حدث الورثة حتى في الدهن ، وروى سليمان التيمي عن نسيمة العطاراة قالت كان عمر رضي الله عنه يدفع إلى امرأته طيبا من طيب للمسلمين لتبيحه فاعتنى طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتقص وتكسر بأسنانها فتعلق بأصبعها شيء منه فقالت به هكذا بأصبعها ثم مسح به خمارها فدخل عمر رضي الله عنه فقال ما هذه الرائحة فأخبرته فقال طيب للمسلمين تأخذينه فانتزع الحمار من رأسها وأخذ جرة من الماء فجعل يصب على الحمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب ويشمه حتى لم يبق له ريح قالت ثم أتيتها مرة أخرى فلما وزنت علق منه شيء بأصبعها فأدخلت أصبعها في فيها ثم مسح به التراب فهذا من عمر رضي الله عنه ورع التقوى لخوف أداء ذلك إلى غيره وإلا فضل الحمار ما كان بيد الطبيب إلى المسلمين ولكن أنفقه عليها زجرا وردعا واتقاء من أن يتعدى الأمر إلى غيره ، ومن ذلك ما سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكون في المسجد يحمل حجره لبعض السلاطين ويخسر المسجد بالعود فقال ينبغي أن يخرج من المسجد فإنه لا ينتفع من العود إلا برائحته وهذا قديقارب الحرام فإن القدر الذي يسبق شوبه من رائحة الطبيب قديقص وقد يخل به فلا يدري أنه يتسامح به أم لا ، وسئل أحمد بن حنبل عن من سقطت منه ورقة فيها أحاديث فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردّها فقال لا بل يستأذن ثم يكتب ، وهذا أيضا قد يشك في أن صاحبها هل يرضى به أم لا فها هو في محل الشك والأصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الأولى ومن ذلك التورع عن الزينة لأنه يخاف منها أن تدعو إلى غيرها وإن كانت الزينة مباحة في نفسها ، وقد سئل أحمد بن حنبل عن النعال الحبيبة فقال أمانا فلا أستملمها ولكن إن كان للطين فأرجو وأمان من أراد الزينة فلا ، ومن ذلك أن عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة كانت له زوجة يجيها فطلقها خيفة أن تشير عليه بشفاعته في باطل فيطيعها ويطلب رضاها وهذا من ترك ما لا بأس به مخافة مما به البأس أي مخافة من أن يفضي إليه وأكثر اللباحات داعية إلى المحظورات حتى استكثار الأكل واستعمال الطبيب للمتعب فإنه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو إلى الفكر والفكر يدعو إلى النظر والنظر يدعو إلى غيره وكذلك النظر إلى دور الأغنياء وتجملهم مباح في نفسه ولكن بهيج الحرس ويدعو إلى طلب مثله ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله وهكذا للباحات كلها إذا لم تؤخذ بقدر الحاجة في وقت الحاجة فجمع التحريم من غوائلها بالمعرفة أولا ثم بالحذر ثانيا قلما تخلو عاقبتها عن خطر وكذا كل ما أخذ بالشهوة قلما تخلو عن خطر حتى كره أحمد بن حنبل تخصيص الحيطان وقال أما تخصيص الأرض فيمنع التراب وأما تخصيص الحيطان فزينة لا فائدة فيه حتى أنكر تخصيص الساجد وتزيينها واستدل بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه سئل أن يكحل المسجد فقال لا ، عريش كعريش موسى (٢) »

(١) حديث أخذ الحسن بن علي ثمرة من الصدقة وكان صغيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم كعب كعب ألقها . البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث أنه سئل أن يكحل المسجد فقال لا ، عريش كعريش موسى الدارقطني في الأفراد من حديث أبي الدرداء وقال غريب .

أنهم طلاب العلم . حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إمامنا قال أنا أبو الفتح عبد الملك الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا أبو العباس الجبوي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ، حدثنا وكيع قال حدثنا أبو داود عن سفيان عن أبي هرون قال كنا نأتي أبا سعيد فيقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إن النبي عليه السلام قال « إن الناس لكم تبع وإن الرجال يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فاذا أتوك فاستوصوا بهم خيرا » وقال عليه السلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وروت عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله تعالى أوحى إلى أناس

وإنما هو شيء مثل الكحل يطل به فلم يخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وكرهه السلف الثوب الرقيق وقالوا من رقيق نوبه رقيق دينه وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات في اللباجات إلى غيرها فان المخطور والباح تشبههما النفس بشهوة واحدة وإذا تعوت الشهوة للساحة استرسلت فالتفتى خوف الفتوى الورع عن هذا كله فكل حلال افك عن مثل هذه الخافقة فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف أداؤه إلى مصيبة آتية . أما الدرجة الرابعة : وهو ورع الصديقين فالحلال عندهم كل ما لا تقدم في أسبابه مصيبة ولا يستبان به على مصيبة ولا يقصد منه في الحال والمآل قضاء وطريق يتناول في تعالى قطع والفتوى على عبادته واستبقاء الحياة لأجله وهؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس في حراما امتثالا لقوله تعالى - قل الله ثم ذرم في خوضهم يلعبون - وهذه رتبة الواحدين للتجريد عن حظوظ أنفسهم المنفردين في تعالى بالقصد ولا شك في أن من يتورع عما يوصل إليه أو يستبان عليه بمصيبة ليتورع عما يقترن بسبب اكتسابه مصيبة أو كراهية فمن ذلك ما روى عن يحيى بن كثير أنه شرب الدواء فقالت له امرأته لو تمسحت في الدار قليلا حتى يمدد الدواء قال هذه مشية لا أعرفها وأنا أحسب نفسي منذ ثلاثين سنة فكتأته لم تحضره نية في هذه اللحية تتعلق بالدين فلم يجرز الاقدام عليها . وعن سري رحمه الله أنه قال انتهت إلى حشيش في جبل وماء يخرج منه فتناولت من الحشيش وشربت من الماء وقلت في نفسي إن كنت قدأ كلت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم فتهتفبى هاتف إن القوة التي أوصلتك إلى هذا الوضع من أين هي فرجعت وندمت ومن هذا ما روى عن ذي النون المصري أنه كان جائعا محبوسا فبعث إليه امرأة سالحة طعاما على يد السجان فلم يأكل ثم اعتذر وقال جادى على طبق ظالم يعني أن القوة التي أوصلت الطعام إلى لم تكن طيبة وهذه النابية القصوى في الورع . ومن ذلك أن بشرى رحمه الله كان لا يجرب للمؤمنين الأثمار التي حفرها الأمراء فان النهر سبب لجريان الماء ووصوله إليه وإن كان الماء مباحا في نفسه فيكون كالمتنقع بالتهر المفقور بأعمال الأجرء وقد أعطوا الأجرة من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من العب الحلال من كرم حلال وقال لصاحب أفسدته إذ سقيته من الماء الذي يجري في النهر الذي حفرته الظلمة وهذا أبعد عن الظلم من شرب نقي الماء لأنه احتراز من استمداد العب من ذلك الماء . وكان بعضهم إذا فر في طريق الحج لم يضر من اللصائع التي عملتها الظلمة مع أن البناء مباح ولكنه بقي محفوظا بالمصنع الذي عمل به بمال حرام فكتأته انتفاع به وامتناع ذي النون من تناول الطعام من يد السجان أعظم من هذا كله لأن يد السجان لا توصف بأنه حرام بخلاف الطبق الملقوب إذا حمل عليه ولكنه وصل إليه بقوة اكتسبت بالتهاء الحرام ولذلك تقيأ الصديق رضي الله عنه من اللبن خيفة من أن يحدث الحرام فيه فوتمع أنه شربه عن جهل وكان لا يجب إخراجاه ولكن تخليه البطن عن الخبث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسبه خياط يغيظ في المسجد فان أحمد رحمه الله كره جلوس الخياط في المسجد . وسئل عن الغارلى مجلس في قبة في القامبر في وقت يخاف من المطر فقال إنما هي من أمر الآخرة وكره جلوسه فيها وأطفا بعضهم سراجا أسرجه غلامه من قوم يكره ما لهم وامتنع من تسجير تنور للخبز وقد بقي فيه جر من حطب مكروه وامتنع بعضهم من أن يحكم شمع نعله في مشعل السلطان فهذه دقائق الورع عند سالكي طريق الآخرة والتحقيق فيه أن الورع له أول وهو الامتناع مما حرمته الفتوى وهو ورع المدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس في بما أخذ بشهوة أو توصل إليه بكمروه أو اتصل بسببه بكمروه وبينهما درجات في الاحتياط فكلما كان البعد أشد تشديدا على نفسه كان أخف ظهرا يوم القيامة وأسرع جوازا على الصراط وأبعد عن أن

سلكه مسلكا في طلب العلم سهلت له طريقا إلى الجنة ومن جهة مقاصدهم في البداية لقاء الصالح والإخوان الصديقين فلهذا كل صادق مزيد وقد ينصفه لحظ الرجال كما ينصفه لحظ الرجال . وقد قيل من لا ينصفك لحظه لا ينصفك لفظه وهذا القول في وجهان أحدهما أن الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان نفسه أكثر مما يكلمهم بلسان قوله فإذا نظر الصادق إلى تصاريحه في مودعه ومصدره وخلوته وجوفه وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر إليه فهو فتح الحظ ومن لا يكون حاله وأفعاله هكذا فلفظه أيضا لا ينفع لأنه يشكهم جهوهم ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق

تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وتتفاوت لتنازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع كما تفاوت درجات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الخبث ، وإذا علمت حقيقة الأمر فأليك الخيار فإن شئت فاستكثر من الاحتياط وإن شئت فترخص. فلنفسك تخاط وعلى نفسك ترخص والسلام .

(الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثارها وتميزها عن الحلال والحرام)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات واقع الحرام كالرامي حول الحمى يوشك أن يقع فيه » (١) فهذا الحديث نص في إثبات الأقسام الثلاثة والشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف القطاء عنها فإن ما لا يعرفه الكثير قد يعرفه القليل فنقول : الحلال للطلق هو الذي خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه وأخل عن أسبابه ما ينطرق إليه تحريم أو كراهية ومثاله الماء الذي يأخذه الإنسان من للطريق أن يقع على ملك أحد ويكون هو واقفا عند جمعه وأخذه من الهواء في ملك نفسه أو في أرض مباحة والحرام المحض هو ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة المطرية في الحجر والتجاسة في البول أو حصل بسبب منهي عنه قطعا كالحصل بالظلم والربا ونظائره فهذان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق أمره ولكنه احتمل تنفيه ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فإن صيد البر والبحر حلال ومن أخذ ظبية فيحتمل أن يكون قد ماسكها صياد ثم أفلتت منه وكذلك السمك يحتمل أن يكون قد تزلق من الصياد بعد وقوعه في يده وخريطته فثل هذا الاحتمال لا ينطرق إلى ماء البحر المحتطف من الهواء ولكنه في معنى ماء البحر والاحتراز منه وسواس ، ولنسم هذا الفن ورع الموسمين حتى تلتحق به أمثاله وذلك لأن هذا وهم مجرد لادلالة عليه نعم لودل عليه دليل فإن كان قاطعا كالوجود حلقه في أذن السمكة أو كان محتملا كالوجود على الظبية جراحة يحتمل أن يكون كيا لا يقدر عليه إلا بعد الضبط ويحتمل أن يكون جرحا فهذا موضع الورع وإذا انتفت الدلالة من كل وجه فلا احتمال للمدوم دلالة كاحتمال المدوم في نفسه ومن هذا الجنس من يستعير دارا فيغيب عنه المير فيخرج ويقول لعله مات وصار الحق للوارث فهذا وسواس إذ لم يدل على موته سبب قاطع أو مشكك إذ الشبهة المهدورة ما تنشأ من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشأ عن سببين ثم لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوى القدر المقابل له فيصير شكاً ولهذا نقول : من شك أنه صلى ثلاثاً أو أربعاً أخذ بالثلاث إذ الأصل عدم الزيادة ولو سئل إنسان أن صلاة الظهر التي أداها قبل هذا بشر ستين كانت ثلاثاً أو أربعاً لم يتحقق قطعا أنها أربعة وإذا لم يقطع جواز أن تكون ثلاثة وهذا التجوز لا يكون شكاً إذ لم يحضره سبب أو جب اعتقاد كونها ثلاثاً فلنظم حقيقة الشك حتى لا يشبه الوهم والتجوز بغير سبب فهذا يلتحق بالحلال للطلق ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحرره وإن أمكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواء فتاب عنه فقال يحتمل أنه مات وقد انتقل الملك إلى فقأ كاهه فإقدامه عليه إقدام على حرام محض لأنه احتمال لا مستند له فلا يفيق أن يعد هذا الخط من أقسام الشبهات وإنما الشبهة نفي بها ما يشبه علينا أمره بأن تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين . ومثار الشبهة خمسة :

(الباب الثاني في مراتب الشبهات)

(١) حديث الحلال بين والحرام بين متفق عليه من حديث الثمان بن بشر .

البيسودية وحقيقتها
والوجه الثاني أن نظر
الطباء الراسخين في العلم
والرجال البالغين ريباً
نافع ينظر أحدهم إلى
الرجل الصادق
فيستكشف بنور
بصيرته حسن استمداد
الصادق واستثاله
لما وهب الله تعالى
الحاسة فيقع في قلبه
عجة الصادق من
البردين وينظر إليه
نظر عجة عن بصيرة
وهم من جنود الله تعالى
فيصحبون بنظرهم
أحوالاً سنية ويهيون
آثاراً مرضية وماذا
يشكر للكرم من قدرة
الله أن الله سبحانه وتعالى
كاجل في بعض الأفاعي
من الحاسة أنه إذا
نظر إلى إنسان بهلكه
بنظره أن يحمل في نظر
بعض خواص عباده
أنه إذا نظر إلى طالب
صادق يكسبه حالاً
وحياة وقد كان شيخنا
رحمه الله يطوف في
مسجد الخيف بمخ

(لثأر الأول الشك في السبب المحلل والمحرم)

وذلك لا يخلو إما أن يكون متعادلاً أو غلب أحد الاحتمالين فإن تعادل الاحتمالين كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك وإن غلب أحد الاحتمالين عليه بأن صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للعالم ولا يثبت هذا إلا بالأشكال والشواهد فلنقسمه على أقسام أربعة . القسم الأول : أن يكون التحريم معلوماً من قبل ثم يقع الشك في المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها وبجرم الإقدام عليها . مثاله : أن يرمى إلى ميد فيجرسه ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدري أنه مات بالغرق أو بالجرح فهذا حرام لأن الأصل التحريم إلا إذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق فلا يترك اليقين بالشك كما في الأحداث والنجاسات وركعات الصلاة وغيرها ولي هذا ينزل قوله **عليه السلام** لدى بن حاتم «لأنك فله قتل غيرك» (١) . فذلك كان صلى الله عليه وسلم إذ أتى بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هدية سأل عنه حتى علم أيهما هو (٢) وروى «أنه صلى الله عليه وسلم أرق ليلة فقال له بعض نسائه أرقت يارسول الله فقال أجل وجدت تمر غشيت أن تكون من الصدقة» (٣) وفي رواية «فأكلتها غشيت أن تكون من الصدقة» ومن ذلك ما روي عن بعضهم أنه قال «كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فقلنا منزلاً كبير الضباب فبينما القدور تغلي بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة مسخت من بني إسرائيل أخشى أن تكون هذه فأكلنا القدور» (٤) ثم أعلمه الله بعد ذلك أنه لم يسخ الله خلقاً فجعل له نسلاً (٥) وكان امتناعه أولاً لأن الأصل عدم الحل وشك في كون الدج محلاً . القسم الثاني : أن يعرف الحل ويشك في المحرم فالأصل الحل وله الحكم كما إذا نكح امرأتين رجلان وطأ طائر فقال أحدهما إن كان هذا غراباً فامرأتى طالق وقال الآخر إن لم يكن غراباً فامرأتى طالق والتبس أمر الطائر فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولا يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى يحل لسائر الأزواج وقد أمر مكحول بالاجتناب في هذه المسئلة وأتى الشيء بالاجتناب في رجلين كانا قد تنازعا فقال أحدهما للآخر أنت حمود فقال الآخر أحسنا زوجة طالق ثلاثاً فقال الآخر نعم وأشك الأمر وهذا إن أراد به اجتناب الورع فصحيح وإن أراد التحريم المحقق فلا وجه له إذ ثبت في المياه والنجاسات والأحداث والصلوات أن اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه . فإن قلت وأي مناسبة بين هذا وبين ذلك فاعلم أنه لا يحتاج إلى المناسبة فانه لازم من غير ذلك في بعض الصور فانه مهما يتقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له أن يتوضأ به فكيف لا يجوز أن يشربه وإذا جوز الشرب فقد سلم أن اليقين لا يزال بالشك إلا أن ههنا دققة وهو أن وزان الماء أن يشك في أنه طلق زوجته أم لا فيقال الأصل أنه مطلق

- (١) حديث لأنك فله قتل غيرك قاله لدى بن حاتم متفق عليه من حديثه (٢) حديث كان إذا أتى بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أوهية يسأل عنه البخاري من حديث أبي هريرة (٣) حديث أنه أرق ليلة فقال له بعض نسائه أرقت يارسول الله فقال أجل وجدت تمر غشيت أن تكون من الصدقة أحمد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بإسناد حسن (٤) حديث كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فقلنا منزلاً كبير الضباب فبينما القدور تغلي بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة من بني إسرائيل مسخت فأخاف أن تكون هذه فأكلنا القدور ابن حبان والبيهقي من حديث عبد الرحمن وحسنه وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه حديث ثابت بن زيد نحوه مع اختلاف قال البخاري وحديث ثابت أصح (٥) حديث أنه لم يسخ الله خلقاً فجعل له نسلاً مسلم من حديث ابن مسعود .

ويتصفح وجوه الناس قيل له في ذلك فقال لله جاهد إذا نظروا إلى شخص أكسبوه معادة فانا أنطلب ذلك ومن جملة المقاصد في السفر ابتداء قطع للألوات والانسلاخ من ركون النفس إلى مهود ومعلوم والتجامل على النفس بتجرع مرارة فرقة الإلاف والخلاف والأهل والأوطان فمن صبر على تلك الألوات محتسباً عند الله أجراً فقد حاز فضلاً عظيماً . أخبرنا أبو زرعة بن أبي الفضل الحافظ القندسي عن أبيه قال أنا القاضي أبو منصور محمد بن أحمد الفقيه الأصمغاني . قال أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن خريشد قوله قال أحمدنا أبو بكر عبد الله ابن محمد بن زياد النيسابوري قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى

ووزان مسئلة الطاهر أن يتحقق نجاسة أحد الإناءين ويشبهه عنه فلا يجوز أن يستعمل أحدهما
بغير اجتهاد لأنه قابل يقين النجاسة يقين الطهارة فيبطل الاستصحاب فكذلك هنا قد وقع الطلاق
على إحدى الزوجتين قطعا والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فتقول اختلف أصحاب الشافعي في الإناءين
على ثلاثة أوجه فقال قوم يستصحب بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين
الطهارة يجب الاحتياط ولا يفي الاجتهاد وقال القصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه أن
تكون له زوجتان فيقول إن كان غرابا فزنب طالق وإن لم يكن فعمرة طالق فلا جرم لا يجوز له
غشيانها بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد إذ لا علامة ونحرهما عليه لأنه لو غشهما كان مقتضا
للحرام قطعا وإن وطئ أحدهما وقال أقصر على هذه كان متحكما بيمينها من غير ترجيح ففي هذا
افترق حكم شخص واحد أو شخصين لأن التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين إذ كل
واحد شك في التحريم في حق نفسه . فان قيل فالإناءان لشخصين فينبغي أن يستثنى عن
الاجتهاد ويتوضأ كل واحد بإيمانه لأنه يفتن طهارته وقد شك الآن فيه فتقول هذا محتمل في الفقه
والأرجح في ظني المنع وأن تعدد الشخصين هنا كإخاذه لأن صحة الوضوء لاستدعي ملكا بل وضوء
الإنسان بماهية غيره فيرفع الحدث كوضوئه بماهية نفسه فلا يثبت لاختلاف الملك وإخاذه أثر بخلاف الوضوء
لزوجة الغير فإنه لا يحل ولأن للعلامات مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب
ثبوت الاستصحاب بعلامة يدفع بها قوة يقين النجاسة للمقابلة ليقين الطهارة وأبواب الاستصحاب
والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه وقد استقصيناه في كتب الفقه ولنا قصد الآن إلى التنبيه على
قواعدها . القسم الثالث : أن يكون الأصل التحريم ولكن طرأ ما أوجب تحليه بظن غالب فهو
مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن إلى سبب متبر شرعا فالتى تختار
فيه أنه محل واجتنبه من الورع . مثاله : أن يرمى إلى صيد فيجب ثم يدركه ميتا وليس عليه أثر
سوى سهمه ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر فان ظهر عليه أثر صدمة أو جراحة
أخرى التحق بالقسم الأول وقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في هذا القسم والختار أنه حلال لأن
الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والأصل أنه لم يطرأ غيره عليه فطريانه مشكوك فيه فلا يدفع اليقين
بالشك . فان قيل فقد قال ابن عباس : كل ما أصحبت ودع ما أنعت . وروى عائشة رضي الله عنها « أن رجلا
أتى النبي ﷺ بأرنب فقال ربيعت عرفت فيها سهمي فقال أصحبت أو أنعت فقال بل أنعت قال إن الليل
خاف من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه فلم له أعان على قتله شيء (١) » وكذلك قال صلى الله عليه وسلم
لعدي بن حاتم في كلبه المعلم « وإن أكل فلا تأكل كل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه (٢) »
والغالب أن الكلب المعلم لا يسيء خلقه ولا يمسك إلا على صاحبه ومع ذلك نهى عنه وهذا التحقيق وهو أن
الحل إنما يتحقق إذا تحقق تمام السبب وتام السبب بأن يفرض إلى الموت سليما من طريان غيره عليه
(١) حديث عائشة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأرنب فقال ربيعت عرفت فيها سهمي فقال
أصحبت أو أنعت قال بل أنعت قال إن الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه فلم له أعان
على قتله شيء ليس هذا من حديث عائشة وإجمارواه موسى بن أبي عائشة عن أبي رزير قال جاء رجل
إلى النبي صلى الله عليه وسلم بصيد فقال إني رميته من الليل فأعاني ووجدت سهمي فيه من الغد
وعرفت سهمي فقال الليل خلق من خلق الله عظيم لم له أعانك عليها شيء رواه أبو داود في المراسيل
والبيهقي وقال أبو رزيرن اسمه مسعود والحديث مرسل قاله البخاري (٣) حديث قال لعدي في كلبه المعلم
وإن أكل فلا تأكل كل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه متفق عليه من حديثه .

قال حدثنا بن وهب
قال حدثني يحيى بن
عبد الله عن أبي عبد
الرحمن عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص
قال « مات رجل بالمدينة
ومن ولدها فولى عليه
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال
لته مات بغير مولاه
قالوا ولم ذلك يا رسول
الله قال إن الرجل إذا
مات بغير مولاه قيس له
من مولاه إلى منقطع
أثره من الجنة » ومن
جهة للقاصد في السفر
استكشاف دقائق
النفوس واستخراج
رغواتها ودعائها
لأنها لا تمكك تعيين
حقائق ذلك بغير السفر
ومضى السفر سفرًا لأنه
يسفر عن الأخلاق
وإذا وقف على داله
يتشمر لدوائه وقد
يكون أثر السفر في
نفس للبشدي كثر
التوافل من الصلاة
والصوم والتجود وغير
ذلك وذلك أن التنفل

وقد شك فيه فهو شك في تمام السبب حتى اشبه أن موته على الحل أو على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعته ثم شك فيما يطأ عليه . فالجواب أن نهى ابن عباس ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتنزيه بدليل ما روى في بعض الروايات أنه قال « كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثرا غير سهمك » (١) . وهذا تنبيه على المعنى الذي ذكرناه وهو أنه إن وجد أثرا آخر قد تعارض السببان بتمارض الظن وإن لم يجد سوى جرحه حصل غلبة للظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس للظنون والمعمومات للظنونة وغيرها وأما قول القائل إنه لم يتحقق موته على الحل في ساعة فيكون شكاً في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق إذ الجرح سبب للوث فطريان الغير شك فيه ويدل على صحة هذا الإجماع على أن من جرح وغاب فوجد ميتاً فيجب القصاص على جرحه بل إن لم يربح محتمل أن يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الإنسان فجأة فينبغي أن لا يجب القصاص إلا بحز الرقة والجرح للذنب لأن اللابطن القاتلة في الباطن لا تؤمن لأجلها يموت فجأة ولا قاتل بذلك مع أن القصاص مبناه على الشبهة وكذلك حين للذكاة خلال ولعله مات قبل ذبح الأصل لا بسبب ذبحه أول ما ينفع فيه الروح وغرة الجنين تحجب ولعل الروح لم ينفع فيه أو كان قد مات قبل الجناية بسبب آخر ولكن يفي على الأسباب الظاهرة فإن الاحتمال الآخر إذا لم يستدل إلى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه فكذلك هذا وأما قوله صلى الله عليه وسلم « أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه » فلشافي رحمه الله في هذه الصورة قولان والذي تختاره الحكم بالتحريم لأن السبب قد تعارض إذا الكلب للم كالآلة والوكيل يسلك على صاحبه فيحل ولو استرسل للعلم بنفسه فأخذ لم يحل لأنه يتصور منه أن يصطاد لنفسه ومنها انبعت بأشارته ثم كل دل ابتداء انبعاثه على أنه نازل منزلة آتاه وأنه يسعى في وكالته ونيابته ودل أكله آخر على أنه أمسك لنفسه لا لصاحبه فقد تعارض السبب الفدال فيتعارض الاحتمال والأصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كالموكل وكل رجلا بأن يشتري له جارية فاشتري جارية ومات قبل أن يبين أنه اشتراها لنفسه أو لموكله لم يحل للموكل وطوفاً لأن للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعاً ولا دليل مرجح والأصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم الأول بالقسم الثالث . القسم الرابع : أن يكون الحل معلوماً ولكن يظن على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعاً فيرفع الاستصحاب ويقضى بالتحريم إذ بان لنا أن الاستصحاب ضعيف ولا يفي لحكم مع غالب الظن . ومثاله أن يؤدي اجتهاده إلى نجاسة أحد الإنامين بالاعتقاد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما أوجب منع الوضوء به وكذا إذا قال إن قتل زيد عمراً أو قتل زيد صيدا منفرداً بقتله فامرأى طالق فجرحه وغاب عنه فوجد ميتاً حرمت زوجته لأن الظاهر أنه منفرد بقتله كما سبق وقد نص الشافعي رحمه الله أن من وجد في القدران ماء متغيراً احتمل أن يكون تغيره بطول الكسك أو بالنجاسة فيستعمله ولو رأى ظلية يالت فيه ثم وجده متغيراً واحتمل أن يكون بالبول أو بطول الكسك لم يجز استعماله إذ صار البول للشاهد دلالة مقلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة ظن استند إلى علامة متعلقة بعين الشيء فأما غلبة الظن لامن جهة علامة تتعلق بين الشيء فقد اختلف قول الشافعي رحمه الله عنه في أن أصل الحل هل يزال به إذا اختلف قوله في التوضؤ من أواني الشركين ومدمن الخمر والصلاة في القابر النبوشة والصلاة مع طين الشوارع

سأله سائر إلى الله تعالى من أوطان الفلوات إلى محل القربات وللأسف يقطع المسافات وتقلب في المفاوز والقنوات بحسن النية لله تعالى سائراً إلى الله تعالى بمرامحه الموهى ومهاجرة ملاذ الدنيا . أخبرنا شيخنا بإجازة قال أنا محمد بن أحمد قال أنا أحمد بن محمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت عبد الواحد ابن بكر يقول سمعت على بن عبد الرحيم يقول سمعت النورى يقول التصوف ترك كل حظ النفس فإذا سافر للمتدى تاركا حظ النفس تطمئن النفس وتلين كالتلين بدوام النافذة ويكون لها بالمفرد باغ يذهب عنها الخشونة واليوسه الجليسة والغبونة الطهيعة كالجلد يهود من هيئة الجلود إلى هيئة الثياب فتعود

النفس من طيبة
الطيان إلى طيبة
الإيمان . ومن جهة
القاصد في السفر رؤية
الآثار والبر وتسريح
النظر في مسارح الفكر
ومطالعة أجزاء الأرض
والجبال ومساوطني
أقدام الرجال واستماع
التسبيح من فترات
الجمادات والهم من
لسان حال القطع
للتجارات قد تجد
البقطة تجدد مستودع
البر والآيات وتوفر
بمطالعة للشاهد
والرواقف الشواهد
والدلالات قال الله تعالى
- حنبرهم آياتنا في
الآفاق وفي أنفسهم حتى
يتبين لهم أنه الحق -
وقد كان السري يقول
لصوفية : إذا خرج
الشتاء ودخل آبله
وأوردت الأشجار طرب
الانتشار . ومن جهة
القاصد بالسفر إثار
الحول والطراح حظ
القبول فصدق الصافي
يتم على أحسن الحلق

أعنى المقدار الزائد على ما يتعدى الاحتراز عنه وعبر الأصحاب عنه بأنه إذا تمارض الأصل والغالب فأيهما يعتبر وهذا جار في حل الشرب من أواني مدمن الحجر والمشركين لأن الذبح لا يحمل شربه فإذا من أخذ النجاسة والحل واحد فالتردد في أحدهما يوجب التردد في الآخر والذي أختره أن الأصل هو العتبر وأن العلامة إذا لم تملق بين التناول لم توجب رفع الأصل وسيأتي بيان ذلك وبرهانه في لثار الثاني للشبهة وهي شبه الخلط قد اقتض من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه أوطن^(١) وحكم حرام شك في طريان محلل عليه أوطن^(٢) وبأن الفرق بين ظن يستند إلى علامة في عين الشيء وبين مالا يستند إليه وكل ما حكمنا في هذه الأقسام الأربعة بحله فهو حلال في المرحلة الأولى والاحتياط تركه فالقدم عليه لا يكون من زمرة التثني والصالحين بل من زمرة الصدول الذين لا ينفق في فتوى الشرع بغتهم وعصبانهم واستحقاقهم العقوبة إلا ما ألحقناه برتبة الوسواس فإن الاحتراز عنه ليس من الورع أصلا .

(لثار الثاني للشبهة شك منشؤه الاختلاط)

وذلك بأن يختلط الحرام بالحلال وشبه الأمر ولا يتميز والخلط لا يخلو إما أن يقع بحد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما أو بحد محصور فإن اختلط بمحصور فلا يخلو إما أن يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالاشارة باختلاط السمات أو يكون اختلاط استيهام مع التميز للأعيان كاختلاط الأبعد والدور والأفراق والذي يختلط بالاستيهام فلا يخلو إما أن يكون مما يقصد عينه كالروض أو لا يقصد كالنقود فيخرج من هذا التقسيم ثلاثة أقسام . القسم الأول : أن تستيهام العين بحد محصور كما لو اختلط البتة بمذكاة أو بشر مذكيات أو اختلطت رضية بشر نسوة أو يتزوج إحدى الأختين ثم تلبس بهذه شبهة يجب اجتنابها بالإجماع لأنه لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا وإذا اختلطت بحد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق في هذا بين أن يثبت حل فطرأ اختلاط بمحرم كما لو وقع الطلاق على إحدى زوجتين في مسئة الطائر أو يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلط رضية بأجنبية فأراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل في طريان التحريم كطلاق إحدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب وقد نبهنا على وجه الجواب وهو أن يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الخطر أغلب في نظر الشرع فلذلك ترجح وهذا إذا اختلط حلال محصور بمحرم محصور فإن اختلط حلال محصور بمحرم غير محصور فلا يخفى أن وجوب الاجتناب أولى . القسم الثاني : حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اختلطت رضية أو عشر رضائع بنسوة بله كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح نساء أهل البله بل لأن يتكبح من شاء منهم وهذا لا يجوز أن يملك بكثرة الحلال إذ يلزم عليه أن يجوز النكاح إذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال ولا قائل به بل الملة القلبية والحاجة جميعا إذ كل من ضاع له رضيع أو قريب أو محرم بمصاهرة أو سبب من الأسباب فلا يمكن أن يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك الشراء والأكل فإن ذلك حرج ومافى الدين من حرج ويعلم هذا بأنه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن^(١) وغل واحد في الغنمية عباءة^(٢) لم يمتنع أحد من شراء المجان والبهاء في الدنيا وكذلك كل ماسرق وكذلك كان

(١) حديث سرقه المجن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم (٢) حديث غل واحد من الضائم عباءة البخاري من حديث عبد الله بن عمر ، واسم الغل كركرة

يعرف أن في الناس من يرى في الدرهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدرهم والدنانير بالكسبية^(١) وبالجملة إنما تنفك الدنيا عن الحرام إذا عصم الخلق كلهم عن المعاصي وهو محال وإذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط أيضا في بلد إلا إذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع اللوسوسين إذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به في ملة من الملل ولا في عصر من الأعصار . فان قلت فكل عدد محصور في علم الله فما حد المحصور ولو أراد الإنسان أن يحصر أهل بلد بقدر عليه أيضا إن تمكن منه . فاعلم أن تحديد أمثال هذه الأمور غير ممكن وإنما يضبط بالتقريب . فنقول كل عدد ولو اجتمع على صعيد واحد لمسر على الناظر عددهم بمجرد النظر كالآلاف والألوف فهو غير محصور وما سهل كالشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين أوساط متشابهة تلحق بأحد الطرفين بالظن وما وقع الشك فيه استغنى فيه القلب فان الإثم حراز القلوب وفي مثل هذا المقام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أبصرت قلبك وإن أتوك وأتوك وأتوك^(٢) وكذا الأقسام الأربعة التي ذكرناها في التار الأول يقع فيها أطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات وأوساط متشابهة فالملقى يبقى بالظن وعلى المستغنى أن يستغنى قلبه فان حاك في صدره شيء فهو الآثم بينه وبين الله فلا ينجي في الآخرة فتوى الملحق فانه يبقى بالظاهر والله يتولى السرائر . القسم الثالث : أن يخلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر حكم الأموال في زمانها هذا فالذي يأخذ الأحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور إلى غير المحصور كنسبة المحصور إلى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم للتحكم هنا به والذي نخشاه خلاف ذلك وهو أنه لا يحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شيء بينه احتمال أنه حرام وأنه حلال إلا أن يقتصر بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام فان لم يكن في العين علامة تدل على أنه من الحرام فتركه ورع وأخذ حلال لا يفسد به آكله ومن العلامات أن يأخذ من يد سلطان ظالم إلى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها ويدل عليه الأثر والقياس فأما الأثر فما علم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده إذ كانت أثمان الحبوب ودرهم الربا من أيدي أهل القمة مختلطة بالأموال وكذا غلول الأموال وكذا غلول النخبة ومن الوقت الذي نهى صلى الله عليه وسلم عن الربا إذ قال « أول ربا أضعه ربا العباس^(٣) » متارك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمر . وسائر المعاصي حتى روي أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه لمن الله فلانا هو أول من سن بيع الخمر إذ لم يكن قد فهم أن تحريم الخمر تحريم لثمنها وقال صلى الله عليه وسلم « إن فلانا يجر في النار عبادا قد غلبها^(٤) » وقتل رجل فقتلوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لاتساوي درهمين قد غلبها^(٥) وكذا أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة ولم يتمتع أحدهم . عن الشراء والبيع في السوق بسبب نهى المدينة وقد نهى أصحاب يزيد ثلاثة أيام وكان من يتمتع من تلك الأموال مشارا إليه في الورع والأكثرين لم يتمتعوا

(١) حديث إن في الناس من كان يرى في الدرهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدرهم بالكسبية هذا معروف وسيأتي حديث جابر بعده بحديث وهو يدل على ذلك (٢) حديث استغنى قلبك وإن أتوك وأتوك وأتوك قاله لوابصة تقدم (٣) حديث أول ربا أضعه ربا العباس مسلم من حديث جابر (٤) حديث إن فلانا يجر في النار يجر عبادا قد غلبها البخاري من حديث عبد الله بن عمر وتقدم قبله بثلاثة أحاديث (٥) حديث قتل رجل فقتلوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لا يساوي درهمين قد غلبها أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن خالد الجهني .

ويرزق من الخلق حسن الأقبال وقفا يكون صادق متمسك بعروة الاخلاص ذو قلب عامر لا ويرزق إقبال الخلق حتى سمعت بعض الشايع يحكي عن بعضهم أنه قال : أريد إقبال الخلق على لا آتى أبلغ نفس حظها من المولى فاني لا بألى أقبلا أو أدبروا . ولكن نكون لكون إقبال الخلق علامة تدل على صحة الحال فاذا ابتلى الريد بذلك لا يأمّن نفسه أن تدخل عليه بطريق الركون إلى الخلق وربما يفتح عليه باب من الرفق وتدخل النفس عليه من طريق السير والدخول في الأسباب الممودة وتريه فيوجه للصحة والفضيلة في خدمة عباد الله وبذل الوجود ولا تزال النفس به واليطان حتى يجرأ إلى السكون إلى الأسباب واستجلاء

مع الاختلاط وكثرة الأموال للثوية في أيام الظلمة ومن أوجب ما يوجب السلف الصالح وزعم أنه تفضل من الشرع ما يتفقون له فهو موسوس مختل العقل ولوجاز أن يزداد عليهم في أمثال هذا لجاز مخالفتهم في مسائل لاستند فيها سوى افتقارهم كقولهم إن الجدة كالألم في التحريم وابن الإبن كالابن وشمس الخنزير وشحه كاللحم المذكور تحريمه في القرآن والربا جار فيما عدا الأشياء الستة وذلك محال فانهم أولى بفهم الشرع من غيرهم . وأما القياس فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم إذ القس يقبل على الناس ويتساهلون بسببه في شروط الشرع في العقود ويؤدى ذلك لاهماله إلى الاختلاط . فان قيل قد قلتم أنه صلى الله عليه وسلم امتنع من الضب وقال « أخشى أن يكون مما مسخه الله » وهو في اختلاط غير المصور ؟ قلنا يعمل ذلك على التزهد والورع أو نقول الضب شكل غريب ربما يدل على أنه من المسخ فهي دلالة في عين التناول . فإن قيل هذا معلوم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والنهب وغلول الفينة وغيرها ولكن كانت هي الأقل بالإضافة إلى الحلال فماذا نقول في زماننا وقد صار الحرام أكثر مما أيدى الناس لفساد المعاملات وإهمال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة ، فمن أخذ ملا لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهل هو حرام أم لا ؟ فأقول ليس ذلك حراما وإنما الورع تركه وهذا الورع أهم من الورع إذا كان قليلا . ولكن الجواب عن هذا أن قول القائل أكثر الأموال حرام في زماننا غلط محض ومنشؤه الغفلة عن الفرق بين الكثير والأكثر فأكثر الناس بل أكثر الفقهاء يظنون أن ما ليس بنادر فهو الأكثر ويتوهمون أنها قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الأقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير وأكثر . ومثاله أن الخنثى فيما بين الخلق نادر وإذا أضيف إليه المريض وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال الرض والسفر من الأعذار العامة والاستحاضة من الأعذار النادرة ، ومعلوم أن الرض ليس بنادر وليس بالأكثر أيضا بل هو كثير والفتية إذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عند عام أراد به أنه ليس بنادر فإن لم يرد هذا فهو غلط والصحيح والقيم هو الأكثر والسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر فإذا فهم هذا فنقول قول القائل الحرام أكثر باطل لأن مستند هذا القائل إما أن يكون كثرة الظلمة والجنديّة أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الأبدى التي تكررت من أول الاسلام إلى زماننا هذا على أصول الأموال الموجودة اليوم . أما المستند الأول فباطل فإن الظالم كثير وليس هو بالأكثر فانهم الجنديّة إذ لا يظلم إلا ذو غلبة وشوكة وهم إذا أضيفوا إلى كل العالم لم يبلغوا عشرة عشرهم فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة ألف مثلا فيملك قلبا يجمع ألف ألف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددها على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك الكل إذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بشئ من مملكتهم في المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة وكذا القول في السراق فإن البلدة الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل . وأما المستند الثاني وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي أيضا كثيرة وليست بالأكثر إذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعد هؤلاء أكثر والذي يتعامل بالربا أو غيره فلو عدت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد إلا أن يطلب الإنسان بوجهه في البلد مخصوصا بالهانة والحنث وقلة الدين حتى يتصور أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر ومثل ذلك الخصوص نادر وإن كان كثيرا فليس بالأكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخفى هو أيضا عن معاملات صحيحة تساوى الفاسدة أو تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تأمله وإنما غلب

قبول الخلق وربما قويا عليه فجاءه إلى التصنع والتصلع ويتبع الحرق على الرابع . وصحت أن بعض الصالحين قال لمريد له أنت الآن وصلت إلى مقام لا يدخل عليك الشيطان من طريق الشر ولكن يدخل عليك من طريق الخير وهذا مزلة عظيمة للأقدام فافقه تعالى يذكرك الصادق إذا ابتلى بشئ من ذلك وزججه بالعناية الساجدة واللوعة اللاحقة إلى السفر فيفارقه للعارف والوضع الذي فتح عليه هذا الباب فيه وشجده لله تعالى بالخروج إلى السفر وهذا من أحسن المقاصد في الأسفار للصادقين فهذه جملة المقاصد المطلوبة للشايع في بداياتهم ماعدا الحج والفرو وزيارة بيت المقدس ، وقد نقل

هذا على النفوس الفاسدة لاستكثار النفوس الفاسدة واستبعادها إياه واستعظامها له وإن كان نادرًا حتى ربما يظن أن الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتعجل أنهم الأكثرون وهو خطأ فاتهم الأولون وإن كان فيهم كثرة . وأما السنتد الثالث وهو أخيلها أن يقال الأموال إنما تحصل من المعادن والنبات والحيوان والنبات والحيوان حاصلان بالتوالد فإذا نظرنا إلى شاة مثلاً وهي تلد في كل سنة فيكون عدد أصولها إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريباً من خمسمائة ولا يغلوها هذا أن يتطرق إلى أصل من تلك الأصول غصب أو معاملة فاسدة فكيف يقدر أن تسلم أصولها عن تصرف باطل إلى زماننا هذا وكذا بدور المحبوب والفواكه تحتاج إلى خمسمائة أصل أو ألف أصل مثلاً إلى أول الشرع ولا يكون هذا حلالاً ما لم يكن أصله وأصل أصله كذلك إلى أول زمان النبوة حلالاً وأما المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الإبقاء وهي أقل الأموال وأكثر ما يستعمل منها الدرهم والدينار ولا يخرج إلا من دار الضرب وهي في أيدي الظلمة مثل المعادن في أيديهم يعمون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجهما بالأعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غصباً فإذا نظر إلى هذا علم أن بهاء دينار واحد بحيث لا يتطرق إليه عقد فاسد ولا ظلم وقت النبيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعد في معاملات الصرف والربا بعيد نادر أو محال فلا يبقى إذن حلال إلا الصيد والجمشيش في الصحارى والوات والمفاوز والحطب الباسح ثم من يحصله لا يقدر على أكله فيفتقر إلى أن يشتري به المحبوب والحيوانات التي لا تحصل إلا بالاستعانة والتوالد فيكون قد بذل حلالاً في مقابلة حرام فهذا هو أشد الطرق تحيلاً . والجواب أن هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن القبط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الأصل والغالب إذ الأصل في هذه الأموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجها عن الصلاحية فيضاهي هذا محل القولين للشافعي رضي الله عنه في حكم النجاسات والصحيح عندنا أنه تجوز الصلاة في الشوارع إذا لم يجد فيها نجاسة فإن طين الشوارع طاهر وأن الوضوء من أواني الشرابين جائز وأن الصلاة في المقابر المنبوذة جائزة فنثبت هذا أولاً ثم نقيس ما نحن فيه عليه ويدل على ذلك توضؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشرقة ، وتوضؤ عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية ، مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا ، فكيف تسلم أوانهم من أيديهم ، بل قولهم نعلم قطعاً أنهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم أن الغالب عليهم النجاسة والطهارة في تلك الثياب محال أو نادر ، بل قولهم نعلم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يفسلونه مع أنه يدايس بالقر والحيوانات وهي تبول عليه وتروث وقفاً يخلص منها ، وكانوا يركبون الدواب وهي تفرق وما كانوا يفسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة قد تزيلها الأمطار وقد لا تزيلها وما كان يحترزها ، وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة ، وكانوا لا يمشون في البول والعدرة ولا يجلسون عليها ويستترضون منه ، ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة السكاب وأبوالها وكثرة الدواب وأرواثها ، ولا ينبغي أن نظن أن الأصمار أو الأصمار تختلف في مثل هذا حتى يظن أن الشوارع كانت تقفل في عصرهم أو كانت تحرس من الدواب هيئات فذلك معلوم استحالة بالعادة قطعاً فدل على أنهم لم يحترزوا إلا من نجاسة مشاهدة أو علامة على النجاسة دالة على العين ، فأما الظن الغالب الذي يستتار من ردة الهرام إلى مجارى الأحوال فلم يمتدروا وهذا عند الشافعي رحمه الله وهو يرى أن الماء القليل ينجس من غير تغيير واقع .

أن ابن عمر خرج من المدينة قاصداً إلى بيت المقدس وصلى فيه الصلوات الخمس ثم أسرع راجعاً إلى المدينة من القدس . ثم إذا من الله على الصادق بإحكام أمور بدايته قلبه في الأسفار ومنعه الحظ من الاعتبار وأخذ نصيبه من العلم قدر حاجته واستفاد من مجاورة الصالحين وانتش في قلبه فوائد النظر إلى حال للتقوى وتطرباطه باستنشاق عرف معارف القرين وتحسن بحماية نظر أهل الله وخاصته وسير أحوال النفس وأسفر السفر عن دلائل أخلاقها وشهواتها الخفية وسقط عن باطنه نظر الخلق وصار يظلب ولا يظلب كما قال الله تعالى إخباراً عن موسى - ففرت منك لما خفك فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين - فند ذلك

إذ لم يزل الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضئون من الحياض وفيها المياه القليلة والأبدى المختلفة تسمى فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضؤ من جرة نصرانية ثبت جواز شربه والتحقيق حكم الحبل بحكم النجاسة . فان قيل لا يجوز قياس الحبل على النجاسة إذ كانوا يتوسعون في أمور الطهارات ويعتزلون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليها . قلنا إن أريد به أنهم صلوا مع النجاسة والصلاة معها معصية وهي عباد الدين فيسئ الظن بل يجب أن نتقدم فيهم أنهم احتزروا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وإنما تسامحوا حيث لم يجب وكان في محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الأمل والغالب فبان أن الغالب الذي لا يستند إلى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح وأما تورعهم في الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك ما لا بأس به بحافة ما به بأس لأن أمر الأموال بخوف والنفس تميل إليها إن لم تضبط عنها وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه . وقد حكى عن واحد منهم أنه احتز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض فالاعتراق في ذلك لا يندفع في الغرض الذي أجمعنا فيه على أن تجري في هذا السند على الجواب الذي قدمناه في السنتين السابقتين ولا تسل ما ذكروه من أن الأكثر هو الحرام لأن المال وإن كثرت أصوله فليس بواجب أن يكون في أصوله حرام بل الأموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم إلى أصول بعضها دون بعض وكما أن الذي يتبدأ غصبه اليوم هو الأقل بالإضافة إلى ما لا ينصب ولا يسرق فهكذا كل مال في كل عصر وفي كل أصل فالمضروب من مال الدنيا والمتناول في كل زمان بالسداد بالإضافة إلى غيره أقل ولنا ندرى أن هذا الفرع بعينه من أي القسمين فلان لم أن الغالب تحريره فانه كما يزبد المضروب بالتوالد يزيد غير المضروب بالتوالد فيكون فرع الأقل لا محالة في كل عصر وزمان أكثر بل الغالب أن الحبوب المضوية تنصب للأكل لا للذبح وكذا الحيوانات المنضوية أكثرها يؤكل ولا يقتى للتوالد فكيف يقال إن فروع الحرام أكثر ولم تزل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام ولتفهم السرتش من هذا طريق معرفة الأكثر فانه مزلة قدم وأكثر العلماء يظنون فيه فكيف العوام هذا في التولدات من الحيوانات والحبوب فأما للعادن فانهما مخرجة مسلبة يأخذها في بلاد الترك وغيرهما من شاء . ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم أو يأخذون الأقل لا محالة لأن الأكثر ومن حاز من السلاطين معدنا ظلمه بمنع الناس منه فأما ما يأخذ الأخذ منه فيأخذ من السلطان بأجرة والصحيح أنه يجوز الاستنابة في إثبات اليد على الباحات والاحتشجار عليها فالمستأجر على الاستقاء إذا حاز للماء دخل في ملك المستقي له واستحق الأجرة فكذلك النيل فإذا فرغا على هذا لم تحرم عين الذهب إلا أن يقدر ظلمه بقصان أجرة العمل وذلك قليل بالإضافة ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالما لبقاء الأجرة في ذمته وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون إليهم الذهب للبيوك أو النقد الرديء ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ماسلوه إليهم إلا شيئا قليلا يتركونه أجرة لهم على العمل وذلك جائز وإن فرض دنائير مضروبة من دنائير السلطان فهو بالإضافة إلى مال التجار مثل لا محالة . نعم السلطان يظلم أجراء دار الضرب بأن يأخذ منهم ضريبة لأنه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بحسنة السلطان فما يأخذ السلطان عوض من حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالإضافة إلى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لأهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منه من المائة واحد وهو عشر العشر فكيف يكون هو الأكثر فهذه أغاليط سبقت إلى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رقت دينهم حتى قبحوا الورع وسدوا بابه واستقبحوا تمييز من بين مال ومال وذلك عين البدع والضللال . فان قيل فلو قدر

رده الحق إلى مقامه
وبعده بجزيل إقامه
ويجعله إماما للمعتن به
يقتدى وعلم المؤمنين
به يهتدى . وأما الذي
أقام في بدايته وسافر
في نهايته يكون ذلك
شخصا يسر الله له في
بداية أمره محبة صحيحة
وقبض له شيئا عالما
يسلك به الطريق
ويدرجه إلى منازل
التحقيق فيلازم موضع
إرادته ويلتزم بصحة
من يرده عن عادته
وقد كان الشبل يقول
للحصرى في ابتداء
أمره إن خطر يالك
من الجمعة إلى الجمعة غير
الله فحرام عليك أن
تحضرن فمن رزق
مثل هذه الصحة
يحرم عليه السفر
فالصحة خير له من
كل سفر وفضيحة
يقصدها . أخبرنا رضي
الدين أبو الخير أحمد
ابن اسمعيل القزويني
إجازة قال أنا أبو
الظفر عبد النعم بن

غلبة الحرام. وقد اختلف غير محصور بغير محصور فإذا تقولون فيه إذا لم يكن في المعين للتناول علامة خاصة . فنقول الذى نراه أن تركه وبيع وأن أخذه ليس محرماً لأن الأصل الحلال ولا يرفع الإجماع متعينة كافي طين الشوارع ونظائرها بل أزيد . وأقول : لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقيناً أنه لم يبق في الدنيا لكانت أقول نستانف تمهيد الشروط من وقتنا ونفوق عماسلف ونقول ما جاوز حده انعكس إلى ضده فهما حرم الكل حل الكل ، وبرهانه أنه إذا وقعت هذه الواقعة فلا احتمالات خمسة : أحدها أن يقال يمنع الناس ألا كل حتى يموتوا من عند آخرهم . الثانى أن يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمق يزجون عليها أيما إلى اللوث . الثالث أن يقال يقتولون قدر الحاجة كيف شاءوا وسرقوا وغصبا وتراضياً من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة . الرابع أن يقتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعد من غير اقتصار على قدر الحاجة . الخامس أن يقتصروا مع شروط الشرع على قدر الحاجة أما الأول فلا يغنى بطلانه وأما الثانى فباطل قطعاً لأنه إذا اقتصر الناس على سد الرمق وزجوا أوقاتهم على الضعف فشا فيهم المواتن وطلت الأعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية وفى خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتها مصالح الدين وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقه والتراضى وكيفية اتفاق فهو رفع لسد الكرع بين القسدين وبين أنواع الفساد فتتمت الأيدي بالغصب والسرقه وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم منه إذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عافاته حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر الحاجة فقط فإن كان هو محتاجاً فإننا أيضاً محتاجون وإن كان الذى أخذته في حق زائداً على الحاجة قد قدرته من هوزائد على حاجته يومه وإذا لم يراع حاجة اليوم والسنة فما الذى يراعى وكيف يضبط وهذا يؤدى إلى بطلان سياسة الشرع وإغراء أهل الفساد بالفساد فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع وهو أن يقال كل ذى يد على ما فى يده وهو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقه وغصبا بل يؤخذ برضاه والتراضى هو طريق الشرع وإذا لم يجز إلا بالتراضى فللتراضى أيضاً مناج في الشرع تتعلق به الصالح فإن لم يعتبر فليعتبر أصل التراضى وتطلى تفصيله . وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأبدى فهو الذى نراه لا يتقاً بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لا وجه لا يجابه على الكفاية ولا لإدخاله في تنوى العامة لأن أيدى الظلمة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة في أيدى الناس وكذا أيدى السراق وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لاحق له إلا في قدر الحاجة وأنا محتاج ولا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدى الملاك ويستوعبها أهل الحاجة ويدير على السكل الأموال يومافوما أوسنة فسنة وفيه تكليف شطط وتضييع أموال . أما تكليف الشطط فهو أن السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الحلق بل لا يتصور ذلك أصلاً وأما التضييع فهو أن ما فضل عن الحاجة من الفواكه والحبوب والحبوب يبنى أن يلقى في البحر أو يترك حتى يتفنن فإن الذى خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفعهم فكيف على قدر حاجتهم ثم يؤدى ذلك إلى سقوط المحج والركاة والكفارات المالية وكل عبادة تطلب بالثمن عن الناس إذا أصبح الناس لا يملكون إلا قدر حاجتهم وهو في غاية القبح بل أقول لو ورد نبي في مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمور ويعد تفصيل أسباب الأملاك بالتراضى وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الأموال حلالاً من غير فرق وأعى يقولى يجب عليه إذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودينامهم إذ لا يتم الصلاح برد الكفاية إلى قدر الضرورة والحاجة إليه فإن لم يبعث للصالح لم يجب هذا ونحن نجوز أن يقدر الله سبباً يهلك به الخلق عن آخرهم فيقوت دينهم ويضلون في دينهم فإنه يضل من يشاء ويهدى من

عبد الكريم بن
هوازن القشيري عن
والده الأستاذ أبى
القاسم قال سمعت محمد
ابن عبد الله الصوفي
يقول سمعت عياش بن
أبى الصخر يقول يقول
أبا بكر الزقاق يقول
لا يكون المرید مريدا
حتى لا يكتب عليه
صاحب المال شيئاً
عشرين سنة فن رزق
صحة من يندبه إلى
مثل هذه الأحوال
السنية والعزائم القوية
يحرم عليه المفارقة
واختيار السفر ثم إذا
أحكم أمره في الابتداء
ب لزوم الصحة وحسن
الاعتناء وارتوى من
الأحوال وبلغ مبلغ
الرجال وانجس من
قلبه عيون ما الحياة
وصارت نفسه مكسبة
للمعادات يستنشق
نفس الرحمن من صدور
الصادقين من الإخوان
في أنظار الأرض
وشاسع البلدان يشرب
إلى التلاق وينبش

يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء ولكننا نقدر الأمر جاريا على ما ألف من سنة الله تعالى في بئنة الأنبياء لصالح الدين والدنيا وما لي أقدر هذا وقد كان ما أقدره فلقد بعث الله نبيا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من سبائة سنة والناس منقسمون إلى مكذبين له من اليهود وعبداء الأوثان وإلى مصدقين له قدشع القسق فيهم كاشع في زماننا الآن والكفار محاطون بغرور الشرعة والأموال كانت في أيدي السكذيين له وللمصدقين أما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام وأما المصدقون فكانوا يتساهلون مع أصل التصديق كما يتساهل الآن المسلمون مع أن العهد بالنبوة أقرب فكانت الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراما وعفا عليه السلام عما سلف ولم يتعرض له وخص أصحاب الأيدي بالأموال ومهدا الشرع وما ثبت تحرمة في شرع لا ينقلب حلالا ليعترضوا ولا ينقلب حلالا بأن يسلم الذي في يده الحرام فانا لا نأخذ من الجزية من أهل الذمة ما نعرفه بينه أنه ثمن خمر أو مال ربا فقد كانت أموالهم في ذلك الزمان كأموالنا الآن وأمر العرب كان أشد لعموم النهب والغارة فيهم فبان أن الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال الخامس هو طريق الورع بل تمام الورع الاقتصاد في الباع على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكلية وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نسلك في الفقه للنوط بمصالح الخلق ونحوى الظاهر له حكم وضاهج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين الذي لا يقدر على سلوكه إلا الأحاد ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدينية والصناعات الحسب لبطل النظام ثم يطل يطلائه الملك أيضا فليحترقوا فليأخذوا ينظمت الملك للملوك وكذلك المقلون على الدنيا سخرها ليسلم طريق الدين لنوى الدين وهو ملك الآخرة ولولاء المسلم لنوى الدين أيضا دأبهم فشرط سلامة الدين لهم أن يرضى الأكثرون عن طريقهم ويستغلوا بأموال الدنيا وذلك قسمة سبقت بها الشيعة الأزلية وإليه الإشارة بقوله تعالى - نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا - فان قيل لا حاجة إلى تقدير عموم التحريم حتى لا يقع حلال فان ذلك يرواقع وهو معلوم ولا شك في أن البعض حرام وذلك البعض هو الأقل أو الأكثر فيه نظر وما ذكرتموه من أنه الأقل بالإضافة إلى الكل جلى ولكن لا بد من دليل محصل على تجويزه ليس من المصالح الرسالة وما ذكرتموه من النقبات كلها صالح مرسله فلا بد لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فان بعض العلماء لا يقبل للمصالح الرسالة - فأقول إن سلم أن الحرام هو الأقل فيكفينا برهانا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصعابة مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب وإن قدر زمان يكون الأ أكثر هو الحرام فيعمل التناول أيضا فبرهانه ثلاثة أمور. الأول: التقسيم الذي حصرناه وأبطلنا منه أربعة أو ثمانية القسم الخامس فان ذلك إذا أجرى فيما إذا كان الكل حراما كان أخرى فيما إذا كان الحرام هو الأ أكثر والأقل وقول القائل هو مصلحة مرسله هوس فان ذلك إنما تخيل من تخيل في أمور مظنونة وهذا مقطوع به فانا لا نشك في أن مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس يظنون ولا شك في أن رذافة الناس إلى قدر الضرورة أو الحاجة أو إلى الحشيش والصيد غرر للدنيا أولا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا فما لا يشك فيه لا يحتاج إلى أصل يشهد له وإنما يستشهد على الخيالات المظنونة المتعلقة بأحاد الأشخاص . البرهان الثاني : أن يعلى بقياس محرر مردود إلى أصل يتفق الفقهاء الآنسون بالأقضية الجزئية عليه وإلا كانت الجزئيات مستحقة عند المصلين بالإضافة إلى مثل ما ذكرناه من الأمر السلكى الذى هو ضرورة النبي لو بحث في زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره لحرب العالم والقياس المحرر الجزئى هو أنه قد تناقض

إلى الطوائف في الآفاق يسيره الله تعالى في البلاد لقائدة العباد ويستخرج بمخاطبهم حاله خب: أهل الصدق وللتعلمين إلى من يخرج عن الحق وينذر في أراضى القلوب بنذر القلاح ويكثر بركة نفسه وصحبته أهل . الصلاح وهذا مثل هذه الأمة الهادية في الإنجيل كزراع أخرج شطاء فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه تعود بركة البعض على البعض وتسرى الأحوال من البعض إلى البعض ويكون طريق الوراثة معمورا . وعلم الإفادة منشورا . أخبرنا شيخنا قال أنا الإمام عبد الجبار البيهقي في كتابه قال أنا أبو بكر البيهقي قال أنا أبو يعلى الروذباري قال ثنا أبو بكر بن داسة قال ثنا أبو داود قال أنا يحيى بن أيوب قال ثنا إسماعيل بن

أصل وغالب فيما انقضب فيه العلامات المعنية من الأمور التي ليست محصورة فيحكم بالأصل لأبغالب قياسا على طين الشوارع وجرة التصارية وأواني الشرابين وذلك قد أثبتته من قبل بفعل الصحابة وقولنا انقطعت العلامات المعنية احتراز عن الأواني التي يتطرق الاجتهاد إليها وقولنا ليست محصورة احتراز عن التباس اللبنة والرضعة بالذكية والأجنبية . فان قيل كون الماء طهورا مستيقن وهو الأصل ومن سلم أن الأصل في الأموال الحل بل الأصل فيها التحريم . فنقول الأمور التي لا تحرم لصفة في عينها حرمة الحجر والخزير خلقت على صفة تستعد لقبول للعلامات بالتراضي كما خلق الماء مستعدا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منهما فلا فرق بين الأمرين فانها تخرج عن قبول العاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول نجاسة عليه ولا فرق بين الأمرين . والجواب الثاني أن اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب وأتوى منه بدليل أن الشرع أطلقه به إذ من ادعى عليه دين فاقول قوله لأن الأصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعى عليه ملك في يده فاقول أيضا قوله إقامة ليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد إنسان فالأصل أنه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة . البرهان الثالث : هو أن كل ما دل على جنس لا يخص ولا يدل على معين لم يعتبر وإن كان قطعا بأن لا يعتبر إذا دل بطريق الظن أولى وبأنه أن ما علم أنه ملك زيد فحقه من التصرف فيه بغير إذنه ولو علم أن له مالكا في العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصود لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم الصلحة ولو دل على أن له مالكا محصورا في عشرة مثلا أو عشرين امتنع التصرف فيه بحكم الصلحة فالذي يشك في أن له مالكا سوى صاحب اليد لم لا يزيد على الذي يتيقن قطعا أن له مالكا ولكن لا يعرف عنه فليجوز التصرف فيه بالصلحة والصلحة ما ذكرناه في الأقسام الخمسة فيكون هذا الأصل شاهدا له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مالكة بصرفه السلطان إلى الصالح ومن الصالح الفقراء وغيرهم فهو صرف إلى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه فهو سرقه منه سارق قطعت يده فكيف قد تصرفه في ملك الغير ليس ذلك إلا لحكمنا بأن الصلحة تقتضي أن ينتقل الملك إليه وعلى له قضينا وجوب الصلحة . فان قيل ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان . فنقول والسلطان لم يجوز له التصرف في ملك غيره بغير إذنه لاسبابه إلا الصلحة وهو أنه لو ترك لصاحبه فهو مردد بين تضييعه وصرفه إلى مهم والصرف إلى مهم أصلح من التضييع فرجع عليه والصلحة فيها يشك فيه ولا يعلم تحريمه أن يحكم فيه بدلالة اليد ويترك على أرباب الأيدي إذا تزاعوا بالشك وتكليفهم الاقتصاد على الحاجة يؤدي إلى الضرر الذي ذكرناه وجهات الصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى أن الصلحة أن يبقى بذلك المال قطرة وتارة أن يصرفه إلى جند الإسلام وتارة إلى الفقراء ويدور مع الصلحة كيفما ذارت وكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على الصلحة وقد خرج من هذا أن الحلق غير مأخوذ في أعيان الأموال بظنون لا تستند إلى خصوص دلالة في ملك الأعيان كالم يؤخذ السلطان والفقراء الأخذون منه بصلهم أن المال له مالك حيث يتعلق العلم بعين مالك مضاف إليه ولا فرق بين عين المال وبين عين الأملاك في هذا المعنى فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق إلا النظر في امتزاج المالعات والدرهم والعروض في يد مالك واحد وسيأتي بيانه في باب تفصيل طريق الخروج من الظالم .

(الثار الثالث للشبهة أن يتصل بالسبب المحلل معصية)

إما في قرآنه وإما في لواحقه وإما في سوانحه أو في عونه وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد العقد وإبطال السبب المحلل . مثال المعصية في القرآن : البيع في وقت النداء يوم الجمعة والبيع بالكين

جعفر قال أخبرني العلامة ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سئل قال « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا » فأما من أقام ولم يسافر يكون ذلك شخصارياه الحق سبحانه وتعالى وتولا وفتح عليه أبواب الخير وجذبه بساتينه . وقد ورد جذبه من جذبات الحق توازي عمل الثقلين ثم لما علم منه الصدق ورأى حاجته إلى من ينفع به ساق إليه بعض الصديقين حتى أيدته بلطفه ولطفه وتدارك بخلطه ولطفه بقوة خاله وكفاه يسير الصعبة لكمال

للمصوبة والاحتطاب بالقدوم للتصوب والبيع على بيع الغير والسوم على سومه فكل نهى ورد في العقود ولم يدل على فساد العقدان الامتناع من جميع ذلك ورع وإن لم يكن المستفاد بهذه الأساليب محكوماً بتحريره وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسميح لأن الشبهة في غاب الأمر تطلق لإرادة الاشتباه والجهل والاشتباه هنا بل الصيان بالبيع بكون الغير معلوم وجل الدية أيضاً معلوم ولكن قد تشقق الشبهة من المشابهة وتناول المحاصل من هذه الأمور مكروه والكراهة تشبه التحريم فإن أريد بالشبهة هذا قسمية هذا شبهة له وجه وإلا فينبئ أن يسمى هذا كراهة لاشبهة وإذا عرف اللغوي فلا مشاحة في الأسامي فإضافة الفقهاء التسميح في الاطلاقات. ثم أعلم أن هذه الكراهة لها ثلاث درجات : الأولى منها تقرب من الحرام والورع عنه مهم والأخيرة تنهى إلى نوع من البالغة تكاد تلتحق بورع اللوسوسين وبينهما أوساط نازعة إلى الطرفين فالكراهة في صيد كلب منصوب أحد منها في الدية بكون منصوب أو للقتنى بسم منصوب إذ الكلب له اختيار وقد اختلف في أن المحاصل به لما لك الكلب أو للصيد وبليه شبهة البذر والزرع في الأرض للمصوبة فإن الزرع لما لك البذر ولكن فيه شبهة ولو أنبتنا حق الحبس لما لك الأرض في الزرع لكان كالفن الحرام ولكن الأقيس أن لا يثبت حق حبس كما لو طحن بطاحونة منصوبة واتص بشبكة منصوبة إذ لا يتصلق حق صاحب الشبكة في منعها بالصيد وبليه الاحتطاب بالقدوم للتصوب ثم ذمه ملك نفسه بالسكين للتصوب إذ لم يذهب أحد إلى تحريم الدية وبليه البيع في وقت النداء فإنه ضعيف التعلق بمقصود العقد وإن ذهب قوم إلى فساد العقد إذ ليس فيه إلا أنه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو أقصد البيع بمثله لأقصد بيع كل من عليه درهم زكاة أو صلاة فاتته وجوبها على الفور أو في ذمته مظلة دائق فإن الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجحمة إلا الوجوب بعد النداء وينجر ذلك إلى أن لا يصح نكاح أولاد الظلة وكل من في ذمته درهم لأنه اشتغل بقوله عن الفصل الواجب عليه إلا من حيث ورد في يوم الجمعة نهى على المحصوص ربما سبق إلى الأفهام خصوصية فيه فتكون الكراهة أشد ولا بأس بالخبر منه ولكن قد ينجر إلى الوسواس حتى يشرح عن نكاح بنات أرباب الظالم وسائر ممالاتهم . وقد حكى عن بعضهم أنه اشترى شيئاً من رجل فسمع أنه اشتراه يوم الجمعة فردّه خيفة أن يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية البالغة أنه رد بالشك ومثل هذا الوهم في تقدير الناهي أو القصدات لا يتطوع عن يوم السبت وسائر الأيام والورع حسن والبالغة فيه أحسن ولكن إلى حد معلوم فقد قال عليه السلام « هلك المتطعون ^(١) » فليحذر من أمثال هذه البالغات فإن كانت لا تضر صاحبها ربما أومع عند الغير أن مثل ذلك مهم ثم يعجز عما هو أيسر منه فيترك أصل الورع وهو مستند أكثر الناس في زماننا هذا إذ ضيق عليهم الطريق فأبوا عن القيام به فاطرحوه فكأن الوسوس في الطهارة قد يسجز عن الطهارة فيتركها فكذا بعض اللوسوسين في الحلال سبق إلى أوهامهم أن مال الدنيا كله حرام فوسموا فتركوا التمييز وهو عين الضلال . وأما مثال الواوحي : فهو كل تصرف يفضي في سياقه إلى معصية وأعلاه بيع الغنم من الحمار وبيع الغنم من الماعز بالجور بالقلان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الفن المأخوذ منه والأقيس أن ذلك صحيح والمأخوذ حلال والرجل حاص بمقتضى ما يعنى بالبيع بالسكين للتصوب والدية حلال ولكنه يعنى عصيان الامانة على المعصية إذ لا يتصلق ذلك بين العقد بالمأخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركهم من الورع المهم وليس بحرام وبليه في الرتبة بيع الغنم عن شرب الخمر ولم يكن خماراً وبيع السيف عن يزور وبظلم أيضاً

(١) حديث هلك المتطعون مسلم من حديث ابن مسعود وتقدم في قواعد العقائد .

الأهلية في صاحب
وللتصوب وإجراء
سنة الله تعالى في إعطاء
الأسباب حقها الإقامة
رسم الحكمة بحوج
إلى سير المعصية فيتنبه
بالقليل للكثير وينبه
اليسير من المعصية عن
الخطأ الكبير ويكتفي
بواقر حظ الاستبصار
عن الأسفار ويتعوض
بأشعة الأنوار عن
مطالعة الغير والآثار
كما قال بعضهم الناس
يقولون افتحوا
أعينكم وأبصروا وأنا
أقول غمضوا أعينكم
وأبصروا . وصمت
بعض الصالحين يقول
فإن عباد طور سيناء
ركبهم تكون رؤوسهم
على ركبهم وهم
في عهد القرب فمن
ينبع له معصية
الحياة في ظلة خلوته
فإذا صنع بدخوله
الظلمات ومن اندرج
له أطباق السموات
في طي شيوهه ما
يصنع يتقلب طرفه في

لأن الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خفية أن يشتريه ظاهراً فهذا ورع فوق الأول والكرهية فيه أخف وبليه ما هو مبالغة ويكاد يتحقق بالوسواس وهو قول جماعة أنه لا يجوز معاملة الفلاحين بالآلات الحثرت لأنهم يستعينون بها على الحرثة ويبعون الطعام من الظلة ولا يبيع منهم البقر والغدان والآلات الحثرت وهذا ورع الوسوسة إذ ينجر إلى أن لا يبيع من الفلاح طعام لأنه يتقوى به على الحرثة ولا يسقى من الماء العام لذلك وينتهي هذا إلى حد التنطع للنهي عنه وكل متوجه إلى شيء على قصد خير لا بد وأن يسرف إن لم يذمه العلم المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين ليسترض الناس بعده بها وهو يظن أنه مشغول بالخير ولهذا قال **عليه السلام** «فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي» (١) والتنتطعون هم الذين يخشى عليهم أن يكونوا ممن قيل فيهم - الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وبالجملة لا ينبغي للإنسان أن يشتغل بدقائق الورع إلا بحضرة عالم متقن فإنه إذ جاوز ما رسم له وتصرف بذنه من غير سماع كان ما يفعله أكثر مما يصلحه وقد روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه أحرق كرمه خوفاً من أن يباع العنب ممن يتخذة خمرًا وهذا لا أعرف له وجهاً إن لم يعرف هو سبباً خاصاً يوجب الإحراق إذ ما أحرق كرمه ونخله من كان أرفع قدرا منه من الصحابة ولوجاز هذا لجواز قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب إلى غير ذلك من الإلتفات . وأما للقدماء : فلتنطرق للمصيبة إليها ثلاث درجات . الدرجة العليا التي تمتد الكراهية فيها : ما بقي أثره في التناول كالأكل من شاة علفت بلفظ منصوب أو رعت في مرعى حرام فإن ذلك معصية وقد كان سبباً لبئها وربما يكون الباقي من دمه ولحمها وأجزاءها من ذلك اللفظ وهذا الورع مهم وإن لم يكن واجباً ونقل ذلك عن جماعة من السلف وكان لأبي عبد الله الطوسي التروغ عند شاة يحملها على رقبتها كل يوم إلى الصحراء ويرعاها وهو يصلي وكان يأكل من لبنها ففضل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل أخذها . فإن قيل فقد روى عن عبد الله بن عمر وعبد الله أنهما اشتريا إبلا فبشاهما إلى الحمى فرعته إلهما حتى صمنت فقال عمر رضي الله عنه أرعيتاهما في الحمى فقالا نعم فطاهرهما فهذا يدل على أنه رأى اللحم الحاصل من اللفظ لصاحب اللفظ فليوجب هذا تحريماً . قلنا ليس كذلك فإن اللفظ يفسد بالأكلا واللحم خلق جديد وليس عين اللفظ فلا شر كذا صاحب اللفظ شرعاً ولكن عمر غرهما قيمة الكلا ورأى ذلك مثل شطر الإبل فأخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن أبي وقاص ماله لما أن قدم من الكوفة وكذلك شاطر أباهريرة رضي الله عنه إذ رأى أن كل ذلك لا يستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافياً على حق علمهم وقدره بالشطر اجتهاداً . الرتبة الوسطى : ما نقل عن بشر بن الحثرت من امتناعه عن الماء الساقي في نهر احترقه الظلة لأن النهر موصل إليه وقد عصى الله بحفره وامتنع آخر عن عنب كرم يسقي بهما يجري في نهر حفر ظلاً وهو أرفع منه وأبلغ في الورع وامتنع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق وأعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال أوصل إليه على يد سجان وقوله إنه جاء على يد ظالم ودرجات هذه الرتبة لا تنحصر . الرتبة الثالثة : وهي قريب من الوسواس والمبالغة أن يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنا أو القذف وليس هو كالوعى بأكل الحرام فإن الموصل قوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحل بل الامتناع من أخذ حلال وصل على يد كافر وسواس بخلاف أكل الحرام إذ الكفر لا يتعلق بعمل الطعام وينجر هذا إلى أن لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بقضية أو كذبة وهو غاية التنطع والإسراف فليضبط ما عرف من ورع ذي النون وبشر بالحصية في السبب

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي تقدم في العلم .

السموات ومن جمعت أحقاداً بصبرته متفرقات الكائنات ماذا يستفيد من طي القلوات ومن خلص بخافية فطرته إلى مجمع الأرواح ماذا تفيده زيادة الأشباح . قيل أرسل ذو النون للصري إلى أبي يزيد رجلاً وقال قل له إلى متى هذا النوم والراحة وقد صارت القافلة فقال للرسول قل لأخي الرجل من بنام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة فقال ذو النون هنيئاً له هذا كلام لا يبلغه أحواننا . وكان بشر يقول يابعض القراء سبوا فطيطوا فان الماء إذا كثر بكته في موضع تغبر وقيل قال بعضهم عند هذا الكلام صر محراً حتى لا تغبر فإذا آدم الفريد سير الباطن يقطع مسافة النفس الأمارة بالسوء حتى قطع منازل آفاتنا

للموصل كالشر وقوة اليد المستفادة بالغذاء الحرام ولو امتنع عن الشرب بالكوز لأن صانع الفخار الذي عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب إنسان أو شتمه لكان هذا وسواسا ولو امتنع من لحم شاة سافها آكل حرام فهذا أبعد من يد السجان لأن الطعام يسوقه قوة السجان والشاة تسمى بنفسها والماتق يمنع عن العدول في الطريق فقط فهذا تقرب من الوسواس فانظر كيف تدرجنا في بيان ما تدعى إليه هذه الأمور . وإعلم أن كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فإن فتوى الفقيه تخص بالدرجة الأولى التي يمكن تكليف عامة الخلق بها ولو اجتمعوا عليه لم يخرج العالم دون ما عده من ورع التقيين والصالحين والفتوى في هذا ما قاله رحمته الله لو اصبه إذ قال « استغفرت قلبك وإن أقنوك وأقنوك وأتقنوك » وعرف ذلك إذ قال « الإثم حراز القلوب ^(١) » وكل ما حاك في صدر الرديمن هذه الأسباب فلو أقدم عليه مع حرازة القلب استغربه وأظم قلبه بقدر الحرازة التي يجدها بل لو أقدم على حرام في علم الله وهو يظن أنه حلال لم يؤثر ذلك في قساوة قلبه ولو أقدم على ما هو حلال في فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حرازة في قلبه كذلك يضربه وإعنا الذي ذكرناه في التهي عن البالغة أردنا به أن القلب الصافي المعتدل هو الذي لا يجد حرازة في مثل تلك الأمور فإن مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحرازة فأقدم مع ما يجد في قلبه فذلك يضربه لأنه مأخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه وكذلك يشدد على الوسوس في الطهارة ونية الصلاة فإنه إذا غلب على قلبه أن الماء لم يصل إلى جميع أجزائه بثلاث مرات لثلبة الوسوسة فيجب عليه أن يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما في حقه وإن كان مخطئا في نفسه أولئك قوم شددوا فتدأق عليهم ولذلك شدد على قوم موسى عليه السلام لما استقموا في السؤال عن البقرة ولو أخذوا أولا بصوموم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم لأجزأهم ذلك فلا تغفل عن هذه الدقائق التي رددناها نفيًا وإثباتًا فإن من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامع يوشك أن يزل في درك مقاصده . وأما للعصية في العوض فله أيضا درجات . الدرجة العليا : التي تستند الكراهة فيها أن يشتري شيئا في الذمة ويقضى عنه من غصب أو مال حرام فينظر فإن سلم إليه البائع الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلبه فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالإجماع أعني قبل قضاء الثمن ولا هو أيضا من الورع المؤكد فإن قضى الثمن بعد الأكل من الحرام فكأنه لم يقض الثمن ولو لم يقضه أصلا لكان متقلدا للمظلة بترك ذمته مرتبة بالدين ولا يتقلب ذلك حراما فإن قضى الثمن من الحرام وأبرأه البائع مع العلم بأنه حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه إلا المظلة تصرفه في الدرهم الحرام بصرفها إلى البائع وإن أبرأه على ظن أن الثمن حلال فلا تحصل البراءة لأنه يبرئه مما أخذه إبراء استيفاء ولا يصلح ذلك للإبراء هذا حكم المشتري والأكل منه وحكم الذمة وإن لم يسلم إليه بطيب قلب ولكن أخذه فأكله حرام سواء أكله قبل توفية الثمن من الحرام أو بعده لأن الذي تومي الفتوى به ثبوت حق الحبس للبائع حتى يعين مملكه بإقباض النقد كالتامين ملك المشتري وإعنا يطلع حق حبسه إما بالإبراء أو الاستيفاء ولم يجرش منهما ولكنه أكل ملك نفسه وهو عاصي به عصيان الراهن للطعام إذا أكله بغير إذن المرتهن وبينه وبين كل طعام الغير فرق ولكن أصل التحريم شامل لهذا كله إذا قبض قبل توفية الثمن إما بطيبة قلب البائع أو من غير طيبة قلبه فأما إذا وفي الثمن الحرام أولا ثم قبض فإن كان البائع عالما بأن الثمن حرام ومع هذا أبض للبيع بطل حق حبسه وبقي له الثمن في ذمته إذا أخذه ليس بضمن ولا يصير أكل البيع حراما بسبب بقاء الثمن فأما إذا لم يعلم أنه حرام وكان يبحث لوعلم لما رضى به ولا قبض البيع فحق حبسه لا يطلع بهذا التلبس فأكله حرام تحريرا كالهرون إلى أن يبرئه أو يوفي من حلال

(١) حديث الإثم حراز القلوب تقدم في العلم .

وبدل أخلاقتها
للذمومة بالمعمودة
وعائق الإقبال على
الله تعالى بالمصدق
والإخلاص اجتمع له
التفرقات واستفاد في
حضره أكثر من سفره
لكون السفر لا يغلو
من متاعب وكلف
ومشوشات وطوارق
ونوازل يتجدد الضعف
عن سياستها بالعلم
للضعفاء ولا يقدر على
تسليط العلم على
متجددات السفر
وطوارقه إلا الأقوياء
قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه للذي
ركب عنده رجلا : هل
صحبته في السفر الذي
يستدل به على مكلم
الأخلاق قال لا قال
ما أراك تعرفه فإذا
حفظ الله عبده في بداية
أمره من تنويع
السفر ومتمتع بجمع الملم
وحسن الإقبال في
الحضر وساق إليه من
الرجال من اكتسب
به صلاح الحال قد

أوبرضى هو بالحرام ويرى فيصح إبراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الأولى من الحل والحرمه فأما الامتناع عنه فمن الورع اللهم لأن المصية إذا تمسكت من السبب الموصل إلى الشيء تشدد الكراهة فيه كالسبق وأقوى الأسباب للوصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضى البائع بتسليمه إليه فراضه لا يخرج عن كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة لا تخرم به وتزول به درجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان مثلاً أو أرضاً في الذمة وقبضه برضا البائع قبل توفية الثمن وسله إلى قفيه أو غيره صلة أو خلمة وهو شاك في أنه سيقتضى ثمنه من الحلال أو الحرام فهذا أخلف إذ وقع الشك في تطرق المصية إلى الثمن وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقتله في مال ذلك السلطان وما يغلب على الظن فيه وبضه أشد من بعض الرجوع فيه إلى ما يفتقد في القلب . الرتبة الوسطى : أن لا يكون العوض غصبا ولا حراما ولكن تبيها لمصية كالسوم عوضا عن الثمن عينا والأخذ شارب الحر أو سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريرا في مبيع اشتراه في الذمة ولكن يقتضى فيه كراهية دون الكراهية التي في العصب وتفاوت درجات هذه الرتبة أيضا بتفاوت غلبة المصية على قابض الثمن وتدوره ومهما كان الموضع حراما فبذله حرام وإن احتمل تحريره ولكن أيسر بظن فبذله مكروه وعليه يؤخذ عندى النبي عن كسب الحمام وكراهته ^(١) إذ نهى عنه عليه السلام مرات ثم أمر بأن يعلف الناضح ^(٢) وما سبق إلى الوهم من أن سببه مباشرة التجاسة والتقدير فاسد إذ يجب طرده في الدباغ والكناس ولا قتله به وإن قتل به فلا يمكن طرده في القصاب إذ كيف يكون كسبه مكروها وهو يدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه وخامرة القصاب التجاسة أكثر منه للحمام والقصاب فإن الحمام يأخذ اللحم بالمججمة ويسمحه بالقطة ولكن السبب أن في الحمامة والقصد تخريب بنية الحيوان وإخراجا لدمه وبه قوام حياته والأصل فيه التحريم وإما يحمل بضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بحسب واجتهاد وربما يظن نافعا ويكون ضارا فيكون حراما عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحسب ولذلك لا يجوز للقصاد فصد صبي وعبد ومعتوه إلا بإذن وليه وقول طبيب ولولا أنه حلال في الظاهر لما أعطى عليه السلام أجرة الحمام ^(٣) ولولا أنه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين إعطائه ونهيه إلا باستنباط هذا المعنى وهذا كان ينبغي أن نذكره في القرائن والقرونة بالسبب فإنه أقرب إليه . الرتبة السفلى : وهي درجة الوسوسين وذلك أن يحمل إنسان على أن لا يلبس من غزل أمه فياغزها واشترى به ثوبا فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة وروى عن القيرة أنه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بأن النبي ^(ص) قال «لن الله اليهود حرمت عليهم الخمر فباعوها وأكلوا أثمانها» ^(٤) وهذا غلط

أحسن إليه . قيل في تفسير قوله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - هو الرجل للشطع إلى الله يشكل عليه شيء من أمر الدين فيمت الله إليه من يعل إشكاله فإذا ثبت قدمه على شروط البداية رزق وهو في القام من غير سفر ثمزات النهاية فيستقر في الحضراته وابتداه وأقيم في هذا القام جمع من الصالحين وأما الذي أدام السفر فرأى صلاح قلبه وصحة حاله في ذلك يقول بعضهم اجتهد أن تكون كل ليلة ضيف مسجدا ولا تؤت إلا بين منزلين . وكان من هذه الطبقة إبراهيم الخواص ما كان يقيم في بلد أكثر من أربعين يوما وكان يرى إن أقام أكثر من أربعين يوما يفسد عليه توكله فكان علم الناس

(١) حديث النبي عن كسب الحمام وكراهته ابن ماجه من حديث أبي مسعود الأنصاري والنسائي من حديث أبي هريرة بإسنادين صحيحين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحمام والبخاري من حديث أبي جعيفة نهي عن غن الدماء وسلم من حديث رافع بن خديج كسب الحمام خيب (٢) حديث نهي عنه مرات ثم أمر بأن يعلف الناضح أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث محبة أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في إجارة الحمام فنهاه عنها فززل يسأل ويستأذن حتى قال أعلفه ناضحا وأطعمه رقيقا وفي رواية لأحمد أنه زجره عن كسبه فقال ألا أطعمه أيتاما لي قال لا قال أفلا أتصدق به قال لا فرخص له أن يعلفه ناضحه (٣) حديث أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرة الحمام متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث القيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن اليهود إذ حرمت عليهم الخمر فباعوها لم أجده هكذا والعرف أن ذلك في النجوم فني الصحيحين من حديث جابر قاتل الله اليهود إن الله لما حرمت عليهم شعورها جملة ثم باعوها فأكلوا ثمنها .

لأن بيع الخمر باطل إذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع وثمن البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا أن يملك الرجل جارية هي أخته من الرضاع فتباع بجارية أجنبية فليس لأحد أن يتورع منه ونشبه ذلك ببيع الخمر غاية السرف في هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها وإن كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر في ثلاث أو أربع ولا في عدد ولكن المقصود من التعديد التفرسب والتفهم . فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم «من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه»^(١) ثم أدخل ابن عمر أصبعيه في أذنيه وقال صمتا إن لم أكن سمته منه . قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لاقى الذمة وإذا اشترى في الذمة فقد حكنا بالتحريم في أكثر الصور فليجعل عليها ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة لمصيبة تطرقت إلى سببه وإن لم يدل ذلك على فساد العقد كالشترى في وقت النداء وغيره .

(المثار الرابع الاختلاف في الأدلة)

فان ذلك كالاختلاف في السبب لأن السبب سبب لحكم الحل والحرمة والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة التفسير فلا فائدة لثبوته في نفسه وإن جرى سببه في علم الله وهو إما أن يكون لتعارض أدلة الشرع أو لتعارض الصلوات الدالة أو لتعارض التشابه . القسم الأول : أن تعارض أدلة الشرع مثل تعارض عموميين من القرآن أو السنة أو تعارض قياسين أو تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه إلى الاستصحاب أو الأصل المعلوم قبله إن لم يكن ترجيح فإن ظهر ترجيح في جانب الحذر وجب الأخذ به وإن ظهر في جانب الحل جاز الأخذ به ولكن الورع تركه وانقضاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق المتيقن والمقلد وإن كان المقلد يجوز له أن يأخذ بما أفتى له مقلده الذي يظن أنه أفضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف أفضل أطباء البلد بالتسامع والقرائن وإن كان لا يحسن الطب وليس للمستفتي أن يتقدم من المذهب أو سمعها عليه بل عليه أن يبحث حتى يصلب على ظنه الأفضل ثم يتبعه فلا يخالفه أصلا ، نعم إن أفتى له بإمامة شيء وإمامة فيه مخالفت فالفرار من الخلاف إلى الإجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد إذا تعارضت عنده الأدلة ورجح جانب الحل بحسب وتضمن وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان الفتنون يفتون بجعل أشياء لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها فلنقسم هذا أيضا على ثلاث مراتب . الرتبة الأولى : ما يتأكد الاستحباب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الآخر عليه فنال المهمات التورع عن فريسة الكلب للملم إذا أكل منها وإن أفتى الملق بأنه حلال لأن الترجيح فيه غامض وقد اخترنا أن ذلك حرام وهو أقيس قولي الشافعي رحمه الله ومهما وجد للشافعي قول جديد موافق للمذهب أبي حنيفة رحمه الله أو غيره من الأئمة كان الورع فيه مهما وإن أفتى الملق بالقول الآخر ومن ذلك الورع عن متروكة التسمية وإن لم يختلف فيه قول الشافعي رحمه الله لأن الآية ظاهرة في إعجابها والأخبار متواترة فيه فانه صل الله عليه وسلم قال لكل من سأله عن الصيد «إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل»^(٢) ونقل ذلك على التكرار وقد شجر الشيخ بالمسئلة^(٣) وكل ذلك بقوى دليل الاشتراط

(١) حديث من اشترى ثوبا بعشرة دراهم الحديث تقدم في الباب قبله (٢) حديثه إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل متفق عليه من حديث عدى بن حاتم ومن حديث أبي ثعلبة الخفني (٣) حديث التسمية على الذبح متفق عليه من حديث رافع بن خديج ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر .

ومعهم إياه يراه سببا ومعلوما . وحكى عنه أنه قال مكنت في البادية أحد عشر يوما لم أكل وتطلعت نفسي أن أكل من حشيش البر فראيت الحذر مقبلا نحوى فهربت منه ثم التفت فإذا هو رجعت عنى فقيل لم هربت منه قال تشرفت نفسي أن يغيبني فهو لاء القرارون يدينهم . أخبرنا أبو زرعة طاهر ابن الحافظ أبي الفضل المقدسي عن أبيه قال أنا أبو بكر أحمد بن علي قال أنا أبو عبد الله بن يوسف بن نامية قال ثنا أبو محمد الزهري القاضي قال ثنا محمد بن عبد الله بن أسباط قال ثنا أبو نعيم قال ثنا محمود بن يحيى ابن مسلم عن عثمان ابن عبد الله بن أوس عن سليمان بن هرمز عن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أحب شيء إلى الله العزباء»

ولكن لما سمع قوله صلى الله عليه وسلم «لاؤمن يذبح على اسم الله تعالى مى ولم يسم^(١)» واحتمل أن يكون هذا عاما موجبا لصرف الآية وسائر الأخبار عن ظواهرها ويحتمل أن يخص هذا بالناس ويترك الظواهر ولا تأويل وكان حمله على الناس ممكنا تمهيدا لعنقه في ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتأويل الآية ممكنا إمكانا أقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال للقابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقع في الدرجة الأولى . الثانية : وهي مزاحمة لدرجة الوسواس أن يتورع الانسان عن أكل الجنين الذي يصادف في بطن الحيوان المذبوح وعن الضب وقد صح في الصحاح من الأخبار حديث الجنين إن ذكاته ذكاة أمه^(٢) صحة لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا نصف إلى سننه وكذلك صح أنه أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) وقد هل ذلك في الصحيحين وأظن أن أباحيفه لم يبلغه هذه الأحاديث ولو بلغته لقال بها إن أنصف وإن لم ينصف نصف فيه كان خلافه غلطا لا يمتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد . الرتبة الثالثة : أن لا يشتهر في المسئلة خلاف أصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فأنا أتورع فان الثقة وإن كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم والكذب لغرض خفي جائز عليهم لأن العدل أيضا قد يكذب والوهم جائز عليه فانه قد يسبق إلى سمعهم خلاف ما يقوله القائل وكذا إلى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعون من عدل تسكن توسمهم إليه وأما إذا تطرقت شبهة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الزاوى فللتوقف وجه ظاهر وإن كان عدلا . وخلاف من خالف في أخبار الآحاد غير ممتد به وهو تكلاف النظام في أصل الإجماع وقوله إنه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع أن يتمتع الانسان من أن يأخذ ميراث الجد أبى الأب ويقول ليس في كتاب الله ذكر إلا للبين والحاق ابن الابن بالابن بإجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز إذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى إلى أن يترك ما علم بمومات القرآن إذ من التكمين من ذهب إلى أن العمومات لاصفة لها وإنما يحتاج بها فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس فاذن لا طرف من أطراف الشبهات إلا وفيها غلو وإسراف فليفهم ذلك ومهما أشكل أمر من هذه الأمور فليستفت في القلب وليدع الورع ما يريه إلى ما لا يريه وليترك حزاز القلوب وحكاكات الصدور وذلك يختلف

(١) حديث المؤمن يذبح على اسم الله مى أو لم يسم قال الصنف إنه صح . قلت لا يعرف بهذا اللفظ فضلا عن صحته ولأبي داود في الرسائل من رواية الصلت مرفوعا ذبيحة للسلم خلال ذكر اسم الله أو لم يذكر وللطبراني في الأوسط والدارقطني وابن عدى والبيهقي من حديث أبي هريرة قال رجل يارسل الله الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله فقال اسم الله على كل مسلم قال ابن عدى منكر والدارقطني والبيهقي من حديث ابن عباس للسلم يكفيه اسمه فإن نسي أن يسمى حين يذبح فليسم . ولذا ذكر اسم الله ثم لا يأكل فيه محمد بن سنان ضعفه الجمهور (٢) حديث ذكاة الجنين ذكاة أمه قال الصنف إنه صح لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا نصف إلى سننه وأخذ هذا من إمام الحرمين فانه كذا قال في الأساليب والحديث رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الاسناد وليس كذلك وللطبراني في الصغير من حديث ابن عمر بسند جيد وقال عبد الحق لا يحتاج بأسايندها كلها (٣) حديث أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله الصنف هو في الصحيحين وهو كما ذكره من حديث ابن عمر وابن عباس وخالد بن الوليد .

قبل ومن الغريب ! قال القسراون بذهنهم يجمعون إلى عيسى ابن مريم يوم القيامة وهذه كلها أحوال اختلفت واتبع أربابها الصحة وحسن النية مع الله وحسن النية يقتضى الصدق والصدق لعينه محمود كيف تقلبت الأحوال فمن سافر ينبغي أن يتفقد حاله ويصح نيتة ولا يقدر على تخليص النية من شوائب النفس إلا كثير العلم تام التقوى وافر الحظ من الزهد في الدنيا ومن انطوى على هوى كامن ولم يستقم في الزهد لا يقدر على تصحيح النية قد يدعوه إلى السفر نشاط جبلى قسائى وهو يظن أن ذلك داعية الحق ولا يميز بين داعية الحق وداعية النفس ويحتاج الشخص في علم صحة النية إلى العلم

بالأشخاص والوقائع ولكن ينبغي أن يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم إلا بالحق فلا ينطوي على حزاظة في مظان الوسواس ولا يغلو عن الحزاظة في مظان الكرامة وما أعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد عليه السلام كل أحد إلى قوى القلب وإنما قال ذلك لوابسة لما كان قد عرف من حاله (١) . القسم الثاني : تعارض العلامات الدالة على الحل والحزمة فانه قد ينبى نوع من التنازع في وقت ويندر وقوع مثله من غير التنبى فربى مثلاً في يد رجل من أهل الصلاح فيدل صلاحه على أنه حلال ويدل نوع التنازع وندوره من غير التنبى على أنه حرام فيتعارض الأمران وكذلك يخبر عدل أنه حرام وآخر أنه حلال أو تعارض شهادة فاسقين أو قول صبي وبالغ فإن ظهر ترجيح حكمه والورع الاجتناب وإن يظهر ترجيح وجب التوقف وسأى تفصيله في باب التعرف والبحث والسؤال . القسم الثالث : تعارض الأشياء في الصفات التي تناطح بها الأحكام . مثله أن يوصى بمال للفقهاء فيعلم أن الفاضل في الفقه داخل فيه وأن الذي ابتدأ التعلم من يوم أو شهر لا يدخل فيه وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالمتقى يفتى بحسب الظن والورع الاجتناب وهذا أغمض مشارات الشبهة فإن فيها صوراً يتغير للمقى فيها تحيراً لازماً لاحية له فيه إذ يكون للتصنيف بصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين للفاضلين لا يظهر له حيلة إلى أحدهما وكذلك الصدقات الصروفة إلى المحتاجين فإن من لاشئ له معلوم أنه محتاج ومن له مال كثير معلوم أنه غنى ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار وأثاث وثياب وكسب فإن قدر الحاجة منه لا يتنع من الصرف إليه والفاضل يتنع والحاجة ليست محدودة وإنما تدرك بالتقريب ويتعدى منه النظر في مقدارسة الدار وأبنيتها ومقدار قيمتها السكنى في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها وكذلك في نوع أثاث البيت إذا كان من الصغر لاس من الخرف وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك في الاحتياج إليه كل يوم وما يحتاج إليه كل سنة من آلات الشتاء وما يحتاج إليه إلا في شتاء من ذلك لآخر له والوجه في هذا ما قاله عليه السلام « دع ما يريك إلى ما لا يريك » (٢) وكل ذلك في محل الرب وإن توقف للمقى فلا وجه إلا التوقف وإن أفتى للمقى بظن وتخمين فالورع التوقف وهو أهم مواقع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الأقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والملاء على بيت المال إذ فيه طرفان يعلم أن أحدهما قاصر وأن الآخر زائد وبيهما أمور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله تعالى وليس للبشر وقوف على حدودها فما دون الرطل للسكى في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة أرتال زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريه إلى ما لا يريه وهذا جار في كل حكم ينط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب إذا العرب وسائر أهل اللغات ثم يقدروا مضمينات اللغات بحدود محدودة تقطع أطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فانه لا يحتمل مادونها وما فوقها من الأعداد وسائر ألفاظ الحساب والتفديرات فليست الألفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ولا يتطرق الشك إلى أوساط في مقتضياتها تدور بين أطراف متقابلة تنظم الحاجة إلى هذا الفن في الوصايا والأوقاف فالوقوف على الصوفية مثلاً مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض فكذلك سائر الألفاظ وسنشير إلى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص

(١) حديث لم يرد كل أحد إلى قوى قلبه وإنما قال ذلك لوابسة وتقدم حديث وابسة وروى

الطبراني من حديث واثلة أنه قال ذلك لوابسة أيضاً وفيه العلاء بن ثعلبة مجهول .

(٢) حديث دع ما يريك إلى ما لا يريك تقدم في الباب قبله .

بعرفة الخواطر وشرح
الخواطر وعليها يحتاج
إلى باب مفرد لنفسه
ونومى الآن إلى ذلك
يرمز بذكره من نازله
شئ من ذلك فأكثر
الفقراء من علم ذلك
ومعرفته على بعد .
اعلم أن ما ذكرناه من
نشاط النفس واقع
للفقر في كثير من
الأمر قد يجد الفقير
الروح بالخروج إلى
بعض الصحارى
والبساتين ويحسون
ذلك الروح مضراً به
في ثنائي الحال وإن كان
يتراءى له طيبة القلب
في الوقت وسبب طيبة
قلبه في الوقت أن النفس
تنفس وتنفس يلوغ
غرضاً وتيسر يسر
هواها بالخروج إلى
الصحراء والتزه وإذا
اتسعت بعدت عن
القلب وتنحت عنه
متشوقة إلى متعلق
هواها فيتروح القلب
للبسحراء بل يمد
النفس منه كشخص

ليعلم به طريق التصرف في الألفاظ وإلا فلا مطعم في استيفائها فهذه اشتباهات تنور من علامات متعارضة تجذب إلى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنبها إذا لم يرجع جانباً للحل بدلالة قلب على الظن أو باستصحاب بموجب قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك» وبموجب سائر الأدلة التي سبق ذكرها فهذه ماثرات الشبهات وبعضها أشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شق على شيء واحد كان الأمر أغلظ مثل أن يأخذ طعاماً مختلفاً فيه عوضاً عن غيب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبايع قد خالط ماله حرام وليس هو أكثر ماله ولكنه صار مشتبهاً به فقد يؤدي ترادف الشبهات إلى أن يشتد الأمر في اقتحامها فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها لما اتضح من هذا الشرح أخذه وما التبس فليجتنب فإن الإثم حراز القلب وحيث قضينا باستفتاء القلب أردنا به حيث أباح الفقه أمّا حيث حرمه فيجب الامتناع ثم لا يمول على كل قلب قرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن إلى كل شيء ولا اعتبار بهذين التلبين وإنما الاعتبار بقلب العالم للوقوف الرابح لدقائق الأحوال وهو الملوك الذي يتحنن به خفايا الأمور ، وما أعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليتمس النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقته ، وجاء في الزبور : إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام قل لبي إسرائيل إني لا أنظر إلى صلاتكم ولا قيامكم ولكن أنظر إلى من شك في شيء فتركه لأجل فذاك الذي أنظر إليه وأؤيده بنصري وأباهي به ملائكتي .

(الباب الثالث : في البحث ، والسؤال ، والمجوم ، والإيهام ومظانها)

اعلم أن كل من قدم إليك طعاماً أو هدية أو أردت أن تشتري منه أو تنهب فليس لك أن تفتش عنه وتساءل وتقول هذا مما لا تحقق حله فلا أخذه بل أقش عنه وليس لك أيضاً أن تترك البحث فتأخذ كل ما لا تيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومنسوب مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله ، والقول الشافي فيه هو أن مظنة السؤال مواقع الريّة ومنشأ الريّة ومثارها إما أمر يتعلق بالمال أو يتعلق بصاحب المال .

(الباب الأول أحوال الثالث)

وله بالإضافة إلى معرفتك ثلاثة أحوال إما أن يكون مجهولاً أو مشكوكاً فيه أو معلوماً ينزع ظن يستند إلى دلالة . الحالة الأولى : أن يكون مجهولاً والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظنه كزى الأجناد ولا ما يدل على صلاحه ككتاب أهل التصوف والتجارة والعلم وغيرها من العلامات فإذا دخلت قرية لا تعرفها فرأيت رجلاً لا تعرف من حاله شيئاً ولا عليه علامة تنسب إلى أهل صلاح أو أهل فساد فهو مجهول وإذا دخلت بلدة غريباً ودخلت سوقاً ووجدت رجلاً خبازاً أو قصاباً أو غيره ولا علامة تدل على كونه مريباً أو خائناً ولا ما يدل على نقيه فهو مجهول ولا يدري حاله ولا نقول إنه مشكوك فيه لأن الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان وأكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين المالا يدري وبين ما يشك فيه وقد عرفت مما سبق أن الورع ترك ما لا يدري . قال يوسف بن أسباط منذ ثلاثين سنة ما حاك في قلبي شيء إلا تركته وتكلم جماعة في أشق الأعمال فقالوا هو الورع فقالوا لهم حسان بن أبي سنان ما شيء عندي أسهل من الورع إذا حاك في صدرى شيء تركته فهذا شرط الورع وإنما ذكر الآن حكم الظاهر ، فنقول حكم هذه الحالة أن المجهول إن قدم إليك طعاماً أو حمل إليك هدية أو أردت أن تشتري من دكانه شيئاً فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلماً دلائل كافيتان

(الباب الثالث : في البحث والسؤال)

تجاعد عنه قرن يستقله ثم إذا عاد الفقير إلى زاويته واستفتح ديوان معاملته وميز دستور حاله يجد النفس مقارئة للقلب بمزيد قسمل موجب لثبرمه بها وكلما ازداد قلها تنكسر القلب وسبب زيادة قلها استرسالها في تناول هواها فيصير الخروج إلى الصحراء عين الله ويظن الفقير أنه ترويح ودواء فلو صبر على الوحدة والخلوة ازدادت النفس ذوباناً وخفت ولطفت وصارت قريناً صالحاً للقلب لا يستقلها وعلى هذا يقاس التروح بالأسفار فللنفس وثبات إلى توهم التروحات فمن فطن لهذه الدقيقة لا يتر بالتروات للمستارة التي لا تحمد عاقبتها ولا تؤمن غائلتها ويتثبت عند ظمور خاطر السفر ولا يكثر بالخطر بل يطره بعدم الالتفات

في الهجوم على أخذه ، وليس لك أن تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا السلم بينه وإن بعض الظن إثم وهذا السلم يستحق بإسلامه عليك أن لاتسى الظن به فإن أسأت الظن به في عينه لأنك رأيت فسادا من غيره قد جنبت عليه وأتمت به في الحال فدا من غير شك ولو أخذت للسالك مكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه أنا نعلم أن الصحابة رضي الله عنهم في غزواتهم وأسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يعترضون من الأسواق وكان الحرام أيضا موجودا في زمانهم وما نقل عنهم سؤال إلا عن رية إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يسأل عن كل ما يحل إليه بل سأل في أول قدومه إلى المدينة عما يحل إليه أصدقاء أمهدة (١) لأن قرينة الحال تدل وهو دخول المهاجرين للمدينة وهم قراء فقلب على الظن أن ما يحل إليهم بطريق الصدقة ، ثم إسلام للمطعم ويده لا يدلان على أنه ليس بصدقة ، وكان يدعى إلى الضيافات فيجب ولا يسأل أصدقاء أمه (٢) إذ العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة ، ولذلك دعت أم سلم (٣) ودعا الحياط (٤) كما في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وقدم إليه طعاما فيه قرع ، ودعا الرجل الفارسي فقال عليه الصلاة والسلام «أنا وعائشة فقال لا قال فلا ثم أجابه بمد فذهب هو وعائشة يتساقطان قرب إليها إهالة (٥) » ولم يثقل السؤال في شيء من ذلك ، وسأل أبو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رآه من أمره ، وسأل عمر رضي الله عنه الذي سقا من لبن إبل الصدقة إذ رآه وكان أعجبه طمعه ولم يكن على ما كان يألفه كل مرة وهذه أسباب الرتبة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجبول لم يكن عاصيا بأجابته من غير تفتيش بل لو رأى في داره تجملا ومالا كثيرا فليس له أن يقول الحلال عز و هذا كثير فمن أين يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه يحتمل أن يكون ورث مالا أو اكتسبه فهو بعينه يستحق إحسان الظن به ، وأزيد على هذا وأقول ليس له أن يسأله بل إن كان يتورع فلا يدخل جوفه إلا ما يدرى من أين هو فهو حسن فليتلطف في الترك وإن كان لا بد له من أكله فليأكل بغير سؤال إذ السؤال إيذاء وهتك ستر وإعماش وهو حرام بلا شك . فان قلت لله لا يتأذى فأقول لله لا يتأذى فانت تسأل حذرا من لعل فان قمت فقلل ماله حلال وليس الإثم المحذور في إيذاء مسلم بأقل من الإثم في أكل الشبهة والحرام والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له أن يسأل من غيره من حيث يدرى هو به لأن الإيذاء في ذلك أكثر وإن سأل من حيث لا يدرى هو فقيه إساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تثبث بالقبية وإن لم يكن ذلك صريحا وكل ذلك منهي عنه في آية واحدة قال الله تعالى - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا - وكما زاهد جاهل يوحش القلوب بالتفتيش ويتكلم الكلام الحسن المؤذى وإنما يحسن الشيطان ذلك عنده طلبا للشبهة بأكل الحلال ولو كان باعته محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم أن يتأذى

(١) حديث سؤاله في أول قدومه إلى المدينة عما يحل إليه أصدقاء أم هدية أحمد الحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم للمدينة أتاه سلمان بطعام فسأله عنه أصدقاء أم هدية الحديث تقدم في الباب قبله من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان يدعى إلى الضيافات فيجب ولا يسأل أصدقاء أمه لاهذا معروف مشهور من ذلك في الصحيحين من حديث أبي مسعود الأنصاري في صنع أبي شبيب طعاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا خامس خمسة . (٣) حديث دعت أم سلم متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث أنس أن خياط دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم إليه طعاما فيه قرع متفق عليه (٥) حديث دعا الرجل الفارسي فقال أنا وعائشة الحديث مسلم عن أنس .

مسيئا ظنه بالنفس
وتسويلاتها ومن هذا
القبيل والله أعلم قول
رسول الله صلى الله
عليه وسلم «إن الشمس
تطلع من بين قرني
الشيطان» فيكون
للنفس عند طلوع
الشمس ونبات تستند
تلك الوببات والبهنات
من النفس إلى الزناج
والطباع ويطول
شرح ذلك ويصعب
ومن ذلك القبيل حفة
مرض الرئس غدوة
بخلاف المشبات
فيتشكل اهتزاز النفس
بهنات القلب ويدخل
على التقير من هذا
القبيل آفات كثيرة
يدخل في مداخل
باهتزاز نفسه ظنانه
أن ذلك حكم نهوض
قلبه وربما يتردى له
أنه بالله يسول وبالله
يقول وبالله يتحرك
قد ابتلى بهنات النفس
ووثق بها ولا يقع هنا
الاشتباه إلا لأرباب
القلوب وأرباب الأحوال

أشمن خوفه على بطنه أن يدخله ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما لا يدري إذ لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم أن طريق الورع الترك دون التجسس وإذا لم يكن بد من الأكل فالورع الأكل وإحسان الظن هذا هو للأوف من الصحابة رضى الله عنهم ومن زاد عليهم في الورع وهو حال مبتدع وليس يتبع فمن يبلغ أحدم أحدم ولا ينفه ولو اتفق ما في الأرض جميعا كيف « وقد أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بريرة فقيل إنه صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية » (١) ولم يسأل على التصديق عليها فكان التصديق مجهولا عنده ولم يتبع . الحالة الثانية : أن يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة أو رث رية فلذلك صورة رية ثم حكما . أما صورة الرية فهو أن تله على تحريم ما فيه دلالة إيمان خلقته أو من زيه وثابه أو من فيه وقوله . أما الحلقة فإن يكون على خلقه الآراء والبواهي والمروفين بالظلم وقطع الطريق وأن يكون طويل الشارب وأن يكون الشر مفرقا على رأسه على دأب أهل القصد ، وأما الثياب فالتقاء والقفنسة وزى أهل الظلم والفساد من الأجناد وغيرهم ، وأما الفعل والقول فهو أن يشاهد منه الإقدام على ما لا يعمل فإن ذلك يدل على أنه يتساهل بأضاني المال ويأخذ ما لا يعمل فيه مواضع الرية فإذا أراد أن يشتري من مثل هذا شيئا أو يأخذ منه هدية أو يجه إلى ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه إلا هذه العلامات فيحتمل أن يقال اليتدلى على ذلك وهذه الدلالات ضعيفة بالإقدام جائز وترك من الورع ويحتمل أن يقال إن اليد دلالة ضعيفة وقد علمنا مثل هذه الدلالة فأورث رية فالهجوم غير جائز وهو الذي نخاره ونقته به قوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريك إلى ما لا يريك » (٢) فظاهره أمر وإن كان يحتمل الاستحباب لقوله صلى الله عليه وسلم « الإثم حزاز القلوب » (٣) وهذا له وقع في القلب لا يشكر ولأن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أصدقه هو أو هدية وسأل أبو بكر رضى الله عنه غلامه وسأل عمر رضى الله عنه وكل ذلك كان في موضع الرية وحمله على الورع وإن كان ممكنا ولكن لا يعمل عليه لإقياس حكمي والقياس ليس يشهد بتحليل هذا فإن دلالة البدو والإسلام وقد عارضتها هذه الدلالات وأورث رية فإذا خابها فلا استحلال لاستدله وإنما لا يترك حكم البدو الاستصحاب بشك لا يستند إلى علامة كما إذا وجدنا لواء متغيرا واحتمل أن يكون بطول للكش فإن رأينا ظلية يالت فيه ثم احتمل التغيير به تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه ولكن بين هذه الدلالات مخاوت فإن طول الشوارب ولبس القباء وهيئة الأجناد يدل على الظلم بالمال أما القول والفعل المخالفان للشرع إن تعلقا بظلم المال فهو أيضا دليل ظاهر كالمصمعه بأمر بالنصب والظلم أو يعتقد الرأيا فأما إذا رآه قد شتم غيره في غضبه أو أتبع نظره امرأة مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكمن إنسان يتخرج في طلب المال ولا يكتسب إلا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن أن يضبط هذا بمعد فليستفد العبد في مثل ذلك قلبه . وأقول إن هذا إن رآه من مجهول فله حكم وإن رآه ممن عرفه فالورع في الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر إذا تعارضت الدلالات بالإضافة إلى المال وتساقتا وعاد الرجل كالمجهول إذ ليست إحدى الدلاتين تناسب المال على الخصوص فكمن من متخرج في المال لا يتخرج في غيره وكمن من محسن للصلاة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يحسد الحكم في هذه الواقع ما يميل إليه القلب فإن هذا أمر بين البدويين الله فلا يسمدان بناط بسبب خفي لا يطلع عليه إلا هو ورب الأرباب وهو حكم حزازة القلب ثم لنتبه لدقيقة أخرى وهو أن هذه الدلالة ينبغي أن تكون بحيث تدل على أن أكثر ماله حرام بأن يكون

وغير أرباب القلب والحال عن هذا يميز وهذه مزية قدم مختصة بالخواص دون العوام فاعلم ذلك أنه عزز على وأقل مراتب التفرقة في مبادئ الحركة للسفر للتصحيح وجه الحركة أن يقدموا صلاة الاستسجدة وقصاصة الاستسجدة لا يهمل وإن تبين للفقير وجه خاطره أو تبين له وجه الصلحة في السريان أوضح من الخاطر فلتقدم مراتب في التبيان من العلم بصحة الخاطر وبما فوق ذلك ففي ذلك كله لا يهمل صلاة الاستسجدة اتباعا لسنة ففي ذلك البركة وهو من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إمامه قال أنا أبو القاسم بن عبد الرحمن في كتابه أن أما سعيد السكجرودى أخبرهم

جنديا أو عائل سلطان أو نائحة أو مغنية فإن دل على أن في ماله حراما قليلا لم يكن السؤال واجبا بل كان السؤال من الورع . الحالة الثالثة : أن تكون الحالة معلومة بنوع خبرة وعمراسة بحيث يوجب ذلك ظنا في حبل المال أو تحريمه مثل أن يعرف صلاح الرجل وديارته وعدائته في الظاهر وجوز أن يكون الباطن بخلافه فهنا لا يجب السؤال ولا يجوز كافي المجهول فالأولى الإقدام والإقدام هنا أبعد عن الشبهة من الإقدام على طعام المجهول فإن ذلك بعيد عن الورع وإن لم يكن حراما وأما أكل طعام أهل الصلاح فدأب الأنبياء والأولياء قال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل كل إلا طعام نقي » ولا يأكل طعامك إلا نقي ^(١) » فاما إذا علم بالخبرة أنه جندى أو مغنى أو مربوب واستثنى عن الاستدلال عليه بالهبة والشكل والياب فهنا السؤال واجب لاحالة كافي موضع الرية بل أولى .

(الثار الثانى ما يستند الشك فيه إلى سبب المال لا في حال المال)

وذلك بأن يختلط الحلال بالحرام كما إذا طرح في سوق أحمال من طعام غضب واشترها أهل السوق فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة وذلك السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر أن أكثر ما في أيديهم حرام فندفعك يجب السؤال فإن لم يكن هو الأكل أكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم بلد والدليل على أنه لا يجب السؤال والتفتيش إذا لم يكن الأغلب الحرام أن الصحابة رضى الله عنهم لم يفتشوا من الشراء من الأسواق وفيها دراهم الربا وغلول التهمة وغيرها وكانوا لا يسألون في كل عقد وإنما السؤال نقل عن أحادهم نادرا في بعض الأحوال وهى محال الرية في حق ذلك الشخص المعلن وكذلك كانوا يأخذون الثنائم من الكفار الذين كانوا قد قتلوا المسلمين وربما أخذوا أموالهم واحتل أن يكون في تلك الثنائم شيء مما أخذوه من المسلمين وذلك لأجل أخذه مما جاز بالاختلاق بل يرد على صاحبه عند الشافعى رحمه الله وصاحبه أولى به بالثمن عند أبى حنيفة رحمه الله ولم ينقل قط التفتيش عن هذا . وكتب عمر رضى الله عنه إلى أذربيجان إنكم في بلاد تدفع فيها الية فانظروا ذلك من ميثه أذن في السؤال وأمر به ولم يأمر بالسؤال عن الدراهم التى هى أثمانها لأن أكثر دراهمهم لم تكن أثمان الجلود وإن كانت هى أيضا تباع وأكثر الجلود كان كذلك وكذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه إنكم في بلاد أكثر فصايها الجوس فانظروا ذلك من الية فخص بالأكثر الأمر بالسؤال ولا يتضح مقصود هذا الباب إلا بالذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضا [مسئلة] شخص معين خالط ماله الحرام مثل أن يباع على دكان طعام منصوب أو مال منسوب ومثل أن يكون القاضي أو الرئيس أو العامل أو الفقيه الذى له إدار على سلطان ظالم له أيضا مال موروث ودهقة أو تجارة أو رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويرى أيضا فإن كان الأكثر من ماله حراما لا يجوز لأكل من ضيقته ولا قبول هديته ولا صدقته إلا بعد التفتيش فإن ظهر أن المأخوذ من وجهه حلال فذاك وإلا ترك وإن كان الحرام أقل والمأخوذ مشتبها فهذا في محل النظر لأنه على رتبة بين الرتبين إذ قضينا بأنه لو اشتبه ذكية بشر ميتات مثلا وجب اجتناب الشكل وهذا يشبهه من وجه من حيث إن مال الرجل الواحد كالنحور لا سيما إذا لم يكن كثير المال مثل السلطان ومخالفه من وجه إذ الية يعلم وجودها في الحال يقينا والحرام الذى خالط ماله يحتمل أن يكون قد خرج من يده وليس موجودا في الحال وإن كان المال قليلا وعلم قطعا أن الحرام موجود في الحال فهو ومسئلة اختلاط الية واحد وإن كثر المال واحتمل أن يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا أخف من ذلك ويشبهه من وجه الاختلاط بغير محصور كافي الأسواق والبلاد ولكنه أغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا يشك في

(١) حديث لا تأكل كل إلا طعام نقي ولا تأكل طعامك إلا نقي تقدم في الزكاة .

قال أنا أبو عمرو بن حمدان قال حدثنا أحمد بن الحسين الصوفى قال حدثنا منصور بن أبى مزاحم قال حدثنا عبد الرحمن بن أبى اللوى عن محمد بن النسكر عن جابر رضى الله عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يظنا الاستخارة كما يظنا السورة من القرآن قال : إذا تم أحدكم بالأمر أو أربو الأمر فليصل ركعتين من غير الفريضة ثم يقل اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إني كنت تعلم أن هذا الأمر وبسمه بينه خير لى في ديني ومعاشي ومعادي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لى ثم

يترك لي فيه وإن كنت
صلته شرا لي مثل ذلك
فاصره غنى واصرفني
عنه واقدر لي الخير
حيث كان .

[الباب السابع عشر
فيما يحتاج إليه الصوفي
في سفره من الفرائض
والفضائل]

فأما من الفقه وإن
كان هذا يذكر في كتب
لفقه وهذا الكتاب
غير موضوع لذلك
ولكن نقول على سبيل
الإيجاز تيمنا بذكر
الأحكام الشرعية التي
هي الأساس الذي يبنى
عليه لا بد للصوفي
للسافر من علم التيمم
وللحج على الحفين
والقصر والجمع في
الصلاة أما التيمم فجائز
للمريض والسافر في
الجنابة والحدث عند
عدم الماء أو الخوف
من استعماله تلقا في
النفس أو المال أو
زيادة في المرض على
القول الصحيح من
للذهب أو عند حاجته

أن الهجوم عليه يبد من الورع جدا ولكن النظر في كونه فسقا ماض للعدالة وهذا من حيث النقل
أيضا غامض لتجاذب الأغنياء ومن حيث النقل أيضا غامض لأن ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع
في مثل هذا وكذا عن التابعين يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نهي على التحريم وما ينقل من
إقدام على الأكل كل أكل أبي هريرة رضي الله عنه طعام معاوية مثلا إن قدر في جملة ما بيده حرام فذلك
أيضا يجعل أن يكون إقدامه بعد التفتيش واستبانة أن عين ما يأكله من وجه مباح فالأضال في هذا
منعفة الدلالة ومذاهب العلماء للتأخير من مختلفة حتى قال بعضهم لو أعطاني السلطان شيئا لأخذته وطرده
الإباحة فيها إذا كان الأكل أيضا حراما لم يعرف عين للأخذ واحتمل أن يكون حلالا واستدل
بأخذ بعض السلف جوائز السلاطين كسباني في باب بيان أموال السلاطين فأما إذا كان الحرام هو الأكل
واحتمل أن لا يكون موجودا في الحال لم يكن الأكل حراما وإن تحقق وجوده في الحال كما في مسألة
استيلاء الذكية بالمنة فهذا لما لأدري ما أقول فيه وهو من التشبهات التي يتجه للفق فيها لأنها مترددة
بين مشابهة المحصور وغير المحصور والرضيعة إذا اشبهت بقرية فيها عشر نسوة وجب الاجتناب وإن
كان يلد فيها عشرة آلاف لم يجب وبينهما أعداد ولولست عنها لكنت لأدري ما أقول فيها ولقد
توقف العلماء في مسائل هي أوضح من هذه إذ سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رمى صيدا فوق
في ملك غيره أيكون الصيد للرامي أو للمالك الأرض فقال لأدري فروجع فيه مرات فقال لأدري
وكثيرا من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم فليقطع الفقه طمعه عن درك الحكم في جميع الصور
وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوما ياملون السلاطين فقال إن لم ياملوا سوى
السلطان فلا تعاملهم وإن عاملوا السلطان وغيره فاملهم وهذا يدل على الساعية في الأكل وبمحملة
الساعية في الأكل أيضا وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة أنهم كانوا يهجرون بالكية معاملة القصاب والحجاز
والتاجر لتماطيه عقد أو احدا فاسدا أو لمعاملة السلطان مرة وقد تدر ذلك فيه بعد والسئلة مشكلة في نفسها
فإن قيل قد روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه رخص فيه وقال خذ ما يطيبك السلطان فأما
يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر من الحرام وسئل ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك
فقاله السائل إن لي جارا لا أعلمه إلا خبيثا يدعوننا أو نحتاج فنستسلمه فقال إذا دعاك فأجبه وإذا
احتجت فاستسلمه فإن لك الهنا وعليه المأثم وأقضى سلمان بثل ذلك وقد علل على بالكثرة وعلل ابن
مسعود رضي الله عنه بطريق الإشارة بأن عليه المأثم لأنه يعرفه ولك الهنا أي أنت لا تعرفه . وروى
أنه قال رجل لابن مسعود رضي الله عنه إن لي جارا يأكل الربا فيدعوننا إلى طعامه أفأتيه فقال نعم
وروى في ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه روايات كثيرة مختلفة وأخذ الشافعي ومالك رضي الله
عنهما جواز الخلفاء والسلاطين مع العلم بأنه قد خالط ما لهم الحرام . قلنا أما ما روى عن علي رضي
الله عنه قد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فإنه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه
ولا يكون له إلا ثوب واحد في وقت القتل لا يجد غيره ولست أنكر أن رخصته صريح في الجواز
وفعله محتمل للورع ولكنه لو صرح فقال السلطان له حكم آخر فإنه يحكم كثرته يكاد يلتحق بما
لا يحصر وسباني يان ذلك وكذا فعل الشافعي ومالك رضي الله عنهما متعلق بمال السلطان وسباني
حكمه وإنما كانا في آحاد الخلق وأموالهم قريبة من المحصر وأما قول ابن مسعود رضي الله عنه قبل
إنما تله خوات التيمي وأنه ضيف الحفظ والشهور عنه ما يدل على توقي الشبهات إذ قال لا يقولن
أحدكم أخاف وأرجو أن الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشبهات فدع ما يريك إلى ما لا يريك
وقال اجنبوا الحكايات فيها الاسم . فإن قيل فلم قلت إذا كان الأكل حراما لم يجز الأخذ مع أن

لأخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص واليد علامة على الملك حتى إن من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والكثرة توجب ظنا مرسلًا لا يتعلق بالعين فليكن كغالب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور إذا كان الأكثر هو الحرام ولا يجوز أن يستدل على هذا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك» لأنه مخصوص ببعض الواضع بالاختاق وهو أن يريه بعلامة في عين الملك بدليل اختلاط القليل بغير المحصور فإن ذلك يوجب رية ومع ذلك قطعتم بأنه لا يحرم . فالجواب أن اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب وإنما تؤثر إذا سلت عن معارض قوى فإذا تحققنا الاختلاط وتحققنا أن الحرام المختلط موجود في الحال والمال غير خال عنه وتحققنا أن الأكثر هو الحرام وذلك في حق شخص معين يقب ماله من الحصر ظهر وجوب الإعراض عن مقتضى اليد وإن لم يحتمل عليه قوله عليه السلام «دع ما يريك إلى ما لا يريك» لابقى له محتمل إذ لا يمكن أن يحتمل على اختلاط قليل بمجال غير محصور إذا كان ذلك موجودًا في زمانه وكان لا يدهه وعلى أى موضع حمل هذا كان هذا في معناه وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس فإن تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحاب والكثرة تأثير في تحقيق الظن وكذا الحصر وقد اجتمعا حتى قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا يجزئ في الأواني إلا إذا كان الظاهر هو الأكثر فاشتراط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة الكثرة ومن قال يأخذ أى آية أراد بلا اجتهاد بناء على مجرد الاستصحاب فيجوز الشراب أيضًا فيلزمه التجوز ههنا بمجرد علامة اليد ولا يجزئ ذلك في بول أشبه بعام إذ لا استصحاب فيه ولا نطره أيضًا في مية اشبهت بذكاة إذ لا استصحاب في الميتة واليد لا تدل على أنه غير ميتة وتدل في الطعام اللباج على أنه ملك فههنا أربع متعلقات استصحاب وقلة في المختلط أو كثرة وانحصار أو اتساع في المختلط وعلامة خاصة في عين الشيء يتعلق بها الاجتهاد فمن يغفل عن مجموع الأربعة ربما يغلط فيشبه بعض السائل بما لا يشبه فحصل مما ذكرناه أن المختلط في ملك شخص واحد إما أن يكون الحرام أكثره أو أقله وكل واحد إما أن يعلم يقين أو يظن عن علامة أو توهم فالسؤال يجب في موضعين وهو أن يكون الحرام أكثر يقينًا أو ظنا فكلوا رأى تركيا مجهولًا يحتمل أن يكون كل ماله من غنمية وإن كان الأقل معلومًا باليقين فهو محل التوقف وتكاد تفسير أكثر السلف وضرورة الأحوال إلى الليل إلى الرخصة وأما الأقسام الثلاثة الباقية فالسؤال غير واجب فيها أصلاً . مسألة : إذا حضر طعام لإنسان علم أنه دخل في يده حرام من ادراكه قد أخذه أو وجه آخر ولا يدري أنه بقي إلى الآن أم لا ؟ فله الأكل ولا يلزمه التفتيش وإنما التفتيش فيه من الورع ولو علم أنه قد بقي منه شيء ولكن لم يدرك أنه الأقل أو الأكثر فله أن يأخذ بأنه الأقل وقد سبق أن أمر الأقل بمشكل وهذا يقرب منه . مسألة : إذا كان في يد التلوي للخيرات أو الأوقاف أو الوصايا مالان يستحق هو أحدهما ولا يستحق الثاني لأنه غير موصوف بتلك الصفة فهل له أن يأخذ ما يسهل إليه صاحب الوقف نظر، فإن كانت تلك الصفة ظاهرة بصرها التلوي وكان التلوي ظاهر العدالة فله أن يأخذ بغير بحث لأن الظن بالتلوي أنه لا يصرف إليه ما يصرفه إلا من المال الذي يستحقه وإن كانت الصفة خفية وإن كان التلوي ممن عرف حاله أنه يخطأ ولا يبالي كيف يفعل فعليه السؤال إذ ليس ههنا بد ولا استصحاب يؤول عليه وهو وزان سؤال الرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والمهدية عند ترده فيها لأن اليد لا تخصص المهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينبغى منه إلا السؤال فإن السؤال حيث أسقطناه في المجهول أسقطناه بعلامة اليد والإسلام حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأخذ من يده لجانم ذبحته واحتمل أن يكون مجوسًا لم يحزله مالم يعرف أنه مسلم إذ اليد

إلى الماء الوجود لمطشه
أو عطش دابته أو
رفيقه في هذه الأحوال
كلها يصلح بالتيمم
ولا إعادة عليه والخائف
من البرد يصلح بالتيمم
وبعيد الصلاة على
الأصح ولا يجوز التيمم
إلا بشرط الطلب للماء
في مواضع الطلب
ومواضع الطلب مواضع
تردد السافر في منزله
للاحتياط والاحتشاش
ويكون الطلب بعد
دخول الوقت والسفر
القصير في ذلك كالطول
وإن صلى بالتيمم مع
تيقن الماء في آخر
الوقت جاز على الأصح
ولا يبعد مهما صلى
بالتيمم وإن كان الوقت
باقيا ومهما توهم وجود
الماء بطل تيممه كما إذا
طلع ركب أو غير ذلك
وإن رأى للماء في أثناء
الصلاة لا تبطل صلاته
ولا تكرر إعادة
ويستحب له الخروج
منها واستئنافها بالوضوء
على الأصح ولا يتيمم

لا تدل في الميتة ولا الصورة تدل على الإسلام إلا إذا كان أكثر أهل البلدة مسلمين فيجوز أن يظن
بالبقي ليس فيه علامة الكفر أنه مسلم وإن كان الخطأ ممكناً فيه فلا ينبغي أن تتلبس الواضع التي
تشهد فيها اليد والحال بالتي لا تشهد . مسئلة : له أن يشتري في البلد داراً وإن علم أنها تشتمل على
دور منصوبة لأن ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع وإن كان في سكة عشر
دور مثلاً إحداها منصوب أو وقف لم يحز الشراء مالم يتميز ويجب البحث عنه ومن دخل بلدة وفيها
رباطات خصص بوقفها أرباب الذاهب وهو على منذهب واحد من جملة تلك الذاهب فليس له أن
يسكن أيها شاء وبأكل من وقفها بغير سؤال لأن ذلك من باب اختلاط المحصور فلا بد من التحيز
ولا يجوز الهجوم مع الإيهام لأن الرباطات وللدارس في البلد لابد أن تكون محصورة . مسئلة : حيث
جعلنا السؤال من الورع فليس له أن يسأل صاحب الطعام والمال إذا لم يأمن غشبه وإنما أوجبنا
السؤال إذا تحقق أن أكثر ماله حرام وعند ذلك لا يبالي بفضب مثله إذ يجب إبقاء الظالم بأكثر
من ذلك والمطالب أن مثل هذا لا يفضب من السؤال ، نعم إن كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه أو تلميذه
أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته فله أن يسأل مهما استراب لأنهم لا يضيئون من سؤاله ولأن عليه
أن يسأل ليلهم طريق الحلال ولذلك سأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر من سقاء من
إبل الصدقة وسأل أبا هريرة رضي الله عنه أيضاً لما أن قدم عليه بمال كثير فقال ويحك أكل هذا
طيب من حيث إنه تعجب من كثرتة وكان هو من رعيته لاسياً وقد رفق في صيغة السؤال وكذلك
قال على رضي الله عنه ليس شيء أحب إلى الله تعالى من عدل إمام ورعه ولا شيء أبغض إليه
من جوره وخرقه . مسئلة : قال الحرث الحامصي رحمه الله لو كان له صديق أو أخ وهو يأمن
غشبه لومأله فلا ينبغي أن يسأله لأجل الورع لأنه ربما يدوله ما كان مستورا عنه فيكون قد حمل على
هتك السر ثم يؤدي ذلك إلى البضاض وما ذكره حسن لأن السؤال إذا كان من الورع لا من الوجوب
فالورع في مثل هذه الأمور الاحتراز عن هتك السر وإثارة البضاض أتم وزاد على هذا فقال وإن رآه
منه شيء أيضاً لم يسأله ويظن به أنه يطعمه من الطيب ويحبه الحديث فإن كان لا يطمئن قلبه إليه
فيحتز متلفظاً ولا يهتك سريه بالسؤال قال لأنني لم أر أحداً من العلماء فعله فهذا منه مع ما اشتهر به من
الزهد يدل على مسامحة فيما إذا خالط المال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقيق لأن
لفظ الزرية يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا يوجب اليقين فليراع هذه الدقائق بالسؤال . مسئلة : ربما
يقول القائل أي فائدة في السؤال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فإن وثق
بأمانته فليثق بديانته في الحلال . فأقول مهما علم مخالطة الحرام لمال إنسان وكان له غرض في حضورك
ضيافته أو قبولك حديثه فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه فينبغي أن يسأل من غيره وكذا
إن كان يباع وهو يرغب في البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله إنه حلال ولا فائدة في السؤال منه
وإنما يسأل من غيره . وإنما يسأل من صاحب اليد إذا لم يكن منهما كما يسأل للتولي على المال الذي
يسله أنه من أي جهة وكما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة فإن ذلك لا يؤدي
ولا يتم القائل فيه وكذلك إذا اتهمه بأنه ليس يدري طريق كسب الحلال فلا يتم في قوله إذا أخبر
عن طريق صحيح وكذلك يسأل عبده وخادمه ليرف طريق اكتسابه فهنا يفيد السؤال فإذا كان
صاحب المال منهما فليسا من غيره فإذا أخبره عدل واحد قبله وإن أخبره فاسق يعلم من قرينته حاله
أنه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قوله لأن هذا أمر بينه وبين الله تعالى والمطلوب تهة النفس وقد يحصل
من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل في بعض الأحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من

لغرض قبل دخول
الوقت ويتم لكل
فرصة ويصل مهما
شاء من التوافل يتم
واحد ولا يجوز أداء
الغرض بيمين النافقة
ومن لم يجدناه ولا تراباً
يصل ويعد عند
وجود أحدهما ولكن
إن كان محدثاً لا يمس
للمصحف وإن كان جنباً
لا يجزأ القرآن في الصلاة
بل يذكر الله تعالى
عوضاً للمرأة ولا يتم
إلا بتراب ظاهر غير
مخالط للرمل والجص
ويجوز بالتباعد على
ظهر الحيوان والثوب
ويسمى الله تعالى عند
التييم وينوي استباحة
الصلاة قبل ضرب
السيد على التراب
ويضم أصابعه لضربة
الوجه ويمسح بجميع
الوجه فلا يبقى شيء
من عمل الفرض غير
ممسوح لا يصح التيمم
وضرب ضربة للدين
مبسوط الأصابع ويمسح
بالتراب محل الفرض

وإن لم يقدر إلا
بضربتين فصاعدا
كيف أمكنه لا يد أن
يم التراب محل القرض
ويعسج إذا فرغ إحدى
الراحتين بالأخرى حتى
تصيرا بمسوحتين ويمر
اليدين على ما نزل من
اللبنة من غير إصا
التراب إلى الثابت .
وأما للمسح : فيمسح
على الخف ثلثة أيام
ولياليين في السفر
والقيم يوما وليلة
وابتداء لليلة من حين
الحدث بدليس الخف
دمن حين لبس الخف
ولاحاجة إلى النية عند
لبس الخف بل محتاج
إلى كمال الطهارة حتى
لولبس أحد الخفين
قبل غسل الرجل
الأخرى لا يصح أن
يمسح على الخف
ويشترط في الخف
إمكان متاعه للشي
عليه وستر محل القرض
ويكنى مسح يسير من
أخي الخف والأولى
مسح أعلاه وأسفله

تري المدالة في ظاهره يصدق وإنما نيطت الشهادة بالمدالة الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن لا يطلع عليها وقد قبل أبو حنيفة رحمه الله شهادة الفاسق وكمن شخص تعرفه وتعرف أنه قد يتعمد المعاصي ثم إذا أخبرك بشيء وقتت به وكذلك إذا أخبر به شيء يميز عن عرفته بالثبوت فقد تحصل الثقة بقوله فيحل الاعتماد عليه فأما إذا أخبر به مجهول لا يدري من حاله شيء أصلا فهذا ممن جوزنا الأكل من يده لأن يده دلالة ظاهرة على ملكه وربما يقال إسلامه دلالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر ولا يخلو قوله عن أثر ما في النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة تفيد ظنا قويا إلا أن أثر الواحد فيه في غاية الضعف فليتنظر إلى حد تأثيره في القلب فان الفرق هو القلب في مثل هذا للوضع والقلب التفاتات إلى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتأمل فيه ويدل على وجوب الالتفات إليه ما روى عن عتبة بن الحارث **١** أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهي كاذبة فقال دعها فقال إنها سوداء يصغر من شأنها فقال عليه السلام فكيف وقد زعمت أنها قد أرضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك **(١)** وفي لفظ آخر كيف وقد قيل **٢** ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر أمارته غرض له فيه كان له وقع في القلب لاحالة فذلك يتأكد الأمر بالاحتراز فان اطمأن إليه القلب كان الاحتراز حتما واجبا . مسألة : حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا قول فاسقين ويجوز أن يرجع في قلبه قول أحد العدلين أو أحد الفاسقين ويجوز أن يرجع أحد الجانبين بالكثرة أو بالاخصاص بالجرة والعرفة وذلك لما يتشعب تصويره . مسألة : لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع متاعا في يد إنسان وأراد أن يشتريه واحتمل أن لا يكون من المصوب فان كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصالح جزاء الشراء وكان تركه من الورع وإن كان الرجل مجهولا لا يعرف منه شيئا فان كان يكثر نوع ذلك للناع من غير المنصوب فله أن يشتري وإن كان لا يوجد ذلك للناع في تلك البقعة إلا نادرا وإنما كثر بسبب التصب فليس يدل على الحل إلا اليد وقد عارضته علامة خاصة من شكل اللناع ونوعه فالامتناع عن شرائه من الورع المهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامة متعارضة ولست أقدر على أن أحكم فيه بحكم إلا أن أرده إلى قلب المستفتي لينظر ما الأقوى في نفسه فان كان الأقوى أنه مصوب لزمه تركه وإلا حله شراءه وأما كثر هذه الوقائع يتبس الأمر فيها فهن من التشابهات التي لا يعرفها كثير من الناس فننوقها فقد استبرأ لرحمة ودينه ومن اتعدها قد حام حول الحمى وخطأ بنفسه . مسألة : لو قال قائل قد سأل رسول الله **ﷺ** عن لبن قدم إليه فذكر أنه من شاة فسال عن الشاة من أين هي فذكر له فسكت عن السؤال **(٢)** . فيجب السؤال عن أصله للكل أم لا وإن وجب فمن أصل واحد أو اثنين أو ثلاثة وما الضبط فيه ؟ فأقول لا ضبط فيمو لا شدد بل ينظر إلى الرية للتفتية للسؤال لموجوبا أو ورعا ولا غاية للسؤال إلا حيث تقطع الرية للتفتية وذلك يختلف باختلاف الأحوال فان كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فان قال اشترت اقطع بسؤال واحد وإن قال من شاتي وقع الشك في الشاة فان قال اشترت اقطع وإن كانت الرية من الظلم وذلك مما في أبدي العرب ويتواله في أيديهم المنصوب فلا تقطع الرية بقوله إنه من شاتي ولا بقوله إن الشاة ولستها شاتي فان أسنده إلى الوراة من أيه وحالة أيه مجهولة اقطع السؤال وإن كان يعلم أن جميع حال أيه حرام **(١)** حديث عتبة إني تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهي كاذبة البخاري من حديث عتبة بن الحارث **(٢)** حديث سأل رسول الله **ﷺ** عن لبن قدم إليه فسكت عن لبن قد قدم إليه الحديث تنهم في الباب الخامس من آداب الكسب والعاجي .

فقد ظهر التحريم وإن كان يعلم أن أكثره حرام فبكرة النوال وطول الزمان وتطرق الإرث إليه لا يضر حكمه فينظر في هذه المعاني . مسألة : سئلت عن جماعة من سكان خاقان الصوفية في يد خادهم الذي يقدم إليهم الطعام وفقت على ذلك السكن ووقف آخر على جهة أخرى غير هؤلاء وهو غلظ السك وينفق على هؤلاء وهؤلاء فأكل طعامه حلالاً وأحراماً أوشبه . فقلت إن هذا يلتفت إلى سبعة أصول . الأصل الأول : أن الطعام الذي يقدم إليهم في الغالب يشتري بالمعاطة والذي اخترناه صحة المعاطة لاسيما في الأطعمة والسحقرات فليس في هذا إشبهة الخلاف . الأصل الثاني : أن ينظر أن الخادم هل يشتريه بعين المال الحرام أو في الذمة فإن اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام وإن لم يعرف فأغالب أنه يشتري في الذمة ويجوز الأخذ بالغالب ولا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بعين مال حرام . الأصل الثالث : أنه من يشتريه فإن اشترى عن أكثر ماله حرام لم يجز وإن كان أقل ماله فقيه فنظر قد سبق وإذا لم يعرف جاز له الأخذ بأنه يشتريه بمن ماله حلال أو ممن لا يدري المشتري حاله يتبين كالمجهول وقد سبق جواز الشراء من المجهول لأن ذلك هو الغالب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال . الأصل الرابع : أن يشتريه لنفسه أو لغيره فإن التولي والخادم كالتائب وله أن يشتري له ونفسه ولكن يكون ذلك بالنية أو صريح اللفظ وإذا كان الشراء يجري بالمعاطة فلا يجري اللفظ والغالب أنه لا ينوي عند المعاطة والقصاب والحجاز ومن يعامله حول عليه ويقصد البيع منه لا ممن لا يحضرون فيقع عن جبهته ويدخل في ملكه وهذا الأصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن ثبت أنهم يأكلون من ملك الخادم . الأصل الخامس : أن الخادم يقدم الطعام إليهم فلا يمكن أن يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فإنه لا يرضى بذلك وإنما يقدم اعتقاداً على عوضه من الوقف فهو معاوضة ولكن ليس ببيع ولا إقراض لأنه لو اتهموا لمطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه فأشبهه أصل ينزل عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب أعني هدية لا لفظ فيها من شخص تقتضي قرينة حاله أنه يطعم في ثواب وذلك صحيح والثواب لازم وههنا ما طمع الخادم في أن يأخذ ثواباً فيما قدمه لإحقرهم من الوقف ليقضى به دينه من الحجاز والقصاب والبقال فهذا ليس فيمنه شبهة إذ لا يشترط لفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وإن كان مع انتظار الثواب ولا مبالاة بقول من لا يصح هدية في انتظار ثواب . الأصل السادس : أن الثواب الذي يلزم فيه خلاف قيل إنه أقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى به الواهب حتى لا أن لا يرضى بأضعاف القيمة والصحيح أنه يتبع رضاه فإذا لم يرض به عليه وههنا الخادم قد رضى بما يأخذ من حق السكان على الوقف فإن كان لهم من الحق بقدر ما أكلوه قدتم الأمر وإن كان ناقصاً ورضى به الخادم صح أيضاً وإن علم أن الخادم لا يرضى لولا أن في يده الوقف الآخرو الذي يأخذه بقوة هؤلاء السكان فكأنه رضى في الثواب بتقدير بضه حلال وبضه حرام والحرام لم يدخل في أيدي السكان فهذا كالحلل المتطرق إلى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وأنه متى يقتضى التحريم ومتى يقتضى الشبهة وهذا لا يقتضى تحريماً على ماضيه فلا تنقلب الهدية حراماً يتوصل للهدى بسبب الهدية إلى حرام . الأصل السابع : أنه يقتضى دين الحجاز والقصاب والبقال من ربيع الواقفين فإن وفي ما أخذ من حقوقهم بقيمة ما أطعمهم قد صح الأمر وإن قصر عنه فرضي القصاب والحجاز بأى ممن كان حراماً أو حلالاً فهذا خلل تطرق إلى ممن الطعام أيضاً فليفت إلى ما قدمناه من الشراء في الذمة ثم قضاء الثمن من الحرام هذا إذا علم أنه قضاء من حرام فإن احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة أبعد وقد خرج من هذا أن أكل هذا ليس بحرام ولكنه أكل شبهة وهو بعيد من الورع لأن هذه الأصول إذا كثرت وتطرق إلى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرة أدوى

من غير تكرار ومتى لم يرتفع حكم اللحم بانقضاء المدة أو ظهور شيء من محل الفرض وإن كان عليه لفافة وهو على الطهارة يفضل القديم دون استئناف الوضوء على الأصح وللأسح في السفر إذا أقام يمسح كالتيم وهكذا التيم إذا سافر يمسح كالسافر واللبد إذا ركب جوراً أو نعل يجوز المسح عليه ويجوز على الشرح إذا ستر محل الفرض ولا يجوز على اللسوج وجهه الذي يستر بعض القدم به والباقي باللفافة . فأما القصر والجمع فيجمع بين الظهر والصبر في وقت إحداها ويتم لكل واحدة ولا يفصل بينهما بكلام وغيره وهكذا الجمع بين القرب والعشاء ولا قصر في القرب والمصح بل يصلهما كيهنهما من غير قصر وجمع . والسنة

في النفس كما أن الحبر إذا طال إسناده صار احتمال الكذب والقاط فيه أقوى مما إذا قرب إسناده فهذا حكم هذه الواقعة وهي من الفتاوى وإنما أوردناها ليعرف كيفية تخرج الواقع للفتنة للتبسنة وأنها كيف ترد إلى الأصول فإن ذلك مما يحذر عنه أكثر اللتين .

(الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن اللطام المالية)

اعلم أن من تاب وفي يده غنطه فعليه وظيفة في تمييز الحرام وإخراجه ووظيفة أخرى في مصرف المخرج فليستظر فيها .

(النظر الأول في كيفية التمييز والخراج)

اعلم أن كل من تاب وفي يده ما هو حرام معلوم العين من غصب أو ودية أو غيره فأمره سهل فعليه تمييز الحرام وإن كان ملتبساً غنطاً فلا غلو إما أن يكون في مال هو من ذوات الأمثال كالحبوب والنفود والأدهان وإما أن يكون في أعيان متباينة كالعيد والدور والياب فإن كان في التباينات أو كان شامعاً في المال كله كمن اكتسب للمال تجارة يعلم أنه قد كذب في بعضها في المراجعة وصدق في بعضها أو من غصب دهنًا وخلطه بدهن نفسه أو فلي ذلك في الحبوب أو الدراهم والدنانير فلا غلو ذلك إما أن يكون معلوم القدر أو مجهولاً فإن كان معلوم القدر مثل أن يعلم أن قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف وإن كان أشكل فله طريقان أحدهما الأخذ باليقين والآخر الأخذ بظالم الظن وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه ركعات الصلاة ونحن لا نجوز في الصلاة إلا الأخذ باليقين فإن الأصل اشتغال الدمة فيستصحب ولا يبر إلا بعلامة قوية وليس في أعداد الركعات علامات يوثق بها وأما هنا فلا يمكن أن يله الأصل أن ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الأخذ بظالم الظن اجتهدا ولكن الورع في الأخذ باليقين فإن أراد الورع فطريق التحري والاجتهاد أن لا يستبق إلا القدر الذي يتيقن أنه حلال وإن أراد الأخذ بالظن فطريقه مثلا أن يكون في يده مال تجارة فسد بعضها فيتيقن أن النصف حلال وأن الثلث مثلا حرام ويثق سدس يشك فيه فيحكم فيه بظالم الظن وهكذا طريق التحري في كل ماله وهو أن يقطع القدر اللتين من الجائنين في الحل والحرمه والقدر التردد فيه إن غلب على ظنه التحريم أخرجه وإن غلب الحل جازله الامساك والورع إخراجه وإن شك فيه جاز الامساك والورع إخراجه وهذا الورع أكد لأنه صار مشكوكا فيه وجاز إمساكه اعتمادا على أنه في يده فيكون الحل أغلب عليه وقد صار ضعيفا بعد يقين اختلاط الحرام ويحصل أن يقال الأصل التحريم ولا يأخذ إلا ما يظن على ظنه أنه حلال وليس أحد الجائنين بأولى من الآخر وليس يتيقن في الحال ترجيح وهو من للشكالات . فإن قيل هب أنه أخذ باليقين لكن الذي يخرج به ليس يدرى أنه عين الحرام فقلل الحرام ما بقي في يده فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا جاز أن يقال إذا اختلطت ميتة بفسق مذكرة فهي الحرام فله أن يطرح واحدة أي واحدة كانت ويأخذ الباقى ويستعمله ولكن يقال لعل اللبنة فيها استبقاه بل لو طرح التسع واستبقى واحدة لم نحل لاحتمال أنها الحرام . فنقول هذه للوازنة كانت تصح لولا أن المال يحل بإخراج البديل لطرق للمعاوضة إليه وأما اللبنة فلا تطرق للمعاوضة إليها فليكشف الغطاء عن هذا الاشكال بالقرض في درهم معين اشترى بدرهم آخر فيمنه درهمان أحدهما حرام قد اشترى عنه وقد سئل أحمد بن حنبل رضى الله عنه عن مثل هذا فقال يبع الكل حتى يتيقن وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حمل إليه الرهنين آيتين وقال لأندى أتيهما آيتيك فتركهما فقال للرهن هذا هو الذي لك وإنما كنت أختبرك بقضى دينه ولم يأخذ

(الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن اللطام)

الرواتب يصلها بالجمع
بين السنتين قبله
القرضتين للظن
والصر وبعد الفراغ
من القرضتين يصل
ما يصل بعد القرضه
من الظن ركعتين
أو أربعة وبعد
القساغ من القرب
والعشاء يؤدي السن
الترتبة لهما ويوزر
بدهما ، ولا يجوز أداء
القرض على الدابة
بحال إلا عند التعام
القتال للغاوى ويجوز
ذلك في السن
الرواتب والنوافل
وتكفيه الصلاة على
ظهر الصلاة وفي الركوع
والسجود الإيماء
ويكون إيماء السجود
أخفض من الركوع
إلا أن يكون قادرا
على التحكك مثل أنه
يكون في محاورة وغيره
ذلك ويقوم توجهه
إلى الطريق مقام
استقبال القبلة ولا
يوجهها إلى غير
الطريق إلا لثبته حتى

الرهن وهذا ورع ولكننا نقول إنه غير واجب فلنفرض المسئلة في درهم له مالك معين حاضر فنقول إذا رد أحد المهرمين عليه ورضى به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر لأنه لا يجوز ما أن يكون الردود في علم الله هو المأخوذ فقد حصل المقصود وإن كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم في يد صاحبه فالاحتياط أن يقيما باللفظ فإن لم يعملوا وقع النقص والتبادل بمجرد المعاطة وإن كان القصب منه قد فات له درهم في يد الغاصب وعسر الوصول إلى عينه واستحق ضامه فلما أخذ وقع عن الضمان بمجرد القبض وهذا في جانبه واضح فإن الضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال في الجانب الآخر أنه لم يدخل في ملكه . فنقول لأنه أيضا إن كان قد تسلم درهم نفسه قد فات له أيضا درهم في يد الآخر فليس يمكن الوصول إليه فهو كالتائب فيقع هذا بدلا عنه في علم الله إن كان الأمر كذلك ويقع هذا التبادل في علم الله كما يقع النقص لو ألف رجلان كل واحد منهما درهما على صاحبه بل في عين مسئلتنا لو ألقى كل واحد مافي يده في البحر أو أحرقه كأن قد ألقاه ولم يكن عليه عهدة الآخر بطريق النقص فكذا إذا لم يتلف فإن القول بهذا أولى من التصير إلى أن من يأخذ درهما حراما ويطرعه في ألف ألف درهم لرجل آخر يصير كل المال معجورا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا للذهب يؤدي إليه فانظر مافي هذا من البعد وليس فيها ذكرناه إلا ترك اللفظ والمعاطة بيع ومن لا يعلمها يباع حيث يتطرق إليها احتمال إذ الفصل يصف دلالاته وحيث يمكن التلفظ وهما هذا التسليم والتسلم للبدالة قطعا والبيع غير ممكن لأن البيع غير مباح إليه ولا معلوم في عينه وقد يكون مما يقبل البيع كالخطا طرطل دقيق بألف رطل دقيق لغيره وكذا الدينس والرطب وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض . فإن قيل فأنتم جوزتم تسليم قدر حقه في مثل هذه الصورة وجعلتموه يباع . قلنا لا نجعله يباع بل نقول هو بدل عما فات في يده فيملكه كما يملك للتلف عليه من الرطب إذا أخذ مثله هذا إذا ساعده صاحب المال فإن لم يساعده وأضر به وقال لا تأخذ درهما أصلا إلا بعين ملكي فإن استهم فأنزكه ولا نهيه . وأعطى عليك مالك . فأقول على القاضي أن ينوب عنه في القبض حتى يطيب للرجل ماله فإن هذا محض التعتن والتضييق والشرع لم يرد به فإن يجوز عن القاضي ولم يجده فليحكم رجلا متدينا ليقض عنه فإن عجز فيتولى هو بنفسه ويفرد على نية الصرف إليه درهما ويتبين ذلك له ويطيب له البقي وهذا في خلط المائات أظهر وأثزم . فإن قيل فينبغي أن يحل له الأخذ وينقل الحق إلى ذمته فأى حاجة إلى الإخراج أولا ثم التصرف في الباقي . قلنا قال قائلون يحل له أن يأخذ مادام سبق قدر الحرام ولا يجوز أن يأخذ الكل ولو أخذ لم يجز له ذلك وقال آخرون ليس له أن يأخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالثوبة وقصد الإبدال وقال آخرون يجوز للأخذ في التصرف أن يأخذ منه وأما هو فلا يعطى فإن أعطى عصى هو دون الأخذ منه وما جاز أحد أخذ الكل وذلك لأن المالك لو ظهر فله أن يأخذ حقه من هذه الجملة إذ يقول لعل المصروف إلى يقع عين حق وبالعين وإخراج حق الغير وتميزه بتدفع هذا الاحتمال فهذا المال يرجع بهذا الاحتمال على غيره . وما هو أقرب إلى الحق مقدم كما يقدم المثل على القيمة والعين على المثل فكذلك ما يحتمل فيه رجوع المثل مقدم على ما يحتمل فيه رجوع القيمة وما يحتمل فيه رجوع العين يقدم على ما يحتمل فيه رجوع المثل ولوجاز لهذا أن يقول ذلك لجاز لصاحب الدرهم الآخر أن يأخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول على قضاء حقه من موضع آخر إذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك أحدهما بأن يقدر قائما بأولى من الآخر لأن ينظر إلى الأقل فيقدر أنه فائت فيه أو ينظر إلى الذي خلط فيجعل بفعله متلفا لحق غير موكلهما بعيدان جدا وهذا واضح في ذوات الأمثال فلما تقع عوضا في الاتلافات من غير عقد فأما إذا اشتبه دار بدور أو عبد ببيد فلا سبيل إلى المصلحة والتراضي .

لو حرقه دابته عن الصوب للتوجه إليه لا إلى نحو القبلة بطلت صلاته . والمائى يتنقل في السفر ويقتنه استقبال القبلة عند الإحرام ولا يجزئه في الإحرام إلا الاستقبال وقضه الإبقاء للركوع والسجود وراكب للعبادة لا يحتاج إلى استقبال القبلة للإحرام أيضا . وإذا أصبح للسافر مقيا ثم سافر ضليه أمام ذلك اليوم في الصوم وهكذا إن أصبح مسافر ثم أقام والصوم في السفر أفضل من الفطر وفي الصلاة القصر أفضل من الإتمام . فهذا القدر كاف للصوم أن يملكه من حكم الشرع في مهام سفره . فأما للندوب والمستحب فينبغي أن يطلب لنفسه رفقا في الطريق بينه على أمر الدين وقد قيل الرفيق ثم الطريق ونهى رسول الله صلى الله

فإن أبي أن يأخذ إلا عين حقه ولم يقدر عليه وأراد الآخر أن يسوق عليه جميع ملكه فإن كانت متفقة القيم فالطريق أن يبيع القاضي جميع الدور ويوزع عليهم الثمن بقدر النسبة وإن كانت متفاوتة أخذ من طالب البيع قيمة أخس الدور وصرف إلى المتنع منه مقدار قيمة الأقل وبوقف قدر التفاوت إلى البيان أو الاصطلاح لأنه مشكل وإن لم يوجد القاضي فلذلك يريد الخلاص وفي هذه السلك أن يتولى ذلك بنفسه هدمه للصلحة وماعداها من الاحتمالات ضئيلة لا تغارها وفيما سبق تنبيه على الملة وهذا في الخطة ظاهر وفي العقود دونه وفي العروض أغصم إذ لا يقع البعض بدلا عن البعض فلذلك احتيج إلى البيع ولترسم مسائل يتم بها بيان هذا الأصل . مسألة : إذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيقة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهي لجميع الورثة ولو رد من الضيقة نصفها وهو قدر حقه ساهم الورثة فإن النصف الذي لا يتميز حتى يقال هو الردود والباقي هو للنصوب ولا يصير مجزا بنية السلطان وقصد حصر النصيب في نصيب الآخرين . مسألة : إذا وقع في يده مال أخذه من سلطان ظالم ثم تاب ولال عقار وكان قد حصل منه ارتفاع فينبغي أن يحسب أجر مثله لطول تلك اللدة وكذلك كل منصوب له منفعة أو حصل منه زيادة فلا تصح توبته ما لم يخرج أجره للنصوب وكذلك كل زيادة حصلت منه وتقدر بأجرة الصيد والياب والأواني وأمثال ذلك مما لا يتأدا جارتها مما يحسر ولا يدرك ذلك إلا بالاجتهاد وتخمين وهكذا كل التفرعات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الأخذ بالأقصى وما رجع على المال للنصوب في عقود عقدتها على الدمة وقضى الثمن منه فهو ملك له ولكن فيه شبهة إذ كان ثمنه حراما كما سبق حكمه وإن كان بأعيان تلك الأموال فالعقد كانت فاسدة ، وقد قيل تنفذ بإجارة للمنصوب منه للمصلحة فيكون المنصوب منه أولى به والقياس أن تلك العقود تنسخ وتبترد الثمن وترد الأعواض فإن عجز عنه لكثرته فهي أموال حرام حصلت في يده فللمنصوب منه قدر رأس ماله والفضل حرام يجب إخراجها ليتصدق به ولا يعمل للنصيب ولا للمنصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده . مسألة : من ورث مالا ولم يدرك أن مورثه من أين اكتسبه أمن حلال أم من حرام ولم يكن ثم علامة فهو حلال باتفاق العلماء وإن علم أن فيه حراما وشك في قدره أخرج مقدار الحرم بالتحري فإن لم يعلم ذلك ولكن علم أن مورثه كان يتولى أعمالا للسلطين واحتمل أنه لم يكن يأخذ في عمله شيئا أو كان قد أخذ ولم يبق في يده منه شيء لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولا يجب وإن علم أن بعض ماله كان من الظلم فيلزم إخراج ذلك القدر بالاجتهاد . وقال بعض العلماء : لا يلزمه والاهم على الورث واستدل بما روى أن رجلا ممن ولي عمل السلطان مات قال صحابي الآن طالب ماله أي لوارثه وهذا ضعيف لأنه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل فقد كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره لحرمة الصعبة وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط ومن أين يؤخذ هذا نعم إذا لم يتيقن يجوز أن يقال هو غير مأخوذ بما لا يدري فيطيب لوارث لا يدري أن فيه حراما قينا .

(النظر الثاني في المصروف)

فاذا أخرج الحرام فله ثلاث أحوال : إما أن يكون له مالك معين فيجب الصرف إليه أو إلى وارثه وإن كان غائبا فينتظر حضوره أو الإجماع إليه وإن كان ثمنه زيادة ومنفعة فلتجتمع فوائده إلى وقت حضوره وإما أن يكون للمالك غير معين وقع اليأس من الوقوف على عينه ولا يدري أنتمات عن وارث أم لا فهذا لا يمكن الرد فيه للمالك وبوقف حتى يتضح الأمر فيه وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كنفول الضيقة فانها بدنهرق الغزاة كيف يقدر على مجهم وإن قدر فكيف يفرق دينار واحد على ألف

عليه وسلم أن يسافر
الرجل وحده إلا أن
يكون صوفيا طالما
بآفة نفسه يختار
الوحدة على بصيرة
من أمره فلا بأس
بالوحدة وإذا كانوا
جماعة ينبغي أن
يكون فيهم مقدم
أمير قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« إذا كنتم ثلاثة في
سفر فأمرؤا أحدهم »
والذي يسميه الصوفية
يشير وهو الأمير
وينبغي أن يكون الأمير
أزهد الجماعة في الدنيا
وأوفرهم حظا من
التقوى وأتمهم مروءة
وسخاوة وأكثرهم
شفقة . روى عبدالله
ابن عمر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
« خير الأصحاب عند الله
خيرهم لصاحبه » قل
عن عبد الله للروزي
أن أباطي الرباطي يحبه
فقال طي أن أن أكون أنا
الأمير أو أنت فقال
بل أنت خير زله يحمل

أولئك فهذا ينبغي أن تصدق به وإما من مال النبي والأموال المرسدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك إلى القناطر والساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وأمثال هذه الأمور التي يشترك في الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ليكون عاما للمسلمين وحكم القسم الأول لاشبهة فيه أما التصديق وبناء القناطر فينبغي أن يتولاه القاضي فيسلم إليه المال إن وجد قاضيا متدينا وإن كان القاضي مستحلا فهو بالتسليم إليه ضامن لو ابتدأ به فيما لا يضمنه فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه بل يحكم من أهل البلد علما متدينا فإن التحكيم أولى من الانفراد فإن عجز فليتول ذلك بنفسه فإن للتصود الصرف وأما عين الصارف فأما نطلبه لمصارف دقيقة في المصالح فلا يشترك أصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو أولى عند القدرة عليه . فإن قيل ما دليل جواز التصديق بما هو حرام وكيف تصدق بما لا يملك وقد ذهب جماعة إلى أن ذلك غير جائز لأنه حرام . وحكي عن الفضيل أنه وقع في يده درهمان فعاظم أنهما غير وجههما وماهما بين الحجارة وقال لا تصدق إلا بالطيب ولا أرضى لغيري ما لأرضاه لنفسي فتقول نعم ذلك له وجه واحتال وإنما اخترنا خلافة القنبر والأثر والقياس . أما الخبر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالثاة الصلية التي قدمت إليه فكلتمه بأنها حرام إذ قال صلى الله عليه وسلم أطعموها الأسارى (١) ولما نزل قوله تعالى - ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون - كذبه للشركون وقالوا للصحابه ألا تترون ما يقول صاحبكم يزعم أن الروم منتخب ، فخطبهم أبو بكر رضي الله عنه بإذن رسول الله عليه وسلم فلاحق الله صدقه وجاء أبو بكر رضي الله عنه بما قامهم به قال عليه الصلاة والسلام هذا سحت تصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله وكان قد نزل تحريم القمار بعد إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له في الحظارة مع الكفار (٢) وأما الأثر فإن ابن مسعود رضي الله عنه اشترى جارية فلم ينظر بمالكها لينقذه الجن فطلبه كثيرا فلم يجده فتصدق بالثمن وقال اللهم هذا عنه إن رضي وإلا فالأجر لي ، وسئل الحسن رضي الله عنه عن توبة القاتل وما يؤخذ منه بعد شريق الجيش فقال تصدق به . وروى أن رجلا سولت له نفسه قتل مائة دينار من النسيئة ثم أتى أسيره ليردها عليه فأبى أن يقبضها وقال له خرق الناس فأني معاوية فأبى أن يقبض فأبى بعض النساك قال ادفع خمسا إلى معاوية وتصدق بما بقي فبلغ معاوية قوله فخلعها إذ لم يخطر له ذلك ، وقد ذهب أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وجماعة من أئمة الحديث إلى ذلك . وأما القياس فهو أن يقال إن هذا المال مردود بين أن يضيع وبين أن يصرف إلى خير إذ قد وقع اليأس من مالكة وبالضرورة يعلم أن صرفه إلى خير أولى من إلقائه في البحر فإنا إن رميناه في البحر فقد فوتناه على أنفسنا وعلى المال ولم نحصل منه فائدة وإذا رميناه في يد فقير يدعو مالكة حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سد حاجته وحصول الأجر للمالك بشر اختياره في التصديق لا ينفى أن ينكر (١) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالثاة الصلية التي قدمت بين يديه وكلمته بأنها حرام إذ قال أطعموها الأسارى أحمد بن حنبل حديث رجل من الأنصار قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فلما رجنا لقينا راعى امرأة من قريش فقال إن فلانة تدعوك ومن مملكتك إلى طعام الحديث وفيه فقال أجد لهم شاة أخذت بشر إذن أهلها وفيه فقال أطعموها الأسارى وإسناده جيد (٢) حديث خاطرة أبي بكر الشريكين بأذنه صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى - ألم غلبت الروم - وفيه فقال صلى الله عليه وسلم هذا سحت تصدق به البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن عباس وليس فيه أن ذلك كان بأذنه صلى الله عليه وسلم والحديث عند الترمذي وحسنه الحاكم وصححه دون قوله أيضا هذا سحت تصدق به .

أراد لنفسه ولأبي على
على ظهره وأمنطرت
السما ذات ليلة ققام
عبد الله طول الليل
على رأس رقيقه يضطه
بكسائه عن اللطروكا
قال لا تفعل يقول ألسنت
الأمير وعليك الاحتيا
والطاعة فأما إن كان
الأمير يصحب الفقراء
لحمة الاستبناج وطلب
الرياسة والتعزير ليقسط
على الخدم في الربط
ويبلغ نفسه هواها
فهذا طريق أرباب
الموى الجهال البائسين
لطريق الصوفية وهو
سبيل من يريد جمع
الدنيا فليخذ لنفسه
وقهه مائلين إلى الدنيا
يحتسبون لتحصيل
أغراض النفس
والدخول على أبناء
الدنيا والظلة للتوصل
إلى تحصيل مأرب

النفس ولا يغفلوا
اجتماعهم هذا عن
الغوص في النسيئة
والدخول في المداخل
المكروهة والنقل في

فان في الخبر الصحيح « إن للزارع والفقير أجرة في كل ما يصبه الناس والطيور من ثماره وزرعه ^(١) » وذلك بغير اختياره ، وأما قول القائل لا تصدق إلا بالطيب فذلك إذا طلبنا الأجر لأنفسنا ونحن الآن نطلب الخلاص من الظلمة لا الأجر وترددنا بين التضييع وبين التصديق ورجعنا جانب التصديق على جانب التضييع ، وقول القائل لا ترضى لغيرنا ما لا نرضاه لأنفسنا فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه ولتفقير حلال إذا أحله دليل الشرع وإذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل وإذا حل فقد رخصنا له الحلال وقول إن له أن يصدق على نفسه وعياله إذا كان فقيرا . أما عياله وأهله فلا يخفى لأن الفقير لا يفتنى عنهم بكونهم من عياله وأهله بل هم أولى من يصدق عليهم وأما هو فله أن يأخذ منه قدر حاجته لأنه أيضا فقير ولو تصدق به على فقير لجاز وكذا إذا كان هو الفقير ، ولترسم في بيان هذا الأصل أيضا مسائل . مسألة : إذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم يرد إلى السلطان فهو أعلم بما تولاها فيقبله ماتقبله وهو خير من أن يصدق به واختار المحاسبي ذلك وقال كيف يصدق به فلعل له مالكا معينا ولو جاز ذلك لجاز أن يسرق من السلطان ويتصدق به ، وقال قوم يصدق به إذا علم أن السلطان لا يرده إلى المالك لأن ذلك إغاة للظلم وتكبير لأسباب ظلمه فالرد إليه تضييع لحق المالك ، واختار أنه إذا علم من عادة السلطان أنه لا يرده إلى مالكه فيصدق به عن مالكه فهو خير للمالك إن كان له مالك معين من أن يرد على السلطان لأنه ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق المسلمين فرد على السلطان تضييع فان كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع وإغاة للسلطان الظالم وتقويت لبركة دعاء الفقير على المالك وهذا ظاهر فإذا وقع في يده من ميراث ولم يتعد هو بالأخذ من السلطان فإنه شبيه باللقطة التي أيس عن معرفة صاحبها إذ لم يكن له أن يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له أن يتملكها ثم وإن كان غنيا من حيث إنه اكتسبه من وجه مباح وهو الالتقاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر في منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصديق . مسألة : إذا حصل في يده مال لا مالك له وجوزنا له أن يأخذ قدر حاجته لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب أسرار الزكاة ، فقد قال قوم يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله ولأنه فقير على شراء ضيقة أو تجارة يكتب بها للعائلة فعل وهذا ما اختاره المحاسبي ولكنه قال الأولى أن يصدق بالكل إن وجد من نفسه قوة التوكل ويتنظر لطف الله تعالى في الحلال فإن لم يقدر فله أن يشتري ضيقة أو يتخذ رأس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا أمسك ذلك اليوم عنه فإذا فنى عاد إليه فإذا وجد حلالا معينا تصدق بمثل ما أنفق من قبل ويكون ذلك قرصا عنده ثم إنه يأكل الخبز ويترك اللحم إن قوى عليه وإلا أكل اللحم من غير تنعم وتوسع وما ذكره لأمزيد عليه ولكن جعل ما أنفق قرصا عنده فيه نظر ولا شك في أن الورع أن يجعله قرصا فإذا وجد حلالا تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يصدق به عليه فلا يبعد أن لا يجب عليه أيضا إذا أخذ لفقره لاسيا إذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متعديا بصبه وكسبه حتى ينفذ الأمر عليه فيه . مسألة : إذا كان في يده حلال وحرام أو شبهة وليس بفضل الكل عن حاجته فإذا كان له عيال فليخمس نفسه بالحلال لأن الحاجة عليه أو كدفي نفسه منه في عبده وعياله وأولاده الصغار والكبار من الأولاد يحرمهم من الحرام إن كان لا يفيض بهم إلى ما هو أشد منه فان أفضى فيقطعهم بقدر الحاجة وبالجملة كل ما يحذر في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو أنه يتناول مع العلم والعيال بما لا يحذر إذا

الربط والاستمتاع
والزهوة وكلما كثر
العلوم في الرباط أطالوا
للقام وإن تصدرت
أسباب الدين وكلما قل
العلوم رحلوا وإن
تيسرت أسباب الدين
وليس هذا طريق
الصوفية ومن السحب
أن يودع إخوانه إذا
أراد السفر ويدعو لهم
بدهاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم . قال
بعضهم محبت عبد الله
ابن عمر من مكة إلى
المدينة فلما أردت
مفارقتها شيعني وقال
صحت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
قال لقمان لابنه يا بني
إن الله تعالى إذا
استودع شيئا حفظه
وإن استودع الله
دينك وأمانتك
وخواتم عملك . وروى
زيد بن أرقم عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال « إذا أراد
أحدكم سفرا فليودع
إخوانه فان الله تعالى

(١) حديث أجرة الزارع والفقير في كل ما يصب الناس والطيور البخاري من حديث أنس مامن مسلم يفرس غرسا أو يزرع زروعا فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له صدقة .

لم تعلم إذ لم تتول الأمر بنفسها فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن يعول وإذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤمنين كأجرة الحجام والصباغ والقصار والمحال والاطلاء والنورة والدهن ومهارة للزلز وتمهد الدابة وتسجير التنور وتحن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فإن ما يتعلق بيده ولاغنى به عنه أولى بأن يكون طيبا وإذا دار الأمر بين القوت واللباس فيحتل أن يقال يخص القوت بالحلال لأنه متخرج بلحمه ودمه وكل لحم ثبت من حرام فالنار أولى به وأما الكسوة فقائدتها ستر عورته ودفع الحر والبرد والإبصار عن جسده وهذا هو الأظهر عندى وقال الحرث المحاسبي يقدم اللباس لأنه يبقى عليه منة والطعام لا يبقى عليه لما روى أنه « لا يقبل الله صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة دراهم فيها درهم حرام ^(١) » وهذا محتمل ولكن أمثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام ^(٢) فراءة اللحم والعظم أن ينيته من الحلال أولى ولذلك تقياً الصديق رضى الله عنه ماشر به مع الجهل حتى لا يثبت منه لحم يثبت ويقي . فإن قيل فإذا كان الكل منصرفا إلى أغراضه فأى فرق بين نفسه وغيره وبين جهة وجهة ومأمرك هذا الفرق . قلنا : عرف ذلك بما روى أن رافع بن خديج رحمه الله مات وخلف ناضعا وعبدًا حجاما فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قهى عن كسب الحجام فروج مرات فنع منه فقيل إن له أيتاما فقال أعطفوه الناضح ^(٣) فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو وأدباؤه فإذا افتتح سبيل الفرق قصص عليه التفصيل الذى ذكرناه . مسئلة : الحرام الذى في يده لو تسدق به على الفقراء فله أن يوسع عليهم وإذا أنفق على نفسه فليضيّق ما قلنا وما أنفق على عياله فليقتصد وليكسر وسطا بين التوسيع والتضيّق فيكون الأمر على ثلاث مراتب فإن أنفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وإن كان غنيا فلا يطعمه إلا إذا كان في برة أو قدم ليلا ولم يجد شيئا فإنه في ذلك الوقت فقير وإن كان الفقير الذى حضر ضيفا تقياً لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينيى أن يكرم أخاه بما يكره ولا ينيى أن يعول على أنه لا يدري فلا يضره فإن الحرام إذا حصل في المعدة أثر في قساوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه ولذلك تقياً أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وإن أفتينا بأنه حلال للفقراء أحلناه بحكم الحاجة إليه فهو كالخنزير والمحر إذا أحلناها بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات مسئلة : إذا كان الحرام أو الشبهة في يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فإن كانا يسخطان فلا يؤاقتهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى فإن كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاها بل هو واجب فليتطلف في الامتناع فإن لم يقدر فليوافق وليقلل الأكل بأن يصغر اللقمة ويطل اللعغ ولا يتوسع فإن ذلك عدوان والأع والأخت قريبان من ذلك لأن أحقهما أياضاً وكذلك إذا ألبسته أمه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل

جاءل له في دعائهم البركة . وروى عنه عليه السلام أيضا أنه كان إذا ودع رجلا قال « زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما توجهت » وينبى أن يعتقد إخوانه إذا دعا لهم واستودعهم الله أن الله يستجيب دعاءه فقد روى أن عمر رضى الله عنه كان يعطى الناس عطائهم إذا جاء رجل معه ابن له فقال له عمر ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك قال الرجل أحذثك عنه يا أمير المؤمنين إني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعى على هذه الحالة فقلت أستودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت فإذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا نار تلوح على قبرها فقلت للقوم ماهذه النار فقالوا هذه من قبر فلانة زناها كل ليلة فقلت والله إنها

ولييس بن يدها ولينزع وغيتها وليجهد أن لا يصلي فيه إلا عند حضورها فيصلى فيه صلاة الضطر
 وعند تعارض أسباب الورع ينبغي أن يتفقد هذه الدقائق . وقد حكى عن جرير رحمه الله أنه ساءت
 إليه أمه رطبة وقالت بحق عليك أن تأكلها وكان يكبره فأكل ثم سعد غرفة فصعدت أمه وراءه
 فرأته يتقيأ وإنما فصل ذلك لأنه أراد أن يجمع بين رضاها وبين صيانة العدة وقد قيل لأحمد بن
 حنبل مثل بشر هل للوالدين طاعة في الشبهة فقال لا فقال أحمد هذا شديد قليل له مثل محمد بن مقاتل
 العبادي عنها فقال بر . والديك لماذا تقول فقال للسائل أحب أن تغنيى قد سمعت ما قال ثم قال
 ما أحسن أن تداربهما . مسألة : من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية
 لأنه مفلس ولا تجب عليه الزكاة إذ معنى الزكاة وجوب إخراج ربع الشر مثلاً وهذا يجب عليه
 إخراج الكل إما رداً على المالك إن عرفه أو صرفاً إلى الفقراء إن لم يعرف المالك وأما إذا كان
 مال شبهة يحتمل أنه حلال فإذا لم يخرج منه من يده لزمه الحج لأن كونه حلالاً يمكن ولا يستقط الحج
 إلا بالقرع ولم يتحقق قرعه وقد قال الله تعالى - وفيه على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً -
 وإذا وجب عليه التصديق بما يزيد على حاجته حيث يغلب على ظنه نحرجه فالزكاة أولى بالوجوب
 وإن لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص يمينين وقد قال قوم يلزمه الصوم دون
 الإطعام إذ ليس له يسار معلوم وقال الحامسي يكفيه الإطعام والذي نخاره أن كل شبهة حكمتها بوجوب
 اجتباها وألزمناه إخراجها من يده لتكون احتمال الحرام أغلب على ما ذكرناه فليجمع بين الصوم
 والإطعام أما الصوم فلا ينفلس حكماً وأما الإطعام فلا ينفلس قد وجب عليه التصديق بالجميع ويحتمل
 أن يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة . مسألة : من في يده مال حرام أمسكه للحاجة فأراد
 أن يتطوع بالحج فإن كان ماشياً فلا بأس به لأنه سبأ كل هذا المال في غير عبادة فأكله في عبادة
 أولى وإن كان لا يقدر على أن يمشى ويحتاج إلى زيادة للمركوب فلا يجوز الأخذ مثل هذه الحاجة
 في الطريق كالأخذ بجوز شراء المركوب في البلد وإن كان يتوقع القدرة على حلال لو أقام بحيث يستغنى
 به عن بقية الحرام فالإقامة في انتظاره أولى من الحج ماشياً بالمال الحرام . مسألة : من خرج لحج
 واجب بماله فيه شبهة فليجهد أن يكون قوته من الطيب فإن لم يقدر فمن وقت الإحرام إلى التحلل
 فإن لم يقدر فليجهد يوم عرفة أن لا يكون قيامه بين يدي الله ودعاؤه في وقت مطعمه حرام وملبسه
 حرام فليجهد أن لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره حرام فلما وإن جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع
 ضرورة وما ألحقناه بالطيبات فإن لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والتمس ما هو مضطر إليه من تناول
 ما ليس بطيب ففساه ينظر إليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته . مسألة :
 مثل أحمد بن حنبل رحمه الله فقال له قاتل مات أبي وترك مالا وكان يعامل من تسكره معاملته فقال
 نزع من ماله بقدر ما ربح فقال له دين وعليه دين فقال تقضى وتقضى فقال أقرى ذلك قال أقدمه
 عنصمياً بدينه وما ذكره صحيح وهو يدل على أنه رأى التحريم بإخراج مقدار الحرام إذ قال يخرج
 قدر الربع وأنه رأى أن أعيان أمواله ملك له بدلاً مما بذله في المعاصيات الفاسدة بطريق التقاص
 والتقابل مهما كثرت الصرف وعسر الراد وعول في قضاء دينه على أنه يمين فلا يترك بسبب الشبهة .

(الباب الخامس في إدراوات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم)

اعلم أن من أخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة أمور في مدخل ذلك إلى يد السلطان
 من أين هو وفي صفته التي بها يستحق الأخذ وفي المقدار الذي يأخذه هل يستحقه إذا أضيف إلى
 حاله وحال شركائه في الاستحقاق .

(الباب الخامس في إدراوات السلاطين)

كانت صوامع قوامه
 فأخذت العول حتى
 استهنا إلى القبر فحفرنا
 وإذا سراج وإذا هذا
 الغلام يدب قليل إن هذا
 وديستك ولو كنت
 استودعنا أمه لوجدتها
 فقال عمر لهو أشبه بك
 من الغراب بالغراب .
 وينبغي أن يودع كل
 منزل يرحل عنه
 بركتين ويقول : اللهم
 زودني التقوى واغفر لي
 ذنوبي ووجهي للخير
 أبنا توجعت . وروى
 أنس بن مالك قال كان
 رسول الله عليه الصلاة
 والسلام لا ينزل منزلاً
 إلا ودعه بركتين
 فينبغي أن يودع كل
 منزل ورباط يرحل
 عنه بركتين وإذا
 ركب الدابة فليقل
 - سبحان الذي سخر
 لنا هذا وما كنا
 مقرنين - بسم الله
 وآله أكبر توكلت على
 الله ولا حول ولا قوة
 إلا بالله العلي العظيم .
 اللهم أنت الحامل على

(النظر الأول في جهات الدخل للسلطان)

وكل ما يحل للسلطان سوى الإحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان : مأخوذ من الكفار وهو التينة للأخوة بالقهر والنقء وهو الذي حصل من ملهم في يد من غير قتال والجزية وأموال الصالحة وهي التي تؤخذ بالشروط والمعاقبة . والقسم الثاني المأخوذ من المسلمين فلا يحل منه إلا قبضان : للواريث وسائر الأمور الضائعة التي لا يتعين لها مالك والأوقاف التي لا متولى لها أما الصدقات فليست توجد في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وأنواع الرشوة كلها حرام فإذا كتب لفتية أو غيره إدار أو صلة أو خلة على جهة فلا يخلو من أحوال ثمانية : فانه إما أن يكتب له ذلك على الجزية أو على اللواريث أو على الأوقاف أو على ملك أحياء السلطان أو على ملك اشتراه أو على عامل خراج المسلمين أو على بيع من جملة التجار أو على الخزانة . فالأول هو الجزية وأربعة أحماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة فإ يكتب على الخمس من تلك الجهات أو على الأخماس الأربعة لما فيه مصلحة وروحي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال بشرط أن لا تكون الجزية إلا مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار أو على أربعة دنانير فانه أيضا في محل الاجتهاد واللسطان أن يفعل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط أن يكون القمى الذي تؤخذ الجزية منه مكتسبا من وجه لا يملك تحريمه فلا يكون حامل سلطان ظالما ولا يبيع خمر ولا صيا ولا امرأة إذ لا جزية عليهما فهذه أمور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تصرف إليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك . الثاني للواريث والأموال الضائعة فهي للمصالح والنظر أن الذي خلفه هل كان ماله كله حراما أو أكرهه أو أوافقه وقد سبق حكمه فان لم يكن حراما في النظر في صفة من يصرف إليه بأن يكون في الصرف إليه مصلحة ثم في المقدار للصروف . الثالث الأوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في لليراث مع زيادة أمر وهو شرط الواقف حتى يكون للأخوذ موافقا له في جميع شرائطه . الرابع ما أحياء السلطان وهذا لا يترتب فيه شرط إذ له أن يعطى من ملكه ما شاء لمن شاء أى قدر شاء وإنما النظر في أن الثالب أنه أحياء بأكرامه الأجراء أو بأداء أجرهم من حرام فان الإحياء يحصل بخمر القناة والأنهار وبناء الجسودان وتسوية الأرض ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كانوا مكرهين على الفعل لم يملكه السلطان وهو حرام وإن كانوا مستأجرين ثم قضيت أجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة قد نبهنا عليها في تعليق السكراة بالأعواض . الخامس ما اشتراه السلطان في القصة من أرض أو ثياب خلة أو فرس أو غيره فهو ملكه وله أن يتصرف فيه ولكنه سيفضي عنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة أخرى وقد سبق تفصيله . السادس أن يكتب على عامل خراج المسلمين أو من يجمع أموال القصة والمصادرة وهو الحرام السحت الذي لا شبهة فيه وهو أكثر الإدارات في هذا الزمان إلا ما على أراضي العراق فانها وقف عند الشافعى رحمه الله على مصالح المسلمين . السابع ما يكتب على بيع عامل السلطان فان كان لا يعامل غيره فانه كال خزانة السلطان وإن كان يعامل غير السلاطين أكثر فإ يعطيه قرض على السلطان وسما أخذ بدله من الخزانة فالخلل يتطرق إلى الموضع وقد سبق حكم الثمن الحرام الثامن ما يكتب على الخزانة أو على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف للسلطان دخل إلا من الحرام فهو سحت محض وإن عرف يقينا أن الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل أن يكون ما يسلم إليه بينه من الحلال احتالا قريبا له وقع في النفس واحتمل أن يكون من الحرام وهو الأغلب لأن أغلب أموال السلاطين حرام في هذه الأعصار والحلال في أيديهم معدوم أو عزيز

الظهر وأنت للسمعان على الأمور والسنة وأن يرحل من المنازل بكرة ويتبدى يوم الخميس روى كتب بن مالك قال قلنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى السفر إلى يوم الخميس وكان إذا أراد أن يبعث سرية بجها أول النهار ويستحب كلما أشرف على منزل أن يقول : اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقلن ورب الشياطين وما أظللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا للنزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا للنزل وشر أهله وإذا نزل فليصل ركعتين . وما ينبغي للمسافر أن يصحبه آلة الطهارة قيل كان إبراهيم الخواص لا يرافقه أربعة أشياء في الحضر والسفر الركوة والمجلد والإبرة

فقد اختلف الناس في هذا فقال قوم كل ما لا يتيقن أنه حرام في أن آخذه وقال آخرون لا يحل أن يأخذ ما لم يتحقق أنه حلال فلا نحل شبهة أصلاً ولا كلاماً إسرافاً والاعتدال ما قد منا ذكره وهو الحكم بأن الأغلب إذا كان حراماً حرم وإن كان الأغلب حلالاً وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق . ولقد احتج من جوز أخذ أموال السلاطين إذا كان فيها حرام وحلال مهما لم يتحقق أن عينه للأخذ حرام بما روى عن جماعة من الصحابة أنهم أدرکوا أيام الأئمة الظلمة وأخذوا الأموال منهم أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وأبو أيوب الأنصاري وجبر بن عبد الله وجابر وأنس بن مالك والمسلمين بن عمر فآخذ أبو سعيد وأبو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك وآخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج وآخذ كثير من التابعين منهم كالشعي وإبراهيم والحسن وابن أبي ليلى وآخذ الشامي من هرون الرشيد ألف دينار في دفعة وآخذ مالك من الحلفاء أموالهم وقال علي رضي الله عنه خذ ما يطيقك السلطان فأعنا يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر وإنما ترك من ترك العطاء منهم تورعاً مخافة على دينه أن يحمل على ما يحل ألا ترى قول أبي ذرٍّ «لأنحرف بن قيس خذ العطاء ما كان نحلة فإذا كان ثمان دينكم فدعوه . وقال أبو هريرة رضي الله عنه إذا أعطينا قبلنا وإذا منعتنا لم نسأل . وعن سعيد بن المسيب أن أباه هريرة رضي الله عنه كان إذا أعطاه معاوية سكت وإن منعه وقع فيه وعن الشعبي عن مسروق لا يزال العطاء بأهل العطاء حتى يدخلهم النار أي يحمله ذلك على الحرام لأنه في شبه حرام وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن المختار كان يبعث إليه المال فيقبله ثم يقول لأسأل أحداً ولأرد مارزقي الله وأهدي إليه ناقة قبلها وكان يقال لها ناقة المختار ولكن هذا يعارضه ما روى أن ابن عمر رضي الله عنهما لم ير هدية أحد إلا هدية المختار والأسناد في رده أئمتهم وعن نافع أنه قال يبعث ابن مسمر إلى ابن عمر يستين ألفاً قسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرضه من بعض من أعطاه وأعطى السائل ولما قدم الحسن بن علي رضي الله عنهما على معاوية رضي الله عنه فقال لأجيزك بجائزة لم أجزها أحداً قبلك من العرب ولا أجيزها أحداً بعدك من العرب قال فأعطاه أربعمائة ألف درهم فأخذها وعن جبيب ابن أبي ثابت قال لقد رأيت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس قبلها قبيل ما هي قال مال وكسوة وعن الزبير بن عدي أنه قال قال سليمان إذا كان لك صديق عامل أو تاجر فعارف الربا فدعك إلى طعام أو نحوه أو أعطاك شيئاً فاقبل فإن للهناً لك وعليه الوزر فإن ثبت هذا في الربى فالظالم في معناه وعن جعفر عن أبيه أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يقبلان جوائز معاوية وقال حكيم بن جبير مرنا على سعيد بن جبير وقد جعل مامل على أسفل الفرات فأرسل إلى العشارين أطلعونا بما عندكم فأرسلوا بطعام فأكلوا كلنا معه وقال العلاء بن زهير الأزدی آت إبراهيم أبي وهو عامل على حلوان فأجازه قبيل وقال إبراهيم لأبأس بجائزة المال إن للمال مؤنة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب لما أعطاك فهو من طيب ماله قد أخذ خبثه ولائهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من أطاعهم في مصبة الله تعالى وزعمت هذه الفرقة أن ما ينقل من امتناع جماعة من السلف لا يدل على التحريم بل على الورع كالحلفاء الراشدين وأبي ذرٍّ وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زاهد ومن الحلال الذي يخاف إفضاؤه إلى محذور ورها وتقوى فأقدم هؤلاء يدل على الجواز وامتناع أولئك لا يدل على التحريم وما نحل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثين ألفاً وما نحل عن الحسن من قوله لا أتوضأ من ماء صبري ولو ضاق وقت الصلاة لأنني لأدري أصل ماله كل ذلك ورع لا يشكر واتباعهم عليه أحسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع أيضاً فهذا شبهة من يجوز أخذ مال السلطان الظالم . والجواب أن ما نحل من أخذ هؤلاء محصور قليل بالاضافة إلى

وخيوطها والقراض ورويت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر حمل معه خمسة أشياء المرأة والمكحلة والسدرى والسواك والشط وفي رواية القراض والصوفية لانفاقهم الصاوي أيضاً من السنة . روى معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أخذ منيراً قد أخذ من إبراهيم وإن أخذ الصا قد أخذها إبراهيم وموسى » وروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال التوكؤ على الصا من أخلاق الأنبياء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عصا يتوكأ عليها ويأمر بالتوكؤ على الصا وأخذ الزكوة أيضاً من السنة . وروى جابر بن عبد الله قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ من

ما نقل من ردهم وإنكارهم وإن كان يتطرق إلى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق إلى أخذ من أخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة في الدرجة بتفاوتهم في الورع فان للورع في حق السلاطين أربع درجات . الدرجة الأولى : أن لا يأخذ من أموالهم شيئا أصلا كما فعله الورعون منهم وكما كان بفعله الخلفاء الراشدون حتى إن أبا بكر رضي الله عنه حسب جميع ما كان يأخذ من بيت المال فلغ ستة آلاف درهم فزعمها لبيت المال وحق إن عمر رضي الله عنه كان يقسم مال بيت المال يوما فدخلت ابنة له وأخذت درهمين من المال فقبض عمر في طلبها حتى سقطت للمخافة عن أحد منكميه ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فأدخل عمر أصبه فأخرجها من فيها وطره على الحراج وقال أيها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر إلا ما للسلين قريتهم ويبيدهم وكسح أبو موسى الأشعري بيت المال فوجد درهما فزعمه لبيت المال فقبض عمر رضي الله عنه فأعطاه إياه فرأى عمر ذلك فبد العلام فسأله عنه فقال أعطانيه أبو موسى فقال يا أبا موسى ما كان في أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبقى من أمة محمد ﷺ أحدا لا يظلمنا بظلمة ورد الدرهم إلى بيت المال هذا مع أن المال كان حلالا ولكن خاف أن لا يستحق هؤلاء القدر فكان يستبرئ لدينه ويقتصر على الأقل امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريك إلى مالا يريك » (١) » وقوله « ومن تركها فقد استبرأ لرحمة ودينه » (٢) » ولما سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وسلم من التشديدات في الأموال السلطانية حتى قال ﷺ حين بعث عبادة بن الصامت إلى الصدقة « اتق الله يا أبا الوليد لا تجيء يوم القيامة يبيع بعمله على رقبته له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها نواج فقال يا رسول الله أهلكذا يكون قال نعم والذى نفسى بيده إلا من رحم الله قال فوالذى بئسك بالحق لا تعمل على شيء أبدا » (٣) » وقال ﷺ « إنى لأخاف عليكم أن تتركوا بدي إنما أخاف عليكم أن تنافسوا » (٤) » وإنما خاف التنافس في المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال إنى لم أجد نفسى فيه إلا كالو إلى مال اليعقيم إن استغنيت استغنيت وإن افتقرت أكلت بالمعروف وروى أن ابنا لطاوس أقتل كتابا عن لسانه إلى عمر بن عبد العزيز فأعطاه ثلثمائة دينار فباع طلوس ضيعة له وبش من ثمنها إلى عمر بثلاثمائة دينار هذا مع أن السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فهذه هي الدرجة العليا في الورع . الدرجة الثانية : هو أن يأخذ مال السلطان ولكن إنما يأخذ إذا علم أن ما يأخذه من جهة خلال فاستمال بد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الآثار أو أكثرها أو ما اختص منها بأكابر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فإنه كان من البالغين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من أشدهم إنكارا عليهم وأشداهم ذما لأموالهم وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه وأشفق على نفسه من ولايته وكونه مأخوفا عند الله تعالى بها فقالوا له إننا نرجو لك الخير فحرف الآبار وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر سأكث فقال ماذا تقول يا ابن عمر فقال أقول ذلك إذا طاب لك السكب وزكت النفقة وسترد قبرى وفي حديث آخر أنه قال إن الحبيث لا يكفر الحبيث وإنك قدوليت البصرة ولا أحببك إلا قد أصبت منها شرا فقال له ابن عامر ألا تدعو لى فقال

(١) حديث دع ما يريك إلى مالا يريك تقدم في الباب الأول من الحلال والحرام (٢) حديث من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه متفق عليه من حديث الثعلب بن بشير وقد تقدم أوله في أول الباب الثانى من الحلال والحرام (٣) حديث قال لعبادة بن الصامت حين بعثه إلى الصدقة اتق الله يا أبا الوليد لا تجيء يوم القيامة يبيع بعمله على رقبته الحديث الثامن في السند من حديث طلوس مرسل ولا يلى يلى في الجمع من حديث ابن عمر مختصرا أنه قاله لسعد بن عباد وإسناده صحيح (٤) حديث إنى لأخاف عليكم أن تتركوا بدي إنما أخاف عليكم أن تنافسوا متفق عليه من حديث عقبة بن عامر .

ركوة إذ جهش الناس نحوه أى أسرعوا نحوه » والأصل فيه البكاء كالسوى يتلازم بالألم ويسرع إليها عند البكاء قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم قالوا يا رسول الله ما نجد ماء فتررب ولا توضع به إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فنظرت وهو يغور من بين أسابه مثل الميون قال فوضأ القوم منه قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة في غزوة الحديبية . ومن سنة الصوفية عند الوسط وهو من السنة . روى أبو سعيد قال « حج رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وسلم وأصحابه مشاة من المدينة إلى مكة وقال اربطوا على أوساطكم بأزركم فربطنا ومشيئا خلفه المرولة . ومن ظاهر آداب الصوفية عند

ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غول » وقد وليت البصرة فهذا قوله فيأصرفه إلى الخيرات وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال في أيام الحجاج : ما سمعت من الطعام مذاتسبت الدار إلى يومى هذا . وروى عن طى رضى الله عنه أنه كان له سويق في إزاء مخموم يشرب منه قليل أو شغل هذا بالعراق مع كثرة طعامه قال أما بنى لأخته غلابة ولكن أكره أن يجعل فيه ما ليس منه وأكره أن يدخل بطنى غير طيب فهذا هو المألوف منهم وكان ابن عمر لا يسيبه شيء إلا أخرج عنه فطلب منه نافع بثلاثين ألفا فقال إنى أخاف أن تفتنى دراهم ابن عامر وكان هو الطالب المذهب فأنت حر . وقال أبو سعيد الخدرى ما من أحد إلا وقد مات به الدنيا إلا ابن عمر فهذا يتضح أنه لا يظن بمومن كان في منصبه أنه يأخذ ما لا يدرى أنه حلال . الدرجة الثالثة : أن يأخذ ما أخذته من السلطان ليتصدق به على الفقراء أو يفرقه على السالحين فان ما لا يتعين مالكة هذا حكم الشرع فيه فإذا كان السلطان إن لم يأخذ منه لمفرقة واستعان به على ظم قد قبول أخذه منه وشرفته أولى من تركه في يده ، وهذا قد رآه بعض العلماء وسيأتى وجهه ، وعلى هذا ينزل ما أخذه أكثرهم ولذلك قال ابن المبارك إن الذين يأخذون الجواز اليوم ويعتجون بابن عمر وعائشة ما يتحدون بها لأن ابن عمر فرق ما أخذ حتى استعرض في مجلسه بعدهم فتستبين ألفا وعائشة فلت مثل ذلك وجابر بن زيد جاءه مال قصدق به وقال رأيت أن أخذه منهم وأصدق أحب إلى من أن أدعها في أيديهم وهكذا فعل الشافعى رحمه الله بما قبله من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يسك نفسه حبة واحدة ، الدرجة الرابعة : أن لا يتحقق أنه حلال ولا يفرق بل يستبقى ولكن يأخذ من سلطان أكثر ماله حلال وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة رضى الله عنهم والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن أكثر ما لهم حراما ويدل عليه تطيل طى رضى الله عنه حيث قال فان ما يأخذ من الحلال أكثر فهذا ما قد جوزوه جماعة من العلماء تمويل طى الأكثر ونحن إنما نوقفنا فيه في حق آحاد الناس ومال السلطان أشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد أن يؤدى اجتهاد مجتهد إلى جواز أخذ ما لم يعلم أنه حرام اعتمادا على الأغلب وإنما منعاه إذا كان الأكثر حراما فإذا فهمت هذه الدرجات تحققت أن ادرات الظلمة في زماننا لا تجرى مجرى ذلك وأنها مخافة من وجهين قاطعين : أحدهما أن أموال السلاطين في عصرنا حرام كلها أو أكثرها وكيف لا والحلال هو الصدقات والنفى والتنمية لا وجود لها وليس يدخل منها شيء في يد السلطان ولم يبق إلا الجزية وأنها تؤخذ بأنواع من الظلم لا يحل أخذها به فاتهم بما جاوزوا حدود الشرع في المأخوذ والمأخوذ منه والوفاء له بالشرط ثم إذا تسبب ذلك إلى ما ينصب إليهم من الخراج والضروب على المسلمين ومن المصادر والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشرين . والوجه الثانى أن الظلمة في العصر الأول تقرب عهدهم زمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومقتوفين إلى استالة قلوب الصحابة والتابعين وحرصين على قبولهم عطايهم وجوازهم وكانوا يفتشون إليهم من غير سؤال وإذلال بل كانوا يتقلدون للنة بقولهم ويفرحون به وكانوا يأخذون منهم ويفرقون ولا يطعمون السلاطين في أغراضهم ولا يشقون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحجون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم ويشكرون النكرات منهم عليهم فما كان يحذر أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم ولم يكن يأخذهم بأس فاما الآن فلا تسمع نفوس السلاطين ببطية إلا لمن طمعوا في استخدامهم والتكثيرهم والاستماعة بهم على أغراضهم والتجمل بشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والاطراء

(١) حديث لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غول مسلم من حديث ابن عمر .

خروجهم من الربط
أن يصل ركبتين في
أول التيار يوم السفر
بكرة كاذكرنا بوضع
البقرة بالركبتين
ويقدم الحنف ويضفه
ويشمر الكم البني ثم
اليسرى ثم يأخذ
اليانيد الذى يشده
وسطه ويأخذ خريطة
للداس وينفضها ويأتى
للوضع الذى يريد أن
يلبس الحنف فيفرقه
السجادة طاقين
ويحك نعل أحد
للداسين بالأخر ويأخذ
للداس باليسر
والخريطة باليمين ويضع
للداس في الخريطة
أعقابها إلى أسفل
ويشد رأس الخريطة
ويدخل للداس يده
اليسرى من كفه
الأيسر ويضع خلف
ظهره ثم يقعد على
السجادة ويقدم الحنف
يساره وينفضه
ويتبى باليمين فيلبس
ولا يدع شيئا من الران
أو النطقة يقع على

في حضورهم ومغيبهم فلم يبدل الأخذ نفسه بالسؤال أولا وبالتردد في الخدمة ثانيا وبالثناء والدعاء ثالثا وبالمساعدة على أغراضه عند الاستعانة رابعا وبتكثير جمعه في مجلسه وموكله خامسا وبإظهار الحب والولاء والنصرة له على أعدائه سادسا وبالستر على ظلمه ومقابعه وسأوى أعماله ساجدا لم ينم عليه بدرهم واحد ولو كان في فضل الشافعي رحمه الله مثلا فلا يجوز أن يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يملأ أن يحلل لأفضائه إلى هذه الغاي فكيف ما يملأ أنه حرام أو يشك فيه فمن استجرأ على أموالهم وشبه نفسه بالصحة والتابعين قد قاس للملكة بالحدادين في أخذ الأموال منهم حاجة إلى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال القتل منهم والثناء عليهم والتردد إلى أبوابهم وكل ذلك مصيبة على ماسنين في الباب الذي يلى هذا فإذا قد تبين مما تقدم مداخل أموالهم وما يعل منها وما لا يعل فلو تصور أن يأخذ الإنسان منها ما يعل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته يساق إليه ذلك لا يحتاج فيه إلى تفقد عامل وخدمته ولا إلى التناء عليهم وتزكيتهم ولا إلى مساعدتهم فلا يحرم الأخذ ولكن يكره لما من شنبه عليها في الباب الذي يلى هذا.

(النظر الثاني من هذا الباب في قدر للأخوذ وصفة الأخذ)

ولنفرض للمال من أموال الصالح كآرية أخماس التي وللوارث فإن ماعدها بمائة تعين مستحقته إن كان من وقف أو صدقة أو خمس فيء أو خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان بما أحياء أو اشتراه فله أن يعطى ماشاء لمن شاء وإنما النظر في الأموال الضامة ومال الصالح فلا يجوز صرفه إلا إلى من فيه مصلحة عامة أو هو محتاج إليه عاجز عن الكسب فأما التي الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال إليه هذا هو الصحيح وإن كان العلماء قد اختلفوا فيه ، وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على أن لكل مسلم حقا في بيت المال لكونه مسلما مكرما جمع الإسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على خصوصين بصفات فإذا ثبت هذا فكل من يتولى أمرا يقوم به تعدى مصلحته إلى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم أعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه للعلمون وللؤذنون ، وطلبة هذه العلوم أيضا يدخلون فيه فانهم إن لم يكنوا لم يتمكنوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين تربط مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الأجناد للترتبة الذين يحرسون للملكة بالسيوف عن أهل العداوة وأهل البنى وأعداء الإسلام ويدخل فيه الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج إليه في ترتيب ديوان الخراج أعني العمال على الأموال الحلال لا على الحرام فإن هذا المال للمصالح والمصاحبة إما أن تتعلق بالدين أو بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين وبالأجناد حراسة الدنيا والدين والملك توأمان فلا يستغنى أحدهما عن الآخر والطبيب وإن كان لا يرتبط بجملة أمر ديني ولكن يرتبط بصحة الجسد والدين يقيم فيجوز أن يكون له ولمن يجري مجراه في العلوم المحتاج إليها في مصلحة الأبدان أو مصلحة البلاد إدرار من هذه الأموال لينفروا لمعالجة المسلمين أعني من حال منهم بغير أجره وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز أن يعطوا من التي ظن الخلفاء الراشدين كانوا يعطون للمهاجرين والأنصار ولم يعرفوا بالحاجة وليس يشترط أيضا بتقدير بل هو إلى اجتهد الإمام وله أن يوسع ويضي وله أن يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد أخذ الحسن عليه السلام من معاوية في دفعة واحدة أربع مائة ألف درهم وقد كان عمر رضي الله عنه يعطى لجماعة اثني عشر ألف درهم نفقة في السنة ، وأثبت عائشة رضي الله عنها في هذه الجريدة وجماعة عشرة آلاف وجماعة ستة آلاف وهكذا فهذا مال هؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شيء فإن خض واحدا منهم بمال كثير فلا بأس وكذلك السلطان أن يخص

الأرض ثم يفضل يديه ويحصل وجهه إلى الموضع الذي يخرج منه ويودع الحاضرين فإن أخذ بعض الإخوان رايته إلى خارج الرباط لا يئمنه وهكذا الصواب والبرق ويودع من شيء ثم يشد الراوية برفع يدها اليمنى ويخرج اليسرى من تحت إبطه الأيمن ويشد الراوية على الجانب الأيسر ويكون كفته للأيمن خاليا وعقدة الراوية على الجانب الأيمن فإذا وصل في طرقة إلى موضع شريف أو استقبله جمع من الإخوان أو شيخ من الطائفة عمل الراوية ويحطها ويستقبلهم ويسلم عليهم ثم إذا جاوزوه يشد الراوية وإذا دنا من منزل رباطا كان أو غيره عمل الراوية ويحطها تحت إبطه الأيسر وهكذا الصواب والبرق يمكنه يساره وهذه

من هذا المال ذوى الخصائص بالخلع والجوارث فقد كان يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي أن يلتفت فيه إلى الصلحة ومهما خسر عام أو شجاع بسلة كان فيه بث للناس وتخريص على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلوات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وإنما النظر في السلاطين الظلة في شيئين : أحدهما أن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته وهو إمام موزول أو واجب العزل فكيف يجوز أن يأخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان . والثاني أنه ليس يسم بحاله جميع المستحقين فكيف يجوز للأحد أن يأخذوا أفيجوز لهم الأخذ بقدر حصصهم أم لا يجوز أصلاً أم يجوز أن يأخذ كل واحد ما أعطى . أما الأول فالذي نراه أنه لا يمنع أخذ الحق لأن السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلمه وكان في الاستبدال به فتنة تارة لاتطاق وجب تركه ووجبت الطاعة كما تحب طاعة الأمراء إذ قد ورد في الأمر بطاعة الأمراء ^(١) ولتلعن من سل يد عن مساعدتهم ^(٢) وأما وزواجر فالذي نراه أن الخلافة متعقدة للتكفل بها من بني العباس رضى الله عنه وأن الولاية نافذة للسلاطين في أقطار البلاد والبايعين للخليفة وقد ذكرنا في كتاب المستظهورى المستنبط من كتاب كشف الأسرار وهناك الأستار تأليف القاضي أبي الطيب في الرد على أصناف الروافض من الباطنية ما يشير إلى وجه الصلحة فيه . والقول الوجيز أنا زاعى الصفات والشرائط في السلاطين تشوق إلى مزاي المصالح ولو قضينا بطلان الولايات الآن لبطلت المصالح رأساً فكيف يغت رأس المال في طلب الربع بل الولاية الآن لاتتبع إلا الشوكة فمن بابيه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في أصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء في أقطار الأرض ولاية نافذة الأحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه في أحكام الإمامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلستنا نطول الآن به . وأما الإشكال الآخر وهو أن السلطان إذا لم يسم بالطاعة كل مستحق فهل يجوز للواحد أن يأخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على أربع مراتب فضلاً بعضهم وقال كل ما يأخذهم فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدري أن حصته منه دانق أو حبة فلترك السكل وقال قوم له أن يأخذ قدر قوت يومه فقط فإن هذا القدر يستحقه حاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فإن أخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذوق في هذا المال فكيف يتركه وقال قوم إنه يأخذ ما يعطى والمطلوب هم الباقون وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركاً بين المسلمين كالفضية بين الغائبين ولا كالإراث بين الورثة لأن ذلك صار ملكاً لهم وهذا لو لم يتفق قسمه حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الإرث بل هذا الحق غير متعين وإنما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما أعطى الفقراء حصصهم من الصدقات وقع ذلك ملكاً لهم ولم يتمتع بظلم المالك بقية الأصناف يمنع حقهم هذا إذا لم يصرف إليه كل المال بل صرف إليه من المال مالمو صرف إليه بطريق الأيتار والتفضيل مع تعميم الآخرين لجاز له أن يأخذ والتفضيل جائز في الطاء . سوى أبو بكر رضى الله عنه فراجعه عمر رضى الله عنه فقال إنما فضلهم عند الله وإنما الدنيا بلاغ وفضل

(١) حديث الأمر بطاعة الأمراء البخارى من حديث أنس اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زينة . وسلم من حديث أبي هريرة عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك الحديث وله من حديث أبي ذر أوصاني النبي ﷺ أن أسمع وأطيع ولو لم يجد مجمع الأطراف (٢) حديث المنع من سل اليد عن مساعدتهم الشيخان من حديث ابن عباس ليس أحد يفارق الجماعة شراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية وسلم من حديث أبي هريرة من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية وله من حديث ابن عمر من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له .

الرسوم استحساناً فقراء
خراسان والجيل ولا
يتبعها أكثر قراء
العراق والشام والغرب
ويجري بين الفقراء
مشاحة في رعايتها
فمن لا يتبعها يقول
هذه رسوم لانظم
والالتزام بها . وقوف
مع الصور وغفة عن
الحقائق ومن يتبعها
يقول هذه آداب
وضعها للتقدمون وإذا
رأوا من يخلفها أو
بشيء منها ينظرون
إليه نظر الازدراء
والحقارة ويقال هذا
ليس بصوفي وكلا
الطائفتين في الانكار
يتحدون الواجب
والصحيح في ذلك أن
من يتابعها لا ينكر
عليه فليس بمنكر
في الصرع وهو أدب
حسن ومن لم يلتزم
بذلك فلا ينكر عليه
فليس بواجب في
الشرع ولا مندوب
إليه وكثير من قراء
خراسان والجيل يبالغ

عمر رضى الله عنه في زمانه فأعطى عائشة اثني عشر ألفاً وزينب عشرة آلاف وجورية سنة آلاف وكذا صفية وأقطع عمر لعل خاصة رضى الله عنها وأقطع عثمان أيضاً من السواد خمس جنات وآثر عثمان علياً رضى الله عنها بها قبل ذلك منه ولم ينكر وكل ذلك جائز في عمل الاجتهاد وهو من المجتهدين التي أقول فيها إن كل مجتهد مصيب وهي كل مسألة لانص على عينا ولا على مسألة تقرب منها فتكون في معناها قياس جلي كهدى للسنة ومسئلة حد الشرب فانهم جلدوا أربعين وثمانين والسكل سنة وحق وإن كل واحد من أبي بكر وعمر رضى الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة رضى الله عنهم إذ الفضول وارد في زمان عمر شيئاً إلى الفاضل مما قد كان أخذه في زمان أبي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا أن كل واحد من الرايين حق فليؤخذ هذا الجنس نستورا للاختلافات التي يصب فيها كل مجتهد فأما كل مسألة شذ عن مجتهد فيها نص أو قياس جلي بخلة أو سوء رأى وكان في القوة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا حول فيها إن كل واحد مصيب بل للصيب من أصاب النص أو ما في معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا أن من وجد من أهل الخصوص للوصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين أو الدنيا وأخذ من السلطان خلة أو إداراً على التركات أو الجزية لم يصرف فاسقاً بمجرد أخذه وإنما يفسق بعمدته لم ومعاوته لإيم ودخوله عليهم وثناؤه وإطراله لهم إلى غير ذلك من لوازم لا يسلّم للدال غالباً إلا بها كما سنبينه .

(الباب السادس فيما جعل من مخالطة السلاطين الظلمة ومحرم

وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والأكرام لهم)

اعلم أن لك مع الأمراء والعلماء الظلمة ثلاثة أحوال . الحالة الأولى : وهي شرها أن تدخل عليهم والثانية وهي دونها أن يدخلوا عليك والثانية وهو الأسلم أن تعزل عنهم فلا ترام ولا يرونك . أما الحالة الأولى : وهي الدخول عليهم فهو مذموم جداً في الشرع وفيه تنقيطات وتشديدات تواردت بها الأخبار والآثار فنقلها لتعرف ذم الشرع له ثم تعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم . أما الأخبار : فإنه لما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة قال « فمن نأبذهم نجاً ومن اعتزلهم سلم أو كاد أن يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم ^(١) » وذلك لأن من اعتزلهم سلم من إثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمه معهم إن نزل بهم تركه النابذة والنازعة وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون من بصدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم يكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض ^(٢) » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم « أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء ^(٣) » وفي الخبر « خير الأمراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الأمراء »

(الباب السادس فيما جعل من مخالطة السلاطين)

(١) حديث فمن نأبذهم نجاً ومن اعتزلهم سلم أو كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم الطبراني من حديث ابن عباس بسند ضعيف وقال ومن خالطهم هلك (٢) حديث سيكون بصدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم يكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض النسائي والترمذي وصححه والحاكم من حديث كعب بن هجرة (٣) حديث أبي هريرة أبغض القراء إلى الله عز وجل الذين يأتون الأمراء تقدم في العلم .

في رعاية هذه الرسوم إلى حد يخرج إلى الإفراط وكثيراً ما يغفل بها قراء العراق والعلماء والمغاربة إلى حد يخرج إلى المضرب والأليق أن ما ينكره الشرع ينكر وما لا ينكره لا ينكر ويجعل لخصايف الاخوان أعداداً ما لم يكن فيها منكر أو إخلال بتدبؤ إليه والله للوفق .

[الباب الثامن عشر في القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه]
يبنى للفقير إذا رجع من السفر أن يستعذ بالله تعالى من آفات القلم كما يستعذ به من وعاء السفر . ومن الدعاء المأثور : « اللهم إني أعوذ بك من وعاء السفر وكآبة القلب وسوء الخلق في الأهل والمال والولد » وإذا أشرف

وفي الخبر «الماء آمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلاطين فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم» (١) رواه أنس رضي الله عنه . وأما الآثار : فقد قال حذيفة إياكم ومواقف الفتن قبل وماهى قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال أبوذر «لسلة يأسلة لاتنقى أبواب السلاطين فانك لاتصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك أفضل منه ، وقال سفيان في جهنم واد لايسكنه إلا القراء الزوارون للسلوك ، وقال الأوزاعي ما من شيء أبغض إلى الله من علم يزور عاملا . وقال حمون ما أصبح بالعلم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال عند الأمير . وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتهم العالم يحب الدنيا فانهموه على دينكم حتى جرت ذلك إذا تدخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرر مع ما أواجههم به من الظلمة والمخالطة لهموه ، وقال عهاده بن الصامت حب القاري التناكس الأمراء شاق وجه الأغنياء رياء ، وقال أبوذر من أكثر سواد قوم فهو منهم أى من أكثر سواد الظلمة ، وقال ابن مسعود رضى الله عنه إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولادين له قيل له ولم قال لأنه يرضيه بسخط الله واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا قليل كان عاملا للعباج فعزله فقال الرجل إنما عملت له على شيء يسير فقال له عمر حسبك بصحتي يوما أو بعض يوم شؤما وشرا ، وقال الفضيل ما زاداد رجل من ذى سلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا . وكان سعيد بن السيب يتجر في الزيت ويقول إن في هذا لفتى عن هؤلاء السلاطين ، وقال وهيب هؤلاء الدين يدخلون على الملوك لهم أضر على الأمة من للقامين ، وقال محمد بن سلمة الباب على العذرة أحسن من قارى على باب هؤلاء ، ولما خالط الزهرى السلطان كتب أخ له في الدين إليه : عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت محال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا قد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه محمد ﷺ وليس كذلك أخذ الله الشياق على الماء قال الله تعالى : ثيبينه للناس ولا تكتنوه - واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آتست وحشة الظالم وسهلت سبيل البغى يدنوك لمن لم يؤدقا ولم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رضى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك إلى بلادهم وسفرا يصعدون فيه إلى ضلالتهم ويدخلون بك الشك على الماء ويتنادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فبا أفسدوا عليك من دينك لما يؤمنك أن تنكون ممن قال الله تعالى فيهم - غلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة - الآية وإنك تعامل من لا يعجل ويعطف عليك من لا ينفل فداو دينك فقد دخله سقم وهي زائد فقد حضر سفر بعيد - وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء - والسلام ، فهذه الأخبار والآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وأنواع الفساد ولكن تفصل ذلك تفصيلا تفهيا نيز فيه المظهر عن الكروه والباح . فنقول : الداخلة على السلطان متعرض لأن يصي الله تعالى إما بفعله أو بسكوته وإما بقوله وإما باعتقاده فلا ينفك عن أحدهما الأمور أما الفعل فالدخول عليهم في غالب الأحوال يكون إلى دور منصوبة وتخطيطا والدخول فيها بغير إذن للملك حرام ولا يترنك قول القائل إن ذلك مما يتسامح به الناس كشمرة أو ثقات خبر فإن ذلك صحيح في غير المنصوب أما المنصوب فلا لأنه إن قيل إن كل جلسة خفيفة لاتنقى الملك فهي في محل التسامح وكذلك الاجتياز فيجربى هذا في كل واحد فيجربى أيضا في المجموع والغصب وإنما تم فعل الجميع وإنما يتسامح به

(١) حديث أنس الماء آمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلاطين الحديث القليل في الضفاء في ترجمة حفص الآبري وقال حديثه غير محفوظ تقدم في العلم .

على بلد يريد القيام بها
يشير بالسلام على من
بها من الأحياء
والأموات ويقرا من
القرآن ماتيسر
ويجسه هدية للأحياء
والأموات ويكبر قد
روى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
كان إذا قصل من
غزو أو حج يكبر على
كل شرف من الأرض
ثلاث مرات ويقول :
لا إله إلا الله وحده
لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل
شيء قدير آيرون
تائبون عابدون
ساجدون لربنا حامدون
صدق الله وحده ونصر
عبدته وهزم الأحزاب
وحده ويقول إذا رأى
البلد : اللهم اجعل لنا بها
قرارا ورضا حسنا
ولو اغتسل كان حسنا
اتقاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم حيث
اغتسل لدخول مكة .
وروى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما
رجع من طلب الأحزاب

إذا انقرد إذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فأما إذا كان ذلك طريقا إلى الاستغراق بالاشتراك لحكم التحريم بنسب على الكل فلا يجوز أن يؤخذ ملك الرجل طريقا اعتادا على أن كل واحد من الدارين إنما يخطو خطوة لاتتم للملك لأن المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة في التعليم تباح ولكن بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع أن كل واحدة من الضربات لو انقردت لكانت لا توجب قصاصا فإن فرض كون الظالم في موضع غير منصوب كالملوات مثلا فإن كان تحت خيمة أو مظلة من ماله فهو حرام والدخول إليه غير جائز لأنه استتاع بالحرام واستظل به فإن فرض كل ذلك حلالا فلا يصح بالدخول من حيث أنه دخول ولا بقوله السلام عليكم ولكن إن سجد أو ركع أو مثل قائما في سلامه وخدمته كان مكروما للظالم بسبب ولايته التي هي آلة ظلمه والتواضع للظالم محبة بل من تواضع لغيره ليس بظالم لأجل غناه لالهي آخر اقضى التواضع قص ثلثا دينه فكيف إذا تواضع للظالم فلا يباح إلا مجرد السلام فأما تقبيل اليد والانعناء في الخدمة فهو معصية إلا عند الخوف أو لإمام عادل أو لأمير المؤمنين يستحق ذلك بأمر ديني .

قبل أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه يد على كرم الله وجهه لما أن قيه بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام والاعراض عنهم استحقاقا لهم وعد ذلك من محاسن القربات فأما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر لأن ذلك واجب فلا ينبغي أن يسقط بالظالم فإن ترك الداخل جميع ذلك واقتص على السلام فلا يغلو من الجلوس على بساطهم وإذا كان أغلب أموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل . فأما السكوت فهو أنه سري في مجلسهم من الفرش الحرير وأواني الفضة والحرير اللبوس عليهم وعلى غلمانهم ماهو حرام وكل من رأى سيرة وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة بل يسمع من كلامهم ماهو خفي وكذب وشتم وإيذاء والسكوت على جميع ذلك حرام بل يراه لا يبين الثياب الحرام وآكلين الطعام الحرام وجميع ما في أيديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز فيجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه إن لم يقدر بفعله . فإن قلت : إنه يخاف من نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستثنى عن أن يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح إلا بعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالمدح وعند هذا أقول من علم فسادا في موضع وعلم أنه لا يقدر على إزالته فلا يجوز له أن يحضر ليجرى ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي أن يحترز عن مشاهدته . وأما القول فهو أن يدعو للظالم أو يثنى عليه أو يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار وجهه أو يظهر له الحب والملاواة والاشتياق إلى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه فانه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يبدو كلامه هذه الأنعام . أما الدعاء له فلا محل إلا أن يقول أصليحك الله أو وفقك الله للخيرات أو طول الله عمرك في طاعته أو ما يجرى هذا الجري فأما الدعاء بالحراسة وطول البقاء وإسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فغير جائز قال صلى الله عليه وسلم « من دعا للظالم بالبقاء قد أحب أن يعصى الله في أرضه ^(١) » فان جاوز الدعاء إلى الشاء فسيذكر ما ليس فيه فيكون به كاذبا ومناقيا ومكرما للظالم وهذه ثلاث معاص وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق ^(٢) » وفي خبر آخر « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام ^(٣) »

(١) حديث من دعا للظالم بالبقاء قد أحب أن يعصى الله في أرضه تقدم (٢) حديث إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق تقدم (٣) حديث من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام تقدم أيضا .

وتزل المدينة نزع لأمته واغتسل واستحم وإلا فليجدد الوضوء وينظف ويغسل ويستدلقاء الاخوان بذلك وينوي التبرك بمن هنالك من الأحياء والأموات ويروم . روى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خرج رجل زورا أخا له في الله فأرصد الله بمرجته مسلكا وقال ابن زيد قال أزور فلانا قال قرابة قال لا قال لئمة له عندك تشكرها قال لا قال فبم تزوره قال إنى أحبه في الله قال فاني رسول الله إليك بأنه يحبك بحبك إياه . وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا دعا الرجل أخاه أو زاره في الله قال الله له طيب وطاب مجسك وثبتوا من الجنة منزلا » وروى أن

فإن جاوز ذلك إلى التصديق له فيما يقول والتزكية والثناء على ما يحل كان عاميا بالتصديق وبالإعانة
فإن التزكية والثناء إعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيه كما أن التكذيب والذممة والتقصير زجر
عنه وتضييف لدواعيه والإعانة على المعصية ولو بشرط كلمة ، ولقد مثل سفيان الثوري رضى الله
عنه عن ظالم أشرف على الملاك في بركة هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت فإن ذلك إعانة له
وقال غيره يسقى إلى أن شوب إليه نفسه ثم يعرض عنه فإن جاوز ذلك إلى إظهار الحب والشوق إلى لقائه
وطول بقائه فإن كان كاذبا عصى معصية الكذب والافتقار وإن كان صادقا عصى بحبه بقاء الظالم وحقه
أن يفضله في الله ويعتقه فالفيض في الله واجب ومحبة المعصية والراضى بها عامى ومن أحب ظلما فإن
أحبه لظلمه فهو عامى لمحبه وإن أحبه لسبب آخر فهو عامى من حيث إنه لم يفضله وكان الواجب عليه
أن يفضله وإن اجتمع في شخص خير وشر وجب أن يحب لأجل ذلك الخير ويغض لأجل ذلك الشر
وسياتى في كتاب الإخوة والمتحابين في الله وجه الجمع بين الغض والحب فإن سلم من ذلك كله وههنا
فلا يسلم من فساد يتطرق إلى قلبه فإنه ينظر إلى توسعه في النعمة ويزدرى نعم الله عليه ويكون مقتحما
نهي رسول الله ﷺ حيث قال « يامعشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق (١) »
وهذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله إياهم إن كان
من تجمل به وكل ذلك إمامكروها أو معظورات . دعى سعيدين السبب إلى البيعة للوليد وسليمان ابني
عبد الملك بن مروان فقال لا أباع اثنين ما تختلف الليل والنهار فإن النبي ﷺ نهى عن بيعتين (٢)
فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر فقال لا والله لا يقتدى بي أحد من الناس فجلد مائة وألبس
السوح ولا يجوز الدخول عليهم إلا بعذرين . أحدهما أن يكون من جهتهم أمر إلزام لأمر إكرام
ويعلم أنه لو امتنع أودى أو فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب عليهم أمر السياسة فيجب عليه الإجابة
لإطاعتهم بل مراعاة مصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية . والثاني أن يدخل عليهم في دفع ظلم عن
مسلم سواء أوعى نفسه إما بطريق الحسبة أو بطريق النظم فذلك رخصة بشرط أن لا يكذب ولا يثني
ولا يلعن نصيحة يتوقع لها قبولاً فهذا حكم الدخول . الحالة الثالثة أن يدخل عليك السلطان الظالم
زائرا فجواب السلام لا بد منه وأما القيام والاكرام له فلا يحرم مقابلة على إكرامه فإنه باكرام العلم
والدين مستحق للاحاديث كما أنه بالظلم مستحق الإبعاد فلا إكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن الأولى
أن لا يقوم إن كان معه في خلوة ليظهر له بذلك عز الدين وحقارة الظلم ويظهر غضبه للدين وإعراضه
عمن أعرض عن الله فأعرض الله تعالى عنه وإن كان الداخل عليه في جميع فراعاة حشمة أرباب
الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا بأس بالقيام على هذه النية وإن علم أن ذلك لا يورث فسادا في الرعية
ولا يناله أذى من غضبه فترك الاكرام بالقيام أولى ثم يجب عليه بعد أن وقع اللقاء أن ينصحه فإن
كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع أن يتركه إذا عرف فليعرفه فذلك واجب وأما ذكر تحريم
ما يعلم تحريمه من السرف والظلم فلا فائدة فيه بل عليه أن يخوفه بما يرتكبه من المعاصي مهما ظن
أن التخويف يؤثر فيه وعليه أن يرشده إلى طريق الصلحة إن كان يعرف طريقا على وفق الشرع

(١) حديث يامعشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق الحاكم من حديث
عبد الله بن الشخير أقلوا الدخول على الأغنياء فإنه أجدر أن لا تزددوا نعم الله عز وجل وقال صحيح
الاسناد (٢) حديث دعا ابن السبب إلى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك فقال لا أباع اثنين
ما اختاف الليل والنهار فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين أبو نعيم في الحلية بإسناد
صحيح من رواية يحيى بن سعيد .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة » فيحصل للفقير فائدة الأحياء والأموات بذلك فافها دخل البلد يتندى بمسجد من المساجد يصل في ركعتين فإن قصد الجامع كان أكمل وأفضل وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت والرباط للفقير بمنزلة البيت ثم قصد الرباط قصد مد الرباط من السنة على ما روينا عن طلحة رضى الله عنه قال : مكان الرجل إذا قدم للمدينة وكان له بها عريف ينزل على عريفه وإن لم يكن له بها عريف نزل الصفة فكنت ممن أنزل الصفة ، فإذا دخل الرباط مضى إلى الوضع الذي يريد نزح الخف فيه فيحل

بحيث يحصل بها غرض الظلم من غير معصية لصدده بذلك عن الوصول إلى غرضه بالظلم فإذا نجح عليه التعريف في محل جهله والتخويف فيها هو مستجرب عليه والإرشاد إلى ما هو غافل عنه بما يفنيه عن الظلم فهذه ثلاثة أمور تلزمه إذا توقع للسلام فيه أثراً وذلك أيضاً لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر أو بغير عذر . وعن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة وإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فينأى أناعنده إذ دق داق الباب فاذاهو محمد بن سليمان فأذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له مالي إذا رأيته امتلأت منك ربعا قال حماد لأنه قال عليه السلام « إن العالم إذا أراد ببلعه وجه الله هابه كل شيء وإن أراد أن يكبزه به الكنوز هاب من كل شيء »^(١) ثم عرض عليه أربعين ألف درهم وقال تأخذهاو تسمن بها قال ارددها على من ظلمتها قال والله ما أعطيتك إلا ما ورثته قال لأحاجة لي بها قال فأخذها فقصمها قال لعل إن عدلت في قسمتها أخاف أن يقول بعض من لم يرزق منها إنها لم يبدل في قسمتها فيأثم فازوها عني . الحالة الثالثة : أن يعتزلمهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب إذ لاسلامة إلا فيه فليد أن يعتقد فضهم على ظلمهم ولا يجب بقايمهم ولا يثنى عليهم ولا يستخبر عن أحوالهم ولا يتقرب إلى التصلين بهم ولا يتأسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك إذا خطر بباله أمرهم وإن غفل عنهم فهو الأحسن وإذا خطر بباله تنهمم فليذكر ما قاله حاتم الأصم : إنما بيني وبين الملوك يوم واحد فأما أمس فلا يجدون لدته وإني وإياهم في غد لعل وجل وإنا هو اليوم وما عسى أن يكون في اليوم ، وما قاله أبو الدرداء إذ قال أهل الأموال يا كلون وثأكل وشربون وتلبسون وتلبس ولهم فضول أموال ينظرون إليها وتنظر معهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء وكل من أحاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغي أن يعطى ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لأن من صدر منه ما يكره قص ذلك من رتبته في القلب لإحالة والمعصية ينبغي أن تذكره فانه إما أن يغفل عنها أو يرضى بها أو يكرهه ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة فليكن جناية كل أحد على حق الله كجانيته على حقه . فان قلت الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف يجب . قلنا ليس كذلك فان الحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوه ومخالف له فان من لا يكره معصية الله لا يجب الله وإنما لا يجب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله واجبة وإذا أحببه كره ما كرهه وأحب ما أحبه وسأيت تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا . فان قلت فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين . فأقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل كما حكى أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا إلى مكة فلما دخلها قال اتنوا برجل من الصحابة قبيل يا أمير المؤمنين قد تفتانوا فقال من التابعين فأقبطاوس الجاني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بإزائه وقال كيف أنت يا هشام ؟ فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقبل له أنت في حرم الله وحرم رسوله ولا يمكن ذلك فقال له ياطاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيظا قال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم على بإمرة المؤمنين ولم تسكنني وجلست بإزائي بغير إذني وقلت كيف أنت يا هشام قال أما ما فعلت

(١) حديث حماد بن سلمة مرفوعا إن العالم إذا أراد ببلعه وجه الله هابه كل شيء . وإذا أراد أن يكبزه به الكنوز هاب من كل شيء . هذا معضل وروى أبو الشيخ بن حبان في كتاب الثواب من حديث واثة بن الأسقع من خاف الله خوف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء . وللعقبلي في الضعفاء نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما منكر .

وسطه وهو قائم ثم يخرج الخريطة بيساره من كه اليسار ويحل رأس الخريطة باليمين ويخرج للداس باليسار ثم يضع الداس على الأرض ويأخذ اليازيد ويليها في وسط الخريطة ثم ينزع خفه اليسار فإن كان على الوضع يسئل قدميه بد نزح الخلف من تراب الطريق والعرق وإذا قدم على السجادة يطوى السجادة من جانب اليسار ويمسح قدميه بما انطوى ثم يستقبل القبلة ويصل ركعتين ثم يسلم ويحفظ القدم أن يطلأ بها موضع السجود من السجادة وهذه الرسوم الظاهرة التي استحسناها بعض الصوفية لا تنكر على من يتقيد بها لأنه من استحسان الشيوخ وينتبهم الظاهرة في ذلك تهيد للرید في كل شيء هيئة مخصوصة ليكون أبدا مفتقدا

من خلع نعلى بحاشية بساطك فأتى أخيهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبى ولا يضرب على وأما قولك لم تقبل يدي فأتى سمعت أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه يقول : لا يحل لرجل أن يقبل يدا أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة وأما قولك لم تسلم على يامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب وأما قولك لم تسكنى فان الله تعالى سمى أنبياءه وأوليائه فقال يادود يا يحيى يا عيسى وكفى أعداءه فقال - ثبت يداي لأهل - وأما قولك جلست بأزائي فأتى سمعت أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه يقول إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظمي فقال سمعت من أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول إن في جهنم حيات كالقمل وعقارب كالبعال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته ثم قام وهرب وعن سفيان الثوري رضى الله عنه قال أدخلت على أبي جعفر النصور بنى فقال لي ارفع إلينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا قال فطأ رأسي ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك فقلت إنما أنزلت هذه الملة بسيف للهاجرين والأصهار وأبناءؤهم يموتون جوعا فانق الله وأوصل إليهم حقوقهم فطأ رأسي ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك فقلت حج عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال لحازنه كم أنفقت قال بضعة عشر درهما وأرى ههنا أموالا لا تطيق الجمال حملها وخرج فكذلك كانوا يدخلون على السلاطين إذا أئرموا وكانوا يفررون بأرواحهم للاتقام لله من ظلمهم ودخل ابن أبي شيلة على عبد الملك بن مروان فقال له تسلم فقال له إن الناس لا ينجون في القيامة من غصصها ومراراتها ومعانية الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه فبكي عبد الملك وقال لأجعلن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ماعشت ولما استعمل عثمان بن عفان رضى الله عنه عبد الله بن عامر أتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأ عنه أبو ذر وكان له صديقا فتابه فقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عنه ^(١) » ودخل مالك بن دينار على أمير البصرة فقال أيها الأمير قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول ما أحق من سلطان وما أجهل ممن عصاني ومن أعز عن اعتزبي أيها الراعى السوء دفعت إليك غنا سبانا صحاحا فأكلت اللحم ولبست الصوف وتركته عظاما تتفقع فقال له وإلى البصرة أتدري ما الذي يجرئك علينا ويحببنا عنك قال لا قال قلة الطمع فبنا وترك الامساك لما في أيدينا . وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فزع ووضع صدره على مقدمة الرحل فقال له عمر هذا صوت رحمتي فكيف إذا سمعت صوت عذابي ثم نظر سليمان إلى الناس فقال ما أكثر الناس فقال عمر خصباؤك يا أمير المؤمنين فقال له سليمان ابتلاك الله بهم . وحكى أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فأرسل إلى أبي حازم فدعا فلما دخل عليه قال له سليمان يا أبا حازم مالنا نكره للوث فقال لأنك خربت آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الحراب فقال يا أبا حازم كيف القدوم على الله قال يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالعائب يقدم على أهله وأما اللئى فكالآبق يقدم على مولاه فبكي سليمان وقال ليت شعري مالى عند الله قال أبو حازم اعرض نفسك على كتاب الله تعالى حيث قال - إن الأبرار لى نعيم وإن الفجار لى جحيم - قال سليمان فأين رحمة الله قال قرب من الحسين ثم قال سليمان يا أبا حازم أى عباد الله أكرم قال أهل البر والتقوى قال فأى الأعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأى الكلام أسمع قال قول الحق عند من تخاف وترجو

(١) حديث أبي ذر إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عز وجل منه لم أنف له على أصل .

لحركاته غير قادم على حركة بغير قصد وعزيمة وأدب ومن أخل من الفقهاء بشئ من ذلك لا يترك عليه مالم يحل بواجب أو مندوب لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتوا قديما بكثر من رسوم للتصوفة وكون الشبان يطالبون الوارد عليهم بهذه الرسوم من غير نظر لهم إلى النية في الأشياء غلط فلعل الفقير يدخل الرباط غير مشمر أكله وقد كان في السفر لم يشمر الأكل فبنيبه أن لا يتعاطى ذلك لنظر الخلق حيث لم يحل عندوب إليه شرعا وكون الآخر يشمر الأكل يقيس ذلك على شد الوسط وشد الوسط من السنة كما ذكرنا من شد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ساطهم في سفرهم بين المدينة ومكة فتشبه الأكل

قال فأى المؤمنين أكيس ؟ قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها قال فأى المؤمنين أخسر ؟ قال رجل خطا في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنياه غيره قال سليمان ماتقول فيها نحن فيه ؟ قال أو تفتنى قال لا بد فانها نصيحة تلقيها إلى قال يأمر المؤمنين إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بشيا قلت قال أبو حازم إن الله قد أخذ الشياطين على العلماء ليبيته للناس ولا يكتفونهم قال وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد ؟ قال أن تأخذه من حله فتضه في حقه فقال سليمان ومن بقدر على ذلك ؟ فقال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان ادع لي فقال أبو حازم : اللهم إن كان سليمان وليك فيسيره لخيرى الدنيا والآخرة وإن كان عدوك غفد بناصيته إلى ما تحب وترضى فقال سليمان أوصنى فقال أوصيك وأوجز عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك . وقال عمر بن عبد المزمز لأبي حازم عظمى فقال اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فغذبه الآن وما تتركه أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن فلعل تلك الساعة قرية . ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال تكلم يا أعرابي فقال يأمر المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته فقال يا أعرابي إنا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولانأمن غشه فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه فقال الأعرابي يأمر المؤمنين إنه قد تكفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خانوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك حرب الآخرة سلم الدنيا فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله تعالى عليه فاتهم لم يألو في الأمانة تضيقا وفي الأمة خسفا وعسفا وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غيبا من باع آخرته بدنياه غيره فقال له سليمان يا أعرابي أما إنك قد سللت لسانك وهو أقطع سيفك قال أجل يأمر المؤمنين ولكن لك لاعليك . وحكى أن أبا بكر دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتى عليك لآزداد من الدنيا إلا بعدا ومن الآخرة إلا قربا وعلى أترك طالب لآفتوته وقد نصب لك علما لآخوزه فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك ما يلحق بك الطالب وإنما وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن إليه صائرون باقى إن خيرا غير وإن شرا فشر فهكذا كان دخول أهل العلم على السلاطين أعنى علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلوهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فما يوافق أغراضهم وإن تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصد الإصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفي هذا غروران يترى بهما الحق : أحدهما أن يظهر أن قصدى في الدخول عليهم إصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على أنفسهم بذلك وإنما البائع لهم شهوة خفيفة الشهرة وتحصيل المرفة عندهم وعلامة الصدق في طاب الإصلاح أنه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من أقرانه في العلم ووقع موقع القبول وظهر به أثر الإصلاح فينبى أن يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته هذا اللهم كن وجب عليه أن يعالج مريضا شائعا فقام بمعالجته غيره فانه يعظم به فرحه فان كان يصادف في قلبه ترجيحا للكلام على كلام غيره فهو مغرور . الثانى أن يزعم أنى أقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامه وهذا أيضا مظنة القرو ومعياره ما تقدم ذكره وإذا ظهر طريق الدخول عليهم فلرسم في الأحوال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة أموالهم مسائل . مسألة : إذا بعث إليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فان كان له مالك معين فلا تجل أخذه وإن لم يكن

في معناه من الخسة والارتفاق به في الشى فمن كان مشدود الوسط مشمرا يدخل الرباط كذلك ومن لم يكن في السفر مشدود الوسط أو كان راكبا لم يشد وسطه فمن الصدق أن يدخل كذلك ولا يعتمد شد الوسط وتشمير الأكام لنظر الخلق فانه تكاف ونظر إلى الخلق ومبى التصوف على الصدق وسقوط نظر الخلق ومما ينكر على المتصوفة أنهم إذا دخلوا الرباط لا يبتدون بالسلام ويقولون للسكر هذا خلاف للندوب ولا يبنون للسكر أن ينادى إلى الانكار دون أن يعلم مقاصد فيما اعتمدوه وتركهم السلام بمحمل وجوها : أحدها أن السلام اسم من أسماء الله تعالى وقد روى عبد الله بن عمر قال «مر رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو

بل كان حكمه أنه يحرم التصديق به على الساكنين كما سبق ذلك أن تأخذه وتولى التفرقة ولا تصح
بأخذه ولكن من العلماء من امتنع عنه فعندهذا ينظر في الأولى فتقول : الأولى أن تأخذه إن أمنت
ثلاث غوائل . الغائلة الأولى : أن يظن السلطان بسبب أخذك أن ماله طيب ولولا أنه طيب لما كنت
تعد يدك إليه ولا تدخله في ضمانك فإن كان كذلك فلا تأخذه فإن ذلك محذور ولا يفي الخبر في
مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجراءة على كسب الحرام . الغائلة الثانية : أن ينظر إليك غيره
من العلماء والجهال فيفتقدون أنه حلال فيفتقدون بك في الأخذ ويستدلون به على جوازه ثم لا يفرقون
فهذا أعظم من الأول فإن جماعة يستدلون بأخذ الشافعي رضي الله عنه على جواز الأخذ ويغلون
عن تفرقته وأخذه على نية التفرقة فالمتدعي والتشبه به يبنى أن يحترز عن هذا غاية الاحتراز فإنه
يكون فعله سبب ضلال خلق كثير . وقد حكى وهب بن منبه أن رجلاً أتى به إلى ملك بمشهد من
الناس ليكرهه على أكل لحم الخنزير فلم يأكل فقدم إليه لحم غنم وأكره بالسيف فلم يأكل فقيل
له في ذلك فقال إن الناس قد اعتقدوا أنني طوبيت بأكل لحم الخنزير فإذا خرجت سالماً وقد أكلت
فلا يعلمون ماذا أكلت فيضلون . ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف أخى الحاجب وكان
عاملاً وكان في غداة باردة في مجلس بارز قال فلنامه حلم ذلك الطليسان وألقه على عبد الرحمن
أى طاوس وكان قد قصد على كرسي فألقى عليه فلم يزل يحرك كفتيه حتى ألقى الطليسان عنه
فغضب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنيا عن أن تغضبه لو أخذت الطليسان وتصدقت به قال نعم
لولا أن يقول من بعدى إنه أخذه طاوس ولا يصنع به ما أصنع به إذن لقلعت . الغائلة الثالثة : أن
يتحرك قلبك إلى حبه لتخصيصه إليك وإيثاره لك بما أتقده إليك فإن كان كذلك فلا تقبل فإن
ذلك هو السهم القاتل والداء الدفين أعنى ما يحب الظلمة إليك فإن من أحببته لابد أن يحرص عليه
وتداهن فيه قالت عائشة رضي الله عنها : جبلت النفوس على حب من أحسن إليها وقال عليه السلام
« اللهم لا تجعل لجاجر عندي بدا فيجبه قلبي »^(١) بين صلى الله عليه وسلم أن القلب لا يكاد يمتنع
من ذلك . وروى أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بعشرة آلاف درهم فأخرجها كلها فأناه
محمد بن واسع فقال ما صنعت بما أعطاك هذا الخلق ؟ قال سل أصحابي فقالوا أخرجه كله فقال
أنتمك الله أنفلك أمدحها له لأن أم قبل أن أرسل إليك ؟ قال لا بل الآن قال إنما كنت أخاف
هذا وقد صدق فإنه إذا أحبه أحب بقاءه وكره عزله ونكته وموته وأحب اتساع ولايته وكثرة
ماله وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم قال سلمان وابن مسعود رضي الله عنهما من رضى
بأمر وإن طاب منه كمن عهد قال تعالى - ولا تركنوا إلى الذين ظلموا - قيل لا ترضوا بأعمالهم
فإن كنت في القوة بحيث لاتزداد حباً لهم بذلك فلا بأس بالأخذ . وقد حكى عن بعض عباد البصرة
أنه كان يأخذ أموالاً ويغرقها فقيل له ألا تخاف أن تعجزهم فقال لو أخذ رجل يدي وأدخلني الجنة ثم
عصى ربه ما أحبه قاي لأن الذي سخره للأخذ يدي هو الذي أبغضه لأجله شكره على تسخير
إياه وبهذا تبين أن أخذ المال الآن منهم وإن كان ذلك للمال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم
لأنه لا ينفك عن هذه النوائيل ، مسألة : إن قال قائل إذا جاز أخذه ماله وتفرقته فهل يجوز أن يسرق
ماله أو تخفي ودبته وتكر وتفرق على الناس فتقول ذلك غير جائز لأنه ربما يكون له مالك معين

(١) حديث اللهم لا تجعل لجاجر عندي بدا فيجبه قلبي ابن مردويه في التفسير من رواية كثير بن
عطية عن رجل لم يسم ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وأبو موسى
الدينوري في كتاب تضييع العمر والأيام من طريق أهل البيت مرسل وأسانيده كلها ضعيفة .

يول فسلم عليه فلم يرد
عليه حتى كاد الرجل
أن يتواري فضرب
يده على الحائط ومسح
بها وجهه ثم ضرب
ضربة أخرى فمسح بها
ذراعيه ثم رد على الرجل
السلام وقال إنه لم يعنى
أن أرد عليك السلام
إلا أني لم أكن على طهره
وروى « أنه لم رد عليه
حتى توضأ ثم اعتذر
إليه وقال إنى كرهت
أن أذكر الله تعالى إلا
على طهره » وقد يكون جمع
من الفقهاء مصطحين
في السفر وقد يتفق
لأحدهم حدث فلو سلم
للتوضؤ وأمسك
المحدث ظهر حاله فيترك
السلام حتى يتوضأ من
يتوضأ ويصل قدمه
من يصل ستر الحال
على من أحدث حتى
يكون سلامهم على
الطهارة اقتداء برسول
الله صلى الله عليه وسلم
وقد يكون بعض
القيمين أيضاً على غير
طهارة فيستعجل جواب

وهو على عزم أن يرد عليه وليس هذا كما لو بثه إليك فإن العاقل لا يظن به أنه يصدق بما لا يعلم حاله فيدل تسليمه على أنه لا يعرف ملكه فإن كان ممن يشكك عليه مثله فلا يجوز أن يقبل منه المال ما لم يعرف ذلك ، ثم كيف يسرق ويحتمل أن يكون ملكه قد حصل له بشراء في ذمته فإن اليد دالة على الملك فهذا لا سبيل إليه بل لو وجد لقطة وظهر أن صاحبها جندی واحتمل أن تكون له بشراء في الذمة أو غيره وجب الرد عليه فإذا لا يجوز سرقة ما لهم لأنهم ولا ممن أودع عنده ولا يجوز إنكار ودينتهم ويجب الحد على سارق ما لهم إلا إذا ادعى السارق أنه ليس ملكا لهم فمعد ذلك يسقط الحد بالدعوى . مسألة : للعامة معهم حرام لأن أكثر ما لهم حرام فما يؤخذ عوضا فهو حرام فإن أدى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلم إليهم فإن علم أنهم يصون الله به كييع الديار منهم وهو يعلم أنهم يلبسونه فذلك حرام كييع الصب من الخمار وإنما الخلاف في الصحة وإن أمكن ذلك وأمكن أن يلبسها نساء فهو شبهة مكروهة هذا فيما يحصى في عينه من الأموال وفي معناه بيع الفرس منهم لأسيا في وقت ركوبهم إلى قتال المسلمين أو جباية أموالهم فإن ذلك إغاة لهم بغرسه وهي محظورة فأما بيع الدرام والناتير منهم وما يجري مجراها مما لا يحصى في عينه بل يتوصل بها فهو مكروه لما فيه من إغاتهم على الظلم لأنهم يستعينون على ظلمهم بالأموال والدواب وسائر الأسباب وهذه السكراة جارية في الإهداء إليهم وفي العمل لهم من غير أجره حتى في تسليمهم وتعلم أولادهم الكتابة والترسل والحساب وأما تعليم القرآن فلا يكره إلا من حيث أخذ الأجرة فإن ذلك حرام إلا من وجه يعلم حله ولو اتصبت وكلاهما يشتري لهم في الأسواق من غير جعل أو أجره فهو مكروه من حيث الإغاة وإن اشترى لهم ما يعلم أنهم يقصدون به العصية كالقلام والديار للفرش والبس والفرس للركوب إلى الظلم والقتل فذلك حرام فهم ما ظهر قصد العصية بالمبتاع حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل عكس الحال ودلتها عليه حصلت السكراة . مسألة : الأسواق التي بنوها بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فإن سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكنائها وللناس أن يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا أخرى فالأولى الشراء منها فإن ذلك إغاة لسكنائهم وتكثير لكراء حوائثهم وكذلك معاملة السوق التي لاخراج لهم عليها أحب من معاملة سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى تحرزوا من معاملة الفلاحين وأصحاب الأراضي التي لهم عليها الخراج فأنهم ربما يصرفون ما يأخذون إلى الخراج فيحصل بالإغاة وهذا غلو في الدين وخرج على المسلمين فإن الخراج قد عم الأراضي ولا غنى للناس عن ارتفاع الأرض ولا معنى للمنع منه ولو جاز هذا لحرم على المالك زراعة الأرض حتى لا يطلب خراجها وذلك مما يطول ويتبدى إلى حسم باب العاش . مسألة : معاملة قضائهم وعاملهم وخدمهم حرام كعاملتهم بل أشد أما القضاة فلا أنهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزهم فأنهم على رى العلماء ويغفلون بهم يأخذون من أموالهم والطباع مجبولة على التشبه والاتقاء بنوى الجاه والحقمة فهم سبب اتقيا الخلق إليهم وأما الخدم والحشم فأكثر أموالهم من النصب الصريح ولا يقع في أيديهم مال مصلحة وميراث وجزية ولا وجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال بالمحرم قال طاوس لا أشهد عندهم وإن تحققت لأنى أخاف تعديهم على من شهدت عليه وبالجملة إنما فسدت الرعية بفساد اللوك وفساد اللوك بفساد الطاء فلولا القضاة السوء والطاء السوء لقل فساد اللوك خوفا من إنكارهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال هذه الأمة تحت يدي الله

السلام أيضا بالطهارة لأن السلام اسم من أسماء الله تعالى وهذا من أحسن ما يذكر من الوجوه في ذلك ومنها أنه إذا قدم بمأته الإخوان وقد يكون معه من آثار السفر والطريق ما يكره فيستند بالوضوء والنظافة ثم يعلم ويصاتهم ومنها أن جمع الرباط أرباب مراقبة وأحوال فلو هجم عليهم بالسلام قد يزعج منه مراقب ويتشوش محافظ والسلام يتقدمه استئناس بدخوله واشتغاله بفصل القدم والوضوء وصلاة ركعتين فيتأهب الجميع له كما تأهب لهم بعد مسابقة الاستئناس وقال الله تعالى - حتى تستأنسوا - واستئناس كل قوم على ما يليق بحالهم ومنها أنه لم يدخل على غير بيته ولا هو يغريب منهم بل هم إخوانه

وكفه مالم تعالى* قراؤها أمراءها^(١) وإما ذكر القراء لأهم كانوا هم الطماء وإما كان عليهم بالقرآن ومعانيه للهومة بالسنة وماوراء ذلك من العلوم فهي محدثة بدهم وقد قال سفيان : لا تخالط السلطان ولا من يخالطه وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرباس وصاحب الليطة بعضهم شركاء بعض وقد صدق فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن في البحر عشرة حتى العاصر والعصر^(٢) وقال ابن مسعود رضي الله عنه « آكل الربا وموكله وشاهده وكتابه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم^(٣) » وكذا رواه جابر وعمر بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم^(٤) وقال ابن سيرين لا تعمل للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه وامتنع سفيان رحمه الله من مناوله الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال حتى أعلم ما تكتب بها فكل من حوالمهم من خدمهم وأتباعهم ظلمة مثلهم يجب بنضهم في الله جميعا . وروى عن عثمان بن زائدة أنسأله رجل من الجند وقال أبن الطريق فكنت وأظهر الصمم وخاف أن يكون متوجها إلى ظلم فيكون هو بارشاده إلى الطريق معينا وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار والحاكمة والحجابين وأهل الحمامات والصاغة والصباعين وأرباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم بل مع الكفار من أهل النعمة وإما هذا في الظلمة خاصة الأكليين لأموال البناي والساكين والواظنين على إبقاء المسلمين الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعارها وهذا لأن النصية تنقسم إلى لازمة ومتعدية والفسق لازم لا يتمدى وكذا الكفر وهو جناية على حق الله تعالى وجسا به الله وأمامية الولاء بالظلم وهو متعدى فاما ينلظ أمرهم لذلك وغدر عموم الظلم وعموم التمدي يزدادون عند الله مقتا فيجب أن يزداد منهم اجتنابا ومن معابلتهم احترازا فقد قال صلى الله عليه وسلم « يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار^(٥) » وقال عليه السلام « من أشرط الساعة رجال معهم سياط كأذناب البقر^(٦) » فهذا حكمهم ومن عرف بذلك منهم فقد عرف ومن لم يعرف فسلامته القباء وطول الشوارب وسائر الهيئات الشهوة فمن روى على تلك الهيئة تعين اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لأنه الذي جنى على نفسه إذ تزيأ بهم ومساواة الزى تدل على مساواة القلب ولا يتجان

(١) حديث لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكفه مالم تعالى* قراؤها أمراءها أبو عمرو الداني في كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلًا ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي وابن عمر بلفظ مالم يعظم أبرارها فجارها ويداهن خيارها شرارها وإسناده ضعيف (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لمن في البحر عشرة حتى العاصر والعصر الترمذي حديث غريب (٣) حديث ابن مسعود آكل الربا وموكله وشاهده وكتابه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وأحمد والسنن واللفظ للنسائي دون قوله وشاهده ولأبي داود لمن رسول الله عليه السلام آكل الربا وموكله وشاهده وكتابه ملعونون الترمذي وصححه وابن ماجه وشاهده (٤) حديث جابر لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكتابه وشاهده قالهم سواء مسلم من حديثه وأما حديث عمر فارار إلى الترمذي بقوله وفي الباب ولاين ماجه من حديثه إن آخر ما أنزل آية الربا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يفسرها فدعوا الربا والرية وهو من رواية ابن السبب عنه والجمهور على أنه لم يسمع منه (٥) حديث يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٦) حديث من أشرط الساعة رجال معهم سياط كأذناب البقر أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبي أمامة يكون في آخر الزمان رجال معهم سياط كأذناب البقر الحديث وإسناد من حديث أبي هريرة يوشك إن طالبت بك مدة أن ترى قوما في أيديهم مثل أذناب البقر وفي رواية له صفان من أهل النار لم أرها قوم معهم سياط كأذناب البقر الحديث .

والألفة بالنسبة للنوبة
الجامعة لهم في طريق
واحد وللزل منزله
والوضع موضعه فيرى
البركة في استفتاح
الزل بمعاملة الله قبل
معاملة الخلق وكما عهد
عذرهم في ترك السلام
ينفي لهم أن لا ينكروا
على من يدخل ويبتدئ
بالسلام فكأن من ترك
السلام له نية فالتى ابتدأ
به له أيضا نية وللقوم
آداب ورد بها الشرع
ومنها آداب استحضنها
شيوخهم فما ورد به
الشرع ما ذكرنا
من شد الوسط والصا
والركوة والابنداء
باليمين في لبس الخف
وفي نزعه باليسار . روى
أبو هريرة رضي الله
عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال « إذا
استلتم فابدؤا باليمين
وإذا خلعت فابدؤا
بالييسار أو اخلعها
جميعا أو اخلعها جميعا »
روى جابر رضي الله عنه
« أن رسول الله صلى

إلا يحبون ولا يتشبه بالفاسق إلا فاسق نعم الفاسق قد يتشبه فيشبه بأهل الصلاح فأما الصالح فليس له أن يتشبه بأهل الفساد لأن ذلك تكثير لسوئهم وإنما نزل قوله تعالى - إن الدين توفاكم للملائكة ظملى أنفسهم - في قوم من المسلمين كانوا يكثر جماعة الشركين بالمخالطة وقد روى أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال ما بال الأخبار قال إنهم لا يفتضون لضي فكانوا يؤاكلونهم ويشربونهم وبهذا يتبين أن بعض الظلمة والنصب عليه واجب . وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ «إن الله لعن علماء بني إسرائيل إذ خالطوا الظالمين في معاشهم» (١) . مسألة : الواضع التي بناها الظلمة كالقناطر والرباطات والساجدات والسقايات ينبغي أن يحتاط فيها وينظر أما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاختراز ما أمكن وإن وجد معدلاً تأكد الورع وإنما يجوزنا العبور وإن وجد معدلاً لأنه إذا لم يفرق تلك الأعيان مالها كان حكمها أن ترصد للخيرات وهذا خير فاما إذا عرف أن الأجر والحجر قد نقل من دار معلومة أو مقبرة أو مسجد معين فهذا لا يحل العبور عليه أصلاً إلا للضرورة محل بها مثل ذلك من مال الغير ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه وأما المسجد فإن بني في أرض مقصورة أو غنشب مقصوب من مسجد آخر أو ملك معين فلا يجوز دخوله أصلاً ولا للجمعة بل للوقوف الآمام فيه فليصل هو خلف الآمام وليقف خارج المسجد فإن الصلاة في الأرض المقصورة تسقط القرض وتتعد في حق الاقتداء فذلك يجوزنا للقتدى الاقتداء بمن صلى في الأرض المقصورة وإن عصى صاحبه بالوقوف في النصب وإن كان من مال لا يعرف مالكة فالورع المدول إلى مسجد آخر إن وجد فإن لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لأنه يحتمل أن يكون من الملك الذي بناه ولو طي بعد وإن لم يكن له مالك معين فهو لمصالح المسلمين ومهما كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا غدر لمن صلى فيه مع اتساع المسجد أعنى في الورع قبل لأحمد بن حنبل ما حجتك في ترك الخروج إلى الصلاة في جماعة ونحن بالسكر قال حجتى أن الحسن وإبراهيم التيمي خافا أن يفتنهما الحجاج وأنا أخاف أن أفتن أيضاً وأما الحلوق والتجصيص فلا يمنع من الدخول لأنه غير متنع به في الصلاة وإنما هو زينة والأولى أنه لا ينظر إليه وأما البوارى التي فرشوها فإن كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها وإلا فيعد أن أرصدت لمصلحة عامة جاز اقتراشها ولكن الورع المدول عنها فإنها محل شبهة . وأما السقايات فحكمها ما ذكرناه وليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول إليها إلا إذا كان يخاف فوات الصلاة فيتوضأ وكذا مصانع طريق مكة . وأما الرباطات والمدارس فإن كانت ربة الأرض مقصورة أو الأجر منقولاً من موضع معين يمكن الرد إلى مستحقه فلا رخصة للدخول فيه وإن التمس المالك فقد أرصد لجهة من الخير والورع اجتنابه ولكن لا يلزم الفسق بدخوله وهذه الأبنية إن أرصدت من خدم السلاطين فالأمر فيها أشد إذ ليس لهم صرف الأموال الضائعة إلى الصالح ولأن الحرام أغلب على أموالهم إذ ليس لهم أخذ مال الصالح وإنما يجوز ذلك للولاة وأرباب الأمر . مسألة . الأرض المقصورة إذا جعلت شارعاً لم يجوز أن تتخطى فيه أبنية وإن لم يكن له مالك معين جاز والورع المدول إن أمكن فإن كان الشارع مباحاً وفوقه سابط حاز العبور وجاز الجلوس تحت السابط على وجه لا يحتاج فيه إلى

الله عليه وسلم كان يغلق اليسرى قبل اليمنى ويلبس اليمنى قبل اليسرى « وبسط السجادة وردت به السنة وقد ذكرناه وكون أحدهم لا يعتمد على سجادة الآخر مشروع ومننون وقد ورد في حديث طويل «لا يؤم الرجل الرجل في سلطانه ولا في أهله ولا يجلس على تكمرته إلا بإذنه» وإذا سلم على الاخوان بما قسمهم وماشوقه فقد روى جابر بن عبد الله قال « لما قدم جعفر من أرض الحبشة عاقبه النبي صلى الله عليه وسلم » وإن قبلهم فلا بأس بذلك روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر قبل بين عينيه وقال ما أنا بفتح خير أسر منى يقدم جعفر» ويصافح إخوانه فقد قال عليه السلام « قبله السلم أخاه الصالحة» وروى أنس

(١) حديث ابن مسعود لعن الله علماء بني إسرائيل إذ خالطوا الظالمين في معاشهم أبوداود والترمذى وابن ماجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو إسرائيل في العاصي نهمهم علماءهم فلم ينتهوا فبالسوءهم في مجالسهم وواكلهم وشاربهم فغضب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم انظر الترمذى وقال حسن غريب

السقف كما ينفذ في الشارع لشغل إذا انتفع بالسقف في دفع حر الشمس أو لظن أو غيره فهو حرام لأن السقف لا يراد إلا لذلك وهكذا حكم من يدخل مسجدا أو أرضا مباحة سقف أو حوط بضم بانه بمجرد التخطي لا يكون منتفعا بالحيطان والسقف إلا إذا كان له فائدة في الحيطان والسقف حر أو برد أو تبر عن بصر أو غيره فذلك حرام لأنه انتفاع بالحرام إذ لم يحرم الجلوس على القصب لما فيه من الماسة بل للانتفاع والأرض تراد للاستقرار عليها والسقف للاستظلال به فلا فرق بينهما .

(الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر سبب الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى)

مسألة : سئل عن خادم الصوفية يخرج إلى السوق ويجمع طعاما أو ثوبا ويشتري به طعاما فينقله إلى محل له أن يأكل منه وهل يخص بالصوفية أم لا . قلنا أما الصوفية فلا شبهة في حقهم إذا أكلوه وأما غيرهم فيعمل لهم إذا أكلوه برضا الخادم ولكن لا يخلو عن شبهة أما الحل فلأن ما يعطى خادم الصوفية إنما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو للهطى للصوفية فهو كالرجل العليل يعطى بسبب عياله لأنه متكفل بهم وما يأخذه يقع ملكا له لا للعاليل ولا أن يطعم غير العيال إذ يبعد أن يقال لم يخرج عن ملك المعطى ولا يسلط الخادم على التبرأ به والتصرف فيه لأن ذلك مصر إلى أن العاطاة لا تكفي وهو ضيف ثم لا صائر إليه في الصدقات والمهدايا ويعد أن يقال زال الملك إلى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله في الخاتمة إذ لا خلاف أنه أن يطعم منه من يقدم بعدهم ولو ماتوا كلهم أو واحد منهم لا يجب صرف نصيبه إلى وراثته ولا يمكن أن يقال إنه وقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق لأن إزالة الملك إلى الجهة لا توجد تسليط الأحاد على التصرف فان الداخلين فيه لا ينصرفون بل يدخل فيه من يوله إلى يوم القيامة وإنما تصرف فيه الولاء والخادم لا يجوز له أن يتصحب نائباً عن الجهة فلا وجه إلا أن يقال هو ملكه وإنما يطعم الصوفية بوفاء شرط التصوف والروء فان منعهم عنه منعه عن أن يظهر نفسه في معرض التكفل بهم حتى يقطع وقفه كإقطع عن مات عياله . مسألة : سئل عن مال أوصى به للصوفية فمن الذي يجوز أن يصرف إليه قلنا التصوف أمر باطن لا يطلع عليه ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته بل بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العرف في إطلاق اسم الصوفي والضابط الكلي أن كل من هو صوفي إذا نزل في خاياه الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا عندهم فهو داخل في غمارهم والتفصيل أن يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفرق وزى الصوفية وأن لا يكون مشتغلا بحرفة وأن يكون عالما بطريق الساكنة في الخاتمة ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم وبعضها ينجر البعض فالفسق يمنع هذا الاستحقاق لأن الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من أهل الصلاح بصفة مخصوصة فالذي يظهر فسقه وإن كان على زيه لا يستحق ما أوصى به للصوفية ولنا نعتبر فيه الصفاة . وأما الحرفة والاشتغال بالكسب يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل والتاجر والصانع في حانوته أو داره والأجير الذي يخدم بأجرة كمل هؤلاء لا يستحقون ما أوصى به للصوفية ولا ينجر هذا بالزى والمخالطة فأما الورقة والحيطة وما يقرب منهما مما يليق بالصوفية تعاطيا فإذا تعاطاها لا في حانوت ولا على جهة اكتساب وحرفة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجر بما كتبه أيام مع بقة الصفات وأما القدرة على الحرف من غير مباشرة لا تمنع وأما الوعظ والتدريس فلا ينافي اسم التصوف إذا وجدت بقة الحاصل من الزى والساكنة والفرق إذ لا يتناقض أن يقال صوفي مفرى وصوفي واعظ وصوفي عالم أو مدرس ويتناقض أن يقال صوفي دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل وأما الفقر فإن زال بغير مفرط ينسب الرجل إلى الروء الظاهرة فلا يجوز معه أخذ صفة الصوفية وإن كان له مال ولا يخله

(الباب السابع في مسائل متفرقة)

ابن مالك قال : قيل
يا رسول الله الرجل يلقي
صديقه وأخاه ينحى له
قال لا قيل يلتزمه ويقبله
قال لا قيل فيصافحه قال
نعم ويستحب للفقراء
القيمين في الرباط أن
يتلقوا الفقراء بالترحيب
روى عكرمة قال : قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم جئت :
مرحبا بالراكب
للهاجر مرتين وإن
قاموا إليه فلا بأس
وهو مسنون . روى
عنه عليه السلام أنه
قام لجعفر يوم قدمه
ويستحب للخدام أن
يقدّم له الطعام . روى
لقيط بن صبرة قال
« وقدنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فلم تصافحه في منزله
وصادفنا عائشة رضي
الله عنها فأمرت لنا
بالحريرة فضمت لنا
وأتينا ببقاع فيه تمر
والقناع الطبق فأكلنا
ثم جاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال

بخرجه لم يطل حقه وكذا إذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة وإن لم يكن له خرج وهذه أمور لا دليل لها إلا العادات وأما الخالطة لهم ومساكنتهم فلها أثر ولكن من لا يخالطهم وهو في داره أو في مسجد على زهم ومتعلق بأخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكان ترك الخالطة يجبرها ملازمة الزى فإن لم يكن على زهم ووجد فيه بقية الصفات فلا يستحق إلا إذا كان مساكناً لهم في الرباط فينسحب عليه حكمهم بالبيعة فالخالطة والزى ينوب كل واحد منهما عن الآخر والفقير الذي ليس على زهم هذا حكمه فإن كان خارجاً لم يعد صوفياً وإن كان ساكناً معهم ووجدت فيه الصفات لم يعد أن ينسحب بالبيعة عليه حكمهم . وأما ليس للرقعة من بدشيع من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعنده لا يضره مع وجود التراطيل المذكورة . وأما التأهل للتردد بين الرباط والسكن فلا يخرج ذلك عن جملتهم . مسألة : ما وقف على رباط الصوفية وسكانه فالأمر فيه أوسع مما أوصى لهم به لأن معنى الوقف الصرف إلى مصالحهم فلغير الصوفي أن يأكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة أو مرتين فإن أمر الأطعمة مبني على التسامح حتى جاز الانفراد بها في الغنائم المشتركة وللقول أن يأكل معهم في دعوتهم من ذلك الوقت وكان ذلك من مصالح معاشهم وما أوصى به للصوفية لا يجوز أن يصرف إلى قوال الصوفية بخلاف الوقف وكذلك من أحضره من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض في استالة قلوبهم محلهم الأكل برضاهم فإن الواقف لا يقف إلا معتقداً فيه ما جرت به عادات الصوفية فينزل على أعرف ولكن ليس هذا على الدوام فلا يجوز لمن ليس صوفياً أن يسكن معهم على الدوام وبأكل وإن رضوا به إذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم . وأما الفقير إذا كان على زهم وأخلاقهم فله التزول عليهم وكونه قبيحاً لا ينافي كونه صوفياً والجهل ليس بشرط في التصوف عند من يعرف التصوف ولا يلتفت إلى خرافات بعض الخلق بقولهم إن العلم حجاب فإن الجهل هو الحجاب وقد ذكرنا أوّل هذه الكلمة في كتاب العلم وأن الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود وذكرنا المحمود والمذموم وشرحهما . وأما الفقير إذا لم يكن على زهم وأخلاقهم فلم ينم من التزول عليهم فإن رضوا بتزوله فيحل له الأكل معهم بطريق البيعة فكان عدم الزى تجبره للسكنة ولكن برضا أهل الزى وهذه أمور تشهد لها العادات وفيها أمور متقابلة لا يخفى أطرافها في النفي والاثبات ومتشابهة أوساطها فمن احتز في مواضع الاشتباه قد استبرأ لدينه كأنهنا عليه في أبواب الشبهات . مسألة : سئل عن الفرق بين الرشوة والهبة مع أن كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض وقد حرمت إحداها دون الأخرى . قلنا باذل المال لا يفسد قط إلا لترض ولكن الغرض إما أجل كالثواب وإما عاجل والمأجل إما مال وإما فضل وإعانة على مقصود معين وإما تقرب إلى قلب الهدى إليه بطلب محبة إما للهبة في عينها وإما للتوصل بالهبة إلى غرض وراءها فالأقسام الحاصلة من هذه خمسة الأول : ما غرضه الثواب في الآخرة وذلك إما أن يكون لكون المصروف إليه محتاجاً أو عالماً أو متنبئاً بنسب ديني أو صالحاً في نفسه متديناً فما علم الأخذ أنه يعطاه لحاجته لا يحل له أخذه إن لم يكن محتاجاً وما علم أنه يعطاه لشرف نسبه لا يحل له إن علم أنه كاذب في دعوى النسب وما يعطى لعله فلا يحل له أن يأخذه إلا أن يكون في العلم كاعتقده الله - فإن كان خيل إليه كالا في العلم حتى يشبه بذلك على التقرب ولم يكن كاملاً لم يحل له وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له أن يأخذه إن كان فاسقاً في الباطن فسقاً لوعله العطي ما أعطاه وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لقيت القلوب مائلة إليه وإعنا ستر الله الجليل هو الذي يحب الخلق إلى الخلق وكان للتورعون بوكون في الشراء من لا يعرف أنه وكلمهم حتى لا يتساعوا في البيع خيفة من أن يكون ذلك أكلاً بالدين فإن ذلك محظر والنبي خفي لا كالم

أصبتم عينا قلنا نعم
يا رسول الله ويستحب
للقادم أن يقدم للفقراء
شيئاً لحق القدوم .
ورد أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما
قدم للدينة عرج جزورا
وكراهيتهم تقديم القادم
بمد الصبر وجهه من
السنة منع النبي صلى
الله عليه وسلم عن
طروقي الليل والصوفية
بمد الصبر يستعدون
لاستقبال الليل
بالطهارة والانتكباب
على الأذكار والاستغفار
روى جابر بن عبد الله
قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « إذا قدم
أحدكم من سفر فلا
يطرقن أهله ليلا »
وروى كعب بن مالك
أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان
لا يقدم من السفر إلا
نهارا في الضحى
فيستحبون القدوم في
أول النهار فإن فات
من أول النهار قصد
ينفق تمويق من

والنهب والفقر فينبغي أن يحتجب الأخذ بالدين ما أمكن . القسم الثاني : ما يقصد به في العاجل غرض معين كالقبر يهدي إلى الفنى طمعا في خاتمة فهذه هبة بشرط الثواب لا ينبغي حكمها وإنما تحمل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط المقود . الثالث : أن يكون المراد إغاثة بفعل معين كالاحتياج إلى السلطان يهدي إلى وكيل السلطان وخاصة ومن له مكانة عنده فهذه هدية بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فليست في ذلك العمل الذى هو الثواب فإن كان حراما كالسمي في تجيز إدرار حرام وأظلم إنسان أو غيره حرم الأخذ وإن كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه أو شهادة متينة فيحرم عليه ما يأخذه وهى الرشوة التى لا يشك في تحريمها وإن كان مباحا لا واجبا ولا حراما وكان فيه تب ببحث لو عرف لحاز الاستحجار عليه فما يأخذه حلال مهما وفى بالعرض وهو جار مجرى الجمالة كقوله أوصل هذه القصة إلى يد فلان أو يد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج إلى تب وعمل متقوم أو قال اقترح على فلان أن يعينى فى غرض كذا أو يتم على بكذا وافترق في تجيز غرضه إلى كلام طويل فذلك جعل كما يأخذه الوكيل بالخصومة بين يدي القاضى فليس بحرام إذا كان لا يسمى فى حرام وإن كان مقصوده يحصل بكلمة لاتعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذى الجاه أو تلك القصة من ذى الجاه فبذلك لا تعلق دونه باب السلطان أو كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لأنه عوض من الجاه ولم يثبت في الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على التهي عنه كما سيأتى في هدايا الملوك وإذا كان لا يجوز العوض عن إسقاط الشفعة والرد باليب ودخول الأغصان في هواء الملك وجملة من الأغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه ويقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلة واحدة بنه باهلى دواء ينفرد بعرفته كواحدينفرد بالعلم بنبت قلع البواسير أو غيره فلا بد كره إلا بعوض فإن عمله بالتلفظ به غير متقوم كحبة من مسهم فلا يجوز أخذ العوض عليه ولا على عمله إذ ليس ينتقل عمله إلى غيره وإنما يحصل للغير مثل عمله ويبقى هو عالما به ودون هذا الحاذق في الصناعة كالصيقل مثلا الذى يزيل اعوجاج السيف أو الرأفة بدقة واحدة لحسن معرفته بعوض الحلال ولحذقه باصاته بقدر يزيد بدقة واحدة مال كثير في قيمة السيف والرأفة فهذا لا يرى بأسا بأخذ الأجرة عليه لأن مثل هذه الصناعات يتعب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويغف عن نفسه كثرة العمل . الرابع : ما يقصد به الهبة وجلبها من قبل المهدي إليه بالعرض معين ولكن طلبا للاستئناس وتأكيذا للصحة وتوددا إلى القلوب فذلك مقصود للعقل . ومنذوب إليه في الشرع قال صلى الله عليه وسلم «تهادوا تحابوا»^(١) وعلى الجملة فلا يقصد الانسان في الغالب أيضا محبة غيره لعين المحبة بل لمائدة في محبة ولكن إذا لم تعين تلك القائدة ولم يمتثل في نفسه غرض معين يمتثل في الحال أو المال سمي ذلك هدية وحل أخذها . الخامس : أن يطلب التقرب إلى قلبه وتحصيل محبة لاجته ولا لأنس به من حيث إنه أنس فقط بل ليتوصل بجاهه إلى أغراض له ينحصر جنسها وإن لم ينحصر عينها وكان لولاجاهه وحشمة المكان لا يهدي إليه فإن كان جاهه لأجل علم أو نسب فالأمر فيه أخف وأخذه مكروه فإن فيه مشابة الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها فإن كان جاهه بولاية تولاها من قضاء أو عمل أو ولاية صدقة أو جباية مال أو غيره من الأعمال السلطانية حتى ولاية الأوبة مثلا وكان لولائك الولاية مكان لا يهدي إليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية إذا قصد بها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن لأمر ينحصر في جنسه إذ يمكن التوصل إليه بالولايات لا ينبغي وآية أنه لا ينبغي المحبة أنه لو وفى في الحال غيره لم يسم للمال إلى ذلك القبر فهذا مما اتفقوا على أن الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراما والعض

(١) حديث تهادوا تحابوا البيهقي من حديث أبي هريرة وضعه ابن عدى .

روى أبو رفاعة قال
« أنبت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو
يخطب قهلت يارسل
الله رجل غرب جاء
يسأل عن دينه
لا يدري مدينه قال
فأقبل النبي صلى الله
عليه وسلم على وترك
خطبته ثم أتى بكرسى
قواحه من حديد
فهم رسول الله ثم جعل
يفسح بماعله الله ثم أتى
خطبته وأتم آخرها
فأحسن أخلاق الفقراء
الفرق بالمسلمين
وأحبال للكره من
للموع وللرئ وقد
يدخل تغير بعض الربط
ويحل شي من مراسم
للتصوفة فينهز ويخرج
وهذا خطأ كبير قد
يكون خلق من
الصالحين والأولياء
لا يعرفون هذا الترم
الظاهر ويفسدون
الباطنية سالحة فاذا
استقبلوا بالمكره
يخى أن تنشوش
بواطنهم من الأذى

(كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الظاهر ويقصدون
الرباط بنية صالحة فإذا
استقبلوا بالمكروه
يخشى أن تنشوش
بواطنهم من الأذى

(کتاب آداب الصحبة)

أما بعد : فان التحاب في الله تعالى والأخوة في دينه من أفضل القربات . وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجارى العادات . ولها شروط بها يلتحق المتحابون بالمتحابين في الله تعالى وفيها حقوق برعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان ، فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله تعالى وباللحظة عليها تنال الدرجات العلى ، ونحن نبين مقاصدها السكت في ثلاثة أبواب . الباب الأول : في فضيلة الألفة والأخوة في الله تعالى وشروطها ودرجاتها وفوائدها . الباب الثاني : في حقوق الصبة وأدائها وحقيقتها ولوازمها . الباب الثالث : في حق السلم والرحم والجوار والملك وكيفية للامشارة مع من قد بلى بهذه الأسباب .

(الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها)

(فضيلة الألفة والأخوة)

اعلم أن الألفة نعمة حسن الخلق والفرق نعمة سوء الخلق ، فحسن الخلق يوجب التحاب والتألف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابير ومهما كان الثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا يخفى في الدين فضيلته وهو الذى مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال - وإنك لملى خلق عظيم - وقال النبی صلی الله علیه وسلم « أكرم ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق » (١) وقال أسامة بن شريك قلنا يا رسول الله « ما خير ما أعطى الإنسان ؟ فقال خلق حسن » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « بثت لأتمم بحسن الأخلاق » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « أنقل ما يوضع في الميزان خلق حسن » (٤) وقال ﷺ « ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « يا أباهريرة عليك بحسن الخلق قال أباهريرة رضى الله عنه وما حسن الخلق يا رسول الله ؟ قال تصل من قطعك وتمنع عن ظلمك وتمطى من حرمك » (٦) ولا يخفى أن نعمة الخلق الحسن الألفة وانه قطع الوحشة ومهما طاب الثمر طابت الثمرة ، وكيف وقد ورد في الشفاء على نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة هي التقوى والدين وحب الله . ومن الآيات والأخبار والآثار ما في كفاية ومقتنع . قال الله تعالى مظهر عظيم منه على الخلق بنعمة الألفة - لو أنقمت ما في الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - وقال - فأصبحتم بنعمته إخوانا - أى بالألفة ثم قدم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل - واعتصموا بعجل الله جميعا ولا تفرقوا - إلى - لعلكم تهتدون - وقال ﷺ « إن أقربكم منى مجلسا أحاسنكم أخلاقا اللوطون أكنافا الذين يألون يألون » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم

(الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة)

(١) حديث أول ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق الترمذى والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح الإسناد وقد تقدم (٢) حديث أسامة بن شريك يا رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان قال خلق حسن ابن ماجه بإسناد صحيح (٣) حديث بثت لأتمم بحسن الأخلاق أحمد والبيهقى والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة (٤) حديث أنقل ما يوضع في الميزان خلق حسن أبوداود والترمذى من حديث أبى الدرداء وقال حسن صحيح (٥) حديث ما حسن الله خلق امرئ وخلقه قطمعه النار ابن عدى والطبرانى في معارج الأخلاق وفي الأوسط والبيهقى في شعب الإيمان من حديث أبى هريرة قال ابن عدى في إسناده بعض التكررة (٦) حديث يا أباهريرة عليك بحسن الخلق قال وما حسن الخلق قال تصل من قطعك وتمنع عن ظلمك وتمطى من حرمك البيهقى في الشعب من رواية الحسن عن أبى هريرة ولم يسمع منه (٧) حديث إن أقربكم منى مجلسا أحاسنكم أخلاقا اللوطون أكنافا الذين يألون يألون الطبرانى في معارج الأخلاق من حديث جابر بسند ضعيف ،

ویدخل على التكر
عليه ضرر في دينه
ودنيه فليحذر ذلك
وينظر إلى أخلاق
النبي صلى الله عليه وسلم
وما كان يتمتع مع
الحق من للدارة
والرفق وقد صح
« أن أعرابيا دخل
للسجد وبال فأمر النبي
عليه السلام حتى أتى
بذئوب فصحب على ذلك »
ولم ينهر الأعرابي بل
رفق به وعرفه الواجب
بالرفق واللين والفظافة
والتنظيف ؟ والتسلط
على للسجين بالقول
والقفل من النفوس
الحبيطة وهو ضد حال
التصوفة ومن دخل
الرباط بمن لا يصلح
للمقام به رأسا بصرف
من للوضع على ألطف
وجه بعد أن يقدم له
طعام ويحسن له الكلام
فهذا الذى يليق بسكان
الرباط وما يتمتع
الفسقاء من تميز
القادم فخلق حسن
ومعاملة صالحة وردت

« المؤمن إلف مألوف ولاخير فيمن لا يآلف ولا يؤلف ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم في الشاء على الأخوة في الدين « من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين إذا التقيا مثل الدين تسلسل إحداها الأخرى وما التقى مؤمنان قط إلا أقاد الله أحدهما من صاحبه خيرا ^(٣) » وقال عليه السلام في الترغيب في الأخوة في الله « من آخى أخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله ^(٤) » وقال أبو إدريس الخولاني لما ذابني أحبك في الله فقال له أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس وهم لا يفرحون وخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، قيل من هؤلاء يا رسول الله ؟ فقال هم المتحابون في الله تعالى ^(٥) » ورواه أبو هريرة رضى الله عنه وقال فيه « إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور وجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يشبههم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله منهم لنا فقال لهم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والتراؤرون في الله ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه ^(٧) » ويقال إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وإنه يلتحق به

(١) حديث المؤمن إلف مألوف ولاخير فيمن لا يآلف ولا يؤلف أحمد والطبراني من حديث سهل ابن سعد والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه (٢) حديث من أراد الله به خيرا رزقه أخا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه غريب بهذا اللفظ والمعروف أن ذلك في الأمير ورواه أبو داود من حديث عائشة إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه الحديث ضعفه ابن عدى ولأبي عبد الرحمن السلمي في آداب الصجبة من حديث علي من سعادة المرء أن يكون إخوانه صالحين (٣) حديث مثل الأخوين إذا التقيا مثل الدين تسلسل إحداها الأخرى الحديث السلمي في آداب الصجبة وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من الحزبيات (٤) حديث من آخى أخا في الله عز وجل رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس ما أحدث عبد أخا في الله عز وجل إلا أحدث الله عز وجل له درجة في الجنة وإسناده ضعيف (٥) حديث قال أبو إدريس الخولاني لما ذابني أحبك في الله فقال أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة الحديث أحمد والحاكم في حديث طويل إن أبا إدريس قال قلت والله إنني لأحبك في الله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن المتحابين يجلل الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذي من رواية أبي مسلم الخولاني عن معاذ بلفظ المتحابون في جلاله لهم منابر من نور يشبههم النبيون والشهداء قال حديث حسن صحيح وأحمد من حديث أبي مالك الأشعري إن الله عبدا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغطهم الأنبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله الحديث وفيه تحابوا في الله وتضافوا به يرضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فتجعل وجوههم نوراً وبهاهم نوراً يفرح الناس يوم القيامة ولا يفرحون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه (٦) حديث أبي هريرة إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور وجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء الحديث النسائي في سننه الكبرى ورجاله ثقات (٧) حديث ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح الاسناد.

بحال سنة روى عمر رضى الله عنه قال : « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلام له حبشي يضر ظهره فقلت يا رسول الله ما شأنك فقال إن الناقة اتصمت بي » قد يحسن الرضا بذلك عن يضر في وقت تعب وقدمه من السفر فأما من يتخذ ذلك عادة ويحب التعمير ويستجلب به النوم ويساكنه حتى لا يغوته فلا يليق بحال الفقراء وإن كان في الشرع جائزا وكان بعض الفقراء إذا استرسل في الضمير واستلذه واستدعاه يحتمل فيرى ذلك الاحتلام عقوبة استرساله في التعمير ولأرباب العزائم أمور لا يسهل فيها الركون إلى الرخص . ومن آداب الفقير إذا استقر وقد سد قدمه أن لا يتسدى بالكلام دون أن يستل ويستحب أن يمكث

كما تلتحق القرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله لم تسكن دون أخوة الولادة. قال عز وجل - ألقناهم بذرلائهم وما لنا بهم من العلم من شيء - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول حققت محبتي للذين يزاورون من أجلي وحققت محبتي للذين يتحابون من أجلي وحققت محبتي للذين يتبادلون من أجلي وحققت محبتي للذين يتناصرون من أجلي (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالأسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دفعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم له مالها ماتتفق عليه (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « مازار رجل رجلا في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن رجلا زار أخا له في الله فأرصاده له ملكا فقال أين تريد قال أريد أن أزور أخي فلانا فقال له حاجة لك عنده قال لا قال له القرابة بينك وبينه قال لا قال فيمنعه له عندك قال لا قال فم قال أحبه في الله قال فان الله أرسلني إليك يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أوتيت عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله (٦) » فلماذا يجب أن يكون للرجل أعداء يبغضهم في الله كما يكون له أصدقاء وإخوان يحبهم في الله. وروى أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء أما زهدك في الدنيا فقد نتجت الراحة وأما اعتطاك إلى فقد تمزجت في ولكن هل عادت في عدوا أو هل واليت في وليا. وقال عليه السلام « اللهم لا تجعل لنا جارا على منة فترزقه مني محبة (٧) » وروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام « لو أنك عديت بعبادة أهل السموات والأرض وحب في الله ليس وببغض في الله ليس ما أغني عنك ذلك شيئا » وقال عيسى عليه السلام : تحبوا إلى الله يبغض أهل العالمين وتفرّبوا إلى الله بالتباعد منهم والتخوارفا الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجاس قال جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في علمك كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله. وروى في الأخبار السابقة أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارعد نفسك إخوانا وكل خدن وصاحب لا يوازرك على سرّك فهو لك عدو

(١) حديث إن الله يقول حققت محبتي للذين يزاورون من أجلي وحققت محبتي للذين يتحابون من أجلي الحديث أحمد من حديث عمرو بن عبسة وحديث عبادة بن الصامت ورواه الحاكم وصححه

(٢) حديث إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي مسلم

(٣) حديث أبي هريرة سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث مازار رجل رجلا في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة ابن عدي من حديث أنس دون قوله شوقا إليه ورغبة في لقائه ولترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة من عاد مريضا أوزار أخا في الله ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا قال الترمذي غريب (٥) حديث إن رجلا زار أخا له في الله فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٦) حديث أوتيت عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله أحمد من حديث البراء بن عازب وفيه ليث بن أبي سليم يختلف فيه والخراطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٧) حديث اللهم لا تجعل لنا جارا على منة فترزقه مني محبة في الكتاب الذي قبله .

ثلاثة أيام لا يصعد زيارة
أومشهدا أو غير ذلك
مما هو مقصوده من
الدينه حتى يذهب عنه
وعشاء الفري ويصود
باطنه إلى هيبته قد
يكون بالفرو عوارضه
تغير باطنه وتكدر
حتى تجتمع في الثلاثة
الأيام همه وينصاح
باطنه ويستمد لقاء
للشايخ والزيارات
يقننور الباطن فان
باطنه إذا كان منورا
يستوفي حظه من الخير
من كل شيخ وأخ
يزوره . وقد كنت
أسمع شيخنا يوصي
الأصحاب ويقول
لا تكلموا أهل هذا
الطريق إلا في أسنى
أوقاتكم وهذا فيه
فائدة كبيرة فان نور
الكلام على قدر نور
القلب ونور السمع على
قدر نور القلب فإذا
دخل على شيخ أو أخ
وزاره ينبغي أن يستأذنه
إذا أراد الانصراف
قد روي عبد الله بن

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال : يا داود مالي أراك متبذرا وحيدا قال إلهي قلت الخلق من أجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتمد لنفسك أخذانا وكل خدن لا يوافقك على سرني فلا تصاحبه فإنه لك عدو بقى قلبك وياعدك مني . وفي أخبار داود عليه السلام أنه قال يارب كيف لي أن يحبني الناس كلهم وأسلم فيما بيني وبينك قال خالقي الناس بأخلاقهم وأحسن فيما بيني وبينك وفي بعضها خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة . وقال النبي ﷺ « إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم للمشاهون بالقيمة الفرقون بين الإخوان ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألفت بين قلوب عبادك الصالحين ^(٢) » وقال أيضا « ما أحدث عبد أخا في الله إلا أحدث الله له درجة في الجنة ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة يضيء حسنهم لأهل الجنة كأنضئ الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله فيضيء حسنهم لأهل الجنة كأنضئ الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله ^(٤) » . الآثار : قال علي رضي الله عنه عليكم بالإخوان فانهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار - فإنا لمن شافين ولا صديق حميم - وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والله لو صلت النهار لأفطره وقت الليل لأناثمه وأنفتحت مالي غلقا غلقا في سبيل الله أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما تمنى ذلك شيئا . وقال ابن السكك عند موته اللهم إنك تعلم أنني إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطعك فأجعل ذلك قربة لي إليك . وقال الحسن علي ضنه يا ابن آدم لا يفرنك قول من يقول المرء مع من أحب فانك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فان البيود والنصاري يحبون أنبياءهم وليسوا معهم وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع وقال الفضيل في بعض كلامه هاهم تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بأى عمل عملته بأى شهوة تركتها بأى بيط كظنته بأى رحم قاطع وصلتها بأى زلة لأخيك غفرتها بأى قريب باعدته في الله بأى بعيد قاربه في الله . ويرى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام هل عملت لي عملا قط فقال إلهي إني صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت فقال إن الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والمزكاة نور فأى عمل عملت لي ! قال موسى إلهي دنى على عمل هولا قال يا موسى هل واليت لي وليا قط وهل عادت في عدوا قط فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله . وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو أن رجلا قام بين الركن والمقام بعد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب . وقال الحسن رضي الله عنه مصارمة العاصي قربان إلى الله وقال رجل لعمد بن واسع إني لأحبك في الله فقال أحبك الذي أحببتني له ثم حول وجهه وقال اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض ودخل رجل

(١) حديث إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون الحديث الطبراني في الأسط والصغير من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألفت بين قلوب عبادك الصالحين أبو الشيخ ابن حبان في كتاب المظلة من حديث معاذ بن جبل والرباض بن سارية بسند ضعيف (٣) حديث ما أحدث عبد أخا في الله تعالى إلا أحدث الله له درجة في الجنة ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس وقد تقدم (٤) حديث المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة الحديث الحكيم الترمذي في النوادر من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .

عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده فلا يقوم من حتى يستأذنه » وإن نوى أن يقيم أياما وفي وقته سعة ولنفسه إلى البطالة وترك العمل تشوف يطلب خدمة يقوم بها وإن كان دائم العمل لربه فكفى بالعبادة شغلا لأن الخدمة لأهل العبادة تقوم مقام العبادة ولا يخرج من الرباط إلا باذن المقدم فيه ولا يفعل شيئا دون أن يأخذ رأيه فيه فهذه جمل أعمال يعتمدها الصوفية وأرباب الربط والله تعالى فضله يزعمون توفيقا وتأديبا .

[الباب التاسع عشر في حال الصوفي للتسبب]
اختلف أحوال الصوفية في الوقوف مع الأسباب والاعراض عن الأسباب فمنهم من كان على الفتوح لا يركن

على داود الطائي قال له ما حاجتك ؟ فقال زيارتك فقال أما أنت فقد عملت خيرا حين ررت ولكن انظر ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي من أنت فتزار أمن الزهاد أنت لا والله أمن العباد أنت لا والله أمن الصالحين أنت لا والله ثم أقبل بوجه نفسه ويقول كنت في الشبية فاسقا فلما شخت صرت مراثيا والله للمرأى شر من الفاسق وقال عمر رضي الله عنه إذا أصاب أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به قبلما يصيب ذلك وقال مجاهد التحابون في الله إذا التفتوا فكثير بعضهم إلى بعض تحتات عنهم الخطايا كما تحت ورق الشجر في الشتاء إذابيس وقال الفضيل نظر الرجل إلى وجه أخيه على الودة والرحمة عبادة .

(بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا)

اعلم أن الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما ذكره وهو أن الصحبة تنقسم إلى مايقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار أو بسبب الاجتماع في المكتب أو في المدرسة أو في السوق أو على باب السلطان أو في الأسفار وإلى ما ينشأ اختيارا ويقصد وهو الذي نريد بيانه إذ الأخوة في الدين واقعة في هذا القسم لاحالة إذلا ثواب الاعلى الأفعال الاختيارية ولا ترغيب إلا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الأمور لا يقصد الانسان بها غيره إلا إذا أحبه فان غير المحبوب يحبب ويأعد ولا يقصد مخالطته والذي يحب فاما أن يحب لذاته لياتوصل به إلى محبوب ومقصود وراه وإما أن يحب للتوصل به إلى مقصود وذلك المقصود إما أن يكون مقصورا على الدنيا وحفظها وإما أن يكون متعلقا بالآخرة وإما أن يكون متعلقا بالله تعالى فهذه أربعة أقسام . القسم الأول : وهو حب الإنسان لذاته فذلك ممكن وهو أن يكون في ذاته محبوا عندك على معنى أنك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة أخلاقه لاحتسانك له فان كل جميل لتلذذ في حق من أدرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاحتسان والاحتسان يتبع النسيئة والملازمة واللواقعة بين الطابع ثم ذلك المستحسن إما أن يكون هو الصورة الظاهرة أغنى حسن الحلقة وإما أن يكون هي الصورة الباطنة أغنى كمال العقل وحسن الأخلاق ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لاحالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل مستحسن فمستلذبه ومحبوب بل في اختلاف القلوب أمر أغمض من هذا فانه قد تستحکم الودة بين شخصين من غير ملاحاة في صورة ولا حسن في خلق وخلق ولكن مناسبة باطنة توجب الألفة واللواقعة فان شبه الشيء يجذب إليه بالطبع والأشياء الباطنة خفية ولها أسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك حيث قال « الأرواح جنود مجنده فإتعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ^(١) » فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التشابه الذي عبر عنه بالتعارف وفي بعض الألفاظ « الأرواح جنود مجنده تلتقي فتتشام في الهواء ^(٢) » وقد كنى بعض العلماء عن هذا بأن قال إن الله تعالى خلق الأرواح فتلقى بعضها فلما وأطافها حول العرش فأبى روحين من فلتين تعارفا هناك فالتقيتا واصلتا في الدنيا . وقال صلى الله عليه وسلم « إن أرواح المؤمنين يلتقيان على مسيرة يوم ومأراى أحدهما صاحبه قط ^(٣) » وروى « أن امرأة بمكة كانت تضحك للنساء وكانت بالمدينة أخرى قزلت الكعبة

(١) حديث الأرواح جنود مجنده فإتعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف مسلم من حديث أبي هريرة والبخاري تعليقا من حديث عائشة (٢) حديث الأرواح تلتقي فتتشم في الهواء الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث علي بن الأرواح في الهواء جند مجنده تلتقي فتتشم الحديث . (٣) حديث إن أرواح المؤمنين يلتقيان على مسيرة يوم ومأراى أحدهما صاحبه قط أحمد من حديث عبدالله بن عمرو بلفظ تلتقي وقال أحدهم وفيه ابن لهيعة عن دراج .

إلى معلوم ولا يقسب بكسب ولا سؤال ومنهم من كان يكتب ومنهم من كان يسأل في وقت فاقته ولم في كل ذلك أدب واحد براعونه ولا يتعدونه وإذا كان التقدير يسوس همه بالعلم يأتيه الفهم من الله تعالى في الذي يدخل فيه من سبب أو ترك سبب فلا ينبغي للتقدير أن يسأل مهما أمكن قد حث النبي عليه السلام على ترك السؤال بالترغيب والترهيب فأما الترغيب فإروى ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ضمن لي واحدة أكفل له بالجنة قال ثوبان قلت أنا قال لتسأل الناس شيئا » فكان ثوبان تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدا بئاوله وينزل هو ويأخذها . وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال

على المدينة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فأضحكتها فقالت أين نزلت فذكرت لها صاحبها فقالت صدق الله ورسوله (١) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الأرواح جنود مجندة» الحديث والحق في هذا أن الشاهدة والتجربة تشهد للاتلاف عند التناصب والتناصب في الطباع والأخلاق باطنا وظاهرا أمر مفهوم . وأما الأسباب التي أوجبت تلك النسبة فليس في قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هذين النجم أن يقول إذا كان طالعه على تدبيس طالع غيره أو تلبسه فهذا نظر للوافة والودة فتقتضي التناصب والتواد وإذا كان على مقابله أو تريهه اتقى التباغض والصدادة فهذا لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنة الله في خلق السموات والأرض لكان الإشكال فيه أكثر من الإشكال في أصل التناصب فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر فما أوتينا من العلم إلا قليلا ويكتفى في التصديق بذلك التجربة والمشاهدة فقد ورد الخبر به قال صلى الله عليه وسلم «لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه ولو أن منافقا دخل إلى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس إليه (٢)» وهذا يدل على أن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع وإن كان هو لا يشعر به . وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر وإن أجناس الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وفيهما مناسبة قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فجب من ذلك فقال اتخفا وليسا من شكل واحد ثم طارا فإذاها أعرجان فقال من ههنا اتفقا ولذلك قال بعض الحكماء : كل إنسان يأنس إلى شكله كأن كل طير يطير مع جنسه ، وإذا اصططح اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يفترقا ، وهذا معنى خفي فظن له الشعراء حتى قال قائلهم :

وقائل حكيف تفارقتما فقلت قولاً فيه إنصاف

لم يك من شكلي ففارقتي والناس أشكال وألأف

فقد ظهر من هذا أن الإنسان قد يحب لذاته لا لقائده تال منه في حال أو مآل بل مجرد المجانسة والنسابة في الطباع الباطنة والأخلاق الحمية ويدخل في هذا القسم الحب للجمال إذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فإن الصور الجميلة مستلذة في عينها وإن قدر قد أصل الشهوة حتى يستلذ النظر إلى الفواكه والأنوار والأزهار والتفاح الشرب بالجمرة وإلى الماء الجاري والحضرة من غرض سوى غيرها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله إلا أنه إن اتصل به غرض مذموم صار مذموماً كحب الصورة الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يعمل قضاؤها وإن لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم إذ الحب إما محمود وإما مذموم وإما مباح لا يحمده ولا يذمه . القسم الثاني : أن يحبه لئان من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة إلى محبوب غيره والوسيلة إلى المحبوب محبوب وما يحب لغيره كان ذلك التبر هو المحبوب بالحققة ولكن الطريق إلى المحبوب محبوب ولذلك أحب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما إلا لا يعلم ولا يلبس ولكنهما وسيلة إلى المحبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث

(١) حديث إن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت للسمية على المدينة فدخلت على عائشة فذكرت حديث الأرواح جنود مجندة الحسن بن سفيان في مسنده بالقصة بسند حسن وحديث عائشة عند البخاري تعليقا مختصرا دونها كما تقدم (٢) حديث لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس وفيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه الحديث البيهقي في شعب الإيمان موقوفا على ابن مسعود وذكره صاحب الفردوس من حديث معاذ بن جبل ولم يخرج له ولده في السند .

رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأن يأخذ أحدكم جبلا فيحطب على ظهره فيأكل ويصدق خبره من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه فان اليد العليا خير من اليد السفلى» . أخبرنا الشيخ الصالح أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل الحافظ القدسي قال أخبرني والدي قال أنا أبو محمد الصيرفي يحداد قال أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد قال ثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال ثنا علي ابن الجعد قال تناشعبة عن أبي حمزة قال سمعت هلال بن حصين قال : أتيت للمدينة فنزلت دار أبي سعيد فضئق وإياه المجلس فحدث أنه أصبح ذات يوم وليس عندهم طعام فأصبح وقد عصب على بطنه حجرا من الجوع فقالت لي امرأتك انت رسول الله صلى الله

إنه وسيلة إلى المقصود إذ يتوصل به إلى نيل جاه أو مال أو علم كما يجب الرجل سلطانا لا تتفاهه بماله أو جاهه ويجب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتهديم أمره في قلبه بالتوصل إليه إن كان مقصور الفائدة على الدنيا لم يكن حبه من جملة الحب في الله وإن لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به إلا الدنيا كحب التلبذ لأستائه فهو أيضا خارج عن الحب لله فإنه إنما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فحجبه العلم فإذا كان لا يقصد العلم للتقرب إلى الله بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فحجبه الجاه والقبول والعلم وسيلة إليه والأستاذ وسيلة إلى العلم فليس في شيء من ذلك حب لله إذ يتصور كل ذلك بمن لا يؤمن بالله تعالى أصلا ثم ينقسم هذا أيضا إلى مذموم ومباح فان كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران وحيازة أموال الدنيا وظلم الرعاة بولاية القضاء أو غيره كان الحب مذموما وإن كان يقصد به التوصل إلى مباح فهو مباح وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد للتوصل إليه فانها تابعة له غير قائمة بنفسها . القسم الثالث : أن محبه لآلته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا إلى حظوظه في الدنيا بل يرجع إلى حظوظه في الآخرة فهذا أيضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه لأنه يتوصل به إلى تحصل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرتقي به إلى درجة التعظيم في ملكوت السماء ، إذ قال عيسى صلى الله عليه وسلم : من علم وعمل فذلك يدعى عظميا في ملكوت السماء ولا يتم التعليم إلا بالعمل فهو إذن آلة في تحصيل هذا النكال فان أحبه لأنه آلة له إذ جعل صدره مزرعة لحرفته الذي هو سبب ترقيه إلى رتبة التعظيم في ملكوت السماء فهو محب في الله بل الذي يتصدق بأمواله لله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الأطعمة اللذيذة الغريبة تقربا إلى الله فأحب طبائحا لحسن صنعة في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين فقد أحبه في الله بل يزيد على هذا وتقول إذا أحب من يحمده بنفسه في غسل ثيابه وكس بيته وطبخ طعامه وفرغ به بذلك للعمل ومقصوده من استخدامه في هذه الأعمال الفراغ للعبادة فهو محب في الله بل يزيد عليه وتقول إذا أحب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع أغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعمل والعمل القريب إلى الله فهو محب في الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفائتهم جماعة من أولى الثروة وكان الواسي والواسي جميعا من التحاين في الله بل يزيد عليه وتقول من نكح امرأة سالحة ليتحسن بها عن وغواس الشيطان ويصون بها دينه أو ليولد منها له ولد صالح يدعوه وأحب زوجته لأنها آلة إلى هذه المقاصد الدينية فهو محب في الله ولذلك وردت الأخبار بوفور الأجر والثواب على الاتفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في فم امرأته (١) بل تقول كل من اشتهر بحب الله وحب رضاه وحب لقاءه في الدار الآخرة فإذا أحب غيره كان محبا في الله لأنه لا يتصور أن يحب شيئا إلا لما شابهته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله عز وجل بل أزيد على هذا وأقول إذا اجتمع في قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد العيان جميعا حتى صلح لأن يتوصل به إلى الله وإلى الدنيا فإذا أحبه لصلاحه للأمرين فهو من المحبين في الله كمن يحب أستاذه الذي يملئه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فأحبه من حيث إن في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الآخرة فهو وسيلة إليهما فهو محب في الله وليس من شرط حب الله أن لا يحب في العاجل

(١) حديث الأجر في الإفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في فم امرأته تقدم .

عليه وسلم فقد أتاه فلان فأعطاه وأتاه فلان فأعطاه قال فأثبته وقالت النفس شيئا فنحنبت لأطلب فأنهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غطيب ويقول « من يستغفب يغضب الله ومن يستغفب يغضب الله ومن سألنا شيئا فوجدناه أعطناه وواسيناه من استغفب عنه واستغفب فهو أحب إلينا من سألنا » قال فرجعت ومساأله فرزقني الله تعالى حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالا منه وأما من حبب التهيب والتعذر فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لأزوال السكة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزرعة لحم » وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس السكين الذي ترده

حظاً ألبتة إذ الدعاء الذي أمر به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم - ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة - وقال عيسى عليه السلام في دعائه : اللهم لاتسبني عدوى ولا تسؤني صديق ولا تجعل مصيبتى لدينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى دفع شجاة الأعداء من حظوظ الدنيا ولمخل ولا تجعل الدنيا أصلاً من همى بل قال لا تجعلها أكبر همى وقال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة ^(١) » وقال « اللهم عافني من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة ^(٢) » وعلى الجملة فإذا لم يكن حب السعادة في الآخرة منافقاً لحب الله تعالى لحب السلامة والصحة والسكينة والكرامة في الدنيا كيف يكون منافقاً لحب الله والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين إحداهما أقرب من الأخرى فكيف تصور أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غداً ولا يحبها اليوم وإنما يحبها غداً لأن اللذات صير حالاً راحة فالحالة الراحنة لا بد أن تكون مطلوبة أيضاً إلا أن الحظوظ الساجدة منقسمة إلى ما يصاد حظوظ الآخرة وينتفع منها وهي التي احتز عنها الأنبياء والأولياء وأمروا بالاحتراز عنها وإلى ما لا يصاد وهي التي لا يتمتعونها كالنكاح الصحيح وأكل الحلال وغير ذلك فما يصاد حظوظ الآخرة خلق العاقل أن يكرهه ولا يحبها أعنى أن يكرهه بقوله لا بطبعه كما يكره تناول من طعام لذيذ للملك من اللوك يعلم أنه لو أقدم عليه لقطعت يده أو حزت رقبته لا بمعنى أن الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهي بطبعه ولا يستلذ لو أكله فإن ذلك محال ولكن على معنى أنه يترجم عقله عن الإقدام عليه وتحصل فيه كراهة الضرر التعلق به والقصد من هذا أنه لو أحب أستاذه لأنه يواسيه ويسله أو تلميذه لأنه يتعلم منه ويخمده وأحدهما حظ عاجل والآخر أجل لكان في زمة التحاين في الله ولكن بشرط واحد وهو أن يكون بحيث لومنه العلم مثلاً أو تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالحق الذي ينقص بسبب فقد حقه هو الله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله وليس بمستكر أن يشتد حبك لإنسان لجملة أغراض ترتبط لك به فإن امتنع بعضها نقص حبك وإن زاد زاد الحب فليس حبك للذهب كحبك للفضة إذا تساوى مقدارهما لأن الذهب يوصل إلى أغراض هي أكثر مما يوصل إليه الفضة فإذن يزيد الحب بزيادة القرض ولا يستحيل اجتماع الأغراض الدنيوية والأخروية فهو داخل في جملة الحب لله، وحده هو أن كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذلك كل زيادة في الحب لولا الإيمان بالله لم تكن تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب في الله فذلك وإن دق فهو عزيز قال الجبري تعامل الناس في القرن الأول بالدين حتى رقق الدين وتاملوا في القرن الثاني بالوفا حتى ذهب الوفا. وفي الثالث بالمرودة حتى ذهبت المرودة ولم يبق إلا الرحمة والرفقة . القسم الرابع : أن يحب لله وفي الله لئلا يئله علماً أو عملاً أو يتوصل به إلى أمر وراء ذاته وهذا أعلى الدرجات وهو أدقها وأعظمها وهذا القسم أيضاً يمكن فإن من آثار غلبة الحب أن يتعدى من المحبوب إلى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولومن بعد فن أحب إنساناً حباً شديداً أحب محب ذلك الإنسان وأحب محبوه وأحب من يحبهم وأحب من يثنى عليه محبوه وأحب من يتسارع إلى رضا محبوه حتى قال بقية بن الوليد إن المؤمن إذا أحب المؤمن أحب قلبه وهو كما قال ويشهد له التجربة في أحوال العشاق ويدل عليه أشعار الشعراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويغنيه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال مجنون بن عامر

(١) حديث اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة الترمذي من حديث ابن عباس في الحديث الطويل في دعائه صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الليل وقد تقدم (٢) حديث اللهم عافني من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة ، أحمد من حديث جبرين أبي أرطاة نحوه بسند جيد .

الأكله والإكلان
والجمرة والتحرمان
ولكن للسكين الذي
لا يسأل الناس ولا
يفطن بمكانه فيعطى
هذا هو حال الفقير
الصالح والتوصف
الحق لا يسأل الناس
شيئاً ومنهم من يلزم
الأدب حتى يؤديه إلى
حال يستحي من
الله تعالى أن يسأله
شيئاً من أمر الدنيا
حتى إذا همت النفس
بالسؤال رده الهية
ويرى الإقدام على
السؤال جراءة فيعطيه
الله تعالى عند ذلك
من غير سؤال كما حل
عن إبراهيم الخليل
عليه السلام : أنه جاءه
جبريل وهو في الهواء
قبل أن يصل إلى النار
فقال هل لك من حاجة
فقال أما إليك فلا
فقال له فصل ربك
فقال حسبي من سؤال
عليه بحالي وقد يصف
عن مثل هذا فيسأل
الله عبودية ولا يرى

أمر على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

فإن للشاهدة والتجربة تدل على أن الحب يتعدى من ذات المحبوب إلى ما يحيط به ويتعلق بأسمائه ويناسبه ولومين بد ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فأصل المحبة لا يكتفى فيه ويكون اتساع الحب في تعديه من المحبوب إلى ما يكتشفه ويحيط به ويتعلق بأسمائه بحسب إفراط المحبة وقوتها وكذلك حب الله سبحانه وتعالى إذا قوى وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى إلى حد الاستتار فيتعدى إلى كل موجود سواه فإن كل موجود سواه أثر من آثار قدرته ومن أحب إنساناً أحب صنفته وخطه وجميع أفعاله وكذلك كان ^{عليه السلام} إذا حمل إليه با كورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنه قريب المهدي ربنا (١) وحب الله تعالى تارة يكون لصديق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعيمه وتارة لما سلف من أياديه وصنوف نعمته وتارة لقائه للأمر الآخر وهو أذى ضرر بالمحبة وأفعاله وسيأتي تحقيقها في كتاب المحبة من ربيع اللججيات إن شاء الله تعالى وكيفما اتفق حب الله فإذا قوى تعدى إلى كل متعلق به ضرر ما من المتعلق حتى يتعدى إلى ما هو في نفسه مؤلم مكرره ولكن فرط الحب يضعف الإحساس بالألم والفرح بفعل المحبوب وتضيق به الإيلايم يضيق إدراك الألم وذلك كالفرح بضرر بمن المحبوب وفرصة فيها نوع معانية فإن قوة المحبة تثير فرحاً يضيق إدراك الألم فيه وقد انتهت محبة الله بقوم إلى أن قالوا لا تفرق بين البلاء والنعمة فإن السك من القول لا تخرج إلا بما يفرح به حتى قال بعضهم لا أريد أن أزال مغفرة الله بحسبه الله وقال حمون : وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاخترني

وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة وللقصود أن حب الله إذا قوى أثر حب كل من يقوم بحقوق عبادة الله في علم أو عمل وأثر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن أو تأدب بأداب الشرع وما من مؤمن يحب للآخرة ويحب لله إلا إذا أخبر عن حال رجلين أحدهما عالم عابد والآخر جاهل فاسق إلا وجد في نفسه ميلا إلى العالم العابد ثم يضعف ذلك الليل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوته وبحسب ضعف حبه لله وقوته وهذا الليل حاصل وإن كانا غائبين عنه بحيث يعلم أنه لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة فذلك الليل هو حب في الله وفيه من غير حظ فانه إنما يحبه لأن الله يحبه ولأنه مرضى عند الله تعالى ولأنه يحب الله تعالى ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى إلا أنه إذا ضعف لم يظهر أثره ولا يظهر به ثواب ولا أجر فإذا قوى حمل على اللوالة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان وتتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله عز وجل ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب في الحال أولئك لما تصور حب للوثة من العطاء والعباد ومن الصحابة والتابعين بل ومن الأنبياء المنقرضين صلوات الله عليهم وسلامه وحسب جميع مكنون في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بنضبه عند طعن أعدائهم في واحد منهم وبفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حبة لأنهم خواص عباد الله ومن أحب ملكا أو شخصا جيلا أحب خواصه وخدمه وأحب من أحبه إلا أنه يتمتعن الحب بالمقابلة يحفظ النفس وقد يظلم بحيث لا يبقى للنفس حظ إلا فيها هو حظ المحبوب وعنه عبر قول من قال :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

(١) حديث كان إذا حمل إليه با كورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنها قريب عهد برها الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس ، وأبو داود في الراسيل والبيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة دون قوله وأكرمها الخ وقال إنه غير محفوظ وحديث أبي هريرة في البا كورة عند بقية أصحاب السنن دون مسح عينيه بها وما بعده وقال الترمذي حسن صحيح .

سؤال المخلوقين فيسوق الله تعالى إليه القسم من غير سؤال مخلوق. بلقنا عن بعض الصالحين أنه كان يقول : إذا وجد الفقير نفسه مطالبة بئىء لا تخلو تلك الطالبة إما أن تكون لرزق يريد الله أن يسوقه إليه فتنبه النفس له فقد تطلع قروس بسن الصقراء إلى ما سوف يحدث وكأها تخبر بما يكون وإما أن يكون ذلك عقوبة لذنب وجد منه فإذا وجد الفقير ذلك وألحت النفس بالمطالبة فليقم وليسبح الوضوء ويصل ركعتين ويقول : يارب إن كانت هذه للطالبة عقوبة ذنب فأستغفرك وأتوب إليك وإن كانت لرزق قدرته لي فبجل وصوله إليّ فإن الله تعالى يسوقه إليه إن كان رزقه ولا تلتجب للطالبة عن باطنه

وقول من قال • وما لجرح إذا أرضاكم ألم • وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحفظ دون بعض كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبه في نصف ماله أو في ثلثه أو في عشره فتقدير الأموال موازين المحبة إذ لا تعرف درجة المحبوب إلا بمحسوب يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواء فلا يمسك لنفسه شيئا مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنه لم يترك لنفسه أهلا ولا مالا فسلم ابنته التي هي قرة عينه وبذل جميع ماله ، قال ابن عمر رضي الله عنهما « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عبادة قد خللها على صدره بخلال إذ نزل جبريل عليه السلام فأقرأه عن الله السلام وقال له يا رسول الله مالي أرى أبا بكر عليه عبادة قد خللها على صدره بخلال فقال أنفق ماله على قبل الفتح قال فأقرأه من الله السلام وقل له يقول لك ربك أرضاء أنت عني في قترك هذا أم سأخط ؟ قال فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقال يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول أرضاء أنت عني في قترك هذا أم سأخط قال فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال أهي ربي أسخط أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض ^(١) . فحصل من هذا أن كل من أحب عالما أو عبدا أو أحب شخصا راعيا في علم أو في عبادة أو في خير فاعلم أنه أحب في الله وفيه من الأجر والثواب بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله أيضا ولكن نزيدة بيانا .

(بيان البغض في الله)

اعلم أن كل من يحب في الله لا بد أن يبغض في الله فانك إن أحببت إنسانا لأنه مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه فلا بد أن تبغضه لأنه عاص لله ومحقوت عند الله ومن أحب بسبب فالضرورة يبغض لخصمه وهذا من متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر وهو مطلق في الحب والبغض في العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض داء دفين في القلب وإنما يترشح عند القلب ويترشح بظهور أفعال المحبين والمبغضين في القارية والباعدة وفي الخاطئة والواقعة فإذا ظهر في الفعل ممي الموالاة ومعاداة ولذلك قال الله تعالى : هل واليت في وليا وهل عاديت في عدوا كما تغلنا ، وهذا واضح في حق من لم يظهر لك إلا طاعته تتدبر على أن تحبه أولم يظهر لك إلا فسقه وجوره وأخلاقه السيئة فتقدر على أن تبغضه وإنما الشكل إذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان وكذلك تتناقض ثمرتهما من اللواقعة والمخالفة والموالاة والمعاداة فأقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض في الحفظ البشري فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فانك تحبه من وجه وتبغضه من وجه فمن له زوجة حسنة فاجرة أو ولد ذكي خديم ولكنه فاسق فانه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حاتين إذ لو فرض له ثلاثة أولاد أحدهم ذكي بار والآخر بليد عاقى والآخر بليد بار أو ذكي عاق فانه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم فكذلك ينبغي أن تكون حالك بالاضافة إلى من غلب عليه الفجور ومن غلبت عليه الطاعة ومن أجمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بأن تغطي كل صفة حظها من البغض والحب والإعراض والاقبال والصحة والقطعية وسائر الأفعال الصادرة منه . فان قلت فكل مسلم فإسلامه طاعة منه فكيف أبغضه مع الاسلام . فأقول تحبه لاسلامه وتبغضه لمصيته وتكون معه على حالة لوقتها بحال كافر أو فاجر أدركت خفة بينهما وتلك التفرقة حب الاسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله

(١) حديث ابن عمر بنينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عبادة قد خللها على صدره بخلال فنزل جبريل فأقرأه من ربه السلام الحديث ابن حبان والعملي في الضعفاء قال الذهبي في التزيان هو كذب .

فهان الفقير أن ينزل حوائجه بالحق فاما أن يرزقه الله أو الصبر أو يذهب ذلك عن قلبه فله سبحانه وتعالى أبواب من طريق الحكمة وأبواب من طريق القدرة فان فتح بابا من طريق الحكمة ولا يفتح بابا من طريق القدرة وبأيته الصبر يخرق الطاعة كما كان يأتي صريح عليها السلام - كما دخل عليها زكريا المهراب وجد عندها رزقا قال يا صيرمى أنى لك هذا قالت هوسن عند الله - حكى عن بعض الفقهاء قال جئت ذات يوم وكان حالي أن لا أسأل فدخلت بعض المجال يشدد مجازا متحرشا لعل الله تعالى يضع لي على يد بعض عباده شيئا فلم يقدر فسمت جاثما فأتى آت في منامي فقال لي انهب للموضع كذا وعين الموضع ثم خرقه زرقاء

والطاعة له كالجنابة على حقه والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فكن معه على حالة متوسطة بين الاتقياض والاسترسال وبين الاقبال والاعراض وبين التودد إليه والتوحش عنه ولا تبلغ في إكرامه مبالغتك في إكرام من يوافقك على جميع أغراضك ولا تبلغ في إهائته مبالغتك في إهانة من خالفك في جميع أغراضك ثم ذلك التوسط نارة يكون مبله إلى طرف الإهانة عند غلبة الجنابة ونارة إلى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي أن يكون فيمن يطيع الله تعالى ويصبيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه أخرى . فان قلت فلماذا يمكن إظهار البغض فأقول أما في القول فكيف اللسان عن مكلته ومحدثه مرة وبالاستخفاف والتغليظ في القول أخرى وأما في الفعل فبقطع السعي في إعادته مرة وبالسعي في إعادته وإفساد مآربه أخرى وببعض هذا أشد من بعض وهي بحسب درجات السق واللصبة الصادرة منه . أما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم أنه متقدم عليها ولا يصير عليها فالأولى فيه السر والإغماض . أما ما أصر عليه من صغيرة أو كبيرة فان كان بمن تأكدت بينك وبينه مودة ومحبة وأخوة فله حكم آخر ونياتي وفيه خلاف بين العلماء . وأما إذا لم تتأكد أخوة ومحبة فلا بد من إظهار أثر البغض إما في الاعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات إليه وإما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه وهذا أشد من الاعراض وهو بحسب غلظ اللصبة وخفتها وكذلك في الفعل أيضا ربتان أحدهما قطع للعونة والرفق والصرة عنه وهو أقل الدرجات والأخرى السعي في إفساد أغراضه عليه كفضل الأعداء للبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق اللصبة أما ما لا يؤثر فيه فلا مثاله رجل عصى الله شرب الخمر وقد خطب امرأة تو يسر له نكاحها لكان مضبوطا بها المال والجمال والجاه إلا أن ذلك لا يؤثر في منته من شرب الخمر ولا في بث وتعميرض عليه فإذا قدرت على إعادته لئتم له غرضه ومقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه أما الاعانة فلو تركتها إظهارا للغضب عليه في نفسه فلا بأس وليس يجب تركها إذ ربما يكون لك نية في أن تلطف باعائه وإظهار الشفقة عليه ليعتد مودتك وقيل نصحك فهذا حسن وإن لم يظهر لك ولكن رأيت أن تعينه على غرضه قضاء لحق إسلامه فذلك ليس بمنوع بل هو الأحسن إن كانت مصيبته بالجنابة على حقه أو حق من يتلقى بك يوفيه زل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة إلى قوله تعالى - ألا تحبون أن يغفركم لكم - إذ تكلم مسطح بن أثانة في واقعة الإناك^(١) خلفاً بوبكر أن يقطع عنه رقه وقد كان يواسيه بالماله فزلت الآية لمع عظم مصيبة مسطح وآية مصيبة يزيد على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها إلا أن الصديق رضي الله عنه كان كالحنين عليه في نفسه بتلك الواقعة والنفو عن ظلم والاحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين وإنما يحسن الاحسان إلى من ظلمك فأما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الاحسان إليه لأن في الاحسان إلى الظالم إساءة إلى الظلوم وحق للظلم أولى بالمرعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم أحب إلى الله من خضوع قلب الظالم فأما إذا كنت أنت للظلم فالأحسن في حقه النفو والصنع . وطرق السلف قد اختلفت في إظهار البغض مع أهل المعاصي وكلهم اختلفوا على إظهار البغض للظلمة والبتدعة وكل من عصى الله بمصيبة متعدية منه إلى غيره فأما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بين الرحمة إلى الصاة كلهم . ومنهم من شدد الإنكار واختار لهاجرة فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكارب في أدنى كلفه هجر يحيى بن معين لقوله إنى لا أسأل أحدا شيئا ولو حمل السلطان إلى شيئا لأخذته . وهجر الحرث

(١) حديث كلام مسطح في الإفك وهجر أبي بكر له حتى زل ولا يأتل أولوا الفضل منكم الآية متفق عليه من حديث عائشة .

فيها قطيعات أخرجه
في مصالحك فمن يهود
عن المخلوقين وتغرد
بالله فقد تغرد بنى
قادر لا يسجزه شيء
يفتح عليه من أبواب
الحكمة والقدرة
كيف شاء وأولى من
سأل نفسه يسألها الصبر
الجميل فان الصادق
تجيه نفسه . وحكي
شيخنا رحمه الله تعالى
أن ولده جاء إليه
ذات يوم وقاله أريد
جبة قال قلت له
ما فعل الجبة فذكر
شهوة يشترها بالجبة
ثم قال من إذ ذلك اذهب
واستقرض الحية قال
قلت نعم استقرضها
من قسك فهي أولى
من أقرض . وقد نظم
بعضهم هذا للحنين
قال :

إن شئت أن تستقرض
المال منك
على شهوات النفس في
زمن الصبر
فسل قسك الاضاحي
من كنز صبرها

الحاسبي في تصنيفه في الرد على الاعتزلة وقال إنك لا بد تورد أولا شبهتهم وتعمل الناس على التمسك فيها ثم ترد عليهم ، وهجر أبو ثور في تأويله قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته »^(١) وهذا أمر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فان كان السالك على القلب النظر إلى اضطراب الخلق وعجزهم وأنهم مسخرون لما قدروا له أو رث هذا تساهلا في العادة والبغض وله وجه ولكن قد تلبس به الداهية فأكثر البواعث على الاغضاء عن للعاصي للداهية و مراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها وقد يلبس الشيطان ذلك على النبي الأحق بأنه ينظر بين الرحمة وعك ذلك أن ينظر إليه بين الرحمة إن جرى على خاص حقه ويقول إنه قد تسخره والقدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فشل هذا قد تصح له نية في الإغماض عن الجناية على حق الله وان كان ينظر عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهذا مدهن مغرور بمكيدة من مكاييد الشيطان فليتبسبه . فان قلت فأنتل السرجات في إظهار البغض المهجر والاعراض وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حتى يصي المبدتر كره . فأقول لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والایجاب فانا نعلم أن الدين شربوا الخمر وما طوا القواض في زمان رسول الله ﷺ والصحابة ما كانوا يهجر من بالكلية بل كانوا متقسمين فيهم : إلى من يفظ القول عليه ويظهر البغض له ، وإلى من يرض عنه ولا يترضه له ، وإلى من ينظر إليه بين الرحمة ولا يؤثر للقاطمة والتباعد فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يفضيه حاله ووقته ومقتضى الأحوال في هذه الأمور إما مكروهة أو مندوبة تحكون في رتبة الفضائل ولا تنتهي إلى التحريم والایجاب فان الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالى وأصل الحب وذلك قد لا تعدى من المبوب إلى غيره وإنما التمدى إفراط الحب واستيلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى وتحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق أصلا .

(بيان مراتب الدين يفيضون في الله وكيفية معاملتهم)

فان قلت إظهار البغض والعداوة بالفعل إن لم يكن واجبا فلا شك أنه مندوب إليه والصلاة والقساق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا أم لا . فاعلم أن المخالف لأمر الله سبحانه لا يخلو إما أن يكون مخالفا في عقده أو في عمله والمخالف في العقد إما مبتدع أو كافر والمبتدع إما داع إلى بدعته أو ساكت والساكت إما بجزءه أو باختياره فأقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة الأول : الكفر فالكافر إن كان محاربا فهو يستحق القتل والارفاق وليس بعدهذين إهانة وأما الذي فانه لا يجوز إيذاؤه إلا بالاعراض عنه والتحقيره بالاضطرار إلى أخيق الطرق وبرك للفاتحة بالسلام فاذا قال السلام عليك قلت وعليك الأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكاته وأما الانبساط معه والامترسال إليه كما يستمر إلى الاصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد يقتضي ما يقوى منها إلى حد التحريم قال الله تعالى - لا نجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورموله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو أخوتهم - وقال ﷺ « السلم والمشاركة لا ترا آتى نارهما »^(٢) وقال عز وجل - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء - الآية . الثاني البدع الذي يدعو إلى بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره أشد من الذي لأنه لا يفر بجزية ويسامح بقد ذمة وإن كان ممن لا يكفر به فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لا محالة ولكن الأمر في الانكار عليه أشد منه

عليك وإرفاقا إلى زمن اليسر فان قلت كنت التقى وإن أبت فكل منوع بعدها واسع العذر فاذا استنفذ التقير الجهد من نفسه وأشرف على الضعف وتحققت الضرورة وسأل مولاه ولم يقدر له شيء ووقته يضيق عن الكسب من شغله بحاله فعند ذلك يفرع باب السبب ويسأل قد كان الصالحون يفعلون ذلك عند فاقهم . نقل عن أبي سعيد الخراز أنه كان يمد يده عند الفاقة ويقول : ثم شيء لله . ونقل عن أبي جعفر الحداد وكان أستاذًا للجند أنه كان يخرج بين العشائين ويسأل من باب أو باين ويكون ذلك معلومه على قدر الحاجة بعد يوم أو يومين . ونقل عن إبراهيم بن آدم

(١) حديث إن الله خلق آدم على صورته مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث المؤمنين والمؤمنات لا ترا آتى نارهما أبو داود والترمذي من حديث جرير أنا بري من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا يا رسول الله ولم ؟ قال لا ترا آتى نارهما ورواه النسائي مرسلًا وقال البخاري الصحيح أنه مرسل .

على الكافر لأن شر الكافر غير متدد فإن المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون إلى قوله إذ لا يدعى لنفسه الاسلام واعتقاد الحق . أما البدع القبيحة يدعو إلى البدعة ويؤمن أن ما يدعو إليه حق فهو سبب لنزوة الخلق غير معتد فلا استجاب في إظهار بضه ومعاداته والاقطاع عنو تحقيره والتشنيع عليه يدعته وتغيير الناس عنه أشد وإن سلم في خلوة فلا بأس برده جوابه وإن علت أن الاعراض عنه والسكوت عن جوابه فيقع في نفسه بدعته ويؤثر في زجره ترك الجواب أولى لأن جواب السلام وإن كان واجباً فيسقط بأدنى غرض فيه مصلحة حتى يسقط بكون الانسان في الحمام أو في قضاء حاجته وغرض الزجر أهم من هذه الأغراض وإن كان في ملا ترك الجواب أولى تغييراً للناس عنه وتضييعاً لبدعته في أعينهم وكذلك الأولى كنف الاحسان إليه والاعانة له لاسيما فيها يظهر للخلق قال عليه السلام « من اتهم صاحب بدعة ملاً الله قلبه أمناً وإيماناً ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفرع الأكبر ومن ألان له وأكرمه أولقيه يمشي قد استخف بما أنزل الله على محمد ﷺ » . الثالث : للبدع العاصي الذي لا يقدح في الدعوة ولا يخاف الاعتداء به فأمره أهون فالأولى أن لا يبالغ بالتخليط والاهانة بل يتلطف به في النصيحة فإن قلوب العوام سريعة القلب فإن لم ينفع النصيحة وكان في الاعراض عنه تضييع لبدعته في عينه تأكد الاستجاب في الاعراض وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه لجود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ في تضييعها غاعت بين الخلق وعم فسادها . وأما العاصي بطله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو إما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والفساد وشهادة الزور والنية والتضريب بين الناس والمشي بالنجمة وأمثالها أو كان مما لا يتنصر عليه ويؤذى غيره وذلك ينقسم إلى ما يدعو غيره إلى الفساد كصاحب المأخوذ القبيح يجمع بين الرجال والنساء وبهي أسباب الشر والفساد لأهل الفساد أو لا يدعو غيره إلى فعله كالذي يضر بوزن وهذا الذي لا يدعو غيره إما أن يكون عصيانه بكبيرة أو بصفيرة وكل واحد فلما أن يكون مصراً عليه أو غير مصر فبهذه التفتيات يتصل منها ثلاثة أقسام ولكل قسم منها رتبة وبضها أشد من بعض ولا نسلك بالكل مسلماً واحداً . القسم الأول : وهو أشدها ما يضر به الناس كالظلم والفساد وشهادة الزور والنية والنجمة فهؤلاء الأولى الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والابتعاد عن معاملتهم لأن للصية شديدة فما يرجع إلى إيذاء الخلق ثم هؤلاء ينقسمون إلى من يظلم في الدماء وإلى من يظلم في الأموال وإلى من يظلم في الأعراض وبضها أشد من بعض فلا استجاب في إهانتهم والاعراض عنهم مؤكدها ومهما كان يتوقع من الاهانة زجرهم أو لفيرهم كان الأمر فيه آكد وأشد . الثاني : صاحب المأخوذ القبيح أسباب الفساد ويسهل طرقه على الخلق فهذا لا يؤذى الخلق في دنياهم ولكن يخلتس بطله دينهم وإن كان على وفق رضاهم فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه فإن للصية بين العبد وبين الله تعالى إلى الغنى أقرب ولكن من حيث إنه تمتد على الجملة إلى غيره فهو شديد وهذا أيضاً يقتضي الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام إذا ظن أن فيه نوعاً من الزجر له أو لفيره . الثالث : الذي يفسد في نفسه جرب بخر أو ترك واجب أو مقارفة محظور يحسه فالأمر فيه أخف ولكنه في وقت مباشرته أن صودف يجب منه بما يجتمع به منه ولو بالضرب والاستخفاف فإن التهي عن التنكر واجب وإن فرغ منه وعلم أن ذلك من عادته وهو مصر عليه فإن تحقق أن نصحه ينمعه عن المود إليه وجب النصيح وإن لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالأفضل النصيح والزجر بالتلطف أو بالتخليط إن كان

(١) حديث من اتهم صاحب بدعة ملاً الله قلبه أمناً وإيماناً ، الحديث أبو نعيم في الحلية والمروى في ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

أنه كان مستكفراً بجامع البصرة مدة وكان يظفر في كل ثلاث ليال ليلة وإيلة إفطاره يطلب من الأبواب وقتل عن سفبان الثوري أنه كان يسافر من الحجاز إلى صنعاء اليمن ويسأل في الطريق وقال كنت أذكر لهم حديثاً في الضيافة فيقدم على الطعام فأتناول حاجتي وأترك ما بقي . وقد ورد من جاع ولم يسأل فإت دخل النار ومن عنده علم وله مع الله حال لا يبالى بمثله هذا بل يسأل بالعلم ويعسك عن السؤال بالعلم . وحكى بعض مشايخنا عن شخص كان مصراً على العاصي ثم اتقه وتاب وحسنت توبته وصار له حال مع الله تعالى قال : عزمت أن أحج مع القافلة ونويت أن لا أسأل أحداً شيئاً وأكتفي بطلب الله بحالي قال فبقيت أليماً في

هو الأنفع فأما الإعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم أنه يصر وأن النصيح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال الأعمال بالنيات إذ في الرفق والنظر بين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع وفي العنف والإعراض نوع من الزجر والستيق في القلب لما يراه أميل إلى هواء ومقتضى طبعه فالأولى منه إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاد باظهار الملو والادلال بالصلاح وقد يكون رفقته عن مداينة واستالة قلب للوصول به إلى غرض أو لحوف من تأثير وحشته وتفرته في جاء أو مال بظن قريب أو بعيد وكل ذلك مردد على إشارات الشيطان ويبعد عن أعمال أهل الآخرة فكل راغب في أعمال الدين يجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الأحوال والقلب هو اللقي فيه وقد يصيب الحق في اجتنبه وقد يخطئ وقد يقدم على اتباع هواء وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم الضرور ظان أنه عامل لله وسالك طريق الآخرة وسيأتي بيان هذه الدقائق في كتاب الضرور من ربيع الملهكات ، ويدل على تخفيف الأمر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روى أن شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات وهو يمود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يشرب فقال صلى الله عليه وسلم « لا تكن عوناً للشيطان على أخيك (١) » أو لفظاً هذا معناه وكان هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتخليط .

(بيان الصفات للشروطة فيمن تختار محبته)

اعلم أنه لا يصلح للصحة كل إنسان قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (٢) » ولا بد أن يتعين بخصال وصفات يرغب بسببها في محبته وتشرط تلك الخصال بحسب القوائد المطلوبة من الصحة إذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول إلى المقصود فبالإضافة إلى المقصود تظهر الشرط ويطلب من الصحة فوائد دينية ودنيوية أما الدنيوية فكالاستغناء بالمال أو الجاه أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا ، وأما الدينية فيجتمع فيها أيضاً أغراض مختلفة إذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه تحصن به عن إيذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها استفادة المال لا اكتفاء به عن تضييع الأوقات في طلب القوت ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة في الصائب وقوة في الأحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة فذكرنا بعض السلف استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة أخيك وروى في غريب التفسير في قوله تعالى - ويستحيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات - يزيد من فضله - قال يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال إذا غفر الله للعبد شفع في إخوانه ولذلك بحث جماعة من السلف على الصديق الآفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد فهذه قوائد تستدعي كل فائدة شروطة لا تحصل إلا بها ونحن فصلها أما على الجملة فينبغي أن يكون فيمن تؤثر محبته خمس خصال أن يكون عاقلاً حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا . أما العقل فهو رأس المال وهو الأصل فلا خير في محبة الأحق في الوحدة والقطيعة ترجع عاقبتها وإن طال قال على رضي الله عنه : فلا تصحب أحبا الجهول وإياك وإياه فكمن من جاهل أردى حليماً حين آخاه يقاس السرور بالمرء إذا ما المرء ما شاء وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

الطريق ففتح الله على بالماء والزاد في وقت الحاجة ثم وقف الأمر ولم يفتح الله على شيء فجت وعطشت حتى لم يبق لي طاقة فضعفت عن المشي وبقيت أنا آخر من القافلة فبلا قليلاً حتى مرت القافلة فقلت في نفسي هذا الآن منى إلقاء النفس إلى التهلكة وقد منع الله من ذلك وهذه مسألة الاضطراب أسأل فلما هممت بالسؤال انبعت من باطني إنكار لهذه الحال وقالت عزيمة عقدها مع الله لا أنقضها وهان على الموت دون تقص عزمي فقصدت شجرة وقصدت في ظلها وطرحرت رأسي استطرأها للسوت وذهبت القافلة فبينما أنا كذلك إذ جاءني شاب متقلد بسيف وحركني فقممت وفي يده إداوة فيها ماء فقال لي اشرب فشربت ثم قدم لي طعاماً وقال

(١) حديث إن شارب خمر ضرب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه لا تكن عوناً للشيطان على أخيك البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث المرء على دين خليله الحديث أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح إن شاء الله .

كيف والأحق قد يضرك وهو يريد نفسك وإعانتك من حيث لا يدري ولذلك قال الشاعر :

إني لأمن من عدو عاقل وأخاف خيلاً يتره جنون

فالقل فن واحد وطريقه أدري فأرصد والجنون فنون

ولذلك قيل مقاطعة الأحق قرآن إلى الله . وقال الثوري : النظر إلى وجه الأحق خطيئة مكتوبة ونهني بالعاقل الذي يفهم الأمور هي معنى عليه إما بنفسه وإما إذا فهم . وأما حسن الحاق فلا بد منه إذ رب عاقل يدرك الأشياء على ما هي عليه ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو غلبه أوجبن أطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لجزءه عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه فلا خير في محبته ، وأما الفاسق الصر على الفسق فلا فائدة في محبته لأن من يخاف الله لا يصير على كبيرة . ومن لا يخاف الله لا يؤمن غائلته ولا يتوق بصداقته بل يتغير بتغير الأغراض وقال تعالى - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه - وقال تعالى - فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه - وقال تعالى - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - وقال - واتبع سيل من أناب إلى - وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق . وأما للبتنع ففي محبته خطر سرابة البدعة وتمدى شوؤها إليه فالمبتنع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر محبته وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب الدين في الصديق فيما رواه سعيد بن السيب قال : عليك يا خوان الصدق تمس في أكنافهم فاتهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجهت ما يملكك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولأمين إلا من خشي الله فلا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطامع على شرك واستتر في أمرك الذين يخشون الله تعالى . وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة البطاردي في وصيته لانه حين حضرته الوفاة قال : يا بني إذا عرضت لك إلى محبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمت صانك وإن محبته زانك وإن قعدت بك مؤنة مانك ، اصحب من إذا مددت يدك بغير مدها وإن رأى منك حسنة عدها وإن رأى سيئة سدها ، اصحب من إذا سأله أعطاك وإن سكت ابتداك وإن نزلت بك نازلة واساك اصحب من إذا قلت صدق قولك وإن حاولتما أمراً أمرك وإن تنازعتا أثرك فكن أنه جمع هذا جميع حقوق الصحة وشروط أن يكون قائماً بجميعها . قال ابن أكرم قال للمؤمن فأين هذا قيل له أنتدري لم أوصاه بذلك قال لا قال لأنه أراد أن لا يصحب أحدا . وقال بعض الأدباء لا تصحب من الناس إلا من يكرمك ويستر عيبك فيكون معك في النوائب ويؤثر بالبرغائب وينشر حسناتك ويطوى سيئاتك فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك ، وقال على رضي الله عنه :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفك

ومن إذا ريب زمان صدعك شئت فيه فسلمه ليجمعك

وقال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين رجل تعلم منه شيئاً من أمر دينك فينفك أو رجل تعلمه شيئاً في أمر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه ، وقال بعضهم : الناس أربعة فواحد حلو كله فلا يشبع منه وآخر مر كله فلا يؤكل منه وآخر فيه حوضه غد من هذا قبل أن يأخذ منك وآخر فيه ملحوه غد منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق رضي الله عنه : لا تصحب خمسة الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويعد منك القريب ، والأحق فإنك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك ، والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تسكون إليه ، والجبان فإنه يسلك ويضر عند الشدة ، والفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها قليل وما أهل منها قال الطمع فيها ثم لينالها . وقال الجليل لأن يصحني فاسق حسن الخلق أحب إلي من أن يصحني قاري

كل فأكلت ثم قال لي
أريد القافلة فقلت من
لي بالقافلة وقد عبرت
فقال لي قم وأخذ
يسدى ومشي معي
خطوات ثم قال لي
اجلس فالقافلة إليك
تجي فجلست ساعة
فاذا أنا بالقافلة ورأى
متوجهة إلي ، وهذا شأن
من يامل مولا
بالصدق وذكر
الشيخ أبو طالب السكي
رحمه الله أن بعض
الصوفية أول قول
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « أحل ما أكل
للمؤمن من كسب يده »
بأنه للسألة عند القافة
وأسكر الشيخ
أبو طالب هذا التأويل
من هذا الصوفي وذكر
أن جعفر الخليلي كان
يحكي هذا التأويل عن
شيخ من شيوخ
الصوفية ووقع لي والله
أعلم أن الشيخ الصوفي
لم يرد بكسب اليد
ما أنكر الشيخ
أبو طالب منه وإنما

سبي الخلق ، وقال ابن أبي الحواري قال أستاذي أبو سليمان يا أحمد لا تصحب إلا أحد رجلين رجلا
تزنيق به في أمر دينك أو رجلا تزيد معه وتتفع به في أمر آخرتك والاعتقال بغير هذين حق كبير .
وقال سهل بن عبد الله : اجتنب صبة ثلاثة من أصناف الناس الجبارة الظالمين والقرء الداهين
والتسوفة الجاهلين . واعلم أن هذه الصكبات أكثرها غير محبط بجميع أعراض الصبة والمحبط
ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها فليس ما يشترط للصبة في مقاصد الدنيا
مشروطا للصبة في الآخرة والأخوة كما قاله جرير . الإخوان ثلاثة : أخ لآخرتك وأخ لدينك وأخ
لأنس به . ولما تجمع هذه المقاصد في واحد بل تتفرق على جمع تتفرق الشروط فهم لأعماله ، وقد
قال للأخون الأخوان ثلاثة : أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه
في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ولكن البعد قد يبتلى به وهو الذي لأنس
فيه ولا تفع ، وقد قيل مثل جملة الناس كشل الشجر والنبات فيها ماله ظل وليس له ثمر وهو مثل
الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فإن تقع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ماله ثمر وليس له
ظل وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ماله ثمر وظل جميعا ومنها ما ليس له واحد منهما
كأم غيلان تترك الباب ولا تعلم فيها ولا شراب ومثله من الحيوانات الفأرة والقرب كما قاله تعالى - يدعو
لن ضره أقرب من قمعه لبس للولي ولبس العشير - وقال الشاعر :

الناس شقي إذا ما أنت ذقهم لا يستونو كما لا يستوي الشجر

هذا له ثمر حلو مذاقه وذاك ليس له طعم ولا ثمر

فإذا لم يجد رفيقا يؤاخيه ويستفيد به أحد هذه المقاصد فالوحدة أولى به . قال أبو ذر رضي الله عنه
الوحدة خير من المجلس السوء والمجلس الصالح خير من الوحدة وروى مرفوعا . وأما العبادة وعدم
الفسق فقد قال الله تعالى - واتبع سبيل من أتاب إلى - ولأن مشاهدة الفسق والفاسق تهون أمر
العصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها . قال سعيد بن المسيب : لا تنظروا إلى الظلمة فتجسط أعمالكم
الصالحة بل هؤلاء لاسلامة في مخالطتهم وإنما السلامة في الانقطاع عنهم . قال الله تعالى - وإذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما - أي سلامة والألف بدل من الهاء ومعناه إنا سلمنا من إعتكج وأنتم سلمتم من
شرنا ، فهذا ما أردنا أن نذكره من معاني الأخوة وشروطها وقوائدها ، فنرجع في ذكر حقوقها
ولو أزمها وطرق القيام بحقوقها ، وأما الحرص على الدنيا فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه
والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه ، فبحالة الحرص على الدنيا تحرك
الحرص ومجالسة الزاهد تهذب في الدنيا فلذلك تسكره صبة طلاب الدنيا ويستحب صبة الراغبين
في الآخرة . قال علي عليه السلام : أحبوا الطاعات بمجالسة من يستحي منه . وقال أحمد بن حنبل
رحمه الله ما أوقضى في بلية إلا صبة من لا أحشمه . وقال لقمان : يا بني جالس العلماء وزاحمهم يركبنيك
فإن القلوب لتحبها بالحكمة كما تحبها الأرض للينة وبابل القطر .

(الباب الثاني : في حقوق الأخوة والصعبة)

اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكإقتضى النكاح حقوقا هي
الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح فكذلك عقد الأخوة . فلا تخيك
عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب والعمو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك
التكلف والتكليف وذلك بمجمعه ثمانية حقوق :

(الباب الثاني : في حقوق الأخوة والصعبة)

أراد بكسب الدرر فيها
إلى الله تعالى عند
الحاجة فهو من أهل
مأبأ كله إذا أجاب الله
سؤاله وساق إليه رزقه
وقال الله تعالى حكاية
عن موسى عليه السلام
- رب إني لما أنزلت
إلي من خير فقير -
قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما قاله
ذلك وإن خضرة البقل
تترادى في بطنه من
الهمال . وقال محمد الباقر
رحمه الله قلما وإنه
يحتاج إلى شق ثمرة
وروى عن مطرف
أنه قال : أما والله لو كان
عند نبي الله شيء
ما اتبع المرأة ولكن
حمله على ذلك الجهد
وذكر الشيخ أبو
عبد الرحمن السلي
عن النصرا بادي أنه
قال في قوله - إني لما
أنزلت إلي من خير فقير -
لم يسأل الكلام الخلق
وإنما كان سؤاله من
الخلق ولم يسأل غدا
النفس إنما أراد

(الحق الأول في المال)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل الأخوين مثل الدين تفصل إحداهما الأخرى» (١) وإنما شبههما بالدين لالابد والرجل لأشهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الإخوان وإنما تم أخوتهما إذا تراضيا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضى السامعة في السراء والضراء والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستثثار . والواحدة بالمال مع الأخوة على ثلاث مراتب أدناها أن تنزله منزلة عبيدك وأخادمتك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فإذا سئمت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تجوهج به إلى السؤال فإن أحوسته إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوة . الثانية : أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك ونزوله منزلك حتى تسمح بمشاطرته في المال . قال الحسن : كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه . الثالثة : وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات التحابين ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضا كما روى أنه سمي بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النوري فبادر إلى السيف ليكون هو أول مقتول قيل له في ذلك فقال أحببت أن أؤثر إخواني بالحياة في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاتهم جميعهم في حكاية طويلة فان لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم يتعقد بعد في الباطن وإنما الجارى بينكما مخالطة رعية لا وقع لها في العقل والدين ، قد قال ميمون بن مهران : من رضى من الإخوان بترك الانضال فليؤاخ أهل القبور . وأما الدرجة الدنيا فليست أيضا مرضية عند ذوى الدين ، روى أن عتبة الصلام جاء إلى منزل رجل كان قد آخاه فقال أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال خذ ألفين فأعرض عنه وقال أثرت الدنيا على الله أما استحييت أن تدعى الأخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة ينبغي أن لاتعامله في الدنيا . قال أبو حازم : إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دنيك وإنما أراد به من كان في هذه الرتبة . وأما الرتبة العليا فهي التي وصف الله تعالى للمؤمنين في قوله - وأمرهم شورى بينهم وما رزقناهم فيفقون - أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان منهم من لا يصحب من قال نعل لأنه أضافه إلى نفسه وجاء فتح الوصول إلى منزل لأخ له وكان غالبا فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاه فقال إن صدقت فأنت حرة لوجه أقمسروا بما فعل ، وجاء رجل إلى أبي هريرة رضي الله عنه وقال إني أريد أن أواخيك في الله فقال أتمدري ما حق الإخاء قال عرفني قال أن لا تكون أحق بدنياك ودرهمك مني قال لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه قال لا قال فسلمت باخوان ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا يا أبا سعيد أصليت قال نعم قالوا فان أهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن يأخذ دينه من أهل السوق بلعن أن أحدهم بمنع أخاه الدرهم قاله كالتعجب منه وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال إني أريد أن أرافضك فقال له إبراهيم على أن أكون أملك لشريك منك قال لا قال أعييني صدك . قال فكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يغالقه وكان لا يصحب إلا من يوافق ، ومحب رجل شريك فأهدى رجل إلى إبراهيم في بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رقيقه وأخذ حزمة من شراك وجعلها في القصعة وردها إلى صاحب الهدية فلجأه رقيقه قال أين الشراك قال ذلك الثريد الذي أكلته إيش كان قال كنت تعطيه شراكين أو ثلاثة قال اصبر يسمع لك

(١) حديث مثل الأخوين مثل الدين الحديث تقدم في الباب قبله .

سكون القلب . وقال أبو سعيد الحرارز الحلق مزدود بين ما لهم وبين ما لهم من نظر إلى ماله تكلم بلسان الفقر ومن شاهد ما إليه تكلم بلسان الحياء . والفقر الأثرى حال الكلم عليه السلام لما شاهد خواص ما خاطبه به الحق كيف قال : أرني أنظر إليك . ولما نظر إلى نفسه كيف أظهر الفقر وقال : إني لما أنزلت إلى من خير قهر . وقال ابن عطاء نظر من العبودية إلى الربوبية غشع وخضع وتكلم بلسان الافتقار بما ورد على سره من الأنوار افتقار العبد إلى مولاه في جميع أحواله لا افتقار سؤال وطلب . وقال الحسين : فقير لما خصصني من علم اليقين أن تزييني إلى عين اليقين وحته ووقع والله أعلم في قوله لما أنزلت

وأعطى مرة حمارا كان لرفيقه بئير إذنه رجلا رآه رجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال أخى فلان أوجع من إليه فبعت به إليه فبعت ذلك الانسان إلى آخر فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة . وروى أن مسروقا ادان ديناً ثقيلاً وكان على أخيه خيشة دين قال فذهب مسروق فقضى دين خيشة وهو لا يعلم وذهب خيشة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله فيهما (١) فأثره بما أثره به وكأنه قبله ثم أثره بذلك مساواة والبدابة إيثار والإيثار أفضل من المساواة وقال أبو سلمان الداراني لو أن الدنيا كلها لي لجمعتها في قم أخ من إخواني لاستقلت بها له وقال أيضاً إنى لأقيم اللقمة أخاً من إخواني فأجد طعمها في حلقى . ولما كان الإيثاق على الاخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال على رضي الله عنه لشعرون درهما أعطتها أخى في الله أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين وقال أيضاً لأن أسنع صاعاً من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحب إلى من أن أعتق ربة . واقتداء النكل في الإيثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه دخل غيبة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكبن أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه فقال له يارسول الله كنت والله أحق بالمستقيم منى فقال «ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعاً من التهار لإسئل عن محبته هل أقام فيها حق الله أم أضاعه» (٢) فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصعبة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر ينقل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب وقام يستر رسول الله ﷺ حتى اغتسل ثم جلس حذيفة لينقل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة وقال بأبى أنت وأخى يارسول الله لا تغفل فأبى عليه السلام إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحدهما إلى الله أرققهما بصاحبه» (٤) وروى أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائباً فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك كف يدك حتى يجي صاحب البيت فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقاً فدخل الحسن وقال يا مويلك هكذا كنا لا نحشم بعضنا بعضاً حتى ظهرت أنت وأصحابك وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الاخوان من الصفاء في الأخوة كيف وقد قال الله تعالى - أو صدقكم - وقالوا وما ملككم مفاتيحه - إذ كان الأخ يدفع مفاتيحه بيته إلى أخيه ويغوض التصرف كما يريد وكان أخوه يتعرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية وأذن لهم في الانبساط في طعام الاخوان والاصدقاء . (الحق الثاني في الاغاثة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة)

(١) حديث لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما رواه البخاري من حديث أنس (٢) حديث أنه دخل غيبة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكبن أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع للمستقيم إلى صاحبه الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث ستر حذيفة لاني صلى الله عليه وسلم يثوب حتى اغتسل ثم ستره صلى الله عليه وسلم لحذيفة حتى اغتسل لم أجده أيضاً (٤) حديث ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحدهما إلى الله أرققهما بصاحبه تقدم في الباب قبله بافظ أندما حيا لصاحبه .

إلى من خير قبر . أن الازال مشعر يمد رتبته عن حقيقة القرب فيكون الازال عين الفقر فما تقع بالمثل وأراد قرب التزلزول من صح فقره فققره في أمر آخرته كفقره في أمر دنياه ورجوعه إليه في الدارين وإياه يسأل حوائج التزليل وتساوى عنده الحاجتان فله مع غير الله شغل في الدارين . [الباب الشعرون في ذكر من يأكل من الفروج]

إذا كل شغل الصوفي بالله وكل زهد له كما تتواء بحكم الوقت عليه ترك التسبب وينكشف له صريح التوحيد وحمة الكفالة من الله الكريم فيزول عن باطنه الانهماك بالأصنام ويكون مقدمة هذا أن يفتح الله له باب من التعريف بطريق المكافحة على كل فعل يصدر منه حتى لو جرى

وهذه أيضاً درجات كما لو اساء المال فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول اللذة وقال بعضهم إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فاعلم أن يكون قد نسي فإن لم يقضها فكبر عليه وقرأ هذه الآية - والوحي يبعثهم الله - وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة فجاء بهدية فقال ما هذا قال لما أسديته إلى فقال خذ مالك عافاك الله إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضاً للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعنه في الوحي قال جعفر بن محمد إنني لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائي مخافة أن أردمهم فيستندوا عني هنا في الأعداء فكيف في الأصدقاء وكان في السالف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بمحاجتهم ويتردد كل يوم إليهم ويؤنهم من ماله فكانوا لا يفقدون من أيهم إلا عينه بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أيهم في حياته وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول هل لك زيت هل لك ملح هل لك حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه وبهذا تظهر الشفقة والأخوة فإذا لم تتمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها قال مجنون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته وقال صلى الله عليه وسلم «ألا وإن لله أواني في أرضه وهي القلوب فأحب الأواني إلى الله تعالى أصفأها وأصلبها وأرقها أصفأها من الذنوب وأصلبها في الدين وأرقها على الإخوان» (١) وبالجملة فينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أم من حاجتك وأن تكون متفقداً لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تفعل عن أحوال نفسك وقضية عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة بل تقوم بمحاجته كأنك لا تدري أنك قت بها ولا ترى لنفسك حقاً بسبب قيامك بها بل تتقصد منه بقبوله سعيك في حقه وقيامك بأمره ولا ينبغي أن تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية بالأكرام والزيادة والإيتار والتقديم على الأقارب والولد كان الحسن يقول إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة وقال الحسن من شيع أخاه في الله بث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه إلى الجنة وفي الأثر ما زار رجل أخاً في الله شوقاً إلى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة (٢) وقال عطاء تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فودوهم أو مشاغل فاعينهم أو كانوا ندوا فذكروهم وروى «أن ابن عمر كان يلتفت عينا وشمالاً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال أحببت رجلاً فأنا أطلبه ولا أراه فقال : إذا أحببت أحداً فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضاً عدته وإن كان مشغولاً أعنته (٣) وفي رواية وعن اسم جده وعشيرته . وقال الشعبي في الرجل يجالس الرجل فيقول لأعرف وجهه ولا أعرف اسمه تلك معرفة النوكي . وقيل لابن عباس من أحب الناس إليك قال جليسي وقال ما اختلف رجل إلى مجلسي ثلاثاً من غير حاجة له إلى فقلت ما مكافأته من الدنيا وقال سعيد ابن العاص جليسي على ثلاث إذا دنا رحبت به وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له وقد قال تعالى - رحماء بينهم - إشارة إلى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة أن لا ينفرد بطعام لذيق (١) حديث إن لله أواني في أرضه وهي القلوب فأحب الأواني إلى الله أصفأها وأصلبها والطبراني من حديث أبي عتبة الحلواني إلا أنه قال ألينها وأرقها وإسناده جيد (٢) حديث ما زار رجل أخاً في الله الحديث تقدم في الباب قبله (٣) حديث ابن عمر إذا أحببت أحداً فاسأله عن اسمه واسم أبيه ومنزله وعشيرته الحديث الحرثي في مكارم الأخلاق والبيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه الترمذي من حديث يزيد بن نعمة وقال غريب ولا يعرف ليزيد بن نعمة سماع من النبي صلى الله عليه وسلم .

عليه يسير من ذنب بحسب حاله أو الذنب مطلماً مما هو منه في الشرع يجد غيب ذلك في وقته أو يومه كان يقول بعضهم : إنني لأعرف ذنبي في سوء خلق غلامي وقيل إن بعض الصوفية قرض القارخه فلما رآه تألم وقال :

لو كنت من مازن لم تسبح إلى

بنو اللقطة من ذهل ابن شيخان

إشارة منه إلى أن الداخل عليه مقابلة له على شيء استوجب به ذلك فلا زال به

القبالات متضمنة للتعريجات الإلهية

حق يتحصن بصدق الحاسبة وصفاء الرأفة

عن قضيع حقوق العبودية ومخالفة حكم الوقت وتجرد له حكم

فصل الله وتمحي عنه أفعال غير الله فيرى

المطعم والبائع هو الله سبحانه فوفقاً وحالاً

أو بحضور في سريرة دونه بل يتنصص لفرأقه ويستوحش بانفراده عن أخيه .

(الحق الثالث)

(في اللسان بالسكوت مرة وبالناطق أخرى) : أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يشككم به ولا يباريه ولا يناقشه وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله وإذا رأى في طريق أو حاجة لم يغاظه بذكر غرضه من مصدره ومورده ولا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه وليسكت عن أسراره التي بها إليه ولا يبينها إلى غيره ألبتة ولا إلى أخس أصدقائه ولا يكشف شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن وأن يسكت عن القدح في أحبائه وأهله وولده وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فإن الذي سبك من بلفك وقال أنس « كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا بشيء يكرهه ^(١) » والتأذى يحصل أولا من اللبغ ثم من القائل نعم لا يبين أن يغني ما يسمع من التناء عليه فإن السرور به أولا يحصل من اللبغ للدخ ثم من القائل وإخفاء ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا إلا إذا وجب عليه النطق في أمر معروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يبالى بكرهته فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة في الظاهر . أما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي أهله فهو من النية وذلك حرام في حق كل مسلم وزجره عنه أمران : أحدهما أن تطالع أحوال نفسك فإن وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهو من حقك فماتراه من أخيك وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلي به ولا تستغله بخصلة واحدة مذمومة فأبى الرجال المذهب وكل مالا تصادفه من نفسك في حق الله فلا تنتظره من أخيك في حق نفسك فليس حقا عليه بأكثر من حق الله عليك . والأمر الثاني أنك تعلم أنك لو طلبت منزعا عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلا من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساو إذا غلبت المحاسن للساوي فهو الغاية والتمهي فالؤمن الكريم أبدا يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبش من قلبه التوفيق والود والاحترام . وأما المنافق النقيم فانه أبدا يلاحظ للساوي واليوب قال ابن المبارك المؤمن يطلب العاذير والمنافق يطلب العثرات وقال الفضيل الفتوة العفو عن زلات الأخوان وقذلك قال عليه السلام « استعذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره ^(٢) » وما من شخص إلا ويمكن تحمين حاله بخصال فيه ويمكن تقيحه أيضا روى « أن رجلا أتني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من القد ذه قال عليه السلام : أنت بالأمس نثني عليه واليوم تنمه قال والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم إنه أرضاني بالأمس فقلت أحسن ماعلت فيه وأغضبني اليوم فقلت أقبح ماعلت فيه قال عليه السلام : إن من البيان لسحرا ^(٣) » وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر وقذلك قال في خبر آخر

(١) حديث أنس كان لا يواجه أحدا بشيء يكرهه أبو داود والترمذي في المائل والنسائي في اليوم والليالي بسند ضعيف (٢) حديث استعذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره البخاري في التاريخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح : تمودوا بالله من جار السوء في دار اللقام (٣) حديث أن رجلا أتني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من القد ذه الحديث وفيه قال صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک من حديث أبي بكره إلا أنه ذكر للدخ والقدم في مجلس واحد لا يومين ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضا .

لا علما وإيمانا ثم يتدراكه الحق تعالى بالمعونة وبوقفه على صريح التوحيد وتجريد فعل الله تعالى كما حكي عن بعضهم أنه خطر له خاطر الاهتام بالرزق فخرج إلى بعض الصحاري فرأى قبرة عجماء عرجاء ضيقة فوقف متعجبا منها متفكرها فيما تأكل مع هجرها عن الطيران ولشيء والرؤية فينا هو كذلك إذ انشقت الأرض وخرجت سكرجان في إحداها صمم نقي وفي الأخرى ماء صاف فأكلت من السم وشربت من الماء ثم انشقت الأرض وغابت السكرجان قال فلما رأيت ذلك سقط عن قلبي الاهتام بالرزق فاذا أوقف الحق عبده في هذا اللقام يزيل عن باطنه الاهتام بالأقسام ويرى الدخول في التسبب والتكسب بالسؤال وغيره رتبة

« البدء والبيان شعبتان من التفاق ^(١) » وفي الحديث الآخر « إن الله يكره لكم البيان كل البيان » وكذلك قال الشافعي رحمه الله ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يصيه ولا أحد يعصى الله ولا يعطيه لمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل وإذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله فيأن تراه عدلا في حق نفسك ومقتضى أخوتك أولى . وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهى عنه أيضا وحده أن لا يحمل ضده على وجه فاسد ما أمكن أن نعمله على وجه حسن ، فأما ما انكشف يتيقن ومشاهدة فلا يمكنك أن لاتلمه عليك أن تحمل ما تشاهد على سهو ونسيان إن أمكن وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى ظمنا وهو الذي يستند إلى علامة فإن ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه وإلى ما منتهوه سوء اعتقاده فيه حتى يصدر منه فعله وجهان فيحكمك سوء الاعتقاد فيه على أن نزلته على الوجه الأرذل من غير علامة تخصه به وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ^(٣) » وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس ، وقد قال ^(٤) « لا تحسسوا ولا تحسسوا ولا تخاطبوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ^(٥) » والتجسس في تطالع الأخبار والتحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجاهل والتفافل عنها شيمة أهل الدين ويكتفيك تنبيهها على كمال الرتبة في ستر التبيح وإظهار الجليل أن الله تعالى وصف به في الدعاء قبل إيمان أظهر الجليل وستر القبيح والرضى عند الله من تخلق بأخلاقه فانه ستر العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العيب فكيف لاتتجاوز أنت عن من هو مثلك أو فوقك وما هو بكل حال عيبك ولا تخونك ، وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين : كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائما وقد كشف الرمح ثوبه عنه قولوا نستره ونمطيه قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال أحدكم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها . واعلم أنه لا يتم إيمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه وأقل درجات الأخوة أن يامل أخاه بما يجب أن يامله به ولا شك أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوي والعيوب ولو ظهر له منه قبيح ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه لما أبده إذا كان ينتظر منه مالا يضره له ولا يزم عليه لأجله وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال - ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون - وكل من يلتمس من الأنصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية ومنشأ التفتير في ستر العورة أو السعي في كشفها البدء الدفين في الباطن وهو الخلد والحسد فان الحقوق الحسود بلاء باطن بالحث ولكن يجبهه في باطنه ويخفيه ولا يديه مهما

(١) حديث البدء والبيان شعبتان من التفاق الترمذي وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٢) حديث إن الله حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله وعرضه ورجاله تحت إلا أن أباطي النيسابوري قال ليس هذا عندي من كلام النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو عندي من كلام ابن عباس ولا ين ماجه نحوه من حديث ابن عمر وسلم من حديث أبي هريرة كل السلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه (٣) حديث إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لا تحسسوا ولا تحسسوا ولا تخاطبوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ، متفق عليه من حديث أبي هريرة وهو بعض الحديث الذي قبله .

العوام وبصر مسلوب
الاختيار غير متطلع
إلى الأغيار ناظرا إلى
فضل الله تعالى منتظرا
لأمر الله فتساق إليه
الأنعام وفتح عليه
باب الانعام ويكون
يدوام ملاحظته لفعل
الله وترصده ما يحدث
من أمر الله تعالى
مكشافا له تجليات من
الله تعالى بطريق
الأفضال والتجلى
بطريق الأفضال رتبة
من القرب ومنه يترقى
إلى التجلى بطريق
الصفات ومن ذلك
يترقى إلى تجلى الذات
والإشارة في هذه
التجليات إلى رب في
اليقين ومقامات في
التوحيد ثم فوق
ثم وسمى أصنى من
ثم فالتجلى بطريق
الأفضال يحدث صفو
الرضا والتسليم والتجلى
بطريق الصفات
يكسب الهية والأنس
والتجلى بالذات يكسب
الفناء والبقاء وقد

لم يجد له مجالا وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء وترشح الباطن بخبثه الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فلا تقطع أولى قال بعض الحكماء ظاهر الكتاب خبر من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقود إلا وحشة منه ومن في قلبه سخية على مسلم فإيمانه ضيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح لقاء الله . وقد روى عبد الرحمن بن جبير بن بقير عن أبيه أنه قال كنت باليمن ولي جاري يهودي يخبرني عن التوراة يقدم على اليهودي من سفر قلت إن الله قد بث فينا نبيا فدعانا إلى الاسلام فأسلمنا وقد أنزل علينا كتابا مصدقا للتوراة فقال اليهودي صدقت ولكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به إنا نحمد نعمة ونمت أمتة في التوراة إنه لا يعمل لامرئ أن يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخية على أخيه المسلم ، ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه وله أن ينكره وإن كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب فله أن يفعل ذلك في حق أخيه فإن أخاه نازل منزله ومها كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن هذه حقيقة الأخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرأيا وخارجا عن أعمال السر إلى أعمال العلانية فإن معرفة أخيه بسله كعقرته بنفسه من غير فرق وقد قال عليه السلام « من ستر عورة أخيه ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة »^(١) وفي خبر آخر « فسكأنما أحيا مودة »^(٢) وقال عليه السلام « إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت له أمانة »^(٣) وقال « المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس مجالس يسفك فيه دم حرام ومجالس يستحل فيه فرج حرام ومجالس يستحل فيه مال من غير حله »^(٤) وقال عليه السلام « إنما يتجالس التجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره »^(٥) قيل لبعض الأدباء كيف حفظك للسر قال أنقره وقد قيل صدور الأحرار قبور الأسرار وقيل إن قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه أي لا يستطيع الأحمق إخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري به فمن هذا يجب مقاطعة الحق والتوق عن محبتهم بل عن مشاهدتهم وقد قيل لآخر كيف تحفظ السر قال أبجد الخبر وأحاف المستخبر . وقال آخر أسرته وأستراني أسرته وعبر عنه ابن العز قال :
ومستودعي سرا تبوات كتمه فأودعته صدرى فصار له قبرا
وقال آخر وأراد الزيادة عليه :

وما السر في صدرى كشأوبقره
ولكنني أنساه حتى حكاأني
ولو جاز كتم السر بيني وبينه
عن السر والأحشاء لم تعلم السرا

(١) حديث من ستر عورة أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة ابن ماجه من حديث ابن عباس وقال يوم القيامة ولم يقل في الدنيا ولمسلم من حديث أبي هريرة من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٢) حديث فسكأنما أحيا مودة من قبرها أبو داود والنسائي والحاكم من حديث عتبة بن عاصم من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا مودة زاد الحاكم من قبرها وقال صحيح الاسناد (٣) حديث إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة أبو داود والترمذي من حديث جابر وقال حسن (٤) حديث المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس الحديث أبو داود من حديث جابر من رواية ابن أخيه غير مسمى عنه (٥) حديث إنما يتجالس للتجالس بالأمانة لا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بأمناد ضعيف ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية أبي بكر بن حزم مرسلًا والحاكم وصححه من حديث ابن عباس إنكم تجالسون بينكم بالأمانة .

يسمى ترك الاختيار والوقوف مع فعل الله فناء ينون به فناء الإرادة والهوى والارادة ألطف أقسام الهوى وهذا الفناء هو الفناء الظاهر فأما الفناء الباطن وهو محو آثار الوجود عند لمعان نور الشهود يكون في تجلي القات وهو أكل أقسام اليقين في الدنيا فأما تجلي حكم الذات فلا يكون إلا في الآخرة وهو للقام الذي حظى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلة العراج ومنع عنه موسى بن رافي فليعلم أن قولنا في التجلي إشارة إلى رتب الحفظ من اليقين ورؤية البصيرة فاذا وصل العبد إلى مبادئ أقسام التجلي وهو مطالعة الفعل الإلهي مجردا عن فعل سواء يكون تناوله الأقسام من الفتح . روى عن رسول الله صلى الله

وأشقى بعضهم سرا له إلى أخيه ثم قاله حفظت فقال بل نسيت وكان أبو سعيد الثوري يقول إذا أردت أن تواخي رجلا فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك فإن قل خيرا وكنتم سركا فاصحبه وقيل لأبي يزيد من تصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله وقال ذو النون لأخيه في حجة من لا يحب أن يراك إلا مصوما ومن أشقى السر عند الغضب فهو اللثم لأن إخفاؤه عند الرضا تنفضه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء لا تصحب من يستر عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتا على اختلاف هذه الأحوال وتلك قبل:

ورى الكريم إذا تصرم وصله غنى التبيح ويظهر الاحسانا

ورى اللثم إذا قضى وصله غنى الجليل ويظهر البهتان

وقال العباس لانه عبد الله إني أرى هذا الرجل يعني عمر رضي الله عنه يقدم على الأشياخ فاحفظ عني خسا لا تفشين له سرا ولا تتقبن عنده أهدا ولا تجربن عليه كذبا ولا تعين له أمرا ولا تطلن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف ومن ذلك السكوت عن الماراة والدافعة في كل ما يشكم به أخوك قال ابن عباس لا تمار سفيها فؤذيك ولا حليفا فيقلبك وقد قال صلى الله عليه وسلم «من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت في أعلى الجنة (١)» هذا مع أن تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل أعظم لأن السكوت عن الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل وإنما الأجر على قدر النصب وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان الماراة والمنافة فانها عين التدارب والقطائع فإن التقاطع يقع أولا بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان وقال عليه السلام «لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا السلم أخو السلم لا يظلمه ولا يجرمه ولا يخذله بحسب الرء من الشر أن يحقر أخاه السلم (٢)» وأشد الاحتقار الماراة فإن من رد على غيره كلامه فقد نسبته إلى الجهل والحق أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الكى على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وإيثار للصدر وإيجاش وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتبارى فغضب وقال: ذروا المراء قلعة خيرة وذروا المراء فإن نفعه قليل وإنه يبيع العداوة بين الإخوان (٣)» وقال بعض السلف من لاسى الإخوان وما رام قلت مروته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن إنك وبمارة الرجال فانك لن تدم مكر حليم أو مفاجأة لهم وقال بعض السلف أمجز الناس من قصر في طلب الإخوان وأمجز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة الماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة وقد قال الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل وعلى الجملة فلا باع على الماراة إلا إظهار التمييز بتميز العقل والفضل واحتقار الردود عليه بإظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والابذاء والشم والحق والجهل ولا معنى للمعادة إلا هذا فكيف تضامنه الأخوة والمصافاة فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة الحديث تقدم في العلم (٢) حديث لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا السلم أخو السلم الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وأوله متفق عليه من حديثه وحديث أنس وقد تقدم بضه قبل هذا بسبعة أحاديث (٣) حديث أبي أمامة خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتبارى فغضب وقال ذروا المراء قلعة خيرة فإن نفعه قليل فانه يبيع العداوة بين الإخوان الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة وأبي الدرداء ورواه أنس دون ما بعده قوله قلعة خيرة ومن هنا إلى آخر الحديث رواه أبو منصور والديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة فقط وإسنادهما ضيف .

عليه وسلم أنه قال «من وجه إليه شيء من هذا الرزق من غير مسئلة ولا إشراف فليأخذه وليوسع به في رزقه فإن كان عنده غنى فليدفعه إلى من هو أحوج منه» وفي هذا دلالة ظاهرة على أن العبد يجوز أن يأخذ زيادة على حاجته بنية صرفه إلى غيره وكيف لا يأخذ وهو يرى فعل الله تعالى ثم إذا أخذ ففهم من يخرج به إلى المحتاج ومنهم من يقف في الإخراج أيضا حتى يرد عليه من الله علم خاص ليكون أخذه بالحق وإخراجه بالحق أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر قال أنا والدي الحافظ أبو الفضل القدسي قال أنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد الجبال قال أنا محمد بن عبد الرحمن ابن سعيد قال أنا أبو طاهر أحمد بن محمد

أنه قال لا تمار أخاك ولا تعازجه ولا تمد موعدا فتغله ^(١) وقد قال عليه السلام «إنكم لاتسمون الناس بأموالكم ولكن ليسمهم منكم بسط وجه وحسن خلق ^(٢)» والمارة مضادة لحسن الخلق وقد انتهى السلف في الحذر عن المارة والخص على الساعدة إلى حد لم يروا السؤال أصلا وقالوا إذا قلت لأخيك قم قال إلى أين فلا تصعبه بل قالوا ينبغي أن يقوم ولا يسأل وقال أبو سليمان الداراني كان لي أخ بالعراق فكنت أجيئه في النواصب فأقول أعطني من مالك شيئا فكان يلقي إلى كيسة فأخذ منه ما أريد فجئته ذات يوم فقلت أحتاج إلى شيء فقال كم تريد فخرجت حلاوة إخائه من فمي وقال آخر إذا طلبت من أخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الإخاء . واعلم أن قوام الأخوة بالمواقة في الكلام والفعل والشفقة قال أبو عثمان الحيري مواقة الإخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال .

(الحق الرابع على اللسان بالنطق)

فإن الأخوة كما تقتضي السكوت عن اللكارة تقتضي أيضا النطق بالمهاب بل هو أخس بالأخوة لأن من قنع بالسكوت محب أهل القبور وإنما تراء الإخوان ليستفاد منهم لا لينخلص عن أدام والسكوت منه كلف الأذى فعليه أن يتودد إليه بلسانه ويتفقد في أحواله التي يحب أن يفقد فيها كالسؤال عن عارض إن عرض وإظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة أحواله التي يكرهها ينبغي أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها جملة أحواله التي يسرها ينبغي أن يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها فبني الأخوة للسامية في السراء والضراء وقد قال عليه السلام «إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره ^(٣)» وإنما أمر بالخبر لأن ذلك يوجب زيادة حب فإن عرف أنك تحبه أخيك بالطبع لعامة فإذا عرفت أنه أيضا يحبك زاد حبك لعامة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويضعاف والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم في الطريق فقال «تهادوا تحابوا ^(٤)» ومن ذلك أن تدعوه بأحب أسمائه إليه في غيبته وحضوره قال عمر رضي الله عنه ثلاث يصفين لك وداخيك أن تسلم عليه إذا لقيت أولًا وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه ومن ذلك أن تثنى عليه بما ترفع من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيبته وخطه وشمعه وتصنيفه وجميع ما يخرجه به وذلك من غير كذب وإفراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين لا بد منه وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح فإن إخفاء ذلك يحض الحسد ومن ذلك أن تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وإن لم يتم ذلك قال على رضي الله عنه من لم يحمد أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنعة وأعظم من ذلك تأثيرا في جلب المحبة الدب عنه في غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض لمرحله بكلام صريح أو تعرض لحق الأخوة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيك التفتت وتقليل القول عليه

(١) حديث ابن عباس لا تمار أخاك ولا تعازجه ولا تمد موعدا فتغله الترمذي وقال غريب لا تعرفه إلا من هذا الوجه يني من حديث ليث بن أبي سليم وضعفه الجمهور (٢) حديث إنكم لاتسمون الناس بأموالكم ولكن ليسمهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق أبو يونس اللوصي والطبراني في معارج الأخلاق وابن عدي في الكامل وضعفه الحاكم ومحمه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة (٣) حديث إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم من حديث للقدم بن ممدى كرب (٤) حديث تهادوا تحابوا البيهقي من حديث أبي هريرة وقد تقدم غير مرة .

ابن عمر وقال أنابونس ابن عبد الأعلى قال حدثنا ابن وهب قال ثنا عمرو بن الحرث عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد عن حبيب بن عبد المزي عن عبيد الله السعدي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسطي المطاء فأقول له أعطه يا رسول الله من هو أقصر مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ختمه فتموه أو تصدق به وما جاءك من هذا للسأل وأنت غير متشرف ولا سائل فغله وما لا فلا تتبعه نفسك» قال سالم بن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه درج رسول الله صلى الله عليه وسلم الأصحاب بأوامره إلى رؤية فضل الله تعالى والخروج

والسكوت عن ذلك موخر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الأخوة وإنما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخوين باليدين فصل أحدهما الأخرى لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه^(١) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «السلام أخو السلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يئله»^(٢) وهذا من الاشتلام والخذلان فإن إهماله لتزويق عرضه كإهماله لتزويق لحمه فأخس بأخ براك والكلاب تفتسك وتمزق لحومك وهو ما كنت لا تحركه الشفقة والحية لا تدفع عنك وتمزق الأعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبهه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال - أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا - ولذلك الذي يمثل في المنام ما تظلمه الروح من اللوح المحفوظ بالأمثلة المحسوسة يمثل التوبة بأكل لحوم الميتة حتى إن من يرى أنه يأكل لحم ميتة فإنه ينتاب الناس لأن ذلك المثل في تمثيله براعى الماشاة وللناسة بين الشيء وبين مثاله المعنى الذي يجري من المثال يجري الروح لا في ظاهر الصور فاذا حماية الأخوة بدفع ذم الأعداء وتعت للتنتين واجب في عقد الأخوة وقد قال مجاهد لا تذكر أخاك في غيبته إلا كما تحب أن يذكرك في غيبتك فاذا لك فيه معيار أن أحدهما أن تذكر أن الذي قيل فيه لوقيل فيك وكان أخوك حاضرا ما الذي كنت تحب أن يقوله أخوك فيك فينبغي أن تعامل التعرض لمرضه به والثاني أن تذكر أنه حاضر من وراء جدار يسمع قولك ويظن أنك لا تعرف حضوره فما كان يتحرك في قلبك من النصرة له يسمع منه وصرأ فينبغي أن يكون في مغيبه كذلك فقد قال بعضهم ما ذكر أخا لي شيب إلا تصورته جالسا قلت فيه ما يجب أن يسمعه لو حضر وقال آخر ما ذكر أخا لي إلا تصورته نسي في صورته قلت فيه مثل ما أحب أن يقال في وهذا من صدق الاسلام وهو أن لا يرى لأخيه إلا ما يراه لنفسه وقد نظر أبو الدرداء إلى ثورين يجران في فدان فوق أحدهما علك جسمه فوق الآخر فيكي وقال هكذا الاخوان في الله يملأنه فإذا وقف أحدهما واقفه الآخر وبالمواقفة يتم الاخلاص ومن لم يكن مخلصا في إخائه فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والحلوة والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك بمداقة في اللذة وهو دخل في الدين ووليعة في طريق المؤمنين ومن لا يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة أولى به من الواخاة والمصاحبة فان حق الصبغة ثقيل لا يطبقه إلا محقق فلا جرم أجره جزيل لا يناله إلا موفق ولذلك قال عليه السلام «أباهر أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا»^(٣) فانظر كيف جعل الإيمان جزاء الصحة والاسلام جزاء الجوار فالفرق بين فضل الإيمان وفضل الاسلام على حد الفرق بين الشقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصبغة فان الصبغة تقتضى حقوقا كثيرة في أحوال متقاربة مترادفة على الدوام والجوار لا يقتضى إلا حقوقا قربية في أوقات متباعدة لاتدوم ومن ذلك التعليم والصيحة فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال فان كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وإرضاه إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فان علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائده تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة ليتزجر عنه وتنبيه على عيوبه وتبجح القبيح في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع

(٢) حديث تشبيه الأخوين باليدين تقدم في الباب قبله (٢) حديث السلم أخو السلم تقدم في أثناء حديث قبله بسبعة أحاديث (٣) حديث أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا الترمذى وابن ماجه واللفظ له من حديث أبي هريرة بالشرط الأول فقط وقال الترمذى مؤمنا قال وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما وقال ابن ماجه مؤمنا قال الدارقطني والحديث ثابت ورواه القضاى في مسند الشهاب بلفظ المصنف .

من تدبير النفس إلى حسن تدبير الله تعالى . سئل سهل بن عبد الله التستري عن علم الحال قال هو ترك التدبير ولو كان هذا في واحد لكان من أوتاد الأرض . وروى زيد ابن خالد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاءه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله فانما هو شيء من رزق الله تعالى ساقه الله إليه » وهذا البعد الواقف مع الله تعالى في قبول ما ساق الحق آمن ما يغشى عليه إنما يغشى على من يرد لأن من رد لا يأمن من دخول النفس عليه أن يرى بعين الزهد في أخذه إسقاط نظر الحق تحققا بالصدق والاخلاص وفي إخراجه إلى الغير إثبات حقيقته فلا يزال في كلا الحالين زاهدا

عليه أحد لما كان على الملا فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة إذ قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن امرأة المؤمن » (١) أي يرى منه حالا يرى من نفسه فيستفيد للرب بأخيه معرفة عيوب نفسه ولو انقرد لم يستفد كما يستفيد بالمرأة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقال الشافعي رضي الله عنه من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه وقيل لمسر أحب من بخرك ببوك فقال إن نصحتني فبأبي وبينه فعم وإن قرعني بيني للملا فلا وقد صدق فإن النصيح على الملا فضيحة والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه على كل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب عمله غنوما إلى الملائكة الذين يغفون به إلى الجنة فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب غنوما ليرأوه وأما أهل اللق فتنادون على ردوس الأنهاد وتستطيق جوارحهم فضائحهم فيزدادون بذلك خزيا واقتضاها ونمود بالله من الحزى يوم العرض الأكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالأسرار والاعلان كما أن الفرق بين الداراة والمداينة بالعرض الباطن على الاعضاء فإن أغضيت لسلامة دينك ولما ترى من إصلاح أخيك بالاعضاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مدهن وقال ذوالنون لا تصحب مع الله إلا بالمواظقة ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة.. فإن قلت فإذا كان في النصيح ذكر العيوب فيه إيحاء للقلب فكيف يكون ذلك من حق الأخوة فأعلم أن الإيحاء إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه فأما توبيخه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استأالة القلوب أعني قلوب العقلاء وأما الحق فلا يلتفت إليهم فإن من ينهك على فعل مذموم فمأطيه أوصفه مذمومة انصرفت بها لتركي نفسك عنها كان كمن ينهك على حية أو عقرب تحت ذلك وقد همت بإهلاكه فإن كنت تكره ذلك لما أشد حملك والصفات الذميمة عقارب وحيات وهي في الآخرة مهلكات فاتها تلذغ القلوب والأرواح وألها أشدها يلذغ الظواهر والأجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من إخوانه ويقول رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه ولذلك قال عمر لسان وقد قدم عليه ما لدى بلغك تني عما تكره فاستغنى فألح عليه فقال بلغني أن لك حلتين تلبس إحداها بالهارة والأخرى بالليل وبلغني أنك تجمع بين إدامين على مائدة واحدة فقال عمر رضي الله عنه أما هذان قد كفيتهما فهل بلغك غيرها فقال لا وكتب حفصة الرعشى إلى يوسف بن أسباط بلغني أنك بعت دينك بعنتين وقتت على صاحب لبن قتلتك بكم هذا فقال بدس قتلته له لا بشمن فقال هو لك وكان يعرفك فكشف عن رأسك قناع الغافلين وانتبه عن ردة اللوني واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن وآخر الدنيا لم آمن أن يكون آيات الله من السهرتين وقد وصف الله تعالى الكاذبين يفضهم للناسحين إذ قال.. ولكن لا تحبون الناسحين - وهذا في عيب هو غافل عنه فأما ما علمت أنه يعلمه من نفسه فأما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغي أن يكشف فيه ستره إن كان يخفيه وإن كان يظهره فلا بد من التلطف في النصيح بالتمريض مرة وبالتصريح أخرى إلى حد لا يؤدي إلى الإيحاء فإن علمت أن النصيح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الإصرار عليه فالكسوت عنه أولى وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك في دينه أو دنياه أما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعاضد والتعرض لذلك ليس من النصيح في شيء * نعم إن كان بحيث يؤدي استمراره عليه إلى القطيعة فالعتاب في السر خير من القطيعة والتعرض به خير من التصريح والمكاتبة خير من الشافهة والاحتمال خير من الكل إذ ينبغي أن يكون قصدك من أخيك إصلاح نفسك بمرأيتك إياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستمانة به

(١) حديث المؤمن امرأة المؤمن أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد حسن .

يراه الغير بعين الرغبة لقلة العلم بحاله وفي هذا المقام يتحقق الزهد في الزهد ومن أهل الفتح من يعلم دخول الفتح عليه ومنهم من لا يعلم دخول الفتح عليه فمنهم من لا يتناول من الفتح إلا إذا تقدمه علم بتعريف من الله إياه ومنهم من يأخذ غير متطلع إلى تقدم العلم حيث تجرد له الفعل ومن لا ينتظر تقدم العلم فوق من ينتظر تقدم العلم لتتمام صحبته مع الله وإنساخه من إرادته وعلم حاله في ترك الاختيار ومنهم من يدخل الفتح عليه لا بتقدمة العلم ولا رؤية تجرد الفعل من الله ولكن يرزق شربا من الهبة بطريق رؤية النعمة وقد يشكبر شرب هذا بتغير معهود النعمة وهذا حال

والاسترقاق منه قال أبو بكر الكنانى سمى رجل وكان على قاي تحيلا فوهبت له يوما شيئا على أن يزول ما في يدي فلم يزول فأخذت يده يوما إلى البيت وقلت له ضع رجلك على خدي فأني قفقت لأبد ففعل فزال ذلك من قاي ، وقال أبو طي الرباطى صحبت عبدالله الرازى وكان يدخل البادية فقال على أن تسكون أنت الأمير أو أنا قفقت بل أنت فقال وعليك الطاعة قفقت نعم فأخذ حذاة ووضع فيها الزباد وحملها على ظهره فإذا قلت له أعطنى قال أئست قلت أنت الأمير فليك الطاعة فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسى إلى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عنى المطر فكنت أقول مع نفسى لئن مت ولم أكل أنت الأمير .

(الحق الخامس الغفوة عن الزلات والمفوات)

وهفوة الصديق لا تغلو إما أن تسكون في دينه بارتكاب معصية أو في حقا بتقصيره في الاخوة أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فليك التلطف في نصحه بما يقوم أوده ويجمع شمله ويعيد إلى الصلاح والورع حاله فان لم تقدر وبقي مصرا فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين في إدامة حق مودته أو مقاطعته فنذهب أبو ذر رضى الله عنه إلى الانقطاع وهذا إذا اقلب أخوك عما كان عليه فأبغضه من حيث أحببته ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله وأما أبو الدرداء وجاعة من الصحابة فذهبوا إلى خلافه فقال أبو الدرداء إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فان أخاك يوج مرة ويستقيم أخرى ، وقال إبراهيم النخعي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فانه يرتكبه اليوم ويتركه غدا ، وقال أيضا لا تعدنوا الناس بركة العالم فان العالم يزول الزلة ثم يتركها وفي الخبر « اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيته » (١) وفي حديث عمر وقد سأل عن أخ كان أخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال ما فعل أخى قال ذلك أخو الشيطان قال له قال إنه قارب الكيثر حتى وقع في الحفر قال إذا أردت الخروج فأذنى فكنت عند خروجه إليه بسم الله الرحمن الرحيم - حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العظيم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لى عمر فتاب ورجع . وحكى أن أخوين ابني أحدهما يهوى فأظهر عليه أخاه وقال إني قد اعتلت فان شئت أن لا تعقد على صحبتى لله فافعل فقال ما كنت لأحل عقد أخوتك لأجل خطيئتكم أبدانهم عقد أخوه بينه وبين الله أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافى الله أخاه من هواء فطوى أربعين يوما في كلها يسأله عن هواء فكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو يتحلل من القم والجوع حتى زال الهوى عن قلب أخيه بعد الأربعين فأخبره بذلك فأكل وشرب بعد أن كاد يلفظ هزالا وضرا . وكذلك حكى عن أخوين من السلف اقلب أحدهما عن الاستقامة فقيل لأخيه ألا تقطعه وتهجره فقال أوج ما كان إلى في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن أخذ يده وأنظف له في العاتية وأدعوله بالعود إلى ما كان عليه . وروى في الاسرائيليات أن أخوين عابدين كانا في جبل نزلا أحدهما ليشتري من الصر لحما بدرهم فرأى بيا عند اللحام فرمقها وعشقها واجتذبها إلى خلوة وواقما ثم أقام عندهما ثلاثا واستحيا أن يرجع إلى أخيه حياء من جنابته قال فاقتده أخوه واهتم بشأنه فزلا إلى المدينة فلم يزلا يسأل عنه حتى دل على فدخل إليه وهو جالس معها فاعتقه وجعل يقبله ويلتزمه وأنكر الآخر أنه يعرفه قط لفرط استحيائه منه فقال قم يا أخى قد عدلت شأنك

(١) حديث اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيته البغوى في اللجم وابن عدى في الكامل من حديث عمرو بن عوف الزنى وضفاء .

ضئيف بالإضافة إلى الحالين الأولين لأنه علة في المحبة ووليعة في الصدق عند الصديقين وقد ينظر صاحب الفتوح العلم في الإخراج أيضا كما ينظر في الأخذ لأن النفس تظهر في الإخراج كما تظهر في الأخذ وأتم من هذا من يكون في إخراجها عتارا وفي أخذه عتارا بعد تحقته بصحة التصرف فان انتظار العلم إنما كان لموضع اتهام النفس وهويته هوى موجود فاذا زال الاتهام بوجود صريح العلم يأخذ غير محتاج إلى علم متجدد ويخرج كذلك وهذه حال من تحقق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه « فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا فيسمع وبصير فيبصر فينطق » الحديث فلما صح تعرفه صح تصرفه وهذا أعز في الأحوال

وفسنتك وما كنت قط أحب إلى ولا أعز من ساعتك هذه فلما رأى أن ذلك لم يسقطه من عينه قام فانصرف معه فهذه طريقة قوم وهي اللطف وأهله من طريقة أبي ذر رضي الله عنه وطريقته أحسن وأسلم . فإن قلت ولم قلت هذا اللطف ومقارفة هذه الصبية لأنجوز مؤاخاته ابتداء تحب مقاطعة انتهاء لأن الحكم إذا ثبت بمقارفة القياس أن يزول بزوالها وعلة عقد الأخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة الصبية . فأقول أما كونه ألطف فلما فيه من الرفق والامتنان والتعطف للقضى إلى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصبغة ومهما قوطع واقطع طمعه من الصبغة أصر واستمر وأما كونه أهله فمن حيث إن الأخوة عقد ينزل منزلة القرابة فإذا انقضت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء بأن لا يهمل أيام حاجته وقهره وقهر الدين أن يهمل من قبله لئلا يصابته جائحة وألتم به آفة أخف سببها في دينه فيبني أن يراقب ويراعى ولا يهمل بل لا يزال يطلبه ليعان على الخلاص من تلك الوضعية التي ألتم به فالأخوة عدة للثبات وحوادث الزمان وهذا من أشد التوابع والقابض إذا صاحب تقياً وهو ينظر إلى خوفه ومدامته فيرجع على قرب ويستحي من الإصرار بل السكسلان يسحب الحرس في العمل فيحرص حياء منه . قال جعفر بن سلمان بهما قرت في العمل نظرت إلى محمد بن واسع وإقباله على الطاعة فيرجع إلى نشاط في العبادة وفارقتي السكسل وحملت عليه أسبوعاً وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لمة كلحة النسب والقرب لا يجوز أن يهجر بالصبي ولذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في عشرينه - فان عسوك قل إنى برى - مما تاملون - ولم يقل إنى برى - منكم مرادة لحق القرابة و لمة النسب وإلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له ألا تنفض أخاك وقد فصل كذا فقال إنما أبغض عمله وإلا فهو أخى وأخوة الدين أو كد من أخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم إنما أحب إليك أخوك أو صديقك فقال إنما أحب أخى إذا كان صديقاً وكان الحسن يقول كم من أخ لم تلغه أمك وقد لك قيل القرابة تحتاج إلى مودة واللذة لا تحتاج إلى قرابة وقال جعفر الصادق رضي الله عنه مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم مائة من قطعها قطعه الله فاذا ن الوفاء بقدر الأخوة إذا سبق انقضاءها واجب وهذا جوابنا عن ابتداء اللؤاخة مع الفاسق فإنه لم يتقدم له حق فإن تقدمت له قرابة فلا جرم لا يبنين أن يقطع بل يحامل والدليل عليه أن ترك اللؤاخة والصبغة ابتداء ليس مذموماً ولا مكروهاً بل قال قائلون الاقتراد أولى فأما قطع الأخوة عن دوامها فهي عنه ومذموم في نفسه ونسبته إلى تركها ابتداء كنسبة الطلاق إلى ترك النكاح والطلاق أبغض إلى الله تعالى من ترك النكاح قال صلى الله عليه وسلم « شرار عباد الله المشاءون بالثيمة المرفقون بين الأحبة »^(١) وقال بعض السلف في سترولات الإخوان ود الشيطان أن يلقي على أخيك مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه ثم إذا اتقيتم من حجة عدوك وهذا لأن التفريق بين الأحياء من محاب الشيطان كما أن مقارفة الصبيان من محابة فإذا حصل للشيطان أحد غرضه فلا يبنين أن يضاف إليه الثاني وإلى هذا أشار عليه السلام في الذي شتم الرجل الذي أتى فاحشة إذ قال له وزبره وقال « لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيك »^(٢) فهذا كله يتبين الفرق بين الدوام والابتداء لأن مخالطة الفاسق محدودة ومقارفة الأحياء والأخوان أيضاً محدودة وليس من سلم عن معارضة غيره كالذى لم يسلم وفي الابتداء قد سلم فرأينا أن الهاجرة والتباعد هو الأولى وفي الدوام تعارضا فكان الوفاء بحق الأخوة أولى هذا كله في زلته في دينه أما زلته في فقهه بما يوجب إجماعه فلا خلاف في أن الأولى العفو والاحتياط بل كل ما يحتمل تنزيهه على وجه حسن ويتصور تمهيد

من الكبريت الأحمر
وكان شيخنا ضياء
الدين أبو النجيب
السهروردي رحمه الله
يحكى عن الشيخ حماد
الدهاس أنه كان يقول
أنا لا أكل إلا من طعام
الفضل فكان يرى
الشخص في المنام أن
يحمل إليه شيئاً وقد
كان يبين للرأى في المنام
أن يحمل إلى حماد
كذا وكذا وقيل إنه
بقى زماناً يرى هو في
واقته أو منامه إنك
أحلت على فلان بكذا
وكذا، وحكى عنه أنه
كان يقول كل جسم
تربي بطعام الفضل
لا يسلط عليه البلاء
وبنى بطعام الفضل
ما شهد له محبة الحال
من فتوح الحق ومن
كانت هذه حالته فهو
غنى بالله . قال
الواسطي الافتقار إلى
الله أعلى درجة للردين
والاستغناء بالله أعلى
درجة الصديقين
وقال أبو سعيد الخراز

- (١) حديث شرار عباد الله المشاءون بالثيمة المرفقون بين الأحبة أحمد بن حنبل في حديث أسماء بنت يزيد بسند ضعيف
(٢) حديث لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيك . البخاري من حديث أبي هريرة وتقدم في الباب قبله .

عذره فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق الأخوة فقد قيل ينبغي أن تستبسط لزلّة أخيك سبعين عذرا فان لم يقبله تلك فرد اللوم على نفسك فتقول لتلك ما أقصاك يتندر إليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبله فأنت المعب لا أخوك فان ظهر بحث لم يقبل التحسين فينبغي أن لا تنضب إن قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك واحترز أن تكون شيطانا إن لم تقبل قال الأخف حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثا ظلم الغضب وظلم العدالة وظلم المغفرة وقال آخر ما شئت أحدا قط لأنه إن شئتني كرم فأنأ أحق من غفرها له أولئك فلا أجعل عرضي له عرضا ثم تمتل وقال :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم القيم تكريما

وقد قيل : خذ من خليلك ماصفا ودع الذي فيه الصكدر

فالصبر أقصر من معاينة الخليل على الصبر

ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبا كان أو صادقا فاقبل عذره قال عليه السلام « من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب السكس^(١) » وقال عليه السلام « المؤمن سريع الغضب سريع الرضا^(٢) » فلم يصفه بأنه لا يغضب وكذلك قال الله تعالى - والكاملين العيظ - ولم يقل والفائدين العيظ وهذا لأن العادة لا تنتهي إلى أن يخرج الإنسان فلا يتألم بل تنتهي إلى أن يصبر عليه ويحتمل وكما أن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم بأسباب الغضب طبع القلب ولا يمكن قلمه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضي التشنج والاستقام والسكافة وترك العمل بمقتضاه يمكن وقد قال الشاعر :

ولست بمستيق آخا لآلته على شتم أي الرجال المهذب

قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري إذا واخبت أحدا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تأمن من أن ترى في جوابك ما هو شر من الأول قال تجربته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضع الأخ خير من معاتبته والمعاتبه خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقعة وينبغي أن لا يبالغ في البغضة عند الوقعة قال تعالى - عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة - وقال عليه السلام « أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون يفيضك يوما ما وابتض يفيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكك .

﴿ الحق السادس ﴾

(الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل مايجبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به فتدعوه كما تدعو لنفسك)

(١) حديث من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل صاحب مكس ابن ماجه وأبو داود في للراسل من حديث جودان واختلف في صحته وجهه أبو حاتم وباقي رجاله ثقات ورواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر بسند ضعيف (٢) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضا لم أجده هكذا ولا ترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد الخدري ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى الحديث وفيه ومنهم سريع الغضب سريع النسي فذلك بتلك (٣) حديث أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون يفيضك يوما ما الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال غريب قلت رجاله ثقات رجال مسلم لكن الراوي تردد في رفته .

العارف تديره في تدير الحق فالواقف مع الفتح واقف مع الله ناظر إلى الله وأحسن ما حكي في هذا أن بعضهم رأى النوري يمد يده ويسأل الناس قال فاستعظمت ذلك منه واستعجته له فأنتيت الجنيذ وأخبرته فقال لي لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسأل الناس إلا لمعطيهم سؤلهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضره وقول الجنيذ لمعطيهم كقول بعضهم اليد العليا يد الأخذ لأنه يعطي الثواب قال ثم قال الجنيذ هات للبران فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على المائة ثم قال أحملها إليه فقلت في نفسي إنما وزن لي عرف مقدارها فكيف خلط المجهول بالموزون وهو رجل حكيم واستحييت أن أسأله فنهبت بالصره

ولا تفرق بين نفسك وبينه فان دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق فقد قل صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك » (١) وفي لفظ آخر « يقول الله تعالى بك أبدأ يا عبدى » (٢) وفي الحديث « يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه » (٣) وفي الحديث « دعوة الرجل لأخيه في ظهر الغيب لا ترد » (٤) وكان أبو الدرداء يقول إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أعيمهم بأصنامهم وكان محمد بن يوسف الأصمهاني يقول وأين مثل الأخ الصالح أهلك يقتسمون ميراثك ويتقسمون بما خلفت وهو منفرد بمنزلة ما قمت وما صرت إليه يدعو لك في ظلة الليل وأنت تحت أطباق الترى وكان الأخ الصالح يقتدى للملائكة إذ جاء في الخبر « إذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم » (٥) يفرحون له بما قدم ويسألون عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغه موت أخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كأنه شهد جنازته وصل عليه . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل الميت في قبره مثل الفريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب » (٦) وإنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند أخيك فلان من عند قريبك فلان قال فيخرج بذلك كما يفرح الحي بالهدية .

(الحق السابع الوفاء والإخلاص)

ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه فان الحب إنما يراد للأخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وشاع السعي ولذلك قال عليه السلام « في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله ورجلان تعابا في الله اجتماعا على ذلك وتفرقا عليه » (٧) وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة ولذلك روى أنه عليه السلام « أكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين » (٨) فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والتعلقين به ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديهما من المحبوب إلى كل من يتعلق به حتى السكب الذي على باب داره ينبغي أن يميز في القلب عن سائر السكاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فانه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخين في الله ومتحابين

- (١) حديث إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك مسلم من حديث أبي الدرداء
- (٢) حديث الدعاء للأخ بظهر الغيب وفيه يقول الله بك أبدأ يا عبدى لم أجدها اللفظ (٣) حديث يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه لم أجده بهذا اللفظ ولأن داود والترمذي وضعه من حديث عبد الله بن عمرو إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب (٤) حديث دعوة الأخ لأخيه في الغيب لا ترد الدارقطني في العلل من حديث أبي الدرداء وهو عند مسلم إلا أنه قال مستجابة مكان لا ترد (٥) حديث إذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٦) حديث مثل الميت في قبره مثل الفريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة ولد أو والد الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة قال الذهبي في الليزان إنه خبر منكر جدا (٧) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث تقدم غير مرة (٨) حديث إكرامه صلى الله عليه وسلم لمجوز دخلت عليه وقوله إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة .

إلى النورى قال مات
لليزان فوزن مائة درهم
وقال ردّها وقل له أنا
لا أقبل منك عينا
وأخذ ما زاد على المائة
قال فزاد تنجي فأنه
على ذلك قال الجنيد
رجل حكيم يريد أن
يأخذ الجبل بطريقه
وزن المائة نفسه طلبا
للثواب وطرح عليها
قبضة بلا وزن فـ
أخذت ما كان فـ
وردت ما جعله لنفسه
قال فردتها على الجنيد
فبكى وقال أخذ ماله
ورد ماله . ومن
لطائف ما سمعت من
أصحاب شيخنا أنه قال
ذات يوم لأصحابه نحن
نحتاجون إلى شيء من
العلوم فارجعوا إلى
خلواتكم واسألوا الله
تعالى وما يفتح الله
تعالى لكم التوفيق به
فعلوهم جاءهم من بينهم
فخص برف بسميل
البطاخي ومعه كاغد
عليه ثلاثون دائرة
وقال هذا الذي فتح

فيه فانه يجهد نفسه لافساد ما بينهما فلله تعالى - وقل لعمري يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان يزغ بينهم - وقال عبداً عن يوسف - من بعد أن زغ الشيطان بيني وبين إخوتي - ويقال ما تواخى اتان في الله تفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما وكان بشر يقول إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه وذلك لأن الإخوان مسلاة للمعصية وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك ألد الأشياء محالة الإخوان والانتقال إلى كفاية والمودة الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض ومن ثمرات المودة في الله أن لا تكون مع حسد في دين ودنيا وكيف يحسده وكل مذهب لأخيه فإليه ترجع فائدته وبه وصف الله تعالى المحبين في الله تعالى فقال - ولا يجحدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم - ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفاء أن لا يتغير حاله في التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه فارتفع على الإخوان بما يتجدد من الأحوال لئلا قال الشاعر :

إن السكرام إذا ما أسروا ذكروا من كان يألفهم في التزل الخشن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك وإن استغثت عنه لم يطعم فيك وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك ودل بعض الحكماء إذا ولي أخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير . وحكي الريبع أن الشافعي رحمه الله أتى رجلاً يفتقد ثم إن أخاه ولي السجين فغير له عما كان عليه فكتب إليه الشافعي بهذه الأبيات :

أذهب فودك من فؤادي طالق أبداً وليس طلاق ذات البين

فإن أروعيت فاتها تظليقة ويدوم ودك لي على ثنتين

وإن امتعت شفعها بمثالها فتكون تظليقين في حيزين

وإذا التلات ألتك مني بنة لم تقن عنك ولاية السيين

واعلم أنه ليس من الوفاء مواقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة فقد كان الشافعي رضي الله عنه أتى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمي بعصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعي رحمه الله تعالى فقال :

مرض الحبيب فعدته فمرضت من حذري عليه

وأتى الحبيب يودني فبرئت من نظري إليه

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حالته إليه بعد وفاته فقبل للشافعي في علته التي مات فيها رضي الله عنه إلى من يجلس بهدك يا أبا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومي إليه فقال الشافعي سبحان الله أشك في هذا أبو يعقوب البويطي فأنكسر لها محمد وماله أمحبته إلى البويطي مع أن محمداً كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزهد والورع فنصح الشافعي له وللمسلمين وترك المداينة ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى فلما توفي انقلب محمد ابن عبد الحكم عن مذهبه ورجع إلى مذهبه أيه ودرس كتب مالك رحمه الله وهو من كبار أصحاب مالك رحمه الله وأثر البويطي الزهد والخمول ولم يجبه الجمع والجلوس في الخلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الأم الذي ينسب الآن إلى الريبع بن سليمان ويرفبه وإنما صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه فزاد الريبع فيه وتصرف وأظهره والقصد أن الوفاء بالهبة من تمامها الصحيح قال الأحنف الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة لآفات فاحرسها بالكظم حتى تستدر إلى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك القصير ومن آثار الصدق والإخلاص وتتمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة لقور الطبع عن أسبابها كما قيل :

الله لي في واقعي فأخذ
الشيخ الكاغد فلم
يكن لإساعة فإذا
بشخص دخل ومعه
ذهب قدمه بين يدي
الشيخ ففتح القرطاس
وإذا هو ثلاثون
محيحة فترك كل
محيح على دائرة وقال
هذا فتوح الشيخ
إسماعيل أو كلاماً هذا
معناه . وصحت أن
الشيخ عبد القادر
رحمه الله بث إلى
شخص وقال لفلان
طعام وذهب اتنى من
ذلك بكذا ذهباً
وكذا طاماً فقال الرجل
كيف تصرف في وديعة
عندي ولو استفتيتك
ما أفتيتي بالتصرف
فأثمه الشيخ بذلك
فأحسن الظن بالشيخ
وجاء إليه بالذي طلب
فلما وقع التصرف
منه جاءه مكتوب من
صاحب الوديعة وهو
غائب في بعض نواحي
العراق أن أجل إلى
الشيخ عبد القادر

وجدت مصييات الزمان جميعها سوى فرقة الأحباب هينة الخطب .

وأنشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يجيل إلى أن حسرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لاصيا من يظهر أولا أنه يحب لصديقه كيلا يئس ثم بلى الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق الحيل في التضريب ومن لم يعتز من له تدم مودته أصلا قال واحد الحكميم قد جئت خاطبا لمودتك قال إن جعلت مهرها ثلاثا فلت قال وما هي قال لا تسمع على بلاغة ولا تخالفني في أمر ولا توطئ عشوة ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي رحمه الله إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عدوئك .

(الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكلف)

وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفقه عن أن يحمله شيئا من أعبائه فلا يستمد منه من جاء ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لأحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد عجنه إلا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا ببقائه واستمانة به على دينه وتقربا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤثته قال بعضهم من اقتضى من إخوانه ما لا يقتضونه قد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه قد آثمهم ومن لم يقتض فهو للتفضل عليهم وقال بعض الحكماء من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره آثم وأثما ومن جعل نفسه في قدره تب وآثمهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتعام التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحي منه فبا لا يستحي من نفسه وقال الجنيدي ما تواخي اثنان في الله فاستوحش أحدهما من صاحبه أو احتشم إلا لمة في أحدهما وقال على عليه السلام شر الأصدقاء من تكلف لك ومن أحوجك إلى مداراة وأجلك إلى اعتذار وقال الفضيل إنما ضايع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلفه فيقطع ذلك عنه وقالت عائشة رضي الله عنها المؤمن أخو المؤمن لا يئتمنه ولا يحتمسه وقال الجنيدي صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلاثون رجلا حارثا المحاسن وطبقته وحسنا للسوسى وطبقته وسريا السقطى وطبقته وابن الكربي وطبقته فما تواخي اثنان من الله واحتبم أحدهما من صاحبه أو استوحش إلا لمة في أحدهما وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع عنك أهل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما يقول أقلل إخواني على من يتكلف لي وأحفظ منه وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس إلا من لا تزيد عنده ير ولا تنقص عنده يئتم يكون ذلك لك وعليك وأنت عنده سواء وإنما قال هذا لأن به يتخلص عن التكلف والتحفظ وإلا فالطبع يحمله على أن يتحفظ منه إذا علم أن ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع أبناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال آخر لا تصعب إلا من يتوب عنك إذا أذنبت ويبتدر إليك إذا أسأت ويجعل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وقائل هذا قد ضيق طريق الآخرة على الناس وليس الأمر كذلك بل ينبغي أن يواخي كل متدين عاقل ويوزم على أن يقوم بهذه الشرائط ولا يكلف غيره هذه الشروط حتى تكثر إخوانه إذ به يكون مواخيا في الله وإلا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيدي قد عز الإخوان في هذا الزمان أين أخلي في الله فأعرض الجنيدي حتى أعاده ثلاثا فلما أكثر قال له الجنيدي إن أردت أخا يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا العمرى قليل وإن أردت أخا في الله تحمل أنت مؤنته وتبصر على أذاه فندي جماعة أعرفهم لك فسكت الرجل . واعلم أن الناس ثلاثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تهدر على أن تنتفعه ولا تنضر به ولكن

كذا وكذا وهو القدر الذي عنه الشيخ عبد القادر صاحب الفتيخ بعد ذلك على توفقه وقال ظننت بالقراءة أن إشاراتهم تكون على غير صفة وعلم فالعبد إذا صح مع الله تعالى وأتقى هواه متطليا رضا الله تعالى يرفع الله عن باطنه هموم الدنيا ويجعل القنى في قلبه وينتج عليها بواب الرفق وكل الظنوم للتسلطة على بعض الفقراء لكون قلوبهم ما استكملت المحمل بالله والاهتمام برعاية حقائق العبودية فلي قدر ما خلت من نظم بالله ابتليت بهم الدنيا ولو امتلأت من ثم الله ما عذبت بهموم الدنيا وقتما وارتقت . روى أن عوف بن عبد الله للسودى كان له ثلثانة وستون صديقا وكان يكون عدد كل واحد يوما وآخر كان له ثلاثون

لا تنتفع به ورجل لا تقدر أيضا على أن تنفعه وتضرر به وهو الأحق أو السوء الخلق فهذا الثالث ينبغي أن تجنبه فأما الثاني فلا تجنبه لأنك تنتفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه وشوايك على القيام به وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن أعطيتي لنا أكثر إخوانك أي إن واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسهم وقد قال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف فاني كنت معهم على قسي ومن كانت هذه شيعة كثير إخوانه . ومن التخفيف وترك التكلف أن لا يعترض في نوافل العبادات . كان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين أربع معان إن أكل أحدهم التمار كله لم يقل له صاحبه صم وإن صام الشهر كله لم يقل له أفطر وإن نام الليل كله لم يقل له قم وإن صلى الليل كله لم يقل له تم وتسدوى حالته عنده بلا مزيد ولا نقصان لأن ذلك إن تفاوت حرك الطبع إلى الرياء والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كفته دامت أفته ومن خفت مؤنته دامت مودته وقال بعض الصالحين إن الله لمن التكلفين وقال صلى الله عليه وسلم « أنا والأنبياء من أمي برآء من التكلف » (١) وقال بعضهم إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به (٢) إذا أكل عنده ودخل الحلاء وصلى ونام فذكر ذلك لبعض الشايع قاله بقيت خامسة وهو أن يحضر مع الأهل في بيت أخيه ويجماعها لأن البيت يتخذ للاستخفاء في هذه الأمور الخمسة وإلا فالساجد أروح لقلوب المتبدين فإذا فعل هذه الخمس فقد تم الإخاء وارتفعت الحشمة وبأكد الانبساط وقول العرب في تسليمهم بشر إلى ذلك إذ يقول أحدهم لصاحبه مرحبا وأهلا وسهلا أي لك عندنا مرحب وهو السمة في القلب واللكان ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة لك منا ولك عندنا سهولة في ذلك كله أي لا يشتد علينا شيء مما تريد ولا يمت التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه ويحسن الظن بهم ويسوء الظن بنفسه فإذا رآهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم وقال أبو معاوية الأسود إخواني كلهم خير مني قيل وكيف ذلك ؟ قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلى على نفسه فهو خير مني وقد قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله والاخير في صفة من لا يرى لك مثل ماترى له » (٣) فهذه أقل الدرجات وهو النظر بين المساواة والكمال في رؤية الفضل للأخ ولذلك قال سفيان إذا قيل لك يا بشر الناس فضبت فأنت شر الناس أي ينبغي أن تكون معتقدا ذلك في نفسك أبدا وسيأتي وجه ذلك في كتاب الكبير والمجب وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان آيات :

تذلل لمن إن تذلل له يرى ذاك للفضل لا للبه

وجانب صداقة من لا يزال على الأصدقاء يرى الفضل له

وقال آخر : كم صديق عرفته بصديق صار أحظى من الصديق العتيق

ورفيق رأيت به في طريق صار عندي هو الصديق الحقيقي

ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم قال صلى الله عليه وسلم « بحسب المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم » (٤) ومن تمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور

(١) حديث أنا وأمّي برآء من التكلف الدارقطني في الأفراد من حديث الزبير بن العوام ألا إني برىء من التكلف وصالحو أمّي وإسناده ضعيف (٢) حديث إذا صنع الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث المرء على دين خليله والاخير في صفة من لا يرى لك مثل ماترى له تقدم الشطر الأول منه في الباب قبله وأما الشطر الثاني فرواه ابن عدي في الكامل من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . مسلم

صدقا يكون عند كل واحد يوما وآخر كان له سبعة إخوان يكون كل يوم من الأسبوع عند واحد فكان إخوانهم معلومهم والمعلوم إذا أقامه الحق للنظر إلى الله الكامل توحيد يكون نعمة هينة . جاء رجل إلى الشيخ أبي السعود رحمه الله وكان من أرباب الأحوال السنية والواقفين في الأشياء مع فضل الله تعالى متمكنا من حاله تاركا لاختياره ولعله سبق كثيرا من المتقدمين في تحقيق ترك الاختيار رأينا منه وشاهدنا أحوالا صحيحة عن قوة وتمكين فقال له الرجل أريد أن أعين لك شيئا كل يوم من الخبر أحمله إليك ولكي قلت الصوفية يقولون المعلوم شؤم قال الشيخ نحن ما نقول المعلوم شؤم فإن الحق يصفى لنا وفضله نرى فكل ما يقسم لنا

إخوانه في كل ما يقصده ويقبل إشاراتهم فقد قال تعالى - وشاورهم في الأمر - وينبغي أن لا يخفى عنهم شيئا من أسراره كما روى أن يعقوب بن أخى معروف قال جاء أسود بن سالم إلى عمى معروف وكان مواخيا له فقال إن جبرين الحارث يحب مؤاخاتك وهو يستحي أن يشافئك بذلك وقد أرسلني إليك بسألك أن تقفله فإيّا ينك وبينه أخوة يختصها ويستد بها إلا أنه يشترط فيها شروطا لا يجب أن يشتر بها ذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقة فإنه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف أما أنا لو آخيت أحدا لم أحب مفارقتها ولا نهارا ولا ليلته في كل وقت وآثرته على نفسي في كل حال ثم ذكر من فضل الأخوة والحب في الله أحاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله ﷺ عليا فشاركه في العلم ^(١) وقاسمه في البدن ^(٢) وأنكحه أفضل بناته وأحبهن إليه وخصه بذلك لمؤاخاته ^(٣) وأنا أشهدك أني قد عقدت له أخوة بيني وبينه وعقدت إخاءه في الله لرسالتك ولما أنه على أن لا يزوري إن كره ذلك ولكني أزوره متى أحببت ومعه أن يلقاني في مواضع تلتقي بها ومعه أن لا يخفى على شيئا من شأنه وأن يطلعني على جميع أحواله فأخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضى وسر به فهذا جامع حقوق الصفة وقد أجملناه مرة وفضلناه أخرى ولا يتم ذلك إلا بأن تكون على هك للأخوان ولا تكون لنفسك عليهم وأن تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك - أما البصر فبأن تنظر إليهم نظر مودة يعرفونهم منك وتنظر إلى محاسنهم وتسامي عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقبالهم عليك وكلامهم معك روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعطي كل من جلس إليه نصيبا من وجهه وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى كان مجلسه ومعه وحديثه ولطيف مسأله وتوجهه للجالس إليه ^(٤)

من حديث أبي هريرة وقدم في أثناء حديث لاتدابوا في هذا الباب ^(١) حديث أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وشاركه في العلم للنساء في الخصائص من سننه الكبرى من حديث على قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب الحديث وفيه فأبكم يابني على أن يكون أخى وصاحبي ووارثي فلم يبق إليه أحد قصمت إليه وفيه حتى إذا كان في الثالثة ضرب بيده على يدي وله وللحاکم من حديث ابن عباس أن عليا كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إنني لأخوه ووليّه ووارث علمه الحديث وكل ما ورد في أخوته فضعيف لا يصح منه شيء وللترمذي من حديث ابن عمر وأنت أخى في الدنيا والآخرة وللحاکم من حديث ابن عباس أنا مدينة العلم وعلى بابها وقال صحيح الإسناد وقال ابن جبان لأصله وقال ابن طاهر إنه موضوع وللترمذي من حديث على أنا دار الحكمة وعلى بابها وقال غريب ^(٢) حديث مقاسمته عليا للبدن مسلم في حديث جابر الطويل ثم أعطى عليا فخر مانع وأشركه في هديه ^(٣) حديث أنه أنكح عليا أفضل بناته وأحبهن إليه هذا معلوم مشهور في الصحيحين من حديث على لما أردت أن أبني فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا الحديث وللحاکم من حديث أم أيمن زوج صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة عليا الحديث وقال صحيح الإسناد وفي الصحيحين من حديث عائشة بنت النبي صلى الله عليه وسلم أم ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين الحديث ^(٤) حديث كان يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه الحديث الترمذي في الشاغل من حديث على في أثناء حديث فيه يعطي كل جلسائه نصيبه لا يحب جليسه أن أحدا أكرم عليه ممن جالسه ومن سأله حاجة لم يرد إلا بها أو بميسور من القول ثم قال مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة وفيه يضحك مما يضحكون ويشتجب مما يتعجبون منه وللترمذي من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا أكرم تبعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب

نزله مباركا ولا فراه
عوما. أخبرنا أبو زرعة
إجازة قال أنبا نوبو بكر
ابن أحمد بن خلف
الشيرازي إجازة قال أنا
أبو عبد الرحمن السلي
قال سمعت أبا بكر بن
شاذان قال سمعت أبا
بكر السكتاني قال كنت
أنا وعمرو والسلي وعياش
ابن للهدى نسطب
ثلاثين سنة ففعل
الشدلة على طهر الصبر
وكنا نقودا بمكة على
التجريد مانا على
الأرض ما يساوى فلما
وربما كان يصحبنا
الجوع يوما ويومين
وثلاثة وأربعة وخمسة
ولا نسأل أحدا فإن
ظهر لنا شيء وعرفنا
وجهه من غير سؤال
ولا تعريض قبلناه
وأكلناه وإلا طوبنا
فاذا اشتد بنا الأمر
وخفنا على أنفسنا
التقصان في القرائض
قصدا بأبي عبد الحراز
فيتخذنا ألوانا من
الطعام ولا تصد غيره

وكان مجلسه مجلس حياة وتواضع وأمانة وكان عليه السلام أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتعبجا لما يحدثونه به وكان يضحك أصحابه عنده التيسر اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه السلام .
وأما السمع فيأن تسمع كلامه متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا لاستبشار به ولا تخطع حديثهم عليهم بمرادة ولا منازعة ومداخلة واعتراض فإن أرهقك عارض اعتذرت إليهم وتعرس سمعك عن سماع ما يكرهون . وأما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فإن القول فيه يطول ومن ذلك أن لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم إلا بما يفقهون . وأما البدان فإن لا يقبضها عن معاوئتهم في كل ما يتعاطى باليد . وأما الرجلان فإن يمشي بهما وراءهم مشي الأنبياء لأمشي للتبوعين ولا يتقدمهم إلا بقدر ما يقدمونه ولا يقرب منهم إلا بقدر ما يقربونه ويقوم لهم إذا أقبلوا ولا يقعد إلا بالقيودم ويقعد متواضعا حيث يقعد ومهما تم الاتحاد خف حملهم من هذه الخلق مثل القيام والاعتذار والثناء فانهم من حقوق الصعبة وفي ضمنها نوع من الأجنبية والتكلف فإذ اتهم الانحياز انطوى بساط التكلف والكلفة فلا يسلك به إلا مسلك نفسه لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف إظهار ما فيها ومن كان نظره إلى محبة الخلق فتارة يروج وتارة يستقيم ومن كان نظره إلى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحلب فتولد خلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها على أنواع الخدمة فإذ لا وصول إليها إلا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القائم الصائم وزيادة .
[خاتمة لهذا الباب] نذكر فيها جملة من آداب العشرة والمجالسة مع أصفاء الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكماء . إن أردت حسن العشرة فائق صدقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة تسهم وتوقير من غير كبر وتواضع في غير مذلة وكن في جميع أمورك في وسطها فكلما طرفي قصد الأمور ذمهم ولا تنتظر في عطفك ولا تسكر الالفات ولا تنفخ على الجماعات وإذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشييك أصابعك والبعث بلحيتك وخاتمك وتخليل أسنانك وادخال أصبعك في أنفك وكثرة بصاقتك وتخمك وطرده الذباب من وجهك وكثرة التخطي والثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيره وألكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واصغ إلى الكلام الحسن بمن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط ولا نسأله إعادته واسكت عن الضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولده ولا جارتك ولا تشارك ولا تصنيفك وسائر ما يحسك ولا تصنع تصنع المرأة في التزين ولا تبدل تبدل العبد وتوق كثرة السكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم إن رأوه قليلا هنت عندهم وإن كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم وخوفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تنهزل أمثك ولا عبيدك فيسقطوا رقك وإذا خاضعت فتوقروا وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تسكر الإشارة بيدك ولا تسكر الالفات إلى من وراءك ولا تبحث على ركبتك وإذا هدا غيظك فتسكلم وإن قريك سلطان فكن منه على مثل حد السنان فإن استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك وارفقه برقك بالصبي وكله بما يشبهه ما لم يكن معصية ولا يحملتك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وإن كنت لذلك مستحقا عنده فإن سقطك الداخل بين الملك وبين أهله سقط لا تمشي وزلة لا تقال وإياك وصديق العافية فإنه أعدى الأعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك وإذا دخلت مجلسا فالأدب فيه البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب إلى التواضع وأن تحيى بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فإن جلست فأدبه غش البصر ونصرة للظلم وإغاثة لللهوف وعون للضعيف وإرشاد النصارى ورد السلام وإعطاء السائل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتداد لوضع البصاق ولا تبصق في جهة القبلة ولا عن

ولا تنبسط إلا إليه لما
تفرق من خواه
وورعه . وقيل لأبي
يزيد ما نراك تشتغل
بكسب فن ابن معاشك
فقال مولاي يرزق
الكلب والخنزير تراه
لا يرزق أبا يزيد .
قال السلي سمعت أبا
عبد الله الرازي يقول
سمعت مظفرا القرميسني
يقول الفقير الذي
لا يكون له إلى الله
حاجة . وقيل لبعضهم
ما الفقر قال وقوف
الحاجة على القلب
ومحوها من كل أحد
سوى الرب . وقال
بعضهم أخذ الفقير
الصدقة ممن يعطيه
لا يمن تصل إليه على
يده ومن قبل من
الوسائط فهو الترسم
بالفقر مع دناءة همة .
أبا نعيم خاضع الدين
أبو النجيب السهروردي
قال أبا نعيم الدين أبو
حفص عمر بن أحمد
ابن مصور الصفا قال
أنا أبو بكر أحمد بن

يمكن ولكن عن يسارك ونحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك فإن فعلت فأدبه ترك النسبة ومجانبة الكذب وصيانة السروقة الحوائج وتهذيب الألفاظ والاعراب في الخطاب ولذلك كرهنا خلق الملوك وقلة للدابة وكثرة الحذر منهم وإن ظهرت لك الودعة وأن لا تتجشأ بحضرتهم ولا تتخلل بعد الأكل عنده وعلى الملك أن يحتمل كل شيء إلا إفساء السروقة والتدس في الملك والتعرض للحرم ولا تجالس العامة فإن فعلت فأدبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء أفعالهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم وإياك أن تعارض لينا أو غريلبا فإن التيب بمقد عليك والسفيه يغتري عليك لأن الزاح يخرق الحمية ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجريء السفيه ويسقط المنزلة عند الحكم ويعتله التلوث وهو يبيت القلب ويساعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث الفتنة وبه تظلم السرائر وتغتم الحواطر ويكثر العيوب وتبين الذنوب وقد قيل لا يكون المزاح إلا من سخط أو بطر ومن بلى في مجلس مزاح أو لفظ فليذكر الله عند قيامه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من جلس في مجلس فكثر فيه لظه قال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم ومحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا نفر له ما كان في مجلسه ذلك ^(١) » .

(الباب الثالث في حق السلم والرحم والملك وكيفية المعاشرة مع من بدلي بهذه الأسباب)

اعلم أن الانسان إما أن يكون وحده أو مع غيره وإذا تعدد عيش الانسان لا يتخالطه من هو من جنسه لم يكن له بد من تعلم آداب المخالطة وكل مخالطة في مخالطة أدب والأدب على قدر حقوقه على قدر رابطة التي بها وقعت المخالطة والرابطة إما القرابة وهي أخصها أو أخوة الاسلام وهي أعمها ويتطوى في معنى الأخوة الصداقة والصحبة وإما الجوار وإما صحبة السفر والكتب والدرس وإما الصداقة أو الأخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم أكد وللحرم حق ولكن حق الوالدین أكد وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ويظهر التفاوت عند النسبة حتى إن البلى في بلاد الغربة يجري مجرى القرب في الوطن لاختصاصه بحق الجوارح في البلد وكذلك حق السلم يتأكد كدنيا كد العرفه والمعارف درجات فليس حق الذي عرف بالشاهدة كحق الذي عرف بالمع بل أكد منه المعرفة بعد وقوعها تأكد بالاختلاط وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها حتى الصحبة في الدرس والكتب أكد من حق صحبة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت فإنها إذا قويت صارت أخوة فإن ازدادت صارت محبة فإن ازدادت صارت خلة والخليل أقرب من الحبيب فالهبة ما تمكن من حبة القلب والحلة ما تتخلل سر القلب فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليل وتفاوت درجات الصداقة لا يغني بحكم الشاهدة والتجربة عما يكون الخلة فوق الأخوة فمما أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة وتعرف من قوله صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذاً خليلاً لا اتخذت أباً بكر خليلاً ولكن صاحب خليل الله ^(٢) » إذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع أجزاء قلبه ظاهراً وباطناً ويستوعبه ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حبة الله وقد منته الخلة عرف الاشتراك في مع أنه أخذ علياً رضي الله عنه أخاً فقال « على مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة ^(٣) »

(١) حديث من جلس في مجلس فكثر فيه لظه قال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم ومحمدك الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه .

(الباب الثالث في حقوق السلم والرحم والجوارح)

(٢) حديث لو كنت متخذاً خليلاً لا اتخذت أباً بكر خليلاً الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري

(٣) حديث على مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص .

خلف الشيرازي قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أحمد ابن علي بن جعفر يقول سمعت أن أبا سليمان الداراني قال يقول آخر أقدام الزاهدين أول أقدام التوكلين . روى أن بعض العارفين زهد فبلغ من زهده أن فارق الناس وخرج من الأمصار وقال لا أسأل أحداً شيئاً حتى يأتيني رزقي فأخذ يسبح فأقام في سفح جبل سبعاً لم يأته شيء حتى كاد أن يتلف فقال يا رب إن أجبتني فأتني برزقي الذي قسمت لي وإلا فأقبضني إليك فألمه الله تعالى في قلبه وعزني وجلالي لأرزقك حتى تدخل الأمصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة وأقام بين ظهرائي الناس فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب فأوجس في نفسه من ذلك

فمدل بعلى عن النبوة كما عدل بأبى بكر عن الخلة فشارك أبو بكر عليا رضى الله عنهما في الأخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة وأهليته لها لو كان للشركة في الخلة مجال فانه نبيه عليه بقوله لا تخذلت أبى بكر خليلا وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليفه وقد روى أنه سمع النبي يوما مستبشرا فرحا فقال «إن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا فأنا حبيب الله وأنا خليل الله تعالى» (١) فاذن ليس قبل المرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وما سواهما من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق الصعبة والأخوة ويدخل فيها ما وراءها من المحبة والخلة وإنما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت المحبة والأخوة حتى ينتهى أقصاها إلى أن يوجب الايتار بالنفس والمال كما آثر أبو بكر رضى الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وكما آثره طلحة بيده إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلى الله عليه وسلم ونحن الآن نريد أن نذكر حق أخوة الاسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك أعنى ملك البين فان ملك التكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب التكاح .

(حقوق المسلم)

(هى أن تسلم عليه إذا لقيت وتحيه إذا دعاك وتسلمت إذا أعطى وتعوذ إذا مرض وتشهد جنازته إذا مات) وتبرقسه إذا أقسم عليك وتصح له إذا استنصحك وتحفظه بظهر القبط إذا غاب عنك وتحب له ما يحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك (٢) ورد جميع ذلك في أخبار وآثار وقد روى أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لذنبهم وأن تدعو لمديهم وأن تحب تأيهم» (٣) وقال ابن عباس رضى الله عنهما في معنى قوله تعالى - رحماء بينهم - قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فبارك له من الخير وثبت عليه واقفنا به وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال اللهم اهدمه وتب عليه واغفر له عثرته . ومنها أن يحب المؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كتل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائر الجلى والسر» (٤) وروى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «للمؤمن المؤمن كاللبنان يشد بعضه بعضا» (٥) ومنها أن لا يؤذى أحدا من المسلمين بفعل ولا قول قال رسول الله ﷺ «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (٦)

(١) حديث إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا الحديث الطبراني من حديث أبى أمامة بسند ضعيف دون قوله فأنا حبيب الله وأنا خليل الله .

(الأخبار الواردة في حقوق المسلم على المسلم)

(٢) هو أن يسلم عليه إذا لقته فذكر عشر خصال الشيخان من حديث أبى هريرة حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعبادة للريض واتباع الجناز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس وفي رواية للمسلم حق للمسلم على المسلم ست إذا لقته تسلم عليه وزاد وإذا استنصحك فاصح له ولترمذى وابن ماجه من حديث على للمسلم على المسلم ست فذكر منها ما يحب له ما يحب لنفسه وقال يوصح له إذا غاب وأشهدوا أحد من حديث معاذ وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وفي الصحيحين من حديث البراء أمرا رسول الله ﷺ بسبع فذكر منها وإبرار القسم ونصر الظالم (٣) حديث أنس أربع من حقوق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لذنبهم وأن تدعو لمديهم وأن تحب تأيهم ذكره صاحب الفردوس ولم أجد له إسنادا (٤) حديث النعمان بن بشير مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كتل الجسد الحديث متفق عليه (٥) حديث أبى موسى للمؤمن المؤمن كاللبنان يشد بعضه بعضا متفق عليه (٦) حديث المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو .

فسمع هاتفا أردت أن تبطل حكمته بهذه في الدنيا أما علمت أن يرزق العباد بأيدي العباد أحب إليه من أن يرزقهم بأيدي القدرة فالواقف مع الفتوح استوى عنده أيدي آدميين وأيدي الملائكة واستوى عنده القدرة والحكمة وطلب التقفار والتوصل إلى قطع الأسباب من الارتهان برؤية الأسباب وإذا صح التوحيد تلاشت الأسباب في عين الانسان . أخبرنا شيخنا قال أنا أبو حفص عمر قال أنا أحمد ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال أنا محمد بن أحمد بن حمدان العكبرى قال سمعت أحمد بن محمد ابن اليسرى يقول سمعت عمدا الإسكاف يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول من استفتح باب العاش

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل «فإن لم تقدر فضع الناس من الصنفانها صدقة تصدقت بها على نفسك» (٢) وقال أيضا «أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «أندرون من السلم قالوا الله ورسوله أعلم قال السلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من آمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه» (٤) وقال رجل يارسول الله ما الاسلام قال «أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك» وقال مجاهد يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده فينادى يا فلان هل يؤذك هذا يقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذى للمؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم «لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين» (٥) وقال أبو هريرة رضى الله عنه «يارسول الله علني شيئا أتضع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «من زحرج عن طريق المسلمين شيئا يؤذهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة» (٧) وقال رسول الله «لا يحل لمسلم أن يروغ مسلما» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يكره أذى المؤمنين» (٩) وقال الربيع بن خثيم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذوه وجاهل فلا تجاهله . ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فإن الله لا يحب كل مختال فخور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد» (١٠) ثم إن تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لئن لم يكن الله عليه وسلم - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - وعن ابن أبي أوفى «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يعنى مع الأرملة والمساكين فيقضى حاجته» (١١)

(١) حديث فإن لم تقدر فضع الناس من الصنفانها صدقة تصدقت بها على نفسك متفق عليه من حديث أبي ذر (٢) حديث أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث أندرون من السلم قالوا الله ورسوله أعلم قال السلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الطبراني والحاكم ومصححه من حديث فضالة بن عبيد الأخرجه بأئمن من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب رواه ابن ماجه مقتصر على المؤمن والمهاجر والحاكم من حديث أنس وقال على شرط مسلم والمهاجر من هجر السوء ولأحمد بإسناد صحيح من حديث عمر بن عيسى قال رجل يارسول الله ما الاسلام قال أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك (٤) حديث لقد رأيت رجلا في الجنة يتقلب في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة يارسول الله علني شيئا أتضع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين مسلم من حديث أبي هريرة قال قلت يا نبي الله قد ذكره (٦) حديث من زحرج عن طريق المسلمين شيئا يؤذهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب الله له بها حسنة أوجب له بها الجنة أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي الدرداء بسند ضعيف (٧) حديث لا يحل لمسلم أن ينظر إلى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك في الزهد من رواية حمزة بن عبيد مرسل بسند ضعيف وفي البر والصلة له من زيادات الحسين المروزي حمزة بن عبد الله بن أبي مسمى وهو الصواب (٨) حديث إن الله تعالى يكره أذى المؤمنين ابن المبارك في الزهد من رواية عكرمة بن خالد مرسل بإسناد جيد (٩) حديث إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد أبو داود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن حمزة ورجاله رجال الصحيح (١٠) حديث ابن أبي أوفى كان لا يأنف ولا يتكبر أن يعنى مع الأرملة والمساكين فيقضى حاجته النسائي بإسناد صحيح والحاكم وقال على شرط الشيخين .

بغير مفاتيح الأقدار
وكل إلى المخلوقين .
قال بعض للمتطعين
كنت ذا صنعة جليلة
فأريد مني تركها فذاك
في صدرى من أين
العاش فتهتف بي
هاتف لا أراه تنقطع
إلى وتنهى في رزقك
على أن أحمدك وليا
من أوليائي أو أسخر
لك مناقم من أعدائي
فما صبح حال الصوفي
واقطعت أطعامه
وسكنت عن كل تشوف
وتطلع خدمته الدنيا
وصلحت له الدنيا خادمة
وما رضىها عخدمة
فصاحب الفتوح يرى
حركة النفس بالتشوف
جنابة وذنباً . روى
أن أحمد بن حنبل
خرج ذات يوم إلى
شارع باب الشام
فاشترى دقيقاً ولم يكن
في ذلك للموضع من
يعمله فوافى أيوب
الحمال فعمله ودفع إليه
أحد أجرت فمادخل
الدار بعد إذ نهله اتفق

ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض . قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة قتات » (١) وقال الخليل بن أحمد من ثم لك نعم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك . ومنها أن لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه . قال أبو أيوب الأنصاري قال صلى الله عليه وسلم « لا يهل مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » (٢) وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة » (٣) قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب بعفوك عن إخوتك رفعت ذكرك في الدارين . قالت عائشة رضي الله عنها « ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله » (٤) وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما عفا رجل عن مظلة إلا زاده الله بها عزاً . وقال صلى الله عليه وسلم « ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو إلا عزاً وما من أحد تواضع للإرضاء » (٥) ومنها أن يحسن إلى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لا يميز بين الأهل وغير الأهل ؛ روى طي بن الحسين عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع المعروف في أهله وفي غير أهله فإن أصبت أهله فهو أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله » (٦) وعنه بإسناد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر » (٧) قال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحد يده فيخرج يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسله ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركية جلوسه ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه ثم لم يصرف عنه حتى يفرغ من كلامه » (٨) ومنها أن لا يدخل على أحد منهم إلا بإذنه بل يستأذن ثلاثاً فإن لم يؤذن له انصرف . قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الاستئذان ثلاث فالأولى يستصنون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون » (٩) ومنها أن يخالفوا الجميع خلق حسن وباعلمهم بحسب طريقته فإنه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم والأمي بالفقه والي بالبيان آذى وتأذى . ومنها أن

(١) حديث لا يدخل الجنة قتات متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث أبي أيوب لا يعمل مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث الحديث متفق عليه (٣) حديث من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة أبو داود والحاكم وقد تقدم (٤) حديث عائشة ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تصاب حرمة الله فينتقم لله متفق عليه بافظ إلا أن تنتهك (٥) حديث ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رضعه الله مسلم من حديث أبي هريرة (٦) حديث علي بن الحسين عن أبيه عن جده اصنع المعروف إلى أهله فإن لم تصب أهله فأنت أهله ذكره الدارقطني في العلل وهو ضعيف ورواه القضاة في مسند الشهاب من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلًا بسند ضعيف (٧) حديث طي بن الحسين عن أبيه عن جده رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر الطبراني في الأوسط والخطابي في تاريخ الطالبين وعنه أبو نعيم في الحلية دون قوله واصطناع إلى آخره وقال الطبراني التحجب .

(٨) حديث أبي هريرة كان لا يأخذ أحد يده فيخرج يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها الحديث الطبراني في الأوسط بإسناد حسن ولأبي داود والترمذي وابن ماجه نحوه من حديث أنس بسند ضعيف (٩) حديث أبي هريرة الاستئذان ثلاث فالأولى يستصنون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون الدارقطني في الأفراد بسند ضعيف وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع .

أن أهل الدار قد خبزوا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فراه أيوب وكان يصوم الدهر فقال أحمد لابنه صالح ادفع إلى أيوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما قال أحمد ضمهما ثم صبر قليلا ثم قال خذها فلحقه بهما فلحقه فأخذها فرجع صالح متعجبا فقال له أحمد عجبت من رده وأخذته قال نعم قال هذا رجل صالح قرأى الخبر فاستشرت نفسه إليه فلما أعطياه مع الاستئراف رده ثم أيس فردناه إليه بعد الإياس قبل هذا حال أرباب الصدق إن سألوها سألوا بعلم وإن أسكروا عن السؤال أسكروا بحال وإن قبلوا قبلوا بعلم فن لم يرزق حال الفتوح فله حال السؤال والسكب بشرط العلم فأما السائل

يوقر المشايخ ويرحم الصبيان . قال جابر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا » (١) قال عليه السلام « من إجلال الله إكرام ذى الشية السلم » (٢) ومن تمام توقير المشايخ أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بالإذن ، وقال جابر « قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم له فأتى الكبير » (٣) وفي الخبر « ما وقر شاب شيئا إلا أقيض الله في سنه من يوقره » (٤) وهذه بشارة بدوام الحياة فليتنبه لها فلا يوفق لتوقير المشايخ إلا من قضى الله له بطول العمر ، وقال عليه السلام « لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قبظا وتفيض الثام فيضا وتفيض الكرام غرضا ويحترى الصغير على الكبير والشم على الكريم » (٥) « والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله عليه السلام » (٦) . « كان صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفضون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر أصحابه أن يعملوا بعضهم » (٧) « فرما تفاخر الصبيان بذلك يقول بعضهم لبعض حملنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك أنت وراءه ويقول بعضهم أمر أصحابه أن يعملوك وراءه » (٨) وكان يؤتى بالصغير ليدعوله بالبركة وليسميه فيأخذه فيضعه في حجره فرما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول : لا تزرموا الصبي بوله فيدعه حتى يقضى بوله ثم يفرغ من دعا له وتسميته ويبلغ سرور أهله فيه للابوا أنه تأذى يوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه بعده » (٩) ومنها أن يكون

مستكرا فوق الحاجة لافي وقت الضرورة فليس من الصوفية بشيء . سمع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل فقال لمن عنده ألم أقل لك عشت السائل فقال قد عشت فظن عمر فاذا تحت إبطه حلاوة مملوءة خبزا فقال عمر ألك عيال فقال لا قال عمر لست بأسفل ولكنك تاجر ثم تثر حلاته بين يدي أهل الصدقة وضربه بالدره وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال إن الله تعالى في خلقه ماثباته قهرو عقوبات قهر فمن علامة الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على قهره ومن علامة الفقر إذا كان عقوبة أن يسوء خلقه ويسى ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء فعال الصوفية حسن الأدب

(١) حديث جابر ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا الطبراني في الأوسط بسند ضعيف وهو عند أبي داود والبخارى في الأدب من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن (٢) حديث من إجلال الله إكرام ذى الشية السلم أبو داود من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن (٣) حديث جابر قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم له فأتى الكبير الحاكم وصححه (٤) حديث ما وقر شاب شيئا لسنه إلا أقيض الله في سنه من يوقره الترمذى من حديث أنس بلفظ ما أكرم ومن يكرمه وقال حديث غريب وفي بعض النسخ حسن وفيه أبو الزحال وهو ضعيف (٥) حديث لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قبظا الحديث الخراطى في مكارم الأخلاق من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن مسعود وإسنادهما ضعيف (٦) حديث التلطف بالصبيان البراز من حديث أنس كان من أفكه الناس مع صبي وقد تقدم في التكاح وفي الصحيحين يا أبا عمير ما فعل النضر وغير ذلك (٧) حديث كان يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفضون إليه الحديث مسلم من حديث عبد الله بن جعفر كان إذا قدم من سفر تلقى بنا قال فيأتى وبالحسن وقال فعمل أحدنا بين يديه والآخ خلفه وفي رواية تلقى صبيان أهل بيته وأنه قدم من سفر فسبقني إليه فعملني بين يديه ثم جى . بأحداني فاطمة فأردفه خلفه وفي الصحيحين أن عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير أتذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس قال نعم فعملنا وتركك لفظ مسلم وقال البخارى إن ابن الزبير قال لابن جعفر فافعل علم (٨) حديث كان يؤتى بالصغير ليدعوله بالبركة ويسيه فيأخذه ويضعه في حجره فرما بالصبي فيصيح به بعض من رآه الحديث مسلم من حديث عائشة كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحسبهم فأتى صبي فقال عليه فدعا بماء فأتم به بوله ولم يفسله وأصله متفق عليه وفي رواية لأحمد فيدعولهم وفيه صبا عليه الماء صبا ولدارقطني بال ابن الزبير على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه أخذا عنيما الحديث وفيه الحاجب بن أوطاة ضعيف ولأحمد بن منيع من حديث حسن بن علي عن امرأة منهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبيا على ظهره يلاعب صبيا إذ بال قامت لتأخذه وتضربه قال دعيه اتوني بكوز

مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفقا . قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال على الذين الهين السهل القريب ^(١) » وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب السهل الطلق الوجه ^(٢) » وقال بعضهم : يارسل الله دلي على عمل يدخله الجنة . قال « إن من موجبات الغفرة بذل السلام وحسن الكلام ^(٣) » وقال عبد الله بن عمر إن البر شيئين وجه طليق وكلام لين وقال ^(٤) « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد بكلمة طيبة ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها ويطونها من ظهورها : قال أعرابي لمن هي يارسل الله ؟ قال « لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام ^(٦) » وقال معاذ بن جبل قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الحيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح ^(٧) » وقال أنس رضي الله عنه « عرضت لنبي الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت : لي معك حاجة وكان معه ناس من أصحابه فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت اجلسي إليك فجلست إلي ياحيى فقت حاجتها ^(٨) » وقال وهب بن منبه إن رجلا من بني إسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة أيام فسأل الله تعالى أنه يريه كيف ينوي الشيطان الناس فلما طالع عليه ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذني بيني وبين ربك لكان خيرا لي من هذا الأمر اتقي طلبته فأرسل الله إليه ملكا فقال له إن الله أرسلني إليك وهو يقول لك إن كلامك هذا الذي تكلمت به أحب إلى مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فتنظر فإذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالذباب فقال أي رب من ينجو من هذا قال الورع اللين . ومنها أن لا يمدح لها بعد إلا ويؤي به قال ^(٩) « المدة غطية ^(١٠) » وقال « المدة دين ^(١١) » وقال « ثلاث في النافي إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتهم خان ^(١٢) » وقال « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى ^(١٣) » وذكر ذلك

من ماء الحديث وإسناده صحيح ^(١) حديث أتدرون على من حرمت النار قالوا اتقوا رسول الله أعلم قال الهين اللين السهل القريب الترمذي من حديث ابن مسعود لم يقل اللين وذكرها الحرائطي من رواية محمد بن أبي عتيق عن أمه قال الترمذي حسن غريب ^(٢) حديث أبي هريرة إن الله يحب السهل الطلق البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه من رواية موري العجلي مرسل ^(٣) حديث إن من موجبات الغفرة بذل السلام وحسن الكلام ابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني والحرائطي في معارج الأخلاق واللفظ والبيهقي في شعب الإيمان من حديث هاني بن يزيد بإسناد جيد ^(٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وتقدم في الزكاة ^(٥) حديث إن في الجنة غرارا يرى ظهورها من بطونها ويطونها من ظهورها الحديث الترمذي من حديث علي وقال حديث غريب . قلت وهو ضعيف ^(٦) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث الحرائطي في معارج الأخلاق والبيهقي في كتاب الزهد وأبو نعيم في الحلية ولم يقل البيهقي وخفض الجناح وإسناده ضعيف ^(٧) حديث أنس عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت لي معك حاجة فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت اجلسي إليك الحديث رواه مسلم ^(٨) حديث المدة غطية الطبراني في الأوسط من حديث ثبات بن أثير بسند ضعيف ^(٩) حديث المدة دين الطبراني في معجمه الأوسط والأصغر من حديث علي وابن مسعود بسند فيه جهالة ورواه أبو داود في الراسيل ^(١٠) حديث ثلاث في النافي إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتهم خان متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه ^(١١) حديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى البخاري من حديث أبي هريرة

في السؤال والتفوق والصدق مع الله على كل حال كيف تطلب [الباب الحادي والعشرون في شرح حال التجرد والتأهل من الصوفية وصحة مقاصد]

الصوفي يتزوج فله كما يتجرد لله فتجرده مقصد وأوان ولتأهله مقصد وأوان والصادق يعلم أوان التجرد والتأهل لأن الطبع الجموح للصوفي ملجم بلجام العلم مهما يصلح له التجرد لا يستعمله الطبع إلى التزوج ولا يقدم على التزوج إلا إذا انصلحت النفس واستحقت إدخال الرفق عليها وذلك إذا صارت متقادة مطوعة بحجة إلى ما يراد منها بمثابة الطفل الذي يتأهده بما يروق له ويمنع عما يضره فإذا صارت النفس محكومة مطوعة قد فاءت إلى أمر الله وتصلت عن مشاحة

ومنها أن يصف الناس من نفسه ولا يأتي إليهم إلا بما يحب أن يؤتى إليه قال صلى الله عليه وسلم
 « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الاتفاق من الاقتار والانصاف من نفسه
 وبذل السلام ^(١) » وقال عليه السلام « من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته
 وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وليؤت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه ^(٢) » وقال
 صلى الله عليه وسلم « يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك
 تكن مسلماً ^(٣) » قال الحسن : أوصى الله تعالى إلى آدم صلى الله عليه وسلم بأربع خصال وقال فهن :
 جماع الأمر لك ولولدك واحدة لى واحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق
 فأما التي لا تبدي ولا تشرك بشيئا وأما التي لك فملكك أجريك به أقصر ماتكون إليه وأما التي
 بيني وبينك فملكك الدعاء وعلى الاجابة وأما التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالتي تحب أن يصحبوك
 به وسأل موسى عليه السلام الله تعالى فقال أى رب أى عبادك أعدل قال من أنصف من نفسه .
 ومنها أن يزيد في توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فيزل الناس منازلهم روى أن عائشة
 رضى الله عنها كانت في سفر فزلت منزلاً فوضت طعامها فجاء سائل فقالت عائشة ناولوا هذا المسكين
 قرصاً ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه إلى الطعام فقيل لها تعطين المسكين وتدعين هذا الذي
 فقالت إن الله تعالى أنزل الناس منازل لا بد لنا من أن نزلهم تلك المنازل هذا المسكين رضى بقرص
 وقبض بنا أن نعطي هذا الذي على هذه الهيئة قرصاً وروى أنه صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوت
 فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكاناً فقفد على
 الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فأفاه إليه وقال له اجلس على هذا فأخذه جرير ووضعه
 على وجهه وجعل يقبله ويكلمه ثم لفه ورمى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لأجلس على
 ثوبك أكرمك الله كما أكرمتني فنظر النبي صلى الله عليه وسلم بينا وشمالاً ثم قال « إذا أتاك كرم
 قوم فأكرمهم ^(٤) » وكذلك كل من له عليه حق فديم فليكرمه ، روى « أن ظئراً رسول الله صلى الله
 عليه وسلم التي أرضعته جاءت إليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا بأى ثم أجلسها على الرداء
 ثم قال لها اشعفى تشفعى وسلى تعطى فقالت قولى فقال أما حقى وحق بنى هاشم فهو لك فقام الناس من كل
 ناحية وقالوا وحققاً يا رسول الله ثم وصلها بعد وأخذها وهوب لها سهمانه بخين ^(٥) » فيبع ذلك
 من عثمان بن عفان رضى الله عنه بمائة ألف درهم « ولربما أتاه من يأتيه وهو على وسادة

وأصله متفق عليه ولفظ مسلم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم وهذا ليس في البخارى ^(١) حديث
 لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الاتفاق من الاقتار والانصاف من نفسه
 وبذل السلام الخائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمار بن ياسر ووقع البخارى عليه
^(٢) حديث من سره أن يزحزح عن النار فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً
 رسول الله وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
 نحوه والخائطي في مكارم الأخلاق بلفظه ^(٣) حديث يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن
 مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً الخائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف
 والمعروف أنه قاله لأبي هريرة وقد تقدم ^(٤) حديث إذا أتاك كرم قوم فأكرمهم وفى أوله قصة
 في قدم جرير بن عبد الله الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وتقدم في الزكاة مختصراً
^(٥) حديث إن ظئراً رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته جاءت إليه فبسط لها رداءه الحديث
 أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي الطفيل مختصراً في بسط رداءه لها دون ما بعده .

القلب فيصلح بينهما
 بالعدل وينظر في أمرها
 بالقسط ومن صبر من
 الصوفية على العزوبة
 هذا الصبر إلى حين
 بلوغ الكتاب أجله
 ينتخب له الزوجة اختياراً
 وبهوى الله له أعوانا
 وأسباباً ويتم برفيق
 يدخل عليه ورزق
 يساق إليه متى استعجل
 للريد واستغفره الطبع
 وخامره الجهل بثوران
 دخان الشهوة المطفئة
 لشعاع العلم وانحط من
 أوج العزيمة الذي هو
 قضية حاله وموجب
 إرادته وشريطة صدق
 طلبه إلى حضيض
 الرخصة التي هي رحمة
 من الله تعالى لعامة خلقه
 يحكم عليه بالتقصان
 ويشهد له بالحسنان
 ومثل هذا الاستعجال
 هو حضيض الرجال
 قال سهل بن عبد الله
 التستري إذا كان للمديد
 مال يتوقع به زيادة
 فدخل عليه الابتلاء
 فرجوعه في الابتلاء

جالس ولا يكون فيها سعة يجلس معه فيزعمها ويضعها تحت الذي يجلس إليه فان أبى عزم عليه حتى يفعل (١) . ومنها أن يصاح ذات البين بين المسلمين مهما وجد إليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين (٣) » وعن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس رضي الله عنه قال « بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر رضي الله عنه يارسول الله بأي أنت وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمي جنبيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يارب خذني مظلمتي من هذا قال الله تعالى رد لي أخيك مظلمته قال يارب لم يبق لي من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شيء فقال يارب فليحمل عني من أوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تعالى أي المتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يارب أرى مدائن من فضة وقصور من ذهب مكللة بالؤلؤ لأى نبى هذا أولأى صديق أولأى شهيد قال الله تعالى هذا لمن أعطى الثمن قال يارب ومن يملك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا يارب قال بفوك عن أخيك قال يارب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى خذ يد أخيك فأدخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة (٤) » وقد قال صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا (٥) » وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس لأن ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه قال صلى الله عليه وسلم « كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لاسرائته ليرضها (٦) » . ومنها أن تستر عورات المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم « من ستر على مسلم ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة (٧) » وقال « لا يستر عبدا إلا ستره الله يوم القيامة (٨) »

(١) حديث نزع صلى الله عليه وسلم وسادته ووضعها تحت الذي يجلس إليه أحمد من حديث ابن عمر أنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فألقى إليه وسادة من أدم حشوها ليف الحديث وإسناده صحيح للطبراني من حديث سلمان دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على وسادة فألقاه إلى الحديث وسنده ضعيف قال صاحب اللزبان هذا خبر ساقط (٢) حديث ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين الحالقة أبو داود والترمذى وصححه من حديث أبي الدرداء (٣) حديث أفضل الصدقة إصلاح ذات البين الطبراني في الكبير والحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه عبد الرحمن بن زياد الأفرقي ضعفه الجمهور (٤) حديث أنس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يارسول الله بأي وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمي جنبيا بين يدي الله عز وجل فقال أحدهما يارب خذني مظلمتي من هذا الحديث الحرائطي في مكارم الأخلاق والحاكم وقال صحيح الإسناد وكذا أبو يعلى الوصلى خرج بطول وضعفه البخارى وابن حبان (٥) حديث ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نبى خيرا متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (٦) حديث كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب الحديث الحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث النواس ابن سمعان وفيه إقطاع وضعف ولم يعمه من حديث أم كلثوم بنت عقبة (٧) حديث من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة مسلم من حديث أبي هريرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٨) حديث لا يستر عبدا إلا ستره الله يوم القيامة مسلم من حديث أبي هريرة أيضا .

إلى حال دون ذلك
تصان وحدث وصحت
بعض الفقهاء وقد قيل
لهم لا تزوج قال الراية
لا تصلح إلا للرجال وأنا
ما بلغت مبلغ الرجال
فككيف أتزوج
فالمصدقون لهم أو أن
بلوغ عنده يتزوجون
وقد تعارضت الأخبار
وتماثلت الآثار في فضيلة
التجريد والتزويج
وتنوع كلام رسول
الله صلى الله عليه وسلم
في ذلك لتنوع الأحوال
فمنهم من فضيلته في
التجريد ومنهم من
فضيلته في التأهل وكل
هذا التعارض في حق
من ناز تواقه برد
وسلام لكامل تقواه
وقهره وهواه وإلا ففي
غير هذا الرجل الذي
يخاف عليه الفتنة
يجب النكاح في حال
التوقان المفرط ويكون
الخلاف بين الأئمة في
غير التائق فالصوفي
إذا صار متأهلا يتعين
على الإخوان معاوته

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم «لا يرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة» (١) وقال عليه السلام لما أخبره «لو سترته بثوبك كان خيرا لك» (٢) «فإن على المسلم أن يستر عورة نفسه حق إسلامه واجب عليه حتى يسلم غيره» قال أبو بكر رضي الله عنه لو وجدت شارباً لأحببت أن يستره الله ولو وجدت سارقاً لأحببت أن يستره الله وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسير بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس أرايتم لو أن إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا إنما أنت إمام فقال على رضي الله عنه ليس ذلك لك إذا قام عليك الحد إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود ثم تركهم ماشاء الله أن يتركهم ثم سألهم فقال القوم مثل مقالهم الأولي فقال على رضي الله عنه مثل مقالته الأولى وهذا يشير إلى أن عمر رضي الله عنه كان متردداً في أن الهوى هل له أن يخفى بطنه في حدود الله فلذلك راجعهم في معرض التقدير لافي معرض الإخبار خيفة من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذفاً بإخباره ومال رأي على إلى أنه ليس له ذلك وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر النواحي فلإن أخذها الزنا وقد نيط بأربعة من الدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالرود في المسكحة وهذا قط لا ينفي وإن على القاضي تحقيقاً لم يكن له أن يكشف عنه فانظر إلى الحكمة في حسم باب الفاحشة بإيجاب الرجم الذي هو أعظم العقوبات ثم انظر إلى كثيف ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فربوا أن لا تحرم هذا السكرم يوم تبلى السرائر في الحديث «إن الله إذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة وإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى» (٣) وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلة في المدينة فينا نحن نغشى إذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمّه فلما دنونا منه إذا باب مغلق على قوم لهم أصوات ولطف فأخذ عمر يدي وقال أندري بيت من هذا ؟ قلت لا قال هذا بيت ريمة بن أمية بن خلف يوم الآن شربوا فترى ؟ قلت : أرى أنا قد أتينا ما هنا الله عنه قال الله تعالى - ولا تجسوا - فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم وهذا يدل على وجوب السر وترك التبصير وقد قال صلى الله عليه وسلم لماوية «إنك إن تبصرت عورات الناس أفستهم أو كدت تفستهم» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه للسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته» (٥) وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لو رأيت أحداً على حد من حدود الله تعالى

بالإشارة ومساعدته في الاستكثار إذا رأى ضيف الحال قاصراً عن رتبة الرجال كما وصفنا من صبر من صبر حتى ظفر لما بلغ الكتاب أجله. أخبرنا أبو زرعة عن والده أبي الفضل القدسي الحافظ قال أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الخطيب قال أنا أبو الحسين محمد بن عبيد الله ابن أخي موسى قال أنا أبو القاسم عبيد الله ابن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا محمد ابن هرون قال أنبأنا أبو المنيرة قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثنا عبد الرحمن ابن جبير عن أبيه عن عوف بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه في نفسه في يومه فأعطى التأهل حظين والزب حظاً واحداً فدعينا وكنت أدعى قبل محارب بن ياسر

(١) حديث أبي سعيد الخدري لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة الطبراني في الأوسط والفضير والحارثي في مكالم الأخلاق واللفظ له بسند ضعيف (٢) حديث لوسترته بثوبك كان خيراً لك أبو داود والنسائي من حديث نعيم بن هزال والحاكم من حديث هزال نفسه وقال صحيح الاسناد ونيح مختلف في صحته (٣) حديث إن الله إذا ستر على عبده عورة في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفه في الآخرة الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث على من أذن ذنباً في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فله أكرم من أن يرجع في شيء قد عفا عنه ومن أذن ذنباً في الدنيا فزوب عليه فله أعدل من أن ينفى العقوبة على عبده لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وللمسلم من حديث أبي هريرة لا ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة (٤) حديث إنك إن اتبعت عورات الناس أفستهم أو كدت تفستهم أبو داود باسناد صحيح من حديث معاوية (٥) حديث يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم الحديث أبو داود من حديث أبي بزة باسناد جيد والترمذي نحوه من حديث ابن عمرو وحسنه .

ما أخذته ولا دعوت له أحدا حتى يكون معي غيري وقال بعضهم كنت قاعدا مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذ جاءه رجل بأخر فقال هذا نثنوان فقال عبد الله بن مسعود استنكوهوا فاستنكوهوه فوجده نثنوانا فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط فسكر ثم قال للجلاد اجلد وارفع يدك وأعط كل عضو حقه فجلده وعليه قباء أو مرط فلما فرغ قال للذي جاء به ما أنت منه قال همه قال عبد الله ما أدبت فأحسنت الأدب ولا سرت الحرمة إنه يبني للإمام إذا انتهى إليه أحد أن يقيه وإن الله غفور يحب الصوفى ثم قرأ - وليعفوا وليصنعوا - ثم قال «إني لأذكر أول رجل قطعه النبي ﷺ أتى بسارق قطعه فكانما أسف وجهه فقالوا يا رسول الله كأنك كرهت قطعه فقال وما يعني لا تكونوا عونا للشياطين على أخيك فقالوا ألا عفوت عنه فقال إنه يبني للسلطان إذا انتهى إليه حد أن يقيه إن الله غفور يحب الصوفى ثم قرأ - وليعفوا وليصنعوا - الآية أخبرنا أن يضر الله لكم والله غفور رحيم (١) وفي رواية فكانما سقى في وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد لشدة تغيره وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسى بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتخفى فصور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال يا عبد الله أظننت أن الله يسترها وأنت على مصبته فقال وأنت يا أمير المؤمنين فلا تسجل فإن كنت قد عصيت الله واحدة قد عصيت الله في ثلاثا قال الله تعالى - ولا تجسسوا - وقد تجسست وقال الله تعالى - وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها - وقد تسورت على وقد قال الله تعالى - لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الآية وقد دخلت بيتي بخير إذن ولا سلام فقال عمر رضي الله عنه هل عندك من خير إن عفوت عنك قال نعم والله يا أمير المؤمنين لئن عفوت عنى لأعود إلى مثلها أبدا ففأعنه وخرج وتركه وقال رجل لعبد الله بن عمر يا أبا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في التجوى يوم القيامة قال سمعته يقول «إن الله ليدين منه للؤمن فيضع عليه كفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم يارب حتى إذا قرره بذنوبه فرأى في نفسه أنه قد هلك قال له يا عبدى إني لم أسترها عليك في الدنيا إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسنة وأما الكافرون وللناكثون فيقول الأعداء هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألعنة الله على الظالمين (٢) » وقد قال صلى الله عليه وسلم «كل أمى معافى إلا المجاهرين (٣) » وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل سوءا ثم يخبره وقال صلى الله عليه وسلم «من استمع خبر قوم وهم له كارهون صب في أذنه الآنك يوم القيامة (٤) » ومنها أن يتقى مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم عن الغيبة فانهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السب فيه كان شريكا قال الله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - وقال صلى الله عليه وسلم «كيف ترون من يسب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه ؟ فقال نعم يسب أبوى غيره فيسبون أبويه (٥) » وقد روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه

فأعطاني حظين وأعطاه حظا واحدا فسخط حتى عرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه ومن حضره فبقيت معه سلسلة من ذهب فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفها بطرف عصاه وتسقط وهو يقول كيف أنتم يوم يكثر لكم من هذا فلم يجبه أحد فقال عمار وددنا يا رسول الله لو قد أكثرنا من هذا فالتجرد عن الأرواح والأولاد أعون على الوقت للفقير وأجمع لهمة وأقل لبشة وصلح للفقير في ابتداء أمره قطع العلائق وعحو العوائق والتنقل في الأسفار وركوب الأخطار والتجرد عن الأسباب والخروج عن كل ما يكون حجابا والزواج إعطاط من الزينة إلى الرخص ورجوع من التروح إلى النص وتقيده

- (١) حديث ابن مسعود إلى لأذكر أول رجل قطعه النبي صلى الله عليه وسلم أتى بسارق قطعه فكانما أسف وجهه رسول الله ﷺ الحديث رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وللخرايطي في مكارم الأخلاق فكانما سقى في وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد الحديث (٢) حديث ابن عمر إن الله عز وجل ليدين للؤمن فيضع عليه كفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا الحديث (٣) حديث كل أمى معافى إلا المجاهرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث من استمع من قوم وهم له كارهون صب في أذنه الآنك يوم القيامة البخارى من حديث ابن عباس مرفوعا وموقوفا عليه وعلى أبي هريرة أيضا (٥) حديث كيف ترون من صب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو نحوه .

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت أظن فيه فاني لم أكن أظن فيك فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ^(١) » وزاد في رواية « إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا وكانا رجلين فقال علي رسلكما إنها صفية ^(٢) » الحديث وكانت قد زارته في العشر الأواخر من رمضان وقال عمر رضي الله عنه من أقام نفسه مقام النهم فلا يلومن من أساء به الظن ومرت برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال يا أمير المؤمنين : إنها امرأتى فقال هلا حيث لا يراك أحد من الناس ؟ ومنها أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة واسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه قال صلى الله عليه وسلم « إني أوتي وأسأل وتطلب إلى الحاجة وأنتم عندي فاشفئوا لتؤجروا ويقضى الله على يدي نبيه ما أحب ^(٣) » وقال معاوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشفئوا إلى تؤجروا إني أريد الأمر وأؤخره كي تشفئوا إلى فتؤجروا ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك ؟ قال الشفاعة يحقن بها الدم ويحجر بها النفقة إلى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر ^(٥) » وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كآنى أنظر إليه خلفها وهو يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال صلى الله عليه وسلم لعباس ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغضها له فقال النبي صلى الله عليه وسلم لوراجعته فاته أبووذلك فقالت يا رسول الله أنا أمرنى فأفعل فقال لا إنما أنا شافع ^(٦) » ومنها أن يبدأ كل مسلم منهم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا ينجيويه حتى يبدأ بالسلام ^(٧) » وقال بعضهم « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم وادخل ^(٨) » وروى جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحكمكم لم يدخل بيته ^(٩) » وقال أنس رضي الله عنه « خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثمان حجج فقال لي يا أنس أسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على

(١) حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه فقال يا فلان هذه زوجتي صفية وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم رواه مسلم (٢) حديث إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرأ وقال علي رسلكما إنها صفية ، متفق عليه من حديث صفية (٣) حديث إني أوتي وأسأل وتطلب إلى الحاجة وأنتم عندي فاشفئوا لتؤجروا الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى نحوه (٤) حديث ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث حمزة بن جندب بسند ضعيف (٥) حديث عكرمة عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كآنى أنظر إليه خلفها يبكي الحديث رواه البخاري . (٦) حديث من بدأ بالكلام قبل السلام فلا ينجيويه الحديث الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في اليوم والليلة واللفظ له من حديث ابن عمر بسند فيه لين (٧) حديث دخلت على رسول الله ﷺ ولم أسلم ولم أستأذن فقال ﷺ ارجع فقل السلام عليكم أ أدخل أبو داود والترمذي وحسنه من حديث كلدة بن الحبل وهو صاحب القصة (٨) حديث جابر إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحكمكم لم يدخل بيته الخرائطي في مكارم الأخلاق وفيه ضعف .

[٩] هذا الحديث ساقط عند العراقي وهو من رواية أبي داود والنسائي وابن عساكر من طريق همام بن منبه عن معاوية كآنى الشارح هـ .

بالأولاد والأزواج ودوران حول مظان الاوجاج والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والمادة . قال أبو سليمان الداراني ثلاث من طلبهن فقد رسكن إلى الدنيا . من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث . وقال ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته . أخبرنا الشيخ طاهر قال أنا والدي أبو الفضل قال أنا محمد بن اسمعيل القرى قال أنا أحمد بن الحسن قال أنا حاجب الطوسي قال حدثنا عبد الرحيم قال حدثنا الفزاري عن سليمان التيمي عن أبي عثمان الهدي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تركت بشيئا قط أحب إلي من الصدقة »

من لقيته من أمي تكثر حسناتك وإذا دخلت منزلك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك (١) » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا التقى المؤمنان فتصالحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسع وستون لأحسنهما بشرا » وقال تعالى - وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها - وقال عليه السلام « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولئك هم على عمل إذا علمتموهم تحاييتهم قالوا بلى يا رسول الله ؟ قال أفشوا السلام بينكم (٢) » وقال أيضا « إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم ولا يسلم عليه (٤) » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم واحد أجزأ عنهم (٥) » وقال قتادة كانت تحية من كان قبلكم السجود فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهي تحية أهل الجنة وكان أبو سلم الخولاني يمر على قوم فلا يسلم عليهم ويقول ما يمنعني إلا أني أخشى أن لا يردوا فتلتهم الملائكة والصاخة أيضا سنة مع السلام » وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال عليه السلام عشر حسنات فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون (٦) » وكانت أنس رضى الله عنه يمر على الصبيان فيسلم عليهم (٧) وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فضل ذلك . وروى عبد الحميد بن بهرام « أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فأولمأ بيده بالسلام وأشار عبد الحميد بيده إلى الحكاية (٨) » فقال عليه السلام « لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتهم أحدكم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه (٩) » وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثمانى حجج فقال لى يا أنس أسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على من لقيته من أمي تكثر حسناتك وإذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك الخرافة في مكارم الأخلاق واللفظ له والبهقي في الشعب وإسناده ضيف والترمذي ومجحه إذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك (٢) حديث والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة ولم يسنده ولمه في السند (٤) حديث الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم عليه لم أقف له على أصل (٥) حديث يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم أحد أجزأ عنهم ومالك في الوطأ عن زيد بن أسلم مرسلا ولأبي داود من حديث على يعزى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدكم ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدكم وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة يسلم الراكب على الماشي الحديث وسيأتي في بقية الباب (٦) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليك فقال صلى الله عليه وسلم عشر حسنات الحديث أبو داود والترمذي من حديث عمران بن حصين قال الترمذي حسن غريب وقال البيهقي في الشعب إسناده حسن (٧) حديث أنس كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم ورفعه متفق عليه (٨) حديث عبد الحميد بن بهرام أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فأولمأ بيده بالتسليم وأشار عبد الحميد بيده الترمذي من رواية عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أمهم بنت يزيد وقال حسن وابن ماجه من رواية ابن أبي حسين عن شهر ورواه أبو داود وقال أحمد لا بأس به (٩) حديث لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

الرجال من النساء » وروى رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل قال « اجتلبنا بالضراء فصرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر وإن أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسوون بالذهب ولبسن ربط الشام وعصب البن وأتمعن الخنثى وكلفن الفقير ما لا يجد » وقال بعض الحكماء معالجة الزوجة خير من معالجة النساء . وسئل سهل بن عبد الله عن النساء فقال الصبر عن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار . وقيل في تفسير قوله تعالى - خلق الإنسان - ضعيها - لأنه لا يصبر عن النساء وقيل في قوله تعالى - ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به - الفلحة فان قدر الفقير على مقاومة النفس ورزق العلم الوافر بحسن المعاملة في معالجة

« لاتصلحوا أهل الذمة ولا تبدهم بالام فاذا تقيتوهم في الطريق فاضطروهم إلى اضيق الطرق »
 قالت عائشة رضي الله عنها « إن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم عليكم قالت عائشة رضي الله عنها قتلت بل عليكم السام والذمة قال عليه السلام يا عائشة إن الله يحب الرفق في كل شيء قالت عائشة ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت عليكم ^(١) » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على الساسي وللناسي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير ^(٢) » وقال عليه السلام « لاتشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود بالاشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالاشارة بالكف ^(٣) » قال أبو عيسى إسناده ضعيف وقال عليه السلام « إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فان بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة ^(٤) » وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « إذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لأحسهما بشراً ^(٥) » وقال عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إذا التقى المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبايع تسعون للمصافح عشرة ^(٦) » وقال الحسن المصنف تزيد في الود وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمام تحياتكم بينكم المصافحة ^(٧) » وقال عليه السلام « قبله السلم أخاه المصافحة ^(٨) » ولا بأس بقبلة يد المظلم في الدين تبركا به وتوقيرا له وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قلنا يد النبي صلى الله عليه وسلم ^(٩) وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبى أثبت النبي صلى الله عليه وسلم قبلت يده ^(١٠) وروى أن أعرايا قال يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك قال فأذن له فقبل ^(١١) ولقي أبو حبيدة

(١) - حديث عائشة إن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك الحديث متفق عليه (٢) - حديث يسلم الراكب على الساسي وللناسي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل مسلم والصغير على الكبير (٣) - حديث لاتشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود بالاشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالاشارة بالكف الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال إسناده ضعيف (٤) - حديث إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فان بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة أبو داود والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة (٥) - حديث أنس إذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة الحديث الخرائطي بسند ضعيف وللطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة مائة رحمة وتسعون لأشبهما وأطلقهما وأبرهما وأحسنهما مسألة لأخيه وفيه الحسن بن كثير بن يحيى بن أبي كثير مجهول (٦) - حديث عمر بن الخطاب إذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة الحديث البزار في مسنده والخرائطى في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في الشعب وفي إسناده نظر (٧) - حديث أبي هريرة تمام تحياتكم بينكم المصافحة الخرائطي في مكارم الأخلاق وهو عند الترمذي من حديث أبي أمانة وضعفه (٨) - حديث قبله السلم أخاه المصافحة الخرائطي وابن عدى من حديث أنس وقال غير محفوظ (٩) - حديث ابن عمر قبلنا يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو داود بسند حسن (١٠) - حديث كعب ابن مالك لما نزلت توبى أثبت النبي صلى الله عليه وسلم قبلت يده أبو بكر بن القرى في كتاب الرخصة في قبيل اليد بسند ضعيف (١١) - حديث أن أعرايا قال يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك فأذن له فقبل الخاكم من حديث بريدة إلا أنه قال رجليكم موضع يدك وقال صحيح الاسناد.

النفس وصبر عنهن
 فقد حاز الفضل
 واستعمل العقل
 واهتدى إلى الأمر
 السهل قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 « خيركم بعد المؤمنين
 رجل خفيف الحاذيل
 يارسل الله وما خفيف
 الحاذي قال الذي لأهل
 له ولأولده وقال بعض
 الفقهاء لما قيل له تزوج
 أنا إلى أن أطلق نفسي
 أحوج مني إلى التزوج
 وقيل لبشر بن الحرث
 إن الناس يتكلمون
 فيك فقال مائة ولون
 قيل يقولون إنه تارك
 للسنن يعني النكاح فقال
 قولوا لهم أنا مشغول
 بالقرض عن السنة .
 وكان يقول لو كنت
 أعول دجاجة خفت
 أن أكون جلادا على
 الجسر والصوف مبتلى
 بالنفس ومطالبه أو هو
 في شغل شاغل عن
 نفسه فاذا انضاف إلى
 مطالبات نفسه
 مطالبات زوجته

عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصاحه وقبل يده وتحميا يكيان وعن البراء بن عازب رضي الله عنه وأنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده إليه فصاحه فقال يا رسول الله ما كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للتسليين إذا التقيا تقصافاً تحتات ذنوبهما (١) « وعن النبي ﷺ قال « إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملاً خير منهم وأطيب ، أو قال وأفضل (٢) « والأعناء عند السلام منهى عنه قال أنس رضي الله عنه « قلنا يا رسول الله أينحن بعضنا لبعض ؟ قال لا قال فيصافح بعضنا بعضاً ؟ قال نعم (٣) « والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر (٤) « وقال أبو ذر رضي الله عنه ما ليته صلى الله عليه وسلم إلا صاغني وطبني يوماً فلم أكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو على سرير فالتزمتي فكانت أجود وأجود (٥) « وأخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الأثر فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت (٦) « وأخذ عمر بنر زید حتى رفعه وقال هكيزا فاضلوا يزيد وأصحاب زيد . والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام قال أنس ما كان شخص أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يملون من كراهيته لذلك (٧) « وروى أنه عليه السلام قال مرة « إذا رأيتموني فلا تقوموا كما تصنع الأعاجم (٨) « وقال عليه السلام « من سره أن يثقل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار (٩) « وقال عليه السلام « لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتنبهوا (١٠) « وكانوا يمتدحون عن ذلك لهذا النبي وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا أحد أخاه فأوسع له فليأته فانما هي كرامة أكرمه بها أخوه

(١) حديث البراء بن عازب أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ومد يده إليه فصاحه الحديث رواه الحارثاني بسند ضعيف وهو عند أبي داود والترمذي وابن ماجه مختصراً ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا قال الترمذي حسن غريب من حديث أبي اسحاق عن البراء (٢) حديث إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملاً خير منهم وأطيب الحارثاني والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود مرفوعاً وضمف البيهقي للرفوع ورواه موقوفاً عليه بسند صحيح (٣) حديث أنس قلنا يا رسول الله أينحن بعضنا لبعض قال لا الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقي (٤) حديث الالتزام والتقبيل عند القدوم من السفر الترمذي من حديث عائشة قالت قدم زيد بن حارثة الحديث وفيه فاعتنقه وقبله وقال حسن غريب (٥) حديث أبي ذر ما ليته صلى الله عليه وسلم إلا صاغني الحديث أبو داود وفيه رجل من عزة لم يسم وجهه البيهقي في الشعب عبد الله (٦) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت تقدم في العلم (٧) حديث أنس ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يملون من كراهيته لذلك الترمذي وقال حسن صحيح (٨) حديث إذا رأيتموني فلا تقوموا كما يصنع الأعاجم أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة وقال كما يقوم الأعاجم وفيه أبو العديس مجهول (٩) حديث من سره أن يثقل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار أبو داود والترمذي من حديث معاوية وقال حسن (١٠) حديث لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتنبهوا متفق عليه من حديث ابن عمر .

يضمف طلبه وتكمل إرادته وتفر عزيمته والنفس إذا أطعمت طمعت وإذا أقنعت نعت فيستعين الشاب الطالب على حسم مواد خاطر الكساح بإدامة الصوم فإن للصوم أثراً ظاهراً في قبح النفس ونهرها وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجماعة من الشبان وهم يرفضون الحجارة فقال « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج وإن لم يستطع فليصم فإن الصوم له وجاء » أصل الوجاء رض الحصىتين كانت العرب تحب الفحل من القم لتذهب غولته ويسمن ومنه الحديث ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين موجودين وقد قيل هي النفس إن لم تشغلها شغلتك فإذا أدام الشاب للريد العمل وأذاب نفسه في

فإن لم يوسع له فلينظر إلى أوسع مكان يجده فيجلس فيه ^(١)» وروى أنه سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول فلم يجب ^(٢) فيكرهه السلام على من يقضى حاجته ويكره أن يقول ابتداء عليك السلام فإنه قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام «إن عليك السلام تحية اللواتي قالها ثلاثاً» ثم قال: إذا لقي أحدكم أخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله ^(٣) ويستحب للدخول إذا سلم ولم يجد مجلساً أن لا ينصرف بل يقعد وراء الصف «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها وأما الثاني فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه ^(٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «ممن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا ^(٥)». وسئل أم هانئ «على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقيل له أم هانئ» فقال عليه السلام مرحباً بأم هانئ ^(٦). ومنها أن يصون عرض أخيه للسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويناضل دونه وينصره فإن ذلك يجب عليه بمقتضى أخوة الاسلام. روى أبو الدرداء «أن رجلاً نال من رجل عند رسول الله ﷺ فرد عنه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار ^(٧)» وقال صلى الله عليه وسلم «ممن امرئ مسلم رد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ^(٨)» وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «من ذكر عند أخوة السلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره أدركه الله بها في الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده أخوه السلم فنصره نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة ^(٩)»

(١) حديث إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا رجل أخاه فأوسع يعني له فيجلس فإنه كرامة من الله عز وجل الحديث البخارى في معجم الصحابة من حديث ابن شعبة ورجاله ثقات وابن شعبة هذا ذكره أبو موسى الدين في ذيله في الصحابة وقد رواه الطبراني في الكبير من رواية مصعب بن شيبة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أخضر منه وشيبة بن جبير والد منصور ليست له حجة (٢) حديث ابن رجلا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول فلم يجب مسلم من حديث ابن عمر باللفظ فلم يرد عنه (٣) حديث قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال إن عليك السلام تحية آتيت الحديث أبو داود والترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جري الهجيمي وهو صاحب القصة قال الترمذي حسن صحيح (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها الحديث متفق عليه من حديث أبي واقد الليثي (٥) حديث ممن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث البراء بن عازب (٦) حديث سلت أم هانئ «عليه فقال مرحباً بأم هانئ» مسلم من حديث أم هانئ (٧) حديث أبي الدرداء من رذ عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار الترمذي وحسنه (٨) حديث ممن امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بنحوه والحرانطى في مكارم الأخلاق وهو عند الطبراني بهذا اللفظ من حديث أبي الدرداء وفيهما شهر بن حوشب (٩) حديث أنس من ذكر عند أخوة السلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة أذله الله عز وجل بها في الدنيا والآخرة الحديث ابن أبي الدنيا.

العبادة تقل عليه خواطر النفس وأيضاً شغله بالعبادة يثمر له حلالة العاملة وحبية الاكثار منه ويفتح عليه باب السهولة والعيش في العمل فيشار على حاله ووقته أن يتكدر بهم الزوجة . ومن حسن أدب المرید في عزوئته أن لا يمكن خواطر النساء من باطنه وكلما خطر له خاطر النساء والشهوة يفر إلى الله تعالى بحسن الاتابة فيتداركه الله تعالى حينئذ بقوة المزمعة ويؤيده بمراغمة النفس بل ينعكس على نفسه نور قلبه نوايا الحسن إجابته فتسكن النفس عن المطالبة ثم يمرض على نفسه ما يدخل عليه بالنكاح من الدخول في المداخل للتمومة للسؤدية إلى الدال والموان وأخذ النسي من غير وجهه وما يتوقع من القواطع

وقال عليه السلام « من حمى عن عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيامة من النار »^(١) وقال جابر وأبو طلحة سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن امرئ مسلم بنصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمة إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصره »^(٢) . ومنها تسميت العاطس قال عليه الصلاة والسلام في العاطس يقول « الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشمته يرحمك الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم »^(٣) . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فإذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فإذا قالوا ذلك فليقل يفر الله لي ولكم »^(٤) . وشمّت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاتبا ولم يشمّت آخر فساله عن ذلك فقال إنه حمد الله وأنت سكت »^(٥) وقال عليه السلام « يشمّت العاطس المسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام »^(٦) . وروى أنه شمّت عاتبا ثلاثا فطس أخرى فقال إنك مزكوم »^(٧) وقال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس غص صوته واستر بثوبه أو يده »^(٨) . وروى خمر وجهه وقال أبو موسى الأشعري « كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول : يهديكم الله »^(٩) . وروى عبدالله بن عامر بن ربيعة عن أبيه « أن رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا وبسد ما يرضى والحمد لله على كل حال فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال من صاحب الكلمات فقال أنا يا رسول الله ما أردت بهن إلا خيرا فقال لقد رأيت اثني عشر ملكا كلهم يبتدرونها أيهم يكتبها »^(١٠) .

في الصحة مقتصر على ما ذكر منه وإسناده ضعيف (١) حديث من حمى عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار أبو داود من حديث معاذ بن أنس نحوه بسند ضعيف (٢) حديث جابر وأبي طلحة مامن امرئ مسلم بنصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمة الحديث أبو داود مع تقديم وتأخير وإسناده (٣) حديث يقول العاطس الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشمته يرحمك الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم البخاري وأبو داود من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري على كل حال (٤) حديث ابن مسعود إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين الحديث النسائي في اليوم والليلة وقال حديث منكر ورواه أيضا أبو داود والترمذي من حديث سالم بن عبدالله وإسناده (٥) حديث شمّت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاتبا ولم يشمّت آخر فساله عن ذلك فقال إنه حمد الله وأنت سكت متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث شمّتوا المسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام أبو داود من حديث أبي هريرة شمت أخاك ثلاثا الحديث وإسناده جيد (٧) حديث أنه شمت عاتبا فطس أخرى فقال إنك مزكوم مسلم من حديث سلمة بن الأكوع (٨) حديث أبي هريرة كان إذا عطس غص صوته وستر بثوبه أو يده أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية لأبي نعيم في اليوم والليلة خمر وجهه وفاه (٩) حديث أبي موسى كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح (١٠) حديث عبدالله بن عامر بن ربيعة أن رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث أبو داود من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه وإسناده جيد

بسبب التفات الحاضر إلى ضبط المرأة وحرصاتها والكف التي لا تتحصر . وقد مثل عبد الله بن عمر عن جهد البلاء فقال : كثرة العيال وقلة المال ، وقد قيل كثرة العيال أحد الفقرين وقلة العيال أحد اليسارين . وكان إبراهيم بن آدم يقول : من تعود أفخاذ النساء لا يفلح ولا شك أن المرأة تدعو إلى الرفاهية والدعة وتمنع عن كثرة الاشتغال باله وقيام الليل وصيام النهار وينسلط على الباطن خوف الفقر وحبّة الادخار وكل هذا بعيد عن التجرد وقد ورد « إذا كان بعد المائتين أيحت العزوبة لأمتي » فإن توالى على الفقير خواطر النكاح وزاحمت باطنه سببا في الصلاة والأذكار والتلاوة فليستن بالله أولا ثم

وقال صلى الله عليه وسلم « من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشك خاصرته ^(١) » وقال عليه السلام « العطاس من الله والثأوب من الشيطان فإذا ثأب أحدكم فليضع يده على فيه فإذا قالهاها فان الشيطان يضحك من جوفه ^(٢) » وقال إبراهيم النخعي إذا عطس في قضاء الحاجة فلا بأس. بأن يذكر الله وقال الحسن يحمد الله في نفسه ، وقال كعب قال موسى عليه السلام يا رب أقرّب أنت فأناجيك أم بعيد فأناجيك فقال أناجلس من ذكرني فقال فأناكون على حال نجلك أن تذكرك عليها كالجناية والفاط قال إذا كرتي على كل حال . ومنها أنه إذا بلى بذي شر فينبغي أن يتحمله ويتقيه قال بعضهم خالسي المؤمنين مخالصة وخالقي الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر. وقال أبو الدرداء إن النبتش في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلثمهم وهذا معنى الداراة وهي مع من يخاف شره قال الله تعالى - اذفع بالتي هي أحسن السيئة - قال ابن عباس في معنى قوله - ويدبرون بالحسنة السيئة - أى الفحش والأذى بالسلام والداراة وقال في قوله تعالى - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض - قال بالرغبة والرهبة والحياة والداراة وقالت عائشة رضى الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشرة هو فلما دخل ألأن له القول حتى ظننت أن له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت ثم ألت له القول فقال يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء خشفه ^(٣) » وفي الخبر « ما وقع الرجل به عرضه فهو له صدقة ^(٤) » وفي الأثر : خالطوا الناس بأعمالكم وزايلوهم بالقلوب . وقال محمد بن الحنفية رضى الله عنه : ليس يحكم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا . ومنها أن يجتنب مخالطة الأغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن إلى الأيتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم أحبنى مسكينا وأمتى مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين ^(٥) » وقال كعب الأحبار كان سليمان عليه السلام في ملكه إذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس إليه وقال مسكين جالس مسكينا . وقيل ما كان من كلمة يقال لعيسى عليه السلام أحب إليه من أن يقال له يا مسكين وقال كعب الأحبار ما في القرآن من يا أيها الذين آمنوا فهو في التوراة يا أيها المساكين وقال عبادة ابن الصامت إن للنار سبعة أبواب ثلاثة للأغنياء وثلاثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال الفضيل بلفي أن نبيا من الأنبياء قال : يا رب كيف لي أن أعلم رضاك عني فقال انظر كيف رضا للمساكين عنك ، وقال عليه الصلاة والسلام « إياكم ومجالسة اللوثى ، قيل ومن اللوثى يا رسول الله ؟ قال الأغنياء ^(٦) » وقال موسى إلهي أين أبنيك قال عند التنكسة قلوبهم ، وقال صلى الله عليه وسلم

بالمشايع والإخوان ويشرح الحال لهم ويسألهم مسألة الله له في حسن الاختيار ويظوف على الأحياء والأموات وللساجد والشاهد ويستعظم الأمر ولا يدخل فيه بقلة الاكثارات فانه باب فتنة كبيرة وخطر عظيم وقد قال الله تعالى - إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم - ويكثر الضراعة إلى الله تعالى ويكثر البكاء بين يديه في الخلوات ويكرر الاستخارة وإن رزق القوة والصبر حتى يستبين له من فضل الله الحسنة في ذلك فهو الكمال والتمام قد يكشف الله تعالى

للمصدق ذلك منما أو إطلاقا في منامه أو يقظته أو على لسان من ينطق إلى دينه وحاله أنه إذا أشار لا يشير إلا على بصيرة وإذا حكم لا يحكم إلا بحق فصدق

(١) حديث من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشك خاصرته الطبراني في الأوسط وفي الدعاء من حديث علي بن سعيد (٢) حديث العطاس من الله والثأوب من الشيطان الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله العطاس من الله فرواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وقال البخاري إن الله يحب العطاس ويكره التأوب الحديث (٣) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشرة الحديث متفق عليه (٤) حديث ما وقع الرجل به عرضه فهو له صدقة أبو يعلى وابن عدى من حديث جابر وضمه (٥) حديث اللهم أحبنى مسكينا وأمتى مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد والترمذي من حديث عائشة بوقال غريب (٦) حديث إياكم ومجالسة اللوثى قيل وما اللوثى قال الأغنياء الترمذي وضمه والحاكم وصححه إسناده من حديث عائشة إياكم ومجالسة الأغنياء .

«لا تضبطن فاجرا. نعمة فانك لا تدرى إلى ما يصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا^(١)» وأما اليتيم فقال صلى الله عليه وسلم «من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة أئبته^(٢)» وقال عليه السلام «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وهويشير بأصبعه^(٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شجرة تمر عليها يده حسنة^(٤)» وقال عليه السلام «خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشتر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه^(٥)» . ومنها النصيحة لكل مسلم والجهد في إدخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم «للمؤمن عجب للمؤمن كما يحب لنفسه^(٦)» وقال عليه السلام «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه^(٧)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى فيه شيئا فليمطه عنه^(٨)» وقال صلى الله عليه وسلم «من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله عمره^(٩)» وقال صلى الله عليه وسلم «من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة [١]» وقال صلى الله عليه وسلم «من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاه أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين^(١٠)» وقال عليه السلام «من فرج عن مؤمن مغموم أو أمان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة^(١١)» وقال صلى الله عليه وسلم «انصر أخاك ظالما أو مظلوما . فبقل كيف ينصره ظالما قال ينعمه من الظلم^(١٢)» وقال عليه السلام

(١) حديث لا تضبطن فاجرا نعمة الحديث البخارى في التاريخ والطبرانى في الأوسط والبيهقى في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة أئبته أحمد والطبرانى من حديث مالك بن عمر وفيه على بن زيد بن جعدان متكلم فيه (٣) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة البخارى من حديث سهل بن سعد ومسلم من حديث أبي هريرة (٤) حديث من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شجرة تمر عليها يده حسنة أحمد والطبرانى بإسناد ضعيف من حديث أبي أمامة دون قوله ترحما ولان جبان في الضمفاء من حديث ابن أبي أوفى من مسح يده على رأس يتيم رحمة له الحديث (٥) حديث خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشتر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ابن ماجه من حديث أبي هريرة وفيه ضعف (٦) حديث المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه تقدم بلفظ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولم أره بهذا اللفظ (٧) حديث إن أحدكم مرآة أخيه الحديث رواه أبو داود والترمذى وقد تقدم (٨) حديث من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره البخارى في التاريخ والطبرانى والحرائطي كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف مرسل (٩) حديث من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاه أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين الحاكم وصححه من حديث ابن عباس لأن يعنى أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته وأشار بأصبعه أفضل من أن يتكف في مسجدى هذا شهرين والطبرانى في الأوسط من مشى في حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكافه عشر سنين وكلاهما ضعيف (١٠) حديث من فرج عن مغموم أو أمان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة الحرائطي في مكارم الأخلاق وابن جبان في الضمفاء وابن هدى من حديث أنس بلفظ من أغاث ملهوقا (١١) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم .

حديث من أقر عين مؤمن لم نجد له تحريجا في نسختنا ووجدنا الشارح نقل عن العراقي أنه رواه ابن المبارك في الزهد والرفائق بإسناد ضعيف مرسل .

ذلك يكون تزوجه مدبرامعانا فيه . وممنا أن الشيخ عبدالقادر الجبلى قال له بعض الصالحين لم تزوجت حتى فقال ما تزوجت حتى قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج فقال له ذلك الرجل الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بالرخص وطريق القوم التزيم بالزعة فلا أعلم ما قال الشيخ في جوابه ولكنى أقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالرخصة وأمره على لسان الشرع فأما من التجأ إلى الله تعالى واقترع إليه واستخاره فيكشفه الله بتبينه إياه في منامه وأمره هذا لا يصحكون أمر رخصة بل هو أمر يتبعه أرباب الزعة لأنه من علم الحال لا من علم الحكم ويدل على صحة ما وقع في ما نقل عنه أنه قال كنت أريد

«إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على قلب المؤمن أو أن يمرض عنه غما أو يقضى عنه ديناً أو يطعمه من جوع» (١) «وقال صلى الله عليه وسلم «من حمى مؤمناً من منافق يقتله بئس الله إليه ملكاً يوم القيامة يحصى له من نارجهم» [١] «وقال صلى الله عليه وسلم «خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضرب لبدن الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الإيمان بالله والنفع لعباد الله» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «من لم يهتم للمسلمين فليس منهم» (٣) «وقال معروف السكري من قال كل يوم : اللهم ارحم أمة محمد كتبته الله من الأبدان وفي رواية أخرى اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد كل يوم ثلاث مرات كتبته الله من الأبدان . وبكى على بن الفضل يوماً فقبل له ما ييكك ؟ قال أبكى على من ظلمني إذا وقف غدا بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم تكن له حجة . ومنها أن يعود مرضاهم فالمرقة والاسلام كافيان في إثبات هذا الحق ونيل فضله وأدب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وعند الاستئذان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول أنا إذا قيل له من ؟ ولا يقول يا غلام ولكن يحمده ويسبح وقال صلى الله عليه وسلم «تمام عبادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده ويسأله كيف هو وتغاثم تحياتكم المصافحة» وقال عليه السلام «من عاد مريضاً فقد في محارف الجنة حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل» (٤) «وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قد عند قرت فيه» (٥) «وقال صلى الله عليه وسلم «إذا عاد السلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوت منزلتي في الجنة» (٦) «وقال عليه السلام «إذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعواده فإن هو إذا جاءوه محمد الله وأنتم عليه رخصاً ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على إن توفيت أن أدخلك الجنة وإن أنا شفيت أن أبدلك له لما خيرا من محمدا خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته» (٧) «وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الزوجة مدة من الزمان ولا أجتري على التزوج خوفاً من تكدير الوقت فلما صبرت إلى أن بلغ الكتاب أجله ساق الله لي أربع زوجات ما فيهن إلا من تنفق لي بإرادة ورغبة ففهم مرة الصبر الجليل الكامل فإذا صبر الفقير وطلب الفرج من الله يأتيه الفرج والمخرج - ومن يتق الله يعمل له عزجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب - فإذا تزوج الفقير بعد الاستقصاء

(١) حديث إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المؤمن أو أن يمرض عنه غما أو يقضى عنه ديناً أو يطعمه من جوع (٢) حديث ابن عمر بسند ضعيف (٣) حديث خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضرب لبدن الله (٤) الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يسنده ولله في مسنده (٥) حديث من لم يهتم للمسلمين فليس منهم الحاكم من حديث حذيفة والطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر وكلاهما ضعيف (٦) حديث من عاد مريضاً فقد في محارف الجنة الحديث أمحباب السنن والحاكم من حديث على من أتى أخاه السلم عائداً مشى في خرافة الجنة حتى يجلس فإذا جلس غمرته الرحمة فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يسمى وإن كان مساء الحديث لفظ ابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذي وسلم من حديث ثوبان من عاد مريضاً لم يزل في خرافة الجنة (٧) حديث إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قد عند قرت فيه الحاكم والبيهقي من حديث جابر وقال انتمس فيها قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر وذكره مالك في الوطأ بلاغاً بلفظ قرت فيه ورواه الواقدي بلفظ استقر فيها وللطبراني في الصغير من حديث أنس فإذا قد عند غمرته الرحمة وله في الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمر بن حزم استتفع فيها (٨) حديث إذا عاد السلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوت منزلتي في الجنة الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة إلا أنه قال ناداه مناد قال الترمذي غريب قلت فيه عيسى بن سنان الصنعلي ضعفه الجمهور (٩) حديث إذا مرض العبد بعث الله تعالى

والإكثار من الضراعة والدعاء وورد عليه وارد من الله تعالى ياذن فيه فهو الغاية والنهاية وإن عجز عن الصبر إلى ورود الأذن واستغند جهده في الدعاء والضراعة فقد يكون ذلك حظاً من الله تعالى ويمن عليه لحسن نيته وصدق مقصده وحسن رجائه واعتاده على ربه وقد

[١] حديث من حمى مؤمناً قال الشارح لم يذكره العراقي ورواه ابن المبارك وأحمد وأبو داود وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والطبراني عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه .

قل عن عبد الله بن عباس أنه قال لا يتم نكح الشاب حتى يتزوج وينقل عن شيخ من مشايخ خراسان أنه كان يكثر الزواج حتى لم يكن يخلو عن زوجتين أو ثلاث فوثب في ذلك فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف وقفة في معاملته فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا قد يصينا ذلك فقال لو رزيت في عمري كله بثلث حاكم في وقت واحد ما تزوجت قط ولكني ما خطر على قلبي خاطر شهوة قط فشفاني عن حالي إلا فذته لأسترع منه وأرجع إلى شفتي ثم قال منذ أربعين سنة ما خطر على قلبي خاطر معصية فالصادقون ما دخلوا في النكاح إلا على بصيرة وتصدوا حسم مواد النفس وقد يكون للأقوياء والعلماء

عليه وسلم « من يرد الله به خيرا يصيب منه ^(١) » وقال عثمان رضي الله عنه مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بسم الله الرحمن الرحيم أعينك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد قالما مرارا ^(٢) » ودخل ^(٣) على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال له « قل اللهم إني أسألك تسجيل عافيتك أو صبرا على بليتك أو خروجا من الدنيا إلى رحمتك فانك سمعني إحداهن ^(٤) » ويستحب للعليل أيضا أن يقول أعوذ بعزائه وقدرته من شر ما أجد وأحاذر . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا شكأ أحدكم بطنه فليسال امرأته شيئا من صدقها ويشتري به عبلا ويشربه بماء السماء فيجتمع له المني والري والشفاء والبارك . وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال يقول لا إله إلا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت سبحانه القرب العباد والبلاد والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله أكبر كبيرا إن كبرياءه بنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم إن أنت أمرتني لتقبض روحي في مرضي هذا فأجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسن وباعدني من النار كما باعدت أوليائك الذين سبقت لهم منك الحسن ^(٥) » وروى أنه قال عليه السلام « عيادة المريض بد ثلاث فوق ناقة ^(٦) » وقال طاوس أفضل العيادة أخفها وقال ابن عباس رضي الله عنهما عيادة المريض مرة سنة لما ازدادت فنافه ، وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلاث ، وقال عليه السلام « أغبوا في العيادة وأربعوا فيها ^(٧) » وحكمة أدب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفرع إلى الدعاء والتوكل بعد الدعاء على خالق الدعاء . ومنها أن يسبح جنازته قال صلى الله عليه وسلم « من سبح جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان ^(٨) » وفي الخبر « القبراط مثل أحد ^(٩) » ولما روى أبو هريرة هذا الحديث ومعه ابن عمر ملكين فقال انظرا ما يقوله لعمري أنه الحديث مالك في الوطأ مرسلان حديث عطاء بن يسار ورواه ابن عبد البر في التمهيد من روايته عن أبي سعيد الخدري وفيه عباد بن كثير الثقف ضعيف الحديث وللبيهقي من حديث أبي هريرة قال الله تعالى إذا ابتليت عبدي المؤمن فله يشكى إلى عواده أطلقته من يساري ثم أبده لما خيرا من لحنه وما خيرا من دمه ثم استأنف العمل وإسناده جيد ^(١) حديث من يرد الله به خيرا يصيب منه البخاري من حديث أبي هريرة ^(٢) حديث عثمان مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بسم الله الرحمن الرحيم أعينك بالله الأحد الصمد الحديث ابن السني في اليوم والليلة والطبراني والبيهقي في الأدعية من حديث عثمان بن عفان بإسناد حسن . ^(٣) حديث دخل على علي وهو مريض فقال قل اللهم إني أسألك تسجيل عافيتك الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بسند ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل وهو يشتكي ولم يسم عليه وروى البيهقي في الدعوات من حديث عائشة أن جبريل علما للنبي صلى الله عليه وسلم وقال إن الله يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات ^(٤) حديث أبي هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار ابن أبي الدنيا في الدعاء وفي المرض والكفارات ^(٥) حديث عيادة المريض فوق ناقة ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بإسناد فيه جهالة ^(٦) حديث أغبوا في العيادة وأربعوا ابن أبي الدنيا وفيه أبو يعلى من حديث جابر وزاد إلا أن يكون مغلوبا وإسناده ضعيف ^(٧) حديث من تبع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان الشيخان من حديث أبي هريرة ^(٨) حديث القبراط مثل جبل أحد مسلم من حديث ثوبان وأبي هريرة وأصله متفق عليه .

قال لقد فرطنا إلى الآن في قراريط كثيرة والقصد من التشيع قضاء حق المسلمين والاعتبار وكان مكحول المشقة إذا رأى جنازة قال اغدوا فإنارثتمون معظة بليغة وغفلة سرية بذهب الأول والآخر لا عقل له ، وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهوسكى ويقول والله لا ترعى حتى أعلم إلى ما صرت ولا والله لأعلم ما صنعت حيا . وقال الأعمش كنا شهد الجنازة فلندرى لمن نعزى لحزن القوم كلهم ونظر إبراهيم الزيات إلى قوم يترحمون على ميت فقال لو ترحمون أنفسكم لكان أولى إنه نجما من أهوال ثلاث وجه ملك الموت قد رأى ومراة الموت قد ذاق وخوف الحاتمة قد آمن ، وقال صلى الله عليه وسلم « يتبع الميت ثلاث فيرجع إثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله ^(١) » ومنها أن يزور قبورهم والقصد من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال الشيخ « ما رأيت منظرا إلا والقبور أفضح منه ^(٢) » وقال عمر رضي الله عنه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فسكى وبكى فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر امرأة بنت وهب استأذنت ربى في زيارتها فأذنلى واستأذنته في أن أسفخر لها فأبى على فأدركنى ما يدرك الولد من الرقة ^(٣) » وكان عمر رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحته ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن القبور أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه لما يسهل أيسر وإن لم ينج منه فما بعده أشد ^(٤) » وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم خفته تقول أنا بيت السود وبيت الوحدة وبيت القربة وبيت الظلة فهذا ما أعدت لك لما أعدت لى ؟ وقال أبو ذر الأخرى يوم قبرى يوم أوضيع فى قبرى ، وكان أبو الدرداء بعد إلى القبور يقلل له في ذلك فقال أجلس إلى قوم يذكرونى معادى وإن قتلت عنهم لم يتأبونى وقال حاتم الأصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال صلى الله عليه وسلم « مامن ليلة إلا وينادى مناد بأهل القبور من تغبطون قالوا تغبط أهل المساجد لأنهم يصومون ولا نصوم وصلون ولا نصلى ويذكرون الله ولا نذكره ^(٥) » وقال سفيان من أكثر ذكر القبر وجدده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجدده حفرة من حفر النار وكان الريح بن خيثم قد حفر في داره قبرا فكان إذا وجد قفله قفاوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال - رب ارجعون لى أعمل صالحا فبأتركته - ثم يقول يا ربيع قد رجعت فاعمل الآن قبل أن لا ترجع وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى القبرة فلما نظر إلى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور أنابى بن أمية كأنهم لم يشاركو أهل الدنيا فى قتالهم أما تراهم صرعى قد خلت بهم اللثام وأصاب الهوام من أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم من صار إلى هذه القبور وقد آمن عذاب الله . وآداب العزى خفض الجناح وإظهار الحزن وقلة الحديث وترك التسميم . وآداب تشيع الجنازة زوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكير فى اللوت والاستعداد له

الراسخين فى العلم أحوال فى دخولهم فى النكاح تخص بهم وذلك أنهم بعد طول المجاهدات والراقيات والرياضات تظمئن نفوسهم وتقبل قلوبهم وللقلوب إقبال وإدبار يقول بعضهم : إن للقلوب إقبالا وإدبارا فإذا أدبرت روح بالارفاق وإذا أقبلت ردت إلى اللبثاق تبقى قلوبهم دأمة الإقبال إلا اليسير ولا يوم إقبالها إلا لطمانية النفوس وكفها عن اللنازع وتترك التشبث فى القلوب فاذا اطمانت النفوس واستقرت عن طيشها وغورها وشراسيتها توفرت عليها حقوقها وربما يصير من حقوقها حظوظها لأن فى أداء الحق إقناعا وفى أخذ الحظ اتساعا وهذا من دقيق علم الصوفية فانهم يسمون بالنكاح الباطح إيصالا إلى النفس حظوظها لأنها ما زالت

(١) حديث يتبع الميت ثلاث فيرجع إثنان ويبقى واحد مسلم من حديث أنس (٢) حديث ما رأيت منظرا إلا والقبور أفضح منه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال صحيح الاسناد رذل الترمذى حسن غريب (٣) حديث عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى المقابر فجلس إلى قبر الحديث فى زيارته قبر أمه مسلم من حديث أبى هريرة مختصرا وأحمد من حديث بريدة وفيه قيام عمر فقدها بالأب والأم يقول يا رسول الله مالك الحديث (٤) حديث عثمان بن عفان إن القبر أول منازل الآخرة الحديث الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه إسناده (٥) حديث مامن ليلة إلا وينادى مناد بأهل القبور من تغبطون فبقولون تغبط أهل المساجد الحديث لم أجده لأصلا .

وأن يمشى أمام الجنابة بغيرها والاسراع بالجنابة سنة (١) هذه جل آداب تنبه على آداب العاشرة مع عموم الخلق ، والجملة الجامعة فيه أن لا تستعصر منهم أحدا حيا كان أو ميتا فتهلك لأنك لا تدري له خیر منك فانه وإن كان فاسقا فقلعه يحتم لك بمثل حاله ونعم له بالصلاح ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فإن الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم أهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فقسط من عين الله ولا تبدل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في أعينهم ثم تحرم دنياهم فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير ولا تعادى بحيث تظهر العداوة فيطول الأمر عليك في المعادة ويذهب دينك ودينك فيهم ويذهب دينهم فيك إلا إذا رأيت منكرا في الدين فعادى أهلهم القبيحة وتنظر إليهم بعين الرحمة لهم لتعرض لهم لعقوبته بصياتهم تحببهم جهنم يصلونها فمالك تحقد عليهم ولا تسكن إليهم في مودتهم لك وثأبهم عليك في وجهك وحسن بشرهم لك فذلك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة إلا واحدا وربما لا تجده ولا تشك إليهم أحوالك فيكلك الله إليهم ولا تطمع أن يكونوا لك في النيب والركاب في الملاينة فذلك طمع كاذب وآل تظفر به ولا تطمع فيما في أيديهم فتستعجل الدل ولا تنال القرض ولا تمل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فإن الله يلجئك إليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء وإذا سألت أبا منهم حاجة قضها فهو أخ مستفاد وإن لم يقض فلا تعانیه فيصير عدوا تطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه محال القبول فلا يسمع منك وبعاديك ولكن وعظك عرضا واسترسالا من غير تمييز على الشخص ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذي سخرهم لك واستمد بالله أن يكلك إليهم وإذا بلفك عنهم غيبة أو رأيت منهم شرأ أو أصابك منهم ما يسيؤك فكل أمرهم إلى الله واستمد بالله من شرهم ولا تشتغل بنفسك بالمسكافة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي ، واعتقد أنك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موضعا في قلوبهم فافقه المحب والبغض إلى القلوب وكن فيهم جميعا لحقهم أصم عن باطلهم نطقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر محبة أكثر الناس فأنهم لا يلبون عثرة ولا ينفرون زلة ولا يبتزون عورة ويحاسبون على القبر والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطأ والسيان ولا ينفون بفرون الاخوان على الاخوان بالجملة والبهتان فضيحة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان إن رضى فظاهرهم الملق وإن سخطوا فباطنهم الحق لا يؤمنون في حنهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالديون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب للنون يحسبون عليك الثورات في محبتهم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولا تعول على مودة من لم تخبره حق الخبره بأن تصحبه مدة في دار أو موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره أو تسافر معه أو تعامله في الدينار والدرهم أو تقع في شدة فتحتاج إليه فإن رضيت في هذه الأحوال فاتخذته أبالك إن كان كبيرا أو ابنا لك إن كان صغيرا أو أخاك إن كان مثلك ، فهذه جملة آداب العاشرة مع أصناف الخلق .

(حقوق الجوار)

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراه ما يقتضيه أخوة الإسلام فيستحق الجوار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم « الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق ، فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذوالرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم

(١) حديث الاسراع بالجنابة متفق عليه من حديث أنى هريرة اسرعوا بالجنابة الحديث .

تخالف هواها حتى صار
داؤها وداها وصارت
الشهوات الباسحة
والذات الشريرة
لا تفرها ولا تفرعها
عزائمها بل كواصت
النفوس الزكية إلى
حظوظها ازداد القلب
انصرافا وانفسا
وبصر بين القلب
والنفس موافقة يعطف
أحدهما على الآخر
ويزداد كل واحد منهما
عنا يدخل على الآخر
من الحظ كذا أخذ
القلب حظه من الله
خلق على النفس خلق
الطمأنينة فيكون
مزيد السكينة للقلب
مزيد الطمأنينة للنفس
وينشد :
إن السماء إذا اكتست
كست ترى
حلا يدبجها القمام
الرام
وكذا أخذت النفس
حظها تروح القلب
تروح الجار للشفق
براحة الجار . سمعت
بعض الفقهاء يقول :
النفس تقول للقلب كن

وأما الذي له حقان فالجوار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام ، وأما الذي له حق واحد فالجوار المشرك ^(١) فانظر كيف أثبت للمشرك حقاً بمجرد الجوار ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً » ^(٢) وقال النبي ﷺ « ما زال جبريل يوصيني بالجوار حتى ظننت أنه سيورثه » ^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » ^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » ^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « أول خصمين يوم القيامة جاران » ^(٦) وقال عليه الصلاة والسلام « إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيت » ^(٧) وروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له : إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويضيق عليّ قد له اذهب فان هو عصي الله بك فأطع الله فيه ، وقيل لرسول الله ﷺ « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم هي في النار » ^(٨) . وجاء رجل إليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرح متاعك في الطريق قال فجعل الناس يعمرون به ويقولون مالك فيقال آذاه جاره قال فجعلوا يقولون لئنه آذاه فجاءه جاره فقال لمرء متاعك فوالله لا أعود » ^(٩) وروى الزهري « أن رجلاً أتى النبي عليه السلام فجعل يشكو جاره فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادي على باب المسجد ألا إن أربعين داراً جار ^(١٠) » قال الزهري أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأومأ إلى أربع جهات وقال عليه السلام « الجن والشؤم في المرأة والسكن والفرس فيمن للمرأة خفة مهرها وسكنها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها وبمن السكن سته وحسن جوار أهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله وبمن الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعبته وسوء خلقه » ^(١١) .

معى في الطعام أكن معك في الصلاة وهذا من الأحوال العزيرة لاتصلح إلا للعالم رباني وكمن مدع يهلك بتوهمه هذا في نفسه ومثل هذا العبد يزداد بالسكاح ولا ينقص والعبد إذا كمل عليه يأخذ من الأنبياء ولا تأخذ الأشياء منه وقد كان الجنيدي يقول : أنا أحتاج إلى الزوجة كما أحتاج إلى الطعام وسمع بعض العلماء بعض الناس يطعن في الصوفية فقال يا هذا ما الذي ينقصهم عندك فقال يا كلون كثيراً فقال وأنت أيضاً وجدت كما يجوعون أكلت كما يأكلون ثم قال : ويتزوجون كثيراً قال وأنت أيضاً لو حفظت فرجك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون قال وأى شيء أيضاً قال يسمعون القول قال وأنت أيضاً لو نظرت كما ينظرون سمعت كما

(١) حديث الجيران ثلاثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق الحديث الحسن بن سفيان والبراز في مسندهما وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث جابر وابن عدى من حديث عبد الله بن عمر وكلاهما ضعيف (٢) حديث أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً تقدم (٣) حديث ما زال جبريل يوصيني بالجوار حتى ظننت أنه سيورثه متفق عليه من حديث عائشة وابن عمر (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديث أبي شريح (٥) حديث لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه البخاري من حديث أبي شريح أيضاً (٦) حديث أول خصمين يوم القيامة جاران أحمد والطبراني من حديث عتبة بن عامر بسند ضعيف (٧) حديث إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيت لم أجده أصلاً (٨) حديث إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال هي في النار ، أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الاسناد (٩) حديث جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرح متاعك على الطريق الحديث أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم (١٠) حديث الزهري ألا إن أربعين داراً جار أبو داود في الراسيل ووصله الطبراني من رواية الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة وقال أربعون ذراعاً وكلاهما ضعيف (١١) حديث الجن والشؤم في المرأة والسكن والفرس فيمن للمرأة خفة مهرها الحديث مسلم من حديث ابن عمر الشؤم في الدار والمرأة والفرس وفي رواية له إن بك من الشؤم شيء حقاً وله من حديث سهل بن سعد إن كان في الفرس والمرأة والسكن وللترمذي من حديث حكيم ابن معاوية لشؤم وقد يكون الجن في الدار والمرأة والفرس ورواه ابن ماجه فساء محمد بن معاوية للطبراني من حديث أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ماسوء الدار قال ضيق صاحبها وخيب جيرانها .

واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال الأذى فإن الجار أيضاً قد كف أذى فليس في ذلك قضاء حق ولا يكتفي احتمال الأذى بل لابد من الرقي وإسداء الخير والمروءة إذ يقال إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لمنني معروفة وسد بابه دوني وبلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره في دين ركه وكان يجلس في ظل داره فقال مالئت إذا بحرمة ظل داره إن باعها بعدما فدع إليه من الدار وقال لا تبعها ، وشكا بعضهم كثرة الفأر في داره فقيل له لواتقنت هراً فقال أختي أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم مالا أحب نفسي ، وجملة حق الجار أن يبداه بالسلام ولا يطبل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهتبه في الفرح ويظهر الشركة في السرور ومعه ويصنع عن زلاته ولا يتطلع من السطح إلى عوراته ولا يضايقه في وضع الجنب على جداره ولا في مصب الماء ، ولا يمزجه التراب في فئانه ولا يضيق طريقه إلى الدار ولا يتبعه النظر فيما عمله إلى داره ويستر ما يكتشف له من عوراته وينتبه من صرخته إذا نابت نائمة ولا يشغل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمة ولا يدبم النظر إلى خادمته وتلطف بولده في كلمته ويرشده إلى ما يحمله من أمر دينه وديناه ، هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أغنته وإن استعصرك نصرته وإن استقرضك أقرضته وإن افتقر عدت عليه وإن مرض عده وإن مات تبع جنازته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة عزيت ولا تسئل عليه بالبلاء فتجب عنه الريح إلا باذنه ولا تؤذنه وإذا اشتري فأكفه فأهد له فان لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولداك ليغيظ بها ولده ولا تؤذنه بقطار قدرك إلا أن تعرف له منها ، ثم قال أتدرون ما حق الجار ؟ والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله (١) » هكذا رواه عمرو بن عبيد عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال مجاهد « كنت عند عبد الله بن عمر وعظماؤه يسلمون شاة فقال يا غلام إذا سلخت فأبدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه (٢) » وقال هشام : كان الحسن لا يرى بأسا أن تقطم الجار اليهودي والنصراني من أضحتك ، وقال أبو ذر رضي الله عنه أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم وقال « إذا طبخت قدرا فأكثر ماها ثم انظر بعض أهل بيت في جيرانك فاغرف لهم منها (٣) » وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله إن لي جارين أحدهما مقبل عليّ يبايه والآخر ناء

فيل فما سوء الدابة ؟ قال منعها ظهرها وسوء خلقها ، قيل فما سوء المرأة ؟ قال غمف رحمها وسوء خلقها وكلاهما ضعيف وروينا في كتاب الحيل للدمياطي من رواية سالم بن عبد الله مرسلًا إذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤم وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجها قبل زوجها فحنت إلى الزوج الأول فهي مشؤمة وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع فيها الأذان والاقامة فهي مشؤمة وإسناده ضعيف ووصله صاحب مسند الفردوس بذكر ابن عمر في (١) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أغنته وإن استقرضك أقرضته الحديث الخرائطي في تكامل الأخلاق وابن عدي في الكامل وهو ضعيف (٢) حديث مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وعظماؤه يسلمون شاة فقال يا غلام إذا سلخت فأبدأ بجارنا اليهودي الحديث أبو داود والترمذي وقال حسن غريب (٣) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم إذا طبخت فأكثر الرق ثم انظر بعض أهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها رواه مسلم .

يسمعون . وكان سفيان ابن عيينة يقول كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول خير هذه الأمة أكثرها نساء وقد ذكر في أخبار الأنبياء أن عبادا ابتل للعبادة حتى فاق أهل زمانه فذكر لني ذلك الزمان فقال نعم الرجل لولا أنه تارك لشيء من السنة فمضى ذلك إلى العابد فأمره فقال ما تنفعني عبادتي وأنا تارك السنة فجاء إلى النبي عليه السلام فسأله فقال نعم إنك تارك الزوج فقال ما تركته لأني أحرمه وما منعتني منه إلا أنني فقير لشيء لي وأنا عيال على الناس يطعمني هذا مرة وهذا مرة فأكره أن أزوج

يباه عني وربما كان الذي عندي لا يسمعهما فأيهما أعظم حقا قال للقبل عليك يابه (١) ورأى الصديق ولهم عبد الرحمن وهو ينامي جارا له قال لاتنامي جارك فان هذا يتي والناس ينهبون . وقال الحسن بن عيسى النسابوري : سألت عبد الله بن المبارك قتل الرجل الجوار ياتني فيسكو غلامي أنه أتى إليه أمرا والقتل ينكره فأكره أن أضربه ولله برئ وأكره أن أدعه فيجد على جاري فكيف أصنع ؟ قال إن غلامك لله أن يحدث حدثا يستوجب فيه الأدب فاحفظه عليه فإذا شكاه جارك فأدبه على ذلك الحدث فتكون قد أدرضيت جارك وأدبته على ذلك الحدث وهذا تلتطف في الجمع بين الحقين . وقالت عائشة رضي الله عنها خلال للكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في أية وتكون في البعد ولا تكون في سببه يقسمها الله تعالى لمن أحب : صدق الحديث وصدق الناس وإعطاء السائل ولكافة الصنائع وصلة الرحم وحفظ الأمانة والتذم الجار والتذم للمصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا معشر المسلمين لا تخمقن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن من سعادة الرء السلم للسكن الواسع والجار الصالح والركب الهنيء » (٣) وقال عبد الله قال رجل يارسول الله « كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت قد أحسنت وإذا سمعتمهم يقولون قد أسأت قد أسأت » (٤) وقال جابر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كان له جار في حائط أو شريك فلا يمه حتى يعرضه عليه » (٥) وقال أبو هريرة رضي الله عنه « قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى » (٦) وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يمتن أحدكم جاره أن يضع خشبه في جداره » وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول مالي أراكم عنها معرضين والله لأرمينها بين أكتافكم وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب ذلك وقال صلى الله عليه وسلم « من أراد الله به خيرا عله قيل وما عساه قال يعجبه إلى جيرانه » (٧) .

(١) حديث عائشة قتل يارسول الله إن لي جارين الحديث رواه البخاري (٢) حديث أبي هريرة يانساء المسلمين لا تخمقن جارة لجارتها ولو فرسن شاة رواه البخاري (٣) حديث إن من سعادة الرء السلم للسكن الواسع والجار الصالح والركب الهنيء أحمد من حديث نافع بن عبد الحارث وسعد بن أبي وقاص وحديث نافع أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد (٤) حديث عبد الله قال رجل يارسول الله كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت قد أحسنت أحمد الطبراني وعبد الله هو ابن مسعود وإسناده جيد (٥) حديث جابر من كان له جار في حائط أو شريك فلا يمه حتى يعرضه عليه ابن ماجه والحاكم دون ذكر الجار وقال صحيح الإسناد وهو عند الحرائطي في مكارم الأخلاق بلفظ للمنف ولابن ماجه من حديث ابن عباس من كانت له أرض فأراد يعمها فليعرضها على جاره ورجاله رجال الصحيح (٦) حديث أبي هريرة قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى الحرائطي في مكارم الأخلاق هكذا وهو متفق عليه بلفظ لا يمتن أحدكم جاره أن يفرز خشبه في حائطه رواه ابن ماجه بإسناد ضيف واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة (٧) حديث من أراد الله به خيرا عله أحمد من حديث أبي عتبة الحولاني ورواه الحرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في الزهد من حديث عمرو بن الحقي زاد الحرائطي قبل وما عساه قال حيه إلى جيرانه وقال البيهقي يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله وإسناده جيد .

بإمرأة عضلها أو أرفقها بهذا قال له النبي عليه الصلاة والسلام وما يمتك إلا هذا قال نعم قال أنا أزواجك ابنتي فزوجها النبي عليه السلام ابنته وكان عبد الله بن مسعود يقول لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام أحببت أن أتزوج ولا ألقى الله عزبا وما ذكر الله تعالى في القرآن من الأنبياء إلا بالتأهلين . وقيل إن يحيى بن زكريا عليها السلام تزوج لأجل السنة ولم يكن يقربها وقيل إن عيسى عليه السلام سينكح إذا نزل إلى الأرض ويولد له . وقيل إن ركة من متأهل خير من سبعين ركة من عزب أخبرنا الشيخ طاهر بن أبي الفضل قال أنا أبو منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الهيثم للقومي القزويني قال أنا أبو طلحة القاسم

(حقوق الأقارب والرحم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا الرحمن وهذه الرحم شققن لها اسماء من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينسأ له في أثره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه ^(٢) » وفي رواية أخرى « من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليقلق أهله ليصل رحمه » وقيل لرسول الله ﷺ أي الناس أفضل قال أنعام فهو وأوصلهم لرحمه وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر ^(٣) » وقال أبوذر رضي الله عنه « أوصاني خليلي عليه السلام بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواسل بالمكافئ ولكن الواسل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها ^(٥) » وقال عليه السلام « إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونون لجارا تنمو أمواهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم ^(٦) » وقال زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فليكن بيني وبينك قال عليه السلام « إن الله قد مننني من بيني وبينك بصلتهم الرحم ^(٧) » وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قدمت على أبي قتلت يارسول الله إن أبي قدمت على وهي مشركة أفأصلها قال نعم ^(٨) » وفي رواية أفأصلها قال نعم صلها وقال عليه السلام « الصدقة على الساكنين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان ^(٩) » ولما أراد أبو طلحة أن يصدق غائط كان له يعبه عملا بقوله تعالى - لن تناولوا البرحق تنفقوا مما تحبون - ^(١٠) قال يارسول الله هو في سبيل الله والله لقراء وللأهل عليه السلام « وجب أجرك على الله فاقسمه في أقاربك » وقال عليه السلام « أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح ^(١١) »

(١) حديث يقول الله أنا الرحمن وهذه الرحم الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث من سره أن ينسأ له في أثره ويوسع عليه في رزقه فليقلق أهله ليصل رحمه متفق عليه من حديث أنس دون قوله فليقلق أهله وهو بهذه الزيادة عند أحمد والحاكم من حديث علي بإسناد جيد (٣) حديث أي الناس أفضل فقال أنعام لله وأوصلهم للرحم أحمد والطبراني من حديث درة بنت أبي لهب بإسناد حسن (٤) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا أحمد وابن حبان وصححه (٥) حديث إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواسل بالمكافئ ولكن الواسل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها الطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو وهو عند البخاري دون قوله الرحم معلقة بالعرش فرواها مسلم من حديث عائشة (٦) حديث أعجل الطاعات ثوابا صلة الرحم الحديث ابن حبان من حديث أبي بكر والخراطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند ضيف (٧) حديث زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فليكن بيني وبينك قال إن الله مننني من بيني وبينك بصلتهم الرحم الخراطي في مكارم الأخلاق وزاد وعظمهم في لباب الإبل وهو مرسل صحيح الإسناد (٨) حديث أسماء بنت أبي بكر قدمت على أبي قتلت يارسول الله قدمت على أبي وهي مشركة أفأصلها قال نعم صلها متفق عليه (٩) حديث الصدقة على الساكنين صدقة وعلى ذى الرحم صدقة وصلة الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث سلمان بن عامر الضبي (١٠) حديث لما أراد أبو طلحة أن يصدق غائط له كان يعبه عملا بقوله تعالى - لن تناولوا البرحق تنفقوا مما تحبون - الحديث أخرجه البخاري وقد تقدم (١١) حديث أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح أحمد والطبراني من حديث أبي أيوب وفيه الحجاج

ابن أبي البدر الخطيب قال ثنا أبو الحسن علي ابن إبراهيم بن سلمة القطان قال ثنا أبو عبد الله بن محمد يزيد بن ماجه قال ثنا أحمد بن الأزهر قال حدثنا آدم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النكاح سفق فمن لم يعمل بسنن فليس مني فزوجوا فإني مكارم بكم الأمم ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فليصام فان الصوم له وجاء » ومما ينبغي للتأهل أن يحذر من الافراط في المخالطة والمعاشر مع الزوجة إلى حد ينقطع عن أوراده وسياسة أوقاته فان الافراط في ذلك يقوى النفس وجنودها ويغتر ناهض الهمة . وللتأهل بسبب الزوجة فتنتان فتنة لموم حاله وفتنة

وهو في معنى قوله «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتمطى من حرمك وتصنع عن ظلك»^(١) وروى أن عمر رضي الله عنه كتب إلى عماله مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا وإنما قال ذلك لأن التجاور يورث التزام على الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم .

(حقوق الوالدين والولد)

لا يخفى أنه إذا تأكد حق القرابة والرحم فأخص الأرحام وأمسها الولادة فيتضاعف تأكد الحق فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم « لن يجزى ولد والده حتى يجد مملوكا فيشتريه فيعتقه »^(٢) وقد قال صلى الله عليه وسلم « برّ الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله »^(٣) وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ومن أمسى لئلا ذلك وإن كان واحدا فواحدا وإن ظلا وإن ظلا وإن ظلا ومن أصبح مسخطا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار وإن أمسى مثل ذلك وإن كان واحدا فواحدا وإن ظلا وإن ظلا وإن ظلا »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الجنة يوجد ريعها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريعها عاق ولا قاطع رحم »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « برّ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك »^(٦) ويروي أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى إنه من برّ والديه وعقى كتبته بارأ ومن برى وعق والديه كتبته عاقا ، وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له فأوحى الله إليه أن تعاطم أن تقوم لأبيك وعزى وجلالى لأخرجت من صلبك نيبا وقال صلى الله عليه وسلم « ما على أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورها من غير أن ينقص من أجورها شيء »^(٧) وقال مالك بن ربيعة بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن أرملة ورواه البيهقي من حديث أم كلثوم بنت عقبة (١) حديث أفضل الفضائل أن تصل من قطعك الحديث أحمد من حديث معاذ بن أنس بسند ضعيف للطبراني نحوه من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٢) حديث لن يجزى ولد والده حتى يجد مملوكا فيشتريه فيعتقه مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث برّ الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد لم أجده هكذا وروى أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط من حديث أنس أن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال إلى أشقى الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقي من والديك أحد ، قال أمي قال قابل الله في رها فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتزم ومجاهد وإسناده حسن (٤) حديث من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة الحديث البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس ولا يصح (٥) حديث إن الجنة يوجد ريعها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريعها عاق ولا قاطع رحم الطبراني في الصغير من حديث أبي هريرة دون ذكر القاطع وهي في الأوسط من حديث جابر إلا أنه قال من مسيرة ألف عام وإسناده ضعيف (٦) حديث برّ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك التمسائي من حديث طارق المغربي وأحمد والحاكم من حديث أبي رزمة ولأبي داود نحوه من حديث كليب بن منفعة عن جده وله وللمزمذى والحاكم وصححه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده : من أبر قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم الأقرب فالأقرب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال رجل من أحق الناس بحسن الصحبة قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك فقط مسلم (٧) حديث ما على أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين الحديث الطبراني في الأوسط من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند ضعيف دون قوله إذا كانا مسلمين .

لخصوص حاله فتنته بحوم حاله الاغرافي الاهتمام بأسباب للعيشة . كان الحسن يقول : واللهما أصبح اليوم رجل يطبع امرأته فيها نهوى إلا أكبه الله على وجهه في النار . وفي الخبر «يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يسيرون بالفقر ويكفونهم ما لا يطيق فيدخل في الداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك» . وروى أن قوما دخلوا على يوس عليه السلام فأضافهم وكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ماكت فضجوا من ذلك وهابوه أن يسألوه فقال لا تعجبوا من هذا فإني سألت الله فقلت يارب ما كنت معاقبي به في الآخرة فجعلته في الدنيا قال إن عقوبتك بنت فسلان تزوج بها

إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي على من يرأبوى شيء أبرهما به بدو فاطهما ؟ قال نعم الصلاة عليهما والامتنعار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقيهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما (١) . وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل وده أبيه بعد أن يولى الأب » (٢) . وقال صلى الله عليه وسلم « بر الوالدة على الولد صفهان (٣) » . وقال صلى الله عليه وسلم « دعوة الوالدة أسرع إجابة قيل يا رسول الله ولم ذلك قال هي أبرهم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط (٤) » . وسأله رجل فقال : يا رسول الله من أبر ؟ قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق (٥) . وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله والدا أمان ولده على بره (٦) » . ألم يعلم على الحقوق بسوء عمله . وقال صلى الله عليه وسلم « ساوا بين أولادكم في العطيّة » وقد قيل ولدك ربحكك تشمها سيما وخادمك سيما ثم هو عدوك أو شريكك . وقال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « الغلام يبقى عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجته أبوه ثم أخذ يديه وقال قد أدبتك وعلمتك وأبكتك أعود بأقمن فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « من حق الوالد على الولد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه (٨) » وقال عليه الصلاة والسلام « كل غلام رهين أو رهينة ببقية تدب عنه يوم السابع ويخلق رأسه (٩) » وقال قتادة إذا ذبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها وأوداجها ثم توضع على يافوخ السي حتى يسيل عنه مثل الحيط ثم فصل رأسه ويخلق بعد وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت

(١) حديث مالك بن ربيعة يتناخن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة قال هل بقي على من يرأبوى شيء الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد (٢) حديث إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل وده أبيه مسلم من حديث ابن عمر (٣) حديث بر الوالدة على الولد صفهان غريب بهذا اللفظ وقد تقدم قبل هذا بثلاثة أحاديث من حديث بهز بن حكيم وحديث أبي هريرة وهو معنى هذا الحديث (٤) حديث الوالدة أسرع إجابة الحديث لم أقف له على أصل (٥) حديث قال رجل يا رسول الله من أبر ؟ قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال ولدك فكا أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق أبو عمر التوفاني في كتاب معاشره الأهلين من حديث عثمان بن عفان دون قوله فسكا أن لوالديك الخ وهذه القطعة رواها الطبراني من حديث ابن عمر قال الدار قطني في الملل إن الأصح وقفه على ابن عمر (٦) حديث رحم الله والدا أمان ولده على بره أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث على بن أبي طالب وابن عمر بسند ضعيف ورواه التوفاني من رواية الشعبي مرسل (٧) حديث أنس الغلام يبقى عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ سبع سنين عزل فراشه فإذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلاة والصوم فإذا بلغ ستة عشر زوجته أبوه ثم أخذ يديه وقال قد أدبتك وعلمتك وأبكتك أعود بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الضحايا والعقيقة إلا أنه قال وأدبوه لسبع وزوجوه لسبع عشرة ولم يذكر الصوم وفي إسناده من لم يسم (٨) حديث من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وحديث عائشة وضمفهما (٩) حديث كل غلام رهين أو رهينة ببقية تدب عنه يوم السابع ويخلق رأسه أمهات السنن من حديث حمزة قال الترمذي حسن صحيح .

فترى جيت بهلوا ناصابر
على ماترون فاذا أفرط
الفقير في الدارارة ربة
تمدى حد الاعتدال
في وجوه العيشة متطبلة
رضا الزوجة فهذا قنة
عموم حاله . وقنة
خصوص حاله الاغراط
في المجالسة والمخالطة
فتطلق النفس عن
قيد الاعتدال
وتسرق القرض بطول
الاسترسال فيستولى
على القلب بسبب
ذلك السهو والتفلة
ويستجلس مفار اللهة
فيقل الوارد لقنة
الأوراد ويتكدر الحال
لامهال شروط
الأعمال وألطف من
هذين القنتين قنة
أخرى تخص بأهل
القرب والحضور وذلك
أن للنفس امتزاجا
وبرابطة الامتزاج
تتضد وتشتد
وتطرى . طبيعتها
الجامدة وتلتهم نارها
الجامدة فدواء هذه
القنة أن يكون للتأهل

أفدته ويستحب الرفق بالولد . رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إنني عشر من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه الصلاة والسلام « إن من لا يرحم لا يرحم » (١) وقالت عائشة رضي الله عنها « قال لي رسول الله ﷺ يوما اغسلي وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أنفة فغضب بيدي ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال : قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية » (٢) وتشر الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره فنزل فغسله وقرأ قوله تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة - (٣) وقال عبد الله بن شداد « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال : إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أجعله حتى يقضى حاجته » (٤) وفي ذلك فوائد إحداهما القرب من الله تعالى فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالى إذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتعليم لأئمة . وقال ﷺ « ريح الولد من ريح الجنة » (٥) وقال يزيد بن معاوية أرسلني إلى الأحنف بن قيس فها واصل إليه قال : يا أبا بحر ما تقول في الولد ؟ قال يا أمير المؤمنين مमार قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لم أرض ذليلة وصماء ظليمة وبهم نصول على كل جليسة فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فأرضهم بمنعوك ودم وبجوك جهدهم ولاتسكن عليهم تلاتا تليلا فيسلوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا فربك فقال له معاوية قد أنت يا أحنف لقد دخلت على وأنا ملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن يزيد وبث إليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقامه إليها على الشطر فهذه الأخبار الدالة على تأكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقوقهما ذكرناه في حق الأخوة فإن هذه الرابطة آكد من الأخوة بل يزيد ههنا أمران : أحدهما أن أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات وإن لم يجب في الحرام المحض حتى إذا كانا يتنصان بإضرارك عنهما بالطعام فليك أن تأكل معهما لأن ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح أو نافعة إلا بأذنهما والمبادرة إلى الحج التي هو فرض الاسلام هل لأنه في التأخير والحرج لطلب الصلح هل إلا إذا حكنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك ذلك كن يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الاسلام فليس الهجرة ولا يتقيد بحق

عند المجالسة عيان بلطنان ينظر بهما إلى مولاهم وعيانا ظاهرا يستعملهما في طريق هواه . وقد قالت رابعة في معنى هذا نظما :
إني جلستك في القواد
محدثي
وأبحت جسي من
أفراد جلوس
فالجسم من الجلبس
مؤانس
وحبيب قلبي في القواد
أنيس .
والطف من هذا فتنة
أخرى يحشاها للتأهل
وهو أن يصير للروح
استرواح إلى لطف
الجلال ويكون ذلك
الاسترواح موقوفا
على الروح ويصير
ذلك وليجة في حب
الروح المخصوص
بالتعلق بالحضرة الالهية
فتحب الروح وينسب
باب الزيد من الفتوح
وهذه البلادة في الروح
يمز الشهور بها فلتحذر
ومن هذا القبيل
دخلت الفتنة على طائفة

(١) حديث رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إنني عشر من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال من لا يرحم لا يرحم البخاري من حديث أبي هريرة
(٢) حديث عائشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلي وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أنفة فغضب بيدي ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال : قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية لهكذا
وأحمد من حديث عائشة أن أسامة عثر بعتة الباب فدمى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسحه ويقول لو كان أسامة جارية لحببنا ولكسوتها حتى أنفقنا وإسناده صحيح (٣) حديث عثر الحسن وهو على منبره ﷺ فنزل فغسله وقرأ قوله تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة - أصحاب السنن من حديث بريدة في الحسن والحسين معا عشيان ويصيران قال الترمذي حسن غريب
(٤) حديث عبد الله بن شداد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ جاء الحسن فركب عنقه النساء في رواية عبد الله بن شداد عن أبيه وقال فيه الحسن أو الحسين على الشك ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث ربيع الولد من ربيع الجنة الطبراني في الصغير والأوسط وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وفيه منديل بن على ضعيف .

الوالدين قال أبو سعيد الخدرى «هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال عليه السلام هل باليمن أبواك قال نعم قال هل أذنالك ؟ قال لا فقال عليه السلام فارجع إلى أبويك فاستأذنهما فإن فعلا فجاهدوا وإلا فبرهما ما استطعت فإن ذلك خير ما تلقى الله به بصد التوحيد^(١)». وجاء آخر إليه صلى الله عليه وسلم ليستشير في الغزو فقال ألك والدة قال نعم قال فإلى مهاغان الجنة عند جليلها^(٢). وجاء آخر يطلب البيعة على الهجرة وقال ما جئتكم حتى أبكيك والذى فقال ارجع إليها فأضعكم بها كأبكيتهما^(٣) وقال عليه السلام «حق كبير الأخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده^(٤)» وقال عليه السلام «إذا استصعبت على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن في أذنه^(٥)» (حقوق المملوك)

اعلم أن ملك النكاح قدسبت حقوقه في آداب النكاح فأما ملك العيّن فهو أيضا يقتضى حقوقا في العاشرة لابد من مراعاتها فقد كان من آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ أن قال «اتقوا الله فيما ملكت أيمنكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكفومهم من العمل ما لا يطيقون فما أحببتهم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فإن الله ملككم بإيام ولو شاء الملكهم إياكم^(٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «للملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكف من العمل ما لا يطيق^(٧)» وقال عليه السلام «لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء الملكة^(٨)» وقال

(١) حديث أبي سعيد الخدرى هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم باليمن أبواك ؟ قال نعم الحديث أحمد وابن حبان دون قوله ما استطعت الخ (٢) حديث جاء آخر إلى النبي ﷺ يستشير في الغزو فقال ألك والدة فقال نعم قال فإلى مهاغان الجنة تحت قدمها النساء وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن جهمان جاهمة أن أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح الإسناد (٣) حديث جاء آخر فقال ما جئتكم حتى أبكيك والذى فقال ارجع إليهما فأضعكم بها كأبكيتهما أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح الإسناد (٤) حديث حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة ورواه أبو داود في الراسيل من رواية سعيد بن عمرو بن العاص مرسلًا ووصله صاحب مسند الفردوس فقال عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده سعيد ابن العاص وإسناده ضعيف (٥) حديث إذا استصعب على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن في أذنه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث الحسين بن علي بن أبي طالب بسند ضعيف نحوه (٦) حديث كان من آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ أن قال اتقوا الله فيما ملكت أيمنكم أطعموهم مما تأكلون الحديث الخ وهو مفرق في عدة أحاديث فروى أبو داود من حديث علي كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمنكم وفي الصحيحين من حديث أنس كان آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت الصلاة الصلاة وما ملكت أيمنكم ولهما من حديث أبي ذر أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكفومهم ما يظلمهم فإن كفتموهم فاعينوهم لفظ رواية مسلم وفي رواية لأبي داود من لا يملك من مملوككم فاطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ومن لا يملك منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله تعالى وإسناده صحيح (٧) حديث للملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكف من العمل ما لا يطيق مسلم من حديث أبي هريرة (٨) حديث لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء الملكة أحمد مجموعا والترمذى مفرقا وابن ماجه مقتصرًا على سيء الملكة من حديث أبي بكر وليس

قالوا بالمشاهدة وإذا كان في باب الحلال وليجة في الحب يتولد منها بلادة الروح في القيام بوظائف حب الحضرة الإلهية لما ظنك فيمن يدعى ذلك في باب غير مشروع بغيره مكنون النفس فيظن أنه لو كان من قبيل الهوى ما سكت النفس والنفس لا تسكن في ذلك دائما بل تسلب من الروح ذلك الوصف وتأخذ إليها على آتى استبخت عما يتلى به للفتنون بالمشاهدة فوجدت الهوى من ذلك من صورة الفسق عنده رغبة شراب الشهوة إذ لو ذهب علة الشراب ما بقيت الرغبة فليحذر ذلك جدا ولا يسمع ممن يدعى فيه حالا وصحة فانه ككذاب مدع ولهذا المعنى قال الأطباء الجامع يسكن هيجان الفسق وإن كان من غير

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نفقوا عن الخادم فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعف عنه في كل يوم سبعين مرة (١)» وكان عمر رضي الله عنه يذهب إلى الموالى في كل يوم سبت فإذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه منه . وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلا على دابته وغلامه يسمى خلفه فقال له يا عبد الله احمله خلفك فإنما هو أخوك روحه مثل روحك فصمعه ثم قال لا يزال البعد يزاد من الله يبدأ مامشي خلفه . وقالت جارية لأبي الدرداء إني ممسكة منذ سنة لما عمل فبك شيئا فقال لم فست ذلك قالت أردت الراحة منك فقال أذهب عني فأنت حر لوجه الله وقال الزهري متى قلت للملوك أخراك الله فهو حر . وقيل للأحنف بن قيس ممن تلمعت الحلم ؟ قال من قيس بن عاصم ، قيل لما بلغ من حلمه ؟ قال بينما هو جالس في داره إذ أتته خادمة بمسعود عليه شواء فسقط المسعود من يدها على ابن له فصره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية إلا العتق قال لها أنت حره لا بأس عليك وكان عون بن عبد الله إذا عصاه غلامه قال ما أشبهك بمولك مولك يصي مولاه وأنت تصي مولك فأغضبه يوما فقال إنما تريد أن أضربك فذهب فأنت حر وكان عند سيمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة ففترت وأرتاحت على رأس سيدها سيمون فقال بإجارية أحرقتني قالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع إلى ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت قال - والكاذمين النيط - قال قد كذمت غيظي قالت والعايفين عن الناس - قال قد عفوت عنك قالت زد فإن الله تعالى يقول - والله يحب المحسنين - قال أنت حر لوجه الله تعالى . وقال ابن النكدر «إن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل البعد يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فلم يفعه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح البعد فالتفت إلى الله فما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه الله فلم يفعه فلما رأى أمسكت يدك قال فإنه حر لوجه الله يا رسول الله فقال لو لم تفعل لسنعت وجهك النار (٢)» وقال عليه السلام «البعد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين (٣)» ولما عتق أبو رافع بكى وقال كان لي أجران فذهب أحدهما وقال صلى الله عليه وسلم «عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده موغيف متفقد ذو عيال وأول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلط وذو ثروة لا يسطى حق الله وقصير فخور (٤)» وعن أبي

للعنوق فليعلم أن مستند الشهوة ويكذب من يدعى فيه حالا وهذه قن للتأهل وفتة العزب مرور النساء بخاطره وتصورهن في متخيله ومن أعطى الطهارة في باطنه لا يدنس باطنه بخواطر الشهوة وإذا منع الخاطر يعوجه بحسن الانابة واليباذ بالهر يومى سامر الفكر كشف الخاطر وخرج من القلب إلى الصدر وعند ذلك يحذر حساس الضو بالخاطر فيصير ذلك عملا خفيا وما أقبح مثل هذا بالصادق للتطلع إلى الحضور واليقظة فيكون ذلك فاحشة الحال وقد قبل مرور الفاحشة بقلب العارفين كفعل الفاعلين لها والله أعلم .

[الباب الثاني]
والشروع في القول في السام قولاً وإثارة قال الله تعالى - فيشر

عند أحد منهم متكبر وزاد أحمد والترمذي البخيل والنان وهو ضعيف وحسن الترمذي أحد طريقه (١) حديث ابن عمر جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نفقوا عن الخادم فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث ابن النكدر أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل البعد يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح البعد الحديث ابن المبارك في الزهد مراسلا في رواية لمسلم في حديث أبي مسعود الآتي ذكره فجعل يقول أعوذ بالله قال فجعل يضربه فقال أعوذ برسول الله فتركه وفي رواية له قلت هو حر لوجه الله فقال أما إنك لو لم تفعل لفنتك النار أو لمستك النار (٣) حديث إذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون الجنة والشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده

مسعود الأنصاري قال « بينا أنا أضرب غلاما لي إذ سمعت صوتا من خافي اعلم يا أبا مسعود مرتين فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقيمت السوط من يدي فقال : والله أنه أتدرك عليك منك على هذا ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الخلو فانه أطيب لنفسه ^(٢) » رواه معاذ . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه فان لم يفعل فليتناوله لقمة ^(٣) » وفي رواية « إذا كنى أحدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه حرمه وموئته وقرابه إليه فليجلسه وليأكل معه فان لم يفعل فليتناوله أو ليأخذ أكلة فليروغها وأشار بيده وليضعها في يده وليقل كل هذه . ودخل على سلمان رجل وهو يسجن فقال يا أبا عبد الله ما هذا فقال بعثنا الخادم في شغل فكرهنا أن نجتمع عليه فعملين وقال صلى الله عليه وسلم « من كانت عنده جارية فصاتها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران ^(٤) » وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ^(٥) » فجملة حق المملوك أن يشركه في طعامه وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر إليه بين الكبر والازدراء وأن ينفو عن زلته ويتشكر عند غضبه عليه بهنوته أو يجناته في معاصيه وجناته على حق الله تعالى وتقصيره في طاعته مع أن قدرة الله عليه فوق قدرته وروى فضالة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لا يثقل عنهم رجل فارق الجماعة ورجل عصي إمامه فمات عاصيا فلا يسأل عنها وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفهاها مؤنة الدنيا فترجبت بعده فلا يسأل عنها وثلاثة لا يسأل عنهم رجل تنازع الله رداءه ورداؤه الكبرياء وإزاره العز ورجل في شك من الله وقنوط من رحمة الله ^(٦) » ثم كتاب آداب الصلوة والمعاشر مع أصناف الخلق .

(كتاب آداب العزلة)

(وهو الكتاب السادس من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بأن صرف همهم إلى مؤانسته وأجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروح أسرارهم بمناجاته وملاطفته وحقن في قلوبهم النظر إلى متاع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بزلته كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحش بذلك عن الأنس بالإنس وإن كان من أخص خاصته الحديث الترمذي وقال حسن وابن حبان من حديث أبي هريرة .

(١) حديث أبي مسعود الأنصاري بينا أنا أضرب غلاما لي سمعت صوتا من خلني اعلم يا مسعود مرتين الحديث رواه مسلم (٢) حديث معاذ إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الخلو فانه أطيب لنفسه الطبراني في الأوسط والخرائطي في مكالم الأخلاق بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة وليأكل معه فإن أتى فليتناوله وفي رواية إذا كنى أحدكم مملوكه صنعة طعامه الحديث متفق عليه مع اختلاف لفظ وهو في مكالم الأخلاق للخرائطي باللفظين اللذين ذكرهما الصنف غير أنه لم يذكر علاجه وهذه اللفظة عند البخاري (٤) حديث من كانت عنده جارية فصاتها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران متفق عليه من حديث أبي موسى (٥) حديث كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم (٦) حديث فضالة بن عبيد ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيا الحديث الطبراني والحاكم وصححه .

(كتاب العزلة)

(الباب الأول في نقل المذاهب والحجج فيها)

عباد الله الذين يستمعون القول فيتبون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب . قيل أحسنه أي أهداه وأرشدته وقال عز وجل - وإذا سمعوا ما نزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق - هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الإيمان محكوم لصاحبه بالهداية واللب وهذا سماع ترد حراته على برد اليقين قضى العين بالسمع لأنه تارة يشرحنا والخزن حار وتارة يشير شوقا والشوق حار وتارة يشربنا والندم حار فإذا آثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء يرد اليقين أبكى وأدمع لأن الحرارة والبرودة إذا اصطدما عصر إماما فإذا ألم السماع بالقلب تارة غفرت إمامه فيظهر

والصلاة على سيدنا محمد سيد أنبيائه وخيرته وعلى آله وصحابه سادة الحق وأئمنه .

[أما بعد] فإن للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل إحداها على الأخرى مع أن كل واحدة منهما لا تنفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو إليها وبيلأكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصعبة من فضيلة المخالطة وللزواجة وللزوجة يكاد يناقض ما مال إليه أكثرهم من اختيار الاستيعاش والحلوة فكشفت القطاء عن الحق في ذلك مهم ويحصل ذلك برسم باين . الباب الأول : في قل للذهاب والحجج فيها . الباب الثاني : في كشف القطاء عن الحق بحصر القوائد والنوائل .

(الباب الأول في قل للذهاب والأقويل وذكر حجج القريقتين في ذلك)

أما للذهاب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابيين فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم ودادو الطائي وفضيل بن عياض وسليمان الحواري ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشي وبشر الحافي وقال أكثر التابيين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والإخوان والتألف والتحبب إلى المؤمنين والاستمانة بهم في الدين تعاونوا على البر والتقوى ومال إلى هذا سعيد بن المسيب والشعي وابن أبي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك ابن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل وجماعة ، والمأثور عن الطاء من الكلمات ينقسم إلى كلمات مطلقة تدل على الميل إلى أحد الرأيين وإلى كلمات مقرونة بما يشير إلى علة لليل فنلتق الآن مطامقات تلك الكلمات لتبين للذهاب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نوره عند التمرس للنوائل والقوائد فنقول قد روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال خذوا بحظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل كفى بالله عجا وبالقرآن مؤنسا وبالملوت واعظا وقيل اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا . وقال أبو الريح الزاهد لداود الطائي عظمى قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأمد وقال الحسن رحمه الله كلمات أحفظهن من التوراة فنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروءته صبر قليلا فتشبع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشق في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لابي بكر ما أصبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت وأنا شاب أصبر على أكثر من هذا كنت أجالس الناس ولأكلهم وقال سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سبينة ومعا شغب من الصلوة فكشك معا سبعا لانسمع له كلاما قلناه يا هذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع ولا تترك نخلنا ولا تسكننا فأنتأ يقول :

قليل المم لا وله يموت ولا أمر يحاذره يموت

قضى وطر الصبا وأفاد علما قضاته التفرد والسكوت

وقال إبراهيم النخعي لرجل فقعه ثم اعتزل وكذا قال الريح بن خنيم وقيل كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويهود الرضى ويعطى الإخوان حقوقهم فترك ذلك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا ينهأ للهم أن يغربك عن الله وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا لقال ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله تعالى وقال الفضيل إني لأجد الرجل عندي إذا لقيني أن لا يسلم على وإذا مرضت أن لا يودنى وقال أبو سليمان الداراني بينا الريح بن خنيم جالس على باب داره إذ جاءه حجر فركبته فشبهه فجعل يسبح الدمويته يقول قد وعظت يا ربيع فقام ودخل داره فاجلس به بذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته . وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد لهما يومئذ بالحق فلم يكونا بآتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالحق وقال يوسف بن أسباط سمعت سفيان الثوري يقول : والله الذي لا إله إلا هو لقد حلت العزلة

أثره في الجسد ويشعر منه الجسد قال الله تعالى - تقشعر منه جلود الذين يغشونهم - وتارة يعظم وقته ويتصوب أثره إلى فوق نحو السماع كالخبر للعقل فيعظم وقع للتجدد الحادث فتندفق منه العين بالسمع وتارة يتصوب أثره إلى الروح فتصوب منه الروح موجا يكاد تضيق عنه نطق القلب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها أحوال يعدها أربابها من أصحاب الحال وقد يحكيها بدلائل هوى النفس أرباب المجال . روى أن عمر رضي الله عنه كان ربما مر بآية في ورده فتخفه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يباد ويحبس مرضا فالسمع يستجلب الرحمة من الله الكريم . روى زيد بن أسلم قال

وقال بشر بن عبد الله أبل من معرفة الناس فانك لاتدرى ما يكون يوم القيامة فان تكن ضنيعة كان من يعرفك قليلا ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال له ألك حاجة ؟ قال نعم قال وما هي ؟ قال أن لاتراني ولأأراك ولا تعرفني وقال الرجل لسهل أريد أن أصحبك فقال إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر قال الله قال فليصحبه الآن وقيل للفضيل إن عليا ابنك يقول لوددت أني في مكان أرى الناس ولا يروني فيكي الفضيل وقال يابوعب على أفلا أعمها فقال لأأرام ولا يروني وقال الفضيل أيضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفة وقال ابن عباس رضى الله عنهما أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك لاترى ولا ترى فهذه أقاويل للسائلين إلى العزلة .

(ذكر صحح السائلين إلى المخالطة ووجه ضنفها)

احتج هؤلاء بقوله تعالى - ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا - الآية وبقوله تعالى - فألف بين قلوبكم - أي بين على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف لأن الراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله وأصول الشريعة والراد بالألفة نزع القوائل من الصدور وهي الأسباب الثيرة للمتن الحركة للخصومات والعزلة لاتتافى ذلك واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « اللؤمن ألف مألوف ولاخير فيمن لا يآلف ولا يؤلف (١) » وهذا أيضا ضعيف لأنه إشارة إلى مذمة سوء الخلق التي تمتنع بسببه التؤلفة ولا يدخل تحت الحسن الخلق الذي إن خالط ألف وآلف ولكسكه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه وطلبا للسلامة من غيره واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « من فارق الجماعة شرا فخلع ريقه الاسلام من عقه » وقال « من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية (٢) » وبقوله صلى الله عليه وسلم « من شق عصا المسلمين والمسلمون في اسلام دامج فقد خلع ريقه الاسلام من عقه (٣) » وهذا ضعيف لأن الراد به الجماعة التي اتفقت آراؤهم على إمام بعقد البيعة فخرج عليهم بنى وذلك مخالفة بالرأى وخرج عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق إلى إمام مطاع يجمع رأيهم ولا يكون ذلك إلا بالبيعة من الأكثر فالمخالفة فيها تشويش مثير للفتنة فليس في هذا تعرض للعزلة . واحتجوا بنبه صلى الله عليه وسلم عن الهجر فوق ثلاث إذ قال « من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار (٤) » وقال عليه السلام « لا يحمل لاسرى مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة (٥) » وقال « من هجر أخاه سنة فهو كسادفك دم (٦) » قالوا والعزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف لأن الراد به الغضب على الناس والحجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلا من غير غضب مع أن الهجر فوق ثلاث جائز في موضعين : أحدهما أن يرى فيه إصلاحا للهيجور في الزيادة . والثاني أن يرى لنفسه سلامة فيه والتي وإن كان عاما فهو محمول على ماوراء الوضمين المختصين بدليل ما روى عن عائشة رضى الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم هجرها ذا الحجة (١) » حديث اللؤمن ألف مألوف الحديث تقدم في الباب الأول من آداب الصلحة (٢) حديث من ترك الجماعة فمات فميتته جاهلية مسلم من حديث أبي هريرة . وقد تقدم في الباب الخامس من كتاب الحلال والحرام (٣) حديث من شق عصا المسلمين والمسلمون في اسلام دامج فقد خلع ريقه الاسلام الطبراني والخطابي في العزلة من حديث ابن عباس بسند جيد (٤) حديث من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار أبو داود من حديث أبي هريرة باسناد صحيح (٥) حديث لا يحمل لاسرى أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق بالصلح يدخل الجنة متفق عليه من حديث أنس دون قوله والسابق بالصلح زاد فيه الطبراني والدي يدا بالصلح يسبق إلى الجنة (٦) حديث من هجر أخاه سنة فهو كسادفك دم أبو داود من حديث أبي خراش السلي واسمه حدر بن أبي حدر وإسناده صحيح .

قرأ أبي بن كعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فروقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اغتصموا الدماء عند الرقة فإنها رحمة من الله تعالى » وروى أم كلثوم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اقتسمت جله العبد من خشية الله تحات عنه القنوب كما تحات عن الشجرة اليابسة ورقها » وورد أيضا « إذا اقتصر الجله من خشية الله حرمة الله تعالى على النار » وهذه جملة لاتنكر ولا اختلاف فيها إنما الاختلاف في استماع الأشعار بالألحان وقد كثرت الأقوال في ذلك وتباينت الأحوال فمن منكر بلغته بالقسق ومن مولع به يشهد بأنه واضح الحق ويتجاوزان في طرفي الافراط والتفريط . قبل لأب الحسن بن سالم كيف تنكر الحاج وقد كان الجنيدي وسرى

والهرم وبعض صفر^(١)» وروى عن عمر^(٢) أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساء وآل من شهره وصعد إلى غرفة له وهي خزانته فلبث تسعا وعشرين يوما فلما نزل قيل له إنك كنت فيها تسعا وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعا وعشرين^(٣)» وروى عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام إلا أن يكون ممن لا تؤمن بواقعه^(٤) » فهذا صريح في التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمه الله حيث قال : هجران الأحق قرابة إلى الله فإن ذلك بدوم إلى الموت إذ الحاققة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شيء قد تقدم فيه قوم : سعد بن أبي وقاص كان مهاجرا للبار بن ياسر حتى مات وعثمان بن عفان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف وعائشة كانت مهاجرة لحفصة وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى ماتا وكل ذلك يعمل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة . واحتجوا بما روى « أن رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه فجئ^(٥) به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم في بعض مواطن الاسلام خير له من عبادة أحدكم وحده أربعين عاما^(٦) » والظاهر أن هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الاسلام بدليل ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نرنا بشعب فيه عينة طيبة للماء فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولني أفضل ذلك حتى أذكره لرسول الله ﷺ فقال صلى الله عليه وسلم : لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلاته في أهله ستين عاما ألا تحبون أن يفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فإنه من قاتل في سبيل الله فوفاقة أدخله الله الجنة^(٧) » واحتجوا بما روى معاذ بن جبل أنه ﷺ قال « إن الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ القاصية والناحية والشاردة وإياكم والشعاب وعليكم بالعامية والجماعة والمساجد^(٨) » وهذا إنما أراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسيأتي بيان ذلك وأن ذلك ينهي عنه إلا الضرورة .

(ذكر حجج السائلين إلى تفضيل العزلة)

احتجوا بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام - واعتزلكم وامتنعوا من دون الله وأدعوا ربى - الآية ثم قال تعالى - فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بغيته إسحاق ويعقوب وكلا جئنا نبيا - إشارة إلى أن ذلك يبرك العزلة وهذا ضيف لأن مخالطة الكفار لا فائدة فيها لإدعوتهم إلى الدين وعند اليأس من إجابتهم فلا وجه إلا هجرهم وإنما الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم هجر عائشة ذا الحجة والهرم وبعض صفر . قلت : إنما هجر زينب هذه للذة كما رواه أبو داود من حديث عائشة وسكت عليه فهو عنده صالح (٢) حديث عمر أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساء وآل من شهر شهره الحديث متفق عليه (٣) حديث عائشة لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يكون ممن لا يؤمن بواقعه ابن عدي وقال غريب المتن والاستناد وحديث عائشة عند أبي داود دون الاستثناء باسناد صحيح (٤) حديث أن رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه فجئ^(٥) به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل الحديث البيهقي من حديث عيسى بن سلامة قال ابن عبد البر يقولون إن حديثه مرسل وكذا ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٥) حديث أبي هريرة غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نرنا بشعب فيه عينة طيبة للماء غزوة فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب الحديث الترمذي وقال حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم إلا أن الترمذي قال سيعين عاما (٦) حديث معاذ بن جبل الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ القاصية أحمد والطبراني ورجاله ثقات إلا أن فيه انتقاعا .

السقطى وذو النون يسعون قال كيف أنكر السماع وقد أجازوه وصمعه من هو خير مني فقد كان جفر الطيار يسمع وإنما النكر اللهو واللعب في السماع وهذا قول صحيح . أخبرنا الشيخ طاهر بن أبي الفضل عن أبيه الحافظ للقدس قال أنا أبو القاسم الحسين بن محمد بن الحسن الخوافي قال أنا أبو محمد عبد الله ابن يوسف قال ثنا أبو بكر بن وثاب وقال ثنا عمرو بن الحرث قال ثنا الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها « أن أبا بكر دخل عليها وعندها جليتان قنيسان وقضربان بدفين ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى بثوبه فاتهما أبو بكر فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فاتهما أيام عيد »

لما روى أنه قيل « يا رسول الله الوضوء من جر غمر أحب إليك أو من هذه الطاهر التي يتطهر منها الناس قال بل من هذه الطاهر التماسا لبركة أيدي المسلمين ^(١) » وروى « أنه صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم ليشرب منها فاذا التمر للثقف في حياض الأدم وقد منعه الناس بأيديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه وقال اسقوني فقال الباس إن هذا النبيذ شراب قد منث وخيض بالأيدي أفلا أتيتك شراب أنظف من هذا من جر غمر في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس التماسا لبركة أيدي المسلمين ففرب منه ^(٢) » فإذا كيف يستدل باعتزال الكفار والأصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا أيضا بقول موسى عليه السلام - وإن لم تؤمنوا لي فاعزّلون - وأنه فزع إلى العزلة عند اليأس منهم وقال تعالى في أصحاب الكهف - وإذا اعتزلتهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشركم ربهم من رحمة - أمهم بالعزلة « وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والمهجرة إلى أرض الحبشة ^(٣) » ثم تلاحقوا به إلى المدينة بعد أن أطى الله كنهه وهذا أيضا اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يعتزل للمسلمين ولأن توقع إسلامه من الكفار وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بضاهم مؤمنون وإنما اعتزلوا الكفار وإنما النظر في العزلة من المسلمين واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر الجهني لما قال « يا رسول الله ما النجاة ؟ قال ليسعك بيتك وأمسك عليك لسانك وابك على خطيئتك ^(٤) » وروى أنه قيل له صلى الله عليه وسلم « أي الناس أفضل ؟ قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله تعالى قيل ثم من ؟ قال رجل معتزل في شعب من الشعب بعيد ربه ويدع الناس من شره ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد التقي التقي الخفي ^(٦) » وفي الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر فأما قوله لعبد الله بن عامر

(١) حديث قيل لعلى الله عليه وسلم الوضوء من جر غمر أحب إليك أو من هذه الطاهر التي يتطهر منها الناس قال بل من هذه الطاهر الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٢) حديث لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم يشرب منها فاذا التمر لثقف في حياض الأدم قد منعه الناس بأيديهم الحديث وفيه فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس رواه الأزرقي في تاريخ مكنه من حديث ابن عباس بسند ضعيف ومن رواية طاوس مرسل نحوه (٣) حديث اعتزاله صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والمهجرة إلى الحبشة الحديث رواه موسى بن عقبة في الغازي ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن ابن شهاب مرسلًا ورواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن شهاب على بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مرسلًا أيضا ووصله من رواية أبي سلمة الحضرمي عن ابن عباس إلا أن ابن سعد ذكر أن الشريكين حصروا بني هاشم في الشعب وذكر موسى بن عقبة أن أبا طالب جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ومغازى موسى بن عقبة أصح للغازي وذكر موسى بن عقبة أيضا أنه أمر أصحابه حين دخل الشعب بالخروج إلى أرض الحبشة ولأبي داود من حديث أبي موسى أمرا للنبي صلى الله عليه وسلم أن يخلط إلى أرض التجاشي قال البيهقي وإسناده صحيح ولأحمد من حديث ابن مسعود بن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى التجاشي وروى ابن اسحق بإسناد جيد ومن طريقه البيهقي في الدلائل من حديث أم سلمة إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحدا عنده فالحقوا بيلاده الحديث (٤) حديث سأل عتبة بن عامر يا رسول الله ما النجاة ؟ فقال ليسعك بيتك الحديث الترمذي من حديث عتبة وقال حسن (٥) حديث أي الناس أفضل فقال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري (٦) حديث إن الله يحب العبد التقي الخفي مسلم

وقالت عائشة رضي الله عنها « رأيت رسوا الله صلى الله عليه وسلم يسترن بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في السجد حتى أكون أنا أسأم » قد ذكر الشيخ أبو طالب للسك رحمه الله ما يدل على تجويزه ونقل عن كثير من السلف صحابي وتابعي وغيرهم وقول الشيخ أبي طالب للسك يشتر لوفور علمه وكال حاله وعلمه بأحوال السلف ومكان ورعه وتقواه وتحريه الأصواب والأولى وقال في البيع حرام وحلال وشبهة فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوى فهو حرام ومن سمعه بمقلوه على صفة مباح من جلوية أو زوجة كان شبهة لدخول اللهو فيوم من سمعه قلب يشاهد معاني قوله على الدليل ويشهد طرقات الجليل فهو مباح وهذا

فلا يمكن تنزيهه إلا على ما عرفه صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من حاله وأن لزوم البيت كان أليق به وأسلم له من المخالطة فإنه لم يأمر جميع الصحابة بذلك ورب شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وأن لا يخرج إلى الجهاد وذلك لا بدل على أن ترك الجهاد أفضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الذي يخالط الناس ويصبر على أذيهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذيهم » (١) وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام « رجل معتزل بعيد ربه وبدع الناس من شره » فهذا إشارة إلى شريين بطبعه تأذي الناس بخالطته وقوله « إن الله يحب التقي الخفي » إشارة إلى إشار الحول وتوقي الشهرة ، وذلك لا يتعلق بالعزلة فكيف من راهب معتزل تعرفه كافة الناس وكمن مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لأمر لا يتعلق بالعزلة ، واحتجوا بما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا أنبئكم خير الناس قالوا بلى يا رسول الله فأشار يده نحو للغرب وقال رجل أخذ بنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه ألا أنبئكم بخير الناس بعده وأشار يده نحو الحجاز وقال رجل في غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويحلق في ماله اعتزل شرور الناس » (٢) فإذا ظهر أن هذه الأدلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف النطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائها ومقاسية بعضها ببعض ليتبين الحق فيها .

(الباب الثاني : في فوائد العزلة وغوائها وكشف الحق في فضلها)

اعلم أن اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة السكاح والعزوبة ، وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص بحسب ما فصلناه من آفات السكاح وقوائمه فكذلك القول فيها نحن فيه فلنذكر أولا فوائد العزلة وهي تنقسم إلى فوائدين دينية ودينية والدنية تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة والمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم وإلى تخليص من ارتكاب للنهي التي يتعرض للانسان لها بالمخالطة كالرياء والفتنة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء . وأما الدنيوية فنقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكين المحترف في خلوته إلى ما يخلص من محذورات تعرض لها بالمخالطة كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الخلق عليها وطعمه في الناس وطعم الناس فيه وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة والتأذي بسوء خلق الجليس في مرأته أو سوء ظله أو غيبتها أو محاسنته والتأذي بقله وتشويه خلقته وإلى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصيها في ست فوائد :

(الفائدة الأولى)

التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة وملكوته السموات والأرض فإن ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسبيل إليه ، ولهذا قال بعض الحكماء لا يمكن أحدا من الخلوة إلا بالنسك بكتاب الله

من حديث سعد بن أبي وقاص (١) حديث الذي يخالط الناس ولا يصبر على أذيهم الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر ولم يسم الترمذي الصحابي قال شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والطريق واحد (٢) حديث ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى قال فأشار يده نحو الغرب وقال رجل أخذ بنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه الحديث الطبراني من حديث أم مبشر إلا أنه قال نحو المشرق بدل الغرب وفيه ابن اسحق رواه النعمنة والترمذي والنسائي نحوه مختصرا من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن .

(الباب الثاني : في فوائد العزلة وغوائها)

قول الشيخ أبي طالب السكي وهو الصحيح فإذا لا يطلق القول بمنعه وتحريمه والانكار على من يسمع كفعل القراء للزهدين البالغين في الانكار ولا يفسح فيه على الإطلاق كفعل بعض الشبرين به المهملين شروطه وآدابهم للقيمين على الإصرار وتفصل الأمر فيه تفصيلا ونوضح الماهية فيه تحريما وتحليلا فأما الدف والشبابه وإن كان فيها في مذهب الشافعي فحة فالأولى تركها والأخذ بالأحوط والخروج من الخلاف وأما غير ذلك فإن كان من القصاص في ذكر الجنة والنار والتشويق إلى دار القرار ووصف نعم الملك الجبار وذكر العبادات والترغيب في الخيرات فلا سبيل إلى الانكار ومن ذلك القليل قصائد الغزاة

تعالى ولتتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله القداكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ، ولا شك في أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة أولى بهم ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره يقبّل في جبل حراء وينعزل إليه حتى قوى في نور النبوة (١) فكان الخلق لا يحجبونه عن الله فكان يدهن مع الخلق وقبله مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليله ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن استغراقه بالله فقال «لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله (٢)» ولئن بسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا والاقبال على الله سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغي أن يتفركل ضعيف بنفسه فيقطع في ذلك ولا يبعد أن تنتهي درجة بعض الأولياء إليه ، فقد نقل عن الجنيد أنه قال أنا أكرم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أني أكلمهم وهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبق لغيره فيه متسع وذلك غير منكر في الشهرين بحب الخلق من مخالطة الناس يدهن وهو لا يدري ما يقول ولا ما يقال له لقرط عشقه لهجوبه بل القى دهاء ملم يشوش عليه أمرا من أمور دنياه فقد يستغرقه الملم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع أصواتهم لشدة استغراقه وأمر الآخرة أعظم عند القلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الأولى بالأكثرين الاستئانة بالعزلة ، ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذي أرادوا بالخلة واختيار العزلة فقال يستدعون بذلك دوام الفكرة وثبت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويندفعوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض الرهبان ما أصبر على الوحدة فقال ما أنا وحدي أنا جالس الله تعالى إذا شدت أن يناجيني قرأت كتابه وإذا شدت أن أتاجيه صليت وقيل لبعض الحكماء إلى أي شيء أفنى بكم الزهد والخلة فقال إلى الأنس بالله وقال سفيان بن عيينة لقيت إبراهيم ابن آدم رحمه الله في بلاد الشام فقلت له يا إبراهيم تركت خراسان فقال ما تهتأت بالعيش إلا ههنا أفر يدي من شاطئ إلى شاطئ فمن يراني يقول موسوس أو حمر أو ملاح وقيل لغزوان الرقاشي هك لا تضحك فما يمنعك من جملة إخوانك قال إني أصيب راحة قلبي في جملة من عنده حاجتي وقيل للحسن بأبا سعيد ههنا رجل من نزه قطجالا إلا وحده خلف سارية فقال الحسن إذا رأيتموه فأخبروني به فظفروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي أخبرنا بك وأشاروا إليه فمضى إليه الحسن وقال له يا عبد الله أراك قد حببت إليك العزلة فما يمنعك من جملة الناس فقال أمر شغلني عن الناس قال فما يمنعك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس إليه فقال أمر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال له الحسن وما ذاك الشغل برحمك الله فقال إني أصبح وأمسى بين نعمة وذنوب فرأيت أن أشغل نفسي بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن فالزم ما أنت عليه وقبل بيننا أويس القرني جالس إذ أتاه هرم بن حيان فقال له أويس ما جاء بك قال جئت لأنسى بك قال أويس ما كنت أرى أن أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره وقال الفضيل إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت أخلو بربي وإذا رأيت الصبح أذكركني استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيئني من يشغلني عن ربي وقال عبد الله بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة قبله وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة وقال ذواتون الصرى سرور المؤمن ولقته في الخلوة بنجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم في أول أمره يقبّل في جبل حراء وينعزل إليه متفق عليه من حديث عائشة نحوه فكان يخلو بغير حراء يتحنّث فيه الحديث (٢) حديث لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

والحجاج في وصف
الغزو والحج بما يثير
كامن العزم من الغزى
وساكن الشوق من
الحاج وأما ما كان من
ذكر القدود والحدود
ووصف النساء فلا يليق
بأهل الديانات الاجتماع
لمثل ذلك وأما ما كان
من ذكر المعجروا الوصل
والقطيعة والصد مما
يقرب حمله على أمور
الحق سبحانه وتعالى
من تلون أحوال
الريدين ودخول
الآفات على الظالمين
فمن مع ذلك وحدث
عنده ندم على ما فات
أو تجدد عنده عزم
لما هو آت فكيف
يكون صحابه وقد قيل
إن بعض الواجدین
يقتات بالباع ويتقوى
به على الطغي والوصال
ويثير عنده من الشوق
ما يذهب عنه لهب
الجوع فإذا استمتع
البعد إلى بيت من
الشمر وقلبه حاضره
كان يسمع الحادي

فقد اذ علمه وعسى قلبه وضع عمره . وقال ابن المبارك ما أحسن حال من انقطع إلى الله تعالى ويرى عن بعض الصالحين أنه قال بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا بإبداخار من بعض تلك الجبال فلما نظرت إلى تنحي إلى أصل شجرة وتستر بها قلت سبحان الله تبخل على النظر إليك فقال يا هذا إنى أقمت في هذا الجبل دهرًا طويلًا أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهلها فقال في ذلك تبني وفيه عمري نسأت الله تعالى أن لا يجعل حظي من أي شيء في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الاضطراب وألغى الوحدة والافتقار فلما نظرت إليك خفت أن أفع في الأمر الأول فإليك عنى فإني أعوذ من شرك رب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح وانغصم من طول اللبس في الدنيا ثم حول وجهه عنى ثم نقض يديه وقال إليك عنى يا دنيا لنبري فزنى وأهلك فزنى ثم قال سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه ما لم يلقى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن المحور الحسان وجمع مهمهم في ذكره فلا شيء الله عندهم من مناجاته ثم مضى وهو يقول قدوس قدوس فإذا في الحلاوة أنس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفي مثل ذلك قيل :

وإني لأستبشى وماني غشوة لعل خيالا منك يلقى خيالها
وأخرج من بين الجلوس لعلنى أحدث عنك النفس بالبرخا

ولذلك قال بعض الحكماء إنما يستوحش الإنسان من نفسه لحلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقة الناس ويتردد الوحشة عن نفسه بالكون معهم فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على المسكرة ويستخرج العلم والحكمة . وقد قيل الاستئناس بالناس من علامات الافلاس فإذا هذه فائدة جزئية ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الأنس بالله أو بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له أفضل من كل ما يتعلق بالخاطلة فإن غاية العبادات وعمرة للعاملات أن يموت الإنسان بحيا لله عارفاً بالله ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة إلا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخاطلة .

(الفائدة الثانية)

التخلص بالزلة عن المعاصي التي يتعرض لها غالباً بالخاطلة ويسلم منها في الحلاوة وهي أربعة النية والتمية والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الحبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا . أما النية فإذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربيع الهللكات وجوهها عرفت أنها تتحرز عنها مع المخاطلة عظيم لا ينجو منها إلا الصديقون فإن عادة الناس كافة التضمض بأعراض الناس والتفكه بها والتنقل بمحلاتها وهي طعنهم ولذتهم وإليها يستروحون ومن وحشهم في الحلاوة فإن خالطهم وواقفهم أثمت وتعرضت لسخط الله تعالى وإن سكت كنت شريكاً ولستم أحد القانتين وإن أنكرت أبغضوك وتركوا ذلك الغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة إلى غيبة وربما زادوا على الغيبة واتهوا إلى الاستخفاف والشتم . وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب كما سيأتى بيانه في آخر هذا الرابع ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عنى الله به وإن أنكرت تعرض لأنواع من الضرر إذ ربما يجره طلب الخلاص منها إلى معاصي أكبر مما نهى عنه ابتداء وفي العزلة خلاص من هذا فإن الأمر في إهماله شديد القيام به شاق . وقد قام أبو بكر رضي الله عنه خطيباً وقال «يا أيها الناس إنكم تفرعون هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اعتديتم - وإنكم تفنعونها في غير موضعها وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه .

أتوب إليك يا رحمن إنى
أسأت وقد تضاعفت
الذنوب

فأمان هو إلى وحي
زيارتها وإنى لا أتوب
فطاب قلبه لما يجده
من قوة عزمه على
الثبات في أمر الحق
إلى المات يكون في
سماعه هذا ذاكرة الله
تعالى . قال بعض
أصحابنا كنا نعرف
مواجد أصحابنا في
ثلاثة أشياء عند
السائل وعند الغضب
وعند السماع . وقال
الجنيدي تزل الرحمة
على هذه الطائفة في

ثلاثة مواضع عند
الأكل لأنهم يأكلون
عن ذمة عند المذاكرة
لأنهم يتحاورون في
مقامات الصديقين
وأحوال النبيين وعند
السماع لأنهم يسمعون
بوجد ويشهدون حقاً
ومثل رويم عن وجد
الصوفية عند السماع
فقال يتنبهون للمعانى
التي تعزب عن غيرهم

أوشك أن يسممهم الله بقتاب ^(١) « وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليسأل العبد حتى يقول له مامنك إذا رأيت للنكر في الدنيا أن تسكره فإذا لقن الله العبد حبه قال يارب رجوتك وخفت الناس ^(٢) » وهذا إذا خاف من ضرب أو أمر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكلة وفيه خطر وفي العزلة خلاص وفي الأمر بالمعروف والنهي عن النكر إثارة للغصوات وتحريك لقواثل الصدور كما قيل :

وكم سقت في آثارك من نصيحة وقد يستفيد البضضة التصح

فيشير إليهم إلى إلى
فيتنصرون بذلك من
الفرح ويقع الحجاب
لوقت فيعود ذلك
الفرح بكاء فمنهم من
يعزق ثيابه ومنهم من
يبيكي ومنهم من يصيح .
آخرنا أبو زرعة بإجازة
عن ابن خلف بإجازة
عن السلي قال سمعت
أبا سهل محمد بن سليمان
يقول للسمع بين
استأروا نجل فالاستأر
يورث التلهب والتجلى
يورث الزيد فالاستأر
يتولد منه حركات
الريدين وهو محل
الضعف والعجز والتجلى
يتولد منه السكوث
لواصلين وهو محل
الاستقامة والنمكين
وكذلك محل الحضرة
ليس فيه إلا الدبول
تحت موارد الهيبة قال
الشيخ أبو عبد الرحمن
السلي سمعت جدي
يقول للسمع ينبغي
أن يستمع بقلب ونفس
ميتة ومن كان قلبه
ميتا ونفسه حية لا يحل

ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالباً فإنه يجد أرائيل يريد الإنسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه فإذا سقط عليه يقول يا ليتني تركته ما لاني لم لو وجد أعواناً أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام وأنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم وأنج نفسك . وأما الزيادة فهو الداء العضال الذي يصير على الأبدال والأوتاد الاحتراز عنه وكل من خالط الناس دارهم ومن دارهم راءهم وقع فيها وقوا فيه وهلك كما هلكوا وأقل ما يلزم فيه النفاق ذلك إن خالطت متعادين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغضا إليهما جميعاً وإن جاملتهما كنت من شرار الناس . وقال ^(٣) « تجدون من شرار الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ^(٤) » وقال عليه السلام « إن من شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ^(٥) » وأقل ما يجب في مخالطة الناس إظهار الشوق والبالغة فيه ولا يغفل ذلك عن كذب إما في الأصل وإما في الزيادة وإظهار الشفقة السؤال عن الأحوال بقولك كيف أنت وكيف أهلك وأنت في الباطن فارغ القلب من همومه وهذا نفاق محض قال سري « لودخل على أئمة على فسويت لحيق يدي لدخوله لحشيت أن أكتب في جريدة الناقلين وكان الفضيل جالساً وحده في المسجد الحرام جاء إليه أخ له فقال له ماجاء بك قال للؤانة يا أبا علي قال هي والله بالموأشة أشبه هل تريد إلا أن تترنن لي وأترنن لك وتكذب لي وأنا كاذب لك إما أن تقوم عني أو أقوم عنك . وقال بعض السلامة ما أحب الله عبداً إلا أحب أن لا يشعر به ودخل طاموس على الخليفة هشام فقال كيف أنت يا هشام غضب عليه وقال لم لم تخاطبني بأمر المؤمنين فقال لأن جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك غشيت أن أكون كاذباً فمن أمكنه أن يحترز هذا الاحتراز فليخاطب الناس وإلا فليرض بائناً اسمه في جريدة الناقلين قصد كان السلف يتلافون ويحترزون في قولهم كيف أصبحت وكيف أصبحت وكيف أنت وكيف حالك وفي الجواب عنه فكان سؤالهم عن أحوال الدين لأن أحوال الدنيا قال حاتم الأصم لحامد الغلاف كيف أنت في نفسك قال سالم معاني فكره حاتم جوابه وقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة وكان إذا قيل لعيسى صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت قال أصبحت لأملك تقديم ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتجاً بعلى والحبر كله في يد غيري ولا فقير أفقر مني وكان الربيع بن خثيم إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت من صفاء مذنبين نستوفى أرزاقنا وننتظر أجالنا وكان أبو الدرداء إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت نجبر إن نجوت من النار وكان سفيان الثوري إذا قيل له كيف أصبحت يقول أصبحت أشكر ذا إلى ذا وأذم ذا إلى ذا وأقر من ذا إلى ذا وقيل لأويس القرني كيف

(١) حديث أبي بكر إنكم تفرمون هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وإنكم تضعونها في غير موضعها الحديث أصحاب السنن قال الترمذي حسن صحيح (٢) حديث إن الله يسأل العبد حتى يقول مامنك إذا رأيت للنكر في الدنيا أن تسكره الحديث ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري باسناد جيد (٣) حديث تجدون من شرار الناس ذا الوجهين متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث إن من شر الناس ذا الوجهين مسلم من حديث أبي هريرة وهو الذي قبله .

له السماع وقيل في قوله تعالى - يزيد في الخلق ما يشاء الصوت الحسن وقال عليه السلام «فه أشد أذنا بالرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب قينة إلى قينته» قل عن الجيد قال : رأيت إيليس في النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشئ أو تنال منهم شيئا فقال إنه يسر على شأنهم ويعظم على أن أصيب منهم شيئا إلا في وقتين قلت أي وقت قال وقت السماع وعند النظر فاني أسترقي منهم فيه وأدخل عليهم به قال فحكيت رؤى بعض المشايخ فقال لو رأيته قلت له يا أحمق من مع منة إذا مع ونظر إليه إذا نظر أنزع أنت عليه شيئا أو تظفر بشئ منه قلت صدقت . وروى عائشة رضى الله عنها قالت «كانت عندي

مقصرا فلا غلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما للاقتداء ومن نظر إلى الأحوال العلية على أهل الزمان وإعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا واعتيادهم المعاصي استعظم أمر نفسه بأذى رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك ويكفي في تغيير الطبع مجرد سماع الخبر والشر فضلا عن مشاهدته وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله ﷺ « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة (١) » وإنما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستكشاف عما هو ملائمه من القصور والتقصير ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة وللفهم من نفوى هذا الكلام عند الفطن كاللهوم من عكسه وهو أن عند ذكر القاسقين تنزل اللعنة لأن كثرة ذكرهم تهون على الطبع أمر للمعاصي واللعنة هي البعد ومبدأ البعد من الله هو المعاصي والإعراض عن الله بالإقبال على المحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا هي الوجه للشروع ومبدأ للمعاصي سقوط تعلها وتغاضيها عن القلب ومبدأ سقوط الثقل وقوع الأنس بها بكثر السماع وإذا كان هذا حال ذكر الصالحين والقاسقين فما ظنك بعشاهتهم بل قد صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « مثل الجليس السوء كمثل الكير إن لم يحرقك بشره علق بك من ريحه (٢) » فكما أن الريح يعلق باليوب ولا يشر به فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعربه وقال مثل الجليس الصالح مثل صاحب السك إن لم يهب لك منه ريحه ولهذا أقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لثنين : أحدهما أنها غيبة والثانية وهي أعظمهما أن حكايتها تهون على السامعين أمر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامهم الإقدام عليها فيكون ذلك سببا لتحويل تلك اللصبة فانهما وقع فيها فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون إلى مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لثق عليه الإقدام فكمن شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتألك على حب الرياسة وتزنيها ويهون على نفسه فجها ويزعم أن الصحابة رضي الله عنهم لم يزهوا أنفسهم عن حب الرياسة وربما يستشهد عليه بقتال على ومعاوية ويخمن في نفسه أن ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد خطأ يهون عليه أمر الرياسة ولو ازمها من المعاصي والطبع اللثيم يميل إلى اتباع الهفوات والإعراض عن الحسنات بل إلى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالنزول على مقتضى الشهوة ليتعل به وهو من دقائق مكاييد الشيطان ولذلك وصف الله الراغبين للشيطان فيها بقوله - الذين يستمعون القول فيتمنون أحسنه - وضرب ﷺ لذلك مثلا وقال « مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يعمل إلا بسر ما يستمع كمثل رجل أتى راعيا فقال له ياراعي اجر لي شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم (٣) » وكل من ينقل هفوات الأئمة فهذا مثاله أيضا ومما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلما أفطر في نهار رمضان استبعدوا ذلك منه استبعادا يكاد يفضي إلى اعتقادهم كفره وقد يشاهدون

(١) حديث عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ليس له أصل في الحديث الرفوع وإنما هو قول صفيان ابن عيينة كذا رواه ابن الجوزي في مقدمة صفوة الصفوة (٢) حديث مثل الجليس السوء كمثل الكير الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث مثل الذي يسمع الحكمة ثم لا يعمل منها إلا شر ما يسمع كمثل رجل أتى راعيا فقال ياراعي اجر لي شاة من غنمك الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

جارية تسمي فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على حالها ثم دخل عمر فغرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله ؟ فحدثه حديث الجارية فقال لا أبرح حتى أسمع سامع رسول الله فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسمته

وذكر الشيخ أبو طالب السكي قال كان لطاء جاريان تلحان وكان إخوانه يجتمعون إليهما وقال أدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعون التلحين أعدهن للصوفية وهذا القول ثقلته من قول الشيخ أبي طالب فقال وعندي اجتناب ذلك هو الصواب وهو لا يسلم إلا بشرط طهارة القلب وغض البصر والوقاء بشرط قوله تعالى :

من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنفر عنه طابعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع أن صلاته واحدة يقتضى تركها السكفر عند قوم وحز الرقة عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له إلا أن الصلاة تتكرر والتماهل فيها مما يكثر فيسقط وقصها بالمشاهدة عن القلب ولذلك لو لبس التقية ثوبا من حرير أو خامسا من ذهب أو شرب من إناة فضة استبعدته النفس واقتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم إلا بما هو اختياب للناس ولا يستبعد منه ذلك والنية أشد من الزنا فكيف لا تكون أشد من لبس الحرير ولكن كثرة صماع النية ومشاهدة للتنايين أسقط وقصها عن القلوب وهون على النفس أمرها فظنن لهذه الدقائق وفر من الناس فرارك من الأسد لأنك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة ويهون عليك للعصية ويضعف رغبتك في الطاعة فإن وجدت جليسا يذكرك الله رؤيته وسيرته فآزره ولا تخاره واغتنمه ولا تستخفه فانها غيبة العاقل وصالة المؤمن وتحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة وأن الوحدة خير من الجليس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولا حظت بطبعك والتفت إلى حال من أردت محالطته لم يخف عليك أن الأولى التباعد عنه بالعزلة أو التقرب إليه بالخلاطة وإياك أن تحكم مطلقا على العزلة أو على الخلاطة بأن أحدهما أولى إذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا أو نعم خلف من القول محض ولا حق في للفصل إلا التفصيل .

(القاعدة الثالثة)

(الحلاص من الفتن والحصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتمرض لأخطارها)
وقلما تغزو البلاد عن تحصينات وفتن وخصومات فالعزل عنهم في سلامة منها قال عبادة بن عمرو ابن العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال « إذا رأيت الناس مرجحت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشيك بين أصابعه قلت فأتأمرني فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تترك وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة (١) » وروى أبو سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن من شاق إلى شاق (٢) » وروى عبادة بن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال « سيأتي على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاق إلى شاق ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذي يروغ قبله ومق ذلك يارسل الله قال إذا لم تنل للبيعة إلا بماصى الله تعالى فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يارسل الله وقد أمرتنا بالتزويج قال إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولده فإن لم يكن فعلى يدي قراته قالوا وكيف ذلك يارسل الله قال يبرونه بشيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة (٣) » وهذا الحديث وإن كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منه إذ لا يستغنى للتأهل عن للبيعة والمحاطة ثم لا ينال للبيعة إلا بعصية الله تعالى ولست

يـعلم خاتمة الأعين وما
تخفى الصدور وما هذا
القول من الشيخ
أبي طالب للسك إلا
مستغرب عجيب
والنزاهة عن مثل
ذلك هو الصحيح .
وفي الحديث في مدح
داود عليه السلام
أنه كان حسن
الصوت بالنيابة على
نفسه وبتلاوة الزبور
حتى كان يجتمع الإنس
والجن والطير لسامع
صوته وكان يعمل من
مجلسه آلاف من
الجنائز . وقال عليه
السلام في مدح أبي
موسى الأشعري « لقد
أعطى زمزما من
مزامير آل داود » .
وروى عنه عليه
السلام أنه قال « إن
من الشعر الحكمة »
« ودخل رجل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وعنده قوم يقرءون
القرآن وقوم ينشدون
الشعر فقال يارسل الله
قرآن وشعر فقال من

- (١) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص إذا رأيت الناس مرجحت عهودهم وخفت أماناتهم الحديث أبو داود والنسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن (٢) حديث أبي سعيد الخدري يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن رواء البخاري .
- (٣) حديث ابن مسعود سيأتي على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاق إلى شاق تقدم في النكاح .

قول هذا أو أن ذلك الزمان فلقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر ولأجله قال سفيان والله لقد حلت البرقة . وقال ابن مسعود رضى الله عنه « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الفتنة وأيام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه قلت فبم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قال قلت يا رسول الله أرايت إن دخل على دارى قال فادخل بيتك قلت فإن دخل على بيتي قال فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربى الله حتى تموت (١) » وقال سعد لما دعى إلى الخروج أيام معاوية لا إلا أن تعطوني سيفاً له عينا من بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فأقبلته وبالمؤمن فأكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محبة يضاء فيبناهم كذلك يسرون إذا هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق فالتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا . وقال بعضهم ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا وأتباع آخرون وتوقفوا حتى ذهب الريح وتبينت الطريق فاسفروا فاعتزل سعد وجماعة معه فارقوا الفتن ولم يخالطوا إلا بمدبر والفتن . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه لما بلغه أن الحسين رضى الله عنه توجه إلى العراق تبعه فلحقته على مسيرة ثلاثة أيام فقال له ابن تيرد فقال العراق فإذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم ويعتبرهم فقال لا تنتظر إلى كتبهم ولا تأتهم فأبى فقال إني أحذركم حديثاً إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وإنك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يلبيها أحد منكم أبداً وماصرفها عنكم إلا الذى هو خير لكم فأبى أن يرجع فاعتقه ابن عمر وبكى وقال أستودعك الله من قبل وأمسير (٢) وكان في الصحابة عشرة آلاف فما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلاً وجلس طاوس في بيته فقبله في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الأئمة ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه قيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله ﷺ فقال رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية وبالفاحشة في غياجكم عالية وفيها هناك عما أنتم فيه عافية فإذن الحذر من الحصومات ومشارب الفتن إحدى فوائد العزلة .

(الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس)

فانهم يؤذونك مرة بالنية ومرة بسوء الظن والهمة ومرة بالافتراحت والأطباع الكاذبة التي يصير الوفاء بها وتارة بالنية أو الكذب وربما يرون منك من الأعمال أو الأقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم بدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة للشر فإذا اعتزلتم استغثت من التحفظ عن جميع ذلك ، ولذلك قال بعض الحكماء لغيره أعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم قال ما هما قال :

اخفض الصوت إن نطقت بليل والفتن بالهار قبل القتال

ليس للقول رجمة حين يبدو بقبیح يكون أو يحمال

ولاشك أن من اخطأ الناس وشاركهم في أعمالهم لا ينفك من حاسد وعدو يسوء الظن به ويتوهم أنه يستعمل عاداته ونصب المكيدة عليه وتندس غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على أمر يحسبون كل

(١) حديث ابن مسعود ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الفتنة وأيام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه الحديث أبو داود مختصراً والخطابي في العزلة بتأيمه وفي إسناده عند الخطابي انقطاع ووصله أبو داود بزيادة رجل اسمه سالم يحتاج إلى معرفته (٢) حديث ابن عمر أنه لما بلغه أن الحسين توجه إلى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة الطبراني مختصراً على المرفوع رواه في الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ولم يقل على مسيرة ثلاثة أيام وكذا رواه البزار بسجوه وإسناده حسن .

هذامة ومن هذامة
وأشدد النافذة عند
رسول الله صلى الله عليه
وسلم آياته التي فيها :
ولا خير في حلم إذا لم يكن له
بوادر تخفى صفوه
أن يكدر
ولا خير في أمر إذا لم
يكن له
حكم إذا ما ورد الأمر
أصدرا

قاله رسول الله صلى
الله عليه وسلم
« أحسنت يا أبا بلقيس
لا يفضض الله فاك »
فماش أكثر من مائة
سنة وكان أحسن الناس
ثمرا وكان رسول الله

صلى الله عليه وسلم
يضع لسان منبرا في
السجد فيقوم على اللبر
فأما يهجو الدين كانوا
يهجون رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويقول
النبي صلى الله عليه
وسلم « إن روح القدس
مع حسان مادام يتافع
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم » ورأى
بعض الصالحين أبا

صيحة عليهم هم العدو واحذرهم وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم إلا الحرص عليها قال النبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونته وصدق ما يتداه من توه
وعادى محبيه بقول عدياته فأصبح في ليل من الشك مظلم

وقد قيل معايشرة الأشرار تورث سوء الظن بالأبرار وأنواع الشر الذي يلقاه الانسان من معارفه وعن
يختلط به كثيرة ولنا نطول بتفصيلها فنبأ ذكرناه إشارة إلى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها
وإلى هذا أشار الأكثر ممن اختار العزلة فقال أبو البرداء أخبر نعله يروي مرفوعا وقال الشاعر:

من حمد الناس ولم يلهم ثم بلاهم ذم من محمد
وصار بالوحدة مستأنسا يوحشه الأقرب والأبعد

وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من القرنين سوء . وقيل لبد الله بن الزبير ألا تأتي للدينة فقال
ما بقي فيها إلا حاسد نعمة أو فرح بنعمة . وقال ابن الهالك كتب صاحب لنا ما بهد فان الناس كانوا دواء
يتداوى به فصاروا داء لا دواء له ففر منهم فرارك من الأسد . وكان بعض الأعراب يلزم شجرا ويقول
هو نديم فيه ثلاث خصال إن مع مني لم ينم طي وإن نمت في وجهه احتمل مني وإن عربت عليه
لم يغضب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في الندماء . وكان بعضهم قد لزم القفار والقابر ف قيل له في ذلك
فقال لم أر أسلم من وحدة ولا أعظم من قبر ولا جليسا أمتع من دفتر . وقال الحسن رضي الله عنه أردت
الحج فسمع ثابت البناني بذلك وكان أيضا من أولياء الله فقال بلغني أنك تريد الحج فأجبت أن أصحبك
فقال له الحسن ويحك دعنا تمشا بستر الله علينا إني أخاف أن نصطب فيري بضنا من بعض ماتنا
عليه وهذه إشارة إلى فائدة أخرى في العزلة وهو بقاء السر على الدين والروء والأخلاق والفقرو سائر
العورات وقد مدح الله سبحانه التستريين فقال - يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف - وقال الشاعر:

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ولكن عارا أن يزول الجميل

ولا يخلو الانسان في دينه وديناء وأخلاقه عن عورات الأولى في الدين والدنيا سترها ولا يتيق
السلامة مع انكشافها . وقال أبو البرداء كان الناس ورقا لاشوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق فيه
وإذا كان هذا حكم زمانه وهو في أواخر القرن الأول فلا ينبغي أن يشك في أن الأخير شر . وقال
سفيان بن عيينة قال في سفیان الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد وفاته أقلل من معرفة الناس
فإن التخلص منهم شديد ولا أحسب أني رأيت ما أكره إلا عن عرفت . وقال بعضهم جئت إلى مالك
ابن دينار وهو قاعد وحده وإذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت أطرده فقال دعه يا هذا هذا
لا يضرك ولا يؤذي وهو خير من الجليس سوء . وقيل لبعضهم ما حملك طي أن تغزل الناس قال خشيت أن
أسأب ديني ولأشعر وهذه إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرنين سوء . وقال أبو البرداء اتقوا
الله واحذروا الناس فانهم ماركوا ظهريعير إلا أدبروه ولا ظهري جواد إلا عفروه ولا قلب مؤمن إلا خربوه
وقال بعضهم أقلل المعارف فانه أسلم لدينك وقلبك وأخف لحدود الحقوق عنك لأنه كلما كثرت
المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع . وقال بعضهم أنكر من تعرف ولا تعرف إلى من لا تعرف .

(الفائدة الخامسة)

أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس فأما انقطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد
فإن رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء باصلاح نفسه أولى ومن أهون الحقوق وأيسرها حضور
الجماعة وعبادة الرضى وحضور الولائم والاملاكات وفيها تصيب الأوقات وتمرض اللاقات ثم قد
تموق عن بعضها العوائق وتستقبل فيها المآذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون له لست بحق .

العباس الخضر قال
قلت له ما تقول في
الساع الذي يختلف فيه
أصحابنا ؟ فقال هو الصفا
الزلال لا يثبت عليه
إلا أقدام الماء . وقال
عن عمار الدينوري
قال رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في
لثام قلت يا رسول
الله هل تنكر من
هذا الساع شيئا ؟
فقال ما أنكره ولكن
قل لهم يفتحون
قبله بقرأة القرآن
ويغتمون بعده
بالقرآن قلت يا رسول
الله إنهم يؤذون
وينسبون فقال
احتملهم يا أبا طي هم
أصحابك فكان عمار
يفتخر ويقول كنان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم . وأما وجه
الانكار فيه فهو أن
يرى جماعة من الرديين
دخلوا في مبادئ الإرادة
وقهوسهم ما عرت على
صدق المجاهدة حتى
حدث عنهم علم بظهور

فلان وقصرت في حقنا وبصير ذلك سبب عداوة فقد قيل من لم يعد مريضا في وقت العبادة استنى موته خيفة من تخجيله إذا صح على تصديره ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خص استوحشوا وتميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه للتجرد له طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله في دين أو دنيا . قال عمرو بن العاص كثرة الأصدقاء كثرة الغمراء وقال ابن الرومي :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثر من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

وقال الشافعي رحمه الله أصل كل عداوة اصطناع المروء إلى اللئام وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضا فائدة جزيلة فإن من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبثقت بقوة الحرص طمعه ولا يرى إلا الحية في أكثر الأحوال فيتأذى بذلك ومهما اعتزل لم يشاهد وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى - ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم - وقال صلى الله عليه وسلم « انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم ^(١) » وقال عون بن عبد الله كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموما كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبي ودابة أقره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحمت . وحكى أن المزني رحمه الله

خرج من باب جامع القسطنطين وقد أقبل ابن عبد الحكم في موكب فيه مرأى من حسن حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى - وجعلنا منكم بعض فتنة لبعض - ثم قال بلى أصبر وأرضى وكان قفيرا مقلدا لآلئ هو في بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتنة فإن من شاهد زينة الدنيا إيمان يقوى دينه ويقينه فيصير فيحتاج إلى أن يتجرع مرارة الصبر وهو أمر من الصبر أو تنبثت رغبته فيحتاج إلى طلب الدنيا فهلك هلاكاً مؤبداً أما في الدنيا فبالطمع الذي يخبى أكثر الأوقات فليس كل من يطلب الدنيا تيسر له وأما في الآخرة فبإشارته متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب إليه ولذلك قال ابن الأعرابي :

إذا كان باب الدل من جانب الغنى سموت إلى العلياء من جانب الفقر

أشار إلى أن الطمع يوجب في الحال ذلا .

(الفائدة السادسة)

الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحق ومقاساة حقهم وأخلاقهم فإن رؤية الثقل هي العمى الأصغر قيل للأعمش م عمشت عينك قال من النظر إلى الثقلاء . وحكى أنه دخل عليه أبو حنيفة فقال في الخبر « إن من سلب الله كرميته عوضه الله عنها ما هو خير منها ^(٢) » فما الذي عوضك فقال في معرض اللطافة عوضني الله منها أنه كفاني رؤية الثقلاء وأنت منهم . وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت إلى ثقل مرة ففسي على وقال جالينوس لكل شيء حمى وحمى الروح النظر إلى الثقلاء . وقال الشافعي رحمه الله ما جالست ثقل إلا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كأنه نقل على من الجانب الآخر . وهذه القوائد ماسوى الأولين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها أيضا تملق بالدين فإن الإنسان مهما تأذى برؤية ثقل لم يأمن أن يغتابه وأن يستسكر ما هو صنع الله فإذا تأذى من غيره بغيبة أو سوء ظن أو محاسبة أو نيمة أو غير ذلك لم يصبر عن مكافأته وكل ذلك يجر إلى فساد الدين وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليغفهم .

(١) حديث انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث من سلب الله كرميته عوضه الله عنها ما هو خير منها الطبراني بإسناد ضعيف من حديث جرير من سلب الله كرميته عوضه الله عنها الجنة وله ولأحمد نحوه من حديث أبي أمامة بسند حسن وللبخاري من حديث أنس يقول الله تبارك وتعالى إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ثم صبر عوضته منها الجنة يريد عنييه .

صفات النفس وأحوال القلب حتى تضبط حركاتهم بقانون العلم ويعلمون ما لهم وعليهم مشتغلين به حتى أن ذا النون لما دخل بغداد دخل عليه جماعة ومعهم قوأل فاستأذنوه أن يقول شيئا فأذن له فأشدد القول :

صغير هواك عذبي فكيف به إذا احتسكا وأنت جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا ماترت لمكتتب إذا ضحك الخلق بكى

فطاب قلبه وقام وتوحد وسقط على جبهته والدم يقطر من جبهته ولا يقع على الأرض ثم قام واحد منهم فنظر إليه ذو النون فقال اتق الذي يراك حين تقوم جلس الرجل وكان جلوسه لموضع صدقه وعله أنه غير كامل الحال غير صالح للقيام متواجدا فيقوم أحدم من غير تدبر وعلم في

(آفات العزلة)

اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالنير ولا يحصل ذلك إلا بالمخاطلة فكل ما يستفاد من المخاطلة يفوت بالعزلة وفوائده من آفات العزلة فانظر إلى فوائد المخاطلة والدواعي إليها ما هي وهي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأديب والاستئناس والابتناس ونيل الثواب وإثباته في القيام بالحقوق واعتقاد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها فلنفصل ذلك قائما من فوائد المخاطلة وهي سبع :

(الفائدة الأولى : التعليم والتعلم)

وقد ذكرنا فضاء ما في كتاب العلم وهما أعظم البادات في الدنيا ولا يتصور ذلك إلا بالمخاطلة لأن العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالحاجة إلى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وإن تعلم القرض وكان لا يتأتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعزل وان كان يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الحسran ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم اعزل ومن اعزل قبل التعلم فهو في الأكثر مضيع أوقاته نوم أو فكر في هوس وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها ولا ينفك في أعماله بالدين والقلب عن أنواع من الغرور يغيب سمعه ويبطل عمله بحيث لا يدري ولا ينفك اعتقاده في الله وصفاته عن أوها م يتوهمها ربأنسها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو أصل الدين فلا يخفى في عزلة العوام والجهال أغنى من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها فثالث النفس مثال مريض يحتاج إلى طبيب متلطف يعالجه فالمرضى الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم الطب تضاعف لاحالة مرضه فلا تليق العزلة إلا بالعلم وأما التعليم فبهي ثواب عظيم مهما سمحت نية للعلم والتعلم ومهما كان القصد إقامة الجاه والاشتكتار بالأصحاب والأتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العلم في هذا الزمان أن يعزل إن أراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لديه بل لا طالب إلا للكلام مزخرف يستميل به العوام في معرض الوعظ أو الجدال معقد يتوصل به إلى إغلام الأقران ويتقرب به إلى السلطان ويستعمل في معرض النافعة والباهة وأقرب علم مرغوب فيه الذهب ولا يطلب غالبا إلا للتوصل إلى التقدم على الأمثال وتولي الولايات واجتلاب الأموال فهو لاء كلهم يقتضى الدين والحزم الاعتزال عنهم فان صودف طالب لله ومتقرب بالعلم إلى الله فأكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتبان العلم منه وهذا لا يصادف في بلدة كبيرة أو أكثر من واحد أو اثنين إن صودف ولا ينبغي أن يعتزل الانسان بقول سفيان ثعلما العالم لغير الله فإني العلم أن يكون إلا لله فان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون إلى الله وانظر إلى أواخر أعمار الأكرمين منهم واعتبرهم أنهم ماتوا وهم هلكي على طلب الدنيا ومتكالبون عليها أو راغبون عنها وزاهدون فيها وليس الحجب كالمعانية . واعلم أن العلم الذي أشار إليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الأنبياء والصحابة فان فيها التخويف والتحذير وهو سبب لإثارة الخوف من الله فان لم يؤثر في الحال أثر في المال ، وأما الكلام والفقهاء المجردين الذي يتعلق بقضايا المعاملات وفصل الخصومات الذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا إلى الله بل لا يزال متباديا في حرصه إلى آخر عمره ولعل ما ودعناه هذا الكتاب إن تعلمه للعلم رغبة في الدنيا فيجوز أن يرضى فيه إذ يرجى أن يبرز به في آخر عمره فانه مشحون بالتخويف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف في الأحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا في خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي أن يخادع الانسان نفسه فان القصص العلم

قيامه وذلك إذا سمع إيقاعا موزونا بسمع يؤدي ماسمه إلى طبع موزون فيتحرك بالطبع الوزون للوزون الوزون والايقاع للوزون وينسب حجاب نفسه للنسب بابساط الطبع على وجه القلب ويستفزه النشاط النبث من الطبع فيقوم برقص موزونا بمزج بصنع وهو محرم عند أهل الحق ويحجب ذلك طية للقلب وما رأى وجه القلب وطيته لله تعالى ولعمري هو طية القلب ولكن قلب ملون بلون النفس مبال إلى الهوى موافق للردي لا يبتدى إلى حسن النية في الحركات ولا يعرف شروط صحة الارادات ومثل هذا الرافض قيل الرقص قص لأنه رقص مصدره الطبع غير مفترن بنية صالحة لاسيما إذا افضاف

بنفسه أسعد حالا من الجاهل للفرور أو للتجاهل للقبول وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك أن يكون غرضه القبول والجلاء وحظه تلذذ النفس في الحال باستشمار الأدلال على الجاهل والتكبر عليهم فكافة العلم الخلاء^(١) كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولذلك حكى عن بشر أنه دفن سبعة عشر قطرا من كتب الأحاديث التي معها وكان لا يحدث ويقول إني أنشيت أن أحدث فلذلك لا أحدث ولو اشتيت أن لا أحدث لحديث ولذلك قال حدثنا باب من أبواب الدنيا وإذا قال الرجل حدثنا فأما يقول أو سمعوا لي . وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري ، نعم الرجل أنت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيماذا رغبت ؟ قالت : في الحديث ، ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج أو طلب الحديث أو اشتغل بالسفر فقد ركن إلى الدنيا فهذه آفات قد نهينا عليها في كتاب العلم والحزم والاحتراز بالعملة وترك الاستكثار من الأصحاب ما يمكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب إن كان عاقلا في مثل هذا الزمان أن يتركه فلقد صدق أبو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعليم منك فليس لك منهم مال ولا جمال إخوان العلانية أعداء السر إذا تلوك تملقوك وإذا غبت عنهم سلقوك من أنك منهم كان عليك رقيا وإذا خرج كان عليك خطيبا أهل ثقاق ونجعة وغل وخديعة فلا تفر باجماعهم عليك فاغرضهم العلم بل الجاه والمال وأن يتخذوك سلما إلى أوطارهم وأغراضهم وحماراق حاجتهم إن قصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك ثم يمدون ترددهم إليك دالة عليك وبرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريتهم وخادمهم ووليهم وتنهض لهم سفيا وقد كنت قتيها وتكون لهم تابعا خسيسا ببدان كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعترال العامة مروءة تامة فهذا معنى كلامه وإن خالف بعض ألفاظه وهو حق وصدق فأنك ترى للدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنه ثقيلة بمن يتردد إليهم فكانه يهدى تحفه إليهم ويرى حقه واجبا عليهم وربما لا يختلف إليه ما يتكفل برزق له على الإدراهم إن للدرس للسكين قديس عجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال مترددا إلى أبواب السلاطين ويقاسى القتل والشدائد مقاساة الدليل المهن حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يستترقه ويستخدمه ويغتنه ويستنله إلى أن يسلم إليه ما يقدره نعمة مستأنفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على أصحابه إن سوى بينهم مقتنه الميزون ونسبوه إلى الحق وقلة الخير والقصور عن درك مصارف الفضل والقيام بمقادير الحقوق بالعدل وإن فاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنه حداد وثاروا عليه ثوران الأسود والأساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مطابقة ما يأخذهم ويفرقه عليهم في المعنى والعجب انه مع هذا البلاء كله يعنى نفسه بالأباطيل وبدلها بجبل الفرور ويقول لها لا تقترى عن صنيعك فأما أنت بما فعلينه مريدة وجه الله تعالى ومذبة شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشرة علم دين الله وقائمة بكفاية طلاب العلم من عباد الله وأموال السلاطين لا مالك لها وهى مرسنة للمصالح وأي مصالحة أكبر من تكثير أهل العلم فهم يظهر الدين ويتقوى أهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعل بأذى تأمل أن فساد الزمان لا سبيله إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الذين يأكلون ما يجودون ولا يميزون بين الحلال والحرام فتحفظهم أعين الجاهل ويستجرون على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم واقفاء لأنارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية إلا فساد اللوك وما فسدت اللوك إلا فساد العلماء فتعود بالله من الفرور والعنى فانه الداء الذي ليس له دواء .

إلى ذلك شوب حركته
بصرح التفاف بالتودد
والقرب إلى بعض
الحاضرين من غير
نية بل بدلالة نشاط
النفس من العاقبة
وغير ذلك من الحركات
التي لا يستمدتها من
التصوفة إلا من ليس
له من التصوف إلا
مجرد زى وصورة أو
يكون القوال أمرد
تجذب النفوس إلى
النظر إليه وتستلذ ذلك
وتضمر خواطر السوء
أو يكون للنساء إشراف
على الجمع وتراسل
البواطن للملوءة من
المهوى بسفارة الحركات
والرقص وإظهار
التواجد فيكون ذلك
عين الفسق المجمع على
تحريمه فأهل اللواخير
حينئذ أرجى حالاً ممن
يكون هنا ضميعة
وحركاته لأنهم يرون
نسقمهم وهذا لإبراه
وبريه عيادة لمن لا يعلم
ذلك أقرى أحدا من

(١) حديث آفة العلم الخلاء المعروف مارواه مطين في مسنده من حديث على بن أبى طالب بسند ضيف آفة العلم النسيان وآفة الجاهل الخلاء .

(الفائدة الثانية النعم والاشفاق)

أما الاشفاق بالناس فبالكسب والعامة وذلك لا يتأتى إلا بالخالطة والمحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة فيقع في جهاد من الخالطة إن طلب موافقة الشرع فيه كاد كونه في كتاب الكسب فإن كان معه مال لو اكتفى به قلنا لأقنعه فالعزلة أفضل له إذا اندت طرق المكاسب في الأكثر إلا من المعاصي إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة فإذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو أفضل من العزلة للاشتغال بالذلة وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالحق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولأن الأقبال بكه الحمة على الله تعالى والتجرد بها لذكر الله أعنى من حصل له أنس بمناجاة الله عن كشف وبصرة لاعن أوهام وخيالات فاسدة . وأما النفع فهو أن ينفع الناس إما بماله أو بدينه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسنة في التوضي قضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال إلا بالخالطة ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع فهي أفضل من العزلة إن كان لا يشتغل في عزله إلا بنوافل الصلوات والأعمال البدنية وإن كان ممن اقتنع له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة .

(الفائدة الثالثة التأديب والتأديب)

ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل أذى كسرا للنفس وقهر للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالخالطة وهي أفضل من العزلة في حق من لم تهذب أخلاقه ولم تدع لحودود الشرع شهواته ولهذا انتدب خدام الصوفية في الراباطات فيخالطون الناس بخدمتهم وأهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهمهم إلى الله سبحانه وكان هذا هو المبدأ في الأغصان الحالية والآن قد خالطته الأديار الفاسدة ومال ذلك عن القانون لجماليات سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثير بالاستتباع والتذرع إلى جمع المال والاستظهار بكثرة الأتباع فإن كانت النية هذه فالعزلة خير من ذلك ولو إلى القبر وإن كانت التيقظة النفس فهي خير من العزلة في حق المحتاج إلى الرياضة وذلك مما يحتاج إليه في بداية الإرادة فبعد حصول الارتياض ينبغي أن يفهم أن الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها أن تتخذ مركبا يقع به المراحل ويطوى على ظهره الطريق والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات إن لم يكسرها جمحت به في الطريق فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة بالرياضة ولم يركبها فلا يستفيد منها إلا الخلاص في الحال من عضها ورفضها ورعها وهي لعمرى فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من الهيمة اللينة وإنما تراء الدابة لفائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص من ألم الشهوات في الحال يحصل بالنوم واللوث ولا ينبغي أن يقنع به كالراهب الذي قيل له ياراهب فقال ما أماراهب إنما أنا كلب عقور حبست نفسي حق لأعقر الناس وهذا حسن بالإضافة إلى من يعقر الناس ولكن لا ينبغي أن يقتصر عليه فإن من قتل نفسه أيضا لم يعقر الناس بل ينبغي أن يتشوف إلى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى إلى الطريق وقدر على السلوك استبان له أن العزلة أعون له من الخالطة فالأفضل مثل هذا الشخص الخالطة أولا والعزلة آخرها . وأما التأديب فأنه تعني به أن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم إلا بمخالطتهم وحاله حال العلم وحكمه حكمه ويتطرق إليه من دقائق الآفات والزيام ما يتطرق إلى نشر العلم إلا أن يحال طلب الدنيا من الربدن الطالبين للارتياض أبعد منها من طلبه العلم ولذلك يرى فيه قلة وفي طلبه العلم كثرة فينبغي أن يقبس ما تيسر له من الخلو بما تيسر له من الخالطة وتهذيب القوم وإقبال أحدها بالآخر ذا أثر الأمل وذلك يدرك بدق

أهل الدابات يرضى بهذا ولا ينكره فمن هذا الوجه توجه للنكر الانكار وكان حقيقا بالاعتذار فك من حركات موجبة للمقت وكم من نهضات تذهب رونق الوقت فيكون إنكار النكر على المرید الطالب بئنه عن مثل هذه الحركات وبجذره من مثل هذه الخلس وهذا إنكار صحيح وقد يرقص بعض الصادقين بإيقاع وورن من غير إظهار وجد وحال ووجه نيته في ذلك أنهم بما يوافق بعض الفقهاء في الحركة فيتحرك بحركته وزونة غير مدع بها حالا وجددا يجعل حركته في طرف الباطل لأنها وإن لم تكن محرمة في حكم الشرع ولكنها غير محللة حكم الحلال لمافيه من اللهو فتصير حركاته وريقه من قيل المباحات التي تجري عليه من الضحك

الاجتهاد ويختلف بالأحوال والأشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي ولا إثبات .

(الفائدة الرابعة : الاستئناس والإناس)

وهو غرض من يحضر الولايم والدعوات ومواضع العاشرة والأنس وهذا يرجع إلى حظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا تجوز مؤانسته أو على وجه مباح وقد يستحب ذلك الأمر الدين وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله في الدين كالأنس بالمشايخ للزمين لسمت التقوى وقد يتعاقب بحظ النفس ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب لتيسر دواعي النشاط في العبادة فإن القلوب إذا أكرهت عمت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة أنس يروح القلب فهي أولى إذ الرق في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يمل حتى تملاوا ^(١) » وهذا أمر لا يستغنى عنه فإن النفس لا تألف الحق على الدوام مالم تروح وفي تكليفها اللازمة دواعية للفتنة وهذا على قوله عليه السلام « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » والاضلال فيه برفق ذاب للتصبرين ولذلك قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس ، وقال مرة لدخلت بلادا لا أنيس بها وهل يفسد الناس إلا الناس فلا يستغنى للمعزل إذا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحدثه في اليوم والليلة ساعة فليجتهد في طلب من لا يفسد عليه في ساعته تلك سائر ساعاته فقد قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال ^(٢) » وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء في أمور الدين وحكاية أحوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء إلى الرشد ففي ذلك متنفس ومتروحة للنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول باصلاح نفسه فانه لانتعش شكواه ولو عمر أعمارا طويلة . والراعى عن نفسه مغرور قطعا فهذا النوع من الاستئناس في بعض أوقات النهار ربما يكون أفضل من العزلة في حق بعض الأشخاص فليفتقد أحوال القلب وأحوال الجاليس أولا ثم ليجالس .

(الفائدة الخامسة : في نيل الثواب وإنائه)

أما النيل فبحضور الجنائز وعبادة الرضى وحضور العيدين ، وأما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعة في سائر الصلوات أيضا لا رخصة في تركه إلا لحوف ضرر ظاهر بقاء ما يفتقر من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك لا يتفق إلا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث إنه إدخال سرور على قلب مسلم . وأما إنائه فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس أو ليزوذه في المصائب أو يهنوه على النعم فاتهم بالنال بذلك ثوابا وكذلك إذا كان من العلماء وأذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فيه فينبغي أن يزن ثواب هذه المخالطات بأقاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجع العزلة وقد ترجع المخالطة . فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك إجابة الدعوات وعبادة الرضى وحضور الجنائز بل كانوا أحلاس بيوتهم لا يخرجون إلا إلى الجمعة أو زيارة القبور وبعضهم فارق الأمصار وانحاز إلى قلال الجبال فرغوا للعبادة وفراروا من الشواغل .

(الفائدة السادسة)

من المخالطة التواضع فانه من أفضل القامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روى في الاسرائيليات أن حكيا من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى ظن أنه قد نال عند الله منزلة فأوحى الله إلى نبيه قل لفلان إنك قد ملأت الأرض ثقافا وإنى لا أقبل من ثقافتك شيئا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الأرض وقال الآن قد بلغت رضا ربى

(١) حديث إن الله لا يمل حتى تملاوا تقدم (٢) حديث المرء على دين خليله تقدم في آداب الصلحة .

والمداعبة وملاعبة
الأهل والولد ويدخل
ذلك في باب الترويح
للقلب وربما طار ذلك
عبادة بحسن النية إذا
نوى به استجمام النفس
كاشغل عن أذى الدرداء
أنه قال لئن لأستجم
نفسى بئى من الباطل
ليكون ذلك عوناً لى
على الحق ولموضع
الترويح كرهت الصلاة
في أوقات ليستريح
عمال الله وترتفع
النفوس ببعض مآربها
من ترك العمل
وتستطيب أوطان المهل
والأذى بتركه
المختلف وترتيب خلقه
المتنوع بتنوع أصول
خلقته وقد سبق شرحه
في غير هذا الباب لانتفى
قواه بالصبر على الحق
الصرف فيصكون
التفصح في أمثال
ما ذكرناه من الباح
الذى يترغ إلى لهو ما
باطلا يستعان به على
الحق فإن الباح وإن لم
يكن باطلا في حقيقة

فأوحى الله إلى نبيه قل له إنك لن تبلغ رضى حق تغالط الناس وتصب على أذام فخرج فدخل الأسواق وغالط الناس وجالسهم وواكلهم وأكل الطعام بينهم ومضى فى الأسواق معهم فأوحى الله تعالى إلى نبيه الآن قد بلغ رضى فكف من معزل فى بيته وباعته الكبر ومانه عن الحافل أنت لا يوقر أولاً يقدم أوبرى الترفع عن مخالطهم أرفع لعله وأبق لطراوة ذكره بين الناس وقد يبرل خيفة من أن تظهر مقابحه لوخالط فلا يمتدفيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ البيت سترًا على مقابحه إبقاء على اعتقاد الناس فى زهده وتعبه من غير استغراق وقت فى الخلوذة بذكر أو فكر وعلاوة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ولا يحبون أن يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين إليهم واجتماعهم على بابهم وطرقهم وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذى يفيض إليه المخالطة وزيارة الناس لبعض إليه زيارتهم له كما حكيناه عن الفضيل حيث قال وهل جئنى إلا لأتبرن لك وتبرن لى . وعن حاتم الأصم أنه قال للأمر الذى زاره حاجتى أن لأأرك ولا ترائى فمن ليس مشغولاً مع نفسه بذكر الله فاعتزله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس . لأن قلبه متجرد للالتفات إلى نظركم إليه بعين الوقار والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه : أحدها أن التواضع والمخالطة لا تنقص من منصب من هو متكبر بعله أودينه إذ كان على رضى الله عنه يحمل النمر والمخ في ثوبه ويده ويقول : لا ينقص الكامل من كاله . ماجر من تقع إلى عياله

وكان أبو هريرة وحذيفة وأبى وابن مسعود رضى الله عنهم يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق على أكتافهم . وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول وهو والى المدينة والحطاب على رأسه طر قوا لأمرهم « وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشتري الثى فيحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطى أحمله فيقول صاحب الثى أحق بحمله (١) » وكان الحسن بن علي رضى الله عنه يمر بالسؤال وبين أيديهم كسر فيقولون : هلم إلى السداء يا ابن رسول الله فكان ينزل ويجلس على الطريق ويأكل معهم ويركب ويقول - إن الله لا يحب المتكبرين - الوجه الثانى أن الذى شغل نفسه يطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لأنه لو عرف الله حق المعرفة علم أن الخلق لا يفتنون عنه من الله شيئاً وأن ضرره ونقصه يد الله ولا نافع ولا ضار سواه وأن من طلب رضا الناس ومحبتهم يسخط الله يسخط الله عليه وأسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تتالفاً فرضا الله أولى بالطلب ولذلك قال الشافعى ليونس بن عبد الأعلى والله ما أقول لك إلا نصيحة إنه ليس إلى السلامة من الناس من سبيل فانظر ماذا يصلحك فافعله ولذلك قيل :

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور

ونظر سهل إلى رجل من أصحابه فقال له : اعمل كذا وكذا شيء أمره به فقال يا أستاذ لا أقدر عليه لأحل الناس فالتفت إلى أصحابه وقال لا يزال عبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين : عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى فى الدنيا إلا خالقه وإن أحداً لا يقدر على أن يضره ولا ينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي بأى حال يرويه . وقال الشافعى رحمه الله ليس من أحد إلا لو أحب ومبغض فإذا كان هكذا فكأن مع أهل طاعة الله . وقيل للحسن يا أبا سعيد إن قوماً يحضرون مجلسك ليس بغيتهم إلا تتبع سقطات كلامك وتعتيك بالسؤال فيسبهم وقال للقاتل هون على نفسك فأتى حدثت نفسى بسكى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت ومحدثت نفسى بالسلامة من الناس لأنى قد

(١) حديث كان يشتري الثى ويحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطى أحمله فيقول صاحب التنازع أحق بحمله أبو يعلى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف فى حمله السراويل الذى اشتراه .

الشرع لأن حدّ الباح ما استوى طرفاه واعتدل جانباه ولكنه باطل بالنسبة إلى الأحوال ورأيت فى بعض كلام سهل بن عبد الله يقول فى وصفه للمصدق الصادق يكون جهله مزيداً لعلفه وباطله مزيداً لحقه ودينه مزيداً لأخرته ولهذا المعنى حبيب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ليسكون ذلك يحظ نفسه الشريفة للهوب لها حظوظها للوفر عليها حقوقها لموضع طهارتها وقدسها فيكون ما هو نصيب الباطل الصرف فى حق الفير من اللباحت المقبولة برخصة الشرع الرودة بعزيمة الحال فى حقه صلى الله عليه وسلم متبهاً بدمعة العبادات وقد ورد فى فضيلة السكاح ما يدل على أنه عبادة ومن ذلك

علت أن خالتهم ورازقهم ومحرمهم ويميزهم لم يسلم منهم . وقال موسى صلى الله عليه وسلم : يارب احبس عني السنة الناس فقال يا موسى هذا شيء لم أصطفه لنفسى فكيف أفعله بك وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عزير إن لم تطب نفسا بأن أجعلك علما في أفواه الناس فلو لم أكن بك عندي من التواضعين فاذن من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقوالهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا - ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون - فاذن لا تستعب العزلة إلا لمنسغرق الأوقات بربه ذكرا وفكرا وعبادة وعلما بحيث لو خالطه الناس لفانعت أوقاته وكثرت آفاته ولتشوشت عليه عباداته فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي أن تنفي فانها مهلكات في صور منجيات .

(الفائدة السابعة التجارب)

فانما استفاد من المحالطة للخلق ومجاري أحوالهم والعقل الغريزي ليس كافيا في فهم مصالح الدين والدنيا وإنما تفيدها التجربة والممارسة ولا خير في عزلة من لم تحسب التجارب فالصبي إذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي أن يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب ويكتفيه ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الأحوال ولا يحتاج إلى المحالطة ومن أهم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفاته بطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان كل مجرب في الخلوة يسهو وكل غضوب أو حقدود أو حسود إذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في أخدنها يجب إبطالها وقهرها ولا يكتفي تسكينها بالتقاعد عما يجرها لئلا القلب للشجون بهذه الحياث مثال دمل تمتلئ بالصديد والمدة وقد لا يحسن صاحبه بأنه مالم يتحرك أو يحس غيره فان لم يكن له يد تمسه أو عين تبصر صورته ولم يكن معه من يحرره ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد قفده ولكن لو حركه محرك أو أصابه مشروط حجام لا حبر منه الصديد وفار فوران الشيء المختنق إذا حبس عن الاسترسال فكذلك القلب للشجون بالحقد والبخل والحسد والغضب وسائر الأخلاق القديمة وإنما تفجر منه خباثته إذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون تركية القلوب يجربون أنفسهم فمن كان يستشعر في نفسه كبرا محمى في إقامته حتى كان بعضهم يعمل قرية ماء على ظهره بين الناس أو حزمة حطب على رأسه ويتردد في الأسواق ليحرب نفسه بذلك فان غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها ، وذلك حكى عن بعضهم أنه قال أعدت صلاة ثلاثين سنة مع أنى كنت أصليا في الصف الأول ولكن تخلفت يوما بصدرا فوجدت موضعا في الصف الأول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسى تستشعر خجلة من نظر الناس إلى وقد سيقت إلى الصف الأول فقلت أن جميع صلواتى التى كنت أصليا كانت مشوبة بالرياء محزوجة ببلغة نظر الناس إلى ورويتهم إياى في زمرة السابقين إلى الخير فالحالطة لها فائدة ظاهرة عظيمة في استخراج الحياث وإظهارها ولذلك قيل الصغرى سفر عن الأخلاق فانه نوع من المحالطة الدائمة وستأتى غوائل هذه أمانى ودقائقها في ربيع الماسكات فان بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يركو العمل القليل ولولا ذلك ما فضل العلم على العمل إذ يستحيل أن يكتم العلم بالصلاة ولا يرد إلا الصلاة أفضل من الصلاة فانما علم أن ما يرد لغيره فان ذلك الغير أشرف منه وقد تضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى (١) » فعنى تفضيل العلم يرجع إلى ثلاثة أوجه : أحدها ما ذكرناه والثانى عموم النفع لتمدى فائده والعمل لا تتمدى فائده والثالث أن يراده العلم بالله وصفاته وأفعاله فذلك أفضل من كل عمل بل مقصود الأعمال صرف القلوب عن الخلق إلى الخالق لتثبت

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى تخدم في العلم .

من طريق القياس
استنباطه على الصالح
الدنية والدنيوية على
ما أطلب في شرحه
القضاء في مسئلة
التخلل لوفال العبادات
فاذا يخرج هذا
الراقص بهذه النية
التبرى من دعوى
الحال في ذلك من
إنكار الشكر فيكون
رضه لاهليه ولا له
وربما كان بحسن
النية في الترويع يصير
عبادة سببا إن أضمر
في نفسه فرحا بربه
ونظر إلى شمول رحمة
وعطفه ولكن لا يلبق
الرقص بالشيخوخ
ومن يقتدى به لما فيه
من مشاجرة الله
واللهو لا يلبق بمنصهم
ويبين حال التمكن
مثل ذلك وأما وجه
منع الإنكار في السماع
فهو أن الشكر للسمع
على الإطلاق من غير
تفصيل لا يخلو من
أحد أمور ثلاثة إما

بعد الانصراف إليه لمعرفته وعجته فالعمل وعلم العمل مراد أن لهذا العلم وهذا العلم غاية المردين
والعمل كالتربط له وإليه الإشارة بقوله تعالى - إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - فالكلم
الطيب هو هذا العلم والعمل كالتحليل الراجع له إلى مقصده فيكون الرفع أفضل من الراجع وهذا
كلام مترس لا يليق بهذا الكلام . فلنرجع إلى المقصود فنقول : إذا عرفت فوائد العزلة وغاياتها
تحققت أن الحكم عليها مطلقا بالتفضيل ثوبا وإثباتا خطأ بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله وإلى
الخليط وحاله وإلى الباعث على مخالطته وإلى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ويقاس
الفائت بالحاصل فسد ذلك يتبين الحق ويضع الأفضل وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطاب
إذا قال يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرئانه السوء فكأن بين
التقبض والنبسط فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة وبمختلف ذلك بالأحوال وملاحظة الفوائد
والآفات يتبين الأفضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وإنما هو إخبار كل
واحد عن حالة خاصة هو فيها ولا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له في الحال والفرق بين العالم
والصوفي في ظاهر العلم يرجع إلى هذا وهو أن الصوفي لا يتكلم إلا عن حاله فلا يجرم تخلف أجوبتهم
في المسائل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر إلى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك
بما لا يختلف فيه فإن الحق واحد أبدا والقاصر عن الحق كثير لا يحصى ولذلك سئل الصوفي عن
الفقر فما من واحد إلا وأجاب بجواب غير جواب الآخر وكل ذلك حق بالإضافة إلى حاله وليس بحق
في نفسه إذ الحق لا يكون إلا واحدا ولذلك قال أبو عبد الله الجلاء ، وقد سئل عن الفقر فقال اضرب
بكعبك الحائط وقل رب الله فهو الفقير . وقال الجليل الفقير الذي لا يسأل ولا يدخر وقال آخر هو أن لا يكون لك فان
عورض سكت وقال سهل بن عبد الله الفقير الذي لا يسأل ولا يدخر وقال آخر هو أن لا يكون لك فان
كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن لك وقال إبراهيم الحواصي هو ترك الشكوى وإظهار أثر
البؤى والمقصود أنه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة فلما يتفق منها اثنا عشر ذلك كله
حق من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم ثبت أحدهما
لصاحبه قدما في التصوف أو وثق عليه بل كل واحد منهم يدعى أنه الواصل إلى الحق والواقف عليه
لأن أكثر ترددهم على مقتضى الأحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون إلا بأنفسهم ولا يلتفتون إلى
غيرهم ونور العلم إذا أشرق أحاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ومثال نظر هؤلاء ما رأيت
من نظر قوم في أدلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم هو في الصيف قدما . وحكى عن آخر أنه
نصف قدم وآخر يرد عليه وأنه في الشتاء سبعة أقدام . وحكى عن آخر أنه خمسة أقدام وآخر يرد
عليه فهذا يشبه أجوبة الصوفية واختلافهم فان كل واحد من هؤلاء أخبر عن الظل الذي رآه يولد
نفسه فصدق في قوله وأخطأ في تخطيطه صائجه إذ ظن أن العالم كله ببلده أو هو مثل ببلده كما أن الصوفي
لا يحكم على العالم إلا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه
بالبلاذ فيخبر بأحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يبقى ظل وفي بعضها يطول وفي بعضها
يقصر فهذا ما أردنا أن نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة . فان قلت فمن أثر العزلة ورأها أفضل له
وأسلم فلما آدابها في العزلة فنقول إنما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصلوة
وأما آداب العزلة فلا تطول فينبغي للمعتزل أن ينوي بعزلته كفضا شرفه عن الناس أولا ثم طلب
السلامة من شر الأشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التحرد
بكنه المهمة لخدمة الله رابعا . فهذه آداب ينبغي أن يكون في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر

جاهل بالسنن والآثار
وإما معتز بما أصبح
له من أعمال الأخيار
وإما جامد الطبع
لا ذوق له فيصير على
الإنكار وكل واحد
من هؤلاء الثلاثة
يقابل بما سوف يقبل ،
أما الجاهل بالسنن
والآثار فيعرف بما
أسلفناه من حديث
عائشة رضي الله عنها
وبالأخبار والآثار
الواردة في ذلك وفي
حركة بعض التحريكين
تعرف رخصة رسول
الله صلى الله عليه وسلم
للمحبة في الرقص
ونظر عائشة رضي الله
عنها إليه مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم
هذا إذا سلمت الحركة
من المكاره التي
ذكرناها وقد روى
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لعلى
رضي الله عنه وأنت
معي وأنا منك فنجعل
وقال لجبرئيل أشبهت

ليجنى ثمرة العزلة ولتجمع الناس عن أن يكتموا غشيانه وزيارته فيشوش أكثر وقته وليكف عن السؤال عن أخبارهم وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد وما الناس مشغولون به فإن كل ذلك ينفرس في القلب حتى يذهب في أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحسب فوقوع الأخبار في السمع كوقوع البذر في الأرض فلا بد أن ينبت وتفرع عروقه وأغصانه ويتداعى بعضها إلى بعض وأحد مهمات المنزل قطع الوسوس الصارفة عن ذكر الله والأخبار ينايع الوسوس وأسولها وليقع باليسر من العيشة وإلا اضطره التوسع إلى الناس وأحتاج إلى مغالطتهم وليكن صبوراً على ما يلقاه من أذى الجيران وليسد جمعه عن الإصغاء إلى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة فإن كل ذلك يؤثر في القلب ولومدة سيرة وحال اشتغال القلب به لا بد أن يكون واقعاً عن سيرة إلى طريق الآخرة فإن السير إما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب وإما بالفكر في جلال الله وصفاته وأصاله وملكوته وموانه وأرضه وإما بالتأمل في دقائق الأعمال ومفصلات القلوب وطلب طرق التحصن منها وكل ذلك يستدعى الفراغ والإصغاء إلى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له أهل صالحة أو جلس صالح لتسريح نفسه إليه في اليوم ساعة من كد اللواظبة فيه عون على بقية الساعات ولا يثم له الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهم من يكون فيه ولا يقطع طمعه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدر لنفسه عمراً طويلاً بل يصبح على أنه لا يمسي ويمسي على أنه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخى الأجل وليكن كثير الفكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة ولينحني أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وأن من أنس بذكر الله ومعرفته فلا يزال للموت أنسه إذ لا يهدم الموت محل الأنس وللعرفة بل يبقى حياً بمعرفته وأنه فرحاً بفضل الله عليه ورحمته كما قال الله تعالى في الشهداء - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله - وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد منها أدركه الموت مقبلاً غير مدبر - فالجهاد من جاهد نفسه وهواه ^(١) كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد الأكبر جهاد النفس كما قال بعض الصحابة رضي الله عنهم رجسنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ينون جهاد النفس .

ثم كتاب العزلة ونبهوه كتاب آداب السفر والمدة وحده .

﴿ كتاب آداب السفر ﴾

وهو الكتاب السابع من ربيع العادات من كتب إحياء العلوم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي فتح بصائر أوليائه بالحكم والعبر واستخلص همهم لمشاهدة عجائب منعمه في الحضر والسفر فأصبحوا راضين بجارى القدر منزهين قلوبهم عن التافى إلى متزهات البصر إلا على سبيل الاعتبار بما يسع في مسارج النظر ومجارى الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر . والصلاة على محمد خير البشر وعلى آله وصحبه المقتفين لأناره في الأخلاق والسير وسلم كثير .

(١) حديث الجهاد من جاهد نفسه وهواه الحاكم من حديث فضالة بن عبيد وصحبه دون قوله وهواه وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصلوة .

(كتاب آداب السفر)

خلقى وخلقى فجعل وقال
زبدانت أخوانا مولانا
فجعل « وكان حجل
جعفر قصة ابنه حمزة
لما اختصم فيها على
وجعفر وزيد . وأما
النكر للفرور بما
أنجس له من أعمال
الأخبار فيقال تبرك
إلى الله بالعبادة لشغل
جوارحك بها ولولانية
قلبك ما كان لعدل
جوارحك قدر فاعلم
الأعمال بالنيات ولكل
امرى ما نوى والنية
لتنظر لك إلى ربك خوفاً
أو رجاء فالسامع من
الشعر بيتاً يأخذ منه
معنى يذكره ربه إما
فرحاً أو حزناً أو انكساراً
أو افتقاراً كيف يقلب
قلبه في أنواع ذلك
ذاكراً لربه ولو سمع
صوت طائر طاب له ذلك
الصوت وتذكر في قدرة
الله تعالى وتوحيته
حجرة الطائر وتوسخيره
حلقه ومنشأ الصوت
وتأديته إلى الأصماع

[أما بعد] فإن السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن إلى الصحارى والقلوات وسفر بسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السموات وأشرف السفرة الباطن فإن الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقب الولادة الجامد على ما تلقاه بالتقليد من الآباء والأجداد لا يزدحم درجة القصور وقائع عربة القص ومقيد بتوسع فضاء - جنة عرضها السموات والأرض - ظلة السجن وضيق الحبس ولقد صدق القائل :

ولم أر في عيوب الناس عيباً كقص القادرين على التمام

إلا أن هذا السفر لما كان مقتحمه في خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل وخفير فانتضى غموض السبيل وقصد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندرس سالكه فاقطع فيه الرفاق وخلا عن الطافين منزهاً الأنس والملسكات والآفاق وإليه دعا الله سبحانه بقوله - سربهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وبقوله تعالى - وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسهم أفلا تبصرون - وعلى القعود عن هذا السفر وقع الإنكار بقوله تعالى - وإنكم لترون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون - وبقوله سبحانه - وكأين من آية في السموات والأرض يرون عليها وهم عنها معرضون - فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيرة منزهاً في جنة عرضها السموات والأرض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا تضيق فيه المناهل والوارد ولا يضر فيه التراحم والتوارد بل تزيد بكثرة للسافرين غناؤه وتضاعف ثمراته وفوائده فغناؤه دائماً غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة إلا إذا بدا للسافر قرة في سفره ووقفة في حركته فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا زاغوا أزاعغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون أنفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا البدان والتطواف في متزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنياً بها تجارة الدنيا وأخذ خيرة للأخرة فإن كان مطلبه العلم والدين أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكي سبيل الآخرة وكان له في سفره شروط وآداب إن أهملها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان وإن اظبط عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعالم الآخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين إن شاء الله تعالى . الباب الأول :

في الآداب من أول التهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان .

في الباب الأول من تلمه من رخص السفر وأدلة القبله والأوقات .

(الباب الأول في الآداب من أول التهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان :
النصل الأول في فوائد السفر وفضله ونيته)

اعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله آفات كاذكرناه في كتاب الصعبة والعزلة والفوائد الباشعة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب فإن السافر إما أن يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه وإما أن يكون له مقصد وطلب والمهرب عنه إما أمر له نكابة في الأمور الدينية كالطاعون والوباء إذا ظهر يلد أو خوف سببه فتنة أو خصومة أو غلاء سمر وهو إما عام كما ذكرناه أو خاص كمن يقصد بأفريقية في بلدة فيهرب منها وإما أمر له نكابة في الدين كمن ابتلى في بلدته بجاه ومال والتساع أسباب تصده عن التجرد لله فيؤثر القرية والحول ويحتجب السمة والجاه أو كمن يدعى إلى بدعة قهراً أو إلى ولاية عمل لأهل مباشرة فيطلب الفرار منه وأما المطلوب فهو إما دنيوي كالمال والجاه أو ديني والدين إما علم وإما عمل والعلم إما علم من العلوم الدينية وإما علم بأخلاق

(الباب الأول في الآداب من أول التهوض إلى آخر الرجوع)

كان في جميع ذلك
الفسر مسبحاً مقدماً
فإذا سمع صوت آدمي
وحضره مثل ذلك
الفكر وامتلأ بطنه
ذكراً وفكراً كيف
ينحصر ذلك . حكى
بعض الصالحين قال
كنت متسكناً في جامع
جدة على البحر فرأيت
يوماً طائفة يقولون في
جانب منه شيئاً
فأنكرت ذلك فبقي
وقلت في بيت من بيوت
الله تعالى يقولون
الشعر فرأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
في المنام تلك الليلة وهو
جالس في تلك الناحية
وإلى جنبه أبو بكر
وإذا أبو بكر يقول
شيئاً من القول والنبي
صلى الله عليه وسلم
يستمع إليه ويضع يده
على صدره كالواجد
بذلك فقلت في نفسي
ما كان ينبغي لي أن
أنكر على أولئك
الذين كانوا يسمعون
وهذا رسول الله

نفسه وصفاته على سبيل التجربة وإماعلم بآيات الأرض ومجائبها كسفر ذى القرنين وطوافه في نواحي الأرض والعمل إما عبادة وإما زيارة والبادة هو الحج والعمرة والجهاد والزيارة أيضا من القربات وقد قصد بها مكان كعبة وللمدينة وبيت المقدس والنفور فإن الرباط بها قرينة وقد يقصدها الأولياء والعلماء وهم إما موتى فزار قبورهم وإما أحياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر إلى أحوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه هي أقسام الأسفار ويخرج من هذه القسمة أقسام . القسم الأول : السفر في طلب العلم وهو إما واجب وإما نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا أو نفلا وذلك العلم إماعلم بأمر دينه أو بأخلاقه في نفسه أو بآيات الله في أرضه وقد قال عليه السلام « من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حق يرجع ^(١) » وفي خبر آخر « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ^(٢) » وكان سعيد بن السيب يسافر الأيام في طلب الحديث الواحد . وقال الشعبي لوسافر رجلا من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى ما كان سفره ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بانهم عن عبد الله بن أنيس الأنصاري عُدَّتْ به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جمعوه ^(٣) وكل من ذكر في العلم حصل له من زمان الصحابة إلى زماننا هذا لم يحصل العلم إلا بالسفر وسافر لأجله وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضا منهم فإن طريق الآخرة لا يمكن سلوكها إلا بتيسير الخلق وتهديده ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبايا صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وإنما السفر هو الذي يسفر عن أخايق الرجال وبه يخرج الله الحب في السموات والأرض وإنما معنى السفر سفرنا لأنه يسفر عن الأخلاق ولذلك قال عمر رضى الله عنه للذي زكى عنده بعض اليهود هل محبته في السفر الذي يستدل به على مكارم أخلاقه فقال لا فقال ما أراك تعرفه . وكان بشر يقول يامعشر القراء سيجوا تظيئوا فإن الماء إذا ساح طاب وإذا طال مقامه في موضع تغير . وبالجملة فإن النفس في الوطن مع موادة الأسباب لا تظهر غياث أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المهودة فإذا حملت وعشاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتنحت بمشاق الغربة انكشفت غواياها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاستغفال بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب الغزلة فوائد الخاطلة والسفر مخاطلة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق . وأما آيات الله في أرضه ففي مشاهدتها فوائد لتستبصر فيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراى والبحار وأنواع الحيوان والنبات وملمن شئ . منها إلا هو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له لسان ذلق لا يدركه إلا من ألقى السمع وهو شهيد وأما الجاحدون والمغالون والمضترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يصرون ولا يسمعون لأنهم عن السمع معزولون وعن آيات زهرهم محجوبون - يملون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وما أريد بالسمع السمع الظاهر فالذين يريدوا به ما كانوا معزولين عنه وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات ويشارك الإنسان فيه

(١) حديث من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حق يرجع الترمذى من حديث أنس وقال حسن غريب (٢) حديث من سلك طريقا يلتمس فيه علما الحديث رواه مسلم وتقدم في العلم (٣) حديث رحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مسيرة شهر في حديث بلنه عن عبد الله ابن أنيس الخطيب في كتاب الرحلة بإسناد حسن ولم يسم الصحابي وقال البخارى في صحيحه رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبدالله بن أنيس في حديث واحد ورواه أحمد إلا أنه قال إلى الشام وإسناده حسن وأحمد أن أبابوب ركب إلى عقبة بن عامر إلى مصر في حديث وله أن عقبة بن عامر

صلى الله عليه وسلم
يسمع وأبو بكر إلى
جنبه يقول فالتفت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يقول هذا
حق بحق أو حق من
حق بلى إذا كان
ذلك الصوت من أمرد
يغنى بالنظر إليه
الفتنة أو من امرأة غير
محرم وإن وجد من
الأذكى والأفكار
ما ذكرنا يحرم معاه
لخوف الفتنة لا لهرود
الصوت ولكن يجعل
مع الصوت حريم
الفتنة ولكل حرام
حريم ينسحب عليه
حكم للنوع لوجه الصلحة
كاقبلة للشباب الصائم
حيث جعلت حريم
حرام الوقع وكالحلوة
بالأجنبية وغير ذلك
فصل هذا قد تفتنى
للصلحة للنوع من المعام
إذا علم حال السامع
وما يؤدبه إليه معاه
فيجبل للنوع حريم
الحرام هكذا وقد
ينكر الطبع جامد

سائر الحيوانات فأما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال الذي هو نطق وراءه نطق للقال يشبه قول القائل حكاية لكلام الوجد والخالط قال الجدار للوجد لم تشقني فقال سمن بدقني ولم يتركني ورأى الحجر الذي ورأى وما من ذرة في السموات والأرض إلا ولها أنواع شهادات لله تعالى بالوحداية هي توحيدها وأنواع شهادات لسانها بالقدس هي تسبيحها - ولكن لا يفقهون تسبيحها - لأنهم لم يسافروا من مضيق مع الظاهر إلى فضاء مع الباطن ومن ركافة لسان للقال إلى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصا بهم منطلق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بهجاء كلام الله تعالى الذي يجب تقديمه عن مشابهة الحروف والأصوات ومن يسافر ليستقري هذه الشهادات من الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات الجادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويرغب قلبه فتفتح بهجاء ثقات التسيحات من آحاد الذرات ثماله وقلتردد في الغاوت وله غنية في ملكوت السموات فالشمس والقمر والنجوم بأمره مسخرات وهي إلى أبصار ذوي البصائر مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دابة في الحركة على توالي الأوقات فمن الغرائب أن يدأب في الطواف بأحد الساجد من أمرت الكعبة أن تطوف به ومن الغرائب أن يطوف في أكناف الأرض من تطوف به أقطار السماء ثم مادام للسافر مفتقرا إلى أن يصير عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في التزل الأول من منازل السائر إلى الله وإلى السافرين إلى حضرته وكأنه متكف على باب الوطن لم يغض به للسير إلى مقصع القضاء ولا سبب لطول اللقار في هذا التزل إلا الجبن والقصور ولذلك قال بعض أرباب القلوب إن الناس يقولون اتحموا أعينكم حتى تصروا وأنا أقول تخمضوا أعينكم حتى تصروا وكل واحد من القولين حق إلا أن الأول خير عن التزل الأول القريب من الوطن والثاني خير عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطؤها إلا غاظر بنفسه والمجاوز إليها بما يتيه فيها نسين وربما يأخذ التوفيق بيده فيرشده إلى سواء السبيل والمالكون في التيه هم الأكثرون من ركاب هذه الطريق ولكن السامعون بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك القيم وهم الذين مفتقطن من الله الحسنى واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فانه يدل بالانفاضة إلى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم الخلق لم يزل يوسعهم الذي يهلك أكثر من الذي يملك ولا يحدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وسطول الذهب: وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

وما أودع الله العز والملك في الدين والدنيا إلا في حيز الخطر وقد يسمى الجبان الجبين والقصور باسم الحزم والحذر كما قيل:

ترى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللثيم

فهذا حكم السفر الظاهر إذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الله في الأرض. فلنرجع إلى الفرض الذي كنا قصده ولنبين القسم الثاني: وهو أن يسافر لأجل العبادة إما للحج أو جهاد وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه وأعماله الظاهرة والباطنة في كتاب أسرار الحج ويدخل في جملة زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء وكل من يتبرك بعشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الفرض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى» (١) لأن ذلك في المساجد فاتها متاثرة بعد هذه المساجد وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء

آتي صلة بن محمد وهو أمير مصر في حديث آخر وكلامها منقطع (١) حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الحديث تقدم في الحج.

الطبع عديم الذوق فيقال له: العين لا يعلم لذة الوقع والكسوف ليس له بالجمال الباربع استمتاع وغير الصاب لا يتكلم بالاسترجاع فنادا ينكره من محب تربي باطنه بالشوق والمهبة ويرى انجاس روحه الطيارة في مضيق قصص النفس الأمارة يمر روحه نسيم أنس الأوطان وتلوح له طالع جنود العرفان وهو بوجود النفس في دار القربة يتجرع كأس المجران يئن تحت أعباء المجاهدة ولا تحمل عنه سوانح المشاهدة وكلما قطع منازل النفس بكثرة الأعمال لا يقرب من كعبة الوصول ولا يكشف له للسبل من الحجاب فيتروح بنفس الصعداء ويرتاح باللائح من شدة البرحاء ويقول مخاطبا للنفس والشیطان وما للسانان: أيا جيلتي نمان باقة خليا

يرأسل الفضل وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله . وبالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات والقائمة من زيارة الأحياء طلب بركة السماء وبركة النظر إليهم فإن النظر إلى وجوه الماء والصالحين عبادة وفيه أيضاً حركة للربة في الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم هذا سوى ما ينظر من القوائد الطبية الصنفية من أنفاسهم وأصنافهم كيف ومجرد زيارة الإخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصحة وفي التوراة : سر أربعة آميال ذرأخاً في الله . وأما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى الساجدة الثلاثة وسوى الثغور الرباط بها فالحدث ظاهر في أنه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى الساجدة الثلاثة وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحج ، وبيت المقدس أيضاً فيه فضل كبير خرج ابن عمر من المدينة قاصداً بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعاً من القدس إلى المدينة وقد سأل سليمان عليه السلام ربه عز وجل أن من قصد هذا المسجد لا يئس إلا الصلاة فيه أن لا تصرف نظرك عنه مادام مقبياً فيه حتى يخرج منه أن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك . القسم الثالث : أن يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك أيضاً حسن فالفرار عما لا يطاق من سنن الأنبياء والمرسلين . وما يجب الهرب منه من سبب مشوش والجلد وكثرة العلائق والأسباب فإن كل ذلك يشوش فراغ القلب والدين لا يلبس إلا بقلب فارغ عن غير الله فإن لم يتم فراغه فقد فرغه فرائغه يتصور أن يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتبسيطها وقد نبأ المتفنون وهلك المتفنون والحمد لله الذي لم يخلق النجاة بالفراغ السلق عن جميع الأوزار والأعباء بل بقل الخفف بفضل وشمله بسمه رحمة والخفف هو الذي ليست الدنيا أكبره وذلك لا يتيسر في الوطن لمن السع جاهده وكثرت علاقته فلا يتم مقصوده إلا بالهجرة والحول وقطع العلائق التي لا بد منها حتى يروض نفسه مدة مديدة ثم يهاج به الله بموته فيمن عليه بما يقوى به يقينه ويعلمن به قلبه فيستوى عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الأسباب والعلائق وعدمها فلا يصد شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله وذلك مليم وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والتصور عن الاتساع لخلق الخالق وإنما يسعد بهذه القوة الأنبياء والأولياء والوصول إليها بالكسب شديد وإن كان للاجتهاد والكسب فيها مدخل أيضاً ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه كثرة تفاوت القوة الظاهرة في الأعضاء فرب رجل قوى ذي مرة سوية شديدة الأعصاب محكم البنية يستقل بمحمل ما وزنه ألف رطل مثلاً فلو أراد الضعيف المريض أن ينال رتبته بممارسة الحمل والتدرج فيه قليلاً قليلاً لم يقدر عليه ولكن اللامسة والجهد يزيد في قوته زيادة ما وإن كان ذلك لا يسلطه درجته فلا ينبغي أن يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا فإن ذلك غاية الجهد ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف رضي الله عنهم مفارقة الوطن خيفة من الفتن وقال سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الحامل فكيف على الشهرين هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد كلما عرف في موضع تحول إلى غيره . وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد علق قلته يده ووضع جرابه على ظهره فقلت إلى أين يا أبا عبد الله قال بلغني عن قرية فيها رخص أريد أن أقم بها فقلت له وتفضل هذا قال نعم إذ لم يكن أن قرية فيها رخص فأقم بها فإنه أسلم لدينك وأقل لحملك وهذا هرب من غلاء السعر وكان سري السعطي يقول للصوفية إذا خرج الشتاء قد خرج أذار وأورقت الأشجار وطاب الانتشار فانتشروا وقد كان الحواس لا يقيم يبلد أكثر من أربعين يوماً وكان من التوكلين ويرى الإقامة اعتقاداً على الأسباب قاذفاً في التوكل وسيأتي أسرار الاعتقاد على الأسباب في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى . القسم الرابع : السفر هرباً عما يقدح في البدن كالطاعون أو في المال كغلاء السعر

نسب الصباغ إلى
نسيها

فإن الصبا ربح إذا
ما تفتست

على قلب عزون تجلت
هموما

أجد بردها أوتشف
من حرارة

على كبد لم يبق إلا
صميمها

ألا إن أدوائى بلبلى
قدمة

وأقتل داء العاشقين
قدعها

ولعل المنكر يقول هل
الحبة إلا امتثال الأمر

وهل يعرف غير هذا
وهل هناك إلا الخوف

من الله ويشكر الحبة
الخاصة التي تختص

بالعلماء الراسخين
والأبدال المقربين ولما

تقرر في فهمه القاصر
أن الحبة تستدعي

مثلاً وخيلاً وأجاساً
وأنشكالا أنكر حبة

القوم ولم يحلم أن القوم
يلموا في رتب الإيمان

إلى أمم من المحسوس
وجادوا من فرط

أو ما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب القرار في بعض المواضع وربما يستحب في بعض بحسب وجوب ما يرتب عليه من الفوائد واستجابته ولكن يستثنى من الطاعون فلا ينبغي أن يفتر منه لورود النبي فيه قال أسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الوبع أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قديمكم ، ثم بقي بعد في الأرض فيلبس اللة ويأتى الأخرى فمن مع به في أرض فلابية دمن عليه ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرج منه القرار منه (١) » وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « إن فناء أمتي بالطعن والطاعون قتل هذا الطعن قد عرفناه في الطاعون قال غدة كعدة البعير نأخذهم في مراقهم للسلم لبيت منه شهيد والقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله والفار منه كالفار من الزحف (٢) » وعن مكحول عن أم أيمن قالت « أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بالمشرك بالله شيئا وإن عذبت أو حرقت وأطعم والدك وإن أمارك أن تخرج من كل شيء هلك ما خرج منه ولا تترك الصلاة عمدا فإن من ترك الصلاة عمدا قد برئت ذمة الله منه وإياك والمحرفات مفتاح كل شر وإياك واللصبة فإنها تسخط الله ولا تفر من الزحف وإن أصاب الناس موتان وأنت فيهم فابتن بهم أنفق من طولك على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم أخفهم بالله (٣) » فهذه الأحاديث تدل على أن القرار من الطاعون منهى عنه وكذلك القدوم عليه وسيأتي شرح ذلك في كتاب التوكل فهذه أقسام الأسفار وقد خرج منه أن السفر ينقسم إلى ملموم وإلى محمود وإلى مباح والذموم ينقسم إلى حرام كالقبول العبد وسفر العاق وإلى مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم إلى واجب كالخروج وطلب العلم الذي هو فرض على كل مسلم وإلى مندوب إليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهد ومن هذه الأسباب تبين النية في السفر فإن معنى النية الانبعاث لسبب الباعث والانتهاض لإجابة الداعية ولتكن نية الآخرة في جميع أسفاره وذلك ظاهر في الواجب وللندوب ومحال في المكروه والمحظور . وأما الباعث فمرجه إلى النية فهما كان قصده بطلب للمثل التصف عن السؤال ورعاية ستر الرواة على الأهل والعيال والتصدق بما يغضل عن مبلغ الحاجة صار هذا الباعث بهذه النية من أعمال الآخرة ولو خرج إلى الحج وباعته الرياء والسمة لخرج عن كونه من أعمال الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات (٤) » لقوله صلى الله عليه وسلم الأعمال بالنيات عام في الواجبات والندوبات والباحات دون المحظورات فإن النية لا تؤثر في إخراجها عن كونها من المحظورات وقد قال بعض السلف : إن الله تعالى قد وكل بالسفرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدكم فيعطى كل واحد على قدر نية فمن كانت نية الدنيا أعطى منها وقص من آخرته أمثاله وفرق عليه همه وكثر الحرص والرغبة شغفه ومن كانت نية الآخرة أعطى من البصيرة والحكمة والفطنة وقص له من التذكرة والعبرة بقدر نية وجمع له همه ودعت له للتأني واستغفرت له . وأما النظر في أن السفر هو الأفضل أو الأقامة فذلك يضاهي النظر في أن الأفضل هو العزلة أو الخلطة وقد ذكرنا منها في كتاب العزلة فليتهم ههنا فإن السفر نوع خلطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب في حتى الأكثرين والأفضل في هذا ما هو الأعون على الدين ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله تعالى

(١) حديث أسامة بن زيد إن هذا الوبع أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم الحديث متفق عليه واللفظ لمسلم (٢) حديث عائشة إن فناء أمتي بالطعن والطاعون الحديث رواه أحمد وابن عبد البر في التمهيد بإسناد جيد (٣) حديث أم أيمن أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أهله بالمشرك بالله شيئا وإن حرقت بالدار البيهقي وقال فيه إرسال (٤) حديث الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم .

الكشف والبيان بالأرواح والنفوس .
 روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه ذكر غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأخيه من خلق السماء قالت الله قال من خلق الأرض قالت الله قال من خلق الجبال قالت الله قال من خلق النجم قالت الله فقال إنني أجمعه شأنا وربي بنفسه من الجبل فتقطع فاجلجأل الأزل إلى الإلهى منكشف للأرواح غير مكيف للعقل ولا مفسر لفهم لأن العقل موكل بالعلم الشهادة لا بهتدي من الله سبحانه إلا إلى مجرد الوجود ولا يتطرق إلى حريم الشهود للتجلى في طي القيب المنكشف للأرواح بلاريب وهذه رتبة من مطالعة الجمال رتبة خاصة وأعم منها من رتب المحبة الخالصة

وتحصيل الأنس بذكر الله تعالى والأنس يحصل بدوام الذكر والعرفة تحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء والاقامة هي العينة على العمل بالعلم في الانتهاء وأما السياحة في الأرض على الهواء فمن الشوشات للقلب إلى حق الأقوياء فان السافر وماله لعل قلق الإماوى الله فلا يزال السافر مشغول القلب بتارة بالخوف على نفسه وماله وتارة بفارقة ما آله واعتاده وإقامته وإن لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف إلى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام أمياب الطمع ثم الشغل بالخط والترحال مشوش بجميع الأحوال ، فلا ينبغي أن يسافر المرید إلا في طابع علم أو مشاهدة شيخ يقتدى به في سيرته وتنفاد الرغبة في الخير من مشاهدته فان اشتغل بنفسه واستبصر وانتفع له طريق الفكر أو العمل فالكون أولى به إلا أن أكثر متصوفة هذه الأعصار لماخلت بواطهم عن لطائف الأفكار ودقائق الأعمال ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين قد ألقوا البطالة واستقلوا العمل واستوعروا طريق الكسب واستلناوا جانب السؤال والكدية واستطابوا الرباطات البنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم للتصيين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم وأديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمة وانتشار الصيت واقتناص الأموال بطريق السؤال تمايلا بكرة الأتباع فلم يكن لهم في الخاتقات حكم نافذ ولأناديب المریدین نافع ولا حرج عليهم قاهر فلبسوا للرقات واتخذوا في الخاتقات منزعات وربما تلقفوا ألفاظا مزخرفة من أهل الطامات فيظنون إلى أنفسهم وقد تشبوا بالقوم في خرقهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بأنفسهم خيرا ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ويستقدون أن كل سوداء نعمة ويتوهمون أن المشاركة في الظاهر توجب للسامعة في الخاتقات وهيات لما أغزر حماقة من لا يميز بين الشعم والورم فهو لاء بضاض الله فان الله تعالى يفض الشاب الفارغ ولم يحمهم على السياحة إلا للشباب والفراغ إلا من سافر لحج أو عمرة في غير رياء ولا حمة أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به في علمه وسيرته وقد دخلت البلاد عنه الآن والأمور الدينية كلها قد فسدت وضعت إلا التصوف فانه قد أمتعق بالكية وبطل لأن العلوم لم تدرس بعد والمالم وإن كان عالم سوء فائما فساده في سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم وأما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ماسوى الله وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فات الأمل وفي أسفار هؤلاء نظر لفقهائهم من حيث إنه إغاب للنفس بلا فائدة وقد يقال إن ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا أن نحكم بالإباحة فان حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وإن كانت خسية فنفوس المتحررين لهذه الحظوظ أيضا خسية ولا بأس باتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود إليه فهو التأذى والتلذذ والتموى تقتضي تشييت العوام في البياحات التي لا تنفع فيها ولا ضرر فالسائحون في غير مهم في الدين والدنيا بل لخص التفرج في البلاد كالبهايم للترردة في الصحارى فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم وإنما عصيانهم في التلبس والسؤال على اسم التصوف والأكل من الأوقاف التي وقفت على الصوفية لأن الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات أخر وراء الصلاح ومن أقل صفات أحوال هؤلاء أكلمهم أموال السلاطين وأكل الحرام من الكسبائر فلا تنقي معه المدالة والصلاح ولو تصور صوفي فاسق لتصور صوفي كافر وفقه يهودى وكما أن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذى يحصل به المدالة ، وكذلك من نظر إلى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم .

دون العامة . مطالعة
جمال الكمال من
الكبرياء والجلال
والاستقلال بالمنع
والنوال والصفات
للنقصة إلى مآظير
منها في الآباد ولازم
الذات في الآزال فللكمال
جمال لا يدرك بالحواس
ولا يستنبط بالقياس
وفي مطالعة ذلك الجمال
أخذ طائفة من الهين
خصوا بتجلى الصفات
ولهم بحسب ذلك ذوق
وشوق ووجد وسماع
والأولون منحوا قسما
من تجلى الذات فكان
وجدهم على قدر الوجود
وسماعهم على حيد
الشهود . وحكى بعض
للشايخ قال رأينا جماعة
من عيشى على الماء
والهواء . يسمعون
السماع ويمجدون به
ويشبهون عنده .
وقال بعضهم كنا على
الساحل فسمع بعض
إخواننا لجمل يتقلب
على الماء بحر . ويحيى
حتى رجع إلى مكانه .

وأعظم من ماله على سبيل التقرب إلى الله تعالى حرم عليهم الأخذ وكان ما أكلوه سحتا وأعنى به إذا كان المعطى بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم فأخذ المال بظاهر التصوف من غير اتصاف بحقيقته كأخذه بظاهر نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ، ومن زعم أنه علوى وهو كاذب وأعطاه مسلم مالا جلبه أهل البيت ولو علم أنه كاذب لم يعطه شيئا فأخذه على ذلك حرام وكذلك الصوفى ولهذا احتراز المحتالون عن الأكل بالدين فإن البالغ في الاحتياط لدينه لا ينفك في باطنه عن عورات لو انكشف للراغب في مواساته لفترت رغبته عن الواساة فلا جرم كانوا لا يشترون شيئا بأنفسهم مخافة أن يساعوا لأجل دينهم فيكونوا قد أكلوا بالدين وكانوا يوكلون من يشتري لهم ويشترطون على الوكيل أن لا يظهر أنه لمن يشتري فم إنما يحل أخذ ما يعطى لأجل الدين إذا كان الآخذ بحيث لو علم المعطى من باطنه ما يعطيه الله تعالى لم يقض ذلك فتورا في رأيه فيه والعاقل النصف يعلم من نفسه أن ذلك ممتنع أو عزيز والقرور الجاهل بنفسه أخرى بأن يكون جاهلا بأمر دينه فإن أقرب الأشياء إلى قلبه فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف يتكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لامحالة أن لا يأكل إلا من كسبه ليأمن من هذه العائلة أو لا يأكل إلا من مال من يعلم قطعا أنه لو انكشف له عورات باطنه لم يمنعه ذلك عن مواساته فإن اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره فليصرح له وليقل إنك إن كنت تعطى لما تقتد به من الدين فلست مستحقا لذلك ولو كشف الله تعالى سري لم ترضي بعين التوقير بل اعتقدت أني شر الخلق أو من شرارهم فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ فانه ربما يرضى منه هذه الحصة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه ولكن ههنا مكيدة للنفس بينة ومخادعة فليتنظرن لها وهو أنه قد يقول ذلك مظهرا أنه متشبه بالصالحين في ذمهم بقوسهم واستحقاقهم لها ونظرهم إليها بعين القصد والازدراء فتكون سورة الكلام صورة القدح والازدراء وباطنه وروحه هو عين اللذخ والاطراء ، فكفر من ذام نفسه وهو لها مدام بعين ذمه قدم النفس في الخلوة مع النفس هو الممود وأما اللهم في اللأ فهو عين الرياء إلا إذا أوردته إيرادا يحصل للمتبع يقينا بأنه مقدر للذنوب ومعتز بها وذلك مما يمكن تنهيه بقرائن الأحوال ويمكن تلبسه بقرائن الأحوال والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم أن مخادعته لله عز وجل أو مخادعته لنفسه محال فلا يتعدر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك فهذا هو القول في أقسام السفر ونية السافر وفضيلته .

(الفصل الثاني في آداب السافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهي أحد عشر أدبا)

الأول أن يبدأ برد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته وبرد الدائع إن كانت عنده ولا يأخذ راجه إلا الحلال والطيب وليأخذ قدر ما يوسع به على رفاقه . قال ابن عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل طبيب زاده في سفره ولا يبدى السفر من طب الكلام وإطعام الطعام وإظهار مكارم الأخلاق في السفر فانه يخرج خبايا الباطن ومن صاح لصحة السفر صلح لصحة الحضر وقد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر ولذلك قيل إذا أتى على الرجل معاملة في الحضر ورقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه والسفر من أسباب الضرر ومن أحسن خلقه في الضرر فهو الحسن الخلق ولا تضد مساعدة الأهل على وفق الفرض فلما يظهر سوء الخلق . وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضرر : الصائم والمريض والمسافر . وتعمد حسن خلق المسافر الإحسان إلى المساكين ومعاونة الرقعة بكل ممكن والرفق بكل منقطع بأن لا يجاوزه إلا بالاعانة بمركوب أو زاد أو توقف لأجله وتعمد ذلك مع الرقعة بمزاح ومطايبة في بعض الأوقات من غير غش ولا حيلة ليكون ذلك شفاء لضرر السفر ومشاقه . الثاني : أن يختار رفيقا .

وقيل أن بعضهم كان يتقلب على النار عند السجود ولا يحس بها .
وقيل أن بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السجود فأخذ شمعة فجعلها في عينه قال الناقل قربت من عينه أنظر فرأيت نارا أو نوراً يخرج من عينه يرد نار الشمعة . وحكى عن بعضهم أنه كان إذا وجد عند السجود ارتفع من الأرض في الهواء أذرعاً ويمر بجي . فيه . وقال الشيخ أبو طالب الكي رحمه الله في كتابه إن أنكرنا السجود مجرأ مطلقاً غير مقيد بمفصل يكون إنكاراً على سبعين صديقا وإن كنا نعلم أن الإنكار أقرب إلى قلوب القراء والتعبدين إلا أننا لا نعلم ذلك لأننا نعلم ما يصلحون ومعنا عين السلف من الأصحاب والتابعين ما لا يسمعون وهذا قول الشيخ عن

ولا يخرج وحده فترقب ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يمينه على الدين فذكره إذا نسي وبعينه ويساعده إذا ذكره من الرعي دين خليله ولا يعرف الرجل إلا برفيقه وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن أن يسافر الرجل وحده ^(١) وقال الثلاثة نفر ^(٢) وقال أيضاً إذا كنتم ثلاثة في السفر فأمرؤا أحداكم ^(٣) وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هذا أميرنا أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٤) وليؤمروا أحسنهم أخلاقاً وأرقهم بالأهمل وأسرعهم إلى الابتاز وطلب المواقفة وإنما يحتاج إلى الأمير لأن الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام إلا في الوحدة ولا فساد إلا في الكثرة وإنما انتظم أمر العالم لأن مدبر الكل واحد لو كان فيها آلهة إلا الله لفسد تأويمهما كان للبر واحد انتظم أمر التدبير وإذا كثرت الدبرون فسدت الأمور في الحضرة والسفر إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام كأمير البلد وأمير خاص كرب الدار وأما السفر فلا يتعين له أمير إلا بالتمام فلهذا وجب التأمر ليجتمع شتات الآراء ثم على الأمير أن لا ينظر إلا مصلحة القوم وأن يجعل نفسه وقاية لهم كما قيل عن عبد الله الروزي أنه صحبه أبو علي الرباطي فقال على أن تكون أنت الأمير أو أنا فقال بل أنت فلم يزل يعمل الزاد لنفسه ولأبي على ظهره فأمرت الجمادات ليلة قيام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه وفي يده كساء يمنع عنه المطر فكان قال له عبد الله لا تفعل يقول لم تقبل إن الامارة مسللة لي فلا تتحكم على ولا ترجع عن قولك حتى قال أبو علي وددت أني مت ولم أقل له أنت الأمير ، فهكذا ينبغي أن يكون الأمير وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير الأصحاب أربعة ^(٥) » ونخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد لابد أن يكون له فائدة والذي ينقدح فيه أن المسافر لا يخلو عن رجل يحتاج إلى حفظه وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها ولو كانوا ثلاثة لكان للتردد في الحاجة واحدا فيتردد في السفر بل رفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب فقد أنس الرفيق ولو تردد في الحاجة اثنان لكان الحافظ للرجل واحدا فلا يخلو أيضاً عن الخطر وعن ضيق الصدر فاذن مادون الأربعة لا يفي بالمقصود وما فوق الأربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة واحدة فلا ينقدح بينهم الترافق لأن الخامس زيادة بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا تتصرف المهمة إليه فلا تتم المرافقة معه نعم في كثرة الرقاء فائنة للأمن من المخاوف ولكن الأربعة خير للرافقة الخاصة لا للرافقة العامة وكهمن رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلف ولا يخالط إلى آخر الطريق للاستغناء عنه . الثالث : أن يودع رقاء الحضرة والأهل والأصدقاء وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم بحب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة حرسها الله فلما أردت أن أفارقه شيعني وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال لقمان إن الله تعالى إذا استودع شيئاً حفظه وإن استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك ^(٦) » وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث النهي عن أن يسافر الرجل وحده أحمد من حديث ابن عمر بسند صحيح وهو عند البخاري بإسناد لو يعلم الناس ما في الوحدة ما سار راكب لبلى وحده (٢) حديث الثلاثة نفر رويناه من حديث علي في وصيته الشهيرة وهو حديث موضوع والمعروف الثلاثة ركب رواه أبو داود وترمذي وحسنه النسائي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٣) حديث إذا كنتم ثلاثة فأمرؤا أحداكم الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (٤) حديث كانوا يفعلون ذلك ويقولون هو أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم البزار والحاكم عن عمر أنه قال إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمرؤا أحداكم هذا أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث حب الأصحاب أربعة أبو داود والترمذي والحاكم من حديث ابن عباس قال الترمذي حسن عريب وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث ابن عمر قال لقمان إن الله إذا

علمه الوافر بالسنة والآثار مع اجتباها وغمر به الصواب ولكن نيسط لأهل الانكار لسان الاعتذار ونوضح لهم الفرق بين صانع يؤثر وبين صانع ينكر وسمع الشبلي قائلا يقول :

أسألك عن سلى فهل من غير يكون له علم بها ابن تزل

فرقع الشبلي وقال لا والله ما في الدارين عنه غير . وقيل الوجد سر صفات الباطن كما أن الطاعة سر صفات الظاهر وصفات الظاهر الحركة والسكون وصفات الباطن الأحوال والأخلاق . وقال أبو نصر السراج أهل الساج على ثلاث طبقات يقوم رجعون في مناعهم إلى مخاطبات الحق لهم فيها يسعون وقوم يرجعون فيها يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم ومقامهم وأوقاتهم

أنه قال « إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة (١) » وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ودع رجلا قال « زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك إلى الخير حيث توجهت (٢) » فهذا دعاء القم للصودع وقال موسى بن وردان أن أبا هريرة رضى الله عنه أودعه لسفر أردته فقال ألا أعلمك يا ابن أخي شيئا علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع قلت بلى قال قل « أستودعك الله الذى لا تضيع ودائمه (٣) » وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إني أريد سفرا فأوصني فقال له في حفظ الله وفى كفه زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت أو أبنا كنت (٤) » شك فيه الراوى . ويبنى إذا استودع الله تعالى ما خلفه أن يستودع الجميع ولا يخصى فقد روى أن عمر رضى الله عنه كان يعطى الناس عطاياهم إذا جاءه رجل معه ابن له فقال له عمر : ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال له الرجل أحدثك عن يا أمير المؤمنين بأمره إني أردت أن أخرج إلى سفروا معه حامل به فالتفت فخرج وتدعى على هذه الحالة قتلت أستودع الله ما فى بطنك فخرجت ثم قدمت فإذا هى قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذا النار فقالوا هذه النار من قبر فلانة تراها كل ليلة فقلت والله إنها كانت لصوامة قوامة فأخذت العلول حتى اتينا إلى القبر فخرنا فإذا سراج وإذا هذا القلم يدب قيل لى إن هذه ودينتك ولو كنت استودعت أم لو جدتها فقال عمر رضى الله عنه : لهو أشبه بك من الثراب بالغراب . الرابع : أن يصلى قبل سفره صلاة الاستخارة كما وصفناها في كتاب الصلاة ووقت الخروج يصلى لأجل السفر فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فالى أى الثلاثة أدفعها إلى ابنى أم أخى أم أبى فقال النبي ﷺ ما استخلف عبد فى أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصلين فى بيته إذا عدت عليه ثياب سفره يقرأ فىها سورة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم إني أتقرب بهن إليك فأخلفن بهن فى أهلى ومالى فهى خليفته فى أهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع إلى أهله (٥) » الخامس : إذا حصل على باب الدار فليقل باسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو أجهل على فإذا مضى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت تقى وأنت رجاى فأكفى ما أحمى وما لا أهتم به وما أنت أعلم بهمنى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زدنى التقوى واغفر لى ذنبي ووجهنى للخير أينما توجهت ، وليدع بهذا الدعاء فى كل منزل يرحل عنه فإذا ركب الدابة فليقل باسم الله وبالله

استودع شيئا حفظه وإن استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك للناس فى اليوم واليلة ورواه أبو داود مختصرا وإسناده جيد (١) حديث زيد بن أرقم إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله جاعل له فى دعائهم البركة الخراطلى فى مكارم الأخلاق بسند ضيف (٢) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن إذا ودع رجلا قال زدك الله التقوى الخراطلى فى مكارم الأخلاق والحاملى فى الدعاء وفيه ابن لهية (٣) حديث أبي هريرة أستودعك الله الذى لا تضيع ودائمه ابن ماجه والنسائى فى اليوم واليلة بإسناد حسن (٤) حديث أنس أن رجلا قال إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فالى أى الثلاثة أدفعها إلى أبى أم أخى أم امرأتى فقال ما استخاف عبد فى أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات الحديث الخراطلى فى مكارم الأخلاق وفيه من لا يعرف .

مرتبطون بالصلى ومطالبون بالصديق فيما يشيرون فيه من ذلك ونومهم الفقراء المبردون الذين قطعوا العلائق ولم تتلوث قلوبهم بحبة الدنيا والجمع وللشع فهم يسمون لطيفة قلوبهم ويليق بهم السماع فهم أقرب الناس إلى السلامة وأسلمهم من الفتنة وكل قلب ملوث بحبة الدنيا فسماعه سماع طبع وتكلف وسئل بعضهم عن التكلف فى السماع فقال هو على ضربين : تكلف فى السمع لطلب جاه أو منفعة دنيوية وذلك تلبس وخيانة وتكلف فيه لطلب الحقيقة كن يطلب الوجد بالتواجد وهو بمنزلة التباكى الندوب إليه وقول القائل إن هذه الهيئة من الاجتماع بدعة يقال له إنما البدعة المهدورة المنوع منها

والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه
 القدي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإننا إلى ربنا لمنقلبون فإذا استوت الدابة تحته فليقل - الحمد لله
 القدي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت السمان على
 الأمور - السادس : أن يرحل عن المنزل بكرة . روى جابر « أن النبي صلى الله عليه وسلم رحل يوم
 الخميس وهو يريد تبوك وقال « اللهم بارك لأمتي في بكورها » (١) ويستحب أن يبتدىء بالخروج
 يوم الخميس ، فقد روى عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال فلما كان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس (٢) . وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتي
 في بكورها يوم السبت » وكان عليه السلام إذا بحث سرية بشها أول النهار (٣) . وروى أبو هريرة رضى الله
 عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها » (٤) وقال عبد الله بن عباس :
 إذا كان لك إلى رجل حاجة فاطلبها منه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فاني سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول « اللهم بارك لأمتي في بكورها » (٥) ولا ينبغي أن يسافر بعد طلوع الفجر من يوم
 الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب إليها فكان أوله من أسباب وجوبها والتشجيع للوداع
 مستحب وهو سنة قال صلى الله عليه وسلم « لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكتفنه على رحله غدوة
 أو روضة أحب إلى من الدنيا وما فيها » (٦) . السابع : أن لا يزل حتى يحصى النهار فهي السنة ويكون
 أكثر مزيهه بالليل قال عليه السلام « عليكم بالليلة فإن الأرض تطوى بالليل لا تطوى بالنهار » (٧) ومهما
 أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أظللن ورب
 الشياطين وما أظللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله
 وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شرارهم فاذا زل المنزل فليصل فيه ركعتين
 ثم يقرأ اللهم إلى أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فادأجن عليه
 الليل فليقل يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك ومن شر ما فيك ومن شر ما دبك عليك أعوذ بالله
 من شر كل ألد وأسود وحيد وعقرب ومن شر ما كفى البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار
 وهو المسيح الطيم ومهما علا شرفا من الأرض في وقت السير فيبغى أن يقول : اللهم لك الشرف على
 كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبعا ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحانه لللك
 القدوس رب اللالك والروح جلت السموات بالغة والجبروت . الثامن : أن يحتاط بالنهار فلا يمشى
 (١) حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس يريد تبوك وقال اللهم بارك لأمتي في بكورها
 رواه الخرائطي ، وفي السنن الأربعة من حديث صخر العامري اللهم بارك لأمتي في بكورها قال
 الترمذي حديث حسن (٢) حديث كعب بن مالك فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج
 إلى سفر إلا يوم الخميس والسبت البزار مقتصر على يوم خميسها والخرائطي مقتصر على يوم السبت
 وكلاهما ضعيف (٣) حديث كان إذا بحث سرية بشها أول النهار الأربعة من حديث صخر العامري
 وحسنه الترمذي (٤) حديث أبي هريرة اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها ابن ماجه والخرائطي
 في مكالم الأخلاق واللفظ له وقال ابن ماجه يوم الخميس وكلا الإسنادين ضعيف (٥) حديث ابن عباس
 إذا كانت لك إلى رجل حاجة فاطلبها إليه نهارا الحديث البزار والطبراني في الكبير والخرائطي في
 مكالم الأخلاق واللفظ له وإسناده ضعيف (٦) حديث لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكتفنه
 على رحله غدوة أو روضة أحب إلى من الدنيا وما فيها ابن ماجه بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس
 (٧) حديث عليكم بالليلة الحديث تقدم في الباب الثاني من الحج .

بدعة تزامم سنة
 مأمورهاها وما لم يكن
 هكذا فلا بأس به وهذا
 كالقيام للدخول يمكن
 فكان في عادة العرب
 ترك ذلك حتى نقل أن
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم كان يدخل
 ولا يقام له وفي البلاد
 التي فيها هذا القيام لهم
 عادة إذا اعتمد ذلك
 لطبيب القلوب
 والمداراة لا بأس به لأن
 تركه يوحش القلوب
 ويوغر الصدور فيكون
 ذلك من قبيل الشرية
 وحسن الصعبة
 ويكون بدعة لا بأس
 بها لأنها لم تزامم سنة
 مأثورة .

[الباب الثالث

والشروع في القول
 في السماع وردا وإنكارا]
 قد ذكرنا وجه صحة
 السماع وما يليق منه
 بأهل الصدق وحيث
 كثرت الفتنة بطريقه
 وزالت الصحة فيه
 وتصدى للحرص عليه
 أقوام قلت أعمالهم

منفردا خارج القافلة لأنه ربما ينزل أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان صلى الله عليه وسلم إذا نام في ابتداء الليل في السفر اقترش ذراعيه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعيه نصبا وجعل رأسه في كفه (١) والفرس من ذلك أن لا يستقل في النوم قطلع الشمس وهوائهم لا يدرى فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يطلبه بسفره ، والمستحب بالليل أن يتناول الرقءاء في الحراسة فإذا نام واحد حرص آخر (٢) فهذه السنة ومهما قصده عدا أو سبغ في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله وسورة الإخلاص والعوذتين وليقل باسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء الله لايأتى بالخير إلا الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى مع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولادون الله ملجأ - كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز - تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحق القيوم الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت تفتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإيمانك بواقفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين . التاسع : أن يرفق الدابة إن كان راكبا فلا يحملها ما لا تطيق ولا يضرها في وجهها فإنه ينهي عنه ولا ينام عليها فإنه يقل بالنوم وتأذي به الدابة كان أهل الورع لا ينامون على السواب إلا غفوة ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى (٣) » ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك (٤) فهو سنة وفي آثار عن السلف وكان بعض السلف يكثر بشرط أن لا ينزل ويؤى الأجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لافي ميزان حسنات السكاري ومن أذى بهيمة بضرب أو حمل ما لا تطيق طول به يوم القيامة إذ في كل كبد حراء أجر . قال أبو الدرداء رضي الله عنه ليعبر له عند الموت : أيها البعير لا تخافني إلى ربك فاني لم أك أحملك فوق طاقك وفي النزول ساعة صدقتان : إحداهما ترويح الدابة والثانية إدخال السرور على قلب السكاري وفيه فائدة أخرى وهي رياضة البدن وتخريك الرجلين والحذر من خدر الأعضاء بطول الركوب وينبغي أن يقرر مع السكاري ما يجعله عليها شيئا شيئا ويعرضه عليه ويستأجر الدابة بعقد صحيح كالأشور بينهما نزاع يؤذى القلب ويجعل على الزيادة في الكلام فإي يلفظ العبد من قول إلاليه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة الكلام والبجاج مع السكاري فلا ينبغي أن يحمل فوق الشروط شيئا وإن خف هان القليل يجر السكاري ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . قال رجل لابن المبارك وهو على دابة أحمل لي هذه الرقعة إلى فلان فقال حتى أستأذن السكاري فاني لم أشاركه على هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء إن هذا مما يمتنع فيه ولكن سلك طريق الورع . العاشر : ينبغي أن يستصحب ستة أشياء قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ « إذا سافر حمل معه خمسة أشياء : المرآة والمكحلة والمقراض والسواك والمشط (٥) » وفي رواية أخرى عنها ستة أشياء : المرآة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط وقالت أم سعد الأنصارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفارقه في السفر المرآة والمكحلة (٦) وقال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفسدت أحوالهم وأحكمتوا الاجتماع للسمع ولعمل يتخذ للاجتماع طعام تطلب النفوس الاجتماع لذلك لارغبة للقلوب في السماع كما كان من سير الصادقين فيصير السماع معلولا تركن إليه النفوس طلبا للشهوات واستحلاء لمواطن اللهب والغفلات وينقطع ذلك على المريد طلب المزيد ويكون بطريقه تضييع الأوقات وثقة الحظ من العبادات وتكون الرغبة في الاجتماع طلبا لتناول الشهوة واسترواحا لأولى الطرب واللهو والعشرة ولا يغني أن هذا الاجتماع مردود عند أهل الصدق . وكان يقال لا يصح الاجتماع إلا لعارف مكين ولا يباح لمريد مبتدى .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى إذا رأيت المريد يطلب السماع فاعلم أن

(١) حديث كان إذا نام في ابتداء الليل في السفر اقترش ذراعيه الحديث تقدم في الحج (٢) حديث تناوب الرقءاء في الحراسة تقدم في الحج في الباب الثاني (٣) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى تقدم في الباب الثالث من الحج (٤) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية تقدم فيه (٥) حديث عائشة كان إذا سافر حمل معه خمسة أشياء : المرآة والمكحلة والمقراض والسواك والمشط وفي رواية ستة أشياء : المرآة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط (٦) حديث أم سعد الأنصارية كان لا يفارقه في السفر المرآة والمكحلة رواه الحرثاني وإسناده ضعيف

«عليكم بالأخذ عند مضجعتكم فانه يحاذر في البصر وبنت الشعر»^(١) وروى أنه كان يكتحل ثلاثا ثلاثا وفي رواية أنه أكتحل للمني ثلاثا وللبري ثنتين^(٢) وقد زاد الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية إذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وإن عارده هذا لما رآه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب للفسول ولزج الماء من الآبار وكان الأولون يكتفون بالتيتم ويغنون أنفسهم عن غسل الماء ولا يبالون بالوضوء من التمدن ومن المياه كلها ما لم يتقنوا نجاستها حتى توضع على رضى الله عنه من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالأرض والحبال عن الحبل فيغشون الثياب للسهولة عليها فهذه بدعة إلا أنها بدعة حسنة وإنما البدعة للدمومة ما يقضد السنن الثابتة وأما ما يعين على الاحتياط في الدين فستحسن وقد ذكرنا أحكام للباقة في الطهارات في كتاب الطهارة وأن التجرد لأمر الدين لا ينبغي أن يؤثر طريق الرخصة بل محتاط في الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل أفضل منه . وقيل كان الخواص من التوكلين وكان لا يغارقه أربعة أشياء في السفر والحضر الركوة والحبل والأبرة يحيطها والقراض وكان يقول هذه ليست من الدنيا . الحادي عشر : في آداب الرجوع من السفر «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قتل من غزو أوحى وأوحى وأوحى يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وعده لائمه لئله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير أيون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»^(٣) وإذا أشرف على مدينته فليقل اللهم اجعل لنا جارا ورزقا حسنا ثم ليرسل إلى أهله من يشترم بقدمه كيلا يقدم عليهم بقتة فيرى ما يكرهه ولا ينبغي له أن يطرقهم ليلا^(٤) فقد ورد النبي عنه ، وكان عليه السلام إذا قدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت^(٥) وإذا دخل قال «توبوا توبوا توبوا لا يغادر عليتنا حوبا»^(٦) وينبغي أن يجعل لأهل بيته وأقاربه غفلة من مطعم أو غيره على قدر إمكانه فيوسنة قد دروي أنه إن لم يجد شيئا فليضع في غلته حجرا^(٧) وكان هذا بمثابة الاستحاث على هذه المكرمة لأن الأعين تمتد إلى القادم من السفر والقلوب تفرح به فيتأكد الاستعجاب في تأكيد فرحهم وإظهار التفات القاب في السفر إلى ذكرهم بما يستحب في الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة . وأما الآداب الباطنة ففي الفصل الأول بيان جملة منها وجملة أن لا يسافر إلا إذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متفيرا إلى نقصان فليقف ولينصرف ولا ينبغي أن يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في دخول كل بلدة أن يرى شيوخها ويحبه أن يستفيد من كل واحد منهم أدبا أو كلمة لينفع بها لايحكي ذلك ويظهر أنه لقي المشايخ ولا يقيم ليلة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام إلا أن يأمره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الإقامة إلا الفقراء الصادقين وإن كان قصد زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو وحده الضباقة

(١) حديث صحيح عليكم بالأخذ عند مضجعتكم فانه يحاذر في البصر وبنت الشعر الجراطي في مكازم الأخلاق بسند ضعيف وهو عند الترمذي وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث ابن عباس وصححه ابن عبد البر وقال الخطابي صحيح الاسناد (٢) حديث كان يكتحل للمني ثلاثا وللبري ثنتين الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر بسندلين (٣) حديث كان إذا قتل من حج أو غزو أو غيره يكبر الحادي عشر تقدم في الحج (٤) حديث النبي عن طروق الأهل ليلا تدم (٥) حديث كان إذا قدم من سفر دخل المسجد أولا وصلى ركعتين تقدم (٦) حديث كان إذا دخل قال توبوا توبوا توبوا لا يغادر عليتنا حوبا (٧) ابن السني في اليوم واليلة والحاكم من حديث ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث اطراق أهله عند القدوم ولو بجحر الدارنظي من حديث عائشة بسند ضعيف .

فيه بقية البطالة .
وقيل إن الجديد ترك
الساع قليل له كنت
تسمع فقال مع من
قل له تسمع لنفسك
فقال ممن لأنهم كانوا
لا يسمعون إلا من
أهل مع أهل فذا قد
الاخوان ترك لها
اخاروا الساع حيث
اخاروه إلا بشرط
وقيود وآداب يذكرون
به الآخرة ويرغبون
في الجنة ويحذرون
من النار ويزداد
به طلبهم وتغنن به
أحوالهم ويتفق لهم
ذلك اتفاقا في بعض
الأحايين لأن يحملوه
دأبا وديدنا حتى
يركوا لأجله الأوراد .
وقد قل عن الشافعي
رضي الله عنه أنه قال
في كتاب القضاء القضاء
لهو مكروه يشبه
الباطل وقال من
استكثر منه فهو
سفيه رد شهادته .
وافق أصحاب الشافعي
أن للرأ غير المحرم

إلا إذا شق على أخيه مفارقه وإذا قصد زيارة شيخ فلا يقم عنده أكثر من يوم وليلة ولا يشغل نفسه بالعمرة فإن ذلك يقطع برخص سفره وكلما دخل بلدا لا يشغل بشيء سوى زيارة الشيخ زيارة منزله فإن كان في بيته فلا يندق عليه بابه ولا يستأذن عليه إلى أن يخرج فإذا خرج تقدم إليه بأدب فسلم عليه ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله فإن سأله أجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسألة مالم يستأذن أولا وإذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأسنيانها ولا ذكر أصدقائه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدوها في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته إلا بقدر الضرورة ومع من يقدر على إزالتها ويلزم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره. وإذا كلف إنسان فليترك الذكر وليجبه مادام يحسن ثم يرجع إلى ما كان عليه فإن تبرمت نفسه بالسفر أو بالأقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس وإذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا يفتنى له أن يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان عليه في الحضر فليعلم أن سفره معلول ويرجع إذ لو كان لحق لظهر أمره . قال رجل لأبي عثمان اللرخي خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للؤمن أن يذل نفسه وأشار به إلى أن من ليس له في السفر زيادة دين فقد أذل نفسه وإلا فخر الدين لا ينال إلا بذلة الغربة فليكن سفر اللريد من وطن هواء ومراده وطعمه حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل فإن من اتبع هواء في سفره ذل لا محالة إما عاجلا وإما آجلا .

(الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات)

اعلم أن المسافر يحتاج في أول سفره إلى أن يزود لذيائه ولآخرته أما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج إليه من نفقة فإن خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به إذا كان سفره في قافلة أو بين قرى متصلة وإن ركب البادية وحده أومع قوم لأطعام معهم ولا شراب فإن كان بمن يصر على الجوع أسبوعا أو عشرين مثلا أو يقدر على أن يكتفي بالخشيش فله ذلك وإن لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجترار بالخشيش فغروجه من غير زاد معصية فانه ألقي نفسه يده إلى الهلكة ولهذا سرسباني في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعذ عن الأسباب بالسكينة ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزع الماء من البئر ولو جبن أن يصبر حتى يسخر الله له ملكا أو شخصا آخر حتى يسب الماء فيه فإن كان حفظ الدلو والحبل لا يندح في التوكل وهو آلة الوصول إلى الشرب فحمل عين المطعوم والشراب حيث لا ينتظر له وجود أولى بأن لا يندح فيه وستأتي حقيقة التوكل في موضعها فانه يلتبس إلا على المحققين من علماء الدين وأما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج إليه في طهارته وصومه وصلاته وعباداته فلا بد وأن يزود منه إذا السفر تارة يخفف عنه أمور فيحتاج إلى معرفة التذلل الذي يخففه السفر كالتقصير والجمع والفطر وتارة يشدد عليه أمور كان مستغنيا عنها في الحضر كالحلم بالقبلة وأوقات الصلوات فانه في البلد يكتفي بغيره من محارب الساجد وأذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج إلى أن يعرف بنفسه فإذا ما يفتقر إلى تعلمه ينقسم إلى قسمين :

(القسم الأول العلم برخص السفر)

والسفر يفيد في الطهارة رخصتين مسح الحفنين واليتم وفي صلاة الفرض رخصتين التقصر والجمع وفي النفل رخصتين أدائه على الراحة وأدائه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر فهذه صبح

(الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه)

لا يجوز الاستماع إليها سواء كانت حرة أو مملوكة أو مكشوفة الوجه أو من وراء حجاب . وتقل عن الشافعي رضي الله عنه أنه كان يحكره الطقطة بالقبض ويقول وضه الزائدة ليذغلوها به عن القرآن وقال لا بأس بالقراءة بالأحضان ونحسين الصوت بها بأي وجه كان . وعند مالك رضي الله عنه إذا اشترى جارية فوجدها مغنية فله أن يردها بهذا العيب وهو مذهب سائر أهل المدينة وهكذا مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وسماع الغناء من الذنوب وما أباحه إلا لفر قليل من الفقهاء ومن أباحه من الفقهاء أيضا لم ير إعسلاته في المساجد والبقاع الشريفة . وقيل في تفسير قوله تعالى - ومن الناس

رخص . الرخصة الأولى : السج على الحفين قال صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لا نترع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن ^(١) فكل من لبس الحنف على طهارة مبيحة للصلاة ثم أحدث فله أن يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة أيام ولياليهن إن كان مسافرا أو يوما ولبلة إن كان مقبلا ولكن بخمسة شروط : الأول أن يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وأدخلها في الحنف ثم غسل اليسرى فأدخلها في الحنف لم يجز له السج عند الشافعي رحمه الله حتى ينزع اليمنى ويبعد لبسه . الثاني : أن يكون الحنف قويا يمكن للشي فيه ويجوز للسج على الحنف وإن لم يكن منعلا إذ العادة جارية بالتردد فيه في النزول لأن فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوفية فإنه لا يجوز للسج عليه وكذا الجر موق الضميف . الثالث : أن لا يكون في موضع فرض الفصل خرق فإن تحرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز السج عليه وللشافعي قول قديم إنه يجوز مدام يستمسك على الرجل وهو مذهب مالك رضي الله عنه ولا بأس به لمسح الحاجة إليه وتمنر الحرز في السفر في كل وقت وللداس للنسوج يجوز للسج عليه ما كان ساترا لا تبدو بشرة القدم من خلاله وكذا المشقوق الذي يرد على محل الشق يجرح لأن الحاجة تنس إلى جميع ذلك فلا يعتبر إلا أن يكون ساترا إلى ما فوق الكعبين كيفما كان فأما إذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفافة لم يجز السج عليه . الرابع : أن لا ينزع الحنف بعد المسح عليه فإن نزع فالأولى له استئناث الوضوء فإن اقتصر على غسل القدمين جاز . الخامس : أن يمسح على الوضع المهادى لحل فرض الفصل لاطى الساق وأقله ما يسمى مسح على ظهر القدم من الحنف وإذا مسح بثلاث أصابع أجزأه والأولى أن يخرج من شبة الخلاف وأكمله أن يمسح أعلاه وأسفله دفعة واحدة من غير تكرار ^(٢) كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه أن يمل يديي يدين ويضع رءوس أصابع اليمنى من يده على رءوس أصابع اليمنى من رجله ويمسحه بأن يجز أصابعه إلى جهة نفسه ويضع رءوس أصابع يده اليسرى على عقبه من أسفل الحنف ويمررها إلى رأس القدم . ومهما مسح مقبلا ثم سافر أو مسافرا ثم أقام غلب حكم الإقامة فليقتصر على يوم ولبلة وعدد الأيام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الحنف فلو لبس الحنف في الحضر ومسح في الحضر ثم خرج وأحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة أيام ولياليهن من وقت الزوال إلى الزوال من اليوم الرابع فإذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له أن يصلي إلا بعد غسل الرجلين فيفسل رجله ويبعد لبس الحنف ويراعى وقت الحدث ويستأنف الحساب من وقت الحدث ولو أحدث بعد لبس الحنف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله أن يمسح ثلاثة أيام لأن العادة قد تقتضى اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فأما إذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين ويستحب لكل من يريد لبس الحنف في حضر أو سفر أن ينكس الحنف وينفض ما فيه حذرا من حية أو عقرب أو شوكة فقد روى عن أبي أمامة أنه قال دعا رسول الله ﷺ خفيه فلبس أحدهما فجاء غراب فاحتل الآخر ثم رمى به ففرجت منه حية فقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما ^(٣) .

(١) حديث صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لا نترع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن الترمذى وصححه وابن ماجه والسنائى في الكبرى وابن خزيمة وابن حبان (٢) حديث مسحه صلى الله عليه وسلم على الحنف وأسفله أبو داود والترمذى وضعه وابن ماجه من حديث القريرة وهكذا ضعفه البخارى وأبو زرعة (٣) حديث أبي أمامة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما رواه الطبرانى وفيه من لا يعرف .

من يشتري لهو الحديث - قال عبده ابن مسعود رضى الله عنه هو الفناء والاستماع إليه . وقيل في قوله تعالى - وأنت سامعون - أى مغنون رواه عكرمة عن عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما وهو الفناء بلفظة حير يقول أهل اليمن سعد فلان إذا غنى وقوله تعالى - واستغفر من استغفرت منهم - استغفرت منهم بصوتك - قال مجاهد الفناء والزمان . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان إلبين أول من ناح وأول من تنهى » وروى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه النبي صلى الله عليه وسلم قال « إيتانيت عن صوتين فاتجرين صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة » وقد روى عن عثمان رضى الله عنه أنه

الرخصة الثانية : التيمم بالتراب بدلا عن الماء عند العذر وإنما يعذر الماء بأن يكون بعيدا عن المنزل بعدا لومشى إليه لم يلحقه غوث القافلة إن صاح أو استغاث وهو البعد التقى لا ابتداء أهل المنزل في ترددهم لقضاء الحاجة التردد إليه وكذا إن نزل على الماء عدو أو سبغ فجوز التيمم وإن كان الماء قريبا وكذا إن احتاج إليه لمعطشه في يومه أو بعد يومه لقصد الماء بين يديه فله التيمم وكذا إن احتاج إليه لمعطش أحد رفاقه فلا يجوز الوضوء ويلزمه بذلك إما شمن أو بغير شمن ولو كان يحتاج إليه لطبخ مرققة أو لحم أو لبل ثوب يجمعه به لم يجوز له التيمم بل عليه أن يجتري بالقتل اليابس ويترك تناول الرقعة ومهما وهب له الماء وجب قبوله وإن وهب له ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة وإن بيع شمن للثل ثمنه الشراء وإن بيع بغير ثمن لم يلزمه فإذا لم يكن معه ماء وأراد أن يتيمم فأول ما يلزمه طلب الماء مهما جاز الوصول إليه بالطلب وذلك بالتردد حوالى المنزل وتفتيش الرجل وطلب البقاي من الأواني والظاهر فإن نسي الماء في رحله أو نسي شرا بالقرب منه لزمه إعادة الصلاة لتقصيره في الطلب وإن علم أنه سيجد الماء في آخر الوقت فالأولى أن يصلى بالتيمم في أول الوقت فإن العذر لا يوثق به وأول الوقت رضوان الله . تيمم ابن عمر رضي عنهما قليل له أتتيمم وجدران المدينة تنظر إليك ؟ قال أو أبقى إلى أن أدخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلاة لم تبطل صلاته ولم يلزمه الوضوء وإذا وجد قبل الشروع في الصلاة لزمه الوضوء . ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يشور منه غبار وليضرب عليه كفيه بعد ضم أصابعها ضربة فيمسح بهما وجهه ويضرب ضربة أخرى بعد نزاع الحاتم ويفرج الأصابع ويمسح بها يديه إلى مرقعته فإن لم يستوعب بضربة واحدة جميع يديه ضرب ضربة أخرى وكيفية التلطيف فيه ما ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيده ثم إذا صلى به فريضة واحدة فله أن يتنفل ماشاء بذلك التيمم وإن أراد الجمع بين فريضتين فله أن يعيد التيمم للصلاة الثانية فلا يصلى فريضتين إلا بتيممين ولا ينبغي أن يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها فإن فعل وجب عليه إعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلاة ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما تاما . الرخصة الثالثة في الصلاة المفروضة القصر وله أن يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر والمشاء على ركعتين ولكن بشرط ثلاثة : الأول : أن يؤدوها في أوقاتها فلو صارت قضاء فلا يظهر لزوم الإتمام . الثاني : أن ينوي القصر فلو نوى الإتمام لزمه الإتمام ولو شك في أنه نوى القصر أو الإتمام لزمه الإتمام . الثالث : أن لا يقتدى بمقيم ولا بمسافر متم فإن فعل لزمه الإتمام بل إن شك في أن إمامه مقيم أو مسافر لزمه الإتمام وإن يقين بعده أنه مسافر لأن شعار المسافر لا تخفى فليكن متحققا عند النية وإن شك في أن إمامه هل نوى القصر أم لا بعد أن عرف أنه مسافر لم يضره ذلك لأن النيات لا يطلع عليها وهذا كله إذا كان في سفر طويل مباح وحده السفر من جهة البداية والنهاية فيه إشكال فلا بد من معرفته والسفر هو الانتقال من موضع الإقامة مع ربط القصد بقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط أن يجاوز خراب البلدة وبساتينها التي يخرج أهل البلدة إليها للتنزه وأما القرية فالمسافر منها ينبغي أن يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست بمحوطة ولو رجع المسافر إلى البلد لأخذ شيء نسيه لم يترخص أن كان ذلك وطنه ما لم يجاوز عمران وان لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص إذا صار مسافرا بالانزعاج والخروج منه . وأما نهاية السفر فبأحد أمور ثلاثة : الأول : الوصول إلى عمران من البلد الذي عزم على الإقامة به . الثاني : العزم على الإقامة ثلاثة أيام فصاعدا إما في بلد أو في صحراء . الثالث : صورة الإقامة وإن

قال ما غنيت ولا تمنيت ولا مستذكرى يميني منذ بايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال القضاء بنيت النفاق في القلب وروى أن ابن عمر رضي الله عنه مر عليه قوم وهم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال ألا لا سمع الله لكم ألا لا سمع الله لكم وروى أن إنسانا سأل القاسم بن محمد عن القضاء فقال أنه لك عنه وأكرهه لك قال أحرام هو ؟ قال انظر يا ابن أخي إذا ميز الله الحق والباطل في أيهما يحمل القضاء . وقال الفضيل بن عياض القضاء رقية الزنا وعن الضحاك القضاء مفسدة للقلب مسخطة للرب وقال بعضهم : إياكم والقضاء فإنه يزيد الشهوة ويهدم للروء وإنه لينوب عن الحجر

لم يعزم كما إذا أقام على موضع واحد ثلاثة أيام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده وإن لم يعزم على الإقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم إنجازَه ولكنه يتعوق عليه ويتأخر فله أن يترخص وإن طالت اللدة على أقسى القولين لأنه منزعج قلبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع ارتجاع القلب ولا فرق بين أن يكون هذا الشغل قتالا أو غيره ولا بين أن تطول اللدة أو تقصر ولا بين أن يتأخر الخروج لمطر لا يطمئناؤه ثلاثة أيام أو لغيره إذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد (١) وظاهر الأمر أنه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه إذ لا معنى للتقدير بثانية عشر يوما والظاهر أن قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى القصر ، وأما معنى التطويل فهو أن يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال وكل ميل أربعة آلاف خطوة وكل خطوة ثلاثة أقدام ومعنى الباح أن لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما ولا هاربا من مالكة ولا تكون للزنا هاربة من زوجها ولا أن يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها في قطع طريق أو قتل إنسان أو طلب إدار حرام من سلطان ظالم أو سعى بالقسادين المسلمين . وبالجملة فلا يسافر الإنسان إلا في غرض والغرض هو المحرك فان كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولو لا ذلك الغرض لكان لا يثبت لسفره فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص وأما الفسق في السفر بشرب الخمر وغيره فلا يمنع الرخصة بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يبين عليه بالرخصة ولو كان له باعثن أحدهما مباح والآخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث له المحظور لكان المباح مستقلا بتحريكه ولكان لا محالة يسافر لأجله فله الترخص والتصوفة الطوافون في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج لمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف والمختار أن لهم الترخص . الرخصة الرابعة : الجمع بين الظهر والعصر في وقتها وبين المغرب والعشاء في وقتها : فذلك أيضا جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوازها في السفر القصير قولان ، ثم إن قدم العصر إلى الظهر فليجمع بين الظهر والعصر في وقتها قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليتم وعند الفراغ يقيم للصلاة ويجدد التيمم أولا إن كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما بأكثر من تيمم وإقامة فان قدم العصر لم يجز وإن نوى الجمع عند التحريم صلاة العصر جاز عند الزنى ولموجه في القياس إذ لا مستند لإيجاب تقديم النية بل الشرع جواز الجمع وهذا جامع وإنما الرخصة في العصر فتكني النية فيها وأما الظهر فجاء على القانون ثم إذا فرغ من الصلاتين فينبغي أن يجمع بين سنن الصلاتين أما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التي بعد الظهر يصلحها بعد الفراغ من العصر إما راكبا أو مقبلا لأنه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر لا تقطعت الموالاة وهي واجبة على وجه ولو أراد أن يقيم الأربع للسنة قبل الظهر والأربع للسنة قبل العصر فليجمع بينهما قبل الفريضتين فيصلي سنة الظهر أولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر الركعتان اللتان هما بعد الغرض ولا ينبغي أن يحمل النوافل في السفر فما يفوته من ثوابها أكثر مما يناله من الربح لاسيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له أداءها على الرحلة كي لا يتعوق عن الرقة بسببها وإن أخر الظهر إلى العصر فيجوز على هذا الترتيب ولا يبالي بوقوع راتبة الظهر

(١) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد أبو داود من حديث عمران بن حصين في قصة الفتح فأقام بمكة ثمان عشرة ليلة لا يصلي إلا ركعتين وللبخاري من حديث ابن عباس أقام بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة ولأبي داود سبعة عشر بتقديم السين وفي روايته خمسة عشر .

ويفعل ما يفعل السكر وهذا الذي ذكره هذا القائل صحيح لأن الطبع اللوزون يفتق بالنساء والأوزان ويستحسن صاحب الطبع عند السماع ما لم يكن يستحسنه من القرعة بالأصابع والتفتيق والرخص وتصدر منه أفعال تدل على سخافة العقل . وروى عن الحسن أنه قال : ليس الدف من سنة المسلمين . والذي قيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع الشعر لا يدل على إباحة الفناء فان الشعر كلام منظوم وغيره كلام منشور فعنه حسن وقيحه قبيح وإنما يصير غناء بالألحان وإن أنصف المصنف وتفكر في اجتماع أهل الزمان وقنود المنى بدفه والمشبب بشبابته وتصور في نفسه هل وقع مثل

بعد العصر في الوقت المكروه لأن ماله مسب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل في المغرب والعشاء والوتر وإذا قدم أو أخر بعد الفراغ من الفرض يشتمل بجميع الرواتب وغنم الجميع بالوتر وإن خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على أدائه مع العصر جمعا فهو نية الجمع لأنه إما يخلو عن هذه النية إما بنية الترك أو بنية التأخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام وإن لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته إما لنوم أو شغل فله أن يؤدى الظهر مع العصر ولا يكون عاصيا لأن السفر كما يشتمل عن فعل الصلاة فقد يشتمل عن ذكرها ويحتمل أن يقال إن الظهر إنما تقع أداءه إذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها ولكن الأظهر أن وقت الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين الصلاتين ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر إذا ظهرت قبل الغروب ولذلك يتقدس أن لا تشترط للوالدة لا الترتيب بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر أما إذا قدم العصر على الظهر لم يجز لأن ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي جعل وقتا للعصر إذ يمتدان يشتمل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر أو على تأخيره وعذر اللطرح يجوز للجمع كذا السفر وترك الجمعة أيضا من رخص السفر وهي متعلقة أيضا بفرائض الصلوات ولو نوى الإقامة ببدان صلى العصر فأدرك وقت العصر في الحضر فليبدأ بالعصر وما مضى إنما كان مجزئا بشرط أن يبقى العذر إلى خروج وقت العصر . الرخصة الخامسة : التنفل إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على راحلته أينما توجهت به دابته (١) وأوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة وليس على التنفل الركب في الركوع والسجود إلا الإيماء وينبغي أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء إلى حد يتعرض به لخطر بسبب الدابة فإن كان في مرقد قلبه الركوع والسجود فانه قادر عليه . وأما استقبال القبلة فلا يجب لافي ابتداء الصلاة ولا في دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن في جميع صلاته إما مستقبلا للقبلة أو متوجها في صوب الطريق لتكون له جهة ثبت فيها فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته إلا إذا حرفها إلى القبلة ولو حرفها تابعا وقصر الزمان لم تبطل صلاته . وإن طال فبها خلاف وإن جمعت به الدابة فأعترفت لم تبطل صلاته لأن ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو إذا انحاح غير مندوب إليه بخلاف ما لو حرف تابعا فانه يسجد للسهو بالإيماء . الرخصة السادسة : التنفل للماشى جائز في السفر ويومى بالركوع والسجود ولا يعمد للشهيد لأن ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الركب لكن ينبغي أن يتحرم بالصلاة مستقبلا للقبلة لأن الانحراف في لحظة لا عسر عليه فيه بخلاف الركب فإن في تحريف الدابة وإن كان النسيان يده نوع عسر وربما تكررت الصلاة فيطول عليه ذلك ولا ينبغي أن يعيش في نجاسة رطبة عمدا فإن فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو طئت دابة الركب نجاسة وليس عليه أن يشوش الشيء على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا تخلو الطريق عنها غالبا وكل هارب من عدو أو سيل أو سبع فله أن يصلى الفريضة راكبا أو مشيا كما ذكرناه في التنفل . الرخصة السابعة : الفطر وهو في الصوم فللمسافر أن يفطر إلا إذا أصبح مقبلا ثم سافر فبها عليه إتمام ذلك اليوم وإن أصبح مسافرا صائما . ثم أقام فعليه الآتم إن أقام مفطرا فليس عليه الإمساك بقية النهار وإن أصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بله أن يفطر إذا أراد الصوم أفضل من الفطر والقصر أفضل من الآتم للخروج عن شبهة الخلاف ولأنه ليس في عهدة القضاء بخلاف المفطر فانه في عهدة القضاء وربما يعتذر عليه ذلك بمائق فيبقى في ذمته إلا إذا كان الصوم يضربه فالأفطار أفضل . فهذه سبع رخص تتعلق بثلاث منها بالسفر الطويل وهي القصر والفطر والسهو ثلاثه أيام أو ثلثيها بالسفر طويلا كأن أوقصر أو

هذا الجلوس والميمنة
بعصرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وهل استحضر أو قولا
وقصدوا مجتمعين
لاستماعه لاشك بأنه
يشكر ذلك من حال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصحابه
ولو كان في ذلك فضيلة
تطلبها أهلها فمن
يشير بأنه فضيلة تطلب
ويجتمع لها لمعظم
بدون معرفة أحوال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصحابه
والتابعين واستروح إلى
استحسان بعض
للتأخيرين ذلك وكثيرا
ما يبلط الناس في هذا
وقلما احتج عليهم
بالسلف للماضين
يحتجون بالتأخيرين
وكان السلف أقرب إلى
عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهدبهم
أشبه بهدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكثير
من الفقهاء يسمع
عند قراء القرآن

(١) حديث كان يصلى على راحلته أينما توجهت به دابته وأوتر على الراحلة متفق عليه من حديث ابن عمر .

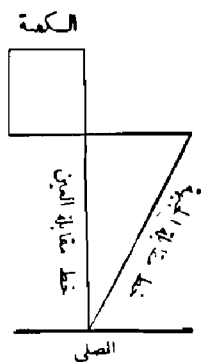
وهما سقوط الجملة وسقوط القضاء عند أداء الصلاة بالتييم وأما صلاة النافلة ماشيا أو راكبا ففيه خلاف والأصح جوازه في القصير والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والأظهر اختصاصه بالطويل وأما صلاة الفرض راكبا ومشيا للخوف فلا تصلي بالسفر وكذا أكل الميتة وكذا أداء الصلاة في الحال بالتييم عند فقد الماء بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت أسبابها . فان قلت فالعلم بهذه الرخص هل يجب على السافر تعلمه قبل السفر أم يستحب له ذلك . فأقول أنه إن كان عازما على ترك اللح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكبا ومشيا لم يلزمه علم شروط الترخص في ذلك لأن الترخص ليس بواجب عليه ، وأما علم رخصة التيمم فيلزمه لأن فقد الماء ليس إليه إلا أن يسافر على طاعى نهر يوثق بقاء مائه أو يكون معه في الطريق عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة فله أن يؤخر إلى وقت الحاجة أما إذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه ما يلزمه التعلم لاحالة . فان قلت : التيمم يحتاج إليه لصلاة لم يدخل بمدوقها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بدم تحب وربما لا تحب . فأقول : من بينه وبين السكبة مسافة لا تقطع إلا في سنة فيلزمه قبل أشهر الحج ابتداء السفر ويلزمه تعلم للناسك لاحالة إذا كان يظن أنه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لأن الأصل الحياة واستمرارها ولا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب وكل ما يتوقع وجوبه توقفا ظاهرا غالبا على الظن وله شرط لا يتوصل إليه إلا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم تعلم الشرط لاحالة كعلم للناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا يحمل إذن للسافر أن ينسى السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم وإن كان عازما على سائر الرخص فله أن يتعلم أيضا القدر الذي ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص فانه إذا لم يعلم القدر الجائر لرخصة السفر لم يكن له الاقتصار عليه . فإن قلت إنه إن لم يتعلم كيفية التنفل راكبا ومشيا ماذا يفرضه وغايته إن صلى أن تكون صلاته فاسدة وهي غير واجبة فكيف يكون عليها واجبا . فأقول من الواجب أن يصلّي النفل على نيت الفساد فالتنفل مع الحدث والنجاسة وإلى غير القبلة ومن غير إتمام شروط الصلاة وأركانها حرام فله أن يتعلم ما يعترضه عن النافلة الفاسدة حذرا عن الوقوع في المحذور فهذا بيان علم ما خفف عن السافر في سفره .

(القسم الثاني ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر)

وهو علم القبلة والأوقات وذلك أيضا واجب في الحضر ولكن في الحضر من يكتفيه من عراب منفق عليه يخيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعى الوقت فيخيه عن طلب علم الوقت والسافر قد تشبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بد له من العلم بأدلة القبلة والوقايت أما أدلة القبلة فهي ثلاثة أقسام : أرضية كالاستدلال بالحيال والقرى والأنهار وهوائية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وسببها ودبورها ومحاوية وهي النجوم فأما الأرضية والهوائية فتختلف باختلاف البلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم أنه على بين السقف أو شمالي أو أوراته أو قدامه فليعلم ذلك وليتجهه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليعلم ذلك ولنا خبر على استقصاء ذلك إذ لكل بلد وإقليم حكم آخر وأما السببية فادلتها تنقسم إلى نهارية وإلى ليلية أما النهارية فالشمس فلا بد أن يراعى قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أين تقع منه أي بين الجانبين أو على العين اليمنى أو اليسرى أو قبل إلى الجانبين ميلا أكثر من ذلك فإن الشمس لاتعدو في البلاد الشمالية هذه للواقع فإذا حفظ ذلك فهما عرف الزوال بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به وكذلك يراعى مواقع الشمس منه وقت العصر فانه في هذين الوقتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة وهذا أيضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه وأما القبلة وقت للغرب فانها تدرك بموضع الغروب وذلك بأن يحفظ أن الشمس تقرب عن بين السقف أو هي مائلة إلى وجهه أو قفاه وبالشفق أيضا تعرف القبلة للعشاء الأخيرة وبشرق الشمس تعرف القبلة .

بأشياء من غير غلبة
قال عبد الله بن عروة
ابن الزبير قلت لجدني
أحمد بنت أبي بكر
الصدقي رضي الله عنهما
كيف كان أصحاب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفعلون إذا
قرئ عليهم القرآن
قلت كانوا كما وصفهم
الله تعالى تسمع أعينهم
وتشعر جلودهم قال
قلت إن ناسا اليوم إذا
قرئ عليهم القرآن خروا
أحدهم مغشيا عليه
قلت أعود بالله من
الشیطان الرجيم .
وروي أن عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما
مرّ رجل من أهل
العراق يتساقط قال
ما لهذا ؟ قالوا إنه إذا
قرئ عليه القرآن
وسمع ذكر الله تعالى
سقط فقال ابن عمر
رضي الله عنهما إنا
لنخشى الله وما نسقط
إن الشيطان يدخل
في جوف أحدهم
ما هكذا كان يصنع

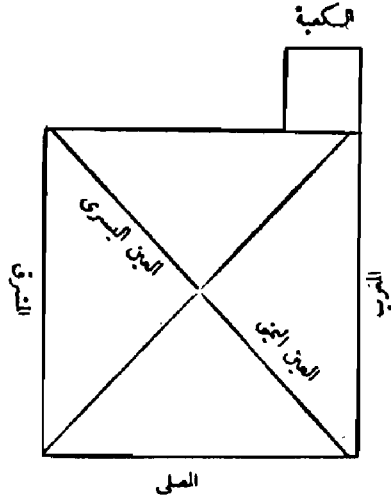
صلاة الصبح فكان الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف فان للشارق والغارب كثيرة وإن كانت محصورة في جهتين فلا بد من تعلم ذلك أيضا ولكن قد صلى المغرب والشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكن أن يستدل على القبلة به فليعلم أن إراعى موضع القطب وهو الكوكب الذي يقال له الجدي فانه كوكب كالثابت لا تظهر حركته عن موضعه وذلك إما أن يكون على قفا المستقبل أو على منكب الأيمن من ظهره أو منكب الأيسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها فيقع في مقابلة للمستقبل فيعلم ذلك وما عرفه في بلده فليعمل عليه في الطريق كله إلا إذ طال السفر فان المسافة إذا بدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع الشارق والغارب إلا أن ينتهي في أثناء سفره إلى بلاد فينبغي أن يسأل أهل البصرة أو رافق هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك فهما تعلم هذه الأدلة فله أن يعمل عليها فان بان له أنه أخطأ من جهة القبلة إلى جهة أخرى من الجهات الأربع فينبغي أن يقضى وإن انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء وقد أورد الفقهاء خلافا في أن للطلوب جهة الكعبة أو عينا وأشكل معنى ذلك على قوم إذ قالوا إن قلنا إن المطلوب العين فحق يتصور هذا مع بعد الديار وإن قلنا إن المطلوب الجهة فالواقف في المسجد إن استقبل جهة الكعبة وهو خارج يدينه عن موازاة الكعبة لاختلاف في أنه لا تصح صلاته وقد طولوا في تأويل معنى الخلاف في الجهة والعين ولا بد أولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة فمعنى مقابلة العين أن يقف موقفا لو خرج خط مستقيم من بين عيني إلى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته والخط الخارج من موقف للصلى بقدر أنه خارج من بين عيني فهذه صورة مقابلة العين :



وأما مقابلة الجهة فيجوز فيها أن يتصل طرف الخط الخارج من بين العينين إلى الكعبة من غير أن يتساوى الزاويتان عن جهتي الخط بل لا يتساوى الزاويتان إلا إذا انتهى الخط إلى نقطة معينة هي واحدة فلو مد هذا الخط على الاستقامة إلى سائر القطع من عينا أو شمالها كانت إحدى الزاويتين أضيق فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة كما لخط الذي كتبنا عليه مقابلة الجهة فانه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لالعينها وحد تلك الجهة ما بين خطين : وهما الواقف مستقبلا لجهة خارجين من العينين فليفتق طرفاهما في داخل الرأس

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرئ القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقعد واحد منهم على ظهر بيت باسطا رجله ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فان رعى نفسه فهو صادق وليس هذا القول منهم إنكارا على الإطلاق إذ يتفق ذلك لبعض الصادقين ولكن للتصنع التورم في حق الأكثرين فقد يكون ذلك من البعض تصنعا ورياء ويكون من البعض لقصور علم وخامرة جهل بمزوج بهوى لم بأحدم يسير من الوجد فينبهه بزنادات يجهل أن ذلك يضرب بدينه وقد لا يجهل أن ذلك من النفس ولكن النفس تسترق السمع استرقا خفيا تخرج الوجد عن الحد الذي

بين العينين على زاوية قائمة فابق بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة وسعة ما بين الخطين تزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة وهذه صورته :



ينبغي أن يقف عليه
وهذا بيان الصدق .
قل أن موسى عليه
السلام وعظ قومه
فشق رجل منهم قميصه
فقبل لموسى عليه
السلام قل لصاحب
القميص لا يشق قميصه
ويشرح قلبه . وأما
إذا انضاف إلى السماع
أن يسمع من أمرد
فقد توجهت الفتنة
وتعين على أهل الديانات
انكار ذلك . قال بقية
ابن الوليد كانوا
يكرهون النظر إلى
الغلام الأمرد الجليل .
وقال عطاء كل نظرة
يهواها القلب فلا خير
فيها وقال بعض التابعين
ما أنا أخوف على الشاب
الناشب من السبع
الضاري خوفي عليه
من الغلام الأمرد بقدر
إليه . وقال بعض
التابعين أيضا اللوطة
على ثلاثة أصناف صنف
ينظرون وصنف
يصاحون وصنف
يعملون ذلك العمل

فإذا فهم معنى العين والجهة فأقول الذي صبح عندنا في الفتوى أن المطلوب العين إن كانت الكعبة مما يمكن رؤيتها وإن كان يحتاج إلى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيكون استقبال الجهة . فأما طلب العين عند المشاهدة فجميع عليه وأما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فبدل عليه الكتاب والسنة وفصل الصحابة رضي الله عنهم والقياس . أما الكتاب بقوله تعالى - وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره - أي نحوه ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولي وجهه شطرها . وأما السنة لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأهل المدينة « ما بين الغرب والشرق قبلة ^(١) » والغرب يقع على بين أهل المدينة والشرق على يسارهم فجعل رسول الله ﷺ جميع ما يقع بينهما قبلة ومساحة الكعبة لاتباع ما بين الشرق والغرب وإعما بقى بذلك جهتها ، وروى هذا اللفظ أيضا عن عمر وابنه رضي الله عنهما . وأما فعل الصحابة رضي الله عنهم لما روى : أن أهل مسجد قباء كانوا في صلاة الصبح بالمدينة مستقبلين لبيت المقدس مستديرين الكعبة لأن المدينة بينهما ، فقبل لهم الآن قد حوّلت القبلة إلى الكعبة فاستداروا في أثناء الصلاة من غير طلب دلالة ^(٢) ولم يشكر عليهم وسمى مسجدهم ذا القلنتين ومقابلة العين من المدينة إلى مكة لا تعرف إلا بأداة هندسية يطول النظر فيها فكيف أدركوا ذلك على البديهة في أثناء الصلاة وفي ظلمة الليل ، وبدل أيضا من فعلهم أنهم بنوا للساجد حوالى مكة وفي سائر بلاد الاسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المآرب ، ومقابلة العين لا تدرك إلا بدقيق النظر الهندسى . وأما القياس فهو أن الحاجة تمس إلى الاستقبال وبناء الساجد في جميع أقطار الأرض ولا يمكن مقابلة العين إلا بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما زجر عن التعمق في علمها

(١) حديث ما بين للشرق والغرب قبلة الترمذى وصححه والنسائى وقال منكر وابن ماجه من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن أهل قبا كانوا في صلاة الصبح مستقبلين لبيت المقدس فقبل لهم ألا إن القبلة قد حوّلت إلى الكعبة فاستداروا الحديث مسلم من حديث أنس وافقنا عليه . من حديث ابن عمر مع اختلاف .

فكيف ينبغي أمر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة . وأما دليل صحة الصورة التي صورناها وهو حصر جهات العالم في أربع جهات فقوله عليه السلام في آداب قضاء الحاجة « لا تستقبلوها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا » (١) وقال هذا بالمدينة والشرق على يسار التسقبل بها والغرب على يمينه فنهى عن جهتين ورضخ في جهتين ومجموع ذلك أربع جهات ولم يحظر يال أحد أن جهات العالم يمكن أن تفرض في ست أو سبع أو عشر وكيفما كان لما حكم الباقي بل الجهات تثبت في الاعتقادات بناء على خاتمة الانسان وليس له إلا أربع جهات قدام وخلف وبين وشمال فكانت الجهات بالإضافة إلى الانسان في ظاهر النظر أربعة والشرع لا يبيح إلا على مثل هذه الاعتقادات فظهر أن المطلوب الجهة وذلك يسهل أمر الاجتهاد فيها وتعلم به أدلة القبلة فأما مقابلة العين فانها تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ومقدار درجات طولها وهو بعدها عن أول عمارة في الشرق ثم يرف ذلك أيضا في موقف الصلوة ثم يقابل أحدها بالآخر ويحتاج فيه إلى آلات وأسباب طويلة والشرع غير مبني عليها قطعا فاذن القدر الذي لا بد من تعلمه من أدلة القبلة موقع للشرق والغرب في الزوال وموقع الشمس وقت العصر فهذا يسقط الوجوب . فان قلت فلو خرج للسافر من غير تعلم ذلك هل يصح . فأقول إن كان طريقه على قرى متصلة فيها محارب أو كان معه في الطريق بصير بأدلة القبلة موثوق بعد الله وبصيرته وقدر على تقليده فلا يصح وإن لم يكن معه شيء من ذلك عصى لأنه سيعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم هذه الأدلة واستقيم عليه الأمر ينفع مظلم أو ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقبله فليعلم أن يصل في الوقت على حسب حاله ثم عليه القضاء سواء أصاب أم أخطأ والأصح ليس له إلا التقليد فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته إن كان مقلده مجتهدا في القبلة وإن كانت القبلة ظاهرة فله اعتداد قول كل عدل بخبره بذلك في حضر أو سفر وليس للأصح ولا للجاهل أن يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف أدلة القبلة حيث يحتاج إلى الاستدلال كالليس العامي أن يقيم ببلدة ليس فيها قايه عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه الهجرة إلى حيث يجد من يعلم دينه وكذا إن لم يكن في البلد إلا قايه فاسق فليعلم الهجرة أيضا إذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى كما في الرواية وإن كان معروفا بالفتنة مستور الحال في العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لأن للسافر في البلاد لا يقدر أن يبحث عن عدالة الفتيان فان رآه لا يسأله للحرر أو ما يغيب عليه الاربعم أو راكباً للفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره وكذلك إذا رآه يأكل على مائدة سلطان أغلب ماله حرام أو يأخذ منه إدارا أو صلة من غير أن يعلم أن الذي يأخذه من وجه حلال فكل ذلك فسق يقدح في العدالة وينع من قبول الفتوى والرواية والشهادة . وأما معرفة أوقات الصلوات الخمس فلا بد منها . فوق الظهر يدخل بالزوال فان كل شخص لا بد أن يعلم في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب الغرب ثم لا يزال ينقص إلى وقت الزوال ثم يأخذ في الزيادة في جهة الشرق ولا يزال يزيد إلى الغروب فليعلم السافر في موضع أو لنصب عودا مستقيما وليعلم على رأس الظل ثم ينظر بعد ساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بعد وقت الظهر . وطريقه في معرفة ذلك أنه ينظر في البلد وقت أذان المؤذن المتصد ظل قامته فان كان مثلاً ثلاثة أقدام بقدمه فيها صار كذلك في السفر وأخذ في الزيادة صلى فان زاد على ستة أقدام ونصفا بقدمه دخل وقت العصر إذ ظل كل شخص بقدمه ستة أقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد كل يوم إن كان سفره من أول الصيفون كان أول الشتاء فينقص كل يوم وأحسن ما يعرف به ظل الزوال والريزان فليس يصحبه السافر وليتعلم اختلاف

(١) حديث لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا متفق عليه من حديث أبي يوب.

قد تمسح على طائفة الصوفية اجتناب مثل هذه الجائعات وانقاء مواضع التيمم فان التصوف صدق كله وجده. يقول بعضهم التصوف كله جد فلا تخاطبه بشيء من المزل فهذه الآثار دلت على احتساب السماع وأخذ الحذر منه والباب الأول بما فيه دل على جواز بشرطه وتزويه عن السكره التي ذكرناها وقد فصلنا القول وفرقا بين التصائد والفناء وغير ذلك . وكان جماعة من الصالحين لا يسمعون ومع ذلك لا يسكرون على من يسمع بنية حسنة ويراعى الأدب فيه .

[الباب الرابع والعشرون في القول في السماع ترصا واستثناء]

اعلم أن الوجد يشعر بسابقة فدفن لم يفقد لم يجد وإنما كان القدر لزاما وجود البعد بوجود صفاته وبقيائه فلو تمحض عبدا

الظل به في كل وقت وإن عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفر في موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر فيمكنه أن يعرف الوقت بالشمس بأن تصير بين عينيه مثلاً إن كانت كذلك في البلد . وأما وقت المغرب فيدخل بالمغرب ولكن قد تحجب الجبال للغرب عنه فيبني أن ينظر إلى جانب الشرق فهما ظهر سواد في الأفق مرتفع من الأرض قدر ربح قد تدخل وقت المغرب . وأما العشاء فيعرف بضيوبة الشفق وهو الحمرة فإن كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرتها فإن ذلك يكون بعد غيوبة الحمرة . وأما الصبح فينبغي في الأول مستطيلاً كذب الرحان فلا يحكم به إلى أن ينقضي زمان ثم يظهر رياض معترض لا يسر إدراكه بالعين لظهوره فهذا أول الوقت قال **الشيخ** « ليس الصبح هكذا وجمع بين كفيه وإنما الصبح هكذا ووضع إحدى سبائيه على الأخرى وضمهما (١) » وأشار به إلى أنه معترض وقد يستدل عليه بالنازل وذلك تقرب لتحقيق فيه بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض عرضاً لأن قوماً ظنوا أن الصبح يطلع قبل الشمس بأربع منازل وهذا خطأ لأن ذلك هو القجر الكاذب والذي ذكره المحققون أنه يتقدم على الشمس بمزلتين وهذا تقرب ولكن لا اعتماد عليه فإن بعض النازل تطلع معترضة منصرف فيفسر زمان طلوعها وبضها منتصب فيطول زمان طلوعها ويختلف ذلك في البلاد اختلافاً بطول ذكره ثم تصلح النازل لأن يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده فأما حقيقة أول الصبح فلا يمكن ضبطه بمزلتين أصلاً وعلى الجملة فإذا بقيت أربع منازل إلى طلوع قرن الشمس بمقدار منزلة يتيقن أنه الصبح الكاذب وإذا بقي قريب من منزلتين يتحقق طلوع الصبح الصادق ويقي بين الصبحين قدر ثلثي منزلة بالتقريب يشك فيه أنه من وقت الصبح الصادق أو الكاذب وهو مبدأ ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه فمن وقت الشك يبنى أن يترك الصائم السحور ويقدم القائم الوتر عليه ولا يصل صلاة الصبح حتى تنقضي مدة الشك فإذا تحقق صلى ولو أراد مزيد أن يقدر على التحقيق وقام معينا يشرب فيه مفسحراً ويقوم غفيه ويصل الصبح متصلاً به لم يقدر على ذلك فليس معرفة ذلك في قوة البشر أصلاً بل لا بد من مهلة للتوقف والشك ولا اعتماد لإعلى العيان ولا اعتماد في العيان لإعلى أن يصير الضوء منتشراً في العرض حتى تبدو مبادئ الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت ويدل عليه ما روى أبو عيسى الترمذي في جامعه بإسناده عن طلق بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كلوا واشربوا ولا يبينكم الساطع الصدع وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر (٢) » وهذا صريح في رعاية الحمرة قال أبو عيسى وفي الباب عن عدي بن حاتم وأبي ذرٍّ ومرة بن جندب وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند أهل العلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما كلوا واشربوا مادام الضوء ساطعاً قال صاحب التريين أي مستطيلاً فإذا لا يبين أن يكون لإعلى ظهور الصفرة وكأنها مبادئ الحمرة وإنما يحتاج للسافر إلى معرفة الأوقات لأنه قديماً بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه الزوال أو قبل النوم حتى يسرع فإن وطن نفسه على تأخير الصلاة إلى أن يتيقن فتسمع نفسه بفوات

(١) حديث ليس الصبح هكذا وجمع كفه وإنما الصبح هكذا ووضع إحدى سبائيه على الأخرى وضمهما وأشار به إلى أنه معترض ابن ماجه من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح مختصر دون الإشارة بالكف والسبائين ولأحمد من حديث طلق بن علي : ليس القجر للمستطيل في الأفق لكنه انترض الأحمر وإسناده حسن (٢) حديث طلق بن علي كلوا واشربوا ولا يبينكم الساطع الصدع وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر قال المصنف روى أبو عيسى الترمذي في جامعه وقال حسن غريب وهو كذاكر ورواه أبو داود أيضاً .

لتحضر حراً ومن
تخص حراً أفلت من
شرك الوجد فترك
الوجد صطاد البقايا
وجود البقايا لتختلف
شيء من العطايا . قال
الحصري رحمه الله
ما أدون حال من يحتاج
إلى مزعج يزعبه
فالوجد بالسباع في حق
الحق كالوجد بالسباع
في حق البطل من حيث
النظر إلى انزعاجه
وتأثير الباطن به وظهور
أثره على الظاهر وتغييره
للبدن من حال إلى
حال وإنما يختلف الحال
بين الحق والبطل أن
البطل يجد لوجود
هوى النفس والحق
يجد لوجود إرادة
القلب ولهذا قيل
السباع لا يحدث في
القلب شيئاً وإنما
يعرك مافي القلب فمن
متعلق بباطنه خير الله
يعركه السباع فيجد
بالهوى ومن متعلق
باطنه بحجة الله يجد
بالإرادة إرادة القلب

فضيلة أول الوقت ويتجنب كلفة النزول وكلفة تأخير النوم إلى التيقن استغنى عن تعلم علم الأوقات فان للشكل أوائل الأوقات لا أوساطها .

(كتاب آداب السماع والوجد)

(وهو الكتاب الثامن من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أحرق قلوب أوليائه بنار محبته . واسترق همهم وأرواحهم بالشوق إلى لقاءه ومشاهدته . ووقف أبصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرة . حتى أصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى . وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهاءة حيرى . ففرروا في الكونين شيتاسواه . ولينذ كروا في الدارين إلا إياه . إن حننت لأبصارهم صورة عبرت إلى الصور بصائرهم . وإن قرعت أسماعهم نعمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم . وإن ورد عليهم صوت مزعج أو مقلق أو مطرب أو محزن أو مبهج أو مشوق أو مهيج لم يكن أنزاعهم إلا إليه . ولا طربهم إلا به ولا قلقهم إلا عليه . ولا حزنهم إلا به ولا شوقهم إلا إلى ماله . ولا ابتاعهم إلا له ولا ترددهم إلا حواله . فنه سماعهم . وإليه استماعهم . فقد أقل عن غيره أبصارهم وأسماعهم . أولئك الذين اصطفاهم الله لولايته . واستخلصهم من بين أصفيائه وبخاصته . والصلاة على محمد المبعوث برسائه وعلى آله وأصحابه أئمة الحق وقادته . وسلم كثيرا .

[أما بعد] فان القلوب والسرائر . خزائن الأسرار ومعادن الجواهر . وقد طويت فيها جواهرها كطورت النار في الحديد والحجر . وأخفيت كما خفي لاء تحت التراب واللدن . ولا سبيل إلى استتارة خباياها إلا بقواص السماع . ولا منفذ إلى القلوب إلا من دهليز الأسماع . فالتنمات للوزونة للستنة تخرج مافيا . وتظهر محاسنها أو مساوئها . فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما يحويه . كما لا يشرع الإناء إلا بما فيه . فالسمع للقلب محك صادق . ومعار ناطق . فلا يصل نفس السماع إليه . إلا وقد تحرك فيمناها القالب عليه . وإذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للأسماع حتى أبدت بوارداتها مكانها . وكشفت بها عن مساوئها وأظهرت محاسنها . وجب شرح القول في السماع والوجد وبيان ما فيها من القوائد والآفات . وما يستحب فيها من الآداب والمهمات . وما ينطرق إليها من خلاف الملاء في أنهما من المحظورات أو اللباحات . ونحن نوضح ذلك في بابين . الباب الأول : في إباحة السماع . الباب الثاني : في آداب السماع وآثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزرق وتمزيق الثياب .

(الباب الأول في ذكر اختلاف الملاء في إباحة السماع وكشف الحق فيه)

(بيان أقاويل الملاء والتصوفة في تحليله ومحرمة)

اعلم أن السماع هو أول الأمر ويشمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويشمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة يقسمى الاضطراب وإما موزونة تقسمى التصفيق والرقص فليبدأ بحرك السماع وهو الأول ونقل فيه الأقاويل العربة عن المذهب فيه ثم نذكر الدليل على إباحته ثم نرده بالجواب عما نمسكه القائلون بتحريمه . فأما مثل المذاهب فقد حكى القاضي أبو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة وسفيان وجماعة من الملاء أقوالا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه وقال الشافعي رحمه الله

(كتاب السماع والوجد)

(الباب الأول في ذكر اختلاف الملاء في إباحته)

فالمبطل محبوب
محباب النفس والمحب
محبوب محباب القلب
وحباب النفس حباب
أرضي ظماني وحباب
القلب حباب سماوي
نوراني ومن لم يفقد
بدوام التحقق بالشهود
ولا يتعثر بأذيال الوجود
فلا يسمع ولا يجد
ومن هنك للطالعة قال
بعضهم الوجد نارد
كلما لا ينفذ في قول
ومر بمشاد الدينوري
رحمه الله بقوم فيهم
قوال فلما رأوه
أسكوا فقال ارجعوا
إلى ما كنتم فيه فوافقه
لوجعت ملاهي الدنيا
في أدنى ما شغلهم ولا
شغل حتى ما في الوجد
صراخ الروح المبطل
بالنفس تارة في حق
البطل وبالقلب تارة
في حق الحق فثار
الوجد الروح والروحاني
في حق الحق والمبطل
ويكون الوجد تارة
من فهم الماني يظهر
وتارة من مجرد الخفاء

في كتاب آداب القضاء إن الفناء هو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفیه رد شهادته وقال القاضي أبو الطيب استماعه من المرأة التي ليست بحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعي رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال قال الشافعي رضي الله عنه صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفیه رد شهادته وقال وحكى عن الشافعي أنه كان يكره الطعنة بالتضيب ويقول وضعت الزنادقة ليشغلوا به عن القرآن وقال الشافعي رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللعب بالرد أكثرهما يكره اللعب بشئ من اللامى ولا أحب اللعب بالشرطنج وأكره كل ما يلعب به الناس لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا الروعة . وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الفناء وقال إذا اشتري جارية فوجدها سفیه كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم ابن سعد وحده . وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فانه كان يكره ذلك ويجعل مباح الفناء من الذنوب وكذلك سائر أهل الكوفة : سفیان الثوري وحماد وإبراهيم والشعبي وغيرهم . فهذا كله نقله القاضي أبو الطيب الطبري وقل أبو طالب اللي إباحة السماع عن جماعة فقال مع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والثيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي بإحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام المددوات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا فأدر كنهنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعون الناس التلعين قد أعدهن للصوفية قال وكان لطاء جاريته بلحان فكان إخوانه يستمعون إليها قال وقيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيدي وسري السقطي وذو النون يستمعون قال وكيف أنكرك السماع وقد أجازته ومعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإنما أنكرك للبو واللاعب في السماع وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال قد كنا ثلاثة أشياء فإتراءها ولا تراها تزداد إلا فلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع البليانة وحسن الإخاء مع الوفاء ورأيت في بعض الكتب هذا محكيًا بينه عن الحرث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتساونه وجده في الدين وتشهيره قال وكان ابن مجاهد لا يحب دعوة إلا أن يكون فيه مباح وحكى غيره واحدنا قال اجتمعنا في دعوة ومنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد في نظرهم خضر مباح فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب أبي فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما جدى أحمد ابن بنت منيع فحدثني عن صالح بن أحمد أن أباة كان يسمع قول ابن الحبابة فقال ابن مجاهد لابن داود دعني أنت من أهلك وقال لابن بنت منيع دعني أنت من جدك أي شئ تقول يا أبا بكر فيمن أشد بيت شعر أهو حرام فقال ابن داود لا قال فان كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده قال لا قال فان أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومنه القصور أبحرم عليه قال أنا لم أقول لبطان واحد فكيف أقوى لشرطانين قال وكان أبو الحسن المصطفى الأسود من الأولياء يسمع ويؤله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكره وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكره . وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام قتلته ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدم العلماء . وحكى عن معشاذ الديوري أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم قتلته يارسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئًا فقال ما أنكر منه شيئًا ولكن قل لهم يستمعون قبله بالقرآن ويحتمون بعده بالقرآن . وحكى عن طاهر بن بلال

والألحان فما كان من
قيل للثاني تتشارك
النفس الروح في السماع
في حق البطل ويشارك
القلب في حق الحق وما
كان من قيل مجرد
النفات تتجرد الروح
للسماع ولكن في حق
البطل تسترق النفس
السمع وفي حق الحق
يسترق القلب السمع
ووجه استلذاذ الروح
النفات أن العالم
الرواحي يجمع الحسن
والجمال ووجود
التناسب في الأكواف
مستحسن قولاً وفلاً
ووجود التناسب في
الهياكل والصور
ميراث الروحانية فهي
مع الروح النفات
اللاذنية والألحان
للتناسب تأثيره لوجود
الجنسية ثم يتقيد ذلك
بالشرع بمصالح عالم
الحكمة ورعاية الحدود
للمبدء عين المصلحة
عاجلاً وآجلاً . ووجه
آخر إنما يستلذ الروح
النفات لأن النفات بها

المحدثي الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا ويستمنون فأنكرت ذلك بقلي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والنبي ﷺ يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواحد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمنون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وأبو بكر يقول فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق أو قال حق من حق أنا أشك فيه وقال الجنب نزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند الذكر لأنهم لا يتجاوزون إلا في مقامات الصديقين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجود ويشهدون حقا وعن ابن جريج أنه كان يرخس في السماع فقيل له أن يؤتى يوم القيامة في جملة حسناتك أو سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه شبيه بالغو وقال الله تعالى - لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم - هذا ما نقل من الأقاويل ومن طلب الحق في التقليد فهما استقصى تمارضت عنده هذه الأقاويل فينبى متجبرا أو مثالا إلى بعض الأقاويل بالتمشى وكل ذلك تصور بل ينبغي أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدراك الخطر والاباحة كاستدراكه.

(بيان الدليل على إباحة السماع)

اعلم أن قول القائل السماع حرام منعه أن الله تعالى ساقب عليه وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص أو القياس على النصوص وأعني بالنص ما أظهره صلى الله عليه وسلم بقوله أو فله وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأضاه فان لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن أدلة السائلين إلى التحريم ومهماتهم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلما كافيا في إثبات هذا الترضي لكن لستفتح ونقول قد دل النص والقياس جميعا على إباحته. أما القياس فهو أن الغناء اجتمعت فيه معان ينبغي أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم للمعنى محرك للقلب فالوصف الأعم أنه صوت طيب ثم الطيب ينقسم إلى اللوزون وغيره واللوزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بأدراك ما هو مخصوص به وللإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذذة النظر في البصيرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن والجملة سائر الألوان الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الألوان السكدرة القبيحة ولشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الأتبان المستكرهة ولذوق الطعوم اللذيذة كالدهن والخلوة والحومضة وهي في مقابلة المرارة السبشرة وليس لذة اللبن والنعومة واللينة وهي في مقابلة الخشونة والضراسة ولا لذة العلم والرفقة وهي في مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الأصوات للمدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذذة كصوت العنادل والزامير ومستكرهة كتهنق الحمار وغيرها فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها. وأما النص فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده به إذ قال - يزد في الخلق ما يشاء - قليل هو الصوت الحسن وفي الحديث « ما بهت الله نبيا إلا حسن الصوت (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « الله أشد أدنا للرجل

نطق النفس مع الروح بالإيمان الحق إشارة ورما بين المتعاقبين وبين النفوس والأرواح تعاقب أصلي ينزع ذلك إلى أنوثة النفس وذكرورة الروح وللليل والتعاقب بين الله كروا بالطينة واقع قال الله تعالى - وجعل منها زوجها ليكن إليها - وفي قوله سبحانه منها إشعار بتلازم وتلاصق موجب للاختلاف والتعاقب والتفات يستلذها الروح لأنها منافع بين المتعاقبين وكما أن في عالم الحكمة كونه حواء من آدم في عالم القدرة كونه النفس من الروح الروحاني فهذا التألف من هذا الأصل وذلك أن النفس روح حيواني نجس بالقرب من الروح الروحاني وتنجسها بأن امتازت من أرواح جنس الحيوان بشرف

(١) حديث ما بهت الله نبيا إلا حسن الصوت الترمذي في الشرائع عن قتادة وزاد قوله وكان نبيا

الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لقينته (١) « وفي الحديث في معرض للدخ لداود عليه السلام « أنه كان حسن الصوت في النباحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الاعمى والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان يعمل في مجلسه أربعين جنازة وما يقرب منها في الأوقات (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم في مدح أبي موسى الأشعري « لقد أعطى زمزما من زمائر آل داود (٣) » وقول الله تعالى - إن أنكر الأصوات لصوت الخير - يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولوجاز أن يقال إنما أيسح ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزمره أن يحرم سماع صوت العذلي لأنه ليس من القرآن وإذا جاز سماع صوت يغفل لامتني له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والعاني الصبيحة وإن من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث إنه طيب حسن : العجزة الثانية النظر في الصوت الطيب للوزون فإن الوزن وراء الحسن فكيف من صوت حسن خارج عن الوزن وكمن صوت موزون غير مستطاب والأصوات للوزونة باعتبار مخارجها ثلاثة فاتها إما أن تخرج من جدار كهوت الزمير والأوتار وضرب القضيض والطبل وغيره وإما أن تخرج من حجرة حيوان وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كهوت الصنادل والقياري وذات السبع من الطيور فهي مع طيها موزونة متناسبة للطالع والقاطع فذلك يستلزم سماعها والأصل في الأصوات نخارج الحيوانات وإما وضعت الزمير على أصوات الخناجر وهو تشبيه للصنعة بالحلقة وما من شيء توصل أهل الصناعات بصنائعهم إلى تصويره إلا وله مثال في الحلقة التي استأثر الله تعالى باختراعها فنه تسلم الصناعات قصدوا الاقتداء وشرح ذلك بطول فبما هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذهاب إلى تحريم صوت العذليض وسائر الطيور ولا فرق بين حجرة وحجرة ولا بين جدار وحيوان فينبغي أن يقاس على صوت العذليض الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار الآدي كالذي يخرج من حلقة أو من القضيض والطبل والدف وغيره ولا يستثنى من هذه إلا للالهي والأوتار والزمير التي ورد الشرع بالتحريم منها (٤) لا لذاتها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلائم به الإنسان ولكن حرمت الجوار واقضت ضراوة الناس بها للبالغة في القظام عنها حتى انتهى الأمر في الابتداء إلى كسر الدنان لحرم معها ما هو شارب أهل الشرب وهي الأوتار والزمير فقط وكان تحريمها من

حسن الوجه حسن الصوت ورويته متصلا في القيلانيات من رواية قتادة عن أنس والصواب الأول قاله الدارقطني ورواه ابن مردويه في التفسير من حديث علي بن أبي طالب وطرقه كلها ضعيفة (١) حديث لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته تقدم في كتاب تلاوة القرآن (٢) حديث كان داود حسن الصوت في النباحة على نفسه وفي تلاوة الزبور الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث لقد أوتي زمزما من زمائر آل داود قاله في مدح أبي موسى تقسم في تلاوة القرآن (٤) حديث للنع من اللهي والأوتار والزمير البخاري من حديث أبي عامر أو أبي مالك الأشعري يسكنون في أمي أقوام يستحلون الحر والحرير والعازف صورة عند البخاري صورة التعليق ولذلك ضعفه ابن حزم ووصله أبو داود والاسماعيلي . والعازف اللهي قاله الجوهري وأحمد من حديث أبي أمامة إن الله أمرني أن أعق الزمير والسكرات يعني الرباط والعازف وله من حديث قيس بن سعد بن عباد إن ربي حرم على الحر والسكرية والفنين وله في حديث لأبي أمامة يستحلهم الجوار وضربهم بالدفوف وكلها ضعيفة ولأبي الشيخ من حديث مكحول مرسل الاستماع إلى اللهي مصيبة الحديث ولأبي داود من حديث ابن عمر مع زمزما فوضع أصبعه على أذنيه قال أبو داود وهو منكبر .

القرب من الروح
الرواني ضارت حسا
فاداتكون النفس من
الروح الرواني في عالم
القدرة كنعكون
حواء من آدم في عالم
الحكمة فهذا التألف
والتعاقب ونسبة
الأنونة والدكورة من
هنا ظهر وبهذا
الطريق استطابت
الروح الغيات لأنها
مراسلات بين
للتعاقبين ومكاملة
بينهما وقد قال القائل :
تسكن منا في الوجود
عيونا
فنحن سكوت والهوى
يتكلم
فذا استلذ الروح النعمة
وجدت النفس للملوعة
بالهوى وتحركت بما
فيها لحدوث العارض
ووجد القلب للملول
بالارادة وتحرك بما فيه
لوجود العارض في
الروح :
شربنا وأهرقنا على
الأرض جرة
وللأرض من كأس
السكرام نصيب

قبل الاتباع كاحرمت الخلوة بالأجنبية لأنها مقدمة الجماع وحرم النظر إلى الفخذ لاصاله بالسواطين وحرم قليل الخمر وإن كان لا يسكر لأنه يدعو إلى السكر وما من حرام إلا وله حريم لطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حرمي للحرمان ووقاية له وحظا ما هنا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم « إن لكل ملك حرمي وإن حرمي الله محارمه » (١) فهي محرمة بما لتحريم الخمر ثلاث علل : إحداهما أنها تدعو إلى شرب الخمر فإن اللذة الحاصلة بها إنما تتم بالخمر وتلك هذه الملة حرم قليل الخمر . الثانية أنها في حق قرب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الأنس بالشرب فهي سبب التذكر والتذكر بسبب انبعاث الشوق وانبعاث الشوق إذا قوي فهو سبب الإندام ولهذا الملة « نهى عن الابتذال في الزفت والختم والنقير » (٢) وهي الأواني التي كانت خصوصاً بها لعق هذا أن مشاهدة صورتها تذكرها وهذه الملة تفارق الأولى إذ ليس فيها اعتبار بآلة في التذكر إذ لا تارة في رؤية القنينة وأواني الشرب لكن من حيث التذكر بها فإن كان السماع يذكر الشرب تذكر الشوق إلى الخمر عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منتهى عن السماع بخصوص هذه الملة فيه . الثالثة الاجتماع عليها لما أن صار من عادة أهل القسق فيمنع من التشبه بهم لأن من تشبه بهم فهو منهم وبهذه الملة نقول بترك السنة مهما صارت شامرا لأهل البدعة خوفاً من التشبه بهم وبهذه الملة يحرم ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخشئين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيح والغزو وبهذه الملة نقول لواجتمع جماعة وزينوا مجلساً وحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوها فيها السكجيين ونصبوا ساقياً يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقى ويشربون ويغني بعضهم بعضاً بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وإن كان للشرب مباحاً في نفسه لأن في هذا تشبهاً بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر طي الرأس قرعاً في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيها وراء التبر لا اعتياد أهل الصلاح ذلك فيهم فبهذه الملة حرم الزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنيج والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيح وشاهين الطباخين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها بقاء على أصل الاباحة قياساً على أصوات الطيور وغيرها بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلح حرام أيضاً وبهذا يتبين أنه ليست الملة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها إلا ما في تحليله فساد قال الله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - فهذه الأصوات لا تحرم من حيث إنها أصوات موزونة وإنما تحرم بما راض آخر كما سيأتي في العوارض المحرمة . الدرجة الثالثة : الوزن والقهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان فيقطع بإباحة ذلك لأنه ما زاد إلا كونه مفهوماً والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب للوزن غير حرام فإذا لم يحرم الأحاد فمن أين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فإن كان فيه أمر محظور حرم شره ونظمه وحرم النطق به سواء كان بالحن أو لم يكن والحق فيه ما قاله الشافعي رحمه الله إذ قال الشعر كلام لحسنه حسن وقبيحه قبيح ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت والحن جاز إنشاده مع الألحان فإن أفراد اللباحت إذا اهتمت كان ذلك المجموع مباحاً

ففسد للبطل أرض لسان قلبه وقلب الحق أرض لسان روحه فالبالغ مبلغ الرجال والتجوهر التجرد من أعراض الأحوال خلق فعلى النفس والقلب بالوادي المقدس وفي مقد صدق عند ملك مقتدر استقر وعرس وأحرق بنور البيان أجرام الألحان ولم تصغ روحه إلى مناعة عاشقه لشغفه بمطالعة آثار محبوبه فالهائم الشائق لا يسه كشف ظلامه المشاق ومن هذا حاله لا يحركه السماع رأساً وإذا كانت الألحان لا تلحق هذا الروح مع لطافة مناجاتها وحق لطيف مناجاتها كيف يلحقه السماع بطريق مهم العاني وهو أ كنف ومن يصف عن حمل لطيف الإشارات كيف يتحمل ثقل أعباء العبارات وأقرب من هذا عبارة تقرب إلى

(١) حديث إن لكل ملك حرمي وإن حرمي الله محارمه تقدم في كتاب الحلال والحرام .

(٢) حديث النبي عن الابتذال في الختم والزفت والنقير متفق عليه من حديث ابن عباس .

ومهما انضم مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظورا لا تضمنه الأحاد ولا محظور ههنا وكيف ينكر إنشاد الشعر وقد أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) وقال عليه السلام « إن من الشعر لحكمة » ^(٢) وأنشدت عائشة رضي الله عنها :

ذهب الدين يماش في أكناهم وبقيت في خلف كجبد الأجر

وروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما وكان بها وباء قهلت يا أبت كيف تجددك وبابلال كيف تجددك ؟ فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبج في أهله واللوت أدنى من شرك نعله

وكان بلال إذا أقلمت عنه الحمى برفع فقيرته ويقول :

ألا ليت شعري هل آيتن ليلة بواد وحولي بدخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة رضي الله عنها فأخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » ^(٣) وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول : هذا الحمال لآمال خير هذا أبر ربنا وأطهر وقال أيضا صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لاهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة ^(٤)

(١) حديث إنشاد الشعر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث أبي هريرة أن عمر بن الخطاب وهو ينشد الشعر في المسجد فلحق إليه فقال قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك الحديث ، وسلم من حديث عائشة إنشاد حسان :

هجوتم محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذلك الجزاء القصيدة

وإنشاد حسان أيضا :

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت محزوم ووالدك العبد

وللبخاري إنشاد ابن رواحة :

وفينا رسول الله يسلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع الآيات

(٢) حديث إن من الشعر لحكمة البخاري من حديث أبي بن كعب وتقدم في العلم

(٣) حديث عائشة في الصحيحين لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال الحديث وفيه إنشاد أبي بكر :

كل امرئ مصبج في أهله واللوت أدنى من شرك نعله

وإنشاد بلال : ألا ليت شعري هل آيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يدون لي شامة وطفيل

قلت : هو في الصحيحين كما ذكر الصنف لكن أصل الحديث والشعر عند البخاري فقط ليس عند مسلم (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول :

هذا الحمال لآمال خير هذا أبر ربنا وأطهر

وقال صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لاهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

الأفهام : الوجود والورد

يرد من الحق سبحانه

وتعالى ومن يريد الله

لا يقنع بما من عند الله

ومن صار في محل القرب

متحققا لا يلهمه ولا

يحركه ما ورد من عند

الله فالوارد من عند

الله مشعر يمد

والقريب واجد لما

يصنع بالوارد والوجد

فار والقلب الواجد

ربه نور والنور أطف

من النار والكثيف

غير مسطر على

اللطيف فإدام الرجل

البالغ مستمرا على

جادة استقامته غير

منحرف عن وجهه

معهوده بنوازع

وجوده لا يدركه الوجد

بالسمع فان دخل عليه

فتور أوعاقه قصور

بدخول الابتلاء عليه

من المولى الحسن يتألف

الحسن من تقاريق صور

الابتلاء أي يدخل

عليه وجود يدركه

الواجد لعود العبد

عند ابتلاء إلى حجاب

وهذه في الصحيحين وكان النبي صلى الله عليه وسلم « يضع لسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد حسان روح القدس ما نافع أو فاجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) » ولما أنشدته النابتة شعره قاله صلى الله عليه وسلم « لا يفضض الله فاك ^(٢) » وقالت عائشة رضي الله عنها « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقاضون عنده الأشعار وهو يتبسم ^(٣) » وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال « أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال إن كاد في شعره ليسلم ^(٤) » وعن أنس رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدي له في السفر وإن أنجشة كان يحمد بالنساء والبراء بن مالك كان يحمد بالرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنجشة رويدك سوقك بالقوابير ^(٥) » ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضي الله عنهم وما هو إلا أشعار تؤدي بأصوات طيبة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره بل ربما كانوا يبتسمون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوماً مستلذاً مؤدي قال الصنف والبيتان في الصحيحين . قلت البيت الأول انفرد به البخاري في قصة الهجرة من رواية عروة مرسلاً وفيه البيت الثاني أيضاً إلا أنه قال الأجر بدل العيش تمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم له قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت والبيت الثاني في الصحيحين من حديث أنس يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقولون :

الهم لا خير إلا خير الآخرة فاضر الأنصار وللهاجرة

وليس البيت الثاني موزوناً وفي الصحيحين أيضاً أنه قال في حفر الخندق بلفظ : فبارك في الأنصار وللهاجرة . وفي رواية فاعفروني رواية لمسلم فأكرم ولهما من حديث سهل بن سعد فأعفروني للهاجرين والأنصار (١) حديث كان يضع لسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح الحديث البخاري تطبيقاً وأبو داود والترمذي والحاكم متصلان من حديث عائشة قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الإسناد وفي الصحيحين أنها قالت إنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أنه قال للنابتة لما أنشدته شعرها لا يفضض الله فاك البغوي في معجم الصحابة وابن عبد البر في الاستيعاب باسناد ضعيف من حديث النابتة واسمه قيس بن عبد الله قال أنشدت النبي ﷺ : بلغنا الساء مجداً وجدودنا وإنا لرجو فوق ذلك مظهر الأبيات وزواها البرار بلفظ : علونا العباد عفة وتكرماً . الأبيات وفيه فقال أحسنت يا أبا ليلى لا يفضض الله فاك وللحاكم من حديث خزيم بن أوس سمعت العباس يقول يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك فقال قل لا يفضض الله فاك فقال العباس :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق الأبيات

(٣) حديث عائشة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقاضون الأشعار وهو يتبسم الترمذي من حديث جابر بن سمرة وصححه ولم أقف عليه من حديث عائشة (٤) حديث الشريد أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه الحديث رواه مسلم (٥) حديث أنس كان يحدي له في السفر وإن أنجشة كان يحمد بالنساء وكان البراء بن مالك يحمد بالرجال الحديث أبو داود والطائلي واتفق الشيخان منه على قصة أنجشة دون ذكر البراء بن مالك

القلب فمن هو مع الحق إذا زل وقع على القلب ومن هو مع القلب إذا زل وقع على النفس سمعت بعض مشايخنا يحكي عن بعضهم أنه وجد من الباع قليل له ابن حالك من هذا فقال دخل على داخل أوردني هذا الورد .

قال بعض أصحاب سهل صحبت سهلاً سنين ما رأيت تغير عند شيء كان يسلمه من الفكر والقرآن فلما كان في آخر عمره قرئ عنده - فالوم لا يؤخذ منك فدية - فارتعد وكاد يسقط فأتته عن ذلك قال نعم لحقني ضعف وضع مرتللك يومئذ الحق للرحمن - فاضطرب فسأله ابن سالم وكان صاحبه قال قد ضعفت قليل لـ إن كان هذا من الضعف فما القوة قال القوة أن السكامل لا يرد عليه وارد إلا

بأصوات طيبة وألحان موزونة . الدرجة الزاوية : النظر فيه من حيث إنه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه فأقول قد تعالى سر في مناسبة بالصفات الموزونة للأرواح حتى إنها لتؤثر فيها تأثيراً عجيباً فمن الأصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويغرب ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ولا ينبغي أن يظن أن ذلك لهم معاني الشعر بل هذا جار في الأوتار حتى قيل من لم يحركه الريح وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لهم المعنى وتأثيره مشاهد في السبي في مهبه فانه يسكنه الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يكره إلى الاصغاء إليه والجلوس ببلاده طبعه يتأثر بالجداء تأثراً يستغفم به الأحوال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في جماعه للسلالات الطويلة وينبت فيه من النشاط ما يسكره ويولعه فتراها إذا طالت عليها البوادي واعتراها الإعياء والكلال تحت المحاميل والأحوال إذا سمعت منادى الجداء تمد أعناقها وتضني إلى الحادى ناصية أذاتها وتسرع في سيرها حتى تنزعزع عليها أحوالها ومحاميلها وربما تلفت أنفوسها من شدة السير وقيل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها قد حكى أبو بكر محمد بن داود البهيموري المعروف بالرفق رضى الله عنه قال كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضائق رجل منهم وأدخلني خبائه فرأيت في الجباء عبداً أسوداً مقيداً بقيد ورأيت جملاً قد مات بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو نازل ذابل كأنه ينزع روحه فقال لي التلام أنت ضيف ولك حق فتشفع في إلى مولاي فانه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك في هذا القدر ففصاه يحل القيد عني قال فلما أحضروا الطعام امتنعت وقلت لا تأكل ما لم أشفع في هذا البعد فقال إن هذا البعد قد أقدرت وأهلك جميع مالي فقلت ماذا فعل قال إنه سوتا طيباً وإن كنت أعيش من ظهور هذه الجبال فغلبها أحوالاً ثقلاً وكان يحذو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من طيب نصته فلما حطت أحوالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد ولكن أنت ضيف فلكرامتك قد وهبته لك قال فأجبت أن أجمع صوته فلما أصبحنا أمره أن يحذو على جبل يستقي الماء من بئر هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع جباله ووقعت أنا على وجهي فلما أظن أني سمعت قط سوتا أطيب منه فاذن تأثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافة على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فإن جميعها تتأثر بالصفات الموزونة ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يحز أن يحكم فيه مطلقاً بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق التفات لحكمه حكم ما في القلب قال أبو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات الموزونة معتاد في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع . الأول : غناء الحبيب فأنهم ولا يدورون في البلاد بالطلب والشاهين والقضاء وذلك مباح لأنها أشعار نظمت في وصف الكعبة والقام والحطيم وزمرم وسائر للشاعر ووصف البادية وغيرها وأثر ذلك يهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى واشتغال نيرائه إن كان ثم شوق حاصل . أو استارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلًا وإذا كان الحنج قريباً والشوق إليه محموداً كان التشويق إليه بكل ما يشوق محموداً وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه في الوعظ ويؤثر بالسمع وبشوق الناس إلى الحنج بوصف البيت والشاهين ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على تنظم الشعر فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع في القلب فإذا أضيف إليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقته فإن أضيف إليه الطبل والشاهين وحركات الإيقاع زاد التأثير وكل ذلك جائز ما لم

يقتله بقوة حاله فلا يفسره الوارد . ومن هذا القبيل قول أبي بكر رضى الله عنه هكذا كنا حتى قست القلوب لما رأى الباكي يسكي عند قراءة القرآن وقوله قست أي تصلبت وأمنت صماع القرآن وألفت أنواره فما استغربه حتى تغير والواجد كالمستغرب ولهذا قال بعضهم حالي قبل الصلاة كحالي في الصلاة إشارة منه إلى استمرار حال الشهود هكذا في السماع كقبل السماع . وقد قال الجيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أهم من فضل الوجد . وبلغنا عن الشيخ حماد رحمه الله أنه كان يقول البكاء من بقية الوجود وكل هذا يقرب البعض من البعض في الشيء لمن عرف الإشارة فيه وفهم وهو عزيز القهم عزيز الوجود . واعلم أن

يدخل فيه الزامير والأوتار التي هي من شعار الأشرار ، نعم إن قصده تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالذي أنه ط الفرض عن نفسه ولم يأذن له أبواه في الخروج فهذا يحرم عليه الخروج فيحرم تشويقه إلى الحج بالسمع وبكل كلام يشوق إلى الخروج فإن التشويق إلى الحرام حرام وكذلك إن كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالباً لم يحز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق . الثاني : ما يتبادر الفزة لتحرير الناس على الفزو وذلك أيضا مباح كما للحاج ولكن ينبغي أن يخالف أفعارهم وطرق الحائهم أشعار الحاج وطرق الحائهم لأن استئارة داعية الفزو بالتشجيع وتحريك النيط والضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقاق النفس والمال بالامانة إليه بالأشعار للشجاعة مثل قول المتنبي :

فان لا تمت تحت السيوف مكرما تمت وتغاس القل غير مكرم

وقوله أيضا :

برى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع الثيم

وأمثال ذلك وطرق الأوزان الشجعة تخالف الطرق الشوقة وهذا أيضا مباح في وقت يساه فيه الفزو ومنسوب إليه في وقت يستحب فيه الفزو ولكن في حق من يجوز له الخروج إلى الفزو . الثالث : الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقاء والفرض منها التشجيع للنفس وللاقتدار وتحريك النشاط فيهم للقتال وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة وذلك إذا كان بلفظ زهيق وصوت طيب كان أو وقع في النفس وذلك مباح في كل قتال مباح ومنسوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين وأهل القمة وكل قتال محظور لأن تحريك الدواعي إلى المظهور محظور وذلك منقول عن شجنان الصحابة رضي الله عنهم كلى وخالفه رضي الله عنهما وغيرها ولذلك قول ينبغي أن يمنع من الضرب بالشاهدين في معسكر الفزة فإن صوته مرقق محزن محل عقد الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق إلى الأهل والوطن ويورث الفتور في القتال وكذا سائر الأصوات والألحان للرقعة للقلب فالألحان للرقعة المحزنة تبين الألحان المحركة للشجاعة فمن فعل ذلك على قصد تثير القلوب وتفتير الآراء عن القتال الواجب فهو طاس ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو ذلك مطيع . الرابع : أصوات النباح ونهاتها وتأثيرها في تهيج الحزن والبكاء وملازمة الكابة والحزن فحان : محمود ومنموم فأما للمذموم فكالحزن على ما فات الله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم - والحزن على الأموات من هذا القليل فانه تسخط قضاء الله تعالى وتأسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان مذموما تحريكه بالنباح مذموما فلذلك ورد النهي الصريح عن النباح (١) وأما الحزن المممود فهو حزن الانسان على قصيره في أمر دينه ، وبكائه على خطايا ، والبكاء والتباكى والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بقاء آدم عليه السلام وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لأنه يثبت على التشهير للتدارك ولذلك كانت نباحة داود عليه السلام محمود إذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب فقد كان عليه السلام يبكي ويبكي وعجز حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نباحته وكان يفعل ذلك بالفاظه وألحانه وذلك محمود لأن القضى إلى المصمود محمود وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على النثر بألحانه الأشعار المحزنة للرقعة للقلب ولا أن يبكي ويتباكى ليتوصل به إلى تبكية غيره وإثارة حزنه . الخامس : السماع في أوقات السرور تأكيذا للسرور وتهيجا له وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحا كالتفان في أيام العيد

للباكن عند السماع
مواجيد مختلفة فمنهم
من يبكي خوفا ومنهم
من يبكي شوقا ومنهم
من يبكي فرحا كما قال
القائل :

طفع السرور على حتى إنى
من عظم ما قد سرتني أبكاني
قال الشيخ أبو بكر
الكتاني رحمه الله
سماع العوام على
متابعة الطبع وسماع
للرديد رغبة ورهبة
وسماع الأولياء رؤية
الآلاء والنعاء وسماع
القارفين على الشاهدة
وسماع أهل الحقيقة على
الكشف والبيان
ولكل واحد من
هؤلاء مصدر ومقام .
وقال أيضا للوارد ترد
قتصادف شكلا أو
مواقف أي وارد صادف
شكلا مازجه وأي
وارد صادف موقفا
ساكنه وهنم كلها
مواجيد أهل السماع
وما ذكرناه حال من

(١) حديث النبي عن النباحة متفق عليه من حديث أم عطية أخذ علينا النبي صلى الله عليه وسلم في البيعة أن لا تشوق .

وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزيز وكل ذلك مباح لأجل إظهار السرور به ووجه جواز أن من الألحان ما يشير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

فهذا إظهار السرور لقدمه صلى الله عليه وسلم وهو سرور محمود فإظهاره بالشعر والنبات والرقص والحركات أيضا محمود قد نقل عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم جعلوا في سرور أصابعهم ^(٢) كما سيأتي في أحكام الرقص وهو جائز في قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من أسباب السرور ويدل على هذه ما روى في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترن بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلبون في السجد حتى أكون أنا الذي أسأله ^(٣) » فأقروا بقدر الجارية الحديثة السن الحريصة على إظهار إشارته إلى طول مدته وقوفها. وروى البخاري ومسلم أيضا في صحيحهما حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها « أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريان في أيام من تدفان وتضربان والتي صلى الله عليه وسلم متفق بثوبه فاتهما أبو بكر رضي الله عنه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فاتها أيام عيد » وقالت عائشة رضي الله عنها « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترن بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلبون في السجد فزجرهم عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أئنا يا بني أرفدة ^(٤) » يعني من الأمن ومن حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه تفتيان وتضربان ^(٥) وفي حديث أبي طاهر عن ابن وهب والله قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقوم على باب حجرى والحبشة يلبون بمحارهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسترن بثوبه أو بردائه لكي أنظر إلى لمعهم ثم يقوم من أجل خيأ كون أنا الذي أنصرف ^(٦) »

(١) حديث إنشاد النساء عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

البقي في دلائل النبوة من حديث عائشة مضافا وليس فيه ذكر الدف والألحان ^(٧) حديث حبل جماعة من الصحابة في سرور أصابعهم أبو داود من حديث علي وسيأتي في الباب الثاني ^(٨) حديث عائشة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترن بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلبون في السجد الحديث هو كما ذكره للصف أيضا في الصحيحين لكن قوله إنه فيها من رواية عقيل عن الزهري ليس كما ذكره هو عند البخاري كما ذكر وعند مسلم من رواية عمرو بن الحارث عنه ^(٩) حديث عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترن بثوبه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلبون في السجد فزجرهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم أئنا يا بني أرفدة تقدم قبله بحديث دون زجر عمر لهم إلى آخره فرواه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أئنا يا بني أرفدة بل قال دعهم يا عمر زاد النسائي فأما ما هو أرفدة ولها من حديث عائشة دونكم يا بني أرفدة وقد ذكره المصنف بعد هذا ^(١٠) حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه بخيلان ويضربان رواه مسلم وهو عند البخاري من رواية الأوزاعي عن ابن شهاب ^(١١) حديث أبي طاهر عن ابن وهب والله قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرى والحبشة يلبون بمحارهم الحديث رواه مسلم أيضا .

ارتفع عن السماع وهذا الاختلاف منزل على اختلاف أقسام البكاء التي ذكرناها من الخوف والشوق والفرح وأعلامها بكاء الفرح بثابة قائم يقسم على أهله بعد طول غربته فسد رؤية الأهل يسكن من قوة الفرح وكثرة وفي البكاء رتبة أخرى أعز من هذه يمز ذكرها ويكبر فصرها قصور الانقياد عن إدراكها فربما يقابل ذكرها بالانكسار وبغنى بالاستكبار ولكن يرفها من وجدها قدما ووصولا أو فهمها نظرا كثيرا ومثولا وهو بكاء الوجدان غير بكاء الفرح وحدث ذلك في بعض مواطن حتى اليقين ومن حتى اليقين في الدنيا إلامات يسيرة فيوجد البكاء في بعض مواطن

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان يأتيني صواحب لي فكنت يفتنن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسر ليهنين إلى قلعتين معي (١) وفي رواية أن النبي ﷺ قال لها يوما « ما هذا قالت بناتي قال لها هذا الذي أرى في وسطهن قالت فرس قال ما هذا الذي عليه قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت أو ما سمعت أنه كان لسلیمان بن داود عليه السلام خيل لها أجنحة قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه » والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ الصور من الحزف والرقاع من غير تشكيل صورته بدليل ما روى في بعض الروايات أن الفرس كان له جناحان من رقايع وقالت عائشة رضي الله عنها « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بسات فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر رضي الله عنه فأتته فأتته وقال مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : دعهما فمأغفل غمرتهما غمر جنة (٢) »

وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإما قال تشبهين تنظرين قلت نعم فأقامني وراءه وخدني على خده ويقول دونكم يا بني أرفده حتى إذا مللت قال حبسك قلت نعم قال فاذهي . وفي صحيح مسلم فوضعت رأسي على منكبه فجعلت أنظر إلى لحيته حتى كنت أنا التي انصرفت فهذه الأحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح في أن النساء واللعب ليس بهرام وفيها دلالة على أنواع الرخص . الأول : اللعب ولا يعني عادة الحبشة في الرقص واللعب . والثاني فعل ذلك في المسجد ، والثالث قوله صلى الله عليه وسلم « دونكم يا بني أرفده » وهذا أمر باللعب والتمسك فكيف يقدر كونه حراما . والرابع منه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن الانسكار والتخير وتعليله بأنه يوم عيدي هو وقت سرور وهذا من أسباب السرور . والخامس : وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك وسماعه لمواظقة عائشة رضي الله عنها وفيه دليل على أن حسن الخلق في تطيب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتعسف في الامتناع والنهي عنه . والسادس : قوله صلى الله عليه وسلم ابتداء لعائشة « أنتهين أن تنظري » ولم يكن ذلك عن اضطراب إلى مساعدة الأهل خوفا من غضب أو وحشة فان الالتئام إذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور فأما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه . والسابع : الرخصة في الغناء والضرب بالدف من الجاريتين مع أنه شبه ذلك بمزمار الشيطان وفيه بيان أن اللزمار المحرم غير ذلك . والثامن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقع معه صوت الجاريتين وهو مضطجع ولو كان يضرب بالأوتار في موضع لما جوز الجلوس ثم يرقع صوت الأوتار معه فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم تحريم صوت للزامير بل إنما يجرم عند خوف الفتنة فهذه القاييس والنصوص تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزواج في أوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فإنه وقت سرور وفي معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر

(١) حديث عائشة كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وهو في الصحيحين كما ذكر المصنف لكن مختصر إلى قولها فيلعبن معي . وأما الرواية الطويلة التي ذكرها المصنف بقوله وفي رواية فليست من الصحيحين إنما رواها أبو داود بإسناد صحيح (٢) حديث عائشة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بسات الحديث هو في الصحيحين كما ذكر المصنف والرواية التي عزاها لمسلم انفراد بها مسلم كما ذكر .

لوجود تغار وتبان بين المحدث والقديم فيكون البكاء رشا هو من وصف الجدنان لو هيج خطوة عظمة الرحمن ويقرب من ذلك مثلا في الشاهد قطر الصمام يتلاقى مختلف الأجرام وهذا وإن عز مشعر يقية قدح في صرف الفناء ، ثم قد يتحقق البعد في الغناء متجردا عن الآثار منعسا في الأوتار ثم يرتقى منه إلى مقام اليقاع ويرد إليه الوجود مطهرا فتعود إليه أقسام البكاء خوفا وشوقا وفرحا وجدانا بمشاكل صورها ومباينة حقائقها يفرق لطيف بذكره أربابه وعند ذلك يعود عليه من السماع أيضا قسم وذلك القسم مقدوره مقهور معه يأخذنه إذا أراد وربه إذا أراد ويصكون هذا السماع من

وصائر أسباب الفرح وهو كل ما يجوز به الفرح شرعا ويجوز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام وكلام فهو أيضا مظنة السماع . السادس : سماع العشاق تحريكا للشوق وتيسيرا للعشق وتلبية للنفس فان كان في مشاهدة المشوق فالغرض تأكيد اللذة وإن كان مع المقارنة فالغرض تيسير الشوق والشوق وإن كان ألما فبه نوع لذة إذا انضاف إليه رجاء الوصال فان الرجاء لديه والياس مؤلم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للنفس . للرجو في هذا السماع تيسير العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء القدر في الوصال مع الاطمان في وصف حسن المحبوب وهذا حلال إن كان للشقاق إليه مخ يباح وصالة كمن يشق زوجته أو سرته فيصنى إلى غنائها لتضاعف لذة في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر والسماع والأذن وبهم لطائف معاني الوصال والفرق القلب فتزاد أسباب اللذة فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحياة إلا لهو ولعب وهذا ممنوع كذلك إن غضبت منه جارية أو حيل بينه وبينها بسبب من الأسباب فله أن يحرك بالسماع عوقه وأن يستريح به لذة رجاء الوصال فان باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء وأما من يشغل في نفسه صورة صبي أو امرأة لا يحل له النظر إليها وكان ينزل ما يسمع على ما تمثل في نفسه فهذا حرام لأنه يحرك الفكر في الأفعال المحظورة ومهيئ للداعية إلى ما لا يباح الوصول إليه وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن إضارسيه من ذلك وذلك ممنوع في حقهم لما فيه من الداء الدفين لا لأمر يرجع إلى نفس السماع ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يجمع إلى دماغ الإنسان يزيد الجماع ويبهجه السماع . السابع : سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه سبحانه ولا يقرع سمعه قارعا إلا سمعته أوفيه فالسماع في حقه ميسر لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومور زناد قلبه ومستخرج منه أحوالا من الكشافات وللإطمان لا يحيط الوصف بها يحرقها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجداما أخذ من الوجود والصادقة أى صادف من نفسه أحوالا يمكن جادها قبل السماع ثم تكون تلك الأحوال أسبابا لروادف وتوابع لما تحرق القلب بنيرانها وتقي من الكدورات كالتقي النار الجواهر المروضة عليها من الحب ثم يتبع الصفاء الحاصل بمشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها فالمغضى إليها من جملة الكربات لامن جملة المعاصي والبإحات وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبة النغمات الوزونة للأرواح وتسخير الأرواح لها وتأثيرها بها شوقا وفرحا وحرنا وانبطا واهياضا ومعرفة السبب في تأثير الأرواح بالأصوات من دقائق علوم المكاشفات والبلد الجامد القاسى القلب المحروم عن لذة السماع يشجب من التذاد المستمع ووجه واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزنج وتعجب العين من لذة البائثرة وتعجب الصي من لذة الرياسة واتساع شباب الجاهل وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صمعه ولسلك ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع إدراك والادراك يستدعى مدركا ويستدعى قوة مدركة فمن لم يكمل قوة إدراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من قد التوق وكيف يدرك لذة الألحان من قد السمع ولذة العقولات من قد العقل وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدرك بحاسة باطنة في القلب فمن قدحها عدم لاهجالة لذته ولملك يقول كيف يتصور العشق في حق الله تعالى حتى يكون السماع محركا له . فاعلم أن من عرف الله أحبه لاهجالة ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته والمحبة إذا تأكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة ولذلك قالت العرب إن محمدا قد عشق ربه لما رأوه يتخلى

للممكن بنفس الطمأنات واستارت وباينت طبعها واحتسبت طمأنيتها وأكسها الروح معنى منه فيكون سماعه نوع تمتع للنفس كتمتعها بمباحات اللذات والشهوات لأن يأخذ السماع منه أو يزيد به أو يظهر عليه منه أثر فتكون النفس في ذلك بمثابة الطفل في حجر الوالد يفرحه في بعض الأوقات يعض مأربه ومن هذا القليل ما قل أن أبا محمد الرائي كان يشغل أصحابه بالسماع وينزل عنهم ناحية يصلى قد تطرق هذه النغمات مثل هذا المصلى فتدلى إليها النفس متمعة بذلك فترداد مورد الروح من الألس صفاء عند ذلك ليعد النفس عن الروح في تمتعها فانها مع طمأنيتها بوصف من الأجنبية بوضعها وجيلها وفي بعدها توفر

للبادة في جبل حراء . واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الجمال إن كان يتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرافة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب ولفظ الجمال قد يستأثر أيضاً فيقال إن فلاناً حسن وجميل ولا تراد صورته وإنما يعني به أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحساناً لها كأن يحب الصورة الظاهرة وقد تتأثر كد هذه المحبة فتدغم عشفاً وكم من التلافة في حب أرباب اللذات كالشافي ومالك وأبي حنيفة رضي الله عنهم حتى يذلوا أموالهم وأرواحهم في نصرتهم وموالاهم ويزيدوا على كل عاشق في الغلو والبالغة ومن المعب أن يقتل عشق شخص لم تشاهد قط صورته أن جميل هو أم قبيح وهو الآن ميت ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته للرضية والخيرات الحاصلة من عمله لأهل الدين وغير ذلك من الحاصل ثم لا يقتل عشق من ترى الخيرات منه بل على التحقيق من لا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسن من حسنة وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال في العالم أدرك بالقول والأبصار والأسماع وسائر الحواس من مبتدا العالم إلى منقرضه ومن ذروة الثريا إلى منتهى الترى فهو ذرة من خزائن قدرته وللمة من أنوار حضرته فليت شعري كيف لا يقتل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأثر عند المعارفين بأوصافه جبم حتى يجاوز حداً يكون إطلاق اسم المشق عليه ظلماً في حقه لتصوره عن الأنبياء عن فرط محبته فيبجاء من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الأبصار بأشراق نوره ولولا احتجابه ببعضين جباباً من نوره لأحرقت سبجات وجهه بأبصار الملاحظين لجمال حضرته ولولا أن ظهوره بسبب خفائه لبنت القول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتافرت الأعضاء ولوركت القلوب من الحجازة والحديد لأصبحت تحت مبادئ أنوار تجليه دكا فأتى تطبيق كنه نور الشمس بأبصار الخفافيش وسبأ تحقيق هذه الإشارة في كتاب المحبة ويتضح أن محبة غير الله تعالى قصور وجهل بل للتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله تعالى إذ ليس في الوجود تحقيقاً إلا الله وأفعاله ومن عرف الأفعال من حيث إنها أفعال لم يجاوز معرفة الفاعل إلى غيره فمن عرف الشافي مثلاً رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث إنه تصنيفه لامن حيث إنه يياض وجلد وجبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية فلهذا عرفه ولم يجاوز معرفة الشافي إلى غيره ولا جاوزت محبته إلى غيره فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وقوله وبديع أفعاله فمن عرفها من حيث هي صنع الله تعالى فرأى من الصنع صفات الصانع كإبري من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله تعالى غير مجاوزة إلى سواء ومن حد هذا الشق أنه لا يقتل الشركة وكل ماسوى هذا الشق فهو قابل للشركة إذ كل محبوب سواء يتصور له نظير إما في الوجود وإما في الامكان فأن هذا الجمال فلا يتصور له ثاني لافي الامكان ولا في الوجود فكان اسم الشق على حب غيره مجازاً محضاً لا حقيقة ، ثم الناقص القريب في صفاته من البهية قد لا يدرك من لفظة الشق إلا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الأجسام وقضاء شهوة الواقع فثل هذا الحمار يبنى أن لا يستعمل معه لفظة الشق والشوق والوصال والأنس بل يجب هذه الألفاظ والمعاني كأن يحب البهية الرجس والريحان وتخصص بالقت والحشيش وأوراق القصبان فإن الألفاظ إنما يجوز إطلاقها في حق الله تعالى إذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله تعالى عنه والأوهام تختلف باختلاف الأنهام فليتب لهذه الدقيقة في أمثال هذه الألفاظ بل لا يبعد أن ينشأ من مجرد الباع لصفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب قد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنفاس الروح من الفتوح ويكون طروق الألمان سمع في الصلاة غير محيل بينه وبين حقيقة النجاة ونهم تنزل الكلمات وتصل الأقسام إلى عملها غير مزاحمة ولا مزاحمة وذلك كله لسة شرح الصدر بالإيمان والله الحسن النان ولهذا قيل الباع لقوم كالدواء ولقوم كالغذاء ولقوم كالروحة ومن عود أقسام البكاء مروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي « أقر أفعال أقر أعليك » وعليك أنزل فقال أحب أن أسمع من غيري فافتتح سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى - فكيف إذا جثا من كل أمة يشهد وجثا بك على هؤلاء شهيداً - فإذا عيناه تهللن . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل الحجر واستلمه ثم وضع

« أنه ذكر غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء قالت الله عز وجل هل من خلق الأرض قالت الله عز وجل قال من خلق الجبال قالت الله عز وجل قال من خلق القيم قالت الله عز وجل قال إني لأسمع قه شأنا ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع (١) » وهكذا كأنه سمع مادل على جلال الله تعالى وتعالى قدرته فطرب لذلك ووجد فرمى نفسه من الوجد وما أزلت السكب إلا يطربوا بذكر الله تعالى قال بعضهم رأيت مكتوبا في الإنجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترصوا أي شوقنا بذكر الله تعالى فلم تشتاقوا فهذا ما أردنا أن نذكره من أقسام السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع إباحته في بعض الواضع والتدب إليه في بعض الواضع . فان قلت فهل له حالة يحرم فيها . فأقول إنه يحرم بخمسة عوارض عارض في السمع وعارض في آلة الإسماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس السمع أو في مواظبته وعارض في كون الشخص من عوام الخلق لأن أركان السماع هي السمع والسمع والسمع وآلة الإسماع العارض الأول أن يكون السمع امرأة لا يحل النظر إليها وتخفى الفتنة من جماعها وفي معناها الصبي الأمرد الذي تخفى فتنه وهذا حرام لمافي من خوف الفتنة وليس ذلك لأجل الفناء بل لو كانت المرأة بحيث يفتن بصوتها في المحاورة من غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومعادتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضا وكذلك الصبي الذي تخاف فتنته . فان قلت فهل تقول إن ذلك حرام بكل حال حسب الباب أو لا يحرم إلى حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف الفتنة . فأقول هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلا ن أحدهما أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة أو لم تخف لأنها مظنة الفتنة على الجملة تقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور . والثاني أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الجسم بل يتبع فيه الحال وصوت المرأة دائر بين هذين الأصلين فان قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أول هيجانها ولاتدعو إلى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة للماسة كتحريك السماع بل هو أند وصوت المرأة في غير الفناء ليس بعورة فلم تزل النساء في زمن الصحابة رضي الله عنهم يكمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والشاورة وغير ذلك ولكن للفناء مزيد أثر في تحريك الشهوة قياس هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات فينبغي أن يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه هذا هو الأنيس عندي ويتأيد بمحدث الجاريتين الغنيتين في بيت عائشة رضي الله عنها إذ يعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمع أصواتها ولم يحترز منه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز فاذن يختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد أن يختلف الأمر في مثل هذا بالأحوال فانا نقول للشيخ أن يقبل زوجته وهو سائم وليس للشاب ذلك لأن القبله تدعو إلى الوقوع في الصوم وهو محظور والسماع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك أيضا بالأشخاص . العارض الثاني في الآلة بأن تكون من شعار أهل الشرب أو الخنثيين وهي الزامير والأوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة وماعدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالف وإن كان فيه الجلال والكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات . العارض الثالث في نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه شيء من الحنا والفحش والمهجو أو ما هو كذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم أو على الصحابة رضي الله عنهم كما ربه الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بالآلحان

(١) حديث أبي هريرة إن غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء فقالت الله الحديث وفيه ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع رواه ابن حبان .

شفته عليه طويلا
يكي وقال يا عمرهنا
تسكب العبرات
ولتتمكن تمود إليه
أقسام البكاء وفي ذلك
فضيلة سألها النبي صلى
الله عليه وسلم فقال
« اللهم ارزقني عينين
هطاليتين » ويكون
البكاء في الله فيكون لله
ويكون بالله هو الأتم
لعوده إليه بوجود
مستأنف موهوب له
من الكريم اللان في
مقام البقاء .

[الباب الخامس
والعشرون في القول في
السماع تأديا واعتناء]
ويضمن هذا الباب
آداب السماع وحكم
التخريق وإشارات
الشاخ في ذلك وما في
ذلك من السأثور
والمحدور . مبني
التصوف على الصديق
في سائر الأحوال وهو
جد كله لا ينبغي
لصادق أن يتعمد
الحضور في مجمع يكون
فيه سماع إلا بعد أن

وغير ألحان وللمسمع شريك للقالل وكذلك مافيه وصف امرأة بينما فانه لا يجوز وصف المرأة بين
 بنى الرجال ، وأما هجاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز ، فقد كان حسان بن ثابت رضى الله عنه
 ينافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجى الكفار وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك (١) فأما النسب
 وهو التشبيه بوصف الحدود والأصداغ وحسن القامة وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر ،
 والصحيح أنه لا يهرم نظمه وإنشاده بلحن وغير لحن وعلى السمع أن لا ينزله على امرأة معينة فإن
 نزله فليزله على من يهل له من زوجته وجارسته فإن نزله على أجنبية فهو العاصي بالنزول وإجالة
 الفكر فيه ومن هذا وصفه فينبغى أن يحتجب السماع رأسا فإن من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه
 عليه سواء كان اللفظ مناسباً له أو لم يكن إذا ما من لفظ لا يمكن تنزيله على معان بطريق الاستشارة
 فالذى يظلم على قلبه حب الله تعالى يذكر بسواد الصدغ مثلاً ظلة السكر وبضارة الحد نور الإيعان
 وبذكر الوصال لقاء الله تعالى وبذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى في زمرة الرودون وبذكر الرقيب
 للشوش روح الوصال عواثق الدنيا وآفات الشوكة لمولم الأنس بالله تعالى ولا يحتاج في تنزيل ذلك
 عليه إلى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق للمعنى التالية على القلب إلى فهمه مع اللفظ كما روى عن
 بعض الشيوخ أنه مر في السوق فسمع واحداً يقول الحيار عشرة حبة قلبه الوجد فقتل عن ذلك
 فقال إذا كان الحيار عشرة حبة فما قيمة الأشرار واجتاز بعضهم في السوق فسمع قالاً يقول يا سترى
 قلبه الوجد فقتل له على ماذا كان وجدك فقال سمعته كأنه يقول اسع ترى حتى إن الجسمي قد غلب
 عليه الوجد على الآيات المنظومة بلغة العرب فإن بعض حروفها يوازن الحروف الجمعية فيفهم منها
 معان أخر أشد بضمهم : وما زارنى في الليل إلا خياله • فتواجد عليه رجل أجهى فقتل عن سبب
 وجده فقال إنه يقول ما زارم وهو كما يقول فإن لفظ زار يدل في الجمعية على الشرف على المهلاك
 فحرم أنه يقول كنا مشرفون على المهلاك فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة والمهترق في حب
 الله تعالى وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله أن يوافق مراد الشاعر ولنته
 فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فليذكر بأن تشوش عليه عقله وتضطرب عليه
 أعضاؤه فاذن ليس في تمييز أعيان الألفاظ كبير فائدة بل الذى غلب عليه عشق مخلوق فينبغى أن يحتجز
 من السماع بأى لفظ كان والذى غلب عليه حب الله تعالى فلا تضربه الألفاظ ولا تمنعه عن فهم المعانى
 اللطيفة المتعلقة بمجارى همته الشريفة . الماراض الرابع فى السمع : وهو أن تكون الشهوة غالبية
 عليه وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها فالسماع حرام عليه سواء غلب
 على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب فانه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ والحد والقراق والوصال
 إلا ويحرك ذلك شهوه وينزله على صورة معينة ينفع الشيطان بها في قلبه فتشتغل فيه نار الشهوة
 وتحدث بواعت الشر وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذييل للقلل اللانع منه الذى هو حزب الله
 تعالى والقتال فى القلب دائم بين جنود الشيطان وهى الشهوات وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل
 إلا فى قلب قد فتحه أحد الجندين واستولى عليه بالكية وغالب القلوب الآن قد فتحها جند الشيطان
 وغلب عليها فتحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال لإزعاجها فكيف يجوز تكثير أسلحتها
 وتشجيع سيوفها وأستنها والسماع مشعد لأسلحة جند الشيطان فى حق مثل هذا الشخص فليخرج
 مثل هذا عن مجمع السماع فانه يستفربه . الماراض الخامس أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم
 (١) حديث أمره صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بهجاء للركن متفق عليه من حديث البراء
 أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان اهجمهم أوهاجمهم وجبريل معك .

يخلص النية له تعالى
 ويتوجه به مزيداً فى
 إرادته وطلبه ويخلص
 من ميل النفس لشيء
 من هواها ثم يقدم
 الاستخارة للمصور
 ويسأل الله تعالى إذا
 عزم البركة فيه وإذا
 حضر يلزم الصدق
 والوقار بسكون
 الأطراف قال أبو بكر
 الكتانى رحمه الله
 للسمع يجب أن يكون
 فى سماعة غير مستروح
 إليه يهيج منه السماع
 وجدا أو شوقاً أو غلبة
 أو وارداً والوارد عليه
 يغنيه عن كل حركة
 وسكون ويتقن الصادق
 استدعاء الوجد
 ويحتجب الحركة فيه
 بها أمكن سبباً بحضرة
 الشيوخ . حكى أن
 شاباً كان صاحب الجند
 رحمه الله وكما سمع
 شيئاً زعق وتغير فقال له
 يوماً إن ظهر منك شيء
 بعد هذا فلا تصحبني
 فكان بذلك يصبط
 نفسه وربما كان من

ينقلب عليه حب الله تعالى فيكون البيع له محبوا ولا غلبت عليه شهوة فيكون في حقه محظورا ولكنه أيسر في حقه كسائر أنواع اللذات الباحة إلا أنه إذا اتخذ ديدنه وهجيرا وقصر عليه أكثر أوقاته فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته فإن الواظبة على اللغو جنابة وكان الصغيرة بالاصرار واللدائمة تصير كبيرة فكذلك بعض الباحات بالمدامة يصير صغيرة وهو كالمواظبة على متابعة الزوج والحبيسة والنظر إلى لجهنم على الصوم فإنه ممنوع وإن لم يكن أصله ممنوعا إذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا القبيل القلب بالشرع فإنه مباح ولكن الواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة ومهما كان الغرض القلب والتلذذ باللغو فذلك إثم يباح لما فيه من ترويح القلب لإراحة القلب معالجته في بعض الأوقات لتنبعث دواعيه فتشتغل في سائر الأوقات بالجد في الدنيا كالكسب والتجارة أو في الدين كالصلاة والقراءة واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجسد كاستحسان الحال على الحد ولو استوعبت الجحلان الوجه لشهوته لما أقبح ذلك فيعود الحسن قبيحا بسبب السكرته لما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره بل الحيز مباح والاستكثار منه حرام فهذا البيع كسائر الباحات . فإن قلت قد أدى مساق هذا الكلام إلى أنه مباح في بعض الأحوال دون بعض فلم أطلعت القول أولا بالإباحة إذ إطلاق القول في الفصل بلا أو بنعم خلف وخطأ . فأعلم أن هذا غلط لأن الإطلاق إنما يتبع لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر فأما ما ينشأ من الأحوال المارضة المتعلقة به من خارج فلا يمنع الإطلاق لأنني أنا إذا سئلنا عن العمل أم لا حلال أم لا قلنا إنه حلال على الإطلاق مع أنه حرام على المحروور الذي يستغفر به وإذا سئلنا عن المحرق قلنا إنها حرام مع أنها حلال لمن غص بلغمه أن يشربها معها لم يجزئها ولكن من حيث إنها محرمة حرام وإنما أبحث لعارض الحاجة والعمل من حيث إنه غسل حلال وإنما حرم لعارض الضرر وما يكون لعارض فلا يلتفت إليه فإن البيع حلال وعمره بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من العوارض والبيع من جملة الباحات من حيث إنه مباح صوت طيب موزون مفهوم وإنما تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته فإذا انكشف الغطاء عن دليل الإباحة فلا ينال بمن يخالف بعد ظهور الدليل وأما الشافعي رضي الله عنه فليس يحرم الغناء من مذهبه أصلا وقد نص الشافعي وقال في الرجل يتخذ صناعة لا يجوز شهادته وذلك لأنهم اللغو المكروه الذي يشبه الباطل ومن اتخذ صنعة كان منسوبا إلى السفاهة وسقوط الرودة وإن لم يكن محرما بين التحريم فإن كان لا ينسب نفسه إلى الفناء ولا يؤتى لذلك ولا يأتي لأجله وإنما يعرف بأنه قد طرب في الحال فيترنم بها لم يسقط هذا مروه ولم يطل شهادته واستدل بحديث الجاريتين التين كانتا تغنيان في بيت عائشة رضي الله عنها وقال يونس ابن عبد الأعلى سألت الشافعي رحمه الله عن إباحة أهل المدينة للبيع فقال الشافعي لا أعلم أحدا من علماء الحجاز كره البيع إلا ما كان منه في لأوصاف فأما الحماء وذكر الأبطال والرابع وتحسين الصوت بأغان الأضفار فباح وحيث قال إنه مكروه يشبه الباطل فقولوه صحيح ولكن الله ممنوع من حيث إنه لغيره ليس بحرام فلبس الحبيسة ورقتهم لمه وقد كان عليه ينظر إليه ولا يكرهه بل اللغو واللغو لا يؤخذ الله تعالى به إن غنى به أنه فضل ما لا فائدة فيه فإن الإنسان لو وظف على نفسه أن يضع يده على رأسه في اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم قال الله تعالى - لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم - فإذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم والمخالفة فيه مع أنه لا فائدة فيه لا يؤخذ به فكيف يؤخذ بالشعر والرقص . وأما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه بل لوقال هو باطل صريحا لما دل على التحريم وإنما يدل على خلوه عن الفائدة فالباطل ما لا فائدة فيه فقول الرجل لامرأته مثلا بعت نفسي منك وقولها اشتريت عقد باطل مهما كان قصد اللعب واللطاية وليس

كل شجرة منه تخطر قطرة عرق فما كان يوما من الأيام زعق زعقة فخرج روحه فليس من الصدق إظهار الوجد من غير وجد نازل أو ادعاء الحال من غير حال حاصل وذلك عين النفاق . قيل كان النصراني رحمه الله يحسن الولع بالبيع فموت في ذلك قال نعم هو خير من أن تصد وتنتاب فقال له أبو عمرو ابن مجيد وغيره من إخوانه هيات يا أبا القاسم زلة في البيع شر من كذا كذا سنة فتتاب الناس وذلك أن زلة البيع إشارة إلى الله تعالى وترويح الحال بصريح الحال وفي ذلك ذنوب متعددة منها أنه يكذب على الله تعالى أنه رهب له شيئا وما وهب له والكذب على الله من أقبح الزلات ومنها أن يفر بعض الحاضرين فيحدث به الظن

بحرام إلا إذا قصد به التحليق المحقق الذي منع الشرع منه . وأما قوله مكروه فيزل على بعض للراضع التي ذكرتها لك أو يزل على التزوية فإنه نص على إباحة لب الشطرنج وذكر أني أكره كل لب وتعليقه يدل عليه فإنه قال ليس ذلك من عادة ذوى الدين وللرودة فهذا يدل على التزوية ورده الشهادة بالمواربة عليه لا يدل على تحريمه أيضا بل قدرته الشهادة بالأكل في السوق وما يجرهم للرودة بل الحياكة مباحة وليست من صنائع ذوى الرودة وقدرت شهادة المحترف بالحرفة الحسنة فتعليقه يدل على أنه أراد بالكره التزوية وهذا هو الظن أيضا فيبره من كبار الأئمة وإن أرادوا التحريم لما ذكرناه حجة عليهم .

(بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها)

احتجوا بقوله تعالى - ومن الله من يشترى لهو الحديث - قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي رضى الله عنهم إن لهو الحديث هو الماء وروث عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال « إن الله تعالى حرم القينة ويعمها وتليمنها (١) » فتقول أما القينة فالمراد بها الجارية التي تنف للرجال في مجلس الشرب وقد ذكرنا أن غناء الأجنبية للفاسي ومن يخاف عليهم الفتنة حرام وهم لا يقصدون بالفتنة إلا ما هو محظور فأغناها الجارية للمكها فلا يفرهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير المكها معا عند عدم الفتنة بدليل ما روى في الصحيحين من غناء الجاريتين في بيت عائشة رضى الله عنها وأما شراء لهو الحديث بالدين استبدالاه بلضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس النزاع فيه وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله تعالى وهو المراد في الآية ولو قرأ القرآن لضل به عن سبيل الله لكان حراما . حكى عن بعض الناققين أنه كان يؤم الناس ولا يقرأ إلا سورة عبس لما فيها من الغتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر بقله ورأى فله حراما لما فيه من الاضلال فالاضلال بالشعر والثناء أولى بالتحريم . واحتجوا بقوله تعالى - أفن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون - قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الثناء بلفة حمر يعنى السمد فتقول ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا لأن الآية تشتمل عليه فان قيل إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لا صلماهم فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال تعالى - والشراء يتبعهم الفاون - وأراد به شراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه . واحتجوا بما روى جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « كان إبليس أول من ناح وأول من تقى (٢) » فتدجمع بين النياحة والثناء . قلنا لا جرم كما استثنى منه نياحة داود عليه السلام ونياحة للذنين على خطاياهم فكذلك يستثنى الثناء الذي يراد به تحريك السرور والخزن والشوق حيث يباح تحريكه بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغناوهن عند قدومه عليه السلام بقولهن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

واحتجوا بما روى أبو أمامة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما رفع أحد صوته بثناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمساك (٣) » قلنا هو منزل على بعض أنواع الثناء الذي تدنائه وهو الذي يحرك من القاب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق

(١) حديث عائشة إن الله حرم القينة ويعمها وتليمنها الطبراني في الأوسط باسناد ضعيف قال البيهقي ليس بنحفوظ (٢) حديث جابر كان إبليس أول من ناح وأول من تقى لم أجده أصلا من حديث جابر وذكره صاحب القرص من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرج له ولده في مسنده (٣) حديث أبي أمامة ما رفع أحد عقيرته بثناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمساك ابن أبي الدنيا في ذم اللامح والطبراني في الكبير وهو ضعيف .

والاغرار خيانة قال عليه السلام « من غشنا فليس منا » ومنها أنه إذا كان مبتلا ويرى بين الصلاح فساد يظهر منه بعد ذلك ما يفسد عقيدته للمتقدم فيه فيفسد عقيدته في غيره ممن يظن به الخير من أمثاله فيكون سببا للفساد الفقيده في أهل الصلاح ويدخل بذلك ضرر على الرجل الحسن الظن مع فساد عقيدته فيقطع عنه مدد الصالحين ويتشعب من هذا آفات كثيرة يعثر عليها من يحث عنها ومن أنه عوج الحاضرين إلى موافقته في قيامه وقصوده فيكون متكلفا مكلفا للناس يباطله ويكون في الجمع من يرى بنور القراسة أنه مبتطل ويحمل على نفسه الواقعة للجمع مداريا ويكثر شرح الذنوب في ذلك فليترك الله ربه ولا يتحرك إلا إذا

المخلوقين فأما ما يحرك الشوق إلى الله أو السرور بالبعد أو حدوث الولد أو قدوم الغائب فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبشة والأخبار التي نقلناها من الصحاح فالتجوز في موضع واحد نص في الإباحة وللع في ألف موضع محتمل للتأويل ومحتمل للتزويل أما الفعل فلا تأويل له إذ ما حرم فعله إنما يحل بمرض الإكراه فقط وما أيسح فعله بحرم بؤارض كثيرة حتى الثيات والقصود . واحتجوا بما روى عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته لامراته ^(١) » قلنا قوله باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد يسلم ذلك على أن التلهي بالنظر إلى الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام بل يلحق بالمحضور غير المحصور قياسا كقولته صلى الله عليه وسلم « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث فانه يلحق به رابع وخامس ^(٢) » فكذلك ملاعبة امراته لأفائده لا التلذذ وفي هذا دليل على أن التفرج في البساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع اللذات بما يلهو به الرجل لا يحرم عليه شيء منها وإن جاز وصفه بأنه باطل . واحتجوا بقول عثمان رضي الله عنه : ماتت ولا تميت ولا مست ذكرى يميني مذ بايت بهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا فليكن التمي ومس الذكر باليمين حراما إن كان هذا دليل بتحريم الفناء فمن أين يثبت أن عثمان رضي الله عنه كان لا يترك إلا الحرام . واحتجوا بقول ابن مسعود رضي الله عنه الفناء ينبت في القلب النفاق وزاد بعضهم كايبت للاء البقل ^(٣) ورفع بعضهم إلى مول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح قالوا ومروا على ابن عمر رضي الله عنهما قوم عمرمون وفيهم رجل يفتي فقال ألا لأسمع الله لكم ألا لأسمع الله لكم وعن نافع أنه قال كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعه في أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع أسمع ذلك حتى قلت لا فأخرج أصبعه وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع ^(٤) وقال الفضيل بن عياض رحمه الله الفناء رقية الزنا وقال بعضهم الفناء رائد من رواد الفجور وقال يزيد بن الوليد إياكم والفناء فانه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم الروعة وإنه لينوب عن الحجر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لا بد فاعلمين فجنبوه النساء فان الفناء داعية الزنا فقول قول ابن مسعود رضي الله عنه ينبت النفاق أراد به في حق النفي فانه في حقه ينبت النفاق إذ غرضه كله أن يمرض نفسه على غيره وبروج صوته عليه ولا يزال ينافق ويتودد إلى الناس ليرغبوا في غناؤه وذلك أيضا لا يوجب تحريما فان لبس الثياب الجليلة وركوب الخيل المملجة وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأنعام والزرع وغير ذلك ينبت في القلب النفاق والرياء ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط بل المباحات التي هي مواقع نظر الخلق أكثر تأثيرا ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس هلمج نخته وقطع ذنبه لأنه استشعر في نفسه الحياء لحسن مطيته فهذا النفاق من المباحات وأما قول ابن عمر رضي الله عنهما ألا لأسمع الله لكم فلا يدل على التحريم من

(١) حديث عقبة بن عامر كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته زوجته أصحاب السنن الأربعة وفيه اضطراب (٢) حديث لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٣) حديث ابن مسعود الفناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل قال الضنف والرفوع عبر صحيح لأن في إسناده من لم يسم رواه أبو داود وهو في رواية ابن العبد ليس في رواية الأوّل ورواه البيهقي مرفوعا وموقوفا (٤) حديث نافع كنت وابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعه في أذنيه الحديث ورفع أبو داود وقال هذا حديث منكرو.

صارت حركته حركة الرمنش الذي لا يجد سبيلا إلى الاساك وكالعاطس الذي لا يقدر أن يرد العطسة وتكون حركته بمثابة النفس الذي يدعو إليه داعية الطبع قهرا . قال السري : شرط الواحد في زعفته أن يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يشعر فيه بوجع وقد يقع هذا لبعض الواحدين نادرا وقد لا يبلغ الواحد هذه الرتبة من النية ولكن زعفته تخرج كالنفس بنوع إرادة مزروجة بالاضطرار فهذا الضبط من رعاية الحرركات ورداثر عفات وهو في تحريك الثياب أكد فان ذلك يكون إتلاف المال وإتلاف المال وهكذا رمى الحرقه إلى الحادى لا ينبغي أن يفعل إلا إذا حضرته نية بمجنبت فيها التكلف والراءاة

حيث إنه غناء بل كانوا يحرمين ولا يليق بهم الرفث وظهور له من محالهم أن سمعهم لم يكن لوجده وشوق إلى زيارة بيت الله تعالى بل لمجرد اللهو فأنكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالإضافة إلى حالهم وحال الإحرام وحكايات الأحوال تشكر فيها وجوه الاحتمال وأما وضه أصبيه في أذنيه فيعارضه أنه لم يأمر ناضا بذلك ولا أنكر عليه سماعه وإنما فعل ذلك هو لأنه رأى أن ينزعه في الحال وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمتنع عن فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يمنع ابن عمر لا يدل أيضا على التحريم بل يدل على أن الأولى تركه ونحن نرى أن الأولى تركه في أكثر الأحوال بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر في القلب فقد خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كانت عليه أعلام شغلت قلبه (١) أفردى أن ذلك يدل على تحريم الأعمال على الثوب فلفه صلى الله عليه وسلم كان في حالة كان صوت زمارة الراعي يشغله عن تلك الحالة كاشغله العلم عن الصلاة بل الحاجة إلى استكارة الأحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالإضافة إلى من هو دائم الشهود للحق وإن كان كالا بالإضافة إلى غيره. ولذلك قال الحصري ماذا أعمل بسماع ينقطع إدامات من يسمع منه إشارة إلى أن السماع من الله تعالى هو الدائم فالأنبياء عليهم السلام على الدوام في لغة السمع والشهود فلا يحتاجون إلى التحريك بالحيلة. وأما قول الفضيل هورقة الزنا وكذلك ماعدا من الأول القرية منه فهو منزل على سماع الفساق والمفتلين من الشبان ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما القياس فضاية ما يذكر فيه أن يقاس على الأوتار وقد سبق الفرق أو قال هو لم هو لب وهو كذلك ولكن الدنيا كلها لم هو لب. قال عمر رضي الله عنه لزوجته إنما أنت لبة في زاوية البيت وجميع اللعابة مع النساء لم هو إلا الحرمة التي هي سبب وجود الولد وكذلك الزوج الذي لافحس فيه حلال قل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة كما سيأتى تفصيله في كتاب آفات اللسان إن شاء الله (٢) وأى لم هو يزيد على لهو الحبشة والزنج في لهم وقد ثبت بالنسب بإباحتهم على أنى أقول اللهو مروح للقلب وعقفت عنه أعبله الفكر والقلوب إذا أكرهت عمت وترويحها إبانة لها على الجدة فاللواظب على التفقة مثلا ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة لأن عطلة يوم تمتع على النشاط في سائر الأيام واللواظب على نوافل الصلوات في سائر الأوقات ينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجدة ولا يصبر على الجدة المحض والحق للرا لا شغوس الأنبياء عليهم السلام فاللهو دواء القلب من داء الإعياء والللال فينبغي أن يكون مباحا ولكن لا ينبغي أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء فإذا اللهو على هذه النية يصير قرينة هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له إلا البئنة والاستراحة المحضة فينبغي أن يستحب له ذلك ليتوصل به إلى القصد الذي ذكرناه نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة السكال فإن السكامل هو الذي لا يحتاج أن يروح نفسه بغير الحق ولكن حسنات الأبرار سيئات القريين ومن أحاط بعلاج القلوب ووجوه التلطف بها لسابقتها إلى الحق علم قطعا أن ترويحها بأشكال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه.

(الباب الثاني في آثار السماع وآدابه)

(١) حديث خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كان عليه أعلام شغلت قلبه تقدم في الصلاة (٢) حديث مزاحه صلى الله عليه وسلم يأتي في آفات اللسان كما قال المصنف.

(الباب الثاني في آداب السماع وآثاره)

وهذا حفت النية فلا بأس بقاء الحرقه إلى الحادى قد روى عن كعب بن زهير أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وأنشد أياتا التي أولها:

بانت معاد قلبي اليوم
متبول
حق انتهى إلى قوله
فيها:

إن الرسول لنيف
يستضاء به
مهدد من سيف الله
مسلول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنت فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أنا كعب بن زهير فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه بردة كانت عليه فلما كان زمن معاوية بث إلى كعب بن زهير بعا بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف فوجه إليه

اعلم أن أول درجة السماع بهم السمع وتزيله على معنى يقع للسمع ثم يشتر المسموع الواحد ويشتر الواحد
الحركة بالحوارح فليست في هذه القامات الثلاثة . القام الأول : في الفهم وهو يختلف باختلاف
أحوال المستمع ، وللمستمع أربعة أحوال : أحدها أن يكون سماع بمجرد الطبع أى لاحظته في السماع
إلا استدلالاً بالأحان والنغاث وهذا مباح وهو أحسن رتب السماع إذ الإبل شريكه فيه وكذا
سائر البهائم بل لا يستدعى هذا الدوق إلا الحياة فلكل حيوان نوع تلهذ بالأصوات الطيبة . الحالة
الثانية أن يسمع بهم ولكن ينزله على صورة مخلوق إما معينا وإما غير معين وهو سماع الشباب
وأرباب الشهوات ويكون تنزيلهم للسمع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم وهذه الحالة أحسن
من أن تسكن فيها إلا بيان خستها والنهي عنها . الحالة الثالثة أن ينزل ما يسمعه على أحوال نفسه
في معاملته لله تعالى وتقلب أحواله في التحسن مرة والتعذر أخرى وهذا سماع الريدن لاسيا
البتدين فإن الريد لا محالة مراداً هو مقصده ومقصده معرفة الله سبحانه وقفاؤه والوصول إليه
بطريق الشاهدة بالسرا وكشف الغطاء وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو مثار عليها
وحالات تستقبله في معاملته فإذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصل أو هجر أو قرب
أو بعد أو تلهف على فائت أو تعطش إلى منتظر أو شوق إلى وارد أو طمع أو بأس أو وحشة أو استئناس
أو وفاء بالوعد أو تمسك بالعهد أو خوف فراق أو فرح بوصول أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب
أو هوم العبرات أو ترادف المحشرات أو طول الفراق أو عدة الوصال أو غير ذلك مما يشتمل على وصفه
الأشعار فلا بد أن يوافق بعضها حال الريد في طلبه فيجرب ذلك مجرى القدر الذي يورى زناد قلبه
فتشتمل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم عليه بسببه أحوال مخافة لعادته ويكون
له مجال رحب في تنزيل الألفاظ على أحواله وليس على المستمع مراعاة نراه الشاعر من كلامه بل
لكل كلام وجوه ولكل ذى فهم في اقتباس المعنى منه حظوظ وتضرب لهذه التزيلات والفهوم
أمثلة كي لا يظن الجاهل أن السمع لأيات فيها ذكر القم والحد والصعد إنما يفهم منها ظواهرها
ولا حاجة بنا إلى ذكر كيفية فهم المعاني من الأيات في حكايات أهل السماع ما يكشف عن ذلك
قد حكى أن بعضهم مع قائلاً يقول :

قال الرسول غدا تزور قللت نعل ما تقول

فاستغفره اللحن والقول وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء نونا فيقول : قال الرسول غدا
تزور . حتى غشى عليه من شدة الفرح والفتنة والسرور فلما أفاق سئل عن وجدهم كان ؟ قال
ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة ^(١) » .
وحكى الرقي عن ابن الدراج أنه قال : كنت أنا وابن الفوطى مارين على دجلة بين البصرة والأبلة
فاذا بقصر حسن له منظره وعليه رجل بين يديه جارية تقي وتقول :

كل يوم تسلون غير هذا بك أحسن

فاذا شاب حسن تحت المنطرة ويده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال بإجارية بالله وبجاية مولاك
إلا أعدت على هذا البيت فأعادت فكانت الشاب يقول هذا والله تلوأت مع الحق في حالي فنفق
شبهة ومات . قال : قلنا قد استغلنا فرض فوقنا فقال صاحب القصر للجارية أنت حرة لوجه الله تعالى

(١) حديث إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل جمعة الترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة
وفيه عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين مختلف فيه وقال الترمذى لا نعرفه إلا من هذا الوجه
قال وقد روى سويد بن عمرو عن الأوزاعي شيئاً من هذا .

ما كنت لأؤثر ثوب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أحدا فلما
مات كعبت معاوية
إلى أولاده بشرين
أفأ وأخذ البردة وهي
البردة الباقية عند
الامام الناصر لدين الله
اليوم عادت بركتها على
أيامه الزاهرة . وللتصوفة
آداب يتعاهدونها
ورعايتها حسن الأدب
في الصبغة والمعاينة
وكثير من السلف لم
يكونوا يتمتدون بذلك
ولكن كل شئ
استحسنوه وتواطأوا
عليه ولا ينسكروا للشرع
لاوجه لانكار فيه
فمن ذلك أن أحدهم إذا
تحرك في السماع
فوقعت منه خرقة
أو نازله وجد ورمى
عمامته إلى الحادى
فالتحسن عندهم
مواقفة الحاضرين له
في كشف الرأس إذا
كان ذلك من متقدم
وشيع وإن كان ذلك
من الشبان في حضرة

قال ثم إن أهل البصرة خرجوا فضلوا عليه فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر أشبهكم أن كل شيء لي في سبيل الله وكل جوارى أحرار وهذا القصر للسبيل قال ثم رى بشابه وانزله ليزار وارتمى بآخر وصرا على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم وهم يسكرون فلم يسمع له بصد خبر والمقصود أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة محبته عن الثبوت على حسن الأدب في للعامة وتأسفه على قلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه ويقول له :

كل يوم تتلون غير هذا بك أحسن

ومن كان سمعه من الله تعالى وعلى الله وفيه فينبغي أن يكون قد أحكم قانون العلم في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وإلا خطر له من السماع في حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكره به ففي سماع الريد للبتدي خطر إلا إذا لم ينزل ما يسمع إلا على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله تعالى . ومثال الخطأ فيه هذا البيت بينه فلو سمعه في نفسه وهو يخاطبه به ربه عز وجل فيضيف التلون إلى الله تعالى فيكثر وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق وقد يكون عن جهل ساقه إليه نوع من التحقيق وهو أن يرى تغلب أحوال قلبه بل تغلب أحوال سائر العالم من الله وهو حق فانه تارة يسطر قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يظلمه وتارة يقبضه وتارة يلمنه وتارة يشبهه على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله تعالى ومن يصدر منه أحوال مختلفة في أوقات متقاربة فقد يقال له في العادة إنه ذو بدوات وإنه متلون ولعل الشاعر لم يرد به إلا نسبة عيوبه إلى التلون في قوله وردته وتخرجه وإبعاده وهذا هو اللحن فسمع هذا كذلك في حق الله تعالى كفر محض بل ينبغي أن يعلم أن سبحانه وتعالى يكون ولا يتلون وغير ولا يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للريد باعتقاد تقليدي إيماني وحصل للعارف البصير يقين كشفي حقيقي وذلك من أعاجيب أوصاف الربوبية وهو للغير من غير تغير ولا يتصور ذلك إلا في حق الله تعالى بل كل مغير سواء فلا يغيره مالم يتغير ومن أرباب الوجد من يشب عليه حال مثل السكر للدعش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ويستنكر اقتباره للقلوب وقسمته للأحوال الشريرة على تفاوت فانه المستصفى لقلوب الصديقين والبعد لقلوب الجاحدين وللزورين فلا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجنانية متقدمين ولا أمد الأنبياء عليهم السلام بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة ساقية ولكنه قال - ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين - وقال عز وجل - ولكن حتى القول متى لأمرأنا من الجنة والناس أجمعين - وقال تعالى - إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون - فان خطر بيالك أنهم اختلقت السابقة قوم في رتبة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لانبجاس وحده الأدب - فانه لا يسل عما يفعل وهم يشئون - ولم يمر تأدب اللسان والظاهر مما يتدر عليه الأكثرون فأما تأدب السر عن إختيار الاستعداد بهذا الاختلاف الظاهر في التقریب والإبعاد والإشقاء والإسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة أبد الآباد فلا يقوى عليه إلا العلماء الراسخون في العلم ولهذا قال الحضر عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام إنه الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء لأنه محرك لأسرار القلوب ومكائنها ومشوش لماتشوش السكر للدعش الذي يكاد يحل عفة الأدب عن السر إلا بمن عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطيف عصمته ولذلك قال بعضهم لبنا نجونا من هذا السماع رأساً برأس في هذا القرن من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة فان غاية ذلك مصيبة وغاية الخطأ ههنا كفر .

الشيوخ فليس على
الشيوخ مواقة
الشبان في ذلك
وينسحب حكم الشيوخ
على بقية الحاضرين في
ترك المواقة للشبان
فاذا مكثوا عن السماع
يرد الواحد إلى خرقته
وبواقفه الحاضرون
برفع المائم ثم ردها على
الردوس في الحال
للمواقة والحرقه إذا
رئيت إلى الحادى هي
للحادى إذا قصد
إعطائه إيها وإن لم
يقصد إعطائها للحادى
فيلهي للحادى لأن
المحرك هو ومنه صدر
للموجب لرى الحرقه .
وقال بعضهم هي للجمع
والحادى واحد منهم
لأن المحرك قول
الحادى مع ركة الجمع
في إحداث الوجد
وإحداث الوجد
لا يتقاصر عن قول
القائد فيكون الحادى
واحدا منها في ذلك .
روى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال

واعلم أن الفهم قد يختلف بأحوال السامع فيطلب الوجد على مستمعين لبيت واحد وأحدهما مصيب في الفهم والآخر غلطىء أو كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ولكنه بالإضافة إلى اختلاف أحوالهما لا يتناقض كما حكى عن عتبة الغلام أنه سمع رجلاً يقول :

سبحان جبار السما إن المحب لى عنا

فقال صدقت وسمعه رجل آخر فقال كذبت فقال بعض ذوى الصائر أصابا جميعا وهو الحق فالصدق كلام محب غير ممكن من الراد بل مصدود متعب بالصد والمجر ، والكذب كلام مستأنس بالمحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر به أو كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال ولا مستشعر بخطر الصد في السأل وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه فاختلف هذه الأحوال فختلف الفهم . وحكى عن أبى القاسم بن مروان ، وكان قد صحب أباسيد الخراز رحمه الله وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر دعوة وفيها إنسان يقول :

واقف فى للاء عطشا ن ولكن ليس يلقى

فقام القوم وبواجدوا فلما سكنوا سأله عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت فأشاروا إلى التعطش إلى الأحوال الشريفة والحرمان منها مع حضور أسبابها فلم يهتم ذلك فقالوا له لماذا عندك فيه قال أن يكون في وسط الأحوال وبكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة وهذه إشارة إلى إثبات حقيقة وراء الأحوال والكرامات والأحوال سواقتها والكرامات تسع في مبادئها والحقيقة بعد لم يقع الوصول إليها ولا فرق بين المعنى الذى فهمه وبين ما ذكره إلا في تفاوت رتبة التعطش إليه فان المحروم عن الأحوال الشريفة أولا يتمتعش إليها فان مكن منها تمعش إلى ما وراءها فليس بين العنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين . وكان الشبلى رحمه الله كثيرا ما وجد على هذا البيت :

ودادكم هجر وجكم قلى ووصلكم صرم وسلكم حرب

وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل وأظهرها أن يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا بأسرها بل في كل ما سوى الله تعالى فان الدنيا مكررة خداعة قتالة لأربابها معادية لهم في الباطن ومظاهرة صورة الود « لما امتلأت منها دار حيرة إلا امتلأت عبرة » (١) كما ورد في الخبر وكما قال الشبلى في وصف الدنيا :

تنح عن الدنيا فلا غطيتها ولا تخطبن قتالة من تنكح

فليس في مرجسوها بخوفها ومكروها إما تأملت راجع

لقد قال فيها الواسفون فأكثروا وعذى لها وصف لعمري صالح

سلاف قصارها زعاف ومركب شه إذا استدلتته فهو جامع

وشخص جميل يؤثر الناس حسنه ولكن له أسرار سوء قبايح

والمعنى الثانى : أن يؤذله على نفسه في حق الله تعالى فانه إذا تفكر ففرقه جهل إذا مدقروا الله حق قدره وطاعته وياخذ لا يتق الله حق ثماته وجه معلول إذ لا يمع شهوة من شهواته في حبه ومن أراد الله به خيرا بصره بصوب نفسه يرى مصداق هذا البيت في نفسه وإن كان على الرتبة بالإضافة إلى الغافلين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (٢) وقال عليه الصلاة والسلام « إني لأستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة » (٣) وإنما كان استغفاره عن أحوال

(١) حديث ما امتلأت دار منها حيرة إلا امتلأت عبرة ابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن أنس كثير مرسل (٢) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك رواه مسلم وقد تقدم (٣) حديث إني لأستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة تقدم في الباب الثانى من الأذكار .

يوم بدر « من وقف بمكان كذا فله كذا ومن قل لله كذا ومن أسرفه كذا » فصارع الشبان وأقام الشيوخ والوجوه عند الرايات فطافح الله على المسلمين طلب الشبان أن يجعل ذلك لهم فقال الشيوخ كنا نظهر لكم وردها فلا تذهبوا بالنائم دوننا فأنزل الله تعالى - يستأنك عن الأنفال قل الأخالفة والرسول - قسم النبي صلى الله عليه وسلم بينهم بالسوية . وقيل إذا كان القول من القوم يعمل كواحد منهم وإذا لم يكن من القوم لما كان له قيمة يؤثر به وما كان من خرق الفقراء يقسم بينهم . وقيل إذا كان القول أجيرا فليس له منها شيء . وإن كان متبرعا يؤثر بذلك وكل هذا إذا لم يكن هناك شيخ يحكم فأما إذا كان هناك شيخ يهاب

هي درجات بعد بالإضافة إلى ما بعدها وإن كانت قريبا بالإضافة إلى ما قبلها فلا قرب إلا ويقي ورامه قرب لانهاية إذ سبيل السلوك إلى الله تعالى غير متناه والوصول إلى أقصى درجات القرب محال وللمنى الثالث أن ينظر في مبادئ أحواله ويرتضيها ثم ينظر في عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خفايا القصور فيها فيرى ذلك من الله تعالى فيستمتع البيت في حق الله تعالى شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر كما سبق بيانه وما من بيت إلا ويمكن تنزيهه على معان وذلك بقدر غزارة علم السمع يصفاه قلبه . الحالة الرابعة : سماع من جاوز الأحوال وللقامات فزب عن فهم ماسوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها وكان كالدهوش الغائص في بحر عين الشهود الذى يضاهى حاله حال النسوة اللاتي قطنن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن وسقط إحساسهن وعن مثل هذه الحالة تمبر الصوفية بأنه قدفى عن نفسه ومهما فنى عن نفسه فهو عن غيره أنفى فكأنه فنى عن كل شيء إلا عن الواحد للشهود وفى أيضا عن الشهود فإن القلب أيضا إذا التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد قد غفل عن الشهود فالشهر بالمرئى لا التفات له في حال استغراقه إلى رؤيته ولا إلى عينه التى بهار رؤيته ولا إلى قلبه الذى به لذته فالسكران لا خبر له من سكره وللتلذذ لا خبر له من التذاه وإعنا خبره من التلذذ به قطع ومثاله العلم بالشئ فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشئ فالعالم بالشئ مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشئ كان معرضا عن الشئ . ومثل هذه الحالة قد تظن أن حق المخلوق وتظن أن أيضا في حق الخالق ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذى لا يثبت ولا يدوم وإن دام لمنطقه القوة البشرية فربما اضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهلك به نفسه كما روى عن أبي الحسن التورى أنه حضر مجلسا فسمع هذا البيت :

مازلت أنزل من ودللك منزلا تحجر الأبواب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه فوق في أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله مثل السيوف صار يمدونها ويعد البيت إلى الغداة والدم يخرج من رجله حتى ورمت قدماه وساقاه وعاش بعد ذلك أياما ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد فهي أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال نازل عن درجات الكمال وهي منزجة بصفات البشرية وهو نوع قصور وإنما السكالم أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله أعنى أنه ينساها فلا يبق له التفات إليها كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدي والسكاكين فيسمع لله وبالله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأشغال وأخذ بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شيء أصلا بل خمدت بالكلية بشريته وفى التفاته إلى صفات البشرية رأسا ولست أعنى بفناءه فناء جسده بل فناء قلبه ولست أعنى بالقلب اللحم والدم بل سر لطيفه إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراهها سر الروح الذى هو من أمر الله عز وجل عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فإذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود إلا للحاضر ومثاله المرأة المجلوبة إذ ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضرها وكذلك الرجاجة فانها تحكى لون قرارها ولونها لون الحاضرها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هويته الاستعداد لقبول الألوان ويمر ب هذه الحقيقة أعنى سر القلب بالإضافة إلى ما يحضر فيه قول الشاعر :

رق الزجاج ورفق الحجر فقتلها فقتل كل الأمر

فكأنما حمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خر

وهذا مقام من مقامات علوم الكاشفة منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد ، وقال أنا الحق

ومثله أمره فالشيخ يحكم في ذلك بما يرى فقد تختلف الأحوال في ذلك وللشيخ اجتهاد فيفعل ما يرى فلا اعتراض لأحد عليه . وإن فداها بسن المجين أو بعض الحاضرين فرضى القول والقوم بما رضوا به وعاد كل واحد منهم إلى خرقته فلا بأس بذلك وإذا أصر واحد على الإتيار بما خرج منه لئلا له في ذلك يؤثر بخرقه الحادى وأما تمزيق الحرفة المبروجة التى ميزها واجد صادق على عبلة سلبت اختياره كغلبة النفس فمن يتعمد إمساكه فتيه في تفرقتها وتغريقها التبرك بالحرفة لأن الوجد أثر من آثار فضل الحق وتمزيق الحرفة أثر من آثار الوجد فصارت الحرفة متأثرة بأثر ربانى من دفء أن تفتدى بالفوس

وحوله يندندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حولها فيها على ما اختلف فيهم عباراتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على المرأة بصورة الحجرة إذ يظهر فيها لون الحجرة من مقابلها وإذا كان هذا غير لائق بعلم للعامة فلنرجع إلى الترض قد ذكرنا تخاوت الدرجات في فهم السموات . القام الثاني : بعد الفهم والتزيل الوجد . ولنا في كلام طويل حقيقة الوجد أنى الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للأرواح فلننقل من أنوالهم ألفاظاً لنكشف عن الحقيقة فيه أما الصوفية فقد قال ذو النون المصري رحمه الله في السماع إنه وارد حق جاء بزجج القلوب إلى الحق فمن أضى إليه بحق تحقق ومن أضى إليه بنفس تزدق فكأنه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب إلى الحق وهو الذي يجده عند ورود وإرد السماع إذسمى السماع وارد حق . وقال أبو الحسن البراج مخبراً عما وجدته في السماع الوجد عبارة عما يوجد عند السماع وقال جلال في السماع في ميادين البهاء فأوجدني وجود الحق عند السماع فسقاني بكأس الصفاء فأدركت به منازل الرضاء وأخرجني إلى رياض التنزه والقضاء . وقال النسي رحمه الله : السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الإشارة حل له استماع البارة وإلا لقد استدعى الفتنة وفرض لليلة وقال بعضهم السماع غذاء الأرواح لأهل المعرفة لأنه وصف يندى عن مائر الأعمال ويدرك برقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند أهله وقال عمرو بن عثمان السكي لا يقع على كيفية الوجد عبارة لأنه سر الله عند عباده للؤمنين الوثنين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال أبو سعيد بن الأعرابي الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة النيب ومحادثة السر وإيناس للفقود وهو فتاؤك من حيث أنت وقال أيضاً الوجد أول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالنيب فلا ذاتوه وسقط في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك ورب وقال أيضاً الذي يجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالملائق والأسباب لأن النفس معجوبة بأسبابها فإذا انقطعت الأسباب وخلص الله ذكر وصحا القلب وورق وصفا ونجحت للوعظة فيه وحل من اللذات في محل قريب وخو طبع ومع الخطاب بأذن وإعانة وقلب شاهد وسر ظاهر فشاها ما كان منه خالياً فذلك هو الوجد لأنه قد وجد ما كان معدوماً عنده وقال أيضاً الوجد ما يكون عند ذكر مزجج أو خوف مقلق أو توييح على زلة أو محادثة بلطفية أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض أو استجلاب إلى حال أو داع إلى واجب أو مناجاة بسر وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والنيب بالنيب والسر بالسر واستخراج مالك بما عليك مما سبق لسمي فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر إذا كان هو البتدى . بالنم والتولى وإليه يرجع الأمر كله فهذا ظاهر علم الوجد وأقوال الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة . وأما الحكماء فقال بعضهم في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على إخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان فلما ظهرت سررت وطربت إليها فاستمعوا من النفس وتاجوها ودعوا مناجاة الطواهو وقال بعضهم نتائج السماع استنساخ العاجز من الرأي واستجلاب المازب من الأفكار وحدة السكال من الأفكار والآراء حتى يثوب ما عذب وبهض ما هيج ويصفو ما كدر ويمرح على كل رأى ونية فيصيب ولا يخطئ . ويأتى ولا يخطئ . وقال آخر كما أن الفكر بطرق العلم إلى العلوم فالسماع يطرُق القلب إلى العالم الروحاني . وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الأطراف بالطبع على وزن الألحان والايقات فقال ذلك عشق عقل والعاشق العقل لا يحتاج إلى أن يباغى معشوقة بالمنطق الجرمي بل يباغىه ويتابعه بالتبسم واللفظ والحركة اللطيفة بالحاءب والجفن والإشارة وهذه نواطق أجمع للإظهار روحانية وأما العاشق الهمي فإنه يستعمل النطق الجرمي ليعبر به

وترك على الروس
إسكراماً وعازازاً :
تضوع أرواح نجد
من ثيابهم
يوم القدوم قرب
المهد بالدار
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يستقبل
القيث ويستبرك به
ويقول حديث عهد
بربه فالخرقة للخرقة
حديثه المهد حكم
المجروحة أن تفرق على
الحاضرين وحكم
ما يتبعها من الخرق
الصالح أن يحكم فيها
الشيخ إن خصص
بشيء منها بعض الفقهاء
فله ذلك وإن خرقها
خرقاً فله ذلك ولا يقال
هذا فخرط وسرف
فان الخرق الصغيرة
يتنفع بها في موضعها
عند الحاجات
كالكبيرة . وروى
عن أمير المؤمنين على
ابن أبي طالب رضي الله
عنه أنه قال « أهدى
لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حلة حرير

عن ثمرة ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائف . وقال آخر من حزن فليسمع الأملحان فإن النفس إذا دخلها الحزن خمد نورها وإذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فظهر الحزن بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفاته وقائه من النفس والدنس . والأقوال للقررة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار من إيرادها فلنشتغل بفهم المعنى الذي الوجد عبارة عنه فنقول إنه عبارة عن حالة يشرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده السميع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين فإنها إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتبنيات وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والتبعض وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقومها فإن ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك له خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وإن ظهر على الظاهر مسمى وجدا إما ضعيفا وإما قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتغييره بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الوجد وقدرته على ضبط جوارحه فقديم قوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وتصوره عن التحريك وحل عقد التماسك وإلى معنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابي حيث قال في الوجد إنه مشاهدة القريب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يمد أن يكون السماع سببا لكشف ما لم يكن مكشوفاً قبله فإن الكشف يحصل بأسباب منها التنبيه والسماع منه ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وإذا كان إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورد ومنها صفاء القلب والسماع يؤثر في تنقية القلب والصفاء بسبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار للكموت كما أن عمل البعير حمل الأثقال فبواسطة هذه الأسباب يكون سببا للكشف بل القلب إذا صفا ربما يثقل له الحق في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يقرع صممه يبر عنه بصوت الهاتف إذا كان في اليقظة والرؤيا إذا كان في المنام وذلك جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم للعامة وذلك كما روى عن محمد ابن مسروق البغدادي أنه قال خرجت ليلة في أيام جهائي وأنا نشوان وكنت أغنى هذا البيت :

بطور سيناء كرم ما مررت به إلا تمجبت ممن يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول :

وفي جهنم ماء ما تجمعه خالق فأبقى له في الجوف أمعاء

قال فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة ، فانظر كيف أثر الغناء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقته الحق في صفة جهنم في لفظ مفهوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر . وروى عن مسلم العبادي أنه قال قدم علينا مرة صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الأسوارى فزولوا على الساحل قال فهيات لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم إليه فجاءوا فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا بقائل يقول رافضا صوته هذا البيت :

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيها غير نافع

قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخر متساعليا وبقي القوم فرفضت الطعام وماذاقوا وأهمنه لقمة ، وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد أيضا بالبرص مرة الحضرة عليه السلام فانه يمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة تمثل الالامكة للأنبياء عليهم السلام إما على حقيقة صورتها

فأرسل بها إلى غريقت فيها فقال لي ما كنت لأكره لنفس شيئا أَرْضاه لك فشفقة بها بين النساء خمرها وفي رواية أتيتها فقلت ما أصنع بها ألبسها قال ولكن اجعلها خمرًا بين القوامم أراد فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفي هذه الرواية أن الهدية كانت حلة مكشوفة بجرير وهذا وجه في السنة لتمزيق الثوب وجعله خرقا . حكى أن الفقهاء والصوفية ينسبوا اجتماعا في دعوة فوقعت الحرقه وكان شيخ الفقهاء الشيخ أبو محمد الجويني وشيخ الصوفية الشيخ أبا القاسم القشيري قسمت الحرقه على عاداتهم فالتفت الشيخ أبو محمد إلى بعض الفقهاء وقال سرا هذا سرف وإضاعة للمال فسمع أبو القاسم

ولما طي مثال يحكي صورتها بعض الحكاكة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرتين في صورته وأخبر عنه بأنه سد الأفق (١) وهو المراد بقوله تعالى - علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى - إلى آخر هذه الآيات وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على صفات القلوب وقد يعبر عن ذلك الاطلاع بالفرس ولذلك قال عليه السلام « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » (٢) وقد حكى أن رجلاً من الجوس كان يدور على المسلمين ويقول ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن » فكان يذكر له تفسيره فلا يقنع ذلك حتى انتهى إلى بعض الشايخ من الصوفية فقال له معناه أن تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه وأسلم وقال الآن عرفت أنك مؤمن وأن إيمانك حق . وكأحكي عن إبراهيم الخواص قال كنت بغداد في جماعة من الفقهاء في الجامع فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه قلت لأصحابي يقع أنه يهودي نسكهم كرهوا ذلك فخرج الشاب ثم رجع إليهم وقال أي شيء قال الشيخ في فاحتشموه فأخ عليهم فقالوا له قال إنك يهودي قال فجاءني وأكب على يدي وقبل رأسي وأسلم وقال نجدي كنتنا أن الصديق لا تخفي فراسه قلت أمتحن المسلمين فتأملتهم قلت إن كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة لأنهم يقولون حديثه سبحانه ويقرءون كلامه فليست عليكم فما اطلع على الشيخ وفرس في علمت أنه صديق قال وصار الشاب من كبار الصوفية وإلى مثل هذا الكشف الإشارة بقوله عليه السلام « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » (٣) وإنا نعوم الشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات الذمومة فقام امرعى الشيطان وجنده ومن خلس قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه وإليه الإشارة بقوله تعالى - لإعياذك منهم المحصنين - وقوله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - والسماع حبيب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلى هذا يدل ما روى أن ذا النون المصري رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قواله فاستأذنوه أن يقول لهم شيئاً فأذن لهم في ذلك فأشأ يقول :

صغير هواك عذبنى فكيف به إذا احتسكا وأنت جمت في قلبي
هوى قد كان مشتركاً أما ترى لمكتب إذا ضحك الحلى بكى

قام ذو النون وسقط على وجهه ، ثم قام رجل آخر فقال ذو النون الذي يراك حين تقوم تجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعاً من ذي النون على قلبه أنه متكلف متواجد ففره أن الذي يراه حين يقوم هو الخصم في قيامه لغير الله تعالى ولو كان الرجل صادقاً ما جلس ، فإذا قد رجع حاصل الوجد إلى مكاشفات وإلى حالات . واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه وإلى ما لا يمكن العبارة عنه أصلاً ولعلك تستبعد حالة أو علماً لا تعلم حقيقة ولا يمكن التعبير عنه عن حقيقة فلا تستبعد ذلك فانك تجد في أحوال القرية لذلك شواهد . أما العلم فكمن قلبه تعرض عليه . مستلثان متشابهتان في الصورة وبذلك الفقيه بلوقه أن بينهما فرقا في الحكم وإذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وإن كان من أضح الناس فيدرك بلوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وإدراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالدوق ولا يشك في أن لوقه في قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة ولا يمكنه الاخبار عنه لا لقصور في لسانه بل لدة المعنى في نفسه عن أن تتأله العبارة وهذا مما قد تظن أنه

- (١) حديث رأى جبريل عليه السلام مرتين في صورته فأخبر أنه سد الأفق متفق عليه من حديث عائشة
- (٢) حديث اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حديث غريب (٣) حديث لولا أن الشياطين يحومون على بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء تقدم في الصوم .

القصيرى ولم يقل شيئاً
حق فرغت القصة ثم
استدعى الخادم وقال
انظر في الجمع من معه
سجادة خرق اتنى بها
لجاءه بسجادة ثم
أحضر رجلاً من أهل
الحبرة فقال هذه
السجادة بك تشتري
في الزاد؟ قال بدinar قال
ولو كانت قطعة واحدة
كم تساوى قال نصف
دينار ثم التفت إلى
الشيخ أبي محمد وقال
هذا لا يسمى اصاعة
للل والحرقه للمزقة
تقسم على جميع
الحاضرين من كان
من الجنس أو من غير
الجنس إذا كان حسن
الظن بالقوم معتقداً
للتبرك بالحرقه .
روى طارق بن
شهاب أن أهل البصرة
غزوا نهاوند وأمدم
أهل الكوفة وعلى
أهل الكوفة عمار بن
ياسر فظهروا وأراد
أهل البصرة أن
لا يقسموا لأهل

الواظبون على النظر في المشكلات . وأما الحال فكأن من إنسان يدرك في قلبه في الوقت الذي يصبح فيه قمحا أو بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر إنسان في شيء فيؤثر في نفسه أثرا فيفسى ذلك السبب ويبقى الأثر في نفسه وهو يحس به وقد تكون الحالة التي يحسها سرورا ثابت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور أو حزنا فيفسى التفكير فيه ويحس بالأثر عقبه وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يهرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة متفصصة عن التصود بل ذوق الشعر الوزون والفرق بينه وبين غير الوزون يختص به بعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها أعني التفرقة بين الوزون والتزحف فلا يكتفه التعبير عما يتضح مقصوده به لمن لا ذوق له وفي النفس أحوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الحوف والحزن والسرور إنما تحصل في السماع عن غنا مفهوما ، وأما الأوتار وسائر النغمات التي ليست بمفهومة فإنها تؤثر في النفس تأثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الآثار وقديعبر عنها بالشوق ولكن شوقه لا يعرف صاحبه للشتاق إليه فهو عجيب والذي اضطرب قلبه بسماع الأوتار أو الشاهين وما أشبه ليس يدري إلى ماذا يشتاق ويجد في نفسه حالة كأنها تنقاض أمرا ليس يدري ماهو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يقلب على قلبه لاحب آدمي ولاحب الله تعالى وهذا ليس وهو أن كل شوق فله ركنان : أحدهما صفة للشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق إليه . والثاني معرفة للمشتاق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه فإن وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق إليه كان الأمر ظاهرا وإن لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة للشوق وحركت قلبك الصفة واشتعلت نارها أو ثورت ذلك دهشة وحيرة لا محالة ولو نشأ آدمي وحده بحيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الواقع ثم راقى الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه نازر الشهوة ولكن لا يدري أنه يشتاق إلى الواقع لأنه ليس يدري صورة الواقع ولا يعرف صورة النساء فكذلك في نفس آدمي مناسبة مع العالم الأعلى والذات التي وعد بها في سدرة المنتهى والفراديس العلى إلا أنه لم يتخلل من هذه الأمور إلا الصفات والأصنام كالذي سمع لفظ الواقع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المرأة يعرف بالمقايسة فالسمع يحرك منه الشوق والجهل للفرط والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذي إليه حنيته واشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه أمرا ليس يدري ماهو فيدهش ويتعجب ويضطرب ويحس كأنه كالمشتاق الذي لا يعرف طريق الخلاص فهذا وأمثاله من الأحوال التي لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن التصف بها أن يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره . واعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكلف ويسمى التواجد وهذا التواجد للتكلف فإنه مذموم وهو الذي يقصد به الرياء وإظهار الأحوال الشريفة مع الافلاس منها ومنه ماهو محمود وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة فإن للكسب مدخلا في جلب الأحوال الشريفة ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازن ^(١) فإن هذه الأحوال قد تتكلف مبادئها ثم تتحقق أواخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في أن يصير للتكلف في الآخرة طبعاً وكل من يعلم القرآن أو لا يحفظه تتكلفوا يقرؤهُ تتكلفوا مع تمام التأمل وإحضار الذهن ثم يصير ذلك ديبداً للسان مطرداً حتى يجري به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل فقراً تمام السورة وتوابع نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها في حال غفلته وكذلك الكاتب يكتب في الابتداء بمجدد شديد ثم

الكوفة من الغنية
شيئا فقال رجل من
بنى نعيم لعمار أبيها
الأجدع تريد أن
تشاركنا في غناتنا
فكتب إلى عمر بذلك
فكتب عمر رضى
الله عنه أن الغنية
لمن شهد الوصف وذهب
بعضهم إلى أن المجرع
من الحرق يقسم على
الجمع وما كان من
ذلك صحيحا يعطى
للقوال . واستدل بما
روى عن أبي قتادة
قال لما وضعت الحرب
أوزارها يوم حنين
وفرغنا من اقوم قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « من قتل
قتيلا فله سلبه » وهذا
له وجه في الحرقة
الصحيحة فأما المجرعة
فكفها اسهام
الحاضرين والقسمه
لهم ولو دخل على الجمع
وقت القسمه من
لم يكن حاضرا قسم
له . روى أبو موسى
الأشعري رضى الله

(١) حديث البكاء عند قراءة القرآن فإن لم تبكوا فبأقوا ، تقدم في تلاوة القرآن في الباب الثاني .

تتمرن على الكتابة يده فيصير الكتب له طبعاً فيكتب أوراقاً كثيرة وهو مستغرق القلب بفكر آخر فجميع ما تحمله النفس والجوارح من الصفات لاسيلاً إلى اكتسابه إلا بالتكلف والتصنع أولاً ثم يصير بالعادة طبعاً وهو المراد بقول بعضهم : العادة طبيعة خامسة . فكذلك الأحوال الشريفة لا ينبغي أن يقع اليأس منها عند قهدها بل ينبغي أن يتكلف اجتلابها بالسباع وغيره فلقد شوهد في العادات من انتهى أن يشقى شخصاً ولم يكن يشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويدم النظر إليه ويقرر على نفسه الأوصاف المحبوبة والأخلاق الحمودة فيه حتى غشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخاً خرج عن حد اختياره فأنتهى بمد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص فكذلك حب الله تعالى والشوق إلى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الأحوال الشريفة إذا قهدها الإنسان فينبغي أن يتكلف اجتلابها بمجالية اللوصوفين بها ومشاهدة أحوالهم ونحوه من صفاتهم في النفس والجوارح معهم في السماع والدعاء والتضرع إلى الله تعالى في أن يرقه تلك الحالة بأن ييسر له أسبابها . ومن أسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحسنين والشايقين والحاشدين فمن جالس شخصاً سرت إليه صفاته من حيث لا يدري وبدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم ارزقني حبك » حب من أحبك وحب من يقربني إلى حبك ^(١) » قد فزع عليه السلام إلى الدعاء في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد إلى مكشفات وإلى أحوال وانقسامه إلى ما يمكن الانفصاح عنه وإلى ما لا يمكن وانقسامه إلى التكشف وإلى المطبوع . فان قلت : فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرآن وهو كلام الله ويظهر عند الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقاً من لطف الله تعالى ولم يكن باطلاً من غرور الشيطان لكان القرآن أولى به من الغناء فنقول : الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق إرادته والشوق إلى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن أيضاً وإنما الذي لا يهيج بسماع القرآن حب الخلق وعشق الخلق وبدل على ذلك قوله تعالى - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - وقوله تعالى - مثاني تعشرون منه جلود الذين يغشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - وكل ما يوجد غيب السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمانينة والاشتغال والحشية ولين القلب كل ذلك وجد وقد قال الله تعالى - إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - وقال تعالى - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله - فالوجل والخشوع وجد من قبيل الأحوال وإن لم يكن من قبيل المكشفات ولكن قد يصير سبباً للمكشفات والتنبيهات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم ^(٢) » « ولأنني موسى الأشعري » « لقد أوتيت مزاراً من مزامير آل داود عليه السلام ^(٣) » . وأما الحكايات الدالة على أن آرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة فقوله صلى الله عليه وسلم « شيبني هود وأخواتها ^(٤) » خبر عن الوجد فإن الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد . وروى أن ابن مسعود رضى الله عنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النساء فلما انتهى إلى قوله تعالى - فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد

(١) حديث اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك الحديث تقدم في الدعوات (٢) حديث زينوا القرآن بأصواتكم تقدم في تلاوة القرآن (٣) حديث لقد أوتيت مزاراً من مزامير آل داود قوله لأنني موسى شيبني هود وأخواتها الترمذي من حديث أبي حنيفة وله وإلحاقه من حديث ابن عباس نحوه قال الترمذي حسن وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري

تعالى عنه قال لما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خير ثلاث فأسهم لنا ولم يسهم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا وبكره للقوم حضور غير الجنس عندنا في السماع كثره لا ذوق له من ذلك فينكر ما لا ينكر أو صاحب دنيا يحوج إلى المداواة والتكليف أو متكلف للوجد يشوش الوقت على الحاضر بنواجهه أخبرنا أبو زرعة طاهر عن والده أبي الفضل الحافظ القدسي قال أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري بسرخس قال أخبرنا أبو علي الفضل بن منصور بن نصر الكاغدي السمرقندي بإجازة قد حدثنا المهيم بن كليب قال أخبرنا أبو بكر عمار بن اسحق قال ثامر بن عامر عن شعبة عن

وجئت بك على هؤلاء شهيدا - قال حبسك وكانت عيناه تذرفان بالسود (١) وفي رواية أنه عليه السلام قرأ هذه الآية أو قرأ عنده - إن لدينا أنسكلا وجعيا وطعاما ذا غصة وعذابا أليما - فصق (٢) وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قرأ - إن تعذبهم فأنهم عبادك - فبكى (٣) وكان عليه السلام إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر (٤) والاستبشار وجد وقد أتى الله تعالى على أهل الوجد بالقرآن فقال تعالى - وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع لما عرفوا من الحق - وروى أن رسول صلى الله عليه وسلم كان يصلي ولصدرة أزيز كآزيز للرجل (٥) وأما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فكثير : منهم من صق ومنهم من بكى ومنهم من غشى عليه ومنهم من مات في غشيته وروى أن زرارة بن أوفى وكان من التابعين كان يؤم الناس بالرفة قرأ - فإذا قرأ في الناقور - فصق ومات في محرابه رحمه الله وسمع عمر رضي الله عنه رجلا يقرأ - إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع - فصاح صيحة وخر مشفيا عليه فعمل إلى بيته فلم يزل مريضا في بيته شهرا وأبو جرير من التابعين قرأ عليه صالح للرى فشقي ومات وسمع الشافعي رحمه الله قارئا يقرأ - هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون - فغشى عليه وسمع على ابن الفضيل قارئا يقرأ - يوم يقوم الناس لرب العالمين - فسقط مشفيا عليه فقال الفضيل شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية فقد كان الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف إمامه قرأ الإمام - ولئن شئت لأذهبن بالذي أوحينا إليك - فزعق الشبلي زعقة ظن الناس أنه قد طارت روحه واحمر وجهه وارتعدت فرائصه وكان يقوم بمثل هذا مخاطب الأعباء يردد ذلك مرارا . وقال الجنيدي دخلت على سري السقطي فرأيت بين يديه رجلا قد غشى عليه فقال لي هذا رجل قد جمع آية من القرآن فغشى عليه قتلت أقرءوا عليه تلك الآية بعينها قرئت فأذق فقال من أين قلت هذا قلت رأيت يعقوب عليه السلام كان عماء من أجل مخلوق فمخلوق أبصر ولو كان عماء من أجل الحق ما أبصر فمخلوق فاستحسن ذلك ويشير إلى ما قاله الجنيدي قول الشاعر:

وكأن شربت على لذة وأخرى تداوت منها بها

وقال بعض الصوفية كنت أقرأ ليلة هذه الآية - كل نفس ذائقة الموت - فجعلت أرددها فإذا هانف يهتف بي كم تردد هذه الآية فقد قلت أربعة من الجن ما رفعوا رؤوسهم إلى السماء منذ خلقوا . وقال أبو علي النابلي للشبلي : ربما تطرق معنى آية من كتاب الله تعالى فتجذبني إلى الإعراض عن الدنيا ثم أرحم إلى أحوالي وإلى الناس فلا أبقى على ذلك فقال ما طرق معك من القرآن فاجتذبك به إليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك وإذا ردك إلى نفسك فهو شفقة منه عليك فإنه لا يصلح لك إلا التبري من الحول والقوة في التوجه إليه . وسمع رجلا من أهل التصوف قارئا يقرأ - يأتينا النفس

(١) حديث إن ابن مسعود قرأ عليه فلما انتهى إلى قوله - فكيف إذا جئت من كل أممة - بشهيد وجئت بك على هؤلاء شهيدا - قال حبسك الحديث متفق عليه من حديث (٢) حديث أنه قرأ عنده - إن لدينا أنسكلا وجعيا وطعاما ذا غصة وعذابا أليما - فصق ، ابن عدى في الكامل والبيهقي في الشعب من طريقه من حديث أبي حرب بن أبي الأسود مرسلا (٣) حديث أنه قرأ - إن تعذبهم فأنهم عبادك - فبكى ، مسلم من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث كان إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر تقدم في تلاوة القرآن دون قوله واستبشر (٥) حديث أنه كان يصلي ولصدرة أزيز كآزيز للرجل أبو داود والنسائي والترمذي في التبايل من حديث عبد الله ابن السخير وقد تقدم .

عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله إن قراء أمثك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خماسة عام فصرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل فيكم من يشهدنا فقال بدوى نعم يا رسول الله قال هات فأنشأ الأعرابي :

قلست حية الهوى كبدى

فلا طيب لها ولا راق إلا الحبيب الذي شفت به

فمنده رقيق وترابي

فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواجد الأصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فصار غوا أووى كل واحد منهم إلى مكانه قال معاوية بن أبي سفيان ما أحسن

اطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية - فاستأذنها من القاري - وذلك كم أقول لها ارجعي وليست ترجع وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه وصيح بكربن معاذ قارئا يقرأ - وأنذرهم يوم الآزفة - الآية فاضطرب ثم صاح ارحم من أنذرته ولم يقبل إليك بعد الانذار بطاعتك ثم غشي عليه وكان إبراهيم ابن آدم رحمه الله إذا سمع أحدا يقرأ - إذا الساء انشقت - اضطربت أوصاله حتى كان يرتعد وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يقتل في الفرائض به رجل على الشاطئ يقرأ - وامتازوا اليوم أيها المجرمون - فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات . وذكر أن سلمان الفارسي أبصر شابا يقرأ فاتى على آية فاتشمر جلده فأحبه سلمان وقدمه فسأل عنه فقيل له إنه مريض فأتاه يهوده فإذا هو في اللوت فقال يا عبد الله : أرأيت تلك القشعريرة التي كانت في فاتها أنثى في أحسن صورة فأخبرتني أن الله قد غفر لي بها كل ذنب . وبالجملة لا يغلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلا - مثله كمثل الذي ينقح بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عسى فهم لا يسمعون - بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعا قال جعفر الحلي دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال للجنيد من يستوى عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ إذا دخل البهارستان وقيد بعيدن فقال الجنيد ليس هذا من شأنك ثم أقبل على الرجل وقال إذا تحقق أنه مخلوق فشق الرجل شهقة ومات . فان قلت فإن كان سماع القرآن مفيدا للوجد لشاغلهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون القاريين فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراءة لالحق للعين وكان ينبغي أن يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قاري لا قوال فإن كلام الله تعالى أفضل من الغناء لاجالة . فاعلم أن الغناء أشد تهييجا للوجد من القرآن من سبعة أوجه . الوجه الأول : أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال للسمع ولا تصلح لذهنه وتزيله على ما هو ملابس له فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله قوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين - وقوله تعالى - والذين يرمون المحصنات - وكذلك جميع الآيات التي فيها بيان أحكام للبراث والطلاق والحدود وغيرها وإنما المحرك لما في القلب ما يناسبه والآيات إنما يضرها الشعراء إعرابا بها عن أحوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منها إلى تكلف نعم من يستولى عليه حالة غالبية قاهرة لم تبق فيه متسع لتغيرها ومعه يتقلب وذكاؤه ثاقب يتفطن به للمعاني البعيدة من الألفاظ قد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم - حالة اللوت الموحى إلى الوصية وأن كل إنسان لابد أن يخاف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك أحد المحبوبين للثاني وهجرهما جميعا فينبط عليه الخوف والخزع أو يسمع ذكر الله في قوله - يوصيكم الله في أولادكم - فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده أو يخطر له رحمة الله على عباده وشقيقته بأن تولى قسم وارشهم بنفسه نظرا لهم في حياتهم وموتهم فيقول إذا نظر لأولادنا بدموتنا فلان شك بأنه ينظر لنا فيسبح منه حال الرجاء ويورثه ذلك استبشارا وسرورا أو يخطر له من قوله تعالى - للذكر مثل حظ الأنثيين - تفضيل الله كبريائه رجلا على الأنثى وأن الفضل في الآخرة لرجال لانهم تجارة ولا يبيع عن ذكر الله ، وأن من ألغاه غير الله تعالى عن الله تعالى فهو من الإنثى لان الرجال تحقيقا فيختار أن يحب أو يخوف في نعم الآخرة كما أخبرت الأنثى في أموال الدنيا فأما هذا فمحررك الوجد ولكن لمن فيه وصفان : أحدهما حالة غالبية مستغرقة قاهرة والآخر تفتن بليغ وتيقظ بالغ كامل للتنبه بالأمور القريبة على المعاني البعيدة وذلك بما يفرغ فلاجل ذلك يفرغ إلى الغناء الذي هو ألفة مناسبة للأحوال حتى يتسارع هيجانها . وروى أن أبا الحسن النوري كان مع جماعة

لبيك يا رسول الله فقال
به يا معاوية ليس بكرب
من لم يهتز عند سماع
ذكر الحبيب ثم قسم
رداه رسول الله صلى
الله عليه وسلم على من
حاضرهم بأربعة أقطعة
فهذا الحديث أوردناه
مستندا كما سمعناه
ووجدناه وقد تكلم
في صحته أصحاب الحديث
وما وجدنا شيئا نقل
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يشاكل
وجد أهل الزمان
وسماعهم واجتماعهم
وهيئتهم إلا هذا وما
أحسنه من حجة
للمصوفة وأهل الزمان
في سماعهم وتزويقهم
الحرق وقسمتها أن
لوصح والله أعلم وبخالف
سرى أنه غير صحيح
ولم أجد فيه ذوق
اجتماع النبي صلى الله
عليه وسلم مع أصحابه
وما كانوا يستمدونه
على ما بلغنا في هذا
الحديث وبأن القلب
قبوله والله أعلم
بذلك .

في دعوى جرى بينهم مسألة في العلم والعلم والحسين ساكت ثم رفع رأسه وأنشدهم :
 رب ورقاء هتوف في الضحى ذات شجوة صدحت في قن
 ذكرت إلفا ودعها حالها وبكت حزنا فهاجت حزني
 فيصكائي ربما أرقها وبكاهها ربما أرقني
 ولقد أشكو لها أفهمها ولقد تشكو لها غمهمي
 غير أنني بالجوى أعرفها وهي أيضا بالجوى تعرفني

قال لما بقي أحد من القوم إلا قام وتواجدولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وإن كان العلم جدوا حقا . الوجه الثاني : أن القرآن محفوظ للأكثرين ومتكرر على الأسماع والقلوب وكما سمع أول أعظم أثره في القلوب وفي الكرة الثانية يصف أثره وفي الثالثة يكاد يسقط أثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة في الزمان في يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك ولو أبدل بيت آخر لتحدد له أثر في قلبه وإن كان معربا عن عين ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالإضافة إلى الأول يحرك النفس وإن كان المعنى واحدا وليس بقدر القاري على أن يقرأ قرآنا غريبا في كل وقت ودعوة فإن القرآن محصور لا يمكن التزادة عليه وكله محفوظ متكرر وإلى ما ذكرناه أشار الصديق رضي الله عنه حيث رأى الأعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويكونون فقال كئنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا ولا تظن أن قلب الصديق رضي الله عنه كان أقوى من قلوب الأجلاف من العرب وأنه كان أقوى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرار على قلبه اقتضى للربون عليه وقلة التأثير به لما حصل له من الأثر بكرة استماعه إذ محال في العادات أن يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيسكن ثم يدوم على بكائه عليها عشرين سنة ثم يرددها ويكي ولا يفارق الأول الآخر إلا في كونه غريبا جديدا ولكل جديد لغة ولكل طارئ صدمة ومع كل مأروف أنس يناقض الصدمة ولذا هم عمر رضي الله عنه أن ينزع الناس من كثرة الطواف وقال قد خشيت أن يتهاون الناس بهذا البيت أي بأنسوا به ومن قدم حاجا فرأى البيت أولا بكى وزعق وربما غشى عليه إذ وقع عليه بصره وقديقم بمكة شهرا ولا يحسن من ذلك في نفسه بأثر فاذا التقى يقدر على الآيات القرية في كل وقت ولا يقدر في كل وقت على آية غريبة . الوجه الثالث : أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيرا في النفس فليس الصوت لوزن الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات ولوزن المعنى البيت الذي ينشده ألحن فيه أمواله على حد تلك الطريقة في اللحن لاضطرب قلب المستمع وبطل وجده ومعايه ونظر طبعه لعدم المناسبة وإذا نقر الطبع اضطرب القلب وتشوش فالوزن إذن مؤثر فذلك طاب الشعر . الوجه الرابع : أن الشعر الوزون يختلف تأثيره في النفس بالألحان التي تسمى الطرق والديساتانات وإنما اختلاف تلك الطرق يعد القصور وقصر المدود والوقف في أثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما أزيل قصوره ومدد والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام أو مكروه وإذا رتل القرآن كما أزيل سقط عنه الأثر الذي سببه وزن الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهوما كافي الأوتار والزمارة والشاهين وسائر الأصوات التي لا تنهم . الوجه الخامس : أن الألحان الوزونة تعضد وتتؤكد بأقاعات وأصوات آخر موزونة خارج الخلق كالغضب بالقضيب والدف وغيره لأن الوجد الضعيف لا يستثار إلا بسبب قوي وإنما يقوى بمجموع هذه الأسباب ولكل واحد منها حظ في التأثير وواجب أن يسان القرآن عن مثل هذه القرائن لأن صورتها عند عامة الخلق

[الباب السادس والعشرون في خاصية الأربينية التي يتأهلها الصوفية] ليس مطلوب القوم من الأربين شيئا مخصوصا لا يطلبون في غيرها ولكن لما طرقهم مخالقات حكم الأوقات أحبوا تضيد الوقت بالأربين رجاء أن ينسحب حكم الأربين على جميع زمانهم فيكونوا في جميع أوقاتهم كالأربين في الأربين على أن الأربين خست بالذكر في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وقد خص الله تعالى الأربين بالذكر في قصة موسى عليه السلام وأمره بتخصيص الأربين بمزيد تبتل قال الله تعالى « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأجمعنا بها بشر قم »

سورة اللهو والحب والقرآن جد كله عند كافة الخلق فلا يجوز أن يمزج بالحق المحض ما هو لموعود العامة وصورة سورة اللهو عند الخاصة وإن كانوا لا ينظرون إليها من حيث إنها لموعود بل ينبغي أن يوقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن ولا في جال الحانة ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن في كل حال إلا للراقيون لأحوالهم فيقبل إلى الفناء الذي لا يستحق هذه الرقابة والرعاية ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلة العرس وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف في العرس فقال «أظهروا النكاح ولو بضرب الغراب» (١) أو بلفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشمر دون القرآن ولذلك لا يدخل رسول الله ﷺ بيت الريح بنت معوذ وعندها جوار ينين فسمع أحدهن تقول وفيما نير سالم في غدا على وجه الفناء فقال صلى الله عليه وسلم «دعى هذا وقول ما كنت تقولين» (٢) وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عن إيرادها إلى الفناء الذي هو لموعود لأن هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فإذا تعذر بسببه تقوية الأسباب التي بها يصير السماع محركا للقلب فواجب في الاحترام المدول إلى الفناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية المدول عن شهادة النبوة إلى الفناء . الوجه السادس : أن التقى قديني بيت لا يوافق حال السامع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعي غيره فليس كل كلام موافقا لكل حال فلا واجتمعوا في الدعوات على القارئ فربما يقرأ آية لا توافق حاله إذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الأحوال ، فآيات الرحمة شفاء الخائف وآيات العذاب شفاء القلبي الآمن وتفصيل ذلك مما يطول فإذا لا يؤمن أن لا يوافق القارئ المحال ونكرهه النفس فيعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يبعد سبيلا إلى دفعه فلا احتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب إذ لا يبعد الخلاص عنه إلا بتزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالى إلا على ما أراد الله تعالى . وأما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة أو يخطر التأويل الخطأ لموافقة المحال فيجب توقير كلام الله وصيائه عن ذلك ، وهذا ما يفندح لي في علل انصراف الشيوخ إلى سماع الفناء عن سماع القرآن . وههنا وجه سابع ذكره أبو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك فقال : القرآن كلام الله وصفته من صفاته وهو حق لا يطيقه البشرية لأنه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب بذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهمت وتحيرت والألحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لأن نسبة الحقوق والشعر نسبتها نسبة الحظوظ فإذا علقت الألحان والأصوات بما في الآيات من الإشارات واللطائف شاكل بعضها بعضا كان أقرب إلى الحظوظ وأخف على القلوب لمشاكلة المخلوقات المخلوقة فمادامت البشرية قبيحة ونحن بصفتنا وحظوظنا نتم بالنفثات الشجية والأصوات الطيبة فإن بساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ إلى القوائد أولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدأ وإليه يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره . وقد حكى عن أبي الحسن الدراج أنه قال : قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام عليه فلما دخلت الري كنت أسأل عنه فكل من سأله عنه قال أيش تعمل بذلك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف ثم قلت في نفسي قد جئت بهذا الطريق كده فلا أقول من أن أراه فلم أزل أسأل عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في الجراب وبين يديه رجل ويده مصحف وهو يقرأ فإذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية فسلمت عليه فأقبل علي وقال

(١) حديث الأمر بضرب الدف في العرس تقدم في النكاح (٢) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الريح بنت معوذ وعندها جوار ينين الحديث البخاري من حديثها وقد تهدم في النكاح .

سبقت ربه أربعين ليلة - وذلك أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر أن الله تعالى إذا أهلك عدوهم واستغفم من أيديهم يأتيهم بكتاب من عند الله تعالى فيه تبيان الحلال والحرام والحدود والأحكام فسل الله ذلك وأهلك فرعون ، سأل موسى ربه الكتاب فأمره الله تعالى أن يصوم ثلاثين يوما وهو ذو الصلوة فقامت الثلاثون ليلة أنكر خلفه فقتلوه بعد خروبه فقالت له اللاتكة كناتم من فيك رائحة للسك وفدته بالسوء فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة وقال له أما علمت أن خلفي قم الصائم أطيب عندي من ريح السك ولم يكن صوم موسى عليه السلام ترك الطعام

من أين أتيت قلت من بغداد فقال وما الذي جاء بك قلت صدقتك السلام عليك فقال لو أن في بعض هذه البلدان قال لك إنسان أتم عندنا حتى نفترى لك داراً أو جارية أكان يصعدك ذلك عن الهوى قلت ما امتحنني الله بشئ من ذلك ولو امتحنني ما كنت أمدى كيف أكون ثم قال لي أعسن أن تقول عينا قلت نعم فقال هات فأنشأت أقول :

رأيتك تبنى دائماً في قطيقي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما بيني
كأني بك واليت أفضل قولكم ألا ليتنا كنا إذ اليت لا بيني

قال فأطبق الصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه حتى رحته من كثرة بكائه ثم قال يا بني تلوم أهل الري يقولون يوسف زنديق هذا أنا من صلاة العداة أقرأ في للصحف لم تنظر من عيني قطرة وقد قامت القيامة على هذين البيتين فإذا القلوب وإن كانت عمرة في حب الله تعالى فإن البيت القريب يهيج منها حالاً تهيج تلاوة القرآن ، وذلك لوزن الشروم ما كلته لطلبه ولشكونه مشاكلاً للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر ، وأما القرآن فنظمه خارج عن أساليب الكلام ومنهاجه وهو لذلك معجز لا يدخل في قوة البشر لندم مشاكته لطلبه . وروى أن إسرائيل أستاذ ذى النون للصري دخل عليه رجل فرأه وهو ينسكت في الأرض بأبعه ويترنم بيت فقال هل تحسن أن ترنم بشئ فقال لا قال فأنت بلا قلب إشارة إلى أن من له قلب وعرف طباعه علم أنه تحركه الآيات والفتنات تحركاً لا يصادف في غيرها فيتكلف طريق التحريك إما بصوت قسه أو بغيره وقد ذكرنا حكم القام الأول في فهم السموع وتنزيهه وحكم القام الثاني في الوجد الذي يصادف في القلب ، فلذلك الآن أثر الوجد أعنى ما ترشح منه إلى الظاهر من صفة وبكاء وحركة وتمزيق وتوب وغيره فتقول :

(لقام الثالث من السباع)

نذكر فيه آداب السباع ظاهراً وباطناً وما يعمد من آثار الوجد وما يبدى ، فأما الآداب فهي خمس جل الأول : مراعاة الزمان والمكان والاخوان . قال الجنيد : السباع يحتاج إلى ثلاثة أشياء والإفلا تسع الزمان والمكان والاخوان ومعناه أن الاشتغال به في وقت حضور طعام أو خضام أو صلاة أو صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لافائدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعى حالة فراغ القلب له . وأما للمكان فقد يكون شارحاً مطروفاً أو موضواً كره الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك . وأما الاخوان فسيه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السباع متردد الظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستغنياً في المجلس واشتغل القلب به وكذلك إذا حضر متسكبر من أهل الدنيا يحتاج إلى مراقبته وإلى مراعاته أو متكلف متواجد من أهل التصوف يرأى بالوجد والرقص وتمزيق الثياب فكل ذلك مشوشات فترك السباع عند فقد هذه الشروط أولى في هذه الشروط نظر المستمع . الأدب الثاني : هو نظر الحاضرين أن الشيخ إذا كان حوله مريدون يضرهم السباع فلا ينبغي أن يسمع في حضورهم فإن سمع فليشغلهم بشغل آخر والريد الذي يستسر بالسباع أحد ثلاثة أقلام درجة هو الذي لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السباع فاشتغاله بالسباع اشتغال بما لا ينيه فانه ليس من أهل اللهو فليهو ولا من أهل الذوق فيتمتع بذوق السباع ، فليشتغل بذكر أو خدمة وإلا فهو تضيق لزمانه . الثاني : هو الذي له ذوق السباع ولكن فيه يقين المخطوط والافتات إلى الشهوات والصفات البشرية ولم ينسكس بعد انكساراً تؤمن غوائه فرعاً يهيج السباع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصدّه عن الاستكمال . الثالث : أن يكون قد انكسرت شهوته وأمنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم

بالبشر وأكله بالليل بل طوى الأربعين من غير أكل فدل على أن خلوا للصدمة من الطعام أصل كبير في الباب حتى احتاج موسى إلى ذلك مستمداً لمكالمة الله تعالى والعلوم الدينية في قلوب للتقطين إلى الله تعالى ضرب من المكالمة ومن اقتطع إلى الله أربعين يوماً مخلاً متاهداً قسه بخفة للصدمة يفتح الله عليه العلوم الدينية كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك غير أن تعيين الأربعين من الصدقة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أمر الله تعالى موسى عليه السلام بذلك والتحديد والتقييد بالأربعين لحكمة فيه ولا يطلع أحد على حقيقة ذلك إلا الأنبياء إذا عرفهم الحق ذلك وأمن بحسه الله تعالى بشرح ذلك من غير

ظاهر العلم ولم يعرف أسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل له فاذا فتح له باب السماع نزل السموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كثر أعظم من نفع السماع . قال سهل رحمه الله : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح السماع لمثل هذا ولأن قلبه بدملوث يحب الدنيا وحب الهمة والثناء ولأنه يسمع لأجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسماع مزية قدم يجب حفظ الضمضاء عنه قال الجنيد : رأيت إيايس في النوم قلت له هل تظفر من أصابعنا بشيء قال نعم في وقتين وقت السماع ووقت النظر فإني أدخل عليهم به فقال بعض الشيوخ لورأيت أنا قلت له ما أحفك من معمنه إذ فاصم ونظر إليه إذ انظر كيف تظفر به فقال الجنيد صدقت . الأدب الثالث : أن يكون مصفيا إلى ما يقول القائل حاضر القلب قليل الالتفات إلى الجوانب متحرزا عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد مشتتلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمتي في سره متحفظا عن حركة تشوش على أصحابه قلوبهم بل يكون ساكن للظاهر هادئ الأطراف متحفظا عن التمنع والتأثر ويجلس مطرقا رأسه كجولسه في فكر مستغرق قلبه متأسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والبراءة ساكنا عن النطق في أثناء القول بكل مانعه بد فان عليه الوجد وحركه في اختيار فهو فيه معذور غير ملوم ومهما رجع إليه الاختيار فليعد إلى هدوئه وسكونه ولا ينبغي أن يستدعيه حياء من أن يقال انقطع وجده على القرب ولأن يتواجد خوفا من أن يقال هو قاسى القلب عديم الصفاء والرفقة . حكى أن شابا كان يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذكر يزق فقال له الجنيد يوما إن قلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزق فحكى أنه احتقن يوما لشدة ضبطه لنفسه فشق شققة فانشق قلبه وتلفت نفسه . وروى أن موسى عليه السلام قص في بني إسرائيل ففرق واحد منهم ثوبه أوقيصه فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثوبك قال أبو القاسم النصر اباضى لأبي عمرو بن عبيد أنا أقول إذا اجتمع القوم فيكون معهم قول يقول خيرا لهم من أن يتأبوا فقال أبو عمرو الرياء في السماع وهو أن ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من أن تعتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك . فان قلت الأفضل هو الذي لا يحركه الدماع ولا يؤثر في ظاهره أو الذي يظهر عليه ، فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كالوتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الأحوال كلها فلا يتيقن للسمع مزيد تأثير وهو غاية السكال فان صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد دائم فهو الرابط للحق وللإلزام لمعين الشهود فهذا لاتيمره طوارق الأحوال ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضي الله عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارَتْ تطيق ملازمة الوجد في كل الأحوال فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدا في حقنا طارئا علينا حتى نتأثر به فاذا قوة الوجد تحرك قوة العقل والتماكس تضبط الظاهر وقد يغلب أحدهما الآخر إما لشدة قوته وإما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظن أن الذي يضطرب نفسه على الأرض أتم وجدا من الساكن باضطرابه بلرب ساكن أتم وجدا من المضطرب قد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقليل له في ذلك فقال - وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمر من السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء - إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل في المسكوت

الأنبياء ويلوح في ضر ذلك معنى والله أعلم وذلك أن الله تعالى لما أراد بتكوين آدم من تراب قدر التخمير بهذا القدر من العدد كأورد خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا فكان آدم لما كان مستسلحا لعمارة الدارين وأراد الله تعالى منه عمارة الدنيا كما أراد منه عمارة الجنة كونه من التراب تركيا يناسب عالم الحكمة والشهادة وهذه الدار الدنيا وما كانت عمارة الدنيا تأتي منه وهو غير مخلوق من أجزاء أرضية سفلية بحسب قانون الحكمة فمن التراب كونه وأربعين صباحا خمر طينته ليعمل بالتخمير أربعين صباحا بأربعين حجابا من الحضرة الإلهية كل حجاب هو معنى مودع فيه يصلح به لعمارة الدنيا ويتعرق به عن الحضرة الإلهية

والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة . وقال أبو الحسن محمد بن أحمد وكان بالبصرة : صحبت سهل ابن عبد الله ستين سنة فأرأيت نعيم عندى . كان يسمه من الذكر أو القرآن فلما كان في آخر عمره قرأ رجل بين يديه - فالיום لا يؤخفنكم فدية - الآية فأرأيت قدر اتسد وكاد يسقط فلما عاد إلى حاله سأله عن ذلك فقال نعم يا حبيبي قد ضغننا وكذلك مع مرة قوله تعالى : «للك يومئذ الحق للرحمن» - فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من أصحابه فقال قد ضغت قبيل له فان كان هذان الضغ فإقوة الحال قال أن لا يرد عليه وارد إلا وهولتيه بقوة حاله فلا تفره الواردات وإن كانت قوية وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملزمة الشهود كما حكى عن سهل رحمه الله تعالى أنه قال حالي قبل الصلاة وبسبب واحدة لأنه كان مراعى القلب خاضع الذكر مع الله تعالى في كل حال فكذلك يكون قبل السبع وبسبب إذ يكون وجده دائما وعطشه متصلا وشربه مستمرا بحيث لا يؤثر السبع في زيادته كما روى أن عشاء الدينوري أشرف على جماعة فيهم قال فسكنوا فقال أرجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جئت ملاهى الدنيا في أدنى ما شئت لمى ولا تخفى بعض ما بى . وقال الجنيد رحمه الله تعالى لا يضرب قصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أتم من فضل الوجد فان قلت ثلث هذا لم يحضر السبع فاعلم أن من هؤلاء من ترك السبع في كبره وكان لا يحضر إلا نادرا للمساعدة أخ من الإخوان وإدخلا للسرور على قلبه وربما يحضر ليعرف القوم كمال قوته فيطون أنه ليس السكالب بالوجد الظاهر فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وإن لم يقدروا على الاقتداء به في سيرورته طبعالم وإن اتفق حضورهم مع غير أبناء جنسهم فيكونون معهم بأبدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم كما يجلسون من غير جماع مع غير جنسهم بأسباب عارضة تقتضى الجلوس معهم وبعضهم نقل عنه ترك السبع ويظن أنه كان سبب تركه استثناءه عن السبع بما ذكرناه وبضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السبع ولا كان من أهل اللهو فكره لثلا يكون مشغولا بما لا يمينه وبضهم تركه لتقيد الإخوان . قيل لبعضهم لم لا تسمع قال بمن ومع من . الأديب الرابع : أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن إن رقص أو تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به الرأاة لأن التباكى استجلاب للحرز والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط فكل سرور مباح فيجوز تحريكه ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفون (١) هذا لفظ عائشة رضي الله عنها في بعض الروايات وقد روى عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم جعلوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها على بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم فقتلوا في تريبتها فقال صلى الله عليه وسلم لعل « أنت منى وأنا منك فاجعل على وقل لجعفر أشبهت خلقى وخلقى فاجعل وراءى جعل على » وقال زيد أنت أخونا ومولانا فاجعل زيد وراءى جعل جعفر ثم قال عليه السلام هي لجعفر لأن خالته اخته والحالة والدة (٢) « وفي رواية أنه قال لعائشة رضي الله عنها « آغبين أن تنظري إلى زفن الحبشة » والزفن والحجل هو الرقص وذلك يكون لقرح أو شوق فحكمه حكم مهيج إن كان فرحه محمودا والرقص يزيد ويؤكده فهو محمود وإن كان مباحا فهو مباح وإن كان مذموما فهو مذموم نعم لا يليق اعتياد ذلك بمناسب الأكابر وأهل القدوة لأنه

(١) حديث نظرت عائشة إلى رقص الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفون تقدم في الباب قبله (٢) حديث اختصم على وجعفر وزيد بن حارثة في ابنة حمزة فقال لعل أنت منى وأنا منك فاجعل وقال لجعفر أشبهت خلقى وخلقى فاجعل وراءى جعل جعفر

أبو داود من حديث على باسناد حسن وهو عند البخارى دون فاجعل .

ومواطن القرب إذلولم يتوق بهذا الحجاب ما حمرت الدنيا فأصل البعد عن مقام القرب فيه لصار عالم الحكمة وخلافة الله تعالى في الأرض فالتبتل لطاعة الله تعالى والاقبال عليه والانتزاع عن التوجه إلى أمر الماش بكل يوم يخرج عن حجاب هو معنى فيه مودع وعلى قدر زوال كل حجاب يتخذ ويتخذ منزلا في القرب من الحضرة الإلهية التي هي مجمع العلوم ومصدرها فإذا تمت الأربون زالت الحجب وانصبت إليه العلوم والمعارف انصبابا ثم العلوم والمعارف هي أعيان اقلبت أنوارا باتصال اكسير نور العظمة الإلهية بها فاقبلت أعيان حديث النفس علوما إلهامية وتصدت أجرام حديث النفس لقبول أنوار العظمة فلولا وجود

في ألا كثر يكون غن لهو ولعب وماله صورة اللعب والبهو في أعين الناس فينبغي أن يجتنبه القندي به
لئلا يصغر في أعين الناس فيترك الاعتداء به . وأما تعزيق الثياب فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن
الاختيار ولا يبعد أن يذليق الوجد بحيث يعزق ثوبه وهو لا يدري لثبته سكر الوجد عليه أو يدري
ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه وتكون صورته صورة السكره إذ يكون له
في الحركة أو التعزيق متغنى فمضطر إليه اضطرار للرخص إلى الأثنى ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه
مع أنه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه فالتغنى فعل يحصل بالارادة
ولو كاف الانسان أن يسلك النفس ساعة لا مضطر من باطنه إلى أن يختار التغنى فكذلك التزقة
وتعزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد ذكر عند السري حديث الوجد الحاد
الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري فروجع فيه واستبعد أن يتسبب إلى هذا الحد فأصر
عليه ولم يرجع ومعناه أنه في بعض الأحوال قد يتسبب إلى هذا الحد في بعض الأشخاص . فان قلت فأتقول
في تعزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فانهم يعزقونها قطعاً صفاراً
ويعزقونها على القوم ويسمونهم الحرقه . فأعلم أن ذلك مباح إذا قطع قطعاً مربة تصلح لترقيق الثياب
والسجادات فان السكر باليسعزق حتى يغط منه القميص ولا يكون ذلك قضيماً لأنه تعزيق لفرض
وكذلك ترقيق الثياب لا يمكن إلا بالقطع الصفار وذلك مقصود والتفرقة على الجميع ليم ذلك الخير
مقصود مباح ولكل مالك أن يقطع كرباسه مائة قطعة ويغطيها لمائة مسكين ولكن ينبغي أن تكون
القطع بحيث يمكن أن ينفع بها في الرقاق وإنما منعنا في السماع التعزيق الفسد للثوب الذي يهلك بعضه
بحيث لا يبقى متغنا به فهو تضيق محض لا يجوز بالاختيار . الأدب الخامس : مواقة القوم في القيام
إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف أو قام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له
الجماعة فلا بد من اللواقعة فذلك من آداب الصلوة وكذلك إن جرت عادة طائفة بتحية العامة على
مواقعة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو دخل الثياب إذا سقطت عنه ثوبه بالتزويق فالواقعة في هذه
الأمر من حسن الصلوة والشرية إذا مخالفة موحشة ولكل قوم رسم ولا بد من مخالقة الناس بأخلاقهم (١)
كما ورد في الخبر لاسباً إذا كانت أخلاقاً فيها حسن الشرية والمخالقة وتطبيب القلب بالمساعدة وقول
القائل إن ذلك بدعة لم يكن في الصلوة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولاً عن الصحابة رضي الله عنهم
وإنما المخذور ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة ولم ينقل الشيء عن شيء من هذا والقيام عند الدخول
للدخول لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة رضي الله عنهم لا يقومون لرسول الله ﷺ في بعض
الأحوال (٢) كما رواه أنس رضي الله عنه ولكن إذا لم يثبت فيه شيء عام فلا يزم به بأما في البلاد التي جرت
العادة فيها باكرام الداخل بالقيام فإن المقصود منه الاحترام والاكرام وتطبيب القلب به وكذلك سائر
أنواع المساعدات إذا قصد بها تطبيب القلب واصطلاح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها بل الأحسن
المساعدة إلا فيما ورد فيه شيء لا يقبل التأويل ومن الأدب أن لا يقوم للرخص مع القوم إن كان يستقل
رقصه ولا يشوش عليهم أحوالهم إذا رقص من غير إظهار التواجد مباح والتواجد هو الذي يلوح للجمع
منه أثر التكلف ومن يقوم عن صدق لاستتة الطباع قلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب
محكم للصدق والتكلف . مثل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال محته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا

(١) حديث مخالقة الناس بأخلاقهم الحاكم من حديث أبي ذر خاتوا الناس بأخلاقهم الحديث قال
صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث كانوا لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
الأحوال كما رواه أنس تقدم في آداب الصلوة .

النفس وحديثها
ما ظهرت العلوم الالهية
لأن حديث النفس
وطاء وجودي قبول
الأنوار وما للقلب في
ذاته قبول العلم شيء
وقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم «ظهرت
ينابيع الحكمة من
قلبي على لسانه» أشار
إلى القلب باعتبار أن
القلب وجهها إلى النفس
باعتبار توجهه إلى عالم
الشهادة وله وجه إلى
الروح باعتبار توجهه
إلى عالم الغيب فيستمد
القلب العلوم للكونة
في النفس ويخرجها
إلى اللسان الذي هو
رجمانه فظهور العلوم
من القلب لأنها متأسلة
فيه فالقلب والروح
مراتب من قرب الملهم
سبحانه وتعالى فوق
رب الهام فالبدن
بإتقانه إلى الله تعالى
واعترال الناس يقطع
مسافات وجوده
ويستنبط من معدن
نفسه جواهر العلوم

أشكلا غير أعداد . فإن قلت فما بال الطباع تفر عن الرقص ويسبق إلى الأوهام أنه باطل وهو مخالف للدين فلا يراه زوج في الدين إلا وينكره . فاعلم أن الجدل لا يزيد على حد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى الحبشة يزفون في السجود وما أنكره لما كان في وقت لا تقى به وهو العبد ومن شخص لا تقويه وهم الحبشة نعم فقرة الطباع عنه لأنه يرى غالباً بقرونا باللهو واللعب واللهو واللعب مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم وهو مكروه لدوى الناسب لأنه لا يليق بهم وما كره لكونه غير لا تقى بمنصب ذي النصب فلا يجوز أن يوصف بالتحريم لمن سأل فقيراً شيئاً فأعطاه رغباً كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سأل ملكاً فأعطاه رغباً أو رغبين لكان ذلك منكراً عند الناس كافة ومكتوباً في تواريخ الأخبار من جملة مساويه ويعبر به أعقابهم وأشباعه ومع هذا فلا يجوز أن يقال ما فعله حرام لأنه من حيث إنه أعطى خبزاً للفقير حسن ومن حيث إنه بالضافة إلى منصبه كالنعم بالضافة إلى الفقير مستحب فكذلك الرقص وما يجري مجراه من اللباحات ومباحات العوام سيئات الأبرار وحسنات الأبرار سيئات القرين ولكن هذا من حيث الالتفات إلى الناسب وأما إذا نظر إليه في نفسه وجب الحكم بأنه هو في نفسه لا تحريم فيه والله أعلم فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السباع قد يكون حراماً محضاً وقد يكون مباحاً وقد يكون مكروهاً وقد يكون مستحباً أما الحرام فهو لاكثر الناس من الثياب ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السباع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات الذمومة وأما للكره فهو لمن ينزله على صورة الخلوين ولكنه يتخذ عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو وأما للباح فهو لمن لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن وأما للمستحب فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السباع منه إلا الصفات المحمودة والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله .

(كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

وهو الكتاب التاسع من ربيع العادات الثاني من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب إلا بحمده . ولا تستفتح النعم إلا ببساطة كرمه ورفقه . والصلاة على سيد الأنبياء محمد رسوله وعبد . وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده . [أما بعد] فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين . وهو المأمور الذي أتم الله له النبيين أجمعين . ولوطوى بساطه وأهمل عمله وعمله تعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجاهلوة واستسرى الفساد واتسع الحرق وخربت البلاد . وهلك العباد . ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم الناد . وقد كان الذي خفنا أن يكون . فإنا لله وإنا إليه راجعون . إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه . وانعق بالكلية حقيقته ورحمه . فاستولت على القلوب مدهانة الخلق وانعجت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهو استرسال البهائم . وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم . فمن سعى في تلاقي هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكهلاً بعملها أو متعللاً لتفنيها مجدداً لهذه السلة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتشعراً في إحياها كان مستأثراً من بين الخلق باحياً سنة أفضى الزمان إلى إيمانها . ومستبدداً بقربة تضائل درجات القرب دون ذروتها . وهاتين تشرح عمله في أربعة أبواب . الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقضايته . الباب الثاني : في أركانه وشروطه . الباب الثالث : في مجاريه وبيان

وقد ورد في الخبر « الناس معادن كعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » في كل يوم بإخلاصه في العمل لله يكشف طبقة من الطباق الترابية الجلية للبعثة عن الله تعالى إلى أن يكشف باستكمال الأربعين أربعين طبقة في كل يوم طبقة من أطباق حجابيه وآية صحة هذا البعد علامة تأثره بالأربعين ووفاته بشروط الاخلاص أن يزهد بعد الأربعين في الدنيا ويتجافى عن دار القرور وينيب إلى دار الخلود لأن الزهد في الدنيا من ضرورة ظهور الحكمة ومن لم يزهد في الدنيا ما ظفر بالحكمة ومن لم يظفر بالحكمة بعد الأربعين تبين أنه قد أحل بالتسوط ولم يخلص لله تعالى ومن لم يخلص لله ما عبد

المنكرات المألوفة في العادات . الباب الرابع : في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر .
(الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
وفضيلته والذمة في إحاله وإضاخته)

ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه الآيات والأخبار والآثار . أما الآيات :
ف قوله تعالى - ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم
الفلحون - ففي الآية بيان الإيجاب فإن قوله تعالى ولكن أمر وظاهر الأمر الإيجاب وفيه بيان أن
الفلاح منوط به إذ حصر وقال وأولئك هم الفلحون وفيه بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا
قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين إذ لم يقل كونوا كلهم أمراء بالمعروف بل قال ولكن منكم
أمة فإذا مها قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به الباشرين
وإن تعاقد عنه الخلق أجمعون هم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى - ليسوا سواء من أهل
الكتاب أمة قائمة يكون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين - فلم يهبط الصلاح بمجرد
الايان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال تعالى - وللمؤمنون
والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة - قد نعت
للمؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
خارج عن هؤلاء المؤمنين المؤمنين في هذه الآية ، وقال تعالى - لمن الذين كفروا من بني إسرائيل على
لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتقاعون عن منكر فعلوه
لبئس ما كانوا يفعلون - وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال عن
وجل - كنتم خيراً أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر - وهذا يدل على فضيلة الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس وقال تعالى - فلما نسا
ما ذكرنا بآبائنا الذين ينهون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفعلون - فبين
أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن سوء ويدل ذلك على الوجوب أيضاً . وقال تعالى - الذين إن مكناهم
في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - قرن ذلك بالصلاة
والزكاة في نعت الصالحين والمؤمنين وقال تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم
والعدوان - وهو أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب
الامكان وقال تعالى - لولا بنوهم الرابيون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السمحت لبئس ما كانوا
يصنعون - فبين أنهم آمنوا بترك النهي وقال تعالى - فلولا كان من القرون من قبلك أولوا بقية ينهون
عن الفساد في الأرض - الآية فبين أنه أهلك جميعهم إلتقيلاً منهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى
- يا أيها الذين آمنوا كونوا أمنين بالقسط عهداء لله ولوطى أنفسكم وألوالدين والأقربين - وذلك هو
الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين وقال تعالى - لا خيرة لكثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف
أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك اجزاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً - وقال تعالى
- وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما - الآية والإصلاح نهى عن البغى وإعادة إلى الطاعة
فان لم يفعل قد أمر الله تعالى بقتاله فقال - فقاتلوا التي تبغى حق نفي - إلى أمر الله بذلك هو النهي عن
المنكر . وأما الأخبار : فلها ما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها :

(الباب الأول في وجوب الأمر بالمعروف)

الله لأن الله تعالى
أمرنا بالاخلاص كما
أمرنا بالعمل فقال
تعالى - وما أمروا إلا
ليبدوا الله خالصين له
الدين - أخبرنا الشيخ
طاهر بن أبي الفضل
إجازة قال أنا أبو بكر
أحمد بن خلف إجازة
قال أنا أبو عبد الرحمن
السلي قال أنا
أبو منصور الضبي قال
نا محمد بن أشرس
قال شاخص بن
عبد الله قال أنا إبراهيم
ابن طهمان عن عاصم
عن زر عن صفوان
ابن عسال رضي الله
عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال « إذا
كان يوم القيامة يحمى
الإخلاص والشرك
يحمى بين يدي الرب
عن وجل ، فيقول
الرب للإخلاص انطلق
أنت وأهلك إلى الجنة
ويقول للشرك انطلق
أنت وأهلك إلى النار »
وهذا الاستناد قال
السلي صحت على بن

أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم (١) لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم - وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن قوم عملوا بالمعصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يؤشك أن يمعهم الله بعذاب من عنده » وروى عن أبي ثعلبة الخشني « أن سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى - لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم (٢) - قال يا أيها ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن بنفسك ودع عنك العوام إن من وراءكم فتنا كقطع الليل المظلم للمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه أحرّس منكم قبل بل منكم يا رسول الله قال لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا تجدون عليه أعوانا » وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال إن هذا ليس زمانها إنها اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن تأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فينخذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم (٣) » معناه تقسط مهايتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم - وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس إن الله يقول لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجى ، وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجى (٥) » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « إن الله تعالى ليسأل العبد مامنتك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله العبد حجة قال رب وقت بك وقررت من الناس (٦) » وقال ﷺ « إياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بذلك إنما هي مجالسنا تحدث فيها قال فإذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كلام ابن آدم كله عليه لاله إلا أمرا بمعروف أو نهيًا عن منكر أودر الله تعالى (٨) »

(١) حديث أبي بكر أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم - الحديث أصحاب السنن وتقدم في العزلة (٢) حديث أبي ثعلبة أن سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى - لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم - الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه (٣) حديث لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم البزار من حديث عمر بن الخطاب والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف والترمذي من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال أو ليوشكن الله يمت عليكم عقابا منه ثم تدعوه فلا يستجيب لكم قال هذا حديث حسن (٤) حديث يا أيها الناس إن الله سبحانه يقول لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم أحمد والبيهقي من حديث عائشة لفظ مروا وانها وهو عند ابن ماجه دون عزوه إلى كلام الله تعالى وفي إسناده لين (٥) حديث ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجى - ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس مقتصرًا على الشطر الأول من حديث جابر بسند ضعيف وأما الشطر الأخير فرواه على ابن معبد في كتاب الطاعة والعصية من رواية يحيى بن عطاء مرسلًا أو معضلًا ولا أدرى من يحيى ابن عطاء (٦) حديث إن الله تعالى ليسأل العبد ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره الحديث ابن ماجه وقد تقدم (٧) حديث إياكم والجلوس على الطرقات الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد (٨) حديث كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا أمرا بمعروف الحديث تقدم في العلم .

سعيد وسأله عن الاخلاص ماهو قال سمعت إبراهيم الشقيق وسأله عن الاخلاص ماهو قال سمعت محمد ابن جعفر الحفاف وسأله عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد ابن بشار عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشروطى عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن على المجيمى عن الاخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ماهو قال سألت الحسن عن الاخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سألت النضر بن علقمة عن الاخلاص ماهو قال سألت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ماهو قال سألت رب العزة عن الاخلاص

وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يذب الحامة بذنوب العامة حتى يرى التنكر بين أظهرهم وم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونها » (١) وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كيف أنتم إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم قالوا وإن ذلك لكانن يارسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منسيكون قالوا وما أشد منه يارسول الله قال كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر قالوا وكانن ذلك يارسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه يارسول الله قال نعم وإذا رأيتم للمعروف منكرا والمنكر معروفا قالوا وكانن ذلك يارسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه يارسول الله قال نعم وإذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكانن ذلك يارسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون يقول الله تعالى في حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران » (٢) وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لا تنفق عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه ولا تنفق عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه » (٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي لامرئ أن يشهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له » (٤) وهذا الحديث يدل على أنه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ولا حضور للمواضع التي يشاهد التنكر فيها ولا يقدر على تغييره فإنه قال اللعنة تنزل على من حضر ولا يجوز له مشاهدة التنكر من غير حاجة اعتذارا بأنه عاجز ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم للتنكرات في الأسواق والأعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم المهجر للخلق ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله صلح السواح وخلوا دورهم وأولادهم إلا بمنزل منازل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والحير قد اندرس ورأوا أنه لا يقبل عن تكلم ورأوا الفتن ولم يأمنوا أن تعتربهم وأن ينزل العذاب بأولئك القوم فلا يسلمون منه فرأوا أن مجاورة السباع وأكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نصيحهم ثم قرأ - فقرأوا إلى الله إلى لكم منه نذير مبين - قال فقروا قولوا لا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوة من السر قلنا ما هم بأفضل من هؤلاء فبنا لنا أن اللائكة عليهم السلام تلقاهم وتصفاهم والسحاب والسباع تمر بأحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها أين أمرت فتخبره وليس بني . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حضر مصيبة فكرهاها فكأنه غاب عنها »

(١) - حديث إن الله لا يذب الحامة بذنوب العامة حتى يروا للتنكر الحديث أحمد من حديث عدى ابن عميرة وفيه من لم يسلم والطبراني من حديث أخيه العرس بن عميرة وفيه من لم أعرفه (٢) - حديث أني أمامة كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم قالوا وإن ذلك لكانن يارسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه يارسول الله قال نعم وإذا رأيتم للمعروف منكرا والمنكر معروفا قالوا وكانن ذلك يارسول الله قال نعم وإذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكانن ذلك يارسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون يقول الله تعالى في حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران » (٣) - حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لا تنفق عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه ولا تنفق عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه » (٤) - حديث لا ينبغي لامرئ أن يشهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له البيهقي في الشعب الإيمان بسند حسن (٥) - حديث لا ينبغي لامرئ أن يشهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له البيهقي في الشعب الإيمان بسند حسن (٦) - حديث ابن عباس بسند الحديث الذي قبله وروى الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد لا يجتمعن رجلا هيئة الناس أن يقول الحق إذا علمه .

ما هو ؟ قال هو سر من سرى أو دعت قلب من أحببت من عبادي فمن الناس من يدخل الخلوة على مراغمة النفس إذ النفس بطبعها كارهة للخلوة ميلة إلى مخالطة الخلق فإذا أزعجها عن مقام عاداتها وحبسها على طاعة الله تعالى يبق كل مرارة تدخل عليها خلوة في القلب . قال ذوالنون رحمه الله : لم أر شيئا أهدى على الإخلاص من الخلوة ، ومن أحب الخلوة ، فقد استمسك بممود . الإخلاص وظفر بركن من أركان الصدق . وقال الشبلي رحمه الله لرجل استوصاه الزم الوحدة وامسك عن القوم واستقبل الجدار حتى تموت . وقال عبيد الله بن معاذ رحمه الله الوحدة منية الصديقين ومن الناس من يبعث من باطنه داعية الخلوة

ومن غاب عنها فأحبها فكانه حضرها (١) » ومعنى الحديث أن يحضر لحاجة أو يفتق جريان ذلك بين يديه فأما المحصور فقد امتنع بدليل الحديث الأول . وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى » فيمكث النبي بين أظهرهم ما شاء الله تعالى يصل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قضى الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنة نبيه فإذا اقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون ردوس للناير يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فإذا رأيت ذلك فعق على كل مؤمن جهادهم يده فإن لم يستطع فيلسانه فإن لم يستطع فبقلمه وليس وراء ذلك إسلام (٢) » وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان أهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم أربعة هريشرون ما يعملون فقام أحدهم فقال إنكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاتهم ويخبرهم بقبائح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يردون عن أعمالهم فذهب فسيوه وقتلهم فطلبوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وشبهتهم فسيوه وقتلتهم فطلبوني ثم ذهب ثم قام الآخر قتلهم فلم يطيعوه فذهب فسيوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو قاتلتهم لطلبوني ولو قاتلتهم فسيوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لطلبوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم إني لو نهيتهم لصوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لطلبوني ثم ذهب قال ابن مسعود رضي الله عنه كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما « قيل يا رسول الله أتهلك القرية فيها الصالحون ؟ قال : نعم قيل يا رسول الله قال بهاوتهم وسكونهم على معاصي الله تعالى (٣) » وقال جابر ابن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا لم يصك طرفه عين قال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتحرف ساعة قط (٤) » وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يرضون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر (٥) » وعن عروة عن أبيه قال : قال موسى صلى الله عليه وسلم : يارب أي عبادك أحب إليك قال الذي يتسرع إلى هواي كما يتسرع النسر إلى هواه والذي يكف ببادئ الصالحين كما يكف الصبي بالدهي والذي يفض بإذا أنيت محارمي كما يفض النمر لنفسه فان النمر إذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس أم كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدتها الخوف وقال أبوذر التفاري

(١) حديث أبي هريرة من حضر معصية فكرها فكانه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكانه حضرها رواه ابن عدى وفيه يحيى بن أبي سليمان قال البخاري منكر الحديث (٢) حديث ابن مسعود ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى الحديث روى مسلم نحوه (٣) حديث ابن عباس قيل يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل يا رسول الله قال بهاوتهم وسكونهم عن معاصي الله الزار والطبراني بسند ضعيف (٤) حديث جابر أوحى الله إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا الحديث الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب وحنيفة وقال المحفوظ من قول مالك بن دينار (٥) حديث عائشة عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء لم أقف عليه مرفوعا وروى ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمر الصنعاني أوحى الله إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم قال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يرضوا لنصي فكانوا يؤاكلونهم ويشربونهم

وتتجذب النفس إلى ذلك وهذا أتم وأكمل وأدلى على كمال الاعتماد . وقد روى من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك فبا حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب املاء قال أخبرنا الحافظ أبو القاسم اسمعيل ابن أحمد للقرى قال أنا جعفر بن الحسكاه للكي قال أنا أبو عبد الله الصنعاني قال أنا أبو البغوي قال أنا اسحق الديري قال أنا عبد الرزاق عن معمر قال أخبرني الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت « أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حب إليه الخلاء فكان

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه « يا رسول الله هل من جهاد غير قتال للشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا بكر إنما تعالى مجاهدين في الأرض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يعيشون على الأرض يبايئ الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما زينت أمثلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ومن هم ؟ قال الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والبغضون في الله ثم قال والذي نفسي بيده إن العبد منهم ليكون في العرفة فوق العرفات فوق غرف الشهداء للعرفة منها ثلثمائة ألف باب من الباقوت والرمز الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم ليزوج بثلاثة ألف حوراء قاصرات الطرف مع كل ألف إلى واحدة منهن فنظر إليها تقول له أتذكر يوم كذا وكذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كما نظرتي واحدة منهن ذكرت له مقاماً أمر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر (١) » وقال أبو حنيفة بن الجراح رضي الله عنه قلت « يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله عز وجل قال رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش (٢) » وقال الحسن البصري رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل شهداء أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر (٣) » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بشي القوم قوم لا يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر (٤) » . أما الآثار : فقد قال أبو البرداء رضي الله عنه : تأمرن بالمعروف ونهين عن المنكر أولي سلطان الله عليكم سلطاناً ظالماً لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتنتصرون فلا تصرون وتستخفون فلا ينفر لكم . ومثل حذيفة رضي الله عنه عن ميت الأحياء قال الذي لا ينكر للمنكر يده ولا يلسانه ولا قلبه . وقال مالك بن دينار كان خبر من أخبار بني إسرائيل يقتل الرجال والنساء منزلة يظلمهم ويدكرهم أيام الله عز وجل فرأى بعض بنيهم يوماً وقد غمز بعض النساء فقال مهلاً يا بني مهلاً وسقط من سريره فاقطع نخاعه وأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه أن أخبر فلانا الخبر آني لأخرج من صلبك صديقاً أبداً أما كان من غضبك لي إلا أن قتلت مهلاً يا بني مهلاً وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم حيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم

(١) حديث أبي ذر قال أبو بكر يا رسول الله هل من جهاد غير قتال للشركين قال نعم يا أبا بكر إنما تعالى مجاهدين في الأرض أفضل من الشهداء فذكر الحديث وفيه فقال هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر الحديث بطوله لم أقفله على أصل وهو منكر (٢) حديث أبي عبيدة قلت يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله قال رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله الحديث البزار مقتصر على هذا دون قوله فان لم يقتله إلى آخره وهذه الزيادة منكورة وفيه أبو الحسن غير مشهور لا يعرف (٣) حديث الحسن البصري مرسل أفضل شهداء أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر لم أره من حديث الحسن ولحاحكم في الاستدراك وصح إسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله (٤) حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا رسول الله أي القوم قوم لا يأمرن بالمعروف ولا ينهون عن المنكر رواه أبو الشيخ ابن حبان من حديث جابر بسند ضعيف وأما حديث عمر فأغار إليه أبو منصور الديلمي بقوله وفي الباب ورواه على ابن معبد في كتاب الطاعة والعبادة من حديث الحسن مرسل .

يأتي حراء فينحت
فيه الليالي ذوات العدد
ويتزود فذلك ثم يرجع
إلى خديجة فيزود
لثلاثها حتى جاءه الحق
وهو في غار حراء فجاءه
الملك فيه فقال اقرأ
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما أنا
بقارى فأخذني فغطني
حتى بلغ من الجهد ثم
أرسلني فقال اقرأ قلت
ما أنا بقارى فأخذني
فغطني الثانية حتى بلغ
من الجهد ثم أرسلني
فقال اقرأ قلت ما أنا
بقارى فأخذني فغطني
الثالثة حتى بلغ من
الجهد ثم أرسلني فقال
اقرأ باسم ربك الذي
خلق خلق الإنسان
من علق حتى بلغ ما لم
يسلم فرجع بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ترجع بوادعه حتى
دخل على خديجة فقال
زملوني زملوني فزملوه
حتى ذهب عنه الروع
فقال لخديجة مالي
وأخبرها الخبر فقال

وبنهام وأوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام أن يهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأختيار قال إنهم لم يفضبوا لفضي وواكلهم وشاربوهم وقال بلال بن رباح: إن المصيبة إذا أخفيت لم تنصر إلا صاحبها فإذا أعلنت ولم تنصر أضرت بالامة ، وقال كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني كيف منزلتك من قومك ؟ قال حسنة . ذل كعب إن التوراة لتقول غير ذلك . قال وما تقول ؟ قال تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التوراة وكذب أبو مسلم ، وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يأتي العمال ثم قعد عنهم فقبل له لو أتيتهم فلعلمهم يجدون في أنفسهم فقال أرباب إن تسكمت أن يروا أن الذي بي غير الذي بي وإن سكنت رعبت أن آثم وهذا يدل على أن من هجى عن الأمر بالمعروف فعليه أن يعد عن ذلك للوضع ويستتر عنه حتى لا يعرجي بعشه منه ، وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بالسنة ثم الجهاد بقلوبكم فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس لجعل أعلاه أسفله . وقال سهل بن عبد الله رحمه الله أيما عبد عمل في شيء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتنكرها وتشوش الزمان فهو ممن قد قام لله في زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، معناه أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام بها وأتكر أحوال الغير بقلبه قد جاء عنهاو الغاية في حقته ، وقيل للفضيل الأنأمر ونهى ؟ فقال انوما أمروا ونهوا فكفروا وذلك أنهم لم يصبروا على ما أصبوا ، وقيل للثوري الأنأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فقال إذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكره فقد ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وأن فرضه لا يسقط مع القدرة لإلقيام قائمه فلذلك ذكر الآن شروطه وشروط وجوبه .

(الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

اعلم أن الأركان في المحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروط .

(الركن الأول المحتسب)

وله شروط وهو أن يكون مكلفاً مسلماً قادراً فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والعاجز ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين ويدخل فيه الفاسق والريق والمرأة ، فلذلك كروجه اشتراط ما اشتراطناه ووجه اطراح ما اطرحناه . أما الشرط الأول : وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فإن غير المكلف لا يلزمه أمر وما ذكرناه أردنا به شرط الوجوب فأما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعي إلا العقل حتى إن الصبي الزاهق للبلوغ المعين وإن لم يكن مكلفاً فله إنكار المنكر وله أن يريق الحجر ويكسر اللأهي وإذا فعل ذلك ناله به ثواباً ولم يكن لأحد منعه من حيث إنه ليس بمكلف فإن هذه قرينة وهو من أهلها كاصلاة والامامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك أئتمناه للبعد وآحاد الرعية نعم في النكاح والفعل وإبطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الإيمان كقتل الشرك وإبطال أسبابه وسلب أسلحته فإن للصبي أن يفعل ذلك حيث لا يضربه فالنكاح من الفسق كالمنع من السكر . وأما الشرط الثاني : وهو الإيمان فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا نصرته للدين فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدوه له . وأما الشرط الثالث : وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق أن يحتسب ، وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله مثل قوله تعالى - أنأمروا الناس بالبر وهمون أنفسكم -

(الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

قد خشيت على عفتي
فقلت لا أشيروا لله
ما يخزيك الله أبداً
إنك لتصل الرحم
وتصدق الحديث
وتحمل الكل وتكسب
المعصوم وتقرى الضيف
وتعين على نواب الحق
ثم انطلقت به خديجة
رضي الله عنها حتى أتت
به ورقة بن نوفل
وكان امرأاً تنصر في
الجاهلية وكان يكتب
الكتاب العبراني
فيكتب من الإنجيل
بالعبرانية ما شاء الله أن
يكتب وكان شيخاً
كبيراً قد غمى فقالت
له خديجة يا عم اجمع
من ابن أخيك فقال
ورقة يا ابن أخي ماذا
ترى فأخبره الخبر
رشول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم
هذا هو الناموس
الذي أنزل على موسى
يأليتي فيها جذعا ليأتي
أكون حياً إذ يخرجك
قومك فقال رسول الله

وقوله تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون - وعاروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مررت ليلة أسرى بي يقوم تعرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من أنتم قالوا كنا نأمر بالخير ولا نأثم ونهى عن الشر » وثانيه (١) « وما روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى صلى الله عليه وسلم عظم نفسك فإن اتعظت فقط الناس وإلا فاستحي مني ، وربما استدلو من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاهتمام وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والإصلاح زكاة عن نهب الصلاح فمن ليس صالح في نفسه فكيف يصلح غيره ومضى يستقيم الظل والعود أعوج وكل ما ذكره خيالات وإنما الحق أن الفاسق أن محتسب وبرهانه هو أن قول هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها فإن شرط ذلك فهو خرق للإجماع ثم حسم لباب الاحتساب إذ لا عصمة للصحابة فضلا عن دونهم والأنبياء عليهم السلام قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن العزيز دال على نسبة آدم عليه السلام إلى العصية وكذا جماعة من الأنبياء ، ولهذا قال سعيد بن جبير : إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء فلا يجب ماله كالذي من سعيد ابن جبير وإن زعموا أن ذلك لا يشترط عن الصفات حتى يجوز للابن الحرير أن يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول : وهل لشارب الخمر أن يضر والكفار ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر فإن قالوا لا ، خرقوا الإجماع إذ جنود المسلمين لا تزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الأيتام ولم ينعموا من الغزو لافي عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبعد ما قالوا نعم فنقول : شارب الخمر هل له للنع من القتل أم لا فإن قالوا لا قلنا الفرق بينو بين لا لبس الحرير إذ جازله للنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة إلى الشر كالترب بالنسبة إلى لبس الحرير فلا فرق ، وإن قالوا نعم وفصلوا الأمر فيه بأن كل مقدم على شيء فلا يمنع عن مثله ولا عما دونه وإنما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يعدن بمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يعد أن يمنع الزاني من الشر بلبس من أين يعد أن يشرب ويمنع غلامه وخدمه من الشر بيقول يجب على الانتهاء والتهى فمن أين يلزم من الصيان بأحدهما أن أعصى الله تعالى بالثاني وإذا كان الهى واجبا على فمن أين يسقط وجوبه باقداى إذ يستحيل أن يقال يجب الهى عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب فإذا شرب سقط عنه الهى . فان قيل فيلزم على هذا أن يقول القائل الواجب على الوضوء والصلاة فأنما أتوضأ وإن لم أصل وأنسحر وإن لم أصم لأن المستحب على السحور والصوم جميعا ولكن يقال أحدهما مرتب على الآخر فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويمه نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يعول . والجواب أن التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير وإصلاح الغير لا يراد لإصلاح النفس ولا إصلاح النفس لإصلاح الغير فالقول بترتب أحدهما على الآخر تحكم ، وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم أن من توضأ ولم يصل كان مؤثما أمر الوضوء وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الصلاة والوضوء جميعا فليكن من ترك الهى والانتهاء أكثر عقابا ممن نهى ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكمه دون الصلاة . وأما الحسية فليست شرطا في الانتهاء والانتهاز فلا مشابهة بينهما . فان قيل فيلزم على هذا أن يقال إذا زنى الرجل بامرأة وهى مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فأخذ الرجل محتسب في أثناء الزنا ويقول أنت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم وهما أنا غير محرم لك فاسترى وجهك فهذا احتساب شنيع يستكره قلب كل عاقل ويستشمنه كل طبع سليم . فالجواب أن الحق قد يكون شنيعا وأن الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والتبع

(١) حديث مررت ليلة أسرى بي يقوم تعرض شفاههم بمقاريض من نار الحديث تقدم في العلم .

صلى الله عليه وسلم
أو خرجني ثم قال ورقة
نعم إنه لم يأت أحد قط
بما جئت به إلا عودى
وأودى وإن يدركنى
يومك أنضرك نصرا
مؤزرا وحدث جابر
ابن عبد الله رضى الله
عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وهو يحدث عن قرة
الوحي قال فى حديثه
« فيينا أنا أمشى سمعت
صوتا من السماء فرضت
رأى فإذا الملك الذى
جاءنى بمراء جالس
على كرسى بين السماء
والأرض فجئت منه
ربعا فوجئت قلت
زملونى زملونى
فدرونى فأنزل الله
تعالى - بأبها الدثرم
فأنذر - إلى والرجز
فاهجر - » وقد نقل أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذهب مرارا
كى بردى نفسه من
شواهاق الجبال فكلمها
وافى ذروة جبل لى
يلقى نفسه منه تبنى له

الدليل دون قرة الأوهام والخيالات فاناقول قوله لها في تلك الحالة لا تكتفي وجهك واجب أو مباح أو حرام فان قلتم إنه واجب فهو الفرض لأن الكشف معصية والتهنى عن المعصية حق وإن قلتم إنه مباح فإذن له أن يقول ما هو مباح فامضى قولكم ليس فافسق الحسبة وإن قلتم إنه حرام فقول كان هذا واجبا فمن أين حرم باقداه على الزنا ومن التريب أن يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر وأما قرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسببين : أحدهما أنه ترك الأثم واعتقل بما هو مهم وكأن الطباع تنفر عن ترك اللهم إلى ما لا يفي فتفر عن ترك الأثم والاعتقال بالمهم كما تنفر عن من يتحرج عن تناول طعام منسوب وهو مواظب على الريا وكما تنفر عن من يتصاون عن التوبة ويشهد بالزور لأن الشهادة بالزور أخف وأشد من التوبة التي هي إخبار عن كائن يصدق فيه الخبر وهذا الاستبعاد في النفوس لا يدل على أن ترك التوبة ليس بواجب وأنه لو اغتاب أو أكل لعمت من حرام لم يزد بذلك عقوبته فكذلك ضرره في الآخرة من معصيته أكثر من ضرره من معصية غيره فاشتغله عن الأقل بالأكثر مستنكر في الطبع من حيث إنه ترك الأكثر لامن حيث إنعاق بالأقل فمن غضب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك القرس فترت عنه الطباع ويرى مسيئا إذ قد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكرو ولكن للنكر تركه لطلب القرس بطلب اللجام فاشتد الانكار عليه لتركه الأثم بما دونه فكذلك حبة الفاسق تمتد من هذا الوجه وهذا لا يدل على أن حسبته من حيث إنها حسبة مستنكرة . الثاني أن الحسبة تارة تكون بالتهنى بالعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يمتظ أولا ونحن نقول من علم أن قوله لا يقبل في الحسبة لم الناس فبسته فليس عليه الحسبة بالعظ إذ لا فائدة في وعظه فالفاسق يؤثر في إسقاط فائدة كلامه ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فأما إذا كانت الحسبة بالنهي فالمراد منها القهر وتعام القهر أن يكون بالفعل والجهة جميعا وإذا كان فاسقا فإن قهر بالفعل قد قهر بالحجة إذ يتوجه عليه أن يقال له فأنت لم تقدم عليه فتفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما أن من يذب الظالم عن أحد المملين وجهل أباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن السلم عن كونه حقا فخرج من هذا أن الفاسق ليس عليه الحسبة بالعظ على من يعرف فسقه لأنه لا يمتظ وإذا لم يكن عليه ذلك وعلم أنه يفضي إلى تطويل اللسان في عرصة بالانكار فقول ليس له ذلك أيضا فرجع الكلام إلى أن أحد نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفاسق وصارت العدالة مشروطة فيه وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق في إراقة الحنور وكسر اللامى وغيرها إذا قدر وهذا غاية الانصاف والكشف في الشبهة وأما الآيات التي استدلوا بها فهو انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لامن حيث أمرهم ولكن أمرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم أهمل لأنه لا قدر له مع قوة علمه وقوله تعالى - لم تقولون مالا تفعلون - الرد به الوعد الكاذب وقوله عز وجل - وتنبؤن أنكم - إنكار من حيث إنهم نسوا أنفسهم لامن حيث إنهم أدر وأغترم ولكن ذكر أمر الغير استدلالا به على علمهم وتأكيدها للحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عطف نفسك الحديث هو في الحسبة بالعظ وقد سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحي من لا يدل على تحريم وعظ الصغير بل مضاه استحي من فلا ترك الأثم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ أباك ثم جارك ولا فاستحي . فان قيل فليجز لك الكفر الذي أن يحسب على السلم إذا رآه بزي لأن قوله لا تزن حق في نفسه فمحال أن يكون حراما عليه بل ينبغي أن يكون مباحا

جبرائيل عليه السلام فقال يا محمد إنك رسول الله حقا فيمكن لذلك جأعوا إذا طالت عليه قرة الوحي عاد مثل ذلك فيتبدى له جبريل فيقول له مثل ذلك فهذه الأخبار النبتة عن بدء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الأصل في إشار الشايع الخلو للزمدين والطالبيين فانهم إذا أخلصوا الله تعالى في خلواتهم يفتح الله عليهم ما يؤنسهم في خلوتهم ثم يرضاه من الله أيام عما تركوا لأجله ثم خلوة القوم مستمرة وإنما الأربصون واستكلمها له أثر ظاهر في ظهور مبادئ بشائر الحق سبحانه وتعالى وسنوح مواهبه السنية .

[الباب السابع]
والتشرون في ذكر فتوح الأربعينية [وقد غلط في طريق الخلوة والأربعينية

أو واجبا . قلنا الكافر إن منع السلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث إنه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سيلا . وأما مجرد قوله لاتزن فليس بمحرم عليه من حيث إنه نهى عن الزنا ولكن من حيث إنه إظهار دالة الاحتكام على السلم وفيه إذلال للمحتكم عليه والفاقد يستحق الإذلال ولكن لامن الكافر الذي هو أولى بالدلالة منه فهذا وجه مناضاياه من الحسبة وإلا فلنا قول إن الكافر يعاقب بسبب قوله لاتزن من حيث إنه نهى بل نقول إنه إذا لم يقل لاتزن يعاقب عليه إن رأينا خطاب الكافر بفروع الدين وفيه نظر استوفينا في الفقهيات ولا يليق بفرضنا الآن . الشرط الرابع : كونه مأذونا من جهة الإمام والوالى قد شرط قوم هذا الشرط ولم يشترطوا لأحد من الرعية الحسبة وهذا الاعتراض فاسد فان الآيات والأخبار التي أوردناها تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى إذ يجب نهيه أبنا رآه وكيفما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لأصله والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الأمر بالمعروف مالم يخرج الإمام للصوم وهو الإمام الحق عندهم وهؤلاء أضنى رتبة من أن يكلموا بل جواهرهم أن يقال لهم إذا جاءوا إلى القضاء طالبين لحقوقهم في مائهم وأموالهم إن نصرتكم أمر بالمعروف واستخرج حقوقكم من أيدي من ظلمكم نهى عن النكر وطلبكم لحقكم من جهة المعروف وما هذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لأن الإمام الحق بعد لم يخرج . فان قيل في الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على السلم مع كونه حقا فينبى أن لا يثبت لأحد الرعية إلا تفويض من الولي وصاحب الأمر . فقول أما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على السلم وأما أحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والعرفه وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يجوز إلى تفويض كمن التلميع والتعريف إذ لا خلاف في أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل ومقدم على النكر بجهله لا يحتاج إلى إذن والى وفيه عز الإرشاد وعلى العرف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك النهى . وشرح القول في هذا أن الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتى أولها التعريف . والثاني الوعظ بالكلام اللطيف . والثالث السب والتعنيف ولست أعنى بالسب الفحش بل أن يقول بجاهل يأحق ألا تخاف الله وما يجري هذا المجرى . والرابع النع بالقهر بطريق المباشرة ككسر اللأهى وإراقة الحمر واختطاف الثوب الحرير من لابه واستلاب الثوب النصب منه ورده على صاحبه . والخامس التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضرب له حتى يمنع عما هو عليه كالواظب على النبية والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يعمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يجوز إلى استماعة وجمع أعوان من الجانبين ويجز ذلك إلى قتال وسائر الراتب لا يخفى وجه استماعتها عن إذن الإمام إلا للرتبة الخامسة فان فيها نظرا سياقى أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج إلى إذن الإمام . وأما التجهيل والتعقيق والنسبة إلى الفسق وقلة الخوف من الله وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر^(١) كما ورد في الحديث فإذا جاز الحكم على الإمام على مراعاته فكيف يحتاج إلى إذنه وكذلك كسر اللأهى وإراقة الحمر فإنه تعالى ما يعرف كونه حقا من غير اجتهد فلم يفتقر إلى الإمام وأما جمع الأعوان وشهر الأسلحة فذلك قد يجز إلى فتنة عامة فقيه نظر سياقى واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاية

(١) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدرى .

قوم وحرفوا الكلم عن مواضعه ودخل عليهم الشيطان وفتح عليهم بابا من الفرور ودخلوا الحلوة على غير أصل مستقيم من تأدية حق الحلوة بالاخلاص وجمعوا أن الشايخ والصوفية كانت لهم خلوات وظهرت لهم وقائع وكوشفو ابن راب وعجائب فدخلوا الحلوة لطلب ذلك وهذا عين الاعتلال وبعض الضلال وإنما القوم اختاروا الحلوة والوحدة لسلامة الدين وتفقد أحوال النفس وإخلاص العمل لله تعالى . قل عن أبي عمرو الأعطى أنه قال " لن يصفوا لعائل فهم الأخير إلا بإحكامه ما يجب عليه من إصلاح الحال الأول والوطن القى يبنى أن يبرف منها أمزداد هو أم منتقص قلبه أن يطلب مواضع الحلوة

لكي لا يعارضه شاغل
فينسدد عليه ما يريد .
أبنا طاهر بن أبي
الفضل إجازة عن أبي
بكر بن خلف إجازة قال
أبنا أبو عبد الرحمن
قال سمعت أبا عبد الرحمن
يقول من اختار الحلو
على الصلبة فينبئ أن
يكون خاليا من جميع
الأفكار إلا ذكر ربه
عز وجل وخاليا من
جميع الرادات إلا مراد
ربه وخاليا من مطالبة
النفس من جميع
الأسباب فإن لم يكن
بهذه الصفة فإن خلوته
توقف في فتنة أو بلية .
أخبرنا أبو زرعة إجازة
قال أنا أبو بكر إجازة
قال أنا أبو عبد الرحمن
قال سمعت منصورا
يقول سمعت محمد بن
حامد يقول جاء رجل
إلى زيارة أبي بكر
الوراق وقال له أوصني
قال وجدت خير الدنيا
والآخرة في الحلو والقلة
ووجدت شرها في
الكثرة والاختلاط

قاطع باجماعهم على الاستفتاء عن التفويض بل كل من أمر بمعروف فإن كان الوالي راضيا به فذاك
وإن كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج إلى إذنه في الانكار عليه
ويدل على ذلك عادة السلف في الانكار على الأئمة كما روى أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة
العيد فقال له رجل إنما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان اترك ذلك يا فلان فقال أبو سعيد أما هذا
قد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فلينتهزه يده
فإن لم يستطع فلينهه فان لم يستطع فليقلبه وذلك أضعف الإيمان » (١) فقد كانوا فهموا من هذه
السمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج إلى إذنه وروى أن الهدي لما قدم مكة لبث بها
ما شاء الله فلما أخذ في الطواف نهى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلبس بردائه ثم
هزه وقال له انظر ما صنع من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد حتى إذا صار عنده حلت
بينه وبينه وقد قال الله تعالى - سواء العاكف فيه والباد - من جعل لك هذا فظفر في وجهه وكان
يسرفه لأنهم موالهم فقال عبد الله بن مرزوق ؟ قال نعم فأخذ ضجى به إلى بغداد ففكره أن يعاقبه
عقوبة يشنع بها عليه في العامة فجعله في إسطنبول الدواب ليسوس الدواب وضمو إليه فرسا عضوا
سوى الخلق ليعقره القرس فلين الله تعالى له القرس قال ثم صبروه إلى بيت وأغلق عليه وأخذ الهدي
الفتح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل فأودن به الهدي فقال له من
أخرجك فقال الذي حبسني فضج الهدي وصاح وقال ما تخاف أن أقتلك فرغ عبد الله إليه رأسه
يضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة أوهوتا فما زال يحبوسا حتى مات الهدي ثم خلوا عنه فرجع
إلى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذرا إن خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة فكان
يعمل في ذلك حتى تمها . وروى عن جابر بن عبد الله قال تزعه هرون الرشيد بالدوين وممرجل
من بني هاشم وهو سليمان بن أبي جعفر فقال له هرون قد كانت لك جارية تفتي فتحن فجثا بها
قال فجاءت ففتنت فلم يعمد غناها فقال لها ما شأنك قالت ليس هذا عودي فقال للخادم جثا
بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيئا يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرغ الشيخ رأسه فرأى
العود فأخذه من الخادم ففرض به الأرض فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الربع فقال احتفظ
بهذا فإنه طلبة أمير المؤمنين فقال له صاحب الربع ليس يبغداد أعيد من هذا فكيف يكون طلبة
أمير المؤمنين فقال له اسمع ما أقول لك ثم دخل على هرون فقال إني مررت على شيخ يلقط النوى
فقات له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فأخذه ففرض به الأرض فكسره فاستشاط هرون وغضب
واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين ابست إلى صاحب الربع
يضرب عنقه ويرم به في الدجلة فقال لا ولكن نبئت إليه وتناظره أولا فجاء الرسول فقال أجب
أمير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقبل هرون قد جاء
الشيخ فقال للندماء أي شيء ترون نرفع ما قدمنا من النكر حتى يدخل هذا الشيخ أو تقوم إلى
مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له قوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أصليع قاموا إلى مجلس
ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ فأدخل وفيه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم أخرج هذا
من كحك وأدخل على أمير المؤمنين فقال من هذا عشائ الليلة قال نحن نمشك قال لا حاجة لي في
عشائكم فقال هرون للخادم أي شيء تريد منه قال في كنهنوى قلت له اطرحه وأدخل على أمير المؤمنين

(١) حديث إن مروان خطب قبل الصلاة في العيد الحديث وفيه حديث أبي سعيد مرفوعا من رأى
منكرا الحديث رواه مسلم .

فقال دعه لا يطرحه قال فدخل وسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال وأي شيء صنعت وجعل هرون يستحي أن يقول كبرت عودي فلما أكثر عليه قال إني صمت أبك وأجدادك يقرءون هذه الآية على المنبر - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وأنا رأيت منكراً فغيرته فقال فغيره فوالله ما قال إلا هذا فلما خرج أعطى الخليفة رجلاً بكرة وقال اتبع الشيخ فإن رأيتني يقول قلت لأمر المؤمنين وقال لي فلا تطعه شيئاً وإن رأيتني لا يكلم أحداً فاعطه البكرة ، فلما خرج من القصر إذا هو بنواة في الأرض قد غاصت فجعل يحالها ولم يكلم أحداً فقال له يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البكرة فقال قل لأمر المؤمنين رد هدامن حيث أخذها . وبروي أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على النواة التي يعالج قلعها من الأرض وهو يقول :

أرى الدنيا لمن هي في يديه هموماً كلما كثرت لديه
تهين الكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغثت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه

وعن سفیان الثوري رحمه الله قال حج المهدي سنة ست وستين ومائة فرأيت يرمى جرة العقبة والناس يخطبون بينا وشمالا بالسياط فوقفت فقلت يا حسن الوجه حدثنا أيمن عن وائل عن قدامة ابن عبد الله الكلبي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى بالحجارة يوم النحر على جبل لا ضرب ولا طرد ولا جله ولا إليك (١) وها أنت يخط الناس بين يديك بينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفیان الثوري فقال يا سفیان لو كان النصور ما احتملك على هذا فقال لو أخبرك النصور بما لقي لقصرت عما أنت فيه قال فقيل له إنه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا أمير المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفیان فاخني . وقدرى عن الماء أن أنه بلغه أن رجلاً محسباً بمشي في الناس بأمرهم بالمعروف ونهيه عن المنكر ولم يكن مأموراً من عنده بذلك فأمر بأن يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له إنه بلغني أنك رأيت نفسك أهلاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن تأمر وكان المأمون جالساً على كرسي ينظر في كتاب أو قصة فأغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به فقال له المحتسب ارفع قدمك عن أسماء الله تعالى ثم قل ما شئت فلم يفهم المأمون مراده فقال ماذا تقول حتى أعاده ثلاثاً فلم يفهم فقال إمارفت أو أذنت لي حتى أرفع فنظر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك إلينا أهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم - الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - فقال صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتحكيم غير أننا أعوانك وأولياؤك فيه ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى - وللمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض بالمعروف - الآية - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الؤمن للؤمن كالبنان يشد بعضه بعضاً» (٢) وقد مكنت في الأرض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فإن أهدت لها شكرت لمن أعانك لحرمتهما وإن استكبرت عنهما ولم تنقذ لما لزمك منهما

(١) حديث قدامة بن عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى بالحجارة يوم النحر على جبل لا ضرب ولا طرد ولا جله ولا إليك إليك الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه وأما قوله في أوله إن الثوري قال حج للمهدي سنة ست وستين فليس بصحيح فإن الثوري توفي سنة إحدى وستين (٢) حديث المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً متفق عليه من حديث أبي موسى وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصلوة .

فمن دخل الخلوّة معتلاً في دخوله دخل عليه الشيطان وسدّ له أنواع الطغيان وامتلا من الفروور والحال فظن أنه على حسن الحال فقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوّة بشير شروطها وأقبلوا على ذكر من الأذكار واستجموا نفوسهم بالعزلة عن الخلوّة ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل الرهايين والبراهمة والفلاسفة والوحدة في جمع الهم لها تأثير في صفاء الباطن مطلقاً كما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنتج تنوير القلب والزهد في الدنيا وحلاوة التذكر والاعانة لله بالأخلاص من الصلاة والتلاوة وغير ذلك وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله صلى الله

فإن الذي إليه أمرك ويده عزك وذلك قد شرط أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا قتل الآن ما شئت
فأعجب للمؤمن بكلامه وسر به وقال مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف فامض على ما كنت عليه بأمرنا
وعن رأينا فاستمر الرجل على ذلك في سياق هذه الحكايات يان الدليل على الاستثناء عن الأذن. فإن
قيل أنثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على المولى والزوجة على الزوج والتلميذ على الأستاذ
والرعية على الوالي مطلقا كما ثبت للوالد على الولد والعبد على المولى والزوجة على الزوج والأستاذ على التلميذ
والسلطان على الرعية أو بينهما فرق . فاعلم أن الذي نراه أنه ثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق في
التفصيل ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول قد ثبتنا للحسبة خمس مراتب وللولد الحسبة بالترتيبين
الأولين وهما التعريف ثم الوعظ والنصح بالتحفظ وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة
الضرب وهما الترتبان الأخريان وهل له الحسبة بالرية الثالثة حيث تؤدي إلى أذى الوالد وسخطه هذا
فيه نظره هو بأن يكسر مثلا عوده ويريق حمرة ويحل الحياض عن ثيابه للنسوة من الحرير ويرد إلى
الملك ما يجده في يده من المال الحرام الذي غصبه أو سرقة أو أخذه عن إدار رزق من خيرية المسلمين
إذا كان صاحبه معينا ويصل الصور للنفقة على حيطانه وللنفقة في خشب بيته ويكسر أو أواني الذهب
والفضة فإن فعله في هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتأذى به
ويسخط بسببه إلا أن فعل الولد حق وسخط الأب منشؤه حبه للبطل والحرام والأظهر في القياس أنه
يثبت للولد ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك ولا يبعد أن ينظر فيه إلى قبح النكر وإلى مقدار الأذى والسخط
فإن كان للنكر فاحشا وسخطا عليه قريبا كإفراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وإن كان للنكر
قريبا والسخط شديدا كالجلافة له آتية من بور أو زجاج على صورة حيوان وفي كسر هاترين مال
كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجري هذه الحصة بجري الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر .
فإن قيل ومن أين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والارهاق إلى ترك الباطل والأمر بالمعروف في
الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص وأما التي عن التأنيف والإذناء فقد ورد وهو خاص فيها
لا يتعلق بارتكاب للنكرات فنقول قد ورد في حق الأب على الخصوص ما يوجب الاستثناء من العموم
إذ لا خلاف في أن الجلافة ليس له أن يقتل أباه في الزنا حدا ولا له أن يباشر إقامة الحد عليه بل لا يباشر
قتل أبيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه في مقابته . وقد ورد في ذلك أخبار
وثبت بعضها بالإجماع^(١) فإذا لم يجزله إيذاؤه بقوبة هي حق على جنابة سابعة فلا يجوز له إيذاؤه بقوبة
هي منع عن جنابة مستقبلة متوقفة بل أولى وهذا الترتيب أيضا ينبغي أن يجري في العبد والزوجة مع
السيد والزوج فهما قريان من الولد في لزوم الحق وإن كان ملكا لغير آكد من ملك النكاح ولكن في
الحبر أنه «لوجاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها^(٢)» وهذا يدل على تأكيد الحق أيضا
وأما الرعية مع السلطان فالأمر فيها أشد من الولد فليس لها منه إلا التعريف والنصح فأما الرتبة الثالثة
فهي نظر من حيث إن الهجوم على أخذ الأموال من خزائنه وردها إلى الملك وعلى تحليل المحبوس من
ثيابه الحرير وكسر آتية الخمر في بيته يكاد يفضي إلى خرق هيئته وإسقاط حشمته وذلك محظور ورد
التي عنه كما ورد التي عن السكوت على المنكر^(٣) قد تمارض فيه أيضا عذوران والأمرفيه موكول

عليه وسلم ينتج صفاء في
النفس يستمان به على
اكتساب علوم الرياضة
مما يعني به الفلاسفة
والدهريون خذلهم الله
تعالى وكما أكثر
من ذلك بعد عن الله
ولا زال للقبل على ذلك
بتخويه الشيطان بما
يكتسب من العلوم
الروابطية أو بما قد
يتراءى له من صدق
الحاطر وغير ذلك حتى
يركن إليه الركون
الثام ويظن أنه فاز
بالقصود ولا يعلم أن
هذا الفن من الفائدة
غير ممنوع من
التصاري والبراهمة
وليس هو المقصود من
الحلوة بقول بعضهم
إن الحق يريد منك
الاستقامة وأنت تطلب
السكرامة وقد يفتح
على الصادقين شيء
من خوارق العادات
وصدق القراسمة
ويبين ما سيحدث في
الاستقبال وقد لا يفتح
عليهم ذلك بولا يفتح

(١) الأخبار الواردة في أن الجلافة ليس له أن يجلد أباه في الزنا ولأن يباشر إقامة الحد عليه ولا يباشر قتل
أبيه الكافر وأنه لو قطع يده لم يلزمه القصاص ثم قال وثبت بعضها بالإجماع . قلت : لم أجده إلا حديث
لابقاد الوالد بالولد رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي فيه اضطراب (٢) حديث
لوجاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها تقدم في النكاح (٣) حديث التي عن الانكار

إلى اجتهد منشؤه النظر في تباحث المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه وأما التليذ والأستاذ فالأمر فيما بينهما أخف لأن المحترم هو الأستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله أن يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه . وروى أنه سئل الحسن عن الولد كيف يغتصب على والده فقال يعطه ما يغضب فان غضب سكنت عنه . الشرط الخامس : كونه قادرا ولا يغني أن العاجز ليس عليه حصة إلا قبله إذ كل من أحب الله يكره معاصيه وينكرها . وقال ابن مسعود رضي الله عنه جاهدوا الكفار بأيديكم فإنهم تستطيعوا إلا أن تكفروا في وجوههم فافعلوا . وأعلم أنه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي بل يلحق به ما يخاف عليه مكروها بناله فذلك في معنى العجز وكذلك إذا لم يخف مكروها ولكن علم أن إنكاره لا ينفع فليفت إلى معنيين : أحدهما عدم إفادة الإنكار امتناعا والآخر خوف مكروه . ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال أحدها أن يجتمع العنيان بأن يعلم أنه لا ينفع كلامه ويضرب إن تكلم فلا تجب عليه الحسبة بل ربما تحرم في بعض المواضع نعم يلزمه أن لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج إلا الحاجة مهمة أو واجب ولا يلزمه مقارنة تلك البلدة والمجرة إلا إذا كان يهوى إلى الفساد أو يحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة إن قدر عليها فان الأكراه لا يكون عندي في حق من يقدر على الهرب من الأكراه . الحالة الثانية أن يتنفي العنيان جميعا بأن يعلم أن المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الإنكار وهذه هي القدرة المطلقة . الحالة الثالثة أن يعلم أنه لا يفيد إنكاره ولكنه لا يخاف مكروها فلا تجب عليه الحسبة لعدم فائدتها ولكن تستحب لأظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس بأمر الدين . الحالة الرابعة عكس هذه وهو أن يعلم أنه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على أن يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرهما ويريق الحمر أو يضرب العود الذي في يده ضربة مخنطة فيكسره في الحال ويستعمل عليه هذا المنكر ولكن يعلم أنه يرجع إليه فيضرب رأسه فهذا ليس بواجب وليس بمحرم بل هو مستحب ويدل عليه الخبر الذي أوردناه في فضل كلمة حق عند إمام جائر ولا شك في أن ذلك نظمة الحقوق . ويدل عليه أيضا ما روى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فأردت أن أنكر عليه وعلت أنني أقتل ولم يعنى القتل ولكن كان في ملأ من الناس غشيت أن يعتريني الزين للخلق فأقتل من غير إخلاص في الفعل . فان قيل فامعنى قوله تعالى - ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة - قلنا لا خلاف في أن السلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنه يقتل وهذا ربما يظن أنه مخالف لموجب الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى أي من يفعل ذلك فقد أهلك نفسه . وقال البراء بن عازب التهلكة هو أن يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب على ، وقال أبو عبيدة هو أن يذنب ثم لا يصل بعده خيرا حتى يهلك وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضا له ذلك في الحسبة ولكن لو علم أنه لا يملك هجومه على الكفار كالأهمى بطرح نفسه على الصف أو العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة وإنما جاز له الاقتبال إذا علم أنه يقال إلى أن يقتل أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بعشاهم جراته واعتقادهم في سائر المسلمين فله المبالاة وجههم الشهادة في سبيل الله فتكسر بذلك شوكتهم فكذلك يجوز على السلطان جهرة بحيث يؤدي إلى خرق هيئته الحاكم في المستدرك من حديث عياض بن غنم الأشعري من كانت عنده نصيحة لدى سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذه يده فليخبل به فان قبلها قبلها وإلا كان قد أدى الذي عليه والذي له قال صحيح الإسناد وللمزمذى وحسنه من حديث أبي بكره من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله في الأرض .

في حاله عدم ذلك
وإنما يقدح في حاله
الأنحراف عن حد
الاستقامة فما يفتح
من ذلك على الصادقين
يصير سببا لمزيد إيقانهم
والداعي لهم إلى صدق
المجاهدة والعاملة
والزهد في الدنيا
والتخلق بالأخلاق
الحسنة وما يفتح من
ذلك على من ليس
تحت سياسة الشرع
يصير سببا لمزيد بعده
وغروره وحماقته
واستطالته على الناس
وازدراءه بالخلق ولا
يزال به حتى يغلغ رقة
الاسلام عن عنقه
وينكر الحدود
والأحكام والحلال
والحرام ويظن أن
للقصود من العبادات
ذكر الله تعالى ويترك
متابعة الرسول صلى الله
عليه وسلم ثم يتدرج
من ذلك إلى تلعد
وتزندق تعودا فقه من
الضلال وقد يلوح
لأقوام خيالات

للمحتسب بل يستحب له أن يعرض نفسه للضرب والقتل إذا كان لحسبته تأثير في رفع المنكر أو في كسر جاه الفاسق أو في تقوية قلوب أهل الدين وأما إن رأى فاسقا متعلبا وعنده سيف ويده قدح وعلم أنه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا يرى للحسبة فيه وجها وهو عين الهلاك فان المطلوب أن يؤثر في الدين أثرا ويغديه بنفسه فأما تعريض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له بل ينبغي أن يكون حراما وإنما يستحب له الانكار إذا قدر على إبطال المنكر أو ظهر لفعله فائدة وذلك بشرط أن يقتصر للكروه عليه فان علم أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه أو رفقائه فلا يجوز له الحسبة بل تحرم لأنه يحجز عن دفع المنكر إلا بأن يفضي ذلك إلى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم أنه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لغيره فاحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الأظهر لأن القصد عدم منكر الشرع مطلقا لا من زيد أو عمرو وذلك بأن يكون مثلامع الإنسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم أنه لو أراقه لشرب صاحبه الخمر أو تشرب أولاده الخمر لإعوازم الشراب الحلال فلا معنى لاراقته ذلك ويحتمل أن يقال إنه يريق ذلك فيكون هو مبطلا لمنكره وأما شرب الخمر فهو اللوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر وقد ذهب إلى هذا ذاهبون وليس يبعد أن هذه مسائل قديمة لا يمكن فيها الحكم بالإطن ولا يبعد أن يفرق بين درجات المنكر الغير والمنكر الذي تفضي إليه الحسبة والتغيير فانه إذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها وعلم أنه لو منعه من ذلك ليدفع إنسانا وأكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح إنسان أو قطع طرفه يحمله على أخذ ماله فذلك له وجه فمنه ما قلناه واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذا نقول : العايب ينبغي له أن لا يحتسب إلا في الجلبات المعلومة كشراب الخمر والزنا وترك الصلاة فأما ما يعلم كونه معصية بالإضافة إلى ما يطيع به من الأفعال ويقتصر فيه إلى اجتهاد فالعايب إن خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة إلا بتعيين الوالي إذ ربما يتدب لها من ليس أهلا لها لتصور معرفته أو تصورياته فيؤدي ذلك إلى وجوه من الخلل وسياق كشف الغطاء عن ذلك إن شاء الله فان قيل وحيث أطلعتم العلم بأن يصيبه مكروه أو أنه لا تقيد حسبته فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه قلنا : الظن الغالب في هذه الأبواب في معنى العلم وإنما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم إذ يرجح العلم اليقيني على الظن ويفرق بين العلم والظن في مواضع أخرى وهو أنه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا أنه لا يفيده فان كان غالب ظنه أنه لا يفيده ولكن يحتمل أن يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروهه فاختلوا في وجوبه والأظهر وجوبه إذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة وعموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي الوجوب بكل حال ونحن إنما نستثنى عنه بطريق التخصيص ما إذا علم أنه لا فائدة فيه إما بالاجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الأمر ليس يراد لمصلحة بل للمأمور فإذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه فأما إذا لم يكن يأس فينبغي أن لا يسقط الوجوب فان قيل فالمنكروه الذي يتوقع إصابته إن لم يكن متيقنا ولا معلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه أو كان غالب ظنه أنه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل أن يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب إلا عند اليقين بأنه لا يصيبه مكروه أم يجب في كل حال إلا إذا غلب على ظنه أنه يصاب بمكروه قلنا إن غلب على الظن أنه يصاب لم يجب وإن غلب أنه لا يصاب وجب وبمجرد التجوز لا يسقط الوجوب فان ذلك ممكن في كل حسبة وإن شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل أن يقال الأصل الوجوب بحكم العمومات وإنما يسقط بمكروه والمنكروه هو الذي يظن أو يعلم حتى يكون متوقعا وهذا هو الأظهر ويحتمل أن يقال إنه إنما يجب عليه إذا علم أنه لا ضرر فيه عليه أو ظن أنه لا ضرر عليه

يظنونها وقائع
ويشبهونها بوقائع
الشاي من غير علم
بحقيقة ذلك فمن أراد
تحقيق ذلك فليعلم أن
العبد إذا أخلص لله
وأحسن نيته وقصد
في الخلوة أربعين
يوما أو أكثر فثم
من ياتر باطنه صفو
اليقين ويرفع الحجاب
عن قلبه ويصير كما
قال قائلهم : رأى قاي
ربي ، وقد يصل إلى
هذا المقام تارة بإجاء
الأوقات بالصالحات
وكف الجوارح
ووزع الأوراد من
الصلاة والتلاوة
والذكر على الأوقات
وتارة ياديه الحق
لموضع صدقه وقوة
استعداده مباداة من
غير عمل وجد منه
وتارة يجد ذلك
بملازمة ذكر واحد
من الأذكار لأنه
لا يزال يردد ذلك
الذكر ويقول ويسكون
عبادته الصلوات

والأول أصح نظرا إلى قضية العمومات الموجبة للأمر بالمعروف فإن قيل فالمتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراءة فالجبان الضيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه والتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الأمل حتى إنه لا يصدق به إلا بعد وقوعه فعلى ماذا التحويل . قلنا التحويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والزواج فإن الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة وتفرط والتهور إفراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وإنما السكال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصد نارة عن نقصان العقل ونارة عن خلل في الزواج بتفرط أو إفراط فإن من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجراءة قد لا يفتن لمدارك الشر فيكون سبب جراته جهله وقد لا يفتن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالما بحكم التجربة والممارسة بمدخل الشر ودوافعه ولكن يعمل الشر البعيد في غذيله وتحليل قوته في الاقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات إلى الطرفين وعلى الجبان أن يتكافى إزالة الجبن بإزالة علته وعلته جهل أو ضعف وزول الجهل بالتجربة وزول الضعف بعمارة القعل المخوف منه تكافيا حتى يصير معنادا إذ اليتدى في الناظرة والوعظ مثلا قد يبعين عنه طبعه لضعفه فإذا مارس واعتاد فأقارنه الضعف فإن صار ذلك ضروريا غرقا بل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض الواجبات ولذلك قد تقو على رأى لا يجب ركوب البحر لأجل حجة الاسلام على من يغاب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه فكذلك الأمر في وجوب الحسبة . فإن قيل فالمكروه المتوقع ماحده فإن الانسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالنية وما من شخص يؤمر بالمعروف إلا ويتوقع منه نوع من الأذى وقد يكون منه أن يسمى به إلى سلطان أو يقدح فيه في مجلس يضرر بقده فيه فيأخذ للمكروه الذي يسطط الوجوب به . قلنا هذا أيضا فيه نظر فامض وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة ولكننا نجتهد في ضم نشره وحصر أقسامه فنقول المكروه تقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع إلى أربعة أمور : أما في النفس فالعلم . وأما في البدن فالصحة والسلامة . وأما في المال فالثروة . وأما في قلوب الناس فقيام الجاه ، فإذا اطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك قلوب الناس كأن معنى الثروة ملك الدراهم لأن قلوب الناس وسيلة إلى الأغراض كأن ملك الدراهم وسيلة إلى بلوغ الأغراض وسبب تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع إليه في ربح الهالكات وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الانسان لنفسه ولأقاربه والمختصين به ويكره في هذه الأربعة أمران أحدهما زوال ما هو حاصل موجود والآخر امتناع ما هو منتظر مفقود أي اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر إلا في فوات حاصل وزواله أو تعويق منتظر فإن المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كأنه حاصل وفوات إمكانه كأنه فوات حصوله فرجع للسكره إلى قسمين أحدهما خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي أن يكون مرخصا في ترك الأمر بالمعروف أصلا . ولندكر مثاله في الطالب الأربعة . أما العلم فمثاله تركه الحسبة على من يخلص بأستاذة خوفا من أن يفسح حاله عنده فينتع من تعليمه . وأما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا وهو لا يلبس حريرا خوفا من أن يتأخر عنه فتمتنع بسببه صحته المنتظرة . وأما المال فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من أن يقطع إدارته في المستقبل ويترك مواسائه . وأما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها في المستقبل خيفة من أن لا يحصل له الجاه أو خيفة من أن يفسح حاله

الحسب بستها الراتية
فحسب وسائر أوقاته
مشغولة بالذكر الواحد
لا يتخللها فخور ولا
يوجد منه قصور ولا
يزال بردد ذلك الذكر
ملتزما به حتى في طريق
الوضوء وساعة الأكل
لا يتر عنه . واختار
جماعة من الشايخ من
الذكر كلمة لا إله إلا الله
وهذه الكلمة لها
خاصية في تنوير الباطن
وجمع المم إذا دام
عليها صادق مخلص
وهي من مواهب الحق
لهذه الأمة وفيها خاصية
لهذه الأمة فيما حدثنا
شيخنا ضياء الدين
إسلام قال أنا
أبو القاسم الدمشقي
الحافظ قال أنا
عبد الكريم بن
الحسين قال أنا
عبد الوهاب الدمشقي
قال أنا محمد بن خريم
قال أنا هشام بن
عمار قال أنا الوليد
ابن مسلم قال أنا
عبد الرحمن بن زيد

عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يستطع وجوب الحسبة لأن هذه زيادات اهتمت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز وإنما الضرر الحقيقي قوأت حاصل ولا يستثنى من هذا شيء إلا ما تدعو إليه الحاجة ويكون في فوائده محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر كما إذا كان محتاجا إلى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم أن تأخر مشقة الضيق به وطول المرض وقد يفضي إلى الموت وأعلى العلم الظن الذي يجوز بثله ترك استعمال الماء والعدول إلى التيمم فإذا انتهى إلى هذا الحد لم يعد أن يرضخ في ترك الحسبة وأما في العلم فمثل أن يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد لإمضائه واحدا ولا قدرته على الرحلة إلى غيره وعلم أن المحتسب عليه قادر على أن يسد عليه طريق الوصول إليه لتكون العالم مطيعا له أو مستعصما لقوله ، فإذا الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور ولا يمدن ترجع أحدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة إلى العلم لتعلقه بمهمات الدين وأما في المال فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو أقوى النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه واقتصر في تحصيله إلى طلب ائدار حرام أو مات جوعا فهذا أيضا إذا اشتد الأمر فيه لم يعد أن يرضخ له في السكوت . وأما الجاه فهو أن يؤذيه شرير ولا يحدسيلا إلى دفع شره إلا بجاء يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل إليه إلا بواسطة شخص يلبس الحرير أو يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة وسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه أذى الشرير فهذه الأمور كلها إذا ظهرت وقويت لم يعد استثنائها ولكن الأمر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفيق فيها قلبه ويرى أحد المحذورات بالآخر ويرجع بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع فإن رجح بموجب الدين سمى سكوته مداراة وإن رجح بموجب الهوى سمى سكوته مداهنة وهذا أمر باطن لا يطلع عليه إلا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق على كل متدين فيه أن يراقب قلبه ويعلم أن الله مطلع على باطنه وصارفه أنه الدين أو الهوى ومستعد كل نفس ماعملت من سوء أو خير محضرا عند الله ولوفى فلة خاطر أو فلة ناظر من غير ظلم وجور لما الله بنظام للعبيد . وأما القسم الثاني وهو قوأت الحاصل فهو مكروه ومعتبر في جواز السكوت في الأمور الأربعة إلا العلم فإن قوائمه غير مخوف إلا بتقصيره وإلا فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره وإن قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال وهذا أحد أسباب شرف العلم فإنه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له أبد الآباد . وأما الصحة والسلامة فتواتهما بالضرب فكل من علم أنه يضرب ضربا مؤلما يتأذى به في الحسبة لم تلزمه الحسبة وإن كان محتسب له ذلك كما سبق وإذا فهم هذا في الإيلاء بالضرب فهو في الجرح والقطع والقتل أظهر . وأما الثروة فهو بأن يعلم أنه تنهب داره ويحرق بيته وتسلم ثيابه فهذا أيضا يسقط عنه الوجوب ويبيح الاستجاب إذا بأس بأن يهدى دينه بدينه ولكل واحد من الضرب والنهب حد في القلة لا يكثر به كالحبة في المال واللطمة الخفيف ألما في الضرب وحد في الكثرة يمتنع اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين أن يجتهد في ذلك ويرجع جانب الدين ما أمكن . وأما الجاه فقوائمه بأن يضرب ضربا غير مؤلم أو يسب على ملائمة الناس أو يطرح منديل في رقبته ويدار به في البلد أو يسود وجهه ويظاف به وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قاذر في الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب أن يقسم إلى ما يعرته بسقوط المروءة كالطواف به في البلد حاسرا حافيا فهذا يرضخ له في السكوت لأن المروءة أمور يحفظها في السر والعلانية وهذا مؤلم للقلب ألما يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى قوأت درجتها قليلة فهذه درجة الثانية ما يعرته بالجاه المنهض وعلو الرتبة فإن الخروج في ثياب فاخرة تجمل وكذلك الركوب بالخيول

عن أبيه أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال : رب أنبئني عن هذه الأمة للرحومة قال أمة محمد عليه الصلاة والسلام علماء أخفاء أضياف علماء أضياف حكماء كأنهم أنبياء يرضون مني بالقليل من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله يا عيسى هم أكثر سكان الجنة لأنهم لم يتدل ألسن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم ولم يتدل رقاب قوم قط بالسجود كاذلت رقابهم . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال إن هذه الآية مكتوبة في التوراة يا أيها النبي إننا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرز المؤمنين وكفرا للأمين أنت عبيد ورسولي سميتك للتوكل ليس بقط ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق

فلو علم أنه لو احتسب لكلف الشيء في السوق في ثياب لا يتباد هو مثلها أو كلف للشيء رجلا وعادته الركوب فهذا من جملة الزايا وليست المواظبة على حفظها محمودة وحفظ الروعة محمود فلا ينبغي أن يستطو وجوب الحسبة بمثل هذا القدر وفي معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له باللسان إمام في ضررته بالتجهيل والتجميخ والنسبة إلى الرياء والبهتان وإما في غيبته بأنواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاهل التي ليس إليها كبير حاجة ولو تركت الحسبة بلوم لائم أو باغتيال فاسق أو شتمه وتصفية أو سقوط للفرقة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلا إذ لا تنفك الحسبة عنه إلا إذا كان للشكر هو الغيبة وعلم أنه لو أنكر لم يسكت عن المتألم ولكن أضاف إليه وأدخله معه في الغيبة فحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة المعصية وإن علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة لأن غيبته أيضا معصية في حق المتألم ولكن يستحب له ذلك ليفدى عرض المذكور بمرض نفسه على سبيل الإيثار وقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابله إلا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروءة فظهر في الشروع خطرها فأما زيا الجاهل والحشمة ودرجات التجهيل وطلب ناء الخلق فكل ذلك لا خطر له . وأما امتناعه لحرف شيء من هذه المنكرات في حق أولاده وأقاربه فهو في حقه دونه لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ومن وجه الدين هو قوة لأن له أن يسمع في حقوق نفسه وليس له المساحة في حق غيره فإذا ينبغي أن يتمتع فإنه إن كان ما يغوث من حقوقهم يغوث على طريق المعصية كالضرب والتب فليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يغني إلى منكر وإن كان يغوث لا بطريق المعصية فهو إيذاء للسمع أيضا وليس له ذلك إلا برضا من فإذا كان يؤدي ذلك إلى أذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له أقارب أغنياء فإنه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاما منه بواسطتهم فإذا كان يتعدى الأذى من حسبه إلى أقاربه وجيرانه فليتركها فإن إيذاء المسلمين محذور كما أن السكوت على المنكر محذور ثم إن كان لا يباله أذى في مال أو نفس ولكن يباله الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكاته في القلب وقده في المرض . فإن قيل فله قصده الإنسان قطع طرف من نفسه وكان لا يتمتع عنه إلا بقتال ربما يؤدي إلى قتله فهل يقاتل عليه فإن قتلهم يقاتل فهو محال لأنه إهلاك نفس خوفا من إهلاك طرف وفي إهلاك النفس إهلاك الطرف أيضا . قلنا نعمه عنه ويقاؤه إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكر والمعصية وقتله في الحسبة ليس بمعصية وقطع طرف نفسه معصية وذلك كدفع السائل على مال مسلم بما يأتي على قتله فإنه جائز لا على معنى أنا نفدى درهما من مال مسلم بروح مسلم فإن ذلك محال ولكن قصده لأخذ مال المسلمين معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية وإنما المقصود دفع المعاصي . فإن قيل فلو علمنا أنه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي أن يقتله في الحال حبا لباب المعصية . قلنا ذلك لا يعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكن إذا رأينا في حال مباشرة القطع دفناه فإن قاتلنا قاتلناه . ولم نبال بما يأتي على روحه فإذا المعصية لها ثلاثة أحوال : إحداها أن تكون متصرفة فالمعصية على ما تصرف منها أو تعزير وهو إلى الولاية إلى الأحاد . الثانية أن تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبس الحرير وأمسكه العود والخمر فأبطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن مالم تؤدي إلى معصية أخفى منها أو مثلها وذلك ثبت للأحاد والرعية الثالثة أن يكون المنكر متوقفا كالتدبير يستمد بكل من المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه إذ ربما يوق عنه عائق فلا يثبت للأحاد سلطنة على العازم على الشرب

ولا يجوز بالسبب السيئة ولكن يصفح ولن أقبضه حتى تقام به الله العوجة بأن يقولوا لا إله إلا الله ويضعوا أعينهم عما وآذانا صما وقلوبنا غلغا فلا يزال اليد في خلوته يردم هذه الكلمة على لسانهم مواطأة القلب حتى تصير الكلمة متأصلة في القلب مزينة لحديث النفس ينوب معاضها في القلب عن حديث النفس فإذا استولت الكلمة وسهلت على اللسان يتشرها القلب فلو سكنت اللسان لم يسكت القلب ثم تتجوهر في القلب وتتجوهرها يستكن نور اليقين في القلب حتى إذا ذهب صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال نورها متجوهرا ويتخذ المنكر مع رؤية عظمة المذكور سبحانه وتعالى ويصير الذكر حيث ذكر القات

إلا بطريق الوعظ والنصح أنما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للأحد ولا للسلطان إلا إذا كانت تلك المعصية علت منه بالمادة المستمرة وقد أقدم على السبب المؤدى إليها ولم يبق للحصول المعصية إلا ما ليس له فيه إلا الانتظار وذلك كوقوف الأحداث على أبواب حمامات النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج فاتهم وإن لم يضيقوا الطريق لسعته فتجاوز الحسبة عليهم بأقاصمهم من الموضع ومنعهم عن الوقوف بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف في نفسه معصية وإن كان مقصد العاصي وراه كما أن الخلوة بالأجنبية في نفسها معصية لأنها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة للمعصية معصية ونفى بالمظنة ما يتعرض للانسان به لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكشاف عنها فإذا هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لاطى معصية منتظرة .

(الركن الثاني للحسبة مافية الحسبة)

وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتihad فلهذه أربعة شروط فليبحث عنها . الأول : كونه منكرا ونفى به أن يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية إلى هذا لأن المنكر أعم من المعصية إذ من رأى صبيّا أو مجنوناً يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره وعنه وكذا إن رأى مجنوناً زنى بمجنونة أو بهيمة فعليه أن يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لوصاف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون إذ معصية لاعاصي بها محال فلفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية وقد أدرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تخص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر للنساء الأجنبية كل ذلك من الصغائر ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظريتان في كتاب التوبة . الشرط الثاني : أن يكون موجودا في الحال وهو احتراز أيضا عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فإن ذلك ليس إلا الأحاد وقد افترض المنكر واحتراز عامسوجد في ثأني الحال كمن يعلم بقرينة حاله أنه عازم على الشرب في ليلته فلاحسبة عليه إلا بالوعظ وإن أنكر عزمه عليه لم يحز وعظه أيضا فإن فيه إساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو أن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه . الشرط الثالث : أن يكون المتكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس : فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابها لا يجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة وقد أوردناها في كتاب آداب الصبغة وكذلك ما روى أن عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فأنكر عليه فقال بأمر المؤمنين إن كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فأت قد عصيته من ثلاثة أوجه فقال وما هي ؟ فقال قد قال الله تعالى - ولا تجسسوا - وقد تجسست . وقال تعالى - وأتوا البيوت من أبوابها - وقد أوردت من السطح . وقال - لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسألوا على أهلها - وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة ولذلك شاور عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على المنبر وسأله عن الإمام إذا شاهد بنفسه منكرا فهل له إقامة الحد فيه ؟ فأشار على رضي الله عنه بأن ذلك منوط بمديلين فلا يكفي فيه واحد وقد أوردنا هذه الأخبار في بيان حق المسلم من كتاب آداب الصبغة فلا نعيدها فان قلت لما حدث الظهور والاستتار . فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف المعصية إلا أن يظهر في الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزمار والأوتار إذا ارتفع بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملامى وكذا

وهذا الذكر هو
لشاهدة والمكاشفة
وللعناية أعنى ذكر
الذات بتجوهر نور
الذكر وهذا هو
للقصد الأنقى من
الخلوة وقد يحصل
هذا من الخلوة لا يذكر
الكلمة بل بتلاوة
القرآن إذا أكثر من
التلاوة واجتهد في
مواظاة القلب مع
اللسان حتى تجري
التلاوة على اللسان
ويقوم معنى الكلام
مقام حديث النفس
فيدخل على السبيل
سهولة في التلاوة
والمسلاة ويتنور
الباطن بتلك السهولة
في التلاوة والمسلاة
وتجوه نور الكلام
في القلب ويكون منه
أيضا ذكر الذات
ويجتمع نور الكلام

إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعها أهل الشوارع فهذا إظهار موجب للحسبة فاذن إنما يدرك مع غلغل الحيطان صوت أوراعمة فإذا فاحت روائح الخمر فإن احتمل أن يكون ذلك من الخمر المحترمة فلا يجوز قصدتها بالإرافة وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتعاطيهم بالشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر في الكم وتحت الثبيل وكذلك للامهي فإذا رأى فاسق وتحت ذيله شيء لم يجر أن يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة فإن فسقها لا يدل على أن الذي معه خمر إذ الفاسق محتاج أيضا إلى الخل وغيره فلا يجوز أن يستدل باخفائه وأنه لو كان حلالا لأخفاه لأن الأغراس في الإخفاء مما تنكرت وإن كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر والظاهر أن له الاحتساب لأن هذه علامة نفيد الظن والظن كالعلم في أمثال هذه الأمور وكذلك العود ربما يعرف بشكه إذا كان الثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالاته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد أمرنا بأن نستر ما ستر الله ونتركه على من أبدى لنا صفحته والإبداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن أن نخصص ذلك بحاسة البصر بل للرادال علم وهذه الحواس أيضا تفيد العلم فاذن إنما يجوز أن يكسر ما تحت الثوب إذا علم أنه خمر وليس له أن يقول أرني لأعلم مافيه فإن هذا نجس ومعنى التجسس طلب الأمارات للفرقة فالأمارات للفرقة إن حصلت وأورثت للفرقة جاز العمل بمقتضاها فما طلب الأمارات للفرقة فلا رخصة فيه أصلا. الشرط الرابع أن يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتihad فكل ما هو في محل الاجتihad فلا حسبة فيه فليس للحنفى أن ينكر على الشافعي أكله الضب والضيع ومتروك التسمية ولا للشافعي أن ينكر على الحنفى شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوى الأرحام وجلسه في دار أخذها بشفعة الجوار إلى غير ذلك من مجاري الاجتihad ثم لورأى الشافعي شافيا يشرب النبيذ وينسكب بلاولى وبها زوجته فهذا في محل النظر والأظهر أن له الحسبة والانسكار إذ لم ينسب أحد من المصلين إلى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتihad غيره ولا أن الذي أذى اجتياه في التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد من للمذاهب أطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذن مخالفته للفعل متفق على كونه منكرا بين المصلين وهو عاص بالخالفه إلا أنه يلزم من هذا أمر أعظم منه وهو أنه يجوز للحنفى أن يترضى على الشافعي إذا نسكب بغيرولى بأن يقول له الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فأنت مبطل بالاقدام عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وإن كانت صوابا عند الله وكذلك الشافعي يحسب على الحنفى إذا شاركه في أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له إما أن تعتقد أن الشافعي أولى بالاتباع ثم تقدم عليه أولا تعتقد ذلك فلا تقدم عليه لأنه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا إلى أمر آخر من المحسوسات وهو أن يجمع الأصم مثلا امرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب أن هذه امرأته زوجته أبوه بإهاقي صفره ولكنه ليس يدرى ويحجز عن تعريفه ذلك لصدمه أو لكونه غير عارف بلغته فهو في الاقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الآخرة فينبى أن يمنعها عنه مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث إنه حلال في علم الله قريب من حيث إنه حرام عليه بحكم غلظه وجهه ولا خش في أنه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلاً من مشبهة أو غضب أو غيره وقد وجدت الصفة في قلبه ويحجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فإذا رآه يجمعها فليقلع أذى باللسان لأن ذلك زنا إلا أن الزانى غير عالم بموالمحتسب عالم بأن طاعة من تملأه وكونهما غير صابحين لجهلها ما جود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون

في القلب مع مطالعة عظمة للتكلم سبحانه وتعالى ودون هذه للوهبة ما يفتح على البعد من العلوم الالهامية الدنية وإلى حين بلوغ البعد هذا للبلغ من حقيقة الذكر والتلاوة إذا صفا بطله قد ينبى في الله كرم من كمال أنه وحلاوة ذكره حتى يلتحق في غيبته في الذكر بالنام وقد تبجل له الحقائق في لبسة الخيال أولا كما تنكشف الحقائق للنام في لبسة الخيال كمن رأى في المنام أنه قتل حية فيقول له للمبرقظن بالعدو فظفروه بالعدو هو كشف كاشفه الحق تعالى به وهذا الظفر روح مجرد صاغ ملك الرؤيا له جسدا لهذا الروح

وقد يتأنه يمنع منه فاذا كان يمنع محامو منكر عند اقدوان لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص بل هو
 الجهل فياوم من عكس هذا أن يقال ليس بمنكر عند الله إنما هو منكرك عند الفاعل لجهله لا يمنع منه
 وهذا هو الأظهر والعلم عند الله ، فتحصل من هذا أن الحنفى لا يعترض على الشافعى فى النكاح بلاولى وأن
 الشافعى يعترض على الشافعى فيه لكون التعرض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل
 قضية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة وإنما اقتنا فيها بحسب ما ترجع عندنا فى الحال ولنا قطع خطأ
 ترجيح المخالف فيها إن رأى أنه لا يجرى الاحتساب إلا فى معلوم على القطع وقد ذهب إليه ذاهبون وقالوا
 لاحسبة إلا فى مثل الحجر والخزير وما يقطع بكونه حراما ولكن الأعبه عندنا أن الاجتهاد يؤثر فى حق
 المجتهد إذ يعطى البعد أن يجتهد فى القبلة ويترفع بظهور القبلة عنده فى جهة بالذلات الغلظية ثم
 يستدبرها ولا يمنع منه لأجل ظن غيره لأن الاستدبار هو الصواب ورأى من يرى أنه يجوز لكل مقلدان
 يختار من المذاهب ما أراد غير معتد ببوله لا يصح ذهاب ذهاب إليه أصلا فهذا مذهب لا يثبت وإن
 ثبت فلا يعتد به . فان قلت إذا كان لا يعترض على الحنفى فى النكاح بلاولى لأنه يرى أنه حق فينبى أن
 لا يعترض على للمزلى فى قوله إن الله لا يرى وقوله وإن الخير من الله والشر ليس من الله وقوله كلام الله مخلوق
 ولا على الحشوى فى قوله إن الله تعالى جسم وله صورة وإنه مستقر على العرش بل لا يبنى أن يعترض على
 الفلصفى فى قوله الأجساد لا تبيث وإنما تبيث النفوس لأن هؤلاء أيضا أدى اجتهادهم إلى ما قالوه وهم يظنون
 أن ذلك هو الحق . فان قلت بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح
 أيضا ظاهر وكأنت بظواهر النصوص أن الله تعالى يرى والمزلى ينكرها بالتأويل فكذلك ثبت بظواهر
 النصوص مسائل خالف فيها الحنفى كسنة النكاح بلاولى ومسئلة شفعة الجوار ونظارها . فاعلم أن
 المسائل تنقسم إلى ما يتصور أن يبدل فيه كل مجتهد مصيب وهى أحكام الأنفال فى الحل والحرمه وذلك
 هو الذى لا يعترض على المجتهدين فيه إذ لم يعلم خطأهم قطعا بل ظنا وإلى ما لا يتصور أن يكون الصيب
 فيه إلا واحد كسنة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفى الصورة والجسميه والاستقرار عن الله تعالى
 فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه قطعا ولا يبق لحطه الذى هو جعل مجتهد فى جملة البدع كلها فينبى أن
 نحسم أبوابها ونحصى على اللبدعين بدعهم وإن اعتقدوا أنها الحق كما يرد على اليهود والنصارى
 كفرهم وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق لأن خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ فى مظان
 الاجتهاد . فان قلت فهما اعترضت على القدرى فى قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدرى أيضا
 فى قوله أكثر من الله وكذلك فى قولك : إن الله يرى وفى سائر المسائل إذ البدع حق عند نفسه والحق
 مبتدع عند البدع وكل يدعى أنه حق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب . فاعلم أنا لأجل
 هذا التعارض نقول ينظر إلى البلدة التى فيها أظهرت تلك البدعة فان كانت البدعة ضرية والناس
 كلهم على السنة فلمهم الحسية عليه بغير إذن السلطان وإن اقسم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل
 السنة وكان فى الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للأحد الحسية فى المذاهب إلا بنصب السلطان
 فاذا رأى السلطان رأى الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر البدعة عن إظهار البدعة كان له
 ذلك وليس لغيره فان ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الأحاد فيتقابل الأمر
 فيه وعلى الجملة فالحسية فى البدعة أهم من الحسية فى كل المنكرات ولكن يبنى أن يراعى فيها هذا
 التفصيل الذى ذكرناه كيلا يتقابل الأمر فيها ولا ينتجر إلى تحريك الفتنة بل لأذن السلطان مطلقا
 فى منع كل من يصرح بأن القرآن مخلوق أو أن الله لا يرى أو أنه مستقر على العرش مماس له وغير ذلك
 من البدع لتسلط الأحاد على النعم منه ولم يتقابل الأمر فيه وإنما يتقابل عند عدم إذن السلطان قط .

من خيال الحية فالروح
 الذى هو كشف الظفر
 أخبار الحق ولبسة
 الخيال الذى هو بمثابة
 الجسد مثاله انبث
 من نفس الرأى
 فى الثامن من استصحاب
 القوة الوهمية
 والخيالية من اليقظة
 فيتألف روح كشف
 الظفر مع جسد مثال
 الحية فافتقر إلى التعبير
 إذ لو كشف بالحقيقة
 التى هى روح الظفر
 من غير هذا المثال
 الذى هو بمثابة الجسد
 ما احتاج إلى التعبير
 فكان يرى الظفر
 ويصبح الظفر وقد
 يتجرد الخيال
 باستصحاب الخيال
 والوهم من اليقظة فى
 الثامن من غير حقيقة
 فيكون المنام أضغاث
 أحلام لا يعبر وقد يتجرد

(الركن الثالث : المحتسب عليه)

وشرطه أن يكون بصفة بصير الفعل المنوع منه في حقه منكر أو أقل ما يمكن في ذلك أن يكون إنساناً ولا يشترط كونه مكلفاً إذ بينا أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وإركان قبل البلوغ ولا يشترط كونه عميراً إذ بينا أن المجنون لو كان يرزى بمجنونته أو يأتي بهيمة لوجب منعهم من الأفعال ما لا يكون منكراً في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره . ولكننا لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل فإن ذلك أيضاً يختلف فيه للقيم والسافر والريض والصحيح وغرضنا الإشارة إلى الصفة التي بها يتبين توجه أصل الإنكار عليه لا ما بها يتبين التفاصيل . فإن قلت فاكثف بكونه حيواناً ولا تشترط كونه إنساناً فإن البهيمة لو كانت تفسد زرعاً لإنسان لكنها منه كما منع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة . فاعلم أن تسمية ذلك حسبة لأوجهها إذا حسبه عبارة عن المنع عن منكر لحق الله سيادة للمنعوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون عن الزنا وإتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب الخمر والإنسان إذا أتلف زرع غيره ممنعه من الحلقين : أحدهما حق الله تعالى فإن فعله معصية والثاني حق المتلف عليه فهما علتان تفصل إحداها عن الأخرى فلو قطع طرف غيره بآذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجني عليه بآذنه فنثبت الحسبة والمنع بإحدى العلتين والبهيمة إذا أتلفت فقد عدمت المعصية ولكن يثبت المنع بإحدى العلتين ولكن فيه دققة وهو أننا لسنا نقصد إخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم إذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من إناء فيه خمر أو ماء مشوب غمر لم تمنعها منه بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقد نال على حفظه بفريقين وجب ذلك علينا حفظاً للمال بل لو وقعت جرة لإنسان من علو ونحتها قارورة لغيره فندفع الجرة لحفظ القارورة لمنع الجرة من السقوط فإنا لا نقصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة ومنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي لاصيانة للبهيمة المائية أو الخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتزويجها له من حيث إنه إنسان يحترم فهذه لطائف دقيقة لا تغفل عنها إلا المحققون فلا ينبغي أن يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر إذ قد ترد في منعهما من لبس الحرير وغير ذلك وستعرض لما نشير إليه في الباب الثالث . فإن قلت فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان فهل يجب عليه إخراجها وكل من رأى مالاً لمسلم أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه . فإن قلت إن ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي إلى أن يصير الإنسان مسخرًا لغيره طول عمره وإن قلت لا يجب فله يجب الاحتساب على من يخبص مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير . فنقول : هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه أن نقول مهما قدر على حفظه من الضياع من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقصان في جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر واجب في حقوق المسلم بل هو أقل درجات الحقوق والأدلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالإيجاب من رد السلام فإن الأذى في هذا أكثر من الأذى في ترك رد السلام بل لا خلاف في أن مال الإنسان إذا كان ضائع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق إليه وجب عليه ذلك وعصى بكتان الشهادة في معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لاضرر على الدافع فيه فأما إن كان عليه تعب أو ضرر في مال أو جوارحه لم يلزمه ذلك لأن حقه مرعى في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه أن يبدى غيره بنفسه نعم الإيثار مستحب وتجنب المصاعب لأجل المسلمين قربية فأما إيضاها فلا فائدة إن كان يتعب بإخراج البهائم عن الزرع يلزمه السعي في ذلك والسكن إذا كان لا يتعب بتبنيه صاحب الزرع من نومه أو بإعلامه يلزمه ذلك فأهيا لمرغفه وتنبيهه كاهله لمرغفه بالقاضي بالشهادة وذلك لارخصة فيه ولا يمكن أن يراعى فيه الأقل والأكثر حتى يقال

لصاحب الحلوة الخيال
النبعث من ذاته من
غير أن يكون وعاء
لحقيقة فلا ينبغي على
ذلك ولا يلتفت إليه
فليس ذلك واقعة وإنما
هو خيال فأما إذا غاب
الصادق فيه ذكر الله
تعالى حتى يغيب عن
المحسوس بحيث لو
دخل عليه داخل من
الناس لا يعلم به لبيته
في الذكر فلهذا قد
ينبت في الابتداء من
نفسه مثال وخيال
ينفع فيه روح
الكشف فإذا عاين
غيته فلما يأتيه تفسيره
من باطنه موهبة من
الله تعالى وإما يفسره
له شيخه كما يبر للمبر
الناس ويكون ذلك
واقعة لأنه كشف
حقيقة في لبسة مثال
وشرط صحة الواقعة

إن كان لا يصح من منفعة في مدة اشتغاله باخراج البهائم إلا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيترجع جانبه لأن الدرهم الذي له هو يتحقق حفظه كما يتحقق صاحب الألف حفظ الألف ولا سبيل للمصير إلى ذلك فأما إذا كان قوات المال بطريق هومعية كالمصير أو قتل عبد مملوك لغير هذا يجب المنع منه وإن كان فيه تعب ما لأن المقصود حق الشرع والغرض دفع العصية وعلى الإنسان أن يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه أن يتعب نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها في تركها تعب وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس وهي غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه كما ذكرناه من درجات المهدورات التي يخافها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في مسئلتين قربان من عرضنا : أحدهما أن الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة والمقتطع مانع من الضائع وساع في الحفظ والحق فيه عندنا أن يفصل ويقال إن كانت اللقطة في مواضع لو تركها فيه لم تنزع بل يلتقطها من يعرفها أو تركها كالموكان في مسجد أو رباط يتعين من يبدخه وكلامه أمنا فلا يلزمه الالتقاط وإن كانت في مضربة نظر فإن كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج إلى علف وإصطبل فلا يلزمه ذلك لأنه إنما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه إنسانا محترما والمقتطع أيضا إنسان وله حق في أن لا يتعب لأجل غيره كما لا يتعب غيره لأجله فإن كانت ذهباً أو ثوبا أو شيئا لا ضرر عليه فيه إلا مجرد تعب التعريف فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجهين فاقول التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل إلى إزالته ذلك إلا أن يتبرع فيلتزم طلبا للثواب وقال يقول : إن هذا القدر من التعب مستغفر بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين فيقول هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فإنه لا يلزمه السفر إلى بلدة أخرى إلا أن يتبرع به فإذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعباً في غرض إقامة الشهادة وأداء الأمانة وإن كان في الطرف الآخر من البلد وأجوج إلى الحضور في المهادرة وشره الحر فهذا يدفع في محل الاجتهاد والنظر فإن الضرر الذي يبال السامع في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في أنه لا يبال به وطرف في الكثرة لا يشك في أنه لا يلزمه احتمالاً ووسط يتجاوز به الطرفان ويكون أبداً في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات الزمة التي ليس في مقدور البشر إزالتها إذ لا علة تفرق بين أجزائها للتقاربة ولكن التفتي ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريه إلى ما لا يريه ، وهذا نهاية الكشف عن هذا الأصل .

(الركن الرابع : نفس الاحتساب)

وله درجات وآداب أما الدرجات فأولها التعريف ثم التعريف ثم التوبيخ ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغير باليد ثم التهديد بالضرب ثم إيقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود . أما الدرجة الأولى وهي التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان النكر وذلك منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي أن يترك السمع على ما لا يسمع صوت الأوتار ولا أن يستشقى ليدرك رائحة الخمر ولأن عيس مافي ثوبه يعرف شكل الزمار ولأن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلانا يشرب الخمر في داره أو بأن في داره خمر أعده للشرب فله إذاً أن يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع النكر ككسر رأسه بالضرب لمنع مهما احتاج إليه وإن أخبره عدلان أو عدل واحد وبالجملة كل من تبيل روايته لاشهادته في جواز الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال الأولى أن يمنع لأن له حقاً في أن لا يتخطى داره بغير إذنه ولا يسقط حق السلم عما ثبت عليه حقه إلا بشاهدين فهذا أولى ما يجعل مرداً فيه . وقد قيل إنه كان نقش حاتم لقمان الستر لما عابت أحسن من إذاعة ما ظننت .

الإخلاص في الذكر أولاً
ثم الاستغراق في الذكر
ثانياً وعلاصة ذلك
الزهد في الدنيا وملازمة
التقوى لأن الله جعله
بما يكشفه في واقعة
مورد الحكمة والحكمة
تحكم بالزهد والتقوى
وقد يتجرد للذاكر
الحقائق من غير لبسة
الثال فيكون ذلك
كشفاً وإخباراً من الله
تعالى بإياه ويكون ذلك
تارة بالروية وتارة
بالسمع وقد يسمع من
باطنه وقد يطرئ ذلك
من الهواء لا من إبطه
كالهوائف يعلم بذلك
أمر الله إياه إحداثه
له أو لغيره فيكون
إخبار الله إياه بذلك
مزيلاً ليقينه أو يرى
في المنام حقيقة الشيء .
قل عن بعضهم أنه
أتى شراب في قنح

الدرجة الثانية : التعريف فان للسكر قد يقدم عليه القدم بجهله وإذ اعرف أنه متكرر تركه كالسودي يصل ولا يحسن الركوع والسجود فعمل أن ذلك لجهله بأن هذه ليست بصلاة ولورضى بأن لا يكون مصليا لترك أصل الصلاة فيجب تعريفه بالاطف من غير عنف وذلك لأن ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحق والتجهل إيذاء وقلم يرضى الإنسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمر لاسما بالشرع ولذلك ترى الذي يطلب عليه الغضب كيف يغضب إذائه على الخطأ والجهل وكيف يجتهد في محادثة الحق بعد معرفته خيفة من أن تنكشف عورة جهله والطمع أحرم على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية ، لأن الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السواتين يرجع إلى صورة البدن والنفس أشرف من البدن وقبحها أشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لأنه خلق لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره إزالته وتحسينه والجهل قبح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تألم الإنسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه في نفسه بصله ثم لفته عند ظهور جمال علمه لغيره وإذا كان التعريف كشفاً للعورة مؤذياً للقلب فلا بد وأن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق فنقول له إن الإنسان لا يولد عالماً ولقد كنا أيضاً جاهلين بأمور الصلاة فلعلنا العلماء ولعل فريت خالية عن أهل العلم وأعلمها مقصر في شرح الصلاة وإيضاحها إنما شرط الصلاة الطمأنينة في الركوع والسجود وهكذا يتطلب به ليحصل التعريف من غير إيذاء فان إيذاء السلم حرام محذور كما أن تقريره على للسكر محذور وليس من العقلاء من يفسد الدم بالدم أو بالبول ومن اجتنب محذور السكوت على السكر واستبدل عنه محذور الإيذاء للسلم من الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق ، وأما إذا وقعت على خطأ في غير أمر الدين فلا ينبغي أن ترد عليه فانه يستفيد منك علماً وبصيرتك عدواً إلا إذا علمت أنه يغتم العلم وذلك عزيز جداً . الدرجة الثالثة : التي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكراً أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكراً كالذي يواطى على الشرب أو على الظلم أو على اغتيال المسلمين أو ما يجري مجراه فينبغي أن يعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك وتحكي له سيرة السلف وسعادة التابعين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر إليه فطر الترحم عليه ويرى إقدامه على الصية مصيبة على نفسه إذ السلون كنفس واحدة ، وههنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها فانها مهلكة ، وهي أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذله غيره بالجهل فرمما يقصد بالتعريف الإذلال وإظهار التمييز بحرف العلم وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا للسكر أقبح في نفسه من السكر الذي يمترض عليه ، ومثال هذا المحتسب مثال من يغلس غيره من النار بأحراق نفسه وهو غاية الجهل ، وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلى بجهله كل إنسان إلا من عرفه الله يعوب نفسه وقبح بصيرته بنور هدايته فان في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين : أحدهما من جهة دالة العلم والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية إلى الشر والحقن وله محك وميزان ينبغي أن يتحسب به نفسه وهو أن يكون امتناع ذلك الإنسان عن السكر نفسه أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكتفى بغيره فلينسب فان باعته هو الدين وإن كان انما ذلك العاصي بوعظه وأنزجاره بزجره أحب إليه من انما بوعظ غيره فان هو إلا متبع هوى نفسه وبتوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة حسبه فليتب الله تعالى وليحتسب أولاً على نفسه وعند هذا يقال ما قيل لعيسى عليه السلام

فوضعه من يده وقال
قد حدث في العالم
حدث ولا أشرب هذا
دون أن أعلم ماهو
فانكشف له أن قوما
دخلوا مكة ولوا فيها.
وحكى عن أبي سلمان
الحواص قال كنت
راكبا حمارا لي يوما
وكان يؤذيه الدباب
فيطأ طي رأسه فكننت
أضرب رأسه بخشبة
كانت في يدي فرفع
الحمار رأسه إلى وقال
اضرب فانك على
رأسك تضرب قيل له
يا أبا سلمان وقع لك
ذلك أو سمعته فقال
سمعته يقول كما سمعته.
وحكى عن أحمد بن
عطاء الرودباري قال
كان لي مذهب في أمر
الطهارة فكنت ليلة
من الليالي أستعجى
إلى أن مضى ثلث الليل

يا ابن حرم عظ نفسك فان اعظت فعض الناس وإلا فاستحي مني ، وقيل لداود الطائي رحمه الله : أرايت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر فقال أخاف عليه السوط قال إنه يتوى عليه قال أخاف عليه السيف قال إنه يقوى عليه قال أخاف عليه الدماء الدفين وهو العجب .
الدرجة الرابعة : السب والتعنيف بالقول والفاظ الحشن وذلك يعدل إليه عند العجز عن التبع باللفظ وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالعظ والنصح وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام - أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون - ولنا نفي بالسب الفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه محالا بعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا أحمق يا جاهل يا خائف الله وكقوله يا سودي يا غي وما يجري هذا المجرى فان كل فاسق فهو أحمق وجاهل ولولا حقه لما عصي الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو أحمق والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله »^(١) ولهذه الدرجة أدبان : أحدهما أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف . والثاني أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزره فلا ينبغي أن يطلقه بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقاق له والازدراء بحمله لأجل معصيته وإن علم أنه لو تكلمكم ضربوا كفهروا أظهر الكراهة بوجهه لم يضرب ولمه بل يكفه الانكار بالقلب بل يلزمه أن يعطيه وجهه ويظهر الانكار له . الدرجة الخامسة : التفسير باليد وذلك ككسر اللامى وإراقة الخمر وخلع الحرير من رأسه وعن بدنه وحنه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير وإخراجه من الدار المصوبة بالجر برجله وإخراجه من المسجد إذا كان جالسا وهو جنب وما يجري مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض ، فأما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس المعاصي وجوارحه الباطنة ، وفي هذه الدرجة أدبان : أحدهما أن لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحاسب عليه ذلك فإذا أمكنه أن يكلفه الشيء في الخروج عن الأرض المصوبة والمسجد فلا ينبغي أن يدفعه أو يجره وإذا قدر عن أن يكلفه إراقة الخمر وكسر اللامى وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه فان في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فإذا لم يتعاط نفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حرج عليه في فعله . الثاني أن يتصرف في طريق التغيير على القدر المحتاج إليه وهو أن لا يأخذ بلحيته في الإخراج ولا برجله إذا قدر على جره بيده فان زيادة الأذى فيه مستغنى عنه وأن لا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق اللامى والصليب الذي أظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها بالفساد بالكسر وحد الكسر أن يصير إلى حالة تحتاج في استئناف إصلاحه إلى تعذيب يساوي تعذيب الاستئناف من الحشيش ابتداء وفي إراقة الخمر يتوقى كسر الأواني إن وجد إليه سبيلا فان لم يقدر عليها إلا بأن يرمى ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر إذ صار حالاً منه وبين الوصول إلى إراقة الخمر ولو ستر الخمر بيده لكننا قصد بدنه بالجرح والضرب لتوصل إلى إراقة الخمر فاذن لا تزيد حرمة ملكه في الظرف على حرمة نفسه ولو كان الخمر في قوارير بضيفة الرءوس ولو اشتغل بارتقاها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعه فله كسرهما فهذا عذر وإن كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضع في زمانه وتعطل عليه أشغاله فله أن يكسرها فليس عليه أن يضع مئة بدنه وغرضه من أشغاله

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذى وقال حسن وابن ماجه من حديث شداد بن أوس .

ولم يطب قلبي فتضجرت
فبكيت وقلت يارب
العفو فسمعت صوتاً ولم
أر أحداً يقول
يا أبا عبد الله العفو في
العلم وقد يكاشف الله
تعالى عبده بآيات
وكرامات تربية للعباد
وتقوية ليقينه وإيمانه
قبل كان عند جعفر
الخلدي رحمه الله فص
له قيمة وكان يوماً من
الأيام راكباً في السارية
في دجلة فهم أن يعطى
للسلاح قطعة وحل
الخرقه فوق العصر في
الدجلة وكان عنده
دعاء للضالة مجرب وكان
يدعوه فوجد الله
في وسط أوراق كان
يتصفحها والدعاء هو
أن يقول يا جامع الناس
ليوم لا ريب فيه اجمع
على ضالتي . وصمت
شيخنا بهمدان حكاه

لأجل ظروف المحروحيث كانت الارافة متيسرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان . فان قلت فهلا جاز
الكسر لأجل الزجر وهلا جاز الجربا بل جاز في الاخراج عن الأرض المنصوبة ليكون ذلك أبلغ في الزجر .
فاعلم أن الزجر إنما يكون عن المستقبل والمعقوبة تكون على الماضي والدفع على الحاضر الزاهر وليس
إلى أحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام المنكر لما زاد على قدر الإعدام فهو إمعاقوبة على جريمة سابقة
أو زجر عن لاحق وذلك إلى الولاية إلى الرعية . نعم الوالي له أن يفعل ذلك إذا رأى الصلحة فيه . وأقول
له أن يأمر بكسر الظروف التي فيها المحجور زجرا وقد فعل ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
تأكيدا للزجر^(١) ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والقظام شديدة فاذا رأى الوالي
باجتهاد ممثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك وإذا كان هذا منوطا بنوع اجتهد دقيق لم يكن ذلك لأحد
الرعية . فان قلت : فليجزر السلطان زجر الناس عن المعاصي باتلاف أموالهم وتخريب دورهم التي فيها
يشربون ويسبون وإحراق أموالهم التي بها يتوصلون إلى المعاصي . فاعلم أن ذلك لو ورد الشرع به لم
يكن خارجا عن سنن الصالح ولكننا لا نتدع الصالح بل تتبع فربا وكسر ظروف المحر قد ثبت عند
شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم يزول بالعلو ويسود بمودها
وإنما جاز نزاله كمالا للامام بحكم الاتباع ومنعنا أحاد الرعية منه لئلا وجه الاجتهاد فيه بل قول لو أريق
المحجور أو اغلا بمحجوز كسر الأواني بعدها وإنما جاز كسرها تبعا للخمير فاذا خلت عنها فهو إتلاف مال إلا أن
تكون ضاربة بالمحرر لا تصلح إلا ما فكان الفعل للقول عن المصير الأول كان مقروبا بعينين : أحدهما
شدة الحاجة إلى الزجر والآخر تبعية الظروف للخمير التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لاسيلا
إلى حذفها ومعنى ثالث وهو صدوره عن رأى صاحب الأمر لعله بشدة الحاجة إلى الزجر وهو أيضا
مؤثر لاسيلا إلى إلغائه فهذه تصرفات دقيقة تصب في محتاج المحتسب لعمالة إلى معرفتها . الدرجة السادسة
التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا أو لأكرن رأسك أو لأضربن رقبتك أو لأمرن بك
وما أشبه وهذا ينبغي أن يقدم على تحقيق الضرب إذا أمكن تقديمه والأدب في هذه الرتبة أن لا يهدده
بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لأتهن دارك أو لأضربن ولدك أو لأسبين زوجتك وما يجري مجراه بل
ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام وإن قاله من غير عزم فهو كذب نعم إذا تعرض لوعيده بالضرب
والاستخفاف فله العزم عليه إلى حد معلوم يقتضيه الحال وله أن يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن
إذا علم أن ذلك يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المذمور بل بالبالغة في مثل ذلك معتادة وهو معنى
مبالغة الرجل في إصلاحه بين شخصين وتأليفه بين الضرتين وذلك مما قد رخص فيه الحاجة وهذا في معناه
فإن قصد به إصلاح ذلك الشخص وإلى هذا المعنى أشار بعض الناس أنه لا يقيح من الله أن يتوعد بما لا يفعل
لأن الخلف في الوعيد كرم وإنما يقيح أن يبدع بما لا يفعل وهذا غير مرضي عندنا فإن الكلام القديم
لا يتطرق إليه الخلف وعدا كان أو وعيدا وإنما يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك إذ الخلف في الوعيد
ليس بحرام . الدرجة السابعة : مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك
جائز للأحد بشرط الضرورة والاقصار على قدر الحاجة في الدفع فاذا اندفع المنكر فبني أن يكف
والقاضي قد يرهق من ثبت عليه الحق إلى الأداء بالحس فان أصر الهبوس وعلم القاضي قدرته

(١) حديث كسر الظروف التي فيها المحجور في زمنه صلى الله عليه وسلم الترمذي من حديث أبي
طلحة أنه قال : يا بني الله إنني اشتريت خرا لأيتام في حجرى قال أهرق المحر وأكر الدنان وفيه
يث بن أبي سليم والأصح رواية السدي عن يحيى بن عباد عن أنس أن أبا طلحة كان عندي
قاله الترمذي .

شخص أنه كوشف في
بعض خلواته بوله له
في جيحون كاد يسقط
في الماء من السفينة قال
فزجرته فلم يسقط
وكان هذا الشخص
بنوحي همدان وولده
يجيحون فلما قدم الولد
أخبر أنه كاد يسقط في
الماء فسمع صوت والده
فلم يسقط . وقال عمر
رضي الله عنه يسارية
الجيل على للبر بالمدينة
وسارية بنهاوند فأخذ
سارية نحو الجبل وظفر
بالعدو فقتل لسارية
كيف علمت ذلك فقال
صمت صوت عمرو هو
يقول يسارية الجبل .
سئل ابن سالم وكان قد
قال للإيمان أربعة
أركان ركن منه
الإيمان بالقدره وركن
منه الإيمان بالحكمة
وركن منه التبري من

على أداء الحق وكونه معانداً فله أن يلزمه الأداء بالضرب على التدريج كما يحتاج إليه وكذلك المحتسب برعى التدريج فإن احتاج إلى شهر سلاح وكان يقدر على دفع النكر شهر السلاح وبالجرح فله أن يتعاطى ذلك ما لم يترق فتنة كما لو قبض فاسق مثلاً على امرأة أو كان يضرب بمنزله معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له خلّ عنها أو لأزمنك فإن لم يخلّ عنها فله أن رمى وينبغي أن لا يقصد القتل بل الساق والعضد وما أشبهه ويراعى فيه التدريج وكذلك يسلب سيفه ويقول أترك هذا النكر أو لأزمنك فكل ذلك دفع للنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالأميين. وقالت المرأة لما يتعلق بالأميين فلا حصة فيه إلا بالكلام أو بالضرب ولكن للامام لالا حد. المرحلة الثامنة: أن لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه إلى أعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق أيضاً بأعوانه ويؤذى ذلك إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه إلى إذن الامام فقال قائلون لا يستقلّ أحاد الرعية بذلك لأنه يؤدي إلى تحريك الفتى وهيجان الفساد وخراب البلاد. وقال آخرون لا يحتاج إلى الإذن وهو الأقنيس لأنه إذا جاز للأحاد الأمر بالمعروف وأوائل درجاته نجر إلى ثوان والثوان إلى ثوالت وقد ينتهي لامحالة إلى التضارب والتضارب يدعو إلى التعاون فلا ينبغي أن يبالى بلوازم الأمر بالمعروف ومنتهاه تحجيد الجنود في رضا الله ودفع معاصيه ونحن نجوز للأحاد من التزاة أن يجتمعوا ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار فما لأهل الكفر فكذلك فتح أهل الفساد جائز لأن الكافر لا بأس بقتله والاسلم إن قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق الناشئ عن فسقه لا بأس بقتله والمحتسب الحق إن قتل مظلوماً فهو شهيد. وعلى الجملة فانهاء الأمر إلى هذا من التوادف في الحسبة فلا يغيره قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبفسه وبأعوانه فالمسئلة إذن محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها والله اللوفق .

(آداب المحتسب)

قد ذكرنا تفاصيل الآداب في أحاديث الدراجات ونذكر الآن جملة ما يصدرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب: العلم والورع وحسن الخلق . أما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه . والورع لبعده عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل يمله بل ربما يعلم أنه مسرف في الحسبة وزائد على الحد للأذون فيه شرعاً ولكن يجعله عليه عرض من الأغراض وليكن كلامه ووعظه مقبولا فإن الفاسق يهزأ به إذا احتسب ويورث ذلك جراءة عليه . وأما حسن الخلق فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأسماءه والعلم والورع لا يكفيان فيه فإن الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمع ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه هتم أو ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداءً لطالب الجاهل الاسم فهذه الصفات الثلاث بها تصبر الحسبة من القربات وبها تندفع النكرات وإن فقدت لم يندفع النكر بل ربما كانت الحسبة أيضاً منكراً لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رويقاً فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه قتيق فيما ينهى عنه (١) وهذا يدل على أنه لا يشترط

الحول والقوة وركن منه الاسمان بالله عز وجل في جميع الأعيان قيل له مامنى قولك الايمان بالقدرة قال هو أن تؤمن ولا تسكر أن يكون له عيب بالمشرق قائماً على بيته ويكون من كرامة الله له أن يعطيه من القوة ما ينقلب من بيته على يساره فيكون بالمغرب تؤمن بمجواز ذلك وكونه وحكى لى قدير أنه كان بمكة وأرجف على شخص يمداد أنه قد مات فكشفت الله بالرجل وهو راكب يمشى في سوق بغداد فأخبر إخوانه أن الشخص لم يموت وكان كذلك حتى ذكر لي هذا الشخص أنه في تلك الحالة التي كشف بالشخص راكباً قال

(١) حديث لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رويقاً فيما يأمر به رفيقاً فيما ينهى عنه الحديث

أن يكون قريبا مطلقا بل فيأمر به وبني عنه وكذا الحلم . ول الحسن البصري رحمه الله تعالى :
إذا كنت بمن يأمر بالمعروف فيكن من أخذ الناس به وإلا هلك . وقد قيل :

لا تلم للزم على نفسه وأنت منسوب إلى مثله

من ذم شيئا وآتى مثله فانما يزرى على عقه

رأيت في السوق وأنا
أسمع بأذى صوت
للطرفة من الحداد في
سوق بضاد وكل هذه
مواهب الله تعالى وقد
يكاشف بها قوم ونمطى
وقد يكون فوق هؤلاء
من لا يكون له شيء
من هذا لأن هذه كلها
تقوية اليقين ومن
منع صرف اليقين
لا حاجة له إلى شيء من
هذا فكل هذه
الكرامات دون
ما ذكرناه من تجوهر
الذكر في القلب
ووجوده ذكر الذات
فان تلك الحكمة فيها
تقوية للريدن وترية
للسالكين ليزدادوا
بها يقينا يجذبون به إلى
مراغمة النفوس
واللوغ عن ملاذ الدنيا
ويستنهض منهم
بذلك ما كن عزمهم

ولنا نفي بهذا أن الأمر بالمعروف يصير مغموما بالفسق ولكن يسقط أثره عن القلوب بظهور فسقه
للناس . قد روى عن أنس رضي الله عنه قال « قلنا يا رسول الله لا تأمر بالمعروف حتى نعمل به كله
ولانتهى عن النكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله
وانتهوا عن النكر وإن لم تجتنبوه كله » (١) وأوصى بعض السلف بنيه فقال إن أراد أحدكم أن
يأمر بالمعروف فيوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس
الأذى ، فاذن من آداب الحسبة توطین النفس على الصبر ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف
فقال حاكيا عن لقمان - يا بني أتم الصلاة وأمر بالمعروف واته عن النكر واصبر على ما أصابك - .
ومن الآداب تخليل العلاقات حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلاق حتى تزول عنه اللذات .
قد روى عن بعض الساج أن كان له سنور وكان يأخذ من ضباب في جواره كل يوم شيئا من
التند لسنوره فرأى على القصاب منكرا فدخل الدار أولا وأخرج السنور ثم جاء واحتسب على
القصاب فقال له القصاب لا أعطينك بعد هذا شيئا السنورك فقال ما احتدبت عليك إلا بعد إخراج
السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ومن طمع
في أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألستهم بالثناء عليه مطلقا لم تجسر له الحسبة . قال كعب
الأجبار لأبي مسلم الخولاني : كيف منزلتك بين قومك ؟ قال حسنة قال إن التوراة تقول : إن الرجل
إذا أمر بالمعروف ونهى عن النكر صامت منزله عند قومه فقال أبو مسلم : صدقت التوراة وكذب
أبو مسلم . وبطل على وجوب الرفق ما استدبل به للأمان إذ وعظه وأعظ وعنف له في القول فقال
يا رجل ارفق فقد بث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال تعالى - فولا
له قولا لنا لله يتذكر أو غنى - فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم . قد
روى أبو أمامة « أن غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله أتأذن لي في الزنا فصاح
الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم قربه اذن فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبي عليه الصلاة
والسلام أعجب لأمر ؟ فقال لا ، جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لأمرهم أعجب لأمرهم ؟ قال لا ،
جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم أعجب لأختك (٢) » وزاد ابن عوف حتى ذكر
العمة والحالة وهو يقول في كل واحد ، لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس
لا يحبونه ولا جميعا في حديثهما أغنى ابن عوف والراوى الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على صدره وقال « اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحسن فرجه » فلم يكن شيء أبغض إليه من يعني
من الزنا وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله : إن سفبان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل

لم أجده هكذا وللبهقي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من أمر معروف فليكن
أمره معروف (١) حديث أنس قلنا يا رسول الله لا تأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولانتهى عن النكر
حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانتهوا عن النكر وإن لم
تجتنبوه كله الطبراني في المعجم الصغير والأوسط وفيه عبد القدوس بن حبيب أجمعا على تركه .
(٢) حديث أبي أمامة أن شابا قال يا رسول الله أتأذن لي في الزنا فصاح الناس به الحديث رواه أحمد بإسناد جيد

ما أخذ منهم إلا دون حقه ثم خلاه وعذله ووجعه فقال سفيان يا أبا علي إن لم تكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين . وقال حماد بن سلمة : إن صلة بن أشيم مرّ عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال دعوني أنا أكفيكم قال يا ابن أخي إن إلى إلك حاجة قال وما حاجتك يا عم ؟ قال أحب أن ترفع من إزارك فقال نعم وكرامة فرفع إزاره فقال لأصحابه لو أخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم . وقال محمد بن زكريا التلاني : شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله وإذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستنات فاجتمع الناس يشربونه فظفر إليه ابن عائشة فصره فقال للناس تنحوا عن ابن أخي ثم قال لي يا ابن أخي فاستحي الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه ثم قال له امض معي فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمائه بيته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به فذا أفاق ذكر له ماجرى فاستجابه منه وبكى وهمّ بالانصراف فقال الغلام قد أمر أن تأتيه فأدخله عليه فقال له أما استحييت لنفسك أما استحييت لشرّك أما ترى من ولدك ؟ فأتى الله واتزع عما أنت فيه فبكي الغلام منكسرا رأسه ثم رفع رأسه وقال عاهدت الله تعالى عهدا يسألني عنه يوم القيامة أتى لأعود للشرب واللبث مما كنت فيه وأنا نائب قال ادن مني قبل رأسه وقال أحسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلومه ويكذب عنه الحديث وكان ذلك يركبه رقبته ثم قال : إن الناس يأمرسون بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكرا فليكم بالرفق في جميع أموركم فتألون به ما تطلبون . وعن الفتح بن شخرف قال : تعلق رجل بامرأة وتقرّض لها ويده سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره وكان الرجل شديد البذل بين الناس كذلك وللراة نصيب في يده إذ مر بشر بن الحرث فدنا منه وحكّ كفه بكف الرجل فوقع الرجل على الأرض ومشي بشر فدنا من الرجل وهو يترشح عرقا كثيرا ومضت للراة لحالها فسألوه ما حالك ؟ قال ما أدرى ولكن حاكني شيخ وقال لي إن الله عز وجل ناظر إليك وإلى ما تعمل فضعفت لقوله قدماني وهبت هبة شديدة ولا أدرى من ذلك الرجل ؟ فقالوا له هو بشر بن الحرث فقال واسأناه كيف ينظر إلى بعد اليوم وحّم الرجل من يومه ومات يوم السابع ، فهكذا كانت عادة أهل الدين في الحسبة وقد قلنا فيها أخبارا وأخبارا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصبغة فلا نطوّل بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات الحسبة وآدابها والله الوفاق بكرمه والحمد لله على جميع نعمه .

(الباب الثالث في النكرات للألوفة في العادات)

فتشير إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها إذا لمطمع في حصرها واستقصائها . فمن ذلك :

(منكرات للساجد)

اعلم أنّ النكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة فإذا قلنا هذا منكروه فاعلم أنّ النع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بجرام إلا إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه فيجب ذكره له لأنّ الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه إلى من لا يعرفه وإذا قلنا منكرا محظورا قلنا منكرا مطلقا فترد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا . فما يشاهد كثيرا في الساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة في الركوع والسجود وهو منكرا مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب النهي عنه إلا عند الحنفى الذي يعتقد أنّ ذلك لا يمنع صحة الصلاة إلا يرفع النهي عنه ومن رأى ميثاقا في صلاته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد به الأثر وفي الخبر ما يدلّ عليه إذ ورد في الصحيح أنّ السمع شريك القائل (١)

رجاله رجال الصالحين . (الباب الثالث في النكرات للألوفة)

(١) حدث الثقات والسمع شريكان في الإثم تقدّم في الصوم .

لصارتهم الأوقات
بالقربات فيترجون
بذلك وبروقون لطرية
من كوشف بصرف
اليقين من ذلك المكان
أن نفسه أسرع إجابة
وأسهل امتدادا وأتم
استعدادا والأولون
استلبن بذلك منهم
ما استوعروا واستكشف
منهم ما ستر وقد لا يمنع
صور ذلك الرهاين
والبراهمة من هو غير
منهج سبل الهدى
وراكب طريق الردى
ليكون ذلك في حقهم
مكرا واستدراجا
ليستحسنوا حالهم
ويستقروا في مقام
الطرد والبعد إبقاء لهم
فيما أراد الله منهم من
الصلى والضلال والردى
والويل حق لا يستر
السالك يسير شيء
يفتح له ويعلم أنه

وكذلك كل ما قدح في صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها أو انحراف عن القبلة بسبب ظلام أو غمي فكل ذلك نجس الحسبة فيه . ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح فان كان المتكلم في السجدة يتبع أكثر أوقاته في أمثال ذلك ويستغل به عن التطوع والله ذكر فليستغل به فان هذا أفضل له من ذكره وتطوعه لأن هذا فرض وهي قرينة تعدى فائدتها فهي أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها وإن كان ذلك ينم عن الوراقة مثلا أو عن الكسب القوي هو طمعت فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجزله ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وإن احتاج إلى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لجزءه والذي يكثر اللحن في القرآن إن كان قادرا على التعلم فليمتنع من القراءة قبل التعلم فإنه عاص به وإن كان لا يطاوعه اللسان فان كان أكثر ما يقرؤه لحنا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها وإن كان الأكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا بأس له أن يقرأ ولكن ينبغي أن يخفف به الصوت حتى لا يسمع غيره ولمنه سرا منه أيضا وجه ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها فلست أرى به بأسا والله أعلم . ومنها ترسل المؤذنين في الأذان وتطويلهم بعد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الجملتين وأنفراد كل واحد منهم بأذان ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريضها فان صدرت عن معرفة فيستحب للتع منها والحسبة فيها وكذلك إذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي أن يمنع من الأذان بعد الصبح فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعمل على أذانه في صلاة وترك سجود أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح . ومن المكروهات أيضا تكثير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر في مسجد واحد في أوقات متعاقبة متقاربة إما من واحد أو جماعة فإنه لا فائدة فيه إذ لم يبق في المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن السجدة حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف . ومنها أن يكون الخطيب لا يلبس ثوب أسود يخلط عليه الإبريس أو ممسكا سيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب وأما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البياض ومن قال إنه مكروه وبدعة أراد به أنه لم يكن معهودا في العصر الأول ولكن إذا لم يرد فيه نهى فلا يفتنى أن يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للأحب . ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة فالتقاص إن كان يكذب في أخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذا الواعظ للبتع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه لإطاع قصد إظهار الرد عليه إما لكافة إن قدر عليه أو لبعض الحاضرين حوالية فان لم يقدر فلا يجوز صياح البدعة قال الله تعالى لبيبة - فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره - ومهما كان كلامه مائلا إلى الأرجاء وتجرئة الناس على العاصي ، وكان الناس يزادون بكلامه جراءة وبعفو الله وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجائهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه عنه لأن فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فاتهم إلى الخوف أحوج وإنما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحدا لحفت أن أكون أنا ذلك الرجل ومهما كان الواعظ شامرا من الناس في ثيابه وهيئته كثير الأضمار والإشارات والحركات وقد حضرت مجلسه النساء فهذا منكر يجب للتع منه فان الفساد فيه أكثر من الصلاح ويتبين ذلك منه برائن أحواله

لو منى على الله
والهواء لا ينفع ذلك
حتى يؤدي حق التقوى
والزهد فأما من تقوى
بخيال أوقع بمحال ولم
يحكم أساس خلوته
بالاخلاص يدخل
الحلوة بالزور ويدخل
بالرور فيرفض
العبادات ويستحقها
وبسبب الله تعالى
لذة للعامة وتنهب
عن قلبه هبة
الشريعة ويفتضح في
الدنيا والآخرة فليعلم
الصالح أن القصد
من الحلوة التقرب إلى
الله تعالى بصارة
الأوقات وكف الجوارح
عن المكروهات
فيصلح لقوم من
أرباب الحلوة إدامة
الأوراد وتوزيعها على
الأوقات ويصلح لقوم
ملازمة ذكر واحد

بل ينبغي أن يسلم الوعظ إلا لمن ظاهره الورع وهيبته السكينة والوقار وزيه زى الصالحين وإلا فلا يزاد الناس به إلا تماديا في الضلال ويجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فإن ذلك أيضا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور الساجد للصلوات ومجالس الذكر إذا خيفت الفتنة بين قديميها وعاشرة رضى الله عنها قبل لها : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعه من الجماعات قالت لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث من بعده لممنه (١) وأما اجتناب المرأة في السجدة المستمرة فلا تمنع منه إلا أن الأولى أن لا تتخذ السجدة مجازا أصلا وقراءة القرآن بين يدي الوعاظ مع التقيد والألحان على وجه يغير نظم القرآن ويجاوز حد التنزيل منكر مكروه شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف . ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الأدوية والأطعمة والتوبيذات وقيام السؤال وقراءتهم القرآن وإنشادهم الأعمار وما يجري مجراه فهذه الأشياء منها ما هو محرم لكونه تلبسا وكذا كالكذابين من طريقة الأطباء وأهل الشبهة والتلبسات وكذا أبواب التوبيذات في الأغلب يتوصلون إلى يها تلبسات على الصبيان والسوداء فهذا حرام في المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبس وإخفاء عيب على المشتري فهو حرام . ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الأدوية والكتب والأطعمة فهذا في المسجد أيضا لا يحرم إلا بمرض وهو أن يضيق الحلق على الصلبيين ويشوش عليهم صلاتهم فإن لم يكن شيء من ذلك فليس يحرم والأولى تركه ولكن شرط إباحته أن يجري في أوقات نادرة وأيام معدودة فإن اتخذ المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن الباحات ما يباح بشرط القلة فإن كثرت صار صغيرة كما أن من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار فإن كان القليل من هذا لوقع بابه لحلف منه أن ينجر إلى الكبير فليمنع منه وليكن النع إلى الوالي أو إلى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالي لأنه لا يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للأحد النع مما هو مباح في نفسه لحوفه أن ذلك يكثر . ومنها دخول المجانين والصبيان والسكران في المسجد ولا بأس بدخول الصبي للمسجد إذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب في المسجد ولا السكوت على لعبه إلا إذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتادا فيجب المنع منه فهذا مما يحل قلبه دون كثيره ، ودليل حل قلبه ما روى في الصحيحين « أن رسول الله ﷺ وقف لأجل عائشة ترضى الله عنها حتى نظرت إلى الحبيشة يزفون ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد في المسجد » ولا شك في أن الحبيشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكر حتى نظر إليه بل أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم تبصرهم عائشة تطيبها لقلبها إذا قال « دونكم يا بني أرودة » كما نقلناه في كتاب السماع . وأما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد إلا أن يغشى ثوبهم له أو شتمهم أو نطقهم بما هو لغش أو تعاطيهم لما هو منكر في صورته ككشف العورة وغيره . وأما المجنون الهادي الساكن الذي قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب إخراجه من المسجد والسكران في معنى المجنون فإن خيف منه القذف أعنى التي أو الابتداء بالفسان وجب إخراجه وكذا لو كان مضطرب العقل فإنه يخاف ذلك منه وإن كان قد شرب ولم يسكر والرأفة منه ففوح فهو منكر مكروه شديد الكراهة وكيف لا ، ومن أكل الثوم والبصل (٢) فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور الساجد ولكن يحمل ذلك على الكراهة والأمر في الجرائد . فإن قال قائل ينبغي أن يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا . قلنا لا ، بل ينبغي أن يلزم القعود في المسجد ويدعى إليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلا

ويصلح قوم دوام لمرافقة ويصلح قوم الانتقال من الذكر إلى الأوراد وقوم الانتقال من الأوراد إلى الذكر ومعرفة مقادير ذلك يصلح للصالحين للشيخ للطالع على اختلاف الأوضاع وتوعها مع نصحه للأمة وخفتة على الكافة يريد للريد لله لأنفسه غير مبتلى يسوى نفسه عما لا يستتبع ومن كان عبدا للاستتباع فما يفسده مثل هذا أكثر مما يصلحه .

باب الثامن

والشرب في كيفية المدخول في الأربنية (١) روى أن داود عليه السلام ابتلى بالخطيئة خرقه ساجدا أربعين يوما وله حتى أتاه

(١) حديث عائشة لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث أي النساء من بعده لممنه الساجد مثق عليه (٢) هذا الحديث لم يخرج في العراق وقد خرجه الشارح عن البخاري ومسلم وغيرها .

فأما ضربه للزجر فليس ذلك إلى الأحاد بل هو إلى الولاة وذلك عند إقراره أو شهادته شاهدين فأما لجرد الراحة فلا ، نعم إذا كان يعنى بين الناس متايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد معناه عن إظهار أثر السكر فإن إظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فإن كان مستترا محضاً لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه والراحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس في موضع الحروب ووصوله إلى الفم دون الابتلاع فلا ينبغي أن يبول عليه .

(منكرات الأسواق)

من المنكرات المعتادة في الأسواق الكذب في الرابحة وإخفاء الميب فمن قال اشترت هذه السلعة مثلاً بشرة وأربع فيها كذا وكان كاذباً فهو فاسق وعلى من عرف ذلك أن يخبر المشتري بكذبه فإن سكنت مراعاة لقب البائع كان شريكاً له في الحياثة وعصى بسكوته وكذا إذا علم به عيا فيلزمه أن يئنه المشتري عليه وإلا كان راضياً بضياع مال أخيه للسم وهو حرام وكذا التفاوت في القراع والكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رفعه إلى الوالي حتى يغيره . ومنها ترك الإيجاب والقبول والاكتفاء بالمعاطة ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فإنها مفسدة للمقود وكذا في الرويات كلها وهي غالية وكذا سائر التصرفات الفاسدة . ومنها بيع للالهى وبيع أشكال الحيوانات الصورة في أيام العيد لأجل الصبيان فذلك يجب كسرها والنعم من بيعها كاللهى وكذلك بيع الأواني المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلائد الذهب والحرير أعنى التي لا تصلح إلا للرجال أو يعلم بعادة البلد أنه لا يليسه إلا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك من ينادي ببيع الثياب المتخذة للصورة التي يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها ويزعم أنها جديدة فهذا الفعل حرام وللعن منه واجب وكذلك تلبس اغراق الثياب بالرغو وما يؤدي إلى الالتباس وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية إلى التلبس وت ذلك يطول إحصاؤه . فليقتض بما ذكرناه ما لم نذكره .

(منكرات الشوارع)

فمن المنكرات المعتادة فيها وضع الاسطوانات وبناء الدكاك المتصلة بالأبنية الملوكة وغرس الأشجار وإخراج الرواشن والأجنحة ووضع الحشيش وأعمال الحبوب والأطعمة على الطرق فكل ذلك منكر إن كان يؤدي إلى تضيق الطرق واستضرار للارة وإن لم يؤدي إلى ضرر أصلاً لسمعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب وأعمال الأطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل إلى البيوت فإن ذلك يشترك في الحاجة إليه السكافة ولا يمكن المنع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق وينجس المجازين منكر يجب المنع منه إلا بقدر حاجة النزول والركوب وهذا لأن الشوارع مشتركة النفعة وليس لأحد أن يختص بها إلا بقدر الحاجة والرعى هو الحاجة التي تتراد الشوارع لأجلها في العادة دون سائر الحاجات . ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمرق ثياب الناس فذلك منكر إن أمكن شدّها وضمها بحيث لا تمرق أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع وإلا فلا منع إذ حاجة أهل البلد إلى ذلك نعم لا تترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر ممة النقل ، وكذلك تحميل الدواب من الأحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع المالك منه . وكذلك ذبح النصاب إذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت وبلوث الطريق بالم فانه منكر يمنع منه بل حقه أن يتخذ في مكانه مذبحاً فإن في ذلك تضيقاً بالطريق وإضراراً بالناس بسبب ترشيش النجاسة وبسبب استفادار الطباع للقاذورات وكذلك طرح القمامة

الغفران من ربه وقد
تقرر أن الوحدة
والعزلة ملاك الأمر
ومتتمك أرباب
الصدق فمن استمرت
أوقاته على ذلك فجميع
عمره خلوة وهو الأسلم
لدينه فإن لم يتيسره
ذلك وكان مبتلى
بنفسه أولاً ثم بالأهل
والأولاد ثانياً فليصل
لنفسه من ذلك نصيباً .
قل عن سفيان
الثوري فيأمرى أحمد
ابن حنبل عن خالد بن
زيد عنه أنه قال كان
يقال ما أخلص عبده
أربعين صباحاً إلا أنبت
الله سبحانه الحكمة
في قلبه وزهده الله
في الدنيا وورعه
في الآخرة وبصره داء
الدنيا ودواءها في تعاهده
العبد نفسه في كل سنة

على جواد الطريق وتبدد بشور البطيخ . ورش الماء بحيث يخفى منه التراقي والتثر كل ذلك من المنكرات وكذلك إرسال الماء من اليازيب المخرجة من الحائط في الطريق الضيقة فان ذلك ينجس الثياب أو يضيئ الطريق فلا يمنع منه في الطرق الواسعة إذا العدول عنه ممكن فأما ترك مياه المطر والأوحال والتلوج في الطرق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين إلا التلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق وإن كان من المطر فذلك حصة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للأحاديث إلا الوعظ فقط وكذلك إذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذى الناس فجب منه منه وإن كان لا يؤذى إلا بتجنيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وإن كان يضيئ الطريق ببسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من أن ينالم على الطريق أو يفتقد موقدا يضيئ الطريق فكليه أولى بالمنع .

(منكرات الحمامات)

منها الصور التي تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب إزالتها على كل من يدخلها إن قدر فان كان الموضع مرتفعاً لا تصل إليه يده فلا يجوز له الدخول إلا لضرورة فيلعدل إلى حمام آخر فان مشاهدة المنكر غير جائزة وبكفيه أن يشوه وجهها ويصل به صورتها ولا يمنع من صور الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان . ومنها كشف العورات والنظر إليها ومن جملتها كشف الدلائك عن القخذ وما تحت السرة لتحية الوسخ بل من جملتها ادخال اليد تحت الإزار فان مس عورة الغير حرام كالنظر إليها . ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلائك لتعظيم الأفعاذ والأعجاز فهذا مكروه إن كان مع حائل ولكن لا يكون محظوراً إذ لم يخش من حركة الشهوة وكذلك كشف العورة للحجام القمى من الفواحش فان المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدنهما للذمية في الحمام فكيف يجوز لها كشف العورات للرجال . ومنها غمس اليد والأواني النجسة في المياه القليلة وغسل الإزار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء إلا على مذهب مالك فلا يجوز الإنكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وإن اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالك من ذلك إلا بطريق الالتماس واللطف وهو أن يذله لولاه أن يحتاج أن تسلم اليد أولاً ثم تقسمها في الماء . وأما أنت فمستغن عن إيذاء وتفويت الطهارة على وما يجري مجرى هذا فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقرهر . ومنها أن يكون في مداخل بيوت الحمام ومجارى مياهها حجارة ملساء مزقة يترلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلعه وإزالته وينكر على الحمامي إهماله فانه يفضي إلى السقطة وقد تؤدي السقطة إلى انكسار عضو أو اغتلاعه وكذلك ترك الصدر والصابون الزلق على أرض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين القى تركه وبين الحمامي إذحقه تنظيف الحمام والوجه بإجباب الضمان على تاركه في اليوم الأول وعلى الحمامي في اليوم الثاني إذعاده تنظيف الحمام كل يوم معتادة والرجوع في مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات فليمتثل بها وفي الحمام أمور أخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فلنتطرق هناك .

(منكرات الضيافة)

فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور في محبرة فضة أو ذهب أو الشراب أو استعمال ماء الورد في أواني الفضة أو ما رؤوسها من فضة . ومنها إسدال الستور وعليها الصور . ومنها صماح الأوتار أو صماح القينات . ومنها اجتنب النساء على السطوح للنظر إلى الرجال مهما كان في الرجال

مرة وأما للربيد الطالب إذا أراد أن يدخل الحافلة فأكل الأمر في ذلك أن يتجرد من الدنيا ويخرج كل ما يمكنه ويفضل غسلا كاملا بعد الاحتياط للتوب وللصلى بالنظافة والطهارة وصلّى الركنين ويؤب إلى الله تعالى من ذنوبه يكاه وتضرع وامتنانة وتغتمع ويسوى بين السريرة العلانية ولا ينطوى على غل وغش وحقد وحسد وخيانة ثم يصدق موضع خلوته ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة وصلاة الجماعة فترك المحافظة على صلاة الجماعة غلط وخطأ فان وجد تفرقة في خروجه يكون له شخص يصلى معه جماعة

شباب يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكراً يجب تغييره ومن يحجز عن تغييره لزمه الخروج ومن لم يحجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات وأما الصور التي على الخارق والزراقي الفروشة فليس منكراً وكذلك على الأطباق والقصاص لا الأواني المتخذة على شكل الصور قد تكون رؤوس بعض الجاهل على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي المسكحة الصغيرة من الفضة خلاف وقد خرج أحمد بن حنبل عن الضيافة بسبها ومهما كان الطعام حراماً أو كان الموضع منصوباً أو كانت الثياب الفروشة حراماً فهو من أشد المنكرات فإن كان فيها من يتطاول شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور إذ لا محل حضور مجالس الشرب وإن كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرته للفسق وإنما النظر في مجالسته بعد ذلك وأنه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله وكذلك إن كان فيه من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فإن كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح أن ذلك منكراً ويجب نزع عنه إن كان مميزاً لصوم قوله عليه السلام «هذان حرام على ذكور أمي»^(١) وكما يجب منع الصبي من شراب الخمر لا لكونه مكلفاً ولكن لأنه يأسى به فإذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة الزين بالحرير تدلب عليه إذا اعتاده فيكون ذلك بذراً للفساد يندر في صدره فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يصير قلبها بعد البلوغ أما الصبي القليل لا يميز فيصنف معنى التحريم في حقه ولا يخلو عن احتمال والعلم عند الله فيه والمجنون في معنى الصبي القليل لا يميز نعم يحل الزين بالذهب والحرير للنساء من غير إسراف ولا أرى رخصة في تنقيب أذن الصبية لأجل تعليق حلق الذهب فيها فإن هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز إلا الحاجة مهيجة كالقصد والحجامة والحان والزين بالخلق غير مهم بل في التقريرط بتعليقه على الأذن وفي الخاق والأسورة كفاية عنه فهذا وإن كان معتاداً فهو حرام والنفع منه واجب والاستئجار عليه غير صحيح والأجرة للأخوة عليه حرام إلا أن ثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يلبسنا إلى الآن فيه رخصة . ومنها أن يكون في الضيافة متبذع يتكلم في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فإن كان لا يقدر عليه لم يحجز فإن كان للتبذع لا يتكلم بدعته فيجوز الحضور مع إظهار الكراهة عليه والإعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وإن كان فيها مضحك بالحكايات وأنواع النوادر فإن كان يضحك بالفحش والكذب لم يحجز الحضور وعند الحضور يجب الانكثار عليه وإن كان ذلك مزحج لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح أعني ما قبل منه فأما اتخاذ منعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يخصصه التلبس فليس من جملة المنكرات كقول الإنسان مثلاً طليت اليوم مائة مرة وأعدت عليك الكلام ألف مرة وما يجري مجراه مما يعلم أنه ليس بقصد التحقيق فذلك لا يندرج في العدالة ولتردد الشهادة به وسيأتي حد المزاح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربح المهلكات . ومنها الإسراف في الطعام والبناء فهو منكراً بل في المال منكران : أحدهما الإضاعة والآخر الإسراف فالإضاعة تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كحرق الثوب وتزريقه وهدم البناء من غير غرض وإلقاء المال في البحر وفي معناه صرف المال إلى النائفة والمطرب وفي أنواع القصد لأنها فوائد محرمة شرعاً فصارت كالمدومة وأما الإسراف فقد يطلق لإرادة صرف المال إلى النائفة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف إلى الباحات في جنسها ولكن مع المباينة والمباينة تختلف بالاضافة إلى الأحوال فتقول لمن لم يملك إلا مائة دينار مثلاً ومنه عياله وأولاده

(١) حديث هذان حرامان على ذكور أمي أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث على وقد تقدم في الباب الرابع من آداب الأكل .

في خلوة ولا يفتني أن يرضى بالصلاة منفرداً ألبتة فترك الجماعة يخشى عليه آفات وقد رأينا من يتشوش عقله في خلوته ولعل ذلك بشؤم إصراره على ترك صلاة الجماعة غير أنه ينبغي أن يخرج من خلوته لصلاة الجماعة وهو ذكر لا يفتر عن الذكر ولا يكثر إرسال الطرف إلى ما يرى ولا يسنى إلى ما يسمع لأن القسوة الحافظة وللتنحية كلوح ينقش بكل مرئ ومسموع فيكثر بذلك الوسواس وحديث النفس والخيال ويحتمل أن يحضر الجماعة بحيث يدرك مع الامام تكبيرة الاحرام فإذا سلم الامام وانصرف ينصرف إلى خلوة يتوحيث في خروجه

ولا مبيتة لهم سواء فأنفق الجميع في ولاية فهو مسرف يجب منه منهة قال تعالى - ولا تبسطها كل البسط فتعند ملوما محسورا - نزل هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطول بالنفقة فلم يقدر على شيء وقال تعالى - ولا تبذر تبذرا إن للبذرين كانوا إخوان الشياطين - وكذلك قال عز وجل - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا - فمن يسرف هذا الاسراف يشكر عليه ويجب على القاضي أن يحجر عليه إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل صادقة فله أن ينفق جميع ماله في أبواب البر ومن له عيال أو كان عاجزا عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف جميع ماله إلى نقوش حيطائه وتزيين بيانه فهو أيضا إسراف محرم وفصل ذلك ممن له مال كثير ليس يحرم لأن التزين من الأغراض الصحيحة ولم نزل الماحد تزين وتنشش أبوابها وسقوفها مع أن تنش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة فكذا الدور وكذلك القول في التجميل بالثياب والأطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير إسرافا باعتبار حال الرجل وروثه وأمثال هذه الشكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذه الشكرات الجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الأسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه أو محذور . واستقصاء جميع الشكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها .

(الشكرات العامة)

اعلم أن كل قاعد في بيته أينما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد كيف في القرى والبادي ومنهم الأعراب والأكراد والتركاكية وسائر أصناف الخلق وواجب أن يكون في كل مسجد ومحلة من البلد قهيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب على كل قهيه فرغ من فرض عبه وتفرغ لقرض الكفاية أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل السواد ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرها مفسوب فإن قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين وإلا نعم الحرج السكاة أجمعين أما العالم فلتقتصر في الخروج وأما الجاهل فلتقتصر في ترك التعلم وكل عالم عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره وإلا فهو شريك في الآثم ومعلوم أن الإنسان لا يولد عالما بالشرع وإنما يجب التبليغ على أهل العلم فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها ولعمري الآثم على الفقهاء أشد لأن قدرتهم فيه أظهر وهو بصانعتهم أليق ، لأن المترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعاش فهم قد تقلدوا أمرا لا بد منه في صلاح الخلق وشأن الفقيه وحرقة تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن العلماء هم ورثة الأنبياء وليس للإنسان أن يقعد في بيته ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي وكذا بكل من يقن أن في السوق منكر ما يجري على الدوام أو في وقت عبته وهو قادر على تغييره فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالعود في البيت بل يلزمه الخروج فإن كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البض لزمه الخروج لأن حروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدته ما لا يقدر عليه وإنما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير عرض صحيح حتى على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك أهل بيته ثم تعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ثم إلى أهل محله ثم إلى أهل بلده ثم إلى أهل السواد المكتنف ببلده ثم إلى أهل البوادي من الأكراد والعرب وغيرهم وهكذا إلى أقصى العالم فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد وإلا خرج به على كل قادر عليه قريبا

استجداء نظر الخلق إليه وعلمهم بحلوسه في خلوته فقد قيل لا تطعم في الزلة عند الله وأنت تريد للزلة عند الناس وهذا أصل يهتد به كثير من الأعمال إذا أهمل وينصحب به كثير من الأحوال إذا اعتبر ويكون في خلوته جاعلا وقته شيئا واحدا موهوبا لله بادامة عمل الرضا بما تلاوة أو ذكر أو صلاة أو مراقبة وأى وقت فتر عن هذه الأنعام ينال فإن أراد تعيين أعداد من الركعات ومن التلاوة والذكر آتى بذلك شيئا فشيئا وإن أراد أن يكون بحكم الوقت يستند أخف ما على قلبه من هذه الأقسام فإذا فرغ من ذلك ينال وإن

كان أو بعيداً ولا يسقط الحجاج ما دام يبق على وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسمى إليه بنفسه أو بغيره فيقطعه فرضه وهذا مثل شاغل لمن به أمر دينه يشغله عن تجزئة الأوقات في التفريجات النادرة والنسج في دقائق الصلوات التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه .

(الباب الرابع في أمر الأمراء والصلوات بالمعروف ونهيهم عن المنكر)

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأن أوله التعرض وتأتيه الوعظ وتأتيه التخصيص في القول ورأيه اللبس بالهجر في الحل على الحق بالفرق والقوة والجأز من جملة ذلك جمع الصلوات بين الأركان وما التعريف والوعظ وأما اللبس بالهجر فليس ذلك لأحد الرعية مع السلطان فإن ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتوهم منه من المذخور أكثر ، وأما التخصيص في القول كقوله : يا ظالمين لا تخاف الله وما يجري مجراه فذلك إن كان مجرماً فتنه يتعدى شرها إلى غيره لم يجز وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه فقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصرع بالإنكار من غير مبالاة بهلاك اللبنة والتعرض لأنواع العذاب لطمعهم بأن ذلك شهادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى يمامة فأمره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك ^(١) » وقال ^(٢) : « أفضل الجهاد كفة حق عند سلطان جائر ^(٣) » ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال « قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركت قوله الحق ماله من صديق ^(٤) » ولما علم الصليبيون في اليمن أن أفضل الكلام كفة حق عند سلطان جائر وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد كما وردت به الأخبار قدموا على ذلك موثقين أنفسهم على الملائكة وعملين أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى ومعتبين لما ينزلونه من مهجهم عند الله وطريق وعظ الصلوات وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما هل علماء السلف . وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على الصلوات في كتاب الحلال والحرام وتقتصر الآن على كتابات تعرف وجه الوعظ وكيفية الإنكار عليهم . فلما ماروي من إنكار أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أكر قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء وذلك ماروي عن عروة رضي الله عنه قال « قلت لبيد الله بن عمرو ما رأيته قريشاً نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل منه أحلامنا وشمت آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا وقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا فيبيناهم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً بالبيت فها هم بهم غمزوه ببعض القول

(الباب الرابع في أمر الأمراء والصلوات بالمعروف ونهيهم عن المنكر)

(١) حديث خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى رجل فأمره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وتقدم في الباب قبله (٢) حديث أفضل الجهاد كفة حق عند سلطان جائر تقدم (٣) حديث وصفه صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب بأنه قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم تركه الحق ماله من صديق الترمذي بسند ضعيف مقتصر على آخر الحديث من حديث على رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صديق وأما أول الحديث فرواه الطبراني إن عمر قال لكعب الأخبار كيف تجد نقي ، قال أجد نعتك قرناً من حديد قال وما قرن من حديد قال أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم .

قال فمرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فمرفت ذلك في وجهه عليه السلام ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال أنسمعون يا معشر قريش : أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالفتح قال فاطرق القوم حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع حتى إن أشدتم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليول انصرف يا أبا القاسم راهدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الند اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكروا ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بدأكم بما تكرهون تركموا فبيناهم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا أنت الذي تقول كذا لما كان قد بلغهم من عيب آلهم ودينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا الذي أقول ذلك قال فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بجماع رداءه قال وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه ودونه يقول وهو يكي ويلكم أقتلون رجلا أن يقول ربي الله قال ثم انصرفوا عنه وإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه ^(١) وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عتبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فغفقه خفا هديدا لحاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ^(٢) » وروى أن معاوية رضي الله عنه حبس الطاء فقام إليه أبو مسلم الحولاني فقال له يا معاوية إنه ليس من كدك ولا من كد أيك ولا من كدامك قال فغضب معاوية وزل عن التبر وقال لهم مكانكم ، وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال إن أباسم كفى بكلام أغضبي وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل ^(٣) » وإني دخلت فاعتسلت وصدق أبو مسلم أنه ليس من كدتي ولا من كد أبي فلهوا إلى عطاشكم . وروى عن ضبة بن محسن العزري قال كان علينا أبو موسى الأشعري أميرا بالبصرة فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وأنشأ يدعو لعمر رضي الله عنه قال فضاظي ذلك منه فقلت له إلى فقلت له إن أنت من صاحبه فضله عليه فصنع ذلك فجمعنا ثم كتب إلى عمر يشكوني يقول إن ضبة بن محسن العزري يترضى لي خطيبي فكتب إلي عمر أن أخصه إلى قال فأخصني إليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج إلى فقال من أنت فقلت أنا ضبة فقال لي لا مرحبا ولا أهلا قلت أما الريح فنن الله وأما الأهل فلا أهل لي ولا مال فبأذا استحللت يا معمر إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنته ولا شيء أئنته فقال ما الذي شجر بينك وبين عاملي قال قلت الآن أخبرك به إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فضاظي ذلك منه فقلت له إلى فقلت له إن أنت من صاحبه فضله عليه فصنع ذلك فجمعنا ثم كتب إليك يشكوني قال فاندفع عمر رضي الله عنه باكيا وهو يقول أنت والله أوفق منه وأرشد فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر لك الله قال قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين قال

والخولة فالأولى أن
يقتنع بالحزب واللع
ويقتول كل ليقرطلا
واحدا بالبدادي
يقتاوله بسند العشاء
الأخرة وإن قسمه
نصفين يأكل أول
الليل نصف رطل وآخر
الليل نصف رطل فيكون
ذلك أخف للمعدة
وأعون على قيام الليل
وإحيائه بالذكر
والصلاة وإن أراد
تأخير فطوره إلى
السحر فليفعل وإن
لم يصبر على ترك الآدم
يقتاول الآدم وإن
كان الإدام شيئا يقوم
مقام الحزب ينقص من
الحزب بقدر ذلك وإن
أراد القتل من هذا
القدر أيضا ينقص كل
ليلة دون الأكمة بحيث
يتبقى لله في الشر
الأخير من الأربعين

(١) حديث غروة قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته الحديث بطوله البخاري مختصرا وابن جبان بتمامه (٢) حديث عبد الله بن عمرو بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عتبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه البخاري (٣) حديث معاوية الغضب من الشيطان الحديث وفي أوله قصة أبو نعيم في الحلية وفيه من لا أعرفه .

ثم اندفع باكياً وهو يقول والله ليلية من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليته ويومه قلت نعم قال أما ليلية فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فقتبه أبو بكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا أبا بكر ما أعرف هذا من أهلك فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا أتمن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليته على أطراف أصابعه حتى خفيت فها رأى أبو بكر أنها قد خفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم النار فأزله ، ثم قال والذي بئتك بالحق لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزلني قبلك قال فدخل فلم يرفه عيشا فعمله فأدخله وكان في النار خرق فيه حيلت وأفاع فألقه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه وجلسن يضربن أبا بكر في قدمه وجعلت دموعه تتحد على خديه من ألم ما يجد ورسول الله ﷺ يقول يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا فأزل الله سكينته عليه والطمأنينة لأبي بكر ففذه ليلته ، وأما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب قتال بعضهم بعضا ولا تركي فأنيت لا آلوه نصحا فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وأرفق بهم فقال لي أجباب في الجاهلية خوار في الإسلام فبماذا أتألفهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوآله لومنون عقلا كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلتهم عليه قال قاتلنا عليه فكان والله رشيد الأمر فهذا يومه ثم كتب إلى أبي موسى بولومه ^(١) . وعن الأصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجة في خلافة فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهد بالمعاهدة واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله في أهل الثغور فاتهم حصن المسلمين وتقعد أمور المسلمين فانك وحدك الشول عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له أجل أفضل ثم من وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد إن غاستنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال مالي إلى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك : هذا أويك الشرف . وقد روى أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فإذا مر بك رجل فأدخله على ليحدثني فوقف الحاجب على الباب مدة ثم ربه عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ أدخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك فأدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه وقال له ويلك أمرتك أن تدخلني إلى رجل يحدثني ويسامرن فأدخلتني إلى رجلا لم يرش أن يسمى بالاسم الذي اختاره لي الله فقال له حاجبه ما مر بي

(١) حديث ضبة بن محسن كان علينا أبو موسى الأشعري أميرا بالبصرة وفيه عن عمر أنه قال والله ليلية من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بيومه وليلته فذكر ليلة الهجرة ويوم الردة بطوله رواه البيهقي في دلائل النبوة بإسناد ضعيف هكذا وقصة الهجرة رواها البخاري من حديث عائشة بغير هذا السياق واتفق عليها الشيخان من حديث أبي بكر بلطف آخر ولهما من حديثه قال قلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه قال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وأما قتاله لأهل الردة ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكثر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر كيف تقابل الناس الحديث.

إلى نصف رطل وإن قوى قسح النفس بنصف رطل من أول الأربعين وقس يسيرا كل ليلة بالتدريج حتى يسود فطوره إلى ربع رطل في العشر الأخير . وقد اتفق مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء : قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام والاعتزال عن الناس وقد جعل للجوع وقتان : أحدهما آخر الأربع والعشرين ساعة فيكون من الرطل لكل ساعتين أوقية بأكلة واحدة يجعلها بعد المشاء الآخرة أو يقسمها اكلتين كما ذكرنا والوقت الآخر على رأس اثنتين وسبعين ساعة فيكون الطي

أحد غيره ثم قال لعطاء اجلس ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له بلنا أن في جهنم وأدا يقال هيب أعداءه لكل إمام جائر في حكمة ضحك الوليد من قوله وكان جالساً بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوفه المجلس منشا عليه فقال عمر لعطاء قلت أمير المؤمنين قبض عطاء على خراج عمر بن عبد العزيز فقدره غمزة شديدة وقاله يا عمر إن الأمر جد صعب ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال مكنت حنة أجد ألم غمرته في ذراعي . وكان ابن أبي شميعة يوصف بالفعل والأدب فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك تسلم قال بسم أنكم وقد علمت أن كل كلام تسلم به التسلم عليهما . إلا ما كان في فيكي عبد الملك ثم قال يرحمك الله لم يزل الناس يتواغلون ويتواصون فقال الرجل يا أمير المؤمنين إن الناس في القيامة لا ينجون من خصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه فيكي عبد الملك ثم قال لاجرم لأجعلن هذه الكلمات مثلاً نصب غني ماعشت ، وروى عن ابن هانفة أن الحاجب دعا بفقهاء البصرة وقهواء الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل فقال الحاجب مرحباً بآبي سعيد إلى إلى ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فعد عليه فبصل الحاجب يداً كرنا ويسأنا إذ ذكر على بن أبي طالب رضي الله عنه فقال منه وثنا منه مقارنة له وفرقا من شره والحسن ساكت غاض على إبهامه فقال يا أبا سعيد مالي أراك ساكناً قال ما عسيت أن أقول قال أخبرني بربك في أبي تراب قال سمعت الله جل جلاله يقول - وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا لى الدين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم - فعلى من هدى الله من أهل الإيعان فأقول ابن عم النبي عليه السلام وخنته على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سابق مباركة تسبقته من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحضرها عليه ولا يحول بينه وبينها وأقول إن كانت لى هنة فافقه حسبه والله ما أجد فيه ذللاً أو عدل من هذا قبر وجه الحاجب وغيره وقام عن السرير مضطرباً فدخل يتأخلفه وخرجنا . قال عامر الشعبي فأخذت يد الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقال إليك عنى يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أنتيت شيطاناً من شياطين الإنس تكلمهم بهواه وتغاريه في رأيه وبحك يا عامر هلا أنقبت إن مثلت فضدعت أو سكت فسلمت قال عامر يا أبا سعيد قد قلنا وأنا أعلم ما فيها قال الحسن فذاك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة قال وبست الحاجب إلى الحسن فلما دخل عليه قال أنت الذى تقول قاتلهم الله قاتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا قال ما أخذ الله على العلماء من الوثائق - ليبينه للناس ولا يكتونه - قال يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يلقى عنك ما أكره فأفترق بين رأسك وجسدك . وحكى أن حطيطاً الزيات جى به إلى الحاجب فلما دخل عليه قال أنت حطيط قال نعم قال سلم عمابدا لك قالى عاهدت الله عند النظام من ثلاث خصال إن مثلت لأصدقن وإن ابتليت لأصبرن وإن عوفيت لأشكرن قال فما تقول فى قال أقول إنك من أعداء الله فى الأرض تنهك المحارم وتمتثل بالنظرة قال فما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال أقول إنه أعظم جرماً منك وإنما أنت خطيئة من خطاياهم قال فقال الحاجب صدوا عليه العذاب قال فأتته به العذاب إلى أن شقق له القصب ثم حملوه على لجه وشدهوا بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبه قصبه حتى استحلوا لجه فاصمعه يقول شيئاً قال فقيل للحجاج سبانه فى آخر رمق فقال أخرجه فارموا به فى السوق قال جعفر فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له حطيط ألك حاجة قال شربة ماء فأتوه بشربة ثم مات وكان ابن ثمان عشرة سنة رحمه الله عليه . وروى أن عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل

اليتين والانتظار فى
الليلة الثالثة ويكون
لكل يوم وليلة ثلث
رطل وبين هذين
الوقتين وقت وهو أن
يفطر من كل ليلتين
ليلة ويكون لكل يوم
وليلة نصف رطل
وهذا ينهى أن يفعله إذا
لم ينتج ذلك عليه سآنة
وضجراً وقله الشراح
فى الذكر والمعاملة فإذا
وجد شيئاً منه ذلك
فليفطر كل ليلة
وبأكل الرطل فى
الوقتين أو الوقت
الواحد فالنفس إذا
أخذت بالإفطار من
كل ليلتين ليلة ثم ردت
إلى الإفطار كل ليلة
تفنع وإن سوجعت
بالإفطار كل ليلة لاتفنع
بالرطل وتطلب الإدام
والشهوات وقس على
هذا فهى إن أطعت

للمدينة وأهل الشام وقرأها فجعل يهألمهم وجعل يكلمهم بالشعبي فجعل لا يسأله عن شيء إلا ووجد عنده منه علما ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال هما هذان هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعني الحسن فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فأقبل على الشعبي فقال يا أبا عمرو إني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية وازمى حقهم فأنا أحب حفظهم وتعهده ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يلقى عن العصابة من أهل الديار الأمراء عليهم فيه فأقبض طائفة من عطاءهم فأضربه في بيت للنال ومن نفي أن أمره عليهم فيبلغ أمير المؤمنين أتى قد قبضته على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا إيفاد كتابه وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة فقل لي في هذا نعمة وفي أشياعه من الأمور والثلة فيها على ما ذكرت قال الشعبي : قلت لأصلح الله الأمير إنما السلطان والدي خطي ويصيب قال فسر بقولي وأجيبه ورأيت البشر في وجهه وقال فقل الحمد لله أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الأمير يقول إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية وازمى حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة وإني سمعت عبد الرحمن بن مرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة»^(١) ويقول إني ربما قبضت من عطاءهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وأن رجعوا إلى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين أتى قبضتها على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا إيفاد كتابه وحق الله أكرم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع ولا طاعة لخلق في معصية الخالق فأعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وإن وجدته مخالفا لكتاب الله فابذه يا ابن هيرة اتق الله فانه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سيرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فذعن سلطانك ودينك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتمثل على عملك يا ابن هيرة إن الله ليمتلك من يزيد وإن يزيد لا يمتك من الله وإن أمر الله فوق كل أمر وإنه لإطاعة في حصة الله وإني أحذرك بأسمه الذي لا يرد عن القوم الجرمين ، قال ابن هيرة إربح على ظلمك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين فإن أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وإنا والله تعالى ماواه من أمر هذه الأمة لعله به وما يطله من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن هيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد يا ابن هيرة إنك أن تلقى من ينصح لك في دينك ويعملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلا يفرق ويعينك ققام ابن هيرة وقد يسر وجهه وتغير لونه وقال الشعبي قلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا وهرقته وصلته فقال إليك غني يا عامر قال فخرجت إلى الحسن التحف والطرف وكانت له اللزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدى إليه وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا فلما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربي بين القارفر وما شهدنا مشهدا إلا يرز علينا وقال عز وجل وثقلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأجابه ، ودخل محمد بن واسع على بلال بن أبي بردة فقال له ما تقول في القدر ؟ فقال جيرانك أهل القبور تفسد كبرهم

(١) حديث الحسن عن عبد الرحمن بن مرة من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة رواه البغوي في معجم الصحابة بإسناد لين وقد اتفق عليه الشيخان بنحوه من رواية الحسن عن معقل بن بسار .

طلمت وإن أتت
قتت . وقد كان بعضهم
ينقص كل ليلة حتى رد
النفس إلى أهل قوتها
ومن الصالحين من
كان يمر القوت بنوي
الشر وينقص كل ليلة
نواة ومنهم من كان
يسير بعود رطب
وينقص كل ليلة قدر
نشاف العود . ومنهم
من كان ينقص كل
ليلة ربع سبع الرغيف
حتى ينفى الرغيف في
شهر ومنهم من كان
يؤخر الأكل ولا يعمل
في تقليل القوت ولكن
يعمل في تأخيرها
بالتدريج حتى تدرج
ليلة في ليلة وقد فضل
ذلك طائفة حتى انتهى
طوبهم إلى سبعة أيام
وعشرة أيام وخمسة
عشر يوما إلى الأربعين
وقد قيل لسهل بن

فان فيهم شغلا عن القدر . وعن الشافعي رضي الله عنه قال حدثني حمى محمد بن علي قال إني لحاضر
 مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر للنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال
 فأتى الغفاريون فشكلوا إلى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن يأمر المؤمنين
 صل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فإله قال ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد أنهم أهل تحطم
 في أعراض الناس كثير والأذى لهم ، قال أبو جعفر : قد صغمت فقال الغفاريون يأمر المؤمنين صل عن
 الحسن بن زيد قال يا ابن أبي ذؤيب ما تقول في الحسن بن زيد قال أشهد عليه أنه يحكم بغير
 الحق ويتبع هواه فقال قد صغمت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح ، قال يأمر
 المؤمنين أسأله عن نفسك قال ما تقول في قال تغضي يأمر المؤمنين قال أسألك بالله ألا أخبرني قال
 تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله تخبرني قال أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه
 فجعلته في غير أهله وأشهد أن الظلم يياك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا
 ابن أبي ذؤيب فقبض عليه ثم قال له أما والله لولا أني جالس ههنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك
 بهذا السكان منك قال قال ابن أبي ذؤيب يأمر المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذ الحق وقبلا
 بالسوية وأخذنا بأقواء فارس والروم وأصغرا آثافهم قال غلب أبو جعفر قباه وخلي سييله وقال والله لولا
 أني أعلم أنك صادق لقتلتك ، قال ابن أبي ذؤيب والله يأمر المؤمنين إني لأصم لك من ابنك للهدى
 قال فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس النصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث
 قد سدرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك للهدى فقال يضر الله لك يا أبا عبد الله
 كنا مهدي كلنا كان في الهدى . وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث إلى أبو جعفر المنصور
 أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته فضا وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال
 لي ما الذي أبطأك عنا يا أوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال أريد الأخذ عنكم
 والانتباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئا مما أقول لك قال وكيف أجمله وأنا
 أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمتك له قال قلت أخاف أن تسعته ثم لاتعمل به قال فصاح بي
 الريح وأهوى يده إلى السيف فاتهره المنصور وقال هذا مجلس مشوبة لا مجلس عقوبة (١) فطابت
 نفسي وانبطت في الكلام ، فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم « إنما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فاتمها نعمة من الله سيقت إليه فان
 قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إنما وزداد الله بها سخطا عليه » (٢) يا أمير
 المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله ﷺ « إنما مال مات غاشا لرعيته
 حرم الله عليه الجنة » (٣) يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله إن الله هو الحق المبين إن الذي لين
 قلوب أمستكم لكم حين ولاكم أمورهم لقربا بكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم

عبد الله هذا الذي
 يأكل في كل أربعين
 وأكثر أسككة ابن
 يذهب لهب الجوع عنه
 قال بطم النور . وقد
 سألت بعض الصالحين
 عن ذلك فذكر لي
 كلاما ببارة دلت على
 أنه يجد فرحاً به ينطفئ
 معه لهب الجوع وهذا
 في الخلق واقع أن
 الشخص يطرفه فرح
 وقد كان جائعا فيذهب
 عنه الجوع وهكذا في
 طرق الخوف يقع ذلك
 ومن فعل ذلك ودرج
 نفسه في شيء من هذه
 الأقسام التي ذكرناها
 لا يؤثر ذلك في نقصان
 عقله واضطراب جسمه
 إذا سكان في حماية
 الصدق والإخلاص
 وإنما غشى في ذلك
 وفي دوام الله كرم على
 من لا يغفل الله تعالى .

(١) حديث الأوزاعي مع المنصور وموعظته له وذكر فيها عشرة أحاديث مرفوعة والقصة بمحملها رواها
 ابن أبي الدنيا في كتاب مواعظ الخلفاء ورواها في مشيخة يوسف بن كامل الخفاف ومشيخة ابن
 طبرزد وفي إسنادها أحمد بن عبيد بن ناصح قال ابن عدي يحدث عينا كبر وهو عندي من أهل الصدق
 وقد رأيت سرد الأحاديث المذكورة في الموعظة لذكر هل بعضها طريق غير هذا الطريق وليرف
 محبان كل حديث أو كونه مرسلًا فاولها (٢) حديث عطية بن بشر إنما عبد جاءته موعظة من الله
 في دينه فاتمها من الله الحديث ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء (٣) حديث عطية بن بشر إنما مال
 مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة ابن أبي الدنيا في ابن عدي في الكامل في ترجمة أحمد بن عبيد

روفا رجبا مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس لحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق وأن تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم سائرا لاتلق عليك دونهم الأبواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبهج بالنعمة عندهم وتبتسب بما أصابهم من سوء يأمر المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم وكله عليك نصيب من العدل فكيف بك إذا ابتعث منهم قائم وراء قائم وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلاما سقتهما إليه يأمر المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال «كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها الناققين فأثناء جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ماهذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملاّت قلوبهم رعا^(١)» فكيف بمن شقق أستارهم وسفك دماهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيرهم الخوف منه يأمر المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن جبيب بن مسلمة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرايا لم يتعمده فأثناء جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله لم يمتك جبارا ولا متكبيرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الأعراي فقال اقتصم مني فقال الأعراي قد أحلتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسي فدعاه بخير^(٢)» يأمر المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذلها الأمان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها^(٣)» يأمر المؤمنين إن التلك لوقي لمن قبلك لم يصل إليك وكذا لا يقيق لك كالم يقيق لغيرك يأمر المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك - ماهذا الكتاب لا يناد صغير ولا كبيرة إلا أحصاه - قال الصغيرة التيسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن يأمر المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لومات سخة على شاطئ القرات ضيعة لحشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلا وهو على باطك يأمر المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك - يادادو إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله - قال الله تعالى في الزبور : يادادو إذا قعد الحصان بين يديك فكان لك في أحدهما هوى فلا تمنين في نفسك أن يكون الحق له فيفزع على صاحبه فأعوك عن نبوتهم لا تكون خليفة ولا كرامة يادادو إنما جعلت رسل إلى عبادي رعاء كراءه لا بل لهمم بالراعاة ورقهم بالسياسة ليغيروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلأ وللاء . يأمر المؤمنين إنك قد بليت بأمر لو عرض على السموات

(١) حديث عروة بن رويم كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها الناققين الحديث ابن أبي الدنيا فيسه وهو مرسل وعروة ذكره ابن حبان في ثقات التابعين

(٢) حديث جبيب بن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرايا لم يتعمده الحديث ابن أبي الدنيا فيه ، وروى أبو داود والنسائي من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقصم من نفسه وللحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه طعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاصرة أسيد بن حضير ، فقال أوجضى قال اقتص الحديث قال صحيح الاسناد (٣) حديث لقيد قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها إن ابن أبي الدنيا من رواية الأوزاعي معضلا لم يذكر استاده ورواه البخاري من حديث أنس بلفظ لئاب .

وقد قيل حد الجوع أن لا يميز بين الحبز وغيره مما يؤكل ومتى عيت النفس الحبز فليس يجائع وهذا المعنى قد وجد في آخر الحديث بعد ثلاثة أيام وهذا جوع الصديقين وطلب الغذاء عند ذلك يكون ضرورة لقوام الجسد والقيام بضرائض العبودية ويكون هذا حجة الضرورة لمن لا يجتهد في التقليل بالتدرج فأما من درج نفسه في ذلك فقد صبر على أكثر من ذلك إلى الأربعين كاذكرنا وقد قال بعضهم حد الجوع أن يبرق فإذا لم يقع اللباب على يرقه يدل هذا على خلو المعدة من الدسم وصفاء البزاق كالماء الذي لا يقصده اللباب . روى أن سفيان

والأرض والجليل لا ينبغي أن يجعله وأشفق من أمير المؤمنين حديثي يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن حمزة الأصاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة فقرأ بعد أيام مقبا قال له : ما معك من الخروج إلى مملك ؟ ما علمت أن ذلك مثل أجر الجهاد في سبيل الله قال لا لا وكيف ذلك ؟ قال إنه ينبغي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من وال يلى شيئا من أمور الناس إلا آتى به يوم القيامة مخلوقا يده إلى عنقه لا يفسكه إلا عده فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يناد فيجاءب فان كان حسنا نجما بإحسانه وإن كان سيئا أخرق به ذلك الجسر فيجوى به إلى النار صبيح خرفا (١) قال له عمر رضي الله عنه عن محمد هذا ؟ قال من أبي ذر وسلمان فأرسل إليهما محررا فمأها قالان لم يمنعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وأمرهما من يتولاهما بما فيها قال أبو ذر رضي الله عنه من سلت الله أمه والحقى خدم بالأرض ؟ قال فأخذ للنديل فوضه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكى ثم قلت يا أمير المؤمنين قد سأل جدك الباس النبي صلى الله عليه وسلم إمارة مكة أو الطائف أو اليمن قال له النبي عليه السلام : يا عباس يا عم النبي قمس تنجيا خيرا من إمارة لا تحسب (٢) نصيحة منه لعمه وخفقة عليه وأخبره أنه لا يخفى عنه من الله شيئا إذ أوحى الله إليه وأندر عشرين الأقرين - قال : يا عباس ويصفيه عني النبي وإفاطمة بنت محمد إنى لست أغنى عنكم من الله شيئا إن لى عملى ولكم مملككم (٣) وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لاقيم أمر الناس إلا خفيف القل أربب القل لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة ولا تأخذه في الله لومة لائم . وقال الأمراء أربعة : فأمر قوى ظلف قسه وحماله فذلك كالجاهد في سبيل الله يد الله بأسطة عليه بالرحمة ، وأمر فيه ضلف قسه وأرتع حماله لصفه فهو على شفاه لا لأن برحه الله ، وأمر ظلف حماله وأرتع قسه فذلك الحطمة الذى قاله فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الرعاة الحطمة فهو الممالك وحده (٤) وأمر أرتع قسه وحماله فذلك جباة يبنى يا أمير المؤمنين أن جبرائيل عليه السلام آتى النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنتك حين أمر الله بتنافع النار فوضعت على النار تسر ليوم القيامة قال له يا جبريل صف لى النار قال إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت ثم سوداء مظلمة لا يضىء جمرها ولا يظفأ لها والذى ينك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ولو أن ذنوبا من شرابها صب فى مياه الأرض جميعا لقتل من ذاقه

(١) حديث عبد الرحمن بن جابر عن عمر أن عمر استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة الحديث وفيه مرفوعا ما من وال يلى شيئا من أمور الناس إلا آتى الله يوم القيامة مخلوقا يده إلى عنقه الحديث ابن أبي الدنيا فيه من هذا الوجه ورواه الطبرانى من رواية سويد بن عبد العزيز عن يسار بن أبي الحكم عن أبي والى أن عمر استعمل بشر بن عاصم فذكر أخصر منه وأن بشرا معه من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه سلمان (٢) حديث يا عباس يا عم النبي قمس تنجيا خيرا من إمارة لا تحسب ابن أبي الدنيا هكذا معضلا بنير إسناد ورواه البيهقي من حديث جابر متصلا ومن رواية ابن النكدر مرسلًا وقال هذا هو المخطوط مرسلًا (٣) حديث يا عباس ويصفيه وإفاطمة لأغنى عنكم من الله شيئا لى عملى ولكم مملككم ابن أبي الدنيا هكذا معضلا دون إسناد ورواه البخارى من حديث أبي هريرة متصلا دون قوله لى عملى ولكم مملككم (٤) حديث شر الرعاة الحطمة رواه مسلم من حديث عائد ابن عمر الزنى متصلا وهو عند ابن أبي الدنيا عن الأوزاعى معضلا كما ذكره الصنف .

التورى وإبراهيم بن آدم رضي الله عنهما كانا بطويان ثلاثا . وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه بطوى هنا . وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بطوى سبعة أيام . واشتهر حال جدنا محمد بن عبد الله المعروف بمو به رحمه الله وكان صاحب أحد الأسود الدينورى أنه كان بطوى أربعين يوما وأقصى ما بلغ فى هذا المعنى من الطلى رجل أدركنا زمانه وما رأيت كان فى أبهر يقال له الزاهد خليفة كان يأكل فى كل شهر لوزة . ولم نسمع أنه بلغ فى هذه الأمة أحد بالطلى والتدريج إلى هذا الحد وكان فى أول أمره على ما حكى يقصص القوت

ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعا لذابت وما استقلت ولو أن رجلا أدخل النار ثم أخرج منها لثأل أهل الأرض من نقي ريحه وتشويه خلقه وعظمه فسكن النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلام لبيكاته فقال أتبيك يا محمد وقد غفرلك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ولم يكبت يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وجهه ؟ قال أخاف أن أبني بما أبني به هاروت وهاروت فهو الذي مني من اتكأ على منزلي عند ربى فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد إن الله قد آتاكم أن تصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة (١) . وقد بلغني بأمر المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اللهم إن كنت تعلم أنى أبلى إذا قعد الحصان بين يدي على من مال الحق من قرب أو بعيد فلا تمنى طرفه عين بأمر المؤمنين إن أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله التقوى وإنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمصبة الله أذله الله ووضعه ، فهذه نصيحتي إليك والسلام عليك . ثم نهضت فقال لي إلى أين ؟ قلت إلى الولد والوطن إذ أن أمير المؤمنين إن شاء فقال قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أمتعين وعليه أنوكل وهو حسي ونعم الوكيل فلا تخفى من مطالعتك إياي بشئ هذا فانك للقبول القول غير التهم في النصيحة . قلت أفصل إن شاء الله . قال محمد بن مصعب : فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتي بمرض موت الدنيا وعرف الناس منه مذهب فلم يجد عليه في ذلك . وعن ابن المهاجر قال قدم أمير المؤمنين النصور مكة شرفها الله حاجبا فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فيصلى الناس فخرج ذات ليلة حين أشرق فبينما هو يطوف إذ سمع رجلا عند اللتزم وهو يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البنى والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع النصور في مشيه حتى ملا مسامحه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من السجد وأرسل إليه فدعاه فأثاء الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له للنصور ما هذا الذي سمعتك تقول من ظهور البنى والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت مسامى ما أمرنى وأقانتى ؟ فقال بأمر المؤمنين إن أمنتني على نفسي أبأتك بالأموار من أصولها وإلا اقتصرت على نفسي فيها لى شغل شاغل فقال له أنت آمن على نفسك فقال الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح مظاهر من البنى والفساد في الأرض أنت فقال وريحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء في يدي والحلو والحامض في قبضتي قال وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والأجر وأبوابا من الحديد وحجة معهم السلاح ثم سمعت نفسك فيها منهم وبشت عمالك في جمع الأموال وجبايتها وأخذت وزراء وأعوانا طلبة إن نسيت لم يذكروك وإن ذكرت لم يعينوك وتوهمت على ظلم الناس بالأموال والسكراع والسلاح وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان فمر مبيتهم ولم تأمر بإصلاح الظلم ولا للهرق ولا الجائع ولا العارى ولا الضعيف ولا الفقير ولا أحد إلا لولا في هذا اللال حق

(١) حديث بلغني أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتيتك حين أمر الله بتأنيخ النار وضعت على النار سمرا ليرحم القيامة الحديث بطوله ابن أبي الدنيا فيه هكذا معضلا بغير إسناد .

بشاش المود ثم طوى حتى انتهى إلى اللوزة في الأربعين ثم إنه قد يسلك هذا الطريق جمع من الصادقين وقد يسلك غير الصادق هذا لوجوده سوى مستكن في باطنه يهون عليه ترك الأكل إذا كان له استعلاء لنظر الحاقق وهذا عين التفاني نموذج بأقمن ذلك والصادق ربما يقدر على الطي إذا لم يعلم بحاله أحد وربما تضف عزيمته في ذلك إذا علم بأنه يطوى فإن صدقه في الطي ونظرة إلى من يطوى لأجله يهون عليه الطي فإذا علم به أحد تضف عزيمته في ذلك وهذا علامة الصادق فهما أحسن في نفسه أنه يجب أن يرى بسين التقل

فلما رآك هؤلاء نفر الذين استخلصتهم لنفسك وأمرتهم على رعيته وأمرت أن لا يحجبوا عنك
 نجي الأموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا فاقصروا على أن لا يصل
 إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا إلا أقصوه
 حتى تسقط منزلته ويصرف قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابهم وكان أول
 من صانهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقوا بهم على ظلم رعيته ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة
 من رعيته ليتلوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بنيا وفسادا وصار هؤلاء
 القوم شركاء في سلطانتك وأنت غافل فان جاء متظلم حبل بينه وبين الدخول إليك وإن أراد
 رفع صوته أوقسته إليك عند ظهورك وجسدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في
 مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب الظلم أن لا يرفع مظلمته وإن كانت للمتظلم
 به حرمة وإجابة لم يكن كما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم مختلف إليه ويلوذ به ويشكو
 ويستغيث وهو يدعسه ويمتل عليه فإذا جهدوا خرج وظهرت صرغ بين يديك فيضرب ضربا
 مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تسكر ولا تغير لما بقاء الاسلام وأهله على هذا ولقد
 كانت بنو أمية وكانت العرب لا يتنهي إليهم للظلم إلا رفعت ظلامته إليهم فينصف ولقد كان الرجل
 يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطنتهم فينادي بأهل الإسلام فيقتدونه مالك مالك فيرفضون
 مظلمته إلى سلطنتهم فينصف ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك قد قدمها
 مرة وقد ذهب مع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه مالك تبكي لا بكت عيناك فقال أما إنني
 لست أبكي على الصلابة التي زلت بي ولكن أبكي لظلمهم يصرخ بالبواب فلا أسمع صوته ثم قال أما إن
 كان قد ذهب سمي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم فكان
 يركب البغال ويطوف طرفي النهر هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت
 رأفته بالمشركين وورقته على شع نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغفلك رأفتك
 بالمسلمين وورقتك على شع نفسك فأنك لا تجمع الأموال إلا لواحده من ثلاثة إن قلت أجمعها لولدي
 فقد أراك الله عبدا في الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال ومامن مال إلا ودونه
 يد شحيحة تحويه فما يزال الله تعالى يلفظ بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست التي تعطى
 بل الله يعطى من يشاء وإن قلت أجمع المال لأشيد سلطاني فقد أراك الله عبدا فيمن كان قبلك ما أغنى عنهم
 ما جمعه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرز ولدايك ما كنت
 فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد وإن قلت أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية
 التي أنت فيها فو الله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح يا أمير المؤمنين هل تعاقب من
 عصاك من رعيته بأشد من القتل قال لا ، قال فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما أنت عليه
 من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخوف في العذاب الأليم وهو
 الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأسمرته جوارحك فماذا تقول إذا اتزعج الملك الحق المبين ملك الدنيا
 من يدك ودعاك إلى الحساب هل ينفي عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شجعت عليه من ملك الدنيا
 فيبكي المنصور بكاء شديدا حتى يحب وارتمع صوته ثم قال يا ليتني لم أخلق ولم أك شيئا ثم قال كيف احتياي
 فيما حول فيه ولم أر من الناس إلا خائفا قال يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلم المرشدين قال ومن هم ؟
 قال العلماء قال ودهروا في قال هو بوائك مخافة أن تعلمهم على ما ظهر من طريقك من قبل عمالك
 ولكن اتزعج الأبواب وسهل الحجاب واتصبر للمظلوم من الظلم وامنع المظالم وخذ الشيء بما حل وطاب

عليهم قسه فان فيه
 شائبة التفاق ومن
 يطوى لله يوضه الله
 تعالى فرسا في باطنه
 ينسب الطعام وقد
 لا ينسب الطعام ولكن
 امتلاء قلبه بالأناور
 يقوى جاذب الروح
 الروحاني فيجذبه إلى
 مركزه ويستقره من
 العالم الروحاني وينتهي
 بذلك عن أرض
 الشهوة النسائية وأما
 أثر جاذب الروح إذا
 تخلف عنه جاذب
 النفس عند كمال
 طمأنينتها وانكسار
 أنوار الروح عليها
 بواسطة القلب المستنير
 فأجل من جذب
 للقنطاريس للحديد إذ
 للقنطاريس يجذب
 الحديد والروح في الحديد
 مشاكلا للقنطاريس
 فيجذبه بنسبة الجفنية

واقسمه بالحق والعدل وأناضامن على أن من هرب منك أن يأتبك فيعاولنك على صلاح أمرك ورعيته
 فقال النصور : اللهم وقتي أن أعمل بما قاله هذا الرجل وجاء المؤذنون أسلوا عليه وأقيمت الصلاة فخرج
 فصلبهم ثم قال لأحرس عليك بالرجل إن لم تأتي به لأضرب عنقك واغناظ عليه غيظا شديدا فخرج
 الحرس يطلب الرجل فيينا هو يطوف فإذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب فقصده حتى صلى ثم قال إذا
 الرجل أمتقني الله قال بل قال أما تعرفه قال بل قال فانطلق معي إلى الأمير قد آلى أن يقتلني إن لم آته
 بك قال ليس لي إلى ذلك من سبيل قال يقتلني قال لا قال كيف قال تحسن تترا قال لا فأخرج من
 مزود كان معه رقما مكتوباً فيه شيء فقال خلفه فاجله في جيبك فإن فيه دعاء الفرج قال ومادعاء الفرج
 قال لا يرزقه إلا الشهاد قتل رحلك الله قد أحسنت إلى فإن رأيت أن تخبرني ماهذا الدعاء ومافضله قال من
 دعا به مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره وبقيت خطاياء واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه
 وأعطى أمه وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت إلا شهيدا تقول اللهم كما لطفت في عظمتك
 دون الأطفال وعولت بعظمتك على العظام وعلفت ما تحت أرنك كلكم بما فوق عرشك وكانت
 وسواس الصدور كالملانية عندك وعلاية القول كالسر في علمك واتقاد كل شيء لعظمتك وخضع
 كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله يدك اجعل لي من كل هم أسبغت فيه فرجا
 وخرجنا اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمئني أن أسألك
 ما لا أستوجه بما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وإنك المحسن إلي وأنا للشيء إلى نفسي
 فيما بيني وبينك تتودد إلى نعمتك وأتبض إليك بالمعاصي ولكن الثقة بك خللتني على الجراءة عليك
 فقد بغضلك وإحسانك على إنك أنت التواب الرحيم قال فأخذته فصرته في جيب ثم لم يكن لي هم غير
 أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إلي وتبسم ثم قال وبلك وتحسن السحر فقلت لا والله
 يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمري مع الشيخ فقال هات الرق الذي أعطاك ثم جعل يبكي وقال قد
 نجوت وأمر يشنخه وأعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال أتعرفه قلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام .
 وعن أبي عمران الجوني قال لما ولي هرون الرشيد الخلافة زاره الطاء فنهوه بمأصرا إليه من أمر الخلافة
 ففتح بيوت الأموال وأقبل يجرحهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس الطاء والزهاد وكان يظهر
 النسك والتشرف وكان مواخيا لسفيان بن سعيد بن النضر الثوري قديما فجهزه سفيان ولم يرزه فاشتاق
 هرون إلى زيارته ليخلوه ويحدثه فلم يرزه ولم يعبأ بموضعه ولا بمأصرا إليه فاشتد ذلك على هرون
 فكتب إليه كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين إلى
 أخيه سفيان بن سعيد بن النضر أما بعد يا أخي قد علمت أن الله تبارك وتعالى وإخى بين المؤمنين وبجعل
 ذلك فيه وله واعلم أني قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حيلك ولم أقطع منها ودك وإني منطوكة على
 أفضل المحبة والارادة ولولا هذه العقلة التي قلديها الله لأيتيك ولوحوا لما أجدك في قلبي من المحبة
 واعلم يا أبا عبد الله أنه ما بقي من إخواني وإخوانك أحد إلا وقد زارني وهناني بمباصرة إليه وقد فتح
 بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني وإني استبطأتك فلم
 تأتني وقد كتبت إليك كتابا شوقا مني إليك شديدا وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن
 وزيارته ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي فالجعل الجعل ، فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فإذا
 كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشوته فقال لي رجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له
 عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بني
 ثور ثم سل عن سفيان الثوري فإذا رأيته فالتق كتابي هذا إليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول

الخاصة فإذا تجنست
 النفس بعكس نور
 الروح الواصل إليها
 بواسطة القلب يصير
 في النفس روح
 استبدها القلب من
 الروح وأدلهما إلى
 النفس فتجذب الروح
 النفس بجنسية الروح
 الحادثة فيها فيزدرى
 الأطلعة الدنيوية
 والشهوات الحيوانية
 ويتحقق عنده قول
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « آية
 عند رب يطمئني
 ويستقي » ولا يقدر
 على ما وصفناه إلا بعد
 تصير أعماله وأقواله
 وسائر أحواله ضرورة
 فيتناول من الطعام
 أيضا ضرورة ولو
 تكلم مثلا بكلمة
 من غير ضرورة
 التهب فيه نار الجوع

فأحص عليه دة في أمره وجلبه لتخبرني به فأخذ عبد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبية فأرشد إليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال عباد فأقبلت إلى المسجد فلما رأيته قام قائما وقال أهوذا به السبع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا غيرك قال عباد فوعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رأيته قلت يا رب السجد فقام يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فإذا جلساؤه قوم قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم الساطان فهم خاهون من عقوبته فسلمت لها رفع أحد إلى رأسه وردوا السلام على برموس الأصابع فقيت وانما لما منهم أحد يمرض على الجلوس وقد علاني من هيبته الرعدة ومددت عنى إليهم فقلت إن الصلى هو سفيان فربت بالكتاب إليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في عرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كفه ولها بياض وأخذ قلبه بيده ثم رمأ إلى من كان خلفه وقال يأخذه بضكم يقرؤه فاني أستغفر الله أن أمسى حيث أمسه ظالم بيده قال عباد فأخذه بعضهم خلفه كأنه خائف من فم حية ثم ضمه وقرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم للتعجب فلما فرغ من قراءته قال اتقبلوه واكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه قيل له يا أبا عبد الله إنه خليفة فلو كتبت إليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزي به وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصل به ولا يبقى شيء منه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما كتب فقال اكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم من العبد للذنب سفيان بن سعيد بن النضر الثوري إلى العبد للثور بالآمال هرون الرشيد الذي سلب حلاوة الإيمان . أما بعد فاني قد كتبت إليك أعرفك آتى قد صرمت جلك وقطعت دوك وقلت موضعك فأنك قد جطيت شاهدا عليك بأقرارك على نفسك في كتابك بما هجبت به على بيت مال المسلمين فأنت في غير حق وأنت في غير حكمة ثم لم يرض بما ضلت وأنت ما عني حتى كتبت إلى تعهدي على نفسك أما إني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدى الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى ياهرون هجبت على بيت مال المسلمين بغير رضام هل رضيت بفعلك المؤفة قلوبهم والعامون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل أم رضيت بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام أم هل رضى بذلك خلق من رعيك فتد ياهرون مترك وأعد للمثلة جوابا وللبلاء جلبا . واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل قد رزقت في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهدي ولذيذ القرآن وبخالسة الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالما ولظالمين إماما ياهرون قدمت على السرور ولست بالحرر وأسبلت سترادون بآبك وتشت بالهجرة برب العالمين ثم أقصت أجنادك الظلمة دون بآبك وسترك بظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمر ويضربون من يشربها ويذنون ويعدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قيل أن تحكم بها على الناس فكيف بك ياهرون غدا إذا نادى للناس من قبل الله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أين الظلمة وأعوان الظلمة قدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك والظالمون حولك وأنت لهم سابق وإمام إلى النار ، كأتى بك ياهرون وقد أخذت بضيق الحق ووردت الساق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك زيادة عن سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فأحفظ بوصيقي واتمظ بموعظتي التي وعظتك بها . واعلم أني قد نصحتك وما أبقيت لك في الصبح غاية فائق الله ياهرون في رعيك واحفظ عهدا صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم أن هذا الأمر لو بقي لعيرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل

التهاب الحفاء بالنار
لأن النفس الراقدة
تستعيط بكل ما يوقظها
وإذا استعيطت
نزعته إلى هواها فالعبد
للراد بهذا إذا فطن
لسبابة النفس ورزق
العلم سهل عليه
الطى وتداركته
للعونة من الله تعالى
لأبى إن كشف
شيء من النسخ الالهية .
وقد حكى في غير أنه
اشتد به الجوع وكان
لا يطيب ولا يتسبب
قال فلما انتهى جوص
إلى الغاية بعد أيام
فتح الله على بفاحة
قال فتناولت الفاحة
وقصدت أكلها فلما
كسرتها كسرفت
بحوراء نظرت إليها
عقيب كسرها حدث
عندي من الدرع
بذلك ما استغثت

بأهلها واحدا بعد واحد فنهض من زود زادا فنهض منهم من خسر دنياه وآخرته وإن أحببك ياهرون
 عن خسر دنياه وآخرته فإياك أن تكتب لي كتابا بعد هذا فلا أحببك عنه والسلام . قال عبد
 فأتى إلى الكتاب منشورا غير مطبوع ولا محتم فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة فوقف وقتت للوعظة
 من تلقى فتأديت بأهل الكوفة فأجابوني بقلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله إلى الله فأتوا
 إلى بالله تانيه والدرهم قلت لاحاجة لي في السال ولكن جبة صوف خشنه وعباءة قطنانية قال فأعيت
 بذلك وزعت ما كان على من اللباس لقدى كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت أقود بالبرذون وعليه
 السلاح لقدى كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هرون حافيا راجلا فنهض إلى من كان على باب الخليفة
 ثم استؤذن لي فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقدمت يده فقام فجلس على يده ووجهه
 ويدعو بالويل والجرن ويقول اتضع الرسول وخاب للرحل مالى وللدنيا مالى ولللك زول عن سريته
 ثم ألقيت الكتاب إليه منشورا كما دفع إلي فأقبل هرون يقرؤه ودموعه تتحدر من عينيه ويقرأ
 ويشقي فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأقتله بالحديد
 وضيق عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال هرون : أتركوا يا عبيد الدنيا التوروم من غرغره
 والثقي من أهلكشموه وإن سفيان أمة وحده فتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان إلى
 جنب هرون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظرا لنفسه واتي الله فإخدم
 عليه غدا من عمله فانه عليه بحاسب وبه مجازي . والله ولي التوفيق . وعن عبد الله بن مهران قال
 حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج يهلول الجنون فيمن
 خرج بالكساف الصبيان يؤذونه ويولون به إذ أقبلت هواذج هرون فكف الصبيان عن الولوع
 به فلما جاء هرون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده عن وجهه فقال
 ليك يا بهلول قال يا أمير المؤمنين : حدثنا أين بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي
 صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقه له صبياء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك^(١) وهم اضحك
 في سفره هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك قال فيكي هرون حتى سقطت دموعه على
 الأرض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله المال جلالا فاشق من ماله
 وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار قال أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة . قال
 اردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فان كان عليك دين قضيتاه قال يا أمير المؤمنين
 هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الله بن بالدين لا يجوز قال يا بهلول فنجري
 عليك ما يقوتك أو يقيمك قال فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا مؤمن من عيال الله
 فبحال أن يذكرني وينساني قال فأقبل هرون السجاف ومضى . وعن أبي اللباس الهامسي عن صالح
 ابن اللأمون قال دخلت على الحرث الهامسي رحمه الله فقلت له : يا أبا عبد الله هل حاسبت نفسك ؟ فقال كان
 هذا مرة قلت له فالوهم قال أكتم حالي إلى لأخر آية من كتاب الله تعالى فأضن بها أن تسمها نفسي
 ولولا أن يظنني فيها فرح ما أعلت بها ولقد كنت ليلة قاعدا في مهران فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب
 الرائحة فسلم لي ثم قد بين يدي فقلت له من أنت فقال أنا واحد من السباحين أقصد التمدد بين في
 حاربيهم ولا أرى لك اجتهدا فأنى سوء عملك قال قلت له كتمان للصائب واستجلاب الفوائد قال

(١) حديث قدامة بن عبد الله العامري رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقه
 له صبياء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه دون قوله منصرفا
 من عرفة وإنما قالوا برى الجرة وهو الصواب وقد تقدم في الباب الثاني .

عن الطعام أياما
 وذكر لي أن الحوراء
 خرجت من وسط
 التفاحة والابحان
 بالقدرة ركن من
 أركان الإيمان فلم
 ولا تسكر . وقال
 سهل بن عبد الله
 رحمه الله من طوى
 أربعين يوما ظهرت له
 القدرة من اللكوت
 وكان يقال : لا يزهد
 البعد حقيقة الزهد
 التي لاشبهة فيه
 إلا بمشاهدة قدرة
 من اللكوت . وقال
 الشيخ أبو طالب
 للكم رحمه الله :
 عرفنا من طوى
 أربعين يوما برياضة
 النفس في تأخير
 القوت وكان يؤخر
 فطره كل ليلة إلى
 نصف سبع اليك
 حتى يطوى ليلة

فصاح وقال ما علمت أن أحدا بين جنبي الشرق والغرب هذه صفته قال الحرث فأردت أن أزيد عليه قتلته أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتُمون أسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم فمن أين تعرفهم قال فصاح صيحة غشى عليه منها فسكت عندي يومين لا يعقل ثم أفاق وقد أحدثت في ثيابه فسلت إزالة عقله فأخرجت له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفي قد تركت به فاغتسل وأعد صلاتك فقال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له إن تريد قال لي قم معي فلم يزل يمشي حتى دخل على المؤمنين فلم عليه وقال باظلم أنا ظالم إن لم أقل لك باظلم استغفر الله من قصيري فيك أما تقي الله تعالى فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب فأقبل عليه المؤمنون وقال من أنت قال أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم أجدهم في حقها فخلعت جموعك لعملى الحقهم قال فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفا في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولى هذا فليأخذه قال الحرث فاخبتت عنه فاخذه أقوام غريبا فدفعوه وكنت معهم لا أعلمهم بحاله فاقمت في مسجد بالمقابر محزونا على الفق فلبثت في عناية فاذ هو بين وصائف لم أر أحسن منهم وهو يقول يا حارث أنت والله من الكائنين الذين يخفون أحوالهم ويطمعون ربهم قلت وما فعلوا قال الساعة بلقونك فنظرت إلى جماعة ركبنا قتلته من أنهم قالوا الكائنون أحوالهم حرك هذا الفق كلالته فلم يكن في قلبه مما وصفته شيئا فخرج للأمر والهي وأما الله تعالى أنزله منا وغضب لعبد . وعن أحمد بن إبراهيم القرى قال كان أبو الحسين النوري رجلا قليل الفضول لا يسأل عما لا يسهل ولا يفتش عما لا يحتاج إليه وكان إذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فزله ذات يوم إلى مشرعة تعرف بشرعة الفقامين يتطهر للصلاة إذ رأى زورا فيه ثلاثون دنا مكتوب عليها بالقر لطف قراءه وانكره لأنه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئا يبرعه بناط فقال للملاح إيش في هذه الدنان قال وإيش عليك امض في شغلك فلما سمع النوري من اللاح هذا القول ازداد تطشطا إلى معرفته فقال أحب أن تخبرني إيش في هذه الدنان قال وإيش عليك أنت والله صوفي ففوتني هذا آخر لما اعتضد يريد أن يتم به مجلسه فقال النوري وهذا آخر قال نعم فقال أحب أن تعطيني ذلك الدرر فاغتاش اللاح عليه وقال لتلامه أعطه حتى أنظر ما يصنع فلما صارت الدرر في يده صعد إلى الزورق ولم يزل يكسرهما دنا دنا حتى أتى على آخرها إلا دنا واحدا والملاح يستغيث إلى أن ركب صاحب الجسر وهو يوبخه ابن بشر أفلح قبض على النوري وأشخصه إلى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه سيقتله قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد ويده عمود يقبله فلما رأى قال من أنت قلت عسب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة ولائي الحسبة تأمر المؤمنين قال فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى وقال ما الذي حملك على ما صنعت ؟ فقلت بشفقة مني عليك إذ بسطت يدي إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه قال فأطرق ففكر في كلامي ثم رفع رأسه إلى وقال كيف تخاص هذا الدين الواحد من جملة الدنان قتلته في تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين إن أذن فقال هات خبرني قتلته يا أمير المؤمنين إني أقبلت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فثابت هبة الخلق عنى فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدين فاستعمرت نفسي كبيرا على أني أقدمت على مثلك فذمت ولو أقدمت عليه بالحال الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال فقال المعتضد اذهب فقد أطلعنا بذلك غير ما أحببت أن تغبر من المنكر . قال أبو الحسين قتلته يا أمير المؤمنين بنص إلى التغيير لأنني كنت أغبر عن الله تعالى وأنا الآن أغبر عن شرطي فقال المعتضد ما حاجتك قتلته يا أمير المؤمنين تأمر بأخراجي سالما

في نصف شهر
فيطوى الأربعين
في سنة وأربعة
أشهر فتندرج الأيام
والآيالي حتى يكون
الأربعين بمنزلة يوم
واحد . وذكر لي أن
الذي فعل ذلك ظهرت
له آيات من لللكوت
وكوشف بمعنى قدرة
من الجبروت بحسب الله
بجمله كيف شاء . واعلم
أن هذا المعنى من الطي
والثقل لو أنه عين
الفضيلة ما فات أحدا
من الأنبياء ولما كان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يبلغ من ذلك إلى
أقصى غايته ولا شك
أن لذلك فضيلة لا تنكر
ولكن لا تنحصر
مواهب الحق تعالى في
ذلك فقد يكون من
بأكل كل يوم أفضل
من يطوى أربعين

فأمره بذلك وخرج إلى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفاً من أن يسأله أحد حاجة يسألها المتعذر فأقام بالبصرة إلى أن توفي المتعذر ثم رجع إلى بفساد فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم انكسروا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يبرزهم الشهادة فلما أخلصوا لله النية أنزلهم في القلوب القاسية فليتها وأزال لساوتها وأما الآن فقد قيدت الأطماع السن العلماء فسكتوا وإن تسلكوا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولومدقوا وتصدوا حق العلم لأفلقوا فساد الرأيا فساد للولك وفساد للولك فساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على اللولك والأكابر والله للستمان على كل حال .

(كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة)

(وهو الكتاب العاشر من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه، وأدب نبيه محمداً ﷺ فأحسن تأديبه، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم أخذ صفيه وحبيه، ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه، وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تحييبه. وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيراً .
أما بعد : فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والأعمال نتيجة الأخلاق والآداب رشح للعارف وسرائر القلوب هي مفارص الأفعال ومناجيا وأنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها وتبدل الحسن مكارهها ومساوئها ومن لم ينجس قلبه لم تنجس جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفيض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت أن أختتم ربيع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبا استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رأيت كل كتاب من ربيع العادات قد أتى على جملة من الآداب فاستغفلت تكريرها وإعادتها فإن طلب الإعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المادات فرأيت أن أقصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه المأثورة عنه بالإسناد فأسردها مجموعة فصلا فصلا محدودة الأسانيد ليجمع فيه مع جميع الآداب تعبد الإيمان وتأكيد مشاهدته أخلاقه الكريمة التي شهد آحادها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلمهم رتبة وأجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم أضفت إلى ذكر أخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الأخبار ليكون ذلك مربيا عن مكارم الأخلاق والشيم ومنزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صام الصمم والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فإنه دليل التحيرين وموجب دعوة المضطربين ولتذكرفيه أوليائنا تأديب الله تعالى إياه بالقرآن ثم بيان جوامع من عاين أخلاقه ثم بيان جملة من أدابه وأخلاقه ثم بيان كلامه وضمه ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام ثم بيان أخلاقه وآدابه في اللباس ثم بيان غفوه مع القدرة ثم بيان إغضائه عما كان يكره ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وبأسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته وآياته صلى الله عليه وسلم .

(كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة)

يوما وقد يكون من
لا يكشف شيء من
معاني القدرة أفضل ممن
يكشفها إذا كلفه
الله بصرف المعرفة
فالقدرة أثر من القادر.
ومن أهل قهر القادر
لا يستغرب ولا يستكر
شيئا من القدرة ويرى
القدرة تجلي له من
سجف أجزاء علم
الحكمة فإذا أخلص
العبد لله تعالى أربعين
يوما واجتهد في ضبط
أحواله شيئا من
الأنواع التي ذكرنا
من العمل والذكر
والقوت وغير ذلك
تعود بركة تلك
الأربعين على جميع
أوقاته وساعاته وهو
طريق حسن اعتمده
طائفة من الصالحين
وكان جماعة من
الصالحين يخارون

(بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفه همدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال عن الله تعالى أن يزيده بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق فكان يقول في دعائه اللهم حسن خلقى وخلقى ^(١) ويقول اللهم جنّبى منكرات الأخلاق ^(٢) فاستجاب الله تعالى دعاءه وفاء بقوله عز وجل - ادعونى استجب لكم - فأنزله عليه القرآن وأدبه به فكان خلقه القرآن . قال سعد بن هشام دخلت على عائشة رضى الله عنها وعن أبيها فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت أما خيرا القرآن قلت بلى قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ^(٣) وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى - خذ العز و أمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين - وقوله - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وقوله - واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور - وقوله - ولين صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور - وقوله - فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين - وقوله - وليضحا وليصنعوا أتعجبون أن يغفر الله لكم - وقوله - ادفع بالحق هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - وقوله - والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين - وقوله - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا - ولما كرت رباعيته وشجع يوم أحد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجهه بنهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم ^(٤) فأنزله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - تأديبا له على ذلك وأمثال هذه التأديبات فى القرآن لأخضر وهو عليه السلام المقصود الأول بالتأديب والتهديب ثم نهى بشرق النور على كافة الخلق فانه أدب بالقرآن وأدب الخلق به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ه بثت لأنهم مكارم الأخلاق ^(٥) ثم رغب الخلق فى محاسن الأخلاق بما أوردناه فى كتاب رياضة النفس وتهديب الأخلاق فلا نعيد ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أنبى عليه فقال تعالى - وإنك لملئ خلق عظيم - فسبحان ما أعظم شأنه وأنتم امتنانه ثم انظر إلى عظيم لطفه وعظيم فضله كيف أعطى ثم أنبى فهو الذى زينه بالخلق الكريم ثم أنصف إليه ذلك فقال - وإنك لملئ خلق عظيم - ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق أن الله يحب مكارم الأخلاق ويغض سفاهها ^(٦) قال على رضى الله عنه ياعجب لرجل مسلم يحبه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يغنى عقابا لقد كان يغنى له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فانها مما تدر على سبيل النجاة فقال له رجل أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما هو خير منه لما أنبى بسبأيا طي وقفت جارية فى السبي فقالت يا محمد

للأربعين ذا القعدة وعشر ذى الحجة وهى أربعون موسى عليه السلام . أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إجازة قال أنا أبو منصور محمد ابن عبد الملك بن خيرون إجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن على الجوهري إجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن ساعد قال ثنا الحسين بن الحسن الروزى قال ثنا عبد الله بن المبارك قال ثنا أبو معاوية الضرير قال ثنا الحجاج عن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ه من أخلص لله تعالى العبادة أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه .

(١) حديث كان يقول فى دعائه اللهم حسن خلقى وخلقى أحمد من حديث ابن مسعود ومن حديث عائشة ولفظهما اللهم أحسن خلقى فأحسن خلقى وإسنادهما جيد وحديث ابن مسعود رواه حب (٢) حديث اللهم جنّبى منكرات الأخلاق ت وحسنه وك وصححه واللفظ له من حديث قطبة ابن مالك وقالت ت اللهم إنى أعوذ بك (٣) حديث سعد بن هشام دخلت على عائشة فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن رواه مسلم ووم الحاكم فى قوله إنها لم يخرجاه (٤) حديث كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد الحديث فى نزوله ليس لك من الأمر شيء - من حديث أنس وذكره خ تعليقا (٥) حديث بثت لأنهم مكارم الأخلاق أحمد وك هق من حديث أنس هرة قال الحاكم صحيح على شرطه وقد تقدم فى آداب الصحبة (٦) حديث إن الله يحب معالى الأخلاق ويغض سفاهها هق من حديث سهل بن سعد متصلا ومن رواه طلحة ابن عبيد الله بن كرز مرسلًا ورجلها هقا .

إن رأيت أن تخل عني ولا تشمت بي أحياء العرب فاني بنت سيد قومي وإن أبي كان يحرمي القدام
ويك العاني ويشبع الجائع ويظم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم
الطائي فقال صلى الله عليه وسلم بإجارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه خلوا
عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق قيام أبو بردة بن نيار فقال
يا رسول الله الله يحب مكارم الأخلاق فقال والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا عمن الأخلاق (١)
وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال «إن الله حنف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال» (٢)
ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الضيعة ولين الجانب وبذل للعروف وإطعام الطعام وإنشاء السلام
وعيادة المريض للسلم برآكان أوفاجراً وتشيع جنازة السلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلماً كان
أو كافراً وتوفير ذي الشية السلم وإجابة الطعام والدعاء عليه والعفو والاصلاح بين الناس والجلود
والسكرم والسماحة والابتداء بالسلم وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ما حرمه الإسلام من
الامور والباطل والقناء والمعازف كلها وكل ذي نور وكل ذي دخل والقيصة والكذب والبخل والشح
والجفاء والسكر والحديعة والخبث والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبنى والعدوان والظلم .
قال أنس رضي الله عنه فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ولم يدع غشاً أو قال عيباً أو
قال شيئاً إلا حذرناه ونهانا عنه (٣) ويكنى من ذلك كله هذه الآية - إن الله يأمر بالعدل والإحسان -
وقال معاذ أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث
والوفاء بالمهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام
وحسن العمل وقصر الأمل وزوم الإيمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب
وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكماً أو تكذب صادقاً أو تطيع آمراً أو تهمل إماماً عادلاً أو
تفسد أرضاً وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة السراسر
والعلانية بالعلانية (٤) فهكذا أدب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب .
(يان جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار)
فقال كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس (٥)

(١) حديث على قوله وإعجاباً لرجل مسلم يحبه أخوه للسلم في حاجة فلا يرى نفسه للغير أهلاً الحديث
وفيه مرفوعاً لما أتى بسبايا طي* وقفت جارية في السبي فقالت يا محمد إن رأيت أن تخل عني الحديث
ت الحكيم في نوادر الأصول باسناد فيه ضعف (٢) حديث معاذ حنف الإسلام بمكارم الأخلاق
ومحاسن الأعمال الحديث بطوله لم أقف له على أصل وينفي عنه حديث معاذ الآتي بعده بحديث
(٣) حديث أنس لم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها لم أقف له
على إسناده وهو صحيح من حيث الواقع (٤) حديث يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث أبو نعيم
في الحلية وحق في الزهد وقد تقدم في آداب الصحبة (٥) حديث كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس
أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عبد الرحمن بن أبيزى كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحلم الناس الحديث وهو مرسل . وروى أبو حاتم بن حبان من
حديث عبد الله بن سلام في قصة إسلام زيد بن شحنة من أجاب اليهود وقول زيد لعمر بن الخطاب
يا عمر كل علامات النبوة قد عرفت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه الإثنتين
لم أخبرهما من سبق حلمه جهله ولا زبده شدة الجهل عليه إلا حلماً قد اختبرتهما الحديث .

[الباب التاسع

والمشرون في أخلاق

الصوفية وشرح الخلق]

الصوفية وأوفى الناس

حقاً في الاعتداء

يرسل الله صلى الله

عليه وسلم وأحبه

ياحياء سنته والتخلق

بأخلاق رسول الله

صلى الله عليه وسلم من

حسن الاعتداء وإحياء

سنته على ما أخبرنا

الشيخ العالم ضياء

الدين شيخ الإسلام

أبو أحمد عبد الوهاب

ابن علي قال أنا أبو الفتح

عبد الملك بن أبي

القاسم الهروي قال

أنا أبو نصر عبد العزيز

ابن حمد الترياقى قال

أنا أبو محمد عبد الجبار

ابن محمد الجراحي قال

أنا أبو الباس محمد بن

أحمد الهبوبي قال أنا

أبو عيسى محمد بن

وأشجع الناس (١) وأعدل الناس (٢) وأعطف الناس لم تمس يده قط بدمارة لا يملك رقبها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه (٣) وكان أسخى الناس (٤) لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء لم يجد من عطيه وفجاء الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه (٥) لا يأخذ مما آتاه الله إلى قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعر ويضع سائر ذلك في سبيل الله (٦) لا يسل شيئا إلا أعطاه (٧) ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأت به شيء (٨) وكان يخفف النعل ويرقع الثوب ويعمد في مهنة أهله (٩)

(١) حديث أنه كان أشجع الناس متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث كان أعدل الناس في التماثل من حديث علي بن أبي طالب في الحديث الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه وفيه قد وسع الناس بسطه وخلقه ضارلهم أبوا صاروا عنده في الحق سواء الحديث وفيه من لم يسم (٣) حديث كان أعف الناس لم تمس يده قط بدمارة لا يملك رقبها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم له الشيخان من حديث عائشة مامست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده امرأة إلا امرأة يملكها (٤) حديث كان ﷺ أسخى الناس الطبراني في الأوسط من حديث أنس فضلت على الناس بأربع بالسقاء والسجاعة الحديث ورجاله ثقات وقال صاحب الزان إنه منكر وفي الصحيحين من حديثه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وافقا عليه من حديث ابن عباس وتقدم في الزكاة (٥) حديث كان لا يبيت عنده دينار ولا درهم قط وإن فضل لم يجد من عطيه وفجاء الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه من حديث بلال في حديث طويل فيه أهدى صاحب فذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركائب عليهن كسوة وطعام ويسع بلال لذلك ووفاء دينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في السجدة وحده وفيه قال فضل شيء قلت نعم دينار قال انظر أن تريعي منها فقلت بداخل على أحد من أهلي حتى تريعي منها فلم يأتنا أحد فبات في السجدة حتى أصبح وظل في السجدة اليوم الثاني حتى إذا كان في آخر النهار جاء راكبا فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى إذا صلى التمة دعاني فقال ما فعل الذي قبلك قلت قد أراحك الله منه فكبر وحمده شققا من أن يدركه الموت وعنده ذلك ثم اتبعته حتى جاء أزواجه الحديث والبخاري من حديث عقبة ابن الحارث ذكرت وأنا في الصلاة فكرهت أن أسمى وبيت عندنا فأمرت بقسمته ولأبي عبيد في غريه من حديث الحسن بن محمد مرسلان لا يقبل مالا عنده ولا يبيته (٦) حديث كان لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعر ويضع سائر ذلك في سبيل الله متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم في الزكاة (٧) حديث كان لا يسل شيئا إلا أعطاه الطيالسي والدارمي من حديث سهل بن سعد والبخاري من حديثه في الرجل الذي سأله الشعلة فقيل له سألتها ياها وقد علمت أنه لا يرسل شيئا الحديث ولمسلم من حديث أنس مائل على الإسلام شيئا إلا أعطاه وفي الصحيحين من حديث جابر مائل شيئا قط فقال لا (٨) حديث أنه كان يؤثر عما ادخر لعياله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام هذا معلوم ويدل عليه ما روت ن ه من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة بشرين صاعا من طعام أخذه لأهله وقال ه ثلاثين صاعا من شعر وإسناده جيد وخ من حديث عائشة توفي ودرعه مرهونة عند يهودي ثلاثين وفي رواية هي ثلاثين صاعا من شعر (٩) حديث وكان صلى الله عليه وسلم يخفف النعل ويرقع الثوب ويعمد في مهنة أهله أحد من حديث عائشة كان يخفف نعله ويحيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في مهنة ورجاله رجال الصحيح ورواه أبو الشيخ لفظ ويرقع الثوب والبخاري من حديث عائشة كان

عيسى بن سورة الترمذي قال ثنا مسلم ابن حاتم الأنصاري البصري قال ثنا محمد ابن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس ابن مالك رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس في قلبك غش لأحد فافعل» ثم قال: يا بني وذلك من سقى ومن أحمأ سقى قد أحمأ ومن أحمأ كان معي في الجنة « فالصوفية أحمأ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم وقفوا في بداياتهم لرعاية أمواله وفي وسط حالهم اتقوا بأعماله فأشعرهم ذلك أن تحقوا

وينقطع اللحم مهن^(١) وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد^(٢) ويحب دعوة العبد والحر^(٣) ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو غنذ أرنب ويكافئ عليها^(٤) ويأكلها ولا يأكل الصدقة^(٥) ولا يستكبر عن إجابة الأمة والسكين^(٦) يغضب لربه ولا يغضب لنفسه^(٧) وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشرئين على الشرئين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيد في عدد من معه فابى وقال : أنا لا أنصر بمشرك^(٨) ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلين بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وإن بأصحابه الحاجة إلى مبرير واحد يتقون به^(٩) وكان يصب الحجر على بطنه

يكون في مهنة أهله^(١٠) حديث أنه كان يقطع اللحم أحمد من حديث عائشة أرسل إلى آل أبي بكر بمائة شاة لئلا فأنسكت وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقالت فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعت وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر في أثناء حديث وأيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا حزنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من سواد بطنها^(١١) حديث كان من أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حياء من العذراء في خدرها^(١٢) حديث كان يحب دعوة العبد والحر هك من حديث أنس كان يحب دعوة للملوك قال ك صحيح الاسناد . قلت بل ضيف ولدر قطني في غراب مالك وضعفه والخطيب في أمهات من روى عن مالك من حديث أبي هريرة كان يحب دعوة العبد إلى أي طعام دعى ويقول لودعيت إلى كراع لأجبت وهذا بمومه دال على إجابة دعوة الحر وهذه القطعة الأخيرة عندخ من حديث أبي هريرة وقد تقدم وروى ابن سعد من رواية حمزة بن عبد الله بن عتبة كان لا يدعوه أحمر ولا أسود من الناس إلا أجابه الحديث وهو مرسل^(١٣) حديث كان يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو غنذ أرنب ويكافئ عليها من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ، وأما ذكر جرعة اللبن وغنذ الأرنب في الصحيحين من حديث أم الفضل أنها أرسلت بقدر لبن إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف برفة فخر به وأحمد من حديث عائشة أنه أتت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا الحديث وفي الصحيحين من حديث أنس أن أباطلة بعث بورك أرنب أو غنذها إلى رسول الله ﷺ قبله^(١٤) حديث كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم^(١٥) حديث كان لا يستكبر أن يمسي مع السكين نك من حديث عبد الله بن أبي أوفى بسند صحيح وقد تقدم في الباب الثاني من آداب الصحبة ورواه أيضا من حديث أبي سعيد الخدري وقال صحيح على شرط الشيخين^(١٦) حديث كان يغضب لربه ولا يغضب لنفسه في التبايل من حديث هند بن أبي هالة وفيه وكان لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لعضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وفيه من لم يسم .^(١٧) حديث وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشرئين على الشرئين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيد في عدد من معه فابى وقال أنا لا أنصر بمشرك من حديث عائشة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة فصرح به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزد عليه وقال أدركه قال جئت لأبكم واصيب معك فقال له اتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن استعين بمشرك الحديث^(١٨) حديث وجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلين اليهود فلم يحف عليهم فوداه بمائة ناقة الحديث متفق عليه من حديث سهل بن أبي حثمة ورافع بن خديج والرجل الذي وجد مقتولا هو عبد الله بن سهل الأنصاري .

في نهاياتهم بأخلاقه
وتحسين الأخلاق
لا يأتي إلا بعد زكية
النفس وطريق الزكية
بالإذعان لسياسة
الشرع وقد قال الله
تعالى لبيه محمد صلى
الله عليه وسلم - وإنك
لعل خلق عظيم -
لما كان أشرف الناس
وأزكاهم نفسا كان
أحسنهم خلقا قال مجاهد
على خلق عظيم أي على
دين عظيم والدين
مجموع الأعمال الصالحة
والأخلاق الحسنة .
سئلت عائشة رضي الله
عنها عن خلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قالت كان خلقه القرآن
قال قتادة هو ما كان
يأمرهم به من أمر الله تعالى
وينهى عما نهى الله
عنه وفي قول عائشة
كان خلقه القرآن سر

مرة من الجوع^(١) ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال وإن وجد ثمرا دون خبز أكله^(٢) وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبزاً أو شعيراً أكله وإن وجد حلواً أو عسلاً أكله وإن وجد لبناً دون خبز أكتفى به وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكله ، لا يأكل مسكناً^(٣) ولا طيخاً^(٤) منديله باطن قديمه^(٥) لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية^(٦) حتى لقي الله تعالى إشاراً على نفسه لا تقرا ولا تجلأ^(٧) يجب الوليمة ويعود المرضى^(٨) ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس^(٩)

(١) حديث كان يصب الحجر على بطنه من الجوع شفق عليه من حديث جابر في قصة حفر الخندق وفيه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم شد على بطنه حجراً وأغرب حب قتال في صحبته إنعاهو الحجز بضم الحاء وآخره زاي جمع حجرة وليس بتتابع على ذلك ويرد على ذلك ما رواه ت من حديث أبي طلحة شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفضنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين ورجاله كلهم تقات (٢) حديث كان يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال إن وجد ثمرا دون خبز أكله وإن وجد خبزاً أو شعيراً أكله وإن وجد حلواً أو عسلاً أكله وإن وجد لبناً دون خبز أكتفى به وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكله انتهى . هذا كله معروف من أخلاقه فتي ت من حديث أم هانئ دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعندك شيء ؟ قلت لا إلا خبز يابس وخلت فقال هات الحديث ، وقال حسن غريب وفي كتاب التماثل لأبي الحسن بن الضحاک بن القرى من رواية الأوزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بأبالي ما رددت به الجوع وهذا معضل ولمسلم من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم فقالوا ما عندنا إلا خل فدعاه الحديث وله من حديث أنس رأيتُه مقعياً يأكل تمرات وت وصحبه من حديث أم سلمة أنها قربت إليه جنباً مشوياً فأكل منه الحديث وللشيخين من حديث عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً خبز بر حتى مضى لسبيله لفظه وفي رواية له ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين وت وصحبه وه من حديث ابن عباس كان أكثر خبزم الشعير وللشيخين من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل ولهما من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب لبناً فدعا بساء فضمض ون من حديث عائشة كان يأكل الرطب بالبطيخ واسناده صحيح (٣) حديث أنه كان لا يأكل مسكناً تقدم في آداب الأكل في الباب الأول (٤) حديث أنه كان لا يأكل على خوان تقدم في الباب المذكور (٥) حديث كان منديله باطن قدمه لا أعرفه من فعله وإنما المعروف فيه ما رواه ه من حديث جابر كنا زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلاً ما نجد الطعام فإذا وجدناه لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وقد تقدم في الطهارة (٦) حديث لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تقدم في جملة الأحاديث التي قبله ثلاثة أحاديث (٧) حديث كان يحب الوليمة هذا معروف وتقدم قوله لودعيت إلى كراع لأجبت وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس أنه كان الرجل من أهل العوالي ليدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصف الليل على خبز الشعير فيجيب واسناده ضيف (٨) حديث كان يعود المرضى ويشهد الجنائز وت وصنفه وه ك وصحبه من حديث أنس ورواه ك من حديث سهل بن حنيف ، وقال صحيح الاسناد وفي الصحيحين عدة أحاديث من عيادته للمرضى وشهوده للجنائز (٩) حديث كان يمشي وحده بين أعدائه بلا حارس ت ك من حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية - والله يصمك من الناس - فأخرج رأسه من القبة فقال انصرفوا فقد عصني الله قال ت غريب وقال ك صحيح الاسناد .

كبير وعلم غامض
ما نطقت بذلك إلا بما
خصها الله تعالى به
من ركة الوحي الساوي
وصحبة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتخصيصه
بإها بكلمة خذوا شطر
دينكم من هسنة
الحميراء وذلك أن
النفوس مجبولة على
غرائر وطباع هي من
لوازمها وضروورها
خلقت من تراب ولها
بحسب ذلك طبع
وخلقت من ماء ولها
بحسب ذلك طبع
وهكذا من حمائمون
ومن صلصال كالفخار
وبحسب تلك الأصول
التي هي مبادئ تكوينها
استفادت صفات من
الهيمنة والسبعة
والشطانية وإلى صفة
الشيطة في الإنسان
إشادة بقوله تعالى - من

أشد الناس تواضعا وأسكنهم في غير كبر (١) وأبلنهم في غير تطويل (٢) وأحسنهم بشرا (٣) لا يهوله شيء من أمور الدنيا (٤) ويلبس ما وجد ثمرة شملة ومرة بردجرة يمانيا ومرة جبة صوف ما وجد من اللباس (٥) وخاتمة فضة (٦) يلبسه في خنصره الأيمن (٧) والأيسر (٨) يردف خلفه عبده أو غيره (٩) يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بصيرا ومرة بفيلة شهاء ومرة حمارا ومرة يمشى

(١) حديث كان أشد الناس تواضعا وأسكنهم من غير كبر أبو الحسن بن الضحاك في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري في صفته صلى الله عليه وسلم حين للثقة لين الخلق كريم الطبيعة جميل العاشرة طليق الوجه إلى أن قل متواضع في غير ذلة وفيه دائب الاطراق وإسناده ضعيف وفي الأحاديث الصحيحة الدالة على شدة تواضعه غنية عنه منها عند من حديث ابن أبي أوفى كان لا يألف ولا يستكبر أن يمشى مع الأملة وللكتين الحديث وقد تقدم وعند أبي داود من حديث البراء فجلس وجلسنا كأن على رؤسنا الطير الحديث ولأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك أنيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رؤسهم الطير (٢) حديث كان أبلغ الناس من غير تطويل خ م من حديث عائشة كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه ولهما من حديثها لم يكن يسرد الحديث كسر دم علقه خ ووصله م زادت ولكنه كان يتكلم بكلام بينه فبصل يحفظه من جلس إليه وله في الثمائل من حديث ابن أبي هالة يتكلم بجوامع الكلم فصل لافضول ولاقتصر (٣) حديث كان أحسنهم بشرا ت في الثمائل من حديث علي بن أبي طالب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق الحديث وله في الجامع من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب قات وفيه ابن لهيعة (٤) حديث كان لا يهوله شيء من أمور الدنيا أحمد من حديث عائشة ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا وما أعجبه أحد قط إلا ذوقني وفي لفظ له ما أعجب النبي صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها ذوقتي وفيه ابن لهيعة (٥) حديث كان يلبس ما وجد ثمرة شملة ومرة جبة صوف ما وجد من اللباس خ م من حديث سهل بن سعد جاءت امرأة بردة . قال سهل هل تدرون ما البردة هي الشملة منسوج في حاشيتها وفيه فخرج إلينا وإنها لإزاره الحديث ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في شملة قد عقد عليها فيه الأحوص بن حكيم مختلف فيه وللشيخين من حديث أنس كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلبسها الحبرة ولهما من حديث المغيرة بن شعبة وعليه جبة من صوف (٦) حديث خاتمة فضة متفق عليه من حديث أنس اتخذ خاتما من فضة (٧) حديث لبسه الخاتم في خنصره الأيمن م من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة في يمينه ولبخاري من حديثه فأنى لأرى بريقه في خنصره (٨) حديث تخنمه في الأيسر م من حديث أنس كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى (٩) حديث إردافه خلفه عبده أو غيره أردف صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد من عرفة كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة وأردفه مرة أخرى على حمار وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة وهو مولاة وابن مولاة وأردف الفضل بن عباس من الزدلفة وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة ومن حديث ابن عباس والفضل بن عباس وأردف معاذ بن جبل وابن عمر وغيرهم من الصحابة .

صلصال كالقفاخار
لدخول النار في النخار
وقد قال الله تعالى -
وخلق الجن من مارج
من نار سواقه تعالى غنى
لطفه وعظيم عنايته
نزع نصيب الشيطان
من رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ماورد
في حديث حليلة ابنة
الحارث أنها قالت
في حديث طويل فينا
نحن خلف يوتنا
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم مع أخ له
من الرضاة في بهم
لنا جاءنا أخوه يشتد
فقال ذلك أخى القرشي
قد جاءه رجلا ن عليهما
ثياب يبيض فأضجعا
فشقاً بطنه فخرجت
أنا وأبوه نشدت نحوه
فنجده قائما منتعنا لونه
فاغتتقه أبوه ، وقال
أى بنى ماشأناك ؟ قال

راجلا حافيا بلارداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود الرضى في أقصى المدينة^(١) يحب الطيب ويكره الرائحة الردية^(٢) ويجالس الفقراء^(٣) ويؤاكل الساكين^(٤) ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالرهم^(٥) يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم^(٦) لا يعطى على أحد^(٧)

(١) حديث كان يركبها مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بقلنسوة ومرة حمارا ومرة رجلا ومرة حافيا بلارداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود الرضى في أقصى المدينة في الصحيحين من حديث أنس ركوبه صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة وسلم من حديث سهل بن سعد كان لثي^{عليه السلام} فرس يقال له: اللحيث ولها من حديث ابن عباس طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على بعير ولها من حديث البراء رأت النبي صلى الله عليه وسلم على بظنة البيضاء يوم حنين ولها من حديث أسامة بن زيد صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على إكاف الحديث ولها من حديث ابن عمر كان يأتي قبا راكبا وماشيا وسلم من حديثه في عيادته صلى الله عليه وسلم سعد بن عباد بن قتاد وقمنا معه ونحن بضعة عشر ماعينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نغشى في السباغ الحديث (٢) حديث كان يحب الطيب والرائحة الطيبة ويكره الروائح الردية من حديث أنس حبيب إلى النساء والطيب ودك من حديث عائشة أنها صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف فلبسها فلما عرق وجد ريح الصوف فضلمها وكان يحبه الريح الطيبة لظنك وقال صحيح على شرط الشيخين ولأن عدى من حديث عائشة كان يكره أن يوجد منه إلا ريح طيبة (٣) حديث كان يجالس الفقراء من حديث أبي سعيد جلست في عصابة من ضغفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستربضا من العرى الحديث وفيه فجلس رسول الله^{صلى الله عليه وسلم} وسطنا ليعدل بنفسه فينا الحديث وهو من حديث خباب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تطردوا الذين يدعون ربهم - إصاها حسن (٤) حديث مؤاكلة المهاجرين من حديث أبي هريرة قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بث بها إليهم ولم يتناول منها وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها (٥) حديث كان يكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالرهم ت في التماثل من حديث على الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم وكان من سيرته يشار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين وفيه ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويؤلفه عليهم الحديث وللطبراني من حديث جرير في قصة إسلامه فألقى إلى كساءه ثم أقبل على أصحابه ثم قال إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه وإسناده جيد ورواه من حديث معبد بن خالد الأنصاري عن أبيه نحوه وقال صحيح الاستناد (٦) حديث كان يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم له من حديث ابن عباس كان يجلس العباس لإجلال الوالد والوالدة وله من حديث سعد بن أبي وقاص أنه أخرج عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس نخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن علينا فقال ما أنا أخرجكم وأسكنه ولكن الله أخرجكم وأسكنه قال في الأول صحيح الاستناد وسكت عن الثاني وفيه مسلم للثاني ضعف فأثر عليا لفضله بتقدم إسلامه وشهوده بدرا والله أعلم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد لا يقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر (٧) حديث كان لا يجمع على أحد دت في التماثل ون في اليوم واليلة من حديث أنس كان فلما يواجه رجلا بى يكرهه وفيه ضعف وللشيخين من حديث أبي هريرة أن رجلا استأذن عليه صلى الله عليه وسلم فقال بش أخو المشيرة فلما دخل ألان له القول الحديث .

جاء في رجلا ن عليهما
ثياب بياض فأضجاني
فشقا بطي ثم استخرجنا
منه شيئا فطره ثم
رداه كما كان فرجنا
به معنا فقال أبوه
يا حليمه لقد خشيت
أن يكون ابني هذا
قد أصيب انطلقى
بنا فلزده إلى أهله قيل
أن يظهر به ما تخوف
قالت فاحتملناه فلم تزع
أه إلا وقد قدما به
عليها قالت ما ردك قد
كنتا عليه حرصين
قلنا لا والله لأخبر إلا
أن الله عز وجل قد
أدى عنا وقضينا القدي
كان علينا وقلنا نغشى
الألوف والأحداث
نرده إلى أهله قتالت
ماذا بك بكما فاصدقاني
شأنك فلم تدعنا حق
أخبرناها خبره قتالت
خشيتا عليه الشيطان

يقبل معدرة المتذر إليه (١) يمزح ولا يقول إلا حقا (٢) يضحك من غير قهقهة (٣) يرى اللعب الباح فلا ينكره (٤) يسابق أهله (٥) وترفع الأصوات عليه فيصبر (٦) وكان له لقاح وغنم يتغوث هو وأهله من ألبانها (٧) وكان له عبيد وإماء لا يرضع عليهم في مأكل ولا ملابس (٨) ولا يغضى له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيها لا بد منه من صلاح نفسه (٩) يخرج إلى بساين أمهاته (١٠)

(١) حديث يقبل معدرة للمتذر إليه متفق عليه من حديث كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خلفوا وفيه طلق الخلفون يتذرون إليه قبل منهم علانيته الحديث (٢) حديث يمزح ولا يقول إلا حقا أحمد من حديث أبي هريرة وهو عند بلقظ قالوا إنك تداعينا قال إني ولا أقول إلا حقا وقال حسن (٣) حديث ضحك من غير قهقهة الشيخان من حديث عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجما ضاحكا حتى أرى لمهواته إنما كان يتيسم وت من حديث عبد الله بن الحارث ابن جزء ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسما قال صحيح غريب وله في الثمائل في حديث هند بن أبي هالة جل ضحكه التبسم (٤) حديث يرى اللعب الباح ولا ينكره الشيخان من حديث عائشة في لعب الحبشة بين يديه في المسجد وقال لهم دونكم بابي أرفقة وقد تقدم في كتاب السباع (٥) حديث مساقته صلى الله عليه وسلم أهله دون في الكبرى وه من حديث عائشة في مساقته لها وتقدم في الباب الثالث من النكاح (٦) حديث رفع الأصوات عنده فيصبر من حديث عبد الله بن الزبير قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القمقام بن معبد وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافي وقال عمر ما أردت خلافتك قباريا حتى ارتفعت أصواتهما فزلت - يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله - (٧) حديث وكان له لقاح وغنم يتغوث هو وأهله من ألبانها محمد بن سعد في الطبقات من حديث أم سلمة كان عيشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن أوقات أكثر عيشنا كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاح بالغابة الحديث وفي رواية له كانت لنا أغر سبيع فكان الراعي يبلغ بهن مرة الحى ومرة أحدا وبروح بهن علينا وكانت لقاح بنى الحبل فيؤب إلينا ألبانها بالليل الحديث وفي إسناده محمد بن عمر الواقدي ضيف في الحديث وفي الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع كانت لقاح رسول الله ﷺ رعى بنى قرد الحديث ولأبي داود من حديث لقيط بن صبرة لنا غنم مائة لا تريد أن تزيد فإذا وله الراعي بهمة ذبحنا مكانها شاة الحديث (٨) حديث كان له عبيد وإماء فلا يرفع عليهم في مأكل ولا ملابس محمد بن سعد في الطبقات من حديث سلمى قالت كان خدم النبي صلى الله عليه وسلم أنا وخضرة وروى وميمونة بنت سعد أعتقهن كلهن وإسناده ضعيف وروى أيضا أن أبا بكر بن حزم كتب إلى عمر بن عبد العزيز بأسماء خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بركة أم أيمن وزيد بن حارثة وأبا كبشة وأنسة وشقران وسفينة وثوبان ورباحا ويسارا وأبارافع وأمامورية ورافعا أعتقهم كلهم وفضالة ومدعما وكركرة وروى أبو بكر بن الصالح في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد ضعيف كان صلى الله عليه وسلم يأكل مع خادمه وم من حديث أبي اليسر أطمعهم عما تأكلون وألبسهم عما تلبسون الحديث (٩) حديث لا يغضى له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيها لا بد منه من صلاح نفسه في الثمائل من حديث علي بن أبي طالب كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ بينه وبين الناس فرد ذلك بالخاصة على العامة الحديث (١٠) حديث يخرج إلى بساين أمهاته تقدم في الباب الثالث من آداب الأكل خر وجه صلى الله عليه وسلم إلى بساين أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري وغيرهما.

كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإنه لكان لابن هذا شأن ألا أخبركما خبره قلنا بلى قالت حملت به لما حملت حمل قط أخف منه قالت فرأيت في النوم حين حملت به كأنه خرج من نور قد أضاءت به قصور الشام ثم وقع حين ولدته وتوقعا لم يقمه الولود معتمدا على يديه رافعا رأسه إلى السماء فدعا عنك فبعد أن ظهر الله رسوله من نصيب الشيطان بجيت النفس الزكية النبوة على حد نفوس البشر لها ظهور بصفات وأخلاق بمقاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للخلق لوجود أمهات تلك الصفات في نفوس الأمة بمزيد من الظلمة

لا يحقر مسكيناً لفقره وزماتته ولا يهاب ملكاً لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستوي^(١) قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة الثابتة وهو أسمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحارى في قفر وفي رعاية الغنم يتنابأب له ولا أم فضله الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين ومافيه النجاة والفوز في الآخرة والنبطة والخص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول^(٢) . وقتنا الله لطافته في أمره والتأسي به في فعله آمين يارب العالمين .

(بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه)

كما رواه أبو البخري قالوا ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً من المؤمنين بشيعة إلا جعلها كفارة ورحمة^(٣) . وما لمن امرأة قط ولا خادماً بلية^(٤) وقيله وهو في القتال لو ائتمهم يارسول الله

(١) حديث لا يحقر مسكيناً لفقره وزماتته ولا يهاب ملكاً لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحداً من حديث سهل بن سعد مرّ رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقولون في هذا ؟ قالوا حري إن خطب أن ينكح الحديث وفيه لمرّ رجل من قراء المسلمين فقال ما تقولون في هذا ؟ قالوا حري إن خطب أن لا ينكح الحديث وفيه هذا خير من ملء الأرض مثل هذا وم من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر والتجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل (٢) حديث قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة الثابتة وهو أسمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحارى وفي قفر وفي رعاية الغنم لأب له ولا أم فضله الله جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين ومافيه النجاة والفوز في الآخرة والنبطة والخص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول هذا كله معروف معلوم فروى ت في التماثل من حديث علي ابن أبي طالب في حديثه الطويل في صفته وكان من سيرته في جزء الأمة إشار أهل الفضل بأذنه وقسمه الحديث وفيه فسأته عن سيرته في جلساته فقال كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب الحديث وفيه كان يخزن لسانه إلا فيما بينه وفيه قد ترك نفسه من ثلاث من اللراء والإكثار وما لا بينه الحديث وقد تقدم بشه وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس في قوله - وما كنت تلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك - قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم أمياً لا يقرأ ولا يكتب وقد تقدم في العلم والبخارى من حديث ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام - قد خسر الدين قتلا أولادهم فيها بغير علم - وهم وجب من حديث أم سلمة في قصة هجرة الحبشة أن جفرا قال فتجاشي أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة الحديث ولأحمد من حديث أبي بن كعب إني لني صحراء ابن عشرين وأشهر فإذا كلام فوق رأسي الحديث وخ من حديث أبي هريرة كنت أرهاها أي التمس على قرابيط لأهل مكة ولأبي بلي وحب من حديث حليمة إنما زجوا كرامة الرضاعة من والد للولود وكان بها الحديث وتقدم حديث بنت بمكارم الأخلاق (٣) حديث ما شتم أحداً من المؤمنين إلا جعلها كفارة ورحمة متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فأى المؤمنين لنته شتمته جلدة فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة . وفي رواية فاجعلها زكاة ورحمة وفي رواية فاجعلها كفارة وقربة وفي رواية فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة (٤) حديث ما لمن امرأة ولا خادماً قط للعروف ما ضرب مكان لمن كما هو متفق عليه من حديث عائشة ولبخارى من حديث أنس لم يكن لحافها ولا لمانا وسبأ الحديث الذي بعده في هذا المعنى .

هاوت حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الأمة فاستمدت تلك الصفات للبقاء يظهرها في رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزول الآيات المحكمات بأزائها لتمامها تأدياً من الله لنبيه رحمة خاصة له وجامعة للأمة موزعة بنزول الآيات على الآمان والأوقات عند ظهور الصفات قال الله تعالى - رَقُولُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيَّ الْقُرْآنُ جَمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لَنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً - وثبتت الفؤاد بعد اضطرابه بحركة النفس بظهور الصفات لارتباط بين القلب والنفس وعند كل اضطراب آية متضمنة لخلق صالح سوى إما

قال هـ إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعنا (١) وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له (٢) وما ضرب يده أحدا قط إلا أن يضرب به في سبيل الله تعالى وما انتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله وما خبر بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك (٣) وما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته (٤) وقال أنس رضي الله عنه والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه لمصلته ولا لمي نسائه إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقد ر (٥) قالوا وما عاب رسول الله ﷺ مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض (٦) وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يبعث في السطر الأول فقال محمد رسول الله عبدى المختار لافظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسبئية السيئة ولكن ينفو ويصفح ، مؤلفه بمكة وهجرته بطابة وملسكه بالشام يآزر على وسطه هو ومن معه دعاه للقرآن والعلم يتوضأ على أطرافه وكذلك نعت في الإنجيل وكان خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام (٧) ومن قاومه حاجة صابره حتى يكون هو للنصرف (٨) وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر (٩)

(١) حديث إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعنا م من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له الشيخان من حديث أبي هريرة قالوا يا رسول الله إن دوسا قد كفرت وأبت فادع عليهم قبيل هلكت دوس فقال اللهم اهد دوسا وات بهم (٣) حديث ما ضرب يده أحدا قط إلا أن يضرب في سبيل الله وما انتقم في شيء صنع إليه إلا أن تنتهك حرمة الله الحديث متفق عليه من حديث عائشة مع اختلاف وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة (٤) حديث ما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته مع تعليل ما من حديث أنس إن كانت الأمة من إمام أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتطلق به حيث شاءت ووصله هـ وقال فابزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها وقد تقدم ويضامن حديث ابن أبي أوفى ولا يأنف ولا يستكبر أن يمشى مع الأرملة والسكين حتى يقضى لهما حاجتهما (٥) حديث أنس والذي بعثه بالحق ما قال في شيء قط كرهه لمصلته ولا لمي أحد من أهله إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقد ر الشيخان من حديث أنس ما قال كفى سنته لم صنعت ولا كفى تركته لم تركته وروى أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث له فيه ولا أمرني بأمر فتوايت فيه فأتيتني عليه فإن عاتبتني أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شيء كان وفي رواية له كذا قضى (٦) حديث ما عاب مضجعا إن فرشوا له اضطجع على الأرض ، لم أجده بهذا اللفظ والمعروف ما عاب طعاما ويؤخذ من عموم حديث على بن أبي طالب ليس بقط إلى أن قال ولا عاب روايت في الثمائل والطبراني وأبو نعيم في دلائل النبوة وروى ابن أبي عاصم في كتاب السنن من حديث أنس ما أعلاه عاب شيئا قط وفي الصحيحين من حديث عمر اضطجعا على حصير وتوضأ وصحبه من حديث ابن مسعود نام على حصير فقام وقد أثر في جنبه الحديث (٧) حديث كان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام في الثمائل من حديث هند بن أبي هالة (٨) حديث ومن قاومه الحاجة صابره حتى يكون هو للنصرف الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث على بن أبي طالب وهو من حديث أنس كان إذا لقي الرجل يكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو للنصرف ورواه ت نحوه وقال غريب (٩) حديث وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر هـ من حديث أنس الذي قبله كان إذا استقبل الرجل فضاغله لا يزع يده من يده حتى يكون الرجل يزع لقط وقال غريب .

وكان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يده فشا به ثم شد قبضته عليها^(١) وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله^(٢) وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة ؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته^(٣) وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك يديه عليهما شبه الحبوة^(٤) ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه^(٥) لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس^(٦) وما روى قط ما إذا رجليه بين أصحابه حتى لا يضيّق بهما على أحد إلا أن يكون للسكان واسعا لا يضيّق فيه وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة^(٧) وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه^(٨) وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته فإن أبي أن يقلها عزم عليه حتى يفعل^(٩) وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه^(١٠) حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة

(١) حديث كان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يده فشا به ثم شد قبضته من حديث أبي ذرٍّ وسأله رجل من غزوة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحكم إذا لقيتموه قال ما لقيته قط إلا صالحتي الحديث ، وفيه الرجل الذي من غزوة ولم يسم وصماه البيهقي في الأدب عبد الله وروينا في علوم الحديث للحاكم من حديث أبي هريرة قال شبك يدي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وهو عندهم بل يلفظ أخذ رسول الله ﷺ يدي (٢) حديث كان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله عز وجل ت في الثمائل من حديث على في حديثه الطويل في صفته وقال على ذكر بالتونين (٣) حديث كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته لم أجده أصلا (٤) حديث كان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك يديه عليهما شبه الحبوة د ت في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتج يديه وإسناده ضعيف والبخاري من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة محتجيا يديه (٥) حديث إنه لم يكن يعرف مجلسه من مجالس أصحابه د من حديث أبي هريرة وأبي ذرٍّ فلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهري أصحابه فيجىءه من قريب فلا بدري أنهم هو حتى يسأل الحديث (٦) حديث إنه حينما انتهى به المجلس جلس ت في الثمائل في حديث على الطويل (٧) حديث ما روى قط ما إذا رجليه بين أصحابه حتى يضيّق بهما على أحد إلا أن يكون للسكان واسعا لا يضيّق فيه الدار قطني في غرائب مالك من حديث أنس وقال باطل وتوهلر مقدما ركبتيه بين يدي جليسي له زاد ابن ماجه قط وسنده ضعيف (٨) حديث كان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه ك وصحح إسناده من حديث أنس . دخل جرير بن عبد الله على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فأخذ برده فألقاه عليه فقال اجلس عليا بجرير الحديث وفيه فإذا أتاكم كرم قوم فأكرمهم وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصبغة والطبراني في الكبير من حديث جرير فألقى إلى كساء ولأني نهيم في الحلية فبسط إلى رداءه (٩) حديث كان يؤثر الداخل بالوسادة التي تكون تحته الحديث تقدم في الباب الثالث من آداب الصبغة (١٠) حديث ما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة ت في الثمائل من حديث على الطويل وفيه يعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جلسيه أن أحدا أكرم عليه منه وفيه مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة

معنى قوله عليه السلام « إنما أنسى لأسن »
فظهر صفات نفسه
الشريفة وقت استئزال
الآيات لتأديب نفوس
الامة وتهذيبها رحمة
في حقهم حتى تركي
قوسهم وتشرق
أخلاقهم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« الأخلاق عزيمة
عند الله تعالى فإذا أراد
الله تعالى بيد خيرا
منه منها خلقها وقال
صلى الله عليه وسلم
« إنما بشت لأقسم
مكارم الأخلاق » .
وروى عنه صلى الله
عليه وسلم « إن الله
تعالى ما تقوبضه عشر

دل الله تعالى - فيها رحمة من الله لت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نقصوا من حوكم - ولقد كان يدعو أصحابه بكنائهم إكراما لهم واستئالة لقلوبهم (١) ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به (٢) ويكنى أيضا النساء اللاتي لهن الأولاد واللاتي لم يلدن ينادى لهن الكنى (٣) ويكنى الصبيان فيستلين به (٤) قلوبهم وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا (٥) وكان أرفأ الناس بالناس وخير الناس للناس وأقنع الناس للناس (٦) ولم تكن ترفع في مجلسه الأصوات (٧) وكان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ثم يقول عليهن جبريل عليه السلام (٨) .

(بيان كلامه وضحه صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس منطقا وأحلام كلاما ويقول (٩) :

خلقنا من آتاه واحدا منها فدخل الجنة «
تقدبرها وتعديها لا يكون إلا بوحى
مماوى لمسل ونبي»
والله تعالى أبرز إلى
الخلق أسماء منبهة
عن صفاته سبحانه
وتعالى وما أظهرها
لهم إلا ليدعوا إليها
ولولأن الله تعالى أودع
في القوس البشرية
التخلق بهذه الأخلاق
ما أبرزها لهم دعوة
لهم إليها يختص رحمة
من يشاء ولا يعد
والله أعلم أن قول
عائشة رضي الله عنها
كان خلقه القرآن فيه
رمز تامض ولعمارة

(١) حديث كان يدعو أصحابه بكنائهم إكراما لهم واستئالة لقلوبهم في الصحيحين في قصة الغار من حديث أبي بكر يابا بكر ماظلك بائنين الله ثالثهما وللحاكم من حديث ابن عباس أنه قال لعمر يابا حفص أبهرت وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر إنه لأول يوم كنتاني فيه بأبي حفص وقال صحيح على شرطهم وفي الصحيحين أنه قال لعلى قم يابا تراب وللحاكم من حديث رفاعة بن مالك أن أباحسن وجد منضا في بطنه فتخلفت عليه بريد عليا ولأبي يمل للموصل من حديث سعد ابن أبي وقاص فقال من هذا أبو إسحاق فقلت نعم وللحاكم من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم كناه أبا عبد الرحمن ولم يولد له (٢) حديث كان يكنى من لم يكن له كنية وكان يدعى بما كناه به ت من حديث أنس قال كنتاني النبي صلى الله عليه وسلم بقلعة كنت اختلها بيني أبا حمزة قال حديث غريب وه أن عمر قال لصعب بن مالك تكتنى وليس لك ولد قال كنتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي يحيى وللطبراني من حديث أبي بكر تديت بكرة من الطائف فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم فأنت أبو بكر (٣) حديث كان يكنى النساء اللاتي لهن الأولاد واللاتي لم يلدن ينادى لهن الكنى ك من حديث أم أيمن في قصة شربها بول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يأمن أيمن أي إلى تلك الفخارة الحديث وه من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ كل أزواجك كنيته غيري قال فأنت أم عبد الله وخ من حديث أم خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يأمن خالد هذا سنة وكانت صغيرة وفيه مولى للزبير لم يسم ولأبي داود باسناد صحيح أنها قالت يا رسول الله كل صواحي لهن كنى قال فاكتنى بابنك عبد الله بن الزبير (٤) حديث كان يكنى الصبيان في الصحيحين من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخ له صغير يابا عمير ما فضل النغير (٥) حديث كان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا هذا من المعلوم ويدل عليه إخباره صلى الله عليه وسلم أن بني آدم خيرهم بطى غضب مريع الفى رواه ت من حديث أبي سعيد الخدري وقال حديث حسن وهو صلى الله عليه وسلم خير بني آدم وسيدهم وكان ﷺ لا يفضب نفسه ولا ينتصر لها رواه ت في التماثل من حديث هذبن أبي هالة (٦) حديث كان أرفأ الناس بالناس وخير الناس للناس وأقنع الناس للناس هذا من المعلوم وروينا في الجزء الأول من فوائد أبي الدحداح من حديث علي في صفة النبي صلى الله عليه وسلم كان أرحم الناس بالناس الحديث بطوله (٧) حديث لم تكن ترفع في مجلسه الأصوات ت في التماثل من حديث على الطويل (٨) حديث كان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك الحديث أخرجه النسائي في اليوم واليلة وك في المستدرك من حديث رافع بن خديج وتقدم في الأذكار والدعوات (٩) حديث كان أفصح الناس منطقا وأحلام كلاما أبو الحسن بن الضحاك في كتاب التماثل وابن الجوزي

أنا أفصح العرب ^(١) وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم ^(٢) وكان نزر الكلام سمح للقاله إذا نطق ليس بهذار وكان كلامه كخزرات نظمن ^(٣) قالت عائشة رضى الله عنها كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا كان كلامه زرا وأنتم تنثرون الكلام ثرا ^(٤) قالوا وكان أوجز الناس كلاما وبذلك جاء جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد ^(٥) وكان يتكلم بمجوامع الكلم لافضول ولاقتصير كأنه يتبع بضه بضامين كلامه توقف يحفظه سامعه وبنيه ^(٦) وكان جهير الصوت أحسن الناس نعمة ^(٧) وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ^(٨)

في الوفاء باسناد ضعيف من حديث بريدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفصح العرب وكان يتكلم بالكلام لا يدرون ماهو حتى يجبرهم ^(١) حديث أنا أفصح العرب الطبراني في الكبير من حديث أبي سعيد الخدري أنا أعرب العرب وإسناده ضعيف وك من حديث عمر قال قات يارسول الله ما بالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا الحديث . وفي كتاب الردو للطبراني في الدنيا في حديث مرسل أن أعرابيا قال للنبى صلى الله عليه وسلم ما رأيت أفصح منك ^(٢) حديث إن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم ك من حديث ابن عباس ومعه كلام أهل الجنة عربى ^(٣) حديث كان نزر الكلام سمح للقاله إذا نطق ليس بهذار وكان كلامه خزرات النظم الطبراني من حديث أم معبد وكان منطق خزرات نظم يتعدون حلو للنطق لا نذر ولا هذر وقد تقدم وسائى من حديث عائشة بسده كان إذا تكلم تكلم زرا وفي الصحيحين من حديث عائشة كان يحدثنا حديثا لوعده العاد لأحصاء ^(٤) حديث عائشة كان لا يسرد كسردكم هذا كان كلامه زرا وأنتم تنثرونه ثرا اتفق الشيخان على أول الحديث وأما الجملتان الأخيرتان فرواه الخلمى في فوائده باسناد منقطع ^(٥) حديث كان أوجز الناس كلاما وبذلك جاء جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد عبد بن حميد من حديث عمر بسند منقطع والدارقطنى من حديث ابن عباس باسناد جيد أعطيت مجوامع الكلم واختصر لى الحديث اختصارا وشطره الأول متفق عليه كاسائى قال خ بلغنى في مجوامع الكلم أن الله جمع له الأمور الكثيرة في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك وللحاكم من حديث عمر التقدم كانت لفة اسماعيل قد درست فجاء بها جبريل لحفظها ^(٦) حديث كان يتكلم بمجوامع الكلم لافضول ولاقتصير كلام يتبع بضه بضامين كلامه توقف يحفظه سامعه وبنيه ت في التهاثل من حديث هند بن أبى هالة وفي الصحيحين من حديث أبى هريرة بعث مجوامع الكلم ولأبى داود من حديث جابر كان في كلام النبى صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل وفيه شيخ لم يسم وله وللازمذى من حديث عائشة كان كلام النبى صلى الله عليه وسلم كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه وقالت يحفظه من جلس إليه وقالت ت في اليوم واليلة يحفظه من سمعه وإسناده حسن ^(٧) حديث كان جهير الصوت أحسن الناس نعمة ت ن في الكبرى من حديث صفوان بن عسال قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم في سفر بيننا نحن عنده إذ ناداه أعرابى بصوته جهورى يا محمد فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم على نحو من صوته هاؤم الحديث . وقال أحمد فى مسنده وأجابه نحوأما تكلم به الحديث وقد يؤخذ من هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان جهورى الصوت ولم يكن يرفعه دائما وقد يقال لم يكن جهورى الصوت وإنما رفع صوته رفقا بالأعرابى حتى لا يكون صوته أرفع من صوته وهو الظاهر وللشيخين من حديث البراء ما سمعت أحدا أحسن صوتا منه ^(٨) حديث كان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ت في التهاثل من حديث هند بن أبى هالة .

خفى إلى الأخلاق
الربانية فاحتشمت
من الحضرة الإلهية
أن تقول متخلقا
بأخلاق الله تعالى
فصبرت عن اللغى بقولها
كان خلقه القرآن
استحياء من صبهات
الجلال وستر الحال
بلطف اللقال وهذا
من وفور علمها وكال
أدبها وبين قوله تعالى
- ولقد آتيناك سبعا
من الثانى والقرآن
العظيم - وبين قوله
- وإنك للى خلق عظيم -
مناسبة مشمرة بقول
عائشة رضى الله عنها
كان خلقه القرآن .
قال الجنبى رحمه الله

ولا يقول النكر ولا يقول في الرضا وال غضب إلا الحق (١) ويبرض عن تكلم بغير جميل (٢) ويكنى عما اضطره الكلام إليه بما يكره (٣) وكان إذا سكنت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده (٤) في الحديث يعظ بالجد والصيحة (٥) ويقول لا تضربوا القرآن بعنه يعرض فانه أنزل على وجوه (٦) وكان أكثر الناس تبسا وضحكا في وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخطا لنفسه بهم (٧) ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه (٨) وكان ضحك أصحابه عنده التيسم اقتداء به وتوقيرا له (٩) قالوا ولقد جاءه أعرابي يوما وهو عليه السلام متغير اللون ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفضل يا أعرابي فانا نسكر لونه فقال دعوني فوالذي بيته بالحق نبيا لأدعه حتى يتيسم فقال يا رسول الله بلغنا أن المسيح يعنى الله الدجال يأتي الناس بالثرید وقد هلكوا جوعا أفترى لي بأبي أنت وأمي أن أكف عن ثريد تفضا وتنزها حتى أهلك هذا أم أضرب في ثريد حتى إذا تضلعت شيئا آمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يفتيك الله بما يعنى به للمؤمنين (١٠) قالوا وكان

(١) حديث لا يقول النكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق د من حديث عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فتهنى قريش وقالوا تكتب كل شيء ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال أكتب فوالذي نفسى بيده ما يخرج منه إلا حق رواه ك ومحمه (٢) حديث يبرض عن تكلم بغير جميل ت في الثبائيل من حديث على الطويل يتناقل عما لا يشئ الحديث (٣) حديث يكنى عما اضطره الكلام بما يكره فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة رافعة حتى تذوق عسيلته ويذوق عيلتك رواه خ من حديث عائشة ومن ذلك ما اتفقا عليه من حديثها في المرأة التي سأله عن الاغتسال من الحيف خذى فرصة عمكة فتطيرى بها الحديث (٤) حديث كان إذا سكنت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث ت في الثبائيل في حديث على الطويل (٥) حديث يعظ بالجد والصيحة م من حديث جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه ونالاسوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم الحديث (٦) حديث لا تضربوا القرآن بعنه يعرض فانه أنزل على وجوه الطيراني من حديث عبد الله بن عمرو بامنا حدسن إن القرآن يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعنه يعرض وفي رواية للهروري في ذم الكلام إن القرآن لم ينزل لتضربوا بعنه يعرض وفي رواية له بهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعنه يعرض وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف (٧) حديث كان أكثر الناس تبسا وضحكا في وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخطا لنفسه بهم ت من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين من حديث جرير ولا رأيي إلا تبسم ت في الثبائيل من حديث على يضحك مما تضحكون منه وتعجب مما تعجبون منه و م من حديث جابر بن مرة كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم (٨) حديث ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود في قصة آخر من يخرج من النار وفي قصة الخبر الذي قال إن الله يضع السموات على أصبع ومن حديث أبي هريرة في قصة الجامع في رمضان وغير ذلك (٩) حديث كان ضحك أصحابه عنده التيسم اقتداء به وتوقيرا له ت في الثبائيل من حديث هند بن أبي هالة في أثناء حديثه الطويل جل ضحكه التيسم (١٠) حديث جاءه أعرابي يوما وهو متغير ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفضل يا أعرابي فانا نسكر لونه فقال دعوني والذي بيته بالحق نبي لا أدعه حتى يتيسم فقال

كان خلقه عظيما لأنه لم يكن له همة سوى الله تعالى وقال الواسطي رحمه الله لأنه جاد بالكونين عوضا عن الحق وقيل لأنه عليه السلام عاثر الخلق بخلقهم وبابنهم بقبله وهذا ما قاله بعضهم في معنى التصوف: التصوف الخلق مع الخلق والصدق مع الحق وقيل عظم خلقه حيث صفت الأكوان في عينه بشاهدة مكنونها وقيل معنى خلقه عظيما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه . وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته إلى

من أكثر الناس تبسبا وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يحط بحظيرة عظة (١) وكان إذا سر ورضى فهو أحسن الناس رضا فان وعظ وعظ بمجد وإن غضب وليس يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها (٢) وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله وتبرا من الحلول والقوة واستنزل الهدى يقول : اللهم أرني الحق حقا فأبذعه وأرني للشكر منكرا وارزقني اجتنابه وأعذني من أن يشبهه على فأنتج هوأى بغير هدى منك واجعل هوأى تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسى فى عافية واهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم (٣).

(بيان أخلاقه وآدابه في الطعام)

كان صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد (٤) وكان أحب الطعام إليه ما كان على صنف (٥) والصف

يارسول الله بلغنا أن السبع الدجال يأتي الناس بالثرید وقد هلكوا جوعا الحديث وهو حديث منكر لم أقفله على أصل ویرده قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الثبيرة بن شعبة التفق علیه حين سأله أنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك وفى رواية لمسلم أنهم يقولون إن معه جبلا من خبز ولحم الحديث نعم فى حديث حذيفة وأبى مسعود التفق عليهما إن معه ماء ونارا الحديث (١) حديث كان من أكثر الناس تبسبا وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه القرآن أو يذكر الساعة أو يحط بحظيرة عظة تقدم حديث عبد الله بن الحارث ما رأيت أحدا أكثر تبسبا منه ولا طبرانى فى مكارم الأخلاق من حديث جابر كان إذا نزل عليه الوحي قلت نذير قوم فاذا سرى عنه فأكثر الناس ضحكا الحديث ولأحمد من حديث على أو الزبير كان يحط بيذكر بأبهم الله حتى يعرف ذلك فى وجهه وكأنه نذير قوم يصحبهم الأمر غدوة وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه ورواه أبو يعلى من حديث الزبير من غير شك وللحارث من حديث جابر كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وهو عند مسلم بافظ كان إذا خطب (٢) حديث كان إذا سر ورضى فهو أحسن الناس رضا وإن وعظ وعظ بمجد وإن غضب ولا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان فى أموره كلها أبو الشيخ بن حبان فى كتاب أخلاق النبي ﷺ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرف غضبه ورضاه بوجهه كان إذا رضى فكأنما تلاحاح الجدر وجهه وإسناده ضعيف والراد به المرأة توضع فى الشمس فىرى ضوءها على الجدار وللشيخين من حديث كعب بن مالك قال وهو يرق وجهه من السرور وفيه وكان إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قر وكنا نعرف ذلك منه الحديث وم كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه الحديث وقد تقدم وت فى الشائل فى حديث هناد بن أبى هالة لا تغضب الدنيا وما كان منها فاذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصره ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وقد تقدم (٣) حديث كان يقول اللهم أرني الحق حقا فأبذعه وأرني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه وأعذني من أن يشبهه على فأنتج هوأى بغير هدى منك واجعل هوأى تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسى فى عافية واهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم لم أقف لأوله على أصل ، وروى السنن فى الدعوات من حديث أبى هريرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : اللهم إنك سألنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك فأعطنا منها ما مرضك عنا وم من حديث عائشة فيما كان ينتج به صلاته من الليل اهدنى لما اختلف فيه إلى آخر الحديث .

(بيان أخلاقه وآدابه في الطعام)

(٤) حديث كان يأكل ما وجد تقدم (٥) حديث كان أحب الطعام إليه ما كان على صنف

حسن الخلق فى حديث أخبرنا به الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا الفتح المروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الحافظ الترمذى قال حدثنا أحمد بن الحسين ابن خراش قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا مبارك بن فضالة قال حدثنى عبد الله ابن سعيد عن محمد بن للنكدر عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن

ما كثرت عليه الأيدي ، وكان إذا وضعت المائدة قال : باسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة (١) وكان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس للصلى إلا أن الركبة تسكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد (٢) وكان لا يأكل الحار ويقول : إنه غير ذي بركة وإن الله يطعمنا ناراً برده (٣) وكان يأكل مما يليه (٤) ويأكل بأصابعه الثلاث (٥) وربما استعان بالراية (٦) ولم يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان (٧) وجاءه عثمان بن عفان رضى الله عنه بالودج فأكل منه وقال ماهذا يا أبا عبد الله قال بأني أنت وأنى نجعل السمن والصل في البرمة ونضعها على النار ثم نعليه ثم

أى كثرت عليه الأيدي أبو يعلى والطبراني في الأوسط وابن عدى في الكامل من حديث جابر بسند حسن أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي ولأبى يعلى من حديث أنس لم يجتمع له غذا وعشاء خبز ولحم إلا على صنف وإسناده ضعيف (١) حديث كان إذا وضعت المائدة قال باسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة . أما التسمية فرواهان من رواية من خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرب إليه طعاما يقول باسم الله الحديث وإسناده صحيح وأما جبة الحديث فلم أجده (٢) حديث كان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وقدميه كما يفعل للصلى إلا أن الركبة تسكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد . عبد الرزاق في الصنف من رواية أيوب مضاف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل احتفظ وقال أكل كايأكل العبد الحديث وروى ابن الصديق في الثقات من حديث أنس بسند ضعيف كان إذا قد على الطعام استوفى على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفضل كما يفعل العبد روى أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بسند حسن من حديث أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشى على ركبتيه وكان لا يتكبر . أورده في حفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبار من حديث ابن عمر إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ولأبى يعلى من حديث عائشة آكل كايأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وسندها ضعيف (٣) حديث كان لا يأكل الحار ويقول إنه غير ذي بركة وإن الله يطعمنا ناراً البيهقي من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم يوما بطعام سخن فقال ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم ولأحمد بإسناد جيد والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث -وله بنت قيس وقدمت له حريرة فوضع يده فيها فوجد حرها فقبضها لفظ الطبراني والبيهقي وقال أحمد فأحرقت أصابعه فقال حسن والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة أبردوا الطعام فإن الطعام الحار غير ذي بركة وله فيه وفي الصغير من حديثه أن بصفحة غفور فرغ يده منها وقال إن الله لم يطعمنا نارا وكلاما ضعيف (٤) حديث كان يأكل مما يليه أبو الشيخ بن حبان من حديث عائشة وفي إسناده رجل لم يسم وجماع في رواية له وكذلك البيهقي في روايته في الشعب عيدين القاسم نسب سفيان الثوري وقال البيهقي تفرد به عبيد هذا وقد رماه ابن معين بالكذب ولأبى الشيخ من حديث عبد الله بن جعفر نحوه (٥) حديث أكله بأصابعه الثلاث م من حديث كعب بن مالك (٦) حديث استماتته بالراية ورواه في الغيلانيات من حديث عامر بن ربيعة وفيه القاسم بن عبد الله العمرى هالك وفي مصنف ابن أبي شيبة من رواية الزهري مرسلان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل بالحنس (٧) حديث لم يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان الدار قطني في الأفراد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف لا تأكل بأصبع فانه أكل اللؤلؤ ولا تأكل بأصبعين فانه أكل الشياطين الحديث .

من أحبك إلى وأقربكم
منى مجلسا يوم القيامة
أحسنكم أخلاقا وإن
أبغضكم إلى وأبعدكم
منى مجلسا يوم القيامة
الترثارون للتشديقون
للتضيقون قالوا يا رسول
الله علنا الترثارون
وللتشديقون في
التضيقون ؟ قال
للتكبرون والترثارهو
للتكبر من الحديث
والتشديق للتطاؤل
على الناس في الكلام
قال الواسطي رحمه الله
الخلق العظيم أن
لا يخافهم ولا يخافهم
وقال أيضا وإنك لم
خلق عظيم لو جدانك
حلاوة للطالمة على

ناخذ مع الخلطة إذا طحنت فقلبه على السمن والعسل في البرمة ثم نسوطة حتى ينضج فيأتي كاري
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا الطعام طيب ^(١) وكان يا كل خبز الشعير غير منخول ^(٢)
 وكان يا كل القثاء بالربط ^(٣) وبالملح ^(٤) وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب ^(٥)
 وكان يا كل البطيخ بالخبز وبالسكر ^(٦) وربما أكله بالربط ^(٧) ويستعين باليدن جميعا وأكل
 يوما الربط في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فررت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل
 من كفه اليسرى وهو يأكل يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة ^(٨) وكان ربما أكل العنب

(١) حديث جاءه عثمان بن عفان بالقولج الحديث قلت للعروف أن الذي صنع عثمان الحبيص روله
 البيهقي في الشعب من حديث ليث بن أبي سليم قال إن أول من خبص الحبيص عثمان بن عفان قدمت
 عليه غير تعمل النبي والعسل الحديث. وقال هذا منقطع وروى الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث
 عبد الله بن سلام أقبل عثمان ومعه راحلة عليها غرارتان وفيه فاذا دقيق ومن وعسل وفيه ثم قال
 لأصحابه كلوا هذا الذي تسميه فارس الحبيص وأما خير القولج فرواه بإسناد ضعيف من حديث
 ابن عباس قال أول ما صنعنا بالقولج أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أمتك تفتح
 عليهم الأرض ويغاض عليهم من الدنيا حتى إنهم لا يكون القولج قال النبي صلى الله عليه وسلم وما
 القولج قال يغلطون السمن والعسل جميعا قال ابن الجوزي في الموضوعات هذا حديث باطل لأصله
 (٢) حديث كان يا كل خبز الشعير غير منخول البخاري من حديث سهل بن سعد (٣) حديث كان
 يا كل القثاء بالربط متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر (٤) حديث كان يا كل القثاء بالملح
 أبو الشيخ من حديث عائشة وفيه يحيى بن هاشم كذبه ابن معين وغيره ورواه ابن عدى وفيه عباد
 ابن كثير متروك (٥) حديث كان أحب الفاكهة الرطبة إليه البطيخ والعنب أبو نعيم في الطب النبوي
 من رواية أمة بن زيد العبسي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب من الفاكهة العنب والبطيخ
 وروى أبو الشيخ وابن عدى في الكامل والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث أنس
 كان يأخذ الربط يمينه والبطيخ يساره وبأكل الربط بالبطيخ وكان أحب الفاكهة إليه وفيه يوسف
 ابن عطية الصغار جمع على ضعه وروى ابن عدى من حديث عائشة كان أحب الفاكهة لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم الربط والبطيخ وله من حديث آخر لها فان خير الفاكهة العنب وكلاهما ضعيف
 (٦) حديث كان يا كل البطيخ بالخبز والسكر أما أكل البطيخ بالخبز فلم أره وإنما وجدت أكل
 العنب بالخبز فما رواه ابن عدى من حديث عائشة صرفوا عليكم بالمرامة قيل يا رسول الله وما المرامة
 قال أكل الخبز مع العنب فان خير الفاكهة العنب وخير الطعام الخبز وإسناده ضعيف وأما أكل البطيخ
 بالسكر فان أريد بالسكر نوع من التمر والربط مشهور فهو الحديث الآتي بعده وإن أريد به السكر
 الذي هو الطبرزد فلم أره أصلا لإني في حديث منكر مضل رواه أبو عمر التوفاقي في كتاب البطيخ من
 رواية محمد بن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل بطيخا بكرة وفيه موسى بن إبراهيم
 للروزي كذبه يحيى بن معين (٧) حديث أكل البطيخ بالربط بن من حديث عائشة وحسنه وه
 من حديث سهل بن سعد كان يا كل الربط بالبطيخ وهو عند الدار يلفظ البطيخ بالربط (٨) حديث
 استعاته باليدن جميعا فا كل يوما الربط في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فررت شاة فأشار إليها
 بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة أما استعاته يديه
 جميعا فرواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر قال آخر ما رأيت من رسول الله ﷺ في إحدى يديه
 رطبات وفي الأخرى قثاء يا كل من هذه وبعض من هذه وتقدم حديث أنس في أكله يديه قبل

سرك وقال أيضا أنك
 قبلت فون ما سديب
 إليك من نعي أحسن
 عما قبله غيرك من
 الأنبياء والرسل. وقال
 الحسين لأنه لم يؤثر
 فيك جفاء الخلق مع
 مطالمة الحق وقيل
 الخلق العظيم لباس
 التقوى والتخلق
 بأخلاق الله تعالى إذ لم
 يبق للأعواض عنده
 خطر. وقال بعضهم
 قوله تعالى ولو تقول
 علينا بعض الأقاويل
 لأخذنا منه باليمين -
 آثم لأنه حيث قلل وانك
 أحضره وإذا أحضره
 أغفله وحجبه وقوله
 لأخذنا آثم لأن فيه
 فناء في قول هذا القائل

خرطاً يرى زؤانه على لحيته تكثرز اللؤلؤ (١) وكان أكثر طعامه اللحم والتمر (٢) وكان يجمع اللبن بالتمر ويسمها الأطينين (٣) وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمح وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم لقل (٤) وكان يأكل التريد باللحم والقرع (٥) وكان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخى يونس عليه السلام (٦) قالت عائشة رضي الله عنها وكان يقول «يا عائشة إذا طبختم قدراً فأكثرُوا فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين» (٧) وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد (٨) وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له ويؤتيه به فياً كله (٩) وكان إذا أكل اللحم لم يطأطى رأسه إليه ورفضه إلى فيه رفضاً ثم ينهشه انتهاشاً (١٠) وكان يأكل الحبز والسمن (١١)

هذا بثلاثة أحاديث وأما قصته مع الشاة فرويناها في فوائد أبي بكر الشافعي من حديث أنس بإسناد ضيف (١) حديث ربما أكل العنب خرطاً الحديث ابن عدي في الكامل من حديث العباس والعقيل في الضعفاء، من حديث ابن عباس هكذا مختصراً وكلامها ضعيف (٢) حديث كان أكثر طعامه الماء والتمر خ من حديث عائشة توفي رسول الله ﷺ وقد شبعنا من الأسودين التمر والماء (٣) حديث كان يجمع اللبن بالتمر ويسمها الأطينين أحمد من رواية إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال دخلت على رجل وهو يجمع لبناً تمر وقال ادن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم صامها الأطينين ورجاله قاتوا وإمامه لا يضر (٤) حديث كان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمح وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم لقل أبو الوليد الشيخ من رواية ابن سمان قال سمعت من علمائنا يقولون كان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم الحديث وت في السائل من حديث جابر أتاناً النبي صلى الله عليه وسلم في منزلنا قد جعنا له شاة فقال كأنهم علموا أنا نحب اللحم وإسناده صحيح و ه من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم (ه) حديث كان يأكل التريد باللحم والقرع م من حديث أنس (٦) حديث كان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخى يونس ن ه من حديث أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب القرع وقال ن الدباء وهو عندهم بلفظ تعجبه وروى ابن مردويه في تكميله من حديث أبي هريرة قصة يونس فلفظته في أصل شجرة وهي الدباء (٧) حديث يا عائشة إذا طبختم قدراً فأكثرُوا فيها من الدباء فإنها تشد قلب الحزين وروينا في فوائد أبي بكر الشافعي (٨) حديث كان يأكل لحم الطير الذي يصاد م من حديث أنس قال كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال اللهم انني بأحب الخلق إليك يأكل معي هذا الطير فجاء على فأكل معه قال حديث غريب قلت وله طرق كلها ضعيفة ، وروى د ت واستتر به من حديث سفينة قال أكلت مع النبي صلى الله عليه وسلم لحم حباري (٩) حديث كان لا يتبعه ولا يصيده ويجب أن يصاد له فيؤتي به فياً كله قلت هذا هو الظاهر من أحواله فقد قال من تبع الصيد غفل رواه د ن ت من حديث ابن عباس وقال حسن غريب وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبراني قد كانت قبلي لله رسل كلهم يصطاد ويطلب الصيد فهو ضعيف جداً (١٠) حديث كان إذا أكل اللحم لم يطأطى رأسه إليه ورفضه إلى فيه رفضاً ثم نهشه د من حديث صفوان بن أمية قال كنت أكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ اللحم من العظم فقال أدن اللحم من فيك فإنه أهى وأمرأ وت من حديث أنهش اللحم نهشاً فإنه أهى وأمرأ وهو منقطع والذي قبله منقطع أيضاً وللشيخين من حديث أبي هريرة فتناول الذراع فنهش منها نهشة الحديث (١١) حديث كان يأكل الحبز والسمن متفق عيه من حديث أنس في قصة طويلة فيها فأتى بذلك الحبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقت وعصرت أمسلم عكة فأدتمه الحديث وفيه ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ه صنعت فيها شيئاً من مم ولا يصح و د ه من

نظر فهل قال إن كان في ذلك فناء فنى قوله وإنك بقاء وهو بقاء بد فناء والبقاء أتم من الفناء وهذا أليق بتعصب الرساله لأن الفناء إنما عز لمزاحمة وجود منموم فإذا نزع المنوم من الوجود وتبدلت النعوت فأى عزة تبقى في الفناء فيكون حضوره بالله لا بنفسه فأى حجة تبقى هناك . وقيل من أوى الخلق المظلم فقد أوى أعظم المقامات لأن المقامات ارتباطاً عاماً والخلق ارتباطاً بالنعوت والصفات . وقال الجنيذ اجتمع

وكان يجب من الشاة الدراع والكشف ، ومن القدر الدياء ومن الصباغ الحل ومن القرا السجوة (١) ودعا في السجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والبحر (٢) وكان يجب من البقول الهندباء والباذرودج والبقلة الحفاء التي يقال لها الرجلة (٣) وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول (٤) وكان لا يأكل من الشاة سميما : الذكر والأثنين والثانة والبرارة والقدد والحيا والسم ، ويكره ذلك (٥) وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا السكرات (٦) وماذم طعاما قط لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يفضه إلى غيره (٧) وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما (٨)

حديث ابن عمر وددت أن عندي خبزة يضاء من برّ سمراء مبلقة بسمن الحديث قال د منسكو .
(١) حديث كان يجب من الشاة الدراع والكشف ومن القدر الدياء ومن الصباغ الحل ومن القرا السجوة وروى الشيخان من حديث أبي هريرة قال وضعت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قطعة من ترديد ولم فتناول الدراع وكانت أحب الشاة إليه الحديث . وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس كان أحب اللحم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكشف وإسناده ضعيف ومن حديث أبي هريرة ولم يكن يصبه من الشاة إلا الكشف وتقدم حديث أنس كان يجب الدياء قبل هذا بستة أحاديث ولأبي الشيخ من حديث أنس كان أحب الطعام إلى الدياء وله من حديث ابن عباس باسناد ضعيف كان أحب الصباغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحل وله بالاسناد المذكور كان أحب القرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجوة .
(٢) حديث دعا في السجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسمح البزار والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن الأسود قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد سدوس فأهدينا له تمرا وفيه حتى ذكرنا تمر أهلنا هذا الجذامي قال بارك الله في الجذامي وفي حقيقة خرج هذا منها الحديث قال أبو موسى اللدني فيل هو تمر أحمر وبن ه من حديث أبي هريرة السجوة من الجنة وهي شفاء من السم وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص من تصبغ سبع تمرات من سجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سمح (٣) حديث كان يجب من البقول الهندباء والباذرودج والبقلة الحفاء التي يقال لها الرجلة أبو نعيم في الطب النبوي من حديث ابن عباس عليكم بالهندباء فإنه ما يوم إلا ويقطر عليه قطرة من قطر الجنة وله من حديث الحسن بن علي وأنس بن مالك نحوه وكلها ضعيفة وأما الباذرودج فلم أجده فيه حديثا وأما الرجلة فروى أبو نعيم من رواية ثور قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بالرجلة وفي رجله قرحة فداواها بها فبرئت فقال رسول الله ﷺ بارك الله فيك أنتي حيث شئت فأنت شفاء من سبعين داء أداته الصداع وهذا مرسل ضعيف (٤) حديث كان يكره الكليتين لمكانهما من البول وروياه في جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبيد الله بن الشيخ من حديث ابن عباس باسناد ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن علي العدوي أحد الكذابين (٥) حديث كان لا يأكل من الشاة : الذكر والأثنين والثانة والبرارة والقدد والحيا والسم ، ابن عدي ومن طريقه البيهقي من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ورواه البيهقي من رواية مجاهد مرسل (٦) حديث كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا السكرات مالك في الموطأ عن الزهري عن سليمان بن يسار مرسل ووصله الدارقطني في غرائب مالك عن الزهري عن أنس وفي الصحيحين من حديث جابر أتى بقدر فيه خضرات من بول فوجد لها ريحا الحديث وفيه قال فأتى أناسي من لاتاجي ولمسلم من حديث أبي أيوب في قصة بشه إليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه وقال إني أكرهه من أجل ريحه (٧) حديث مدم طعاما قط لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يفضه إلى غيره تقدم أول الحديث وفي الصحيحين من حديث ابن عمر في قصة الضب فقال كلوا فإنه ليس بحرام ولا بأس به ولكنه ليس من طعام قومي (٨) حديث كان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما

فيه أربعة أعيام :
السحاء والألفة
والصبغة والشفقة .
وقال ابن عطاء : الخلق
العظيم أن لا يكون له
اختيار ويكون تحت
الحكم مع قضاء النفس
وقضاء للألوفات . وقال
أبو سعيد القرشي :
العظيم هو الله ومن
أخلاقه الجود والكرم
والصفح والغفر
والإحسان ألا ترى إلى
قوله عليه السلام « إن
له مائة وبضعة عشر
خلقاً من آتى بواحد
منها دخل الجنة » فلا
تخلق بأخلاق الله
تعالى وجد التناء عليه
بقوله - وإنك لملئ

وكان يلقى بأصابه الصخرة ويقول آخر الطعام أكثر بركة (١) وكان يلقى أصابه من الطعام حتى نحر (٢) وكان لا يمسح يده بالتدليل حتى يلقى أصابه واحدة واحدة ويقول إنه لا يدري في أي الطعام البركة (٣) وإذا فرغ قال الحمد لله اللهم لك الحمد أطعمت فأشبعت وسقيت فأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه (٤) وكان إذا أكل الحزب واللحم خاصة غسل يديه بغسل جيد ثم يمسح بفضل الماء على وجهه (٥) وكان يشرب في ثلاث دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث تحميدات (٦) وكان يمسح الماء مصا ولا يصب عبا (٧) وكان يدفع فضل سؤره إلى من على يمينه (٨) فان كان من على يساره أجل رتبة قال للذي على يمينه السنة أن تعطى فان أحببت آثرتهم (٩) وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ (١٠) وكان لا يتنفس في الإناء بل ينحرف عنه (١١) وآتى بإناء فيه

أما الضب في الصحيحين عن ابن عباس لم يكن بأرض قوى فأجندى أعافه ولها من حديث ابن عمر أحلت لنا ميتتان ودمان وفيه أما الدمان فالكبد والطحال واليسقي موقوفاً على زيد بن ثابت إنى لا أكل الطحال وما بي إليه حاجة إلا ليعلم أهلى أنه لا بأس به (١) حديث كان يلقى الصخرة ويقول آخر الطعام أكثر بركة اليسقي في شعب الإيمان من حديث جابر في حديث قال فيه ولا ترفع الصخرة حتى تلمعها أو تلمعها فان آخر الطعام فيه البركة وم من حديث أنس أمرنا أن نسلت الصخرة وقال إن أحدكم لا يدري أي طعامه يبارك له فيه (٢) حديث كان يلقى أصابه من الطعام حتى نحر م من حديث كعب بن مالك دون قوله حتى نحر فلم أقف له على أصل (٣) حديث كان لا يمسح يده بالتدليل حتى يلقى أصابه واحدة واحدة ويقول إنه لا يدري في أي أصابه البركة م من حديث كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يمسح يده حتى يلمعها وله من حديث جابر فإذا فرغ يلقى أصابه فانه لا يدري في أي طعامه تكون البركة واليسقي في الشعب من حديثه لا يمسح أحدكم يده بالتدليل حتى يلقى يده فان الرجل لا يدري في أي طعامه يبارك له فيه (٤) حديث وإذا فرغ قال اللهم لك الحمد أطعمت وأشبعت وسقيت وأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه الطبراني من حديث الحرث بن الحارث بسند ضعيف والبخاري من حديث أنى أمانة كان إذا فرغ من طعامه قال الحمد لله الذي كفانا وآوانا غير مكفى ولا مكفور وقال مرة الحمد لله ربنا غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا (٥) حديث كان إذا أكل الحزب واللحم خاصة غسل يديه غسل جيداً ثم يمسح بفضل الماء على وجهه أبو يعلى من حديث ابن عمر بأسند ضعيف من أكل من هذه اللحوم شيئاً فليغسل يده من ريح وضرة لا يؤذى من حماءه (٦) حديث كان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي آخرها ثلاث تحميدات الطبراني في الأوسط من حديث أنى هريرة ورجاله قات وم من حديث أنس كان إذا شرب تنفس ثلاثا (٧) حديث كان يمسح الماء مصا ولا يصب عبا البخوي والطبراني وابن عدى وابن قانع وابن مندو وأبو نعيم في الصحابة من حديث بهز كان يستاك عرضاً وشرب مصا وللطبراني من حديث أم سلمة كان لا يصب ولأنى الشبخ من حديث ميمونة لا يصب ولا يلمث وكلها ضيفة (٨) حديث كان يدفع فضل سؤره إلى من عن يمينه متفق عليه من حديث أنس (٩) حديث استئذنه من على يمينه إذا كان على يساره أجل رتبة متفق عليه من حديث سهل بن سعد (١٠) حديث شربه بنفس واحد أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم بأسند ضعيف وللحاكم من حديث أنى قتادة ومعه إذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد ولعل تاويل هذين الحديثين على ترك التنفس في الإناء والله أعلم (١١) حديث كان لا يتنفس في الإناء حتى ينحرف عنه ك من حديث أنى هريرة ولا يتنفس أحدكم في الإناء إذا شرب منه ولكن إذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم ليتنفس

خلق عظيم - وقيل
عظم خلقك لأنك لم
ترض بالأخلاق
وسرت ولم تكن إلى
النعمت حتى وصلت إلى
الذات . وقيل لما ثبت
محمد عليه الصلاة
والسلام إلى الحجاز
حجزة بها عن الذات
والشهوآت وأتقاء في
الغرب والجنوة فخاصفا
بذلك عن دنس
الأخلاق قال له
- وإنك لمى خلق
عظيم . - وأخبرنا
الشيخ الصالح أبو زرعة
ابن المافظ أن الفضل
محمد بن طاهر القدسي
عن أبيه قال أنا أبو عمر
الليثي قال أنا أبو محمد

عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال شربتان في شربة وإدامان في إناء ^(١) ثم قال صلى الله عليه وسلم « لا أحرمه ولكني أكره الفخر والحساب بغضول الدنيا غدا وأحب التواضع فإن من تواضع لله رفقه الله » وكان في بيته أهدت حياه من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشبهاء عليهم إن أطعموه أو كل وما أعطوه قبل وما سقوه شرب ^(٢) وكان ربما قام فأخذ مايا كل بنفسه أو يهرب ^(٣) .

(بيان آدابه وأخلاقه في اللباس)

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك ^(٤) وكان يصبغه الثياب الحضر ^(٥) وكان أكثر لبسه البياض ويقول لبسوها أحياءكم وكفونوا فيها موتاكم

وتلك حديث صحيح الاسناد (١) حديث أنى إناء فيه عسل وماء فأبى أن يشربه وقال شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله شربتان في شربة إلى آخره وسنده ضعيف (٢) حديث كان في بيته أهدت حياه من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشبهاء عليهم إن أطعموه أو كل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب الشيخان من حديث أبي سعيد كان أهدت حياه من العذراء في خدرها الحديث وقد ختم وأما كونه كان لا يسألهم طعاما فإنه أراد أى طعام يعينه من حديث عائشة أنه قال ذات يوم يا عائشة هل عندكم شيء ؟ قالت قلت ما عندنا شيء الحديث وفيه فلما رجع قلت أهديت لنا هدية قال ما هو قلت حبيس قال هاتيه وفي رواية قريه وفي رواية للسائي أصبح عندكم شيء تطعميني ولأبي داود هل عندكم طعام وت أعندك غداء وفي الصحيحين من حديث عائشة فدعا بطعام فأبى بخبز وأدم من أدم البيت فقال ألم أربمته على النار فيها لحم الحديث وفي رواية لمسلم لو صنعت لنا من هذا اللحم الحديث فليس في قصة برة إلا الاستفهام والرضا والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهي والله أعلم . وللشيخين من حديث أم الفضل أنها أرسلت إليه بقدر لبن وهو واقف على بعيره فشربه ولأبي داود من حديث أم هانئ فجماعت الوليدة إناء فيه شراب فتناوله فشرب منه وإسناده حسن (٣) حديث وكان ربما قام فأخذ مايا كل أو شرب بنفسه من حديث أم النضر بنت قيس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب ومعه على وعلى ناقة - ولنا دوال معلقة قدام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها الحديث وإسناده حسن وللمزمذى وصححه وابن ماجه من حديث كبشة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من في قربة معلقة قائما الحديث .

(بيان أخلاقه وآدابه في اللباس)

(٤) حديث كان يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك الشيخان من حديث عائشة أنها أخرجه إزارا مما يصنع باليمن وكساء من هذه المدينة فقالت في هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية إزارا غليظا ولهما من حديث أنس كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء نجري غليظ الحاشية الحديث لفظ مسلم وقال خ برد نجري و ه بسند ضعيف من حديث ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قميصا قصيرا يدين والطول ودت وحسنه ون من حديث أم سلمة كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص ولأبي داود من حديث أسماء بنت زيد كانت يد قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرسغ وفيه شبرين حوشب مختلف فيه وتقدم قبل هذا الحديث الجبة والشملة والخبرة (٥) حديث كان أكثر لبسه البياض ويقول لبسوها أحياءكم وكفونوا فيها موتاكم هك من حديث ابن عباس خير ثيابكم البياض فألبسوها أحياءكم وكفونوا فيها موتاكم قال هك صحيح الاسناد وله أصحاب السنن من حديث مرة عليه السلام لبسها فلبسها

عبد الله بن يوسف قال أنا أبو سعيد بن الأعرابي قال ثنا جعفر بن الحجاج الرقي قال أنا أيوب بن محمد الوزان قال حدثني الوليد قال حدثني ثابت عن يزيد عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول « مكارم الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في أبيه ولا تكون في أمه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن

وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير الحرب ^(١) وكان له فباء سندس فيلبسه تحسن خضرته على ياض لونه ^(٢) وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق ^(٣) وكان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها ^(٤) وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها ^(٥) وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره ^(٦) وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول إنما أنا عبد أنبىس كما يلبس العبد ^(٧)

أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وقال ت حسن صحيح (١) حديث كان يلبس القباء المحشو للحرب وغير المحشو الشيخان من حديث السور بن خزيمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه أقية من ديباج مزرر بالذهب الحديث وليس في طرق الحديث لبسها إلا في طريق علقها قال غفرج وعليه قباء من ديباج مزرر بالذهب الحديث وم من حديث جابر لبس النبي صلى الله عليه وسلم يوما قباء من ديباج أهدى له ثم زعه الحديث (٢) حديث كان له قباء سندس فيلبسه الحديث أحمد من حديث أنس أن أكيدر دومة أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة سندس أو ديباج قبل أن ينهي عن الحرب فلبسها والحديث في الصحيحين وليس فيه أنه لبسها وقال فيه وكان ينهي عن الحرب وعند ت وصححه أن أنه لبسها ولكنه قال جبة ديباج منسوجة فيها الذهب (٣) حديث كان ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق أبو الفضل محمد بن طاهر في كتاب صفوة التصوف من حديث عبد الله بن بسر كانت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم إزاره فوق الكعبين وقيصه فوق ذلك ورداؤه فوق ذلك وإسناده ضعيف وك وصححه من حديث ابن عباس كان يلبس قميصا فوق الكعبين الحديث وهو عنده باقظ قميصا قصير اليدين والطول وعندهما وت في الثمائل من رواية الأشعث قال سمعت عمتي تحدث عن عمها فذكر النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فإذا إزاره إلى نصف ساقه ورواه ن وصحى الصحابي عبيد بن خالد واسم عمه الأشعث وهم بيت الأسود ولا يعرف (٤) حديث كان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها د ه ت في الثمائل من رواية معاوية بن قرة بن إبّاس عن أبيه قال أنبت النبي ﷺ في رهط من مزينة وابعناه وإن قميصه لمطلق الأزرار والبيهقي من رواية زيد بن أسلم قال رأيت ابن عمر صلى محلاة أزراره فسأته عن ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وفي العلل للترمذي أنه سأل خ عن هذا الحديث فقال أنا ألقى هذا الشيخ كان حديثه موضوع يعني زهير بن محمد راويه عن زيد بن أسلم قلت تابعه عليه الوليد بن مسلم عن زيد رواه ابن خزيمة في صحيحه للطبراني من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي محتبيا محلل الأزرار (٥) حديث كان له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها د ت من حديث قيلة بنت مخزومة قالت رأيت النبي ﷺ وعليه أعمال ملايتين كانتا بزعفران قالت لا نعرفه إلا من عبد الله بن حسان قلت ورواته م وثقون و د من حديث قيس بن سعد فاغسل ثم ناوله أبي سعد ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها الحديث ورجاله ثقات (٦) حديث ربما لبس الكساء وحده ليس عليه غيره ه وابن خزيمة من حديث ثابت بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بني عبد الأشهل وعليه كساء متلف به الحديث وفي رواية الزبار في كساء (٧) حديث كان له كساء ملبد يلبسه ويقول إنما عبد أنبىس كما يلبس العبد الشيخان من رواية أبي بردة قال أخرجت إلينا عائشة كساء ملبدا وإزارا غليظا قالت في هذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم والبخاري من حديث عمر إنما أنا عبد ولابد الزاقي في النصف من رواية أيوب السخيتي مرفوعا معضلا إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة متصلا.

أراد به السعادة : صدق الحديث وصدق اليأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جالمان وإعطاء السائل والكفاة بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتذم للصاحب وإقراء الضيف ورأسهن الحياء . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال « تقوى الله وحسن الخلق » وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال : الغم والفرح يكون هذا الغم غم فوات الحظوظ العاجلة لأن ذلك

وكان له ثوبان لجمته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة^(١) وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره ويعتد طرفيه بين كنفه^(٢) وربما أمّ به الناس على الجنائز^(٣) وربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتصقا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ^(٤) وكان ربما صلى بالليل في الإزار ويرتدى ببعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نساءه فيصلى كذلك^(٥) ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود فقال كسوته مارأيت شيئا قط كان أحسن من يياضك على سواده^(٦) وقال أنس وربما رأيته صلى بنا الظهر في ثملة عاقدا بين طرفيه^(٧) وكان يتختم^(٨) وربما خرج وفي خاتمه الحيط المربوط بتذكرة به التي^(٩)

(١) حديث كان له ثوبان لجمته خاصة الحديث الطبراني في الصغير والأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف زاد فإذا انصرف طويناها إلى مثله وورده حديث عائشة عند ابن ماجه مارأيته يسب أحدا ولا يطيء له ثوب (٢) حديث ربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره فقدد طرفيه بين كنفه الشيخان من حديث عمر في حديث اعتزاله أهله فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وللبخاري من رواية محمد بن النكدر صلى بنا جابر في إزار قد عنده من قبل قفله وثيابه موضوعة على الشجر وفي رواية له وهو صلى في ثوب ملتصقا به ورداؤه موضوع وفيه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم صلى هكذا (٣) حديث ربما أمّ به الناس على الجنائز لم أنف عليه (٤) حديث ربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتصقا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ أبو يعلى بإسناد حسن من حديث معاوية قال دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في ثوب واحد فقلت بأمر حبيبة أبعث النبي صلى الله عليه وسلم في الثوب الواحد قالت نعم وهو الذي كان فيه ما كان تخي الجمع ورواه الطبراني في الأوسط (٥) حديث ربما كان صلى بالليل ويرتدى ببعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نساءه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في ثوب بعضه على والمسلم كان صلى من الليل وأنا إلى جنبه وأنا حائض وعلى مرط بعضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وللطبراني في الأوسط من حديث أبي عبد الرحمن حاضن عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة يصليان في ثوب واحد نصفه على النبي صلى الله عليه وسلم ونصفه على عائشة وسنده ضعيف (٦) حديث كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الحديث لم أنف عليه من حديث أم سلمة والمسلم من حديث عائشة خرج النبي صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرحل أسود ولأبي داود ون صنع للنبي صلى الله عليه وسلم ردة سوداء من صوف فلبسها الحديث وزاد فيه ابن سعد في الطبقات فذكرت يياض النبي صلى الله عليه وسلم وسوداء ورواه ك فيلفظ جبة وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث أنس ربما رأيته صلى بنا الظهر في ثملة عاقدا بين طرفيه البزار وأبو يعلى بلفظ صلى ثوب واحد وقد خالف بين طرفيه والبزار خرج في مرضه الذي مات فيه مرتديا ثوب قطن فضلى بالناس وإسناده صحيح و ه من حديث عبادة بن الصامت صلى في ثملة قد عقد عليها وفي كامل ابن عدى قد عقد عليها هكذا وأشار سفيان إلى قضاء وفي جزء الطبري فقددها في عنقه ما عليه غيرها وإسناده ضعيف (٨) حديث كان يتختم الشيخان من حديث ابن عمر وأنس (٩) حديث ربما خرج وفي خاتمه حيط مربوط بتذكرة به الذي عد من حديث وثلة بسند ضعيف كان إذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه حيطا وزاد الحارث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث ابن عمر ليذكره به وسنده ضعيف .

بعض من القسطنطين والتعجب وفيه الاعتراض على الله تعالى وعدم الرضا بالقضاء ويكون الفرح للشار إليه الفرح بالحظوظ العاجلة المنوع منه بقوله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - وهو الفرح الذي قال الله تعالى - إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين - لما رأى مفاعله تتوه بالعصبة أولى القوة فأما الفرح بالأقسام الأخروية فمحذور يتنافس فيه قال الله تعالى - قل

وكان يختم به على الكتب ويقول الحاتم على الكتاب خير من التهمة ^(١) وكان يلبس القلانس تحت العام ويغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها ^(٢) وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته ^(٣) وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فربما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أنا كم على في السحاب ^(٤) وكان إذا لبس ثوبا لبسه من قبل يمانته ^(٥) ويقول الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأنجعل به في الناس ^(٦) وإذا نزع ثوبه أخرجه من ميساره ^(٧) وكان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكيناً ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلماً من عمل ثيابه لا يكسوه إلا الله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما أواره حيالاً ^(٨)

(١) حديث كان يختم به على الكتب ويقول الحاتم على الكتاب خير من التهمة الشيخان من حديث أنس لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قالوا إنهم لا يقرءون إلا كتاباً عنخوماً فاخذ حاتمًا من فضة الحديث ون في التمام من حديث ابن عمر أخذ حاتمًا من فضة كان يختم به ولا يلبسه وسنده صحيح وأما قوله الحاتم على الكتاب خير من التهمة فلم أتف له على أصل (٢) حديث كان يلبس القلانس تحت العام ويغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها الطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان من حديث عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قلنسوة يضاء ولأبي الشيخ من حديث ابن عباس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة قلانس: قلنسوة يضاء مضربة وقلنسوة بردجيرة وقلنسوة ذات أذان يلبسها في السفر فرمى وضما بين يديه إذا صلى وإسنادهما ضعيف ولأبي داود ون من حديث ركانة فرق ما بيننا وبين للتشركين العام على القلانس قالت غريب وأبى إسناداه بالقائم (٣) حديث ربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته من حديث ابن عباس صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم للنبر وقد عصب رأسه بصابة دماء الحديث (٤) حديث كانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فرمى طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أنا كم على في السحاب ابن عدى وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهو مرسل ضعيف جدا ولان نعم في دلائل النبوة من حديث عمر في أثناء حديث عمامته السحاب الحديث (٥) حديث كان إذا لبس ثوبا يلبسه من قبل يمانته من حديث أبي هريرة ورجال الصحيح وقد اختلف في رفعه (٦) حديث الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأنجعل به في الناس وقال غريب وهو ك وصححه من حديث عمر بن الخطاب (٧) حديث كان إذا نزع ثوبه خرج من ميساره أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان إذا لبس شيئا من الثياب بدأ بالأيمن وإذا نزع بدأ بالأيسر وله من حديث أنس كان إذا ارتدى أو ترجل أو اتعل بدأ يمينه وإذا خلع بدأ يساره وسندهما ضعيف وهو في الاعتناء في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن قوله لا من فضله [١] حديث كان له ثوب جلعت خاصة الحديث تقدم قريبا بلفظ نوين (٨) حديث كان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكيناً ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلماً الحديث ك في الاستدراك والبيهقي في الشعب من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ثيابه فلبسها فلما بلغ تراقيه قال الحمد لله الذي كساني ما أنجعل به في حياتي وأوارى به عورتي ثم قال ما من مسلم يلبس ثوبا جديدا الحديث دون ذكر تصدقه صلى الله عليه وسلم بثيابه وهو عند ذلك ذكر لبس النبي صلى الله عليه وسلم ثيابه وهو أصح وقد تقدم قال البيهقي وهو غير قوي .

[١] قول الرازي: حديث كان له ثوب الخ ليس هذا الحديث بنسختنا فله بنسخة الرازي .

بغسل الله وبرحته
فذلك فليفرحوا -
وقر عبد الله بن
للبارك حسن الخلق
قال هو بسط الوجه
وبذل للمروف وكف
الأذى فالصوفى قراضوا
نقوسهم بالمكابدات
والمجاهدات حتى أجابت
إلى تحسين الأخلاق
وكم من نفس تحجب
إلى الأعمال ولا تحجب
إلى الأخلاق فنفس
العباد أجابت إلى
الأعمال وجمعت
عن الأخلاق ونقوس
الزهاد أجابت إلى
بعض الأخلاق دون
العض ونقوس
الصوفية أجابت إلى

وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه (١) وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل ثني طاقين تحته (٢) وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره (٣) وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذوالفقار وكان له سيف يقال له الخنم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكانت قبضة سيفه عملة بالفضة (٤) وكان يلبس للنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة (٥) وكان اسم قوسه الكتوم وجبته الكافور (٦) وكان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها الضياء واسم بظله الدليل

(١) حديث كان له فراش من أدم حشوه ليف الحديث متفق عليه من حديث عائشة مقصود: على هذا دون ذكر عرضه وطوله ولأبي الشيخ من حديث أم سلمة كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ما يوضع الإنسان في قبره وفيه من لم يسم (٢) حديث كانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل ثني طاقين تحته ابن سعد في الطبقات وأبو الشيخ من حديث عائشة دخلت على امرأة من الأنصار فأتت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم عباءة مثنية الحديث ولأبي سعيد عنها أنها كانت تفرش للنبي صلى الله عليه وسلم عباءة بآتين الحديث وكلاهما لا يصح وت في التامل من حديث خصه وسئل ما كان فراشه قالت مسح ثنيه ثنتين فينام عليه الحديث وهو منقطع (٣) حديث كان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره متفق عليه من حديث عمر في قصة اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم لسماء (٤) حديث كان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذوالفقار وكان له سيف يقال له الخنم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكان قبضة سيفه عملة بالفضة الطبراني من حديث ابن عباس كان لرسول الله ﷺ سيف قائمته من فضة وقيمتها من فضة وكان يسمى ذا الفقار وكانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول وكانت له حربة تسمى النجمة وكانت له مجن تسمى الدفن وكان له ترس أبيض يسمى موجزا وكان له فرس أدم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الداج المؤخر وكان له بظلة شبيهة يقال لها الدليل وكانت له ناقه تسمى القصواء وكان له حمار يسمى ينفور وكان له بساط يسمى الكر وكانت له عزة تسمى الفر وكانت له ركوة تسمى الصادر وكانت له مرآة تسمى المرأة وكان له مقراض يسمى الجامع وكان له تصب شوخط يسمى للمشوق وفيه على بن غررة الدمشقي نسب إلى وضع الحديث ورواه ابن عدي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم سوداء تسمى العقاب ورواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسلًا وله من حديث علي بن أبي طالب كان اسم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار ت ه من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم تنقل سيفه ذا الفقار يوم بدر و ك من حديث علي في أثناء حديث وسيفه ذو الفقار وهو ضعيف ولابن سعد في الطبقات من رواية مروان بن أبي سعيد بن اللؤلؤ مرسلًا قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف: سيف قلبي وسيف يدعى بتارا وسيف يدعى الخنف وكان عنده بعد ذلك الخنم ورسوب وأصاهما من القلبي وفي مسنده الواقدي وذكر ابن أبي خيثمة في تاريخه أنه يقال إنه ﷺ قدم المدينة ومعه سيفان يقال لأحدهما الضب شهده بدرًا ولأبي داود وت وقال حسن ون وقال منكر من حديث أنس كانت قيمة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة (٥) حديث كان يلبس النطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة لم أتف له على أصل ولا بن سعد في الطبقات وأبي الشيخ من رواية محمد بن علي بن الحسين مرسلًا كان في درع النبي صلى الله عليه وسلم حلقتان من فضة (٦) حديث كان اسم قوسه الكتوم وجبته الكافور لم أجد

الأخلاق الكريمة كلها أخبرنا الشيخ أبو زرعة إجازة عن أبي بكر ابن خلف إجازة عن السلمي قال سمعت حسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت أبا بكر الكتاني يقول التصوف خلق لمن زاد عليك بالخلق زاد عليك بالتصوف فالعباد أجابتهم هم إلى الأعمال لأنهم يسلكون بنور الاسلام والزهاد أجابتهم هم إلى بعض الأخلاق لكونهم سلكوا بنور الإيمان والصوفية أهل القرب سلكوا بنور الاحسان قلنا يا بشر يا هؤلاء أهل

وكان اسم حمارة ينفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة^(١) وكان له مطهرة من غفار يتوضأ فيها ويشرب منها^(٢) فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يذفون عنه فإذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم ويتنفضون بذلك البركة.

(بيان غفوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة)

كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس^(٣) وأرغبهم في الغفوة مع القدرة حتى أتى بقلاده من ذهب وفضة قسمها بين أصحابه فقام رجل من أهل البادية قال «يا محمد وإلهك لئن أمرتك الله أن تعدل فأراك تعدل فقال ويحك فمن يعدل عليك بعدى فلما ولي قال ردوه على رويدها^(٤)» روى جابر «أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يا رسول الله اعدل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل قد خبت إذن وخسرت إن كنت لا أعدل فقام عمر فقال ألا أضرب عنقه فإنه منافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي^(٥)» وكان رسول الله ﷺ في حرب فراؤا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني فقال الله قال فقصط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال من يمنعك مني فقال كن خير أخذ قال قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال لا غير أني لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك على سيئه فجاء أصحابه فقال جئتكم من عند خير الناس^(٦)» وروى أنس «أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة لبأكل منها فحسبها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فألحسا عن ذلك فقالت أردت قتلك فقال

له أصلا وقد تقدم في حديث ابن عباس أنه كانت له قوس تسمى السداو وكانت له كنانة تسمى الجمع وقال ابن أبي خيثمة في تاريخه: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من سلاح بني قينقاع ثلاثة قسي: قوس اسمها الروحاء وقوس شوخط تدعى البيضاء وقوس صفراء تدعى الصفراء من سبع^(١) حديث كان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها الضياء واسم بئله الدلدل واسم حمارة ينفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة تقدم بضه من حديث ابن عباس عند الطبراني والبيهقي من حديث أنس كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقه يقال لها الضياء ولمسلم من حديث جابر في حجة الوداع ثم ركب القصواء وك من حديث علي: ناقته القصواء وبئله الدلدل وحمارة غفيرة الحديث وروينا في فوائد ابن الدحداح فقال حمارة ينفور وفيه شاته بركة وخ من حديث معاذ كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمارة يقال له غفير ولابن سعد في الطبقات من رواية إبراهيم بن عبد الله من ولد عتبة بن غزوان كانت منافع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم سباع: عجوزة وزمزم وسقيا وبركة ورشة وإهلال وأطراف وفي سننه الواقدي وله من رواية مكحول مرسلات ثمانية تسمى قر^(٢) حديث كانت له مطهرة من غفار يتوضأ فيها ويشرب منها الحديث لم أقف له على أصل.

(بيان غفوه مع القدرة)

(٣) حديث كان أحلم الناس تقدم (٤) حديث أتى بقلاده من ذهب وفضة قسمها بين أصحابه الحديث أبو الشيخ من حديث ابن عمر باسناد جيد (٥) حديث جابر أنه كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يابني الله اعدل الحديث رواه (٦) حديث كان في حرب فروي في المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف الحديث متفق عليه من حديث جابر بنحوه وهو في مسند أحمد أقرب إلى لفظ الصنف وصح الرجل غورث بن الحارث.

القرب والصوفية نور
اليقين وتواصل في
بواطنهم ذلك الصلح
القلب بكل أرجائه
وجوانبه لأن القلب
يبيض بضه بنور
الاسلام وبضه بنور
الايمان وكله بنور
الاحسان والايقان فاذا
ايض القلب وتصور
انكسر نوره على
النفس والقلب وجه
إلى النفس ووجه إلى
الروح والنفس وجه
إلى القلب ووجه إلى
الطبع والفرقة والقلب
إذ لم يبيض كله لم
يتوجه إلى الروح بكلمة
ويكون ذا وجهين
وجه إلى الروح ووجه

ما كان الله ليسلطك على ذلك قالوا أفلا نقول فقال لا (١) وسحره رجل من اليهود فأخبره جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحلّ الصدق فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودى ولا أظهره عليه قط (٢) وقال على رضى الله عنه «بشئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والوزير والقداد قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها غلبة معها كتاب فضدوه منها فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ قلنا أخرجى الكتاب قالت ما معى من كتاب قلنا تخرجى الكتاب أو لتزعين الآيات فأخرجته من غصاصها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة إلى أناس من الشركين بمكة يحرم أمرا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تبجل على إني كنت أمرا مخلصا في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأجبت إذ فاتني ذلك من النسب منهم أن آخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أقبل ذلك كثر أولاءه بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه صدقكم قال عمر رضى الله عنه دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم (٣) . وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قصة قتال رجل من الأنصار هذه قصة ما أريد بها وجه الله فقد ذكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال: «رحم الله أخى موسى قد أودى بأكثر من هذا فاضرب» (٤) وكان صلى الله عليه وسلم يقول «لا يلقى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فاني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» (٥) .

(بيان إغضائه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه (٦) وكان إذا اشتد وجهه أكثر من مس لحية السكرعة (٧) وكان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهاها فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لوقلتم لهذا أن يدع هذه (٨) يعني الصفرة ، وبالأعرابي في السجد بعضرتة فهم به الصعابة قال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنس أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة الحديث رواه وهو عندخ من حديث أبي هريرة (٢) حديث سحره رجل من اليهود فأخبره جبريل بذلك حتى استخرجه الحديث ن بإسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم وقصة سحره في الصحيحين من حديث عائشة بلفظ آخر (٣) حديث على بن رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والوزير والقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ الحديث متفق عليه (٤) حديث قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قصة قتال رجل من الأنصار هذه قصة ما أريد بها وجه الله الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث لا يلقى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فاني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر دت من حديث ابن مسعود وقال غريب من هذا الوجه .

(بيان إغضائه صلى الله عليه وسلم عما يكرهه)

(٦) حديث كان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف رضاه وغضبه بوجهه الحديث وقد تقدم . (٧) حديث كان إذا اشتد وجهه أكثر من مس لحية السكرعة الحديث وقد تقدم أبو الشيخ من حديث عائشة بإسناد حسن (٨) حديث كان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهاها فلم يقل شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لوقلتم لهذا أن يدع هذه يعني الصفرة دت في الشامل و ن في اليوم والآلة من حديث أنس وإسناده ضعيف .

إلى النفس فاذا ابيض
كله توجه إلى الروح
بكله فيتداركه مدد
الروح ويزداد إشراقا
وتورا وكلما انجذب
القلب إلى الروح
انجذبت النفس إلى
القلب وكلما انجذبت
توجهت إلى القلب
بوجهه الذي يليه
وتور النفس لتوجهها
إلى القلب بوجهها
الذي يلي القلب وعلامة
تورها طمأنينتها قال
الله تعالى - يا أيها

«لا ترموه» أي لا تفضوا عليه البول ثم قال له «إن هذه للساجد لاتصلح لشيء من القدر والبول والحلاء» (١) وفي رواية قربوا ولا تنفروا وجاءه أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه صلى الله عليه وسلم ثم قال له أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت قال غضب للسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئا ثم قال أحسنت إليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك قلت ماقلت وفي نفس أمهاني شيء من ذلك فإن أحببت قتل بين أيديهم ماقلت بين يدي حتى ينهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى كذلك فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم : إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبها الناس فلم يزدوها إلا قهورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فاني أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قدام الأرض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال قتلتموه دخل النار (٢)

(بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمك شيئا (٣) وكان على رضى الله عنه إذا وصف الي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس لمعة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله (٤) وما سئل عن شيء قط على الاسلام إلا أعطاه (٥) وإن رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما سدت مابين جبلين فرجع إلى قومه وقال أسلموا فإن عمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة ومما مثل شيئا قط فقال لا (٦) وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعه على حصير ثم قام إليها فقسمها لما رد سائلا حتى فرغ منها (٧) وجاءه رجل فسأله

(١) حديث بالأعرابي في السجدة بحضرته فقال صلى الله عليه وسلم لا ترموه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث جاء أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أحسنت إليك فقال الأعرابي لا ولا أجملت الحديث بطوله البزار وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

(بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم)

(٣) حديث كان أجود الناس وأسخم في شهر رمضان كالريح المرسلة الشيخان من حديث أنس كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس ولهما من حديث ابن عباس كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان وفيه فاذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة (٤) حديث كان على إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأجرأ الناس صدرا الحديث رواه ت وقال ليس إسناده متصل (٥) حديث ما سئل شيئا قط على الاسلام إلا أعطاه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث ما سئل شيئا قط فقال لا متفق عليه من حديث جابر (٧) حديث حمل إليه تسعون ألف درهم فوضعه على حصير ثم قال إليها يقسمها لما رد سائلا حتى فرغ منها أبو الحسن ابن الضحاك في الشامل من حديث الحسن مرسلا أن رسول الله ﷺ قدم عليه مال من البحرين فماتون ألفا لم يقدم عليه مال أكثر منه لم يسأله يومئذ أحد إلا أعطاه ولم يمنع سائلا ولم يبط ساكتا فقال له العباس الحديث والبخاري تعليقا من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه لما كان يرى أحدا إلا أعطاه

النفس للطمعة ارجس

إلى ربك راضية

حرضية وتور وجهها

الذي إلى القلب بتابة

نورانية أحد وجهي

الصف لاكتساب

التورانية من اللؤلؤ

وبقاء شيء من الظلمة

على النفس لنسبة

وجهها الذي إلى

الفرزة والطبع كبقاه

ظاهر الصف على

ضرب من السكندر

والنقصان عاقلها

لنورانية باطنه وإذا

فقال ما عندى شيء ولكن اتبع على فاذا جاء ناسي قضينا فقال عمر يا رسول الله ما كفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل أنفق ولا تخش من ذى العرش إقلالا فبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه (١) ولما قفل من حين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة خظفت رداءه فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه المضاه نعماً لتسمنها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً (٢)

(بيان شجاعة صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أعجب الناس وأشجعهم (٣) قال على رضي الله عنه لقد رأيته يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً (٤) وقال أيضاً كنا إذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتفينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه (٥) قيل وكان صلى الله عليه وسلم قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر الناس بالقتال تشرع وكان من أشد الناس بأساً (٦) وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو (٧) وقال عمران بن حصين مالتى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب (٨) وقالوا كان قوى البطش (٩) ولما غشيه للشركون نزل عن بقلته فجعل يقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب فما روى يومئذ أحد كان أشد منه (١٠)

تور أحد وجهي
النفس لجأت إلى تحيين
الأخلاق وتبديل
النموت وقيل صلى
الأبدال أبدالاً والسر
الأكبر في ذلك أن قلب
الصوف بدوام الإقبال
على الله ودوام الذكر
بالقلب واللسان يرتقي
إلى ذكر الذات ويصير
حينئذ بمثابة العرش
فالعرش قلب الكائنات
في عالم الخلق والحكمة
والقلب عرش في عالم
الأمس والقدرة . قال

(بيان شجاعة صلى الله عليه وسلم)

(٣) حديث كان أعجب الناس وأشجعهم الدارمي من حديث ابن عمر بسند صحيح ما رأيت أعجب ولا أجود ولا أشجع ولا أرمى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وللشيخين من حديث أنس كان أشجع الناس وأحسن الناس الحديث (٤) حديث على لقد رأيته يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم الحديث أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بسند جيد (٥) حديث على أيضاً كنا إذا حمى البأس ولقي القوم القوم اتفينا برسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بسند صحيح ولمسلم نحوه من حديث البراء (٦) حديث كان قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر بالقتال تشرع الحديث أبو الشيخ من حديث سعد بن عياض الثمالى مرسل (٧) حديث كان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب الحديث م من حديث البراء والله إذا حمى الوطيس تقى به وإن الشجاع من المأذي يحاذي به (٨) حديث عمران بن حصين مالتى كتيبة إلا كان أول من يضرب أبو الشيخ أيضاً وفيه من لم أعرفه (٩) حديث كان قوى البطش أبو الشيخ أيضاً من رواية أبي جعفر مضعلاً ولطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن عمرو أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع وسنده ضعيف (١٠) حديث لما غشيه الشركون نزل فجعل يقول : أنا النبي لا كذب الحديث متفق عليه من حديث البراء دون قوله لما روى أحد يومئذ أحد منه وهذه الزيادة لأبي الشيخ وله من حديث على في قصة بدر وكان من أشد الناس يومئذ بأساً

(بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا في علو منصبه ^(١) قال ابن عامر رأيت برى الجرد على ناقه شبيه لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك ^(٢) وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف ^(٣) وكان يهود للريض ويتبع الجنائز ويجب دعوة المملوك ^(٤) ويخفف الثعل ويرقع الثوب وكان يصنع فيجتمع أهله في حاجتهم ^(٥) وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك ^(٦) وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم ^(٧) وآتى صلى الله عليه وسلم رجل فأرعد من هيئته فقال له هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد ^(٨) وكان يجلس بين أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتى الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلسا يرفقه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه ^(٩) وقالت له عائشة رضي الله عنها كل جعلني الله فداك متسكنا فانه أهون عليك قال فأصنى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ^(١٠) وكان لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله تعالى ^(١١) وكان لا يدعو أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال ليك ^(١٢) وكان إذا جلس مع الناس إن تسكعوا في معنى الآخرة أخذ معهم وإن تمدتوا في طعام أو شراب عمدت معهم وإن تسكعوا في الدنيا عمدت معهم رفاقهم وتواضعا لم ^(١٣) وكانوا يتناشدون الشعرين يديه

(بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث كان أشد الناس تواضعا في علو منصبه أبو الحسن بن الضحاك في التباين من حديث أبي سعيد الخدري في حديث طويل في صفته قال فيه متواضع في غير مذلة وإسناده ضعيف (٢) حديث قال ابن عامر رأيت برى الجرد على ناقه شبيه لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك ت ن ه من حديث قدامة ابن عبد الله بن عمار قال ت حسن صحيح وفي كتاب أبي الشيخ قدامة بن عبد الله بن عامر كذا كره للصف (٣) حديث كان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف متفق عليه من حديث أسامة بن زيد (٤) حديث كان يهود للريض ويتبع الجنائز ويجب دعوة المملوك ت وضعه وك وصحح إسناده من حديث أنس وتقدم منقطعا (٥) حديث كان يخفف الثعل ويرقع الثوب ويصنع في بيته مع أهله في حاجته هو في للسند من حديث عائشة وقد تقدم في أوائل آداب المعيشة (٦) حديث كان أصحابه لا يقومون له لما يطعون من كراهته لذلك هو عند ت من حديث أنس وصححه وتقدم في آداب الصحبة (٧) حديث كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم متفق عليه من حديث أنس وتقدم في آداب الصحبة (٨) حديث آتى رجل فأرعد من هيئته فقال هون الله عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد ك من حديث جرير وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث كان يجلس مع أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتى الغريب فلا يدري أيهم هو الحديث د ن من حديث أبي هريرة وأبي ذر وقد تقدم (١٠) حديث قالت عائشة كل جعلني الله فداك متسكنا فانه أهون عليك الحديث أبو الشيخ من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عنها بسند ضعيف (١١) حديث كان صلى الله عليه وسلم لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لاقى الله خ من حديث أنس وتقدم في آداب الأكل (١٢) حديث وكان لا يدعو أحد من أصحابه ولا من غيرهم إلا قال ليك أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة وفيه حسين بن علوان منهم بالكذب ولاطبراني في الكبير بإسناد جيد من حديث محمد بن حاطب في أثناء حديث أن أمة قالت يا رسول الله قال ليك وسعدك الحديث (١٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم إذا جلس مع الناس إن تسكعوا في معنى

سهل بن عبد الله
التستري القلب كالعريش
والصدر كالكرسي
وقد ورد عن الله تعالى
« لا يسعني أرضي ولا
سمائي ويسعني قلب
عبدى للؤمن » فلذا
اكتحل القلب بنور
ذكر اللغات وصار
بحرا مواجعا نجات
القرب جرى في جداول
أخلاق النفس صفاء
النعمت والصفات
وتحقق التخلق بأخلاق
الله تعالى . حكى عن

أحيانا وبذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو إذا ضحكوا ولا يزجرهم إلا عن حرام (١) .

(بيان صورته وخلقه صلى الله عليه وسلم)

كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير التردد بل كان ينسب إلى الربة إذا مشى وحده ، ومع ذلك فلم يكن بمشاهيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما اكتشفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا رآه نسباً إلى الطول ونسب هو عليه السلام إلى الربة ويقول صلى الله عليه وسلم « جعل الخبر كله في الربة (٢) » وأمالونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض والأزهر هو الأبيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان ، ونفت عنه أبو طالب فقال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل (٣)

ونفته بعضهم بأنه مشرب بعمرة فقالوا إنما كان للشرب منه بالجمرة ماظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والأزهر الصافي عن الحمرة ماتحت الثياب منه وكان عرقه يطلع في وجهه كالقؤل أطيب من السك الأذفر وأما شعره فقد كان رجل الشعر حسنة ليس بالسيط ولا الجمد القططوكان إذا مشطه بالمشط يأتي كأنه حبك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه وأكثر الرواية أنه كان إلى شحمة أذنيه وربما جعله غداً أربعا تخرج كل أذن من بين غدرتين وربما جعل شعره على أذنيه تبدو سوائه تلالاً وكان شيء في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة مازاد على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس

أمر الآخرة أخذ معهم وإن تمدنوا في طعام أو شراب تحدث معهم الحديث ت في التماثل من حديث زيد بن ثابت دون ذكر الشراب وفيه سليمان بن خازجة تفرد عنه الوليد بن أبي الوليد وذكره ابن حبان في الثقات (١) حديث كانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا وبذكرون أشياء من أمر الجاهلية الحديث م من حديث جابر بن مرة دون قوله ولا يزجرهم إلا عن حرام .

(بيان صورته صلى الله عليه وسلم)

(٢) حديث كان من صفته رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير التردد الحديث بطوله أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة زيادة وقصان دون شعر أبي طالب الآتي ودون قوله وربما جعل شعره على أذنيه تبدو سوائه تلالاً ودون قوله وربما كان واسع الجبهة إلى قوله وكان سهل الحديث وفيه صبيح بن عبد الله الفرغاني منكر الحديث قاله الخطيب في الصحيحين من حديث البراء له شعر يبلغ شحمة أذنيه ودون وحسنه وهو من حديث أم هانئ قدم إلى مكه وله أربع غداً وت من حديث علي في صفته صلى الله عليه وسلم أذيع العينين أهدب الأشعار الحديث وقال ليس إسناداه متصل وله في التماثل من حديث ابن أبي هالة أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سواين في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أفنى العينين له نور يعلوه يحبه من لم يتأمله أشم كثر اللحية سهل الحديث ضليع القم مفلج الأسنان الحديث (٣) حديث نفته عنه أبو طالب فقال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ذكره ابن إسحاق في السيرة وفي للسند عن عائشة أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يرضى فقال أبو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه على بن زيد بن جعدان مختلف فيه وخ تليقاً من حديث ابن عمر ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستسقى فأنزل حتى يخبش كل ميزاب فأنشده وقد وصله بإسناد صحيح

الشيخ أبي طي
الفارمى أنه حكى
عن شيخه أبي القاسم
السكراني أنه قال إن
الأسماء التسعة
والقسمين تصبراً وصافاً
لعبه السالك وهو بعد
في السلوك غير واصل
ويكون الشيخ عني
بهذا أن العبد يأخذ
من كل اسم وصفاً يلائم
ضعف حال البشر
وقصوره مثل أن يأخذ
من اسم الله تعالى
الرحيم معنى من الرحمة

وجها وأنور لم يصفه وأصف إلا شبهه بالقمري ليل البدر وكان يرى رضاه وغبه في وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول :

أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايه الظلام

وكافى صلى الله عليه وسلم واسع الحمية أزعج الحاجبين صابنها وكان أبلغ ما بين الحاجبين كأن ما بينهما القضة المخلصة وكانت عيناه تملأون أدمعتهما فكان في عينيه تخرج من حمرة وكان أهدب الأشعار حتى تكاد تلتبس من كثرتها وكان أفنى العينين : أي مستوى الأنف وكان مفلج الأسنان : أي متفرقا. وكان إذا أقر ضاحكا أقر عن مثل منا البرق إذا تلاحا وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم ، وكان سهل الحدين صلبها ليس بالطويل الوجه ولا للكظم كث العجة وكان يعنى لحية ويأخذ من شاربه وكان أحسن عباد الله عتقا لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر ما ظهر من عنقه فشمس والرياح فكأنه إبريق فضة متبربذها يتلاحا في بياض القضة وفي حمرة الفجب ، وكان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر لا يبدو لحم بعض بدنه بضاً كالمرآة في استوائها وكالتص في رياضته وهو بوجه ما بين لينة وسترته بشعر متقاد كالقضب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن ثلاث يغطي الأزار منها واحدة وينظر اثنتان ، وكان عظيم التنكين أشعرها ضخم الكراديس : أي رموس العظام من للتنكين وللرقين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كفيه خاتم التوبة وهو مما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس وكان على الضدين والذراعين طويل الزندين رجب الراحتين سائل الأطراف كأن أصابعه قضبان القضة كفه اليمين من الحزكان كفه كف عطار طيا مسها بطيب أولم يمسها بصاله للصافح فيظل يومه يجد رجبها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان رجبها على رأسه وكان على ماتحت الأزار من الضدين والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان له مناسكا يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السمن. وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان يمشي كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صلب يخطو تكفيا ويمشي الموهبي غير يتختر والموهبي يتقارب الخطا وكان عليه الصلاة والسلام يقول « أنا أشبه الناس بآدم صلى الله عليه وسلم وكان أبي إبراهيم صلى الله عليه وسلم أشبه الناس في خلقا وخلقاً » وكان يقول « إن لي عند ربى عشرة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الناصر الذي يحو الله في الكفر وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد وأنا الحاشر عشرين الله الصاد على قدمي وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول اللامح والمقني قضيت الناس جميعا وأنا ثم (١) قال أبو البختري : وأقمم الكامل الجامع ، والله أعلم .

على قدر قصور البصر
وكل إشارات للشايخ
في الأسماء والصفات
التي هي أعز علومهم
على هذا المعنى والتفسير
وكل من توهم بذلك شيئا
من الحلول ترتدق
والحمد وقد أوصى
رسول الله صلى الله
عليه وسلم معانا
بوصية جامعة للمحسن
الأخلاق فقال له وإمامنا
أوصيك بتقوى الله
وصديق الحديث والوفاء
بالعهد وأداء الأمانة

(١) حديث إن لي عند ربى عشرة أسماء الحديث ابن عدى من حديث على وجار وأسامة بن زيد وابن عباس وعائشة بإسناد ضعيفه ولأبي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل لي عند ربى عشرة أسماء قال أبو الطفيل حفظت منها ثمانية فذكرها بزيادة وتخص وذكر سيف بن وهب أن أبا جعفر قال إن الأسمين طه ويس وإسناده ضعيف وفي الصحيحين من حديث جابر بن مطعم لي أسماء أنا أحمد وأنا محمد وأنا الناصر وأنا العاقب وللمسلم من حديث أبي موسى واللقيني ونبي التوبة ونبي الرحمة ولأنخذ من حديث حذيفة ونبي اللامح وسده صحيح .

(بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه)

اعلم أن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم وأصغى إلى صماخ أخباره للشملة على أخلاقه وأفضاله وأحواله وعادته وسجاياه وسياسة لأصناف الخلق وهدايته إلى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده بإمام إلى طاعته مع ما يحكى من هجاب أجوبته في مضائق الأسئلة وبدائع تديراته في مصالح الخلق وعحسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذى يميز الفقهاء والقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوى وقوة الهيبة وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شامته وأحواله شواهد قاطعة يصدقه حتى إن العربى القع كان يراه فيقول : والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شامته فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده وإنما أوردنا بعض أخلاقه لتعرف ع الحسن الأخلاق وليتنبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله إذ آناه الله جميع ذلك وهو رجل أمى لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب عالم ولم يزل بين أظهر الجبال من الأعراب يتبا ضيعفا مستضعفا فمن أين حصل له ع الحسن الأخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من المعلوم فضلا عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا ما صرح الوحي ومن أين لقوة البشر الاستقلال بذلك فلوم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يترتب فيه محصل ، فلنذكر من جملة ما استفاضت به الأخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة إشارة إلى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله العادة على يد معجز مرة ، إذ شق له القمر بمكة لما سأله قريش آية ^(١) وأطعم النفر الكثير في منزل جابر ^(٢) وفي منزل أبي طلحة ويوم الخندق ^(٣) ومرة أطعم ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق ^(٤) وهو من أولاد اللز فوق الفتود ومرة أكثر من ثمانين رجلا من أقرص شعير حملها أنس في يده ^(٥) ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقه بنت بشر في يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم ^(٦) ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام فشرب أهل السكر كلهم وهم عطاش وتوضوا من قدح صغير ضاق عن أن ييسط عليه السلام يده فيه ^(٧)

(بيان معجزاته)

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس (٢) حديث إطعام النفر الكثير في منزل جابر متفق عليه من حديثه (٣) حديث إطعامه النفر الكثير في منزل أبي طلحة متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث إطعامه ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق للإسماعيلي في صحيحه ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة من حديث جابر وفيه أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلثمائة وهو عند خ دون ذكر العدد وفي رواية أبي نعيم في دلائل النبوة وهم ألف (٥) حديث إطعامه أكثر من ثمانين رجلا من أقرص شعير حملها أنس في يده م من حديث أنس وفيه حتى فعل ذلك ثمانين رجلا ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤرا وفي رواية لأبي نعيم في الدلائل حتى أكل منه بضع وثمانون رجلا وهو متفق عليه بلفظ والقوم سبعون أو ثمانون رجلا (٦) حديث إطعامه أهل الجيش من تمر يسير ساقه بنت بشر في يدها الحديث البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن إسحاق: حدثنا سعيد بن ميناء عن ابنة بشر بن سعد وإسناده جيد (٧) حديث نبع الماء من بين أصابعه فشرب أهل السكر وهم عطاش وتوضوا الحديث متفق عليه

وترك الحياة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل وزوم الإيمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجرع من الحساب وخفض الجناح وإياك أن تسب حلما أو تكذب صادقا أو تطمع آثما أو تعصى إماما عادلا أو تفسد أرضا أو صيك باقواء الله عند كل حجر وشجر ومدر

وأهراق عليه السلام وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ، ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشت بالماء فخرّب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء (١) وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربعمائة رقاب من تمر كان في اجنّاعه كربة البعير وهو موضع بروكة فزودهم كلهم منه وبقى منه فعبسه (٢) ورى الجيش بقبة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - (٣) وأبطل الله تعالى الكهانة ببعثه ﷺ فعدمت وكانت ظاهرة موجودة (٤) وحنّ الجذع الذي كان يحطّب إليه لما عمل له النير حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الأبل فضعه إليه فمكن (٥) ودعا اليهود إلى نفي اللوث وأخبرهم بأنهم لا يتصنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه (٦) وهذا مذكور في سورة يقرأ بها في جميع جوامع الإسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية التي فيها وأخبر عليه السلام باليوب وأئذ عثمان بأن تصيبه بلوى بعدها الجنة (٧) وبأن عمارا تقتله الفئة الباغية (٨) وأن الحسن يصبح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين (٩)

من حديث أنس في ذكر الوضوء فقط ولأبي نعيم من حديثه خرج إلى قبا فأتى من بعض بيوتهم بقدح صغير وفيه ثم قل هلم إلى الشرب قال أنس بصّر عيني بنبع الماء من بين أصابعه ولم يرد القدح حتى رووا منه وإسناده جيد واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس كان في سفر فشكا أصحابه العطش فقال اتوني بماء فأتوه بإناء فيه ماء فوضع يده في الماء ففعل الماء ينبع من بين أصابعه الحديث (١) حديث إهراقه وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشت بالماء الحديث م من حديث معاذ بقصة عين تبوك ومن حديث سلمة بن الأكوع بقصة عين الحديبية وفيه فاما دعا وإما بسق فيها فجاشت الحديث وللبخاري من حديث البراء أنه نوصأ وصبه فيها وفي الحديثين معا أنهم كانوا أربعة عشر مائة وكذا عند مخ من حديث البراء وكذلك عندهما من حديث جابر ، وقال البيهقي إنه الأصح ولهما من حديثه أيضا ألف وخمسمائة وسلم من حديث ابن أبي أوفى ألف وثلاثمائة (٢) حديث أمر عمر أن يزود أربعمائة رقاب من تمر كان في كربة البعير الحديث أحمد من حديث العمان بن مقرن وحديث دكين بن سعيد بإسنادين صحيحين وأصل حديث دكين عند أبي داود مختصرا من غير بيان لعددهم (٣) حديث رميه الجيش بقبة من تراب فعميت عيونهم الحديث م من حديث سلمة بن الأكوع دون ذكر نزول الآية فرواه ابن مردويه في تفسيره من حديث جابر وابن عباس (٤) حديث إبطال الكهانة ببعثه الخراطئي من حديث مرداس بن قيس الدوسي قال حضرت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند منخرجه الحديث ولأبي نعيم في الدلائل من حديث ابن عباس في استراق الجن السمع فيلقونه على أوليائهم فلما بحث محمد صلى الله عليه وسلم دحروا بالنجوم وأصله عند مخ بغير هذا السياق (٥) حديث حنين الجذع من حديث جابر وسهل بن سعد (٦) حديث دعا اليهود إلى نفي اللوث وأخبرهم بأنهم لا يتمنونه الحديث مخ من حديث ابن عباس لو أن اليهود تنو اللوث لما اتوا الحديث وللبهقي في الدلائل من حديث ابن عباس لا يقولها رجل منكم إلا غص برقعته فسات مكانه فأبوا أن يعملوا الحديث وإسناده ضعيف (٧) حديث إخباره بأن عثمان تصيبه بلوى بعدها الجنة متفق عليه من حديث أبي مزي الأسمرى (٨) حديث إخباره بأن عمارا تقتله الفئة الباغية م من حديث أبي قتادة وأم سلمة ومخ من حديث أبي سعيد (٩) حديث إخباره أن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين مخ من حديث أبي بكر .

وأن تحدث لكل ذنب نوبة السرّ السرّ والعلانية بالعلانية بذلك أدب الله عباده ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب . وروى معاذ أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حفت الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن طي بإسناده للتقدم إلى

وأخبر عليه السلام عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار^(١) فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها أشياء الهية لا تعرف ألبتة بشيء من وجوه تقدمت المعرفة بها لا بنجوم ولا بكشف ولا بخطط ولا بجزر اسكن بإعلام الله تعالى له ووحيه إليه ، وأتبعه سراق بن مالك فساخت قدما فرسه في الأرض وأتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس وأنذره بأن سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى^(٢) فكان كذلك وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنماء العين وأخبر بمن قتله^(٣) وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه^(٤) وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له^(٥) وقال لنفر من أصحابه مجتمعين أحركم في النار ضرسه مثل أحد فماتوا كلهم على استقامته وارثد منهم واحد فقتل مرتدا^(٦) وقال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات^(٧) ودعا شجرتين فأثتاه واجتمعتا ثم أمرهما فاقتربتا وكان عليه السلام نحو الربعة فاذا مشى مع الطوال طالم^(٨) ودعا عليه السلام النصارى إلى المباهلة فامتنعوا فرفههم صلى الله عليه وسلم أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا ففعلوا صحة قوله فامتنعوا^(٩) وأتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأريد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتسكاهما عازمين على قتله عليه السلام فحبل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بضعة وهلك ر بدبصاعة آخرته^(١٠) وأخبر عليه السلام

(١) حديث إخباره عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار متفق عليه من حديث أبي هريرة وسهل بن سعد (٢) حديث اتباع سراق بن مالك له في قصة الهجرة فساخت قدما فرسه في الأرض الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر الصديق (٣) حديث إخباره بمقتل الأسود العنسي ليلة قتله وهو بصنماء العين ومن قتله وهو مذكور في السير والذي قتله فيروز الدليلى وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهني شأهما فأوحى إلى في المنام أن الله خهما فنفتخهما فطارا فتأولتهما كذابين يخرجان بعدي فكان أحدهما العنسي صاحب صنماء الحديث (٤) حديث خرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه ابن مردويه بسند ضعيف من حديث ابن عباس وليس فيه أنهم كانوا مائة وكذلك رواه ابن اسحاق من حديث محمد بن كعب القرظي مرسل (٥) حديث شكا إليه البعير وتذلل له د من حديث عبد الله بن جعفر في أثناء حديث وفيه فانه شكا إلى إنك تنجيته وتدبته وأول الحديث عند د من حديث عبد الله بن جعفر في أثناء حديث قال لنفر من أصحابه أحركم ضرسه في النار مثل أحد الحديث ذكره الدارقطني في المؤلف والمختار من حديث أبي هريرة بغير اسناد في ترجمة رجال ابن عثمة وهو الذي رتدوه وبالجملة وذكره عبد الله بن المهملة وسبقه إلى ذلك الواقدي والدائمي والأول نص وأكثر كذا ذكره الدارقطني وابن ما كولا ووصله الطبراني من حديث رافع بن خديج بلفظ أحد هؤلاء النفر في الزاوية الواقعية عن عبد الله بن نوح متروك (٧) حديث قال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات الطبراني والبيهقي في الدلائل من حديث ابن محذورة وفي رواية البيهقي أن آخرهم موتا سمرية بن جندب لم يذكر أنه احترق ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة نحوه . وانه ثقات وقال ابن عبد البر إنه سقط في قدر مملوء ماء حارا فمات وروى ذلك بأسناد متصل إلا أن فيه داود بن المغيرة وقد ضعفه الجمهور (٨) حديث دعا شجرتين ذاتاه فاجتمعتا ثم أمرهما فاقتربتا أحدهما من حديث علي بن مرة بسند صحيح (٩) حديث دعا النصارى إلى المباهلة وأخبر إن فعلوا ذلك هلكوا فامتنعوا وخ من حديث ابن عباس في أثناء حديث ولو خرج الدين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا (١٠) حديث أتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأريد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتسكاهما عازمين على قتله

الترمذي رحمه الله قال أنا أبو حنيفة قال حدثنا قبيصة بن الليث عن مطرف عن عطاء عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: سمعت النبي عليه السلام يقول « ما من شيء يوضع في اللوزان أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق يبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة » وقد كان من

أنه يقتل أبي بن خلف الجحى غدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته فيه ^(١) وأطمع عليه الصلاة والسلام السم فمات الذي أكله معه وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده أربع سنين وكله الدراع المسموم ^(٢) وأخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم وجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع ^(٣) وأُنذِر عليه السلام بأن طوائف من أمته يغزون في البحر فكان كذلك ^(٤) وزويت له الأرض فأرى مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيلغ مازوى منها فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من أول للشرق من بلاد الترك إلى آخر للغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر ولم تسمعوا في الجنوب ولا في الشمال كما أخبر صلى الله عليه وسلم سواء بسواء ^(٥) وأخبر فاطمة ابنته رضى الله عنها بأنها أول أهله لحاقا به ^(٦) وكان كذلك وأخبر نساءه بأن أطولهن مدا أسرعن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن مدا بالصدقة وأولهن لحوقا به رضى الله عنها ^(٧) ومسح ضرع شاة لآلئ لما قدرت ^(٨) وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضى الله عنه وفعل ذلك مرة أخرى في خيمة أم معبد الخزاعية وندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها عليه السلام يده فكانت أصح عينيه وأحسنهما ^(٩) وتفل في عين على رضى الله عنه وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبثته بالراية ^(١٠) وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم ^(١١) وأصابت رجل بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم فمسحها يده فبرأت من حينها ^(١٢) وقل زاد جيش كان معه عليه السلام فقتل جميع ما بقى فاجتمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء

خليل بينهما وبين ذلك الحديث طب في الأوسط والأكبر من حديث ابن عباس بطوله بسندين ^(١) حديث إخباره أنه يقتل أبي بن خلف الجحى غدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته البقي في دلائل النبوة من رواية سعيد بن المسيب ومن رواية عروة بن الزبير مرسل ^(٢) حديث إنه أطمع السم فمات الذي أكله معه وعاش هو بعده أربع سنين وكله الدراع المسموم من حديث جابر في رواية له مرسل أن الذي مات بشر بن البراء وفي الصحيحين من حديث أنس أن اليهودية آتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها الحديث وفيه لما زلت أعرقها في لحوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) حديث إخباره صلى الله عليه وسلم يوم بدر بمصارع صناديد قريش الحديث من حديث عمر بن الخطاب ^(٤) حديث إخباره بأن طوائف من أمته يغزون في البحر فكان كذلك متفق عليه من حديث أم حرام ^(٥) حديث زويت له الأرض مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيلغ مازوى منها الحديث من حديث عائشة وفاطمة أيضا ^(٦) حديث إخباره فاطمة أنها أول أهله لحاقا به متفق عليه من حديث عائشة وفاطمة أيضا ^(٧) حديث أخبر نساءه أن أطولهن مدا أسرعن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن مدا بالصدقة كانت أولهن لحوقا به قال ابن الجوزي وهذا غلط من بعض الرواة بلا شك ^(٨) حديث مسح ضرع شاة لآلئ لما قدرت فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود أحمد من حديث ابن مسعود باسناد جيد ^(٩) حديث ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها فكانت أصح عينيه وأحسنهما أبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة من حديث قتادة بن النعمان وهو الذي سقطت عينه في رواية للبيهقي أنه كان يدر في رواية أبي نعيم أنه كان يأخذ وفي إسناده اضطراب وكذا رواه البيهقي فيمن حديث أبي سعيد الخدري ^(١٠) حديث تفل في عين على وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبثته بالراية متفق عليه من حديث على ومن حديث سهل بن سعد أيضا ^(١١) حديث كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه من حديث ابن مسعود ^(١٢) حديث أصابت رجل بعض أصحابه فمسحها يده فبرأت من حينها في قصة أبي رافع .

أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل ولم يجد من يعطيه ، وآتية الليل لا يأوى إلى منزله حتى يبرأ منه ولا يناله من الدنيا وأكثر قوت عامه من أيسر ما يجد من الثمر والشعير ووضع ماعدا ذلك في سبيل الله لا يستل شيئا إلا يعطى

في العسكر إلا على من ذلك^(١) وحكى الحكم بن العاص بن وائل [١] مشيته عليه السلام مستتر بأن قال صلى الله عليه وسلم كذلك فكان فلم يزل يرتقى حتى مات^(٢) وخطب عليه السلام امرأة قتاله أبوها إن بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال عليه السلام فلتسكن كذلك^(٣) فبرست وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم وإنما اقتصرنا على المستفيض ومن يستريب في أخراق العادة على يده وزعم أن أحادهذه الوقائع لم تنقل تواترا بل التواتر هو القرآن فقط كمن يستريب في شجاعة على رضى الله عنه وسخاوة حاتم الطائي ومعلوم أن أحادوقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علما ضروريا أنه لا يمتارى في تواتر القرآن وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لني معجزة باقية سواء ^{عليه السلام} إذ تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلقاء الخلق ونصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ مخلوعة بألاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهجاتهم وكان بنادى بين أظهرهم أن يأتوا بمثله أو بشر سور مثله أو بسورة من مثله إن شكوا فيه وقاله لهم - قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا - وقال ذلك تمجيزا لهم فحجزوا عن ذلك وصرفوا عن عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذرائعهم للبي وما استطاعوا أن يمارضوا ولا أن يقدحوا في جزائه وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصر بعد عصر وقد اقرض اليوم قريب من خمسين ألف سنة فلم يقدر أحد على معارضته فأعظم شباوة من ينظر في أحواله ثم في أقواله ثم في أفعاله ثم في أخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه إلى الآن ثم في انتشاره في أقطار العالم ثم في إذهاب ملوك الأرض له في عصره وبعد عصره مع صفته ويتمه يمتارى بعد ذلك في صدقه وما أعظم توفيق من آمن به وصدقته واتبعه في كل ما ورد وصدر ففسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال عنه وسعة جوده . ثم كتاب آداب للميشة وأخلاق النبوة بحمد الله وعونه ومنه وكرمه ، ويتلو كتاب شرح عجائب القلب من ربيع المهلكات إن شاء الله تعالى .

ثم يسود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتى وبما احتاج قبل انقضاء العام . وكان يصف النحل وبرقع الثوب ويختم في مهنة أهله ويقطع اللحم معين . وكان أشد الناس حياء وأكثهم تواضعا فضلات الرحمن عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

(١) حديث قل زاد جيش كان معه فدعا بما بقي فاجتمع شيء يسير فدعا فيه بالبركة الحديث متفق عليه من حديث سلمة بن الأكوع (٢) حديث حكى الحكم بن العاص مشيته مستتر بما به فقال فكذلك كن الحديث البيهقي في الدلائل من حديث هناد بن خديج صحيحه بإسناد جيد وللحاكم في المستدرک من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر نحوه ولم يسم الحكم وقال صحيح الاسناد . [٢] حديث يد طلحة لما أزال ما كان بها من شلل أصابها يوم أحد حين مسح يده من حديث جابر لما كان يوم أحد وفيه فقاتل طلحة قال الأحمد عشر حتى ضربت يده قطعت أصابعه فقال حس وليس فيه أنه مسحها ولبخاري من حديث قيس رأيت يد طلحة شلاء وفي بها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوم أحد (٣) حديث خطب امرأة قال أبوها إن بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال فلتسكن كذلك فبرست المرأة ذكرها ابن الجوزي في التقيق ومهاجرة بنت الحرث ابن عوف اللزني وتبعه على ذلك الدمياطي في جزء له في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصح ذلك .

[١] قوله الحكم بن العاص بن وائل هكذا في النسخ وصوابه كما في الشارح الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس [٢] قول العراقي حديث يد طلحة الخ لم يكن يندختنا ولا بنسخة الشارح وأثبتناه تبعاً للأصل فلينظر .

[قد تم بحون الله وحسن توفيقه طبع : الجزء الثاني من كتاب إحياء علوم الدين
وبيله : الجزء الثالث إن شاء الله تعالى . وأوله كتاب شرح عجائب القلب]

فهرس الجزء الثاني

من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام الغزالي

صفحة	صفحة
٦٢ ﴿كتاب آداب الكسب والمعاش﴾	٢ ﴿كتاب آداب الأكل﴾
وهو الكتاب الثالث من ربيع العادات	وهو الأول من ربيع العادات
٦٣ (الباب الأول في فضل الكسب والحش عاينه)	٣ (الباب الأول فيما لا بد للعنفرد منه وهو ثلاثة
٦٦ (الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع الخ	أقسام: قسم قبل الأكل ، وقسم مع الأكل ،
ويان شروط الشرع في حمة هذه التصرفات	وقسم بعد الفراغ منه
التي هي مدار الكسب في الشرع)	القسم الأول في الآداب التي تقدم على
(العقد) الأول البيع	الأكل وهي سبعة
٧٠ (العقد) الثاني عقد الربا	٥ القسم الثاني في آداب حالة الأكل
٧١ (العقد) الثالث السلم	٦ القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام
٧٢ (العقد) الرابع الإجارة	٧ (الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع
٧٣ (العقد) الخامس القراض	والشاركة في الأكل وهي سبعة)
(العقد) السادس الشركة	٨ (الباب الثالث في آداب تقديم الطعام إلى
٧٤ (الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم	الإخوان الزرين)
في للعامة)	١٢ (الباب الرابع في آداب الضيافة)
القسم الأول فيما يم ضرره وهو أنواع	١٩ فصل يجمع آداباً ومنها هي طيبة وشرعية متفرقة
٧٦ القسم الثاني ما يغض ضرره للعامل	٢١ ﴿كتاب آداب النكاح﴾
٨٠ (الباب الرابع في الاحسان في للعامة)	وهو الكتاب الثاني من ربيع العادات
٨٤ (الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه	٢٢ (الباب الأول في الترغيب في النكاح
فما يخص وريم آخرته)	والترغيب عنه)
٨٩ ﴿كتاب الحلال والحرام﴾	الترغيب في النكاح
وهو الكتاب الرابع من ربيع العادات	٢٤ ما جاء في الترهيب عن النكاح
(الباب الأول في فضيلة الحلال ومذمة	٢٥ آفات النكاح وفوائده
الحرام ويان أصناف الحلال ودرجاته	٣٧ (الباب الثاني فيما راعى حالة العقدم من أحوال
وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه)	للرأة وشروط العقد)
فضيلة الحلال ومذمة الحرام	٤٣ (الباب الثالث في آداب للعاشرة وما يجري
٩٣ أصناف الحلال ومداخلة	في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج
القسم الأول الحرام لصفة في عينه الخ	وفما على الزوجة)
٩٤ القسم الثاني ما يحرم لحلل في جهة إثبات	٥٨ القسم الثاني من هذا الباب النظر في
اليد عليه	حقوق الزوج عليها

صفحة	صفحة
١٥٥ (الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها)	٩٥ درجات الحلال والحرام
١٥٩ بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا	٩٦ أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدا
١٦٤ بيان البغض في الله	٩٩ (الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثارها وتمييزها عن الحلال والحرام)
١٦٦ بيان مراتب الذين يغضون في الله وكيفية معاملتهم	١٠٠ للمثار الأول الشك في السبب الحلال والحرام
١٦٨ بيان الصفات والشروط فيمن يختار محبته	١٠٣ للمثار الثاني للشبهة شك منشؤه الاختلاط
١٧٠ (الباب الثاني في حقوق الأخوة والصحبة)	١١٠ للمثار الثالث للشبهة أن يتصل بالسبب الحلال محبة
١٧١ الحق الأول في المال	١١٥ للمثار الرابع الاختلاف في الأدلة
١٧٢ الحق الثاني في الإعانة بالنفس الخ	١١٨ (الباب الثالث في البحث والسؤال والمجوب والإجمال ومطابقها)
١٧٤ الحق الثالث في اللسان بالسكوت الخ	المثار الأول أحوال المالك
١٧٨ الحق الرابع على اللسان بالنطق	١٢١ للمثار الثاني ما يستند الشك فيه إلى سبب المال لا في حال المالك
١٨١ الحق الخامس العفو عن الزلات والمفوضات	١٢٧ (الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية وفيه نظران)
١٨٣ الحق السادس الدعاء للأخ في حياته الخ	النظر الأول في كيفية التمييز والإخراج
١٨٤ الحق السابع الوفاء والإخلاص	١٢٩ النظر الثاني في المصروف
١٨٦ الحق الثامن التخفيف وترك التكليف الخ	١٣٣ (الباب الخامس في إدرات السلاطين
١٨٩ (خاتمة) لهذا الباب نذكر فيها جملة الخ	وصلاتهم وما يعمل منها وما يحرم وفيه نظران)
١٩٠ (الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية العاشرة مع من يدلى بهذه الأسباب)	١٣٤ النظر الأول في جهات الدخول للسلطان
١٩١ حقوق المسلم	١٣٨ النظر الثاني من هذا الباب في قدر المأخوذ وصفة الآخذ
٢١١ حقوق الجوار	١٤٠ (الباب السادس فيما يعمل من مخالطة السلاطين الظلمة ومحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم)
٢١٥ حقوق الأقارب والرحم	١٥١ (الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى)
٢١٦ حقوق الوالد والولد	
٢١٩ حقوق المالك	
٢٢١ (كتاب آداب العزلة)	١٥٤ (كتاب آداب الألفة والأخوة)
وهو الكتاب السادس من ربيع العادات وفيه بابان	والصحبوا العاشرة مع أصناف الخلق وهو الكتاب الخامس من ربيع العادات الثاني وفيه ثلاثة أبواب
٢٢٢ (الباب الأول في نقل للذاهب والأقارب)	
وذكر حجج الفريقين في ذلك	
٢٢٣ ذكر حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها	
٢٢٤ ذكر حجج السائلين إلى تفصيل العزلة	

صفحة	صفحة
٢٦٦	٢٢٦
(كتاب آداب السماع والوجد)	(الباب الثانى فى فوائد العزلة ومغوائها وكشف الحق فى فضلها)
وهو الكتاب الثامن من ربيع العادات	الفائدة الأولى التفرغ للعبادة والفكر الخ
وفيه بابان : الباب الأول فى ذكر اختلاف	٢٢٨
العلماء فى إباحة السماع وكشف الحق فيه .	الفائدة الثانية التخلص بالعزلة عن
بيان أقوال العلماء والتصوفة فى تحليه	المعاصى التى يتعرض للانسان لها الخ
ونحره	٢٣٢
٢٦٨	الفائدة الثالثة الخلاص من الفتن
بيان الدليل على إباحة السماع	والخصومات وصيانة الدين والنفس الخ
٢٨٢	٢٣٣
بيان حجج القائلين بتحريم السماع	الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس
والجواب عنها	٢٣٤
(الباب الثانى فى آثار السماع وآدابه وفيه	الفائدة الخامسة أن ينقطع طمع الناس
مقامات ثلاث)	عنك وينقطع طمسك عن الناس
٢٨٥	٢٣٥
للقام الأول فى الفهم	الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة
٢٨٩	للقلاء والحق ومقاساة محققهم وأخلاقهم الخ
للقام الثانى بعد الفهم والتزليل للوجد	٢٣٦
٢٩٨	آفات العزلة للمبينة على فوات فوائد
للقلم الثالث من السماع نذكر فيه آداب	الحالطة السبعة الآية
السماع ظاهرا وباطنا الخ	الفائدة الأولى التسليم والتعلم
٣٠٢	٢٣٨
(كتاب الأمر بالمعروف)	الفائدة الثانية النفع والانتفاع
والتهى عن النكر وهو الكتاب التاسع	الفائدة الثالثة التأديب والتأدب
من ربيع العادات الثانى وفيه أربعة أبواب	٢٣٩
(الباب الأول فى وجوب الأمر بالمعروف	الفائدة الرابعة الاستئناس والإيناس
والتهى عن النكر وفضيلته والمذمة فى	الفائدة الخامسة فى فضل الثواب وإنائه
إيماله وإضاعته)	الفائدة السادسة من فوائد الحالطة التواضع
٣٠٨	٢٤١
(الباب الثانى فى أركان الأمر بالمعروف	الفائدة السابعة التجارب
وشروطه ، وأركانه أربعة)	٢٤٣
الركن الأول المحتسب	(كتاب آداب السفر)
٣٢٠	وهو الكتاب السابع من ربيع العادات
الركن الثانى للحسبة ما فيه الحسبة	وفيه بابان
٣٢٣	(الباب الأول فى الآداب من أول التمهوض
الركن الثالث المحتسب عليه	إلى آخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته
٣٢٤	وفيه فصلان)
الركن الرابع نفس الاحتساب	الفصل الأول فى فوائد السفر وفضله ونبته
(باب آداب المحتسب)	٢٥٠
(الباب الثالث فى المنكرات للألوف فى	الفصل الثانى فى آداب المسافر من أول نهوضه
العادات)	إلى آخر رجوعه وهى أحد عشر أدبا
٣٣٠	(الباب الثانى فيما لا بد للمسافر من تعلمه
منكرات للمساجد	من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات الخ)
٣٣٣	القسم الأول العلم برخص السفر
منكرات الأسواق	٢٦١
منكرات الشوارع	القسم الثانى ما يتجدد من الوظيفة الخ

صفحة	صفحة
٣٦٠	٣٣٤ منكرات الحمامات
٣٦٣	منكرات الضيافة
٣٦٦	٣٣٦ المنكرات العامة
٣٧٢	٣٣٧ (الباب الرابع: في أمر الأمراء والساطين
٣٧٧	بالمعروف ونهيبهم عن المنكر)
٣٧٨	٣٥١ (كتاب آداب الميعة وأخلاق النبوة)
كان يكرهه	وهو الكتاب العاشر من ربيع العادات
٣٧٩	من كتب إحياء علوم الدين
٣٨٠	٣٥٢ يان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمدا
٣٨١	صلى الله عليه وسلم بالقرآن
٣٨٢	٣٥٣ يان جملة من عاصم أخلاقه التي جمعها
٣٨٤	بعض العلماء والتقطها من الأخبار

فهرس بقية عوارف المعارف للسهروردي الذي بالهامش

صفحة	صفحة
١٧٢ (الباب العشرون في ذكر من يأكل	٢ (الباب التاسع في ذكر من اتمى إلى الصوفية
من الفتوح)	وليس منهم)
١٩٥ (الباب الحادى والعشرون في شرح حال	١٣ (الباب العاشر في شرح رتبة المشيخة)
التجرد ولتأهل من الصوفية ومهمة مقاصدهم)	٣٤ (الباب الحادى عشر في شرح حال الخادم
٢٢٠ (الباب الثانى والعشرون في القول في السماع)	ومن يشبهه)
٢٥٣ (الباب الثالث والعشرون في القول في السماع	٤٢ (الباب الثانى عشر في شرح خرقه الصوفية)
رداً وإنكاراً)	٦٢ (الباب الثالث عشر في فضيلة سكان الرباط)
٢٦٤ (الباب الرابع والعشرون في القول في	٧٠ (الباب الرابع عشر في مشابهة أهل
السماع زفعا واستغناء)	الرباط بأهل الصفة)
٢٧٩ (الباب الخامس والعشرون في القول في	٨٠ (الباب الخامس عشر في خصائص أهل الربط
السماع تأديبا واعتناء)	والصوفية فيما يتعاهدونه ويغتصون به)
٢٩٦ (الباب السادس والعشرون في خاصية	٩٥ (الباب السادس عشر في ذكر اختلاف
الأربعينية التي يتعاهدها الصوفية)	أحوال مشايخهم في السفر والمقام)
٣١٠ (الباب السابع والعشرون في ذكر كروح	١٢٢ (الباب السابع عشر فيما يحتاج إليه الصوفى
الأربعينية)	في سفره من الفرائض والفضائل)
٣٣٢ (الباب الثامن والعشرون في كيفية	١٤٠ (الباب الثامن عشر في القدوم من السفر
الدخول في الأربعينية)	ودخول الرباط والأدب فيه)
٣٥٣ (الباب التاسع والعشرون في أخلاق الصوفية)	١٥٨ (الباب التاسع عشر في حال الصوفى للذهب)